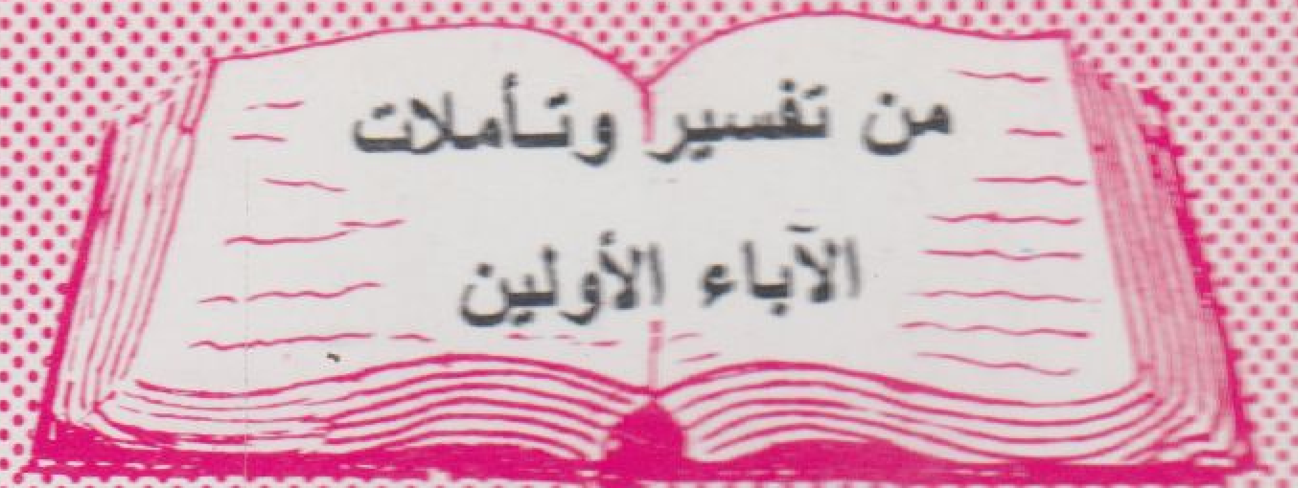


ملوك الثاني

القمص تادرس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

الملوك الثاني

٢٠١٠
الطبعة الأولى

القمص تادرس يعقوب ملطي

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: الملوك الثاني.

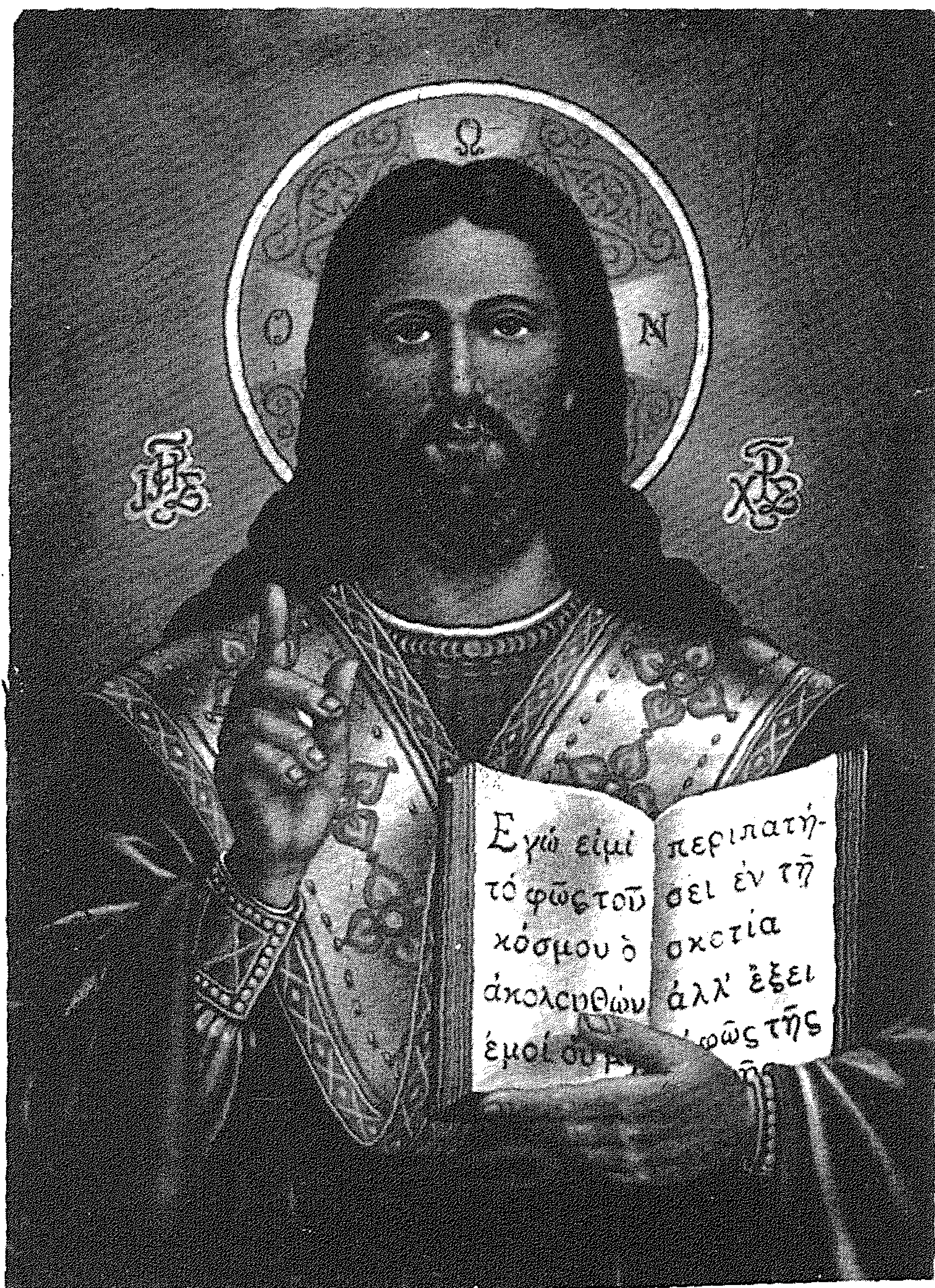
المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة: الأولى ٢٠١٠

المطبعة: الأنبا رويس بالعباسية.

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٠/٧٣٢١

I.S.B.N. 978- 977- 392- 197- 3



Ο Ω Ν
Εγώ είμί
τό φῶς τοῦ
κόσμου ὁ
ἀκολουθῶν
ἐμοί οὐ
περιπατή-
σει ἐν τῇ
σκοτία
ἀλλ' ἕξει
φῶς τῆς



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدِّمة

في

سفر الملوك الثاني

أرجو الرجوع إلى مقدمة الملوك الأول والثاني في تفسير الملوك الأول.

يُسجِّل لنا هذا السفر قصة مملكتي إسرائيل ويهوذا عند النهاية المجيدة لإيليا الذي أُصعد إلى السماء حتى تدمّرت مملكة إسرائيل تمامًا وسقطت تحت السبي الأشوري (١-١٧)، وسيق يهوذا إلى السبي البابلي (١٨-٢٥). فالفساد الروحي يؤدي إلى تدهور سياسي واجتماعي.

أرسل الله الكثير من الأنبياء العظماء، واستخدم معهم تأديبات مستمرة، ومع هذا تمردت مملكتا إسرائيل ويهوذا، وقبلتا عبادة الأصنام، ولم يعُد من علاج لهما سوى السبي، ليكون ذلك درسًا للأفراد (أم ٢٩: ١) كما للأمم (أم ١٤: ٣٤).

بين سفري الملوك الثاني والملوك الأول

يُعتبر سفر الملوك الثاني امتدادًا لسفر الملوك الأول، وتتمة له، وهما في الأصل العبري سفر واحد. يبدأ الثاني حيث انتهى الأول بالحديث عن المملكة المنقسمة، حيث كان أخزيا بن أخآب (٨٥٣-٨٥٢ ق.م) على إسرائيل، ويهوشافاط (٨٧٢-٨٤٧ ق.م) على يهوذا.

يبدأ سفر الملوك الأول بالمملكة في أوج عظمتها، وينتهي سفر الملوك الثاني بالسبي الذي تنبأ عنه موسى النبي (تث ٢٨: ٤٨-٥٣).

يبدأ الأول بسليمان أول ملك خلف داود، وينتهي الأخير بآخر خلف له، الملك يهوياكين الذي اُقتيد أسيرًا إلى بابل، وأحسن أويل مردوخ معاملته (٢٥:٢٨-٣٠).

في الملوك الأول نرى هيكل الله القدوس يُبنَى ليُمثِّل الحضرة الإلهية، وفي الملوك الثاني نرى تدميره حيث دنسه الملوك والشعب حتى القيادات الدينية.

سفر الملوك الثاني هو سفر المملكة المنقسمة كثمرة لإصرار الإنسان على الشر، والارتداد عن الإيمان الحق، ورفض للعبادة الحقيقية. هذه الظلمة هي ثمرة الإرادة البشرية الشريرة، ففقدت الأمة كيانها وصارت منقسمة، بل وسيقت المملكتان إلى السبي.

في هذا السفر كما في السفر السابق غاية الكاتب واضحة، وهي أنه يتطلع إلى المملكتين بالرغم من انقسامهما سياسيًا، ودخولهما تارة في منازعات، وأخرى في تحالف، وكثيرًا ما تتحالف مملكة منهما مع ممالك غريبة ضد أختها المملكة الثانية، إلا أنه يتكلم عن شعبٍ واحدٍ. فما انتهى

إليه السفر من فقدان مدينة الله أورشليم ودمار الهيكل وتوقف العبادة، إنما هو ثمرة الخطية للشعب كله في المملكتين.

بروح الله يُبرز كاتب السفر التفسير اللاهوتي للأحداث لشعب ذي كيان واحد[1].

هذا ويُقدّم الكاتب تبريرات لما حلّ بالشعب من دمارٍ، فيصف الملك أنه لم يتحوّل عن خطايا يربعام (٢ مل ٣: ٤؛ ١٠: ٢٨؛ ١٣: ٢ الخ)، وتارة يُقدّم تفسيرًا مطولاً ليُبرِّر هذا الحكم الإلهي (١ مل ١١: ٩ الخ؛ ٢ مل ١٧: ٧ الخ).

غاية الكاتب ليس تسجيل تاريخ أمة معينة، أو عرضٍ تاريخي لأحداث معينة، إنما الكشف عن معاملات الله مع الإنسان، واهتمامه بخلاصه، تارة بالحنو واللطف والعفو، وأخرى بالتأديب.

الفكرة الرئيسية للسفر

الخطية هي سرّ انهيار إسرائيل ويهوذا، في نفس الوقت يقيم الله له شهودًا للحث على الرجوع إليه بالتوبة. فما حلّ بالشعب أو المملكة من دمارٍ لا يرجع إلى المصادفة ولا إلى مصيرٍ محتوم، فقد حذَّرهم الله مرارًا وتكرارًا من الثمار الطبيعية لشرورهم. "وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ، قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الردية، واحفظوا وصاياي فرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم، والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء، فلم يسمعوا، بل صلّبوا أقفيتهم..." (٢ مل ١٧: ١٣ الخ)

لقد كثّف الله إرسال الأنبياء لمدة طويلة لعلهم يرجعون عن شرورهم، ومع هذا استهانوا بطول أناة الله، ولم يهتموا بادراك فاعلية الشر وثماره. أرسل الله ناثان النبي (١ مل ١: ٤٥)، وأخيا الشيلوني (١ مل ١١: ٢٩-٤٠؛ ١٤: ١ الخ)، وشمعيا رجل الله (١ مل ١٢: ٢٢-٢٤)، وإيليا (١ مل ١٧ الخ)، وميخا بن يملة (١ مل ٢٢: ٨ الخ)، وأليشع (٢ مل ٢ الخ)، ويونان بن أمتاي (٢ مل ١٤: ٢٥)، وإشعياء (٢ مل ١٩ الخ)، وخلدة النبية (٢ مل ٢٢: ١٤ الخ) وآخرين[2].

يشير *von Rad* إلى اثنتي عشرة نبوة تحققت فعلاً في أسفار صموئيل والملوك، تبدأ بالنبوة عن عالي الكاهن، وقد تكررت العبارة "كما تكلم الرب (يهوه)" (١ مل ٨: ٢٠؛ ٢ مل ٢٤: ١٣) وما يعادلها[3].

يرى *von Rad* أن غاية السفر ليست عرضًا للأحداث، أو تبرير لما حلّ بإسرائيل من عقوبة السبي، إنما بالأكثر يحمل السفر مسحة مسيانية، فما حدث هو طريق لتحقيق الوعد الإلهي لقيام المسيا ابن داود، بكونه يقيم خيمة داود الساقطة. فقد وعد الله "أنا أُثبِّت كرسي مملكته إلى

[1] *Cf Brevared S Childs Introduction to the Old Testament, Philadelphia, 1986, p 288*
[2] *Cf Brevared S Childs Introduction to the Old Testament, Philadelphia, 1986, p 289*
[3] *Cf Brevared S Childs Introduction to the Old Testament, Philadelphia, 1986, p 289*

الأبد" (٢ صم ٧: ١٣-١٧؛ راجع ٢ صم ٢٣؛ مز ٨٩ و١٣٢).

إشراقات وسط الظلام

ركّز سفر الملوك الأول على ظهور إيليا النبي الذي تأهل للصعود بمركبة نارية إلى السماء، في أحلك لحظات التاريخ، في عهد أخآب الملك الشرير وزوجته إيزابل. وركّز سفر الملوك الثاني على **ظهور أليشع النبي** لصُنع ضعف المعجزات التي تمَّت على يدي أبيه الروحي إيليا. ففي وسط الفساد لا يترك الله نفسه بلا شاهد، ولا يتجاهل القلة القليلة الأمينة، بل يُرسِل شخصيات نارية مقدسة، قادرة أن تنطق بالحق، وأن تشهد للنور وسط الظلمة، وأن تسند القلة القليلة المقدسة للرب وسط الضيق.

في وسط هذا الظلام نجد عبارة "**رجل الله**" تتكرر ٣٦ مرة، فالله لم يشأ أن يستأصلهم (٢٣:١٣)، بل أرسل لهم من كرَّسوا كل كيانهم للشهادة له.

فإن كان عنوان السفر يمكن أن يكون "**إلى السبي**" ليُحذِّرَ المؤمنين من الخطية، يمكننا أيضًا تقديم عنوان له "**إشراقات وسط الظلام**". ففي كل عصرٍ، مهما بلغ الفساد، ومهما انتشرت الخطية، تبقى نعمة الله عاملة ومُشرِقة في النفوس القليلة الأمينة، كشهادة حية للعمل الإلهي في كل جيلٍ.

ويذكر *Brevard Childs* أنه إن كان هذا السفر قد ركّز على الخراب الشامل للشعب بسبب كسره للعهد، إنما يحمل الجانب الإيجابي، وهو أن حضور الله لا يُحَد بالهيكل في أورشليم ولا بأرض الموعد، بهذا فتح باب الرجاء في البركة القادمة بمجيء المسيا، وأشرق بالرجاء على الأجيال المُقبِلة في كل الأمم[1].

هذا وقد أبرز السفر أن الله يجيب الذين يطلبون اسمه بإخلاص[2].

كاتبه

كثير من الدارسين يقْبلون ما ورد في التقليد اليهودي، أن كاتب السفر هو إرميا النبي تحت قيادة روح الله القدوس. ساعده في ذلك، أنه من أصل كهنوتي، فكان مُلِمًّا بما يدور في الهيكل وبحال القادة الدينيين. كما ساعده نشاطه النبوي الذي يمس الواقع العملي للقادة المدنيين والدينيين. وعلاقته بالسلطات على أعلى مستوى. كان له دراية قوية بحال إسرائيل ويهوذا السياسي في أيامه وقبل ميلاده.

---

[1] *Cf. Brevaed S Childs, p. 294.*

[2] *Break Through The Bible for Young Catholics, NY, 2005, p 452*

قيمة السفر

يحوي هذا السفر تاريخ قرابة ٣٠٠ عامًا، يبدأ بأخزيا ملك إسرائيل وموت يهوشافاط حتى السبي، يضم حياة ١٩ ملكًا لإسرائيل كلهم أشرار، و١٩ ملكًا وملكة ليهوذا منهم ثمانية ملوك صالحين، لكن ساد الشر عليهم في النهاية. تكررت العبارة: "عمل الشر في عينيّ الرب" ٢١ مرة، بينما وردت العبارة: "عمل المستقيم في عينيّ الرب" ٦ مرات.

للأسف أنجب حرقيا وهو من أفضل ملوك يهوذا أشر ملوكها منسى (ص ٢١)، علامة المسئولية الشخصية لكل أحدٍ.

قام الأنبياء في الملوك الأول والثاني بدورٍ رئيسي لتبكيت الملوك والقادة والشعب. كُتب نحو ١٢ سفرًا نبويًا خلال الفترة التي يغطيها سفر الملوك الثاني.

مفتاح السفر

مَا هِيَ هَيْئَةُ الرَّجُلِ؟ (١: ٧) سؤال خاص بكل مؤمن. والإجابة أنه إنسان الله، يقوده الرب، ويعلن له عن إرادته. يُمجِّد الرب ويثق فيه، ويُتمِّم مشيئته الإلهية. يزهد الأرضيات، ولا يُحابِي الوجوه.

الخطوط الروحية للسفر

١. **يبرز** سفرا الملوك الأول والثاني **معاملات الله مع شعبه ومؤمنيه.** اهتم سفر الملوك الثاني بتأكيد أن سرّ القوة والنجاح في حياة الملك كما الشعب هو الرجوع إلى الله وتجديد العهد معه.

٢. أكَّد سفر الملوك الثاني بكل وضوح ما تُعلنه كل أسفار الكتاب المقدس التاريخية وغير التاريخية أن **الله هو ضابط التاريخ.** ليس شيء يحدث مصادفة، بل توجد خطة إلهية تُحرِّك التاريخ، وتسمح بالأحداث لحساب ملكوت الله.

الله الذي سمح بظهور أخآب الشرير الذي تزوج إيزابل ابنة ملك صيدون والتي كرَّست طاقاتها وطاقات الدولة لإبادة العبادة الحية ونشر عبادة البعل، أقام ياهو الملك لكي يبيد بيت أخآب، ويُحطِّم عبادة البعل، ويقتل عابدي البعل.

٣. أبرز هذا السفر حقيقة هامة تخص **أثَر الأسرة على الشخص،** حتى وإن كان ملكًا. فكثيرا ما يجني الابن أو الابنة من ثمار والديهما المقدسة أو الفاسدة. فنرى عثليا الملكة حملت روح أمها الشريرة ايزابل، قتلت كل النسل الملكي، ولم يفلت من يدها سوى يوآش الذي خبَّأته عمته، وأخفته في الهيكل.

مع هذا فإنه إن أراد إنسان أن يعيش مُقدَّسًا للرب، لن تقف خطايا والديه عائقا في طريقه، بل على العكس تكون بالأكثر تزكية له. والمثل الواضح لذلك الملك حزقيا الصالح، الذي حمل اتجاهًا مختلفًا عن والده. وللأسف سلك ابنه منسى في الشر، ومارس أخطاء جده الشرير، كتقديم ابنه ذبيحة للأوثان ونشره للرجاسات الوثنية.

٤. يكشف السفر عن **طول أناة الله** سواء على مستوى الشعب ككل أو على مستوى الأسرة أو الفرد. غير أن طول أناته لا تُعني ترك الأمور تسير بلا ضابط. بحبه يطيل أناته لكي نرجع إليه، وبحبه أيضا يؤدب في الوقت المناسب.

عندما يؤدِّب الله شعبه أو أحد مؤمنيه، يؤدب تدريجيًا طالبًا رجوع الشعب كما الأفراد إليه. لهذا أطال الله أناته على إسرائيل ويهوذا، وإذ أصرت مملكة إسرائيل على الشر أدَّبها بالسبي الأشوري على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: حيث التزم إسرائيل بدفع الجزية لملك أشور.

المرحلة الثانية: حيث سمح باغتصاب أشور لبعض المناطق وسبي شعبها.

المرحلة الثالثة: حيث تحقق السبي الكامل، وفقدت مملكة إسرائيل كيانها تمامًا، إذ سحب أشور الكثيرين من إسرائيل، وجاء أشور بأُناسٍ من جنسيات مختلفة إلى العاصمة "السامرة"، يتزوجون من بعضهم البعض حتى يفقد الكل انتماءهم لبلادهم، وتفقد السامرة ككل انتماءها لإسرائيل.

كان يليق بمملكة يهوذا أن تتعظ بما حدث لإسرائيل التي انهارت تمامًا وفقدت كيانها. لكن عوض التوبة والرجوع إلى الله، ظن الكثيرون أن ما حدث لإسرائيل أمر طبيعي، لأن إسرائيل انشقت بالرغم من كثرة عدد الأسباط وعدد الشعب ووفرة الإمكانيات. لقد حرمت نفسها من أورشليم مدينة الله، ومن الهيكل بيت الرب الفريد، ومن الملوك الشرعيين (من سبط يهوذا)، ومن ممارسة العبادة حسب الشريعة الموسوية. اعتَقد كثيرون من مملكة يهوذا بأن الله لن يسمح مُطلقًا لهيكله بالدمار، ولا لمدينته أورشليم بالسبي. لكن إذ سقطت مملكة يهوذا في الشر أكثر من أختها إسرائيل، أطال الله أناته عليها، وأخيرًا سمح بتأديبها بالسبي البابلي على ثلاث مراحل أيضًا.

الجانب التاريخي

ما يشغل قلب الكاتب هو ما يُعانِي منه الشعب الذي يسلك كأنَّه بغير قيادة، فغالبية القادة مع الملوك لم يكونوا مُعَدِّين لقيادة الشعب في الرب، كما اتسم الشعب بروح التمرُّد، لهذا فإن الله مع طول أناته ومحبته، فلخير الشعب سمح بتأديبهم بالسبي.

يروي لنا السفر الخدمة النبوية في شيءٍ من التفصيل، خاصة بالنسبة لخدمة إيليا وأليشع.

في خلال هذه الفترة تعرَّضتْ إسرائيل لضغوط مستمرة من أرام (سوريا) تحت حُكْمِ بنهدد الثاني و**حزائيل**، وأيضًا تهديدات من أشور التي كانت تنمو وتزداد قوة بسرعة تحت حُكْمِ ملكها القوى شلمنأسر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م).

بدأت الأسرة الرابعة بتطهير إسرائيل من عبادة البعل التي كانت وباءً أصاب الأُسر الثلاثة السابقة (١٠: ١-١٥: ١٢). للأسف فإن ياهو مؤسس هذه الأسرة، وإن كان قد هاجم عبادة البعل، استمر في عبادة العجلين اللذين أقامهما يربعام في بيت إيل ودان.

كان خلفاؤه في نفس الأسرة أفضل منه قليلاً، في ذلك الوقت انطلقت مملكة الجنوب من حُكْمِ عثليا الشريرة إلى يوشيا و**عمري** اللذين قاما بإصلاح طفيف. أما عن الأحوال الخارجية فإن الخطر الأرامي انتهى بالهجوم العسكري على أرام بواسطة **عداد** *Adad* نيراري الثالث الأشوري[1].

بدأت أشور نفسها تنحدر مع بدء القرن الثامن ق. م.

بعد موت زكريا ٧٥٢ ق.م دخلت المملكة الشمالية في حالة انحدار سريع، صار له أثره على الحالة الروحية. الارتداد الديني مع الانحراف الأخلاقي وعدم الحكمة في التدبير السياسي في التعامل مع أشور قضى على هذه المملكة عام ٧٢٢ ق. م.

في نفس الوقت يوثام وابنه الشرير أحآز حكما يهوذا، الابن دفع المملكة نحو العبادة الوثنية.

عالج سفر الملوك الثاني تاريخ يهوذا بعد سبي إسرائيل بواسطة أشور. قدَّم لنا أعمال الملك الصالح حزقيا (ص ١٨-٢٠)، إلى الحديث عن أبناء يوشيا الأشرار. فتعرضت أورشليم إلى ثلاثة هجوم وترحيل، وكان الأخير سنة ٥٨٦ ق. م.

إن كانت مملكة يهوذا قد انتعشت خلال حكم حزقيا ويوشيا، إلا أن حركة الارتداد أدَّت إلى سبي يهوذا، لتبقى في السبي البابلي لمدة ٧٠ عامًا. وسط هذه الصورة القائمة كانت رسالة الله واضحة، وهي تحقيق الوعد بالرجوع من السبي (١ مل ٨: ٤٦-٥٣).

أهم الأحداث[2]

٨٦٥ ق. م إيليا يبدأ في العمل النبوي ضد أخآب في إسرائيل.

٨٥٠ ق. م إصعاد إيليا إلى السماء وبدء العمل النبوي لأليشع.

٧٥٥ ق. م بدء العمل النبوي لإشعياء في يهوذا.

---

[1] *NKJV Study Bible.*
[2] *Cf. NKJ Study Bible.*

٧٣٦ ق. م آحاز يبدأ الحُكْمَ في يهوذا.

٧٢٢ ق. م سبي إسرائيل بواسطة أشور.

٧١٦ ق. م حزقيا يحكم في يهوذا.

٦٩٧ ق. م منسى يحكم في يهوذا.

٦٤٠ ق. م يوشيا يحكم في يهوذا.

٦٢٤ ق. م وجود سفر الشريعة في أورشليم.

٦٢٢ ق. م سقوط نينوى عاصمة أشور في أيدي البابليين.

٥٨٦ ق. م السبي البابلي ليهوذا.

بين سبي إسرائيل إلى أشور، ويهوذا إلى بابل

كان أسلوب بابل في سبي أي شعب يختلف عن أسلوب أشور:

١. كان يميل الأشوريون إلى سبي أكبر عدد من الشعب وترحيلهم خارج بلدهم، وجلب أشخاص من جنسيات مختلفة يختلطون بسكانها ويتزوجون منهم، فيقوم النسل من أب وأم مختلفي الجنسية، ولا يكون لهم انتماء للوطن.

٢. استخدام كل وسيلة للسلب والعنف في تعاملهم مع المسبيين، فأقاموا مملكتهم على سلب الأمم والشعوب الأخرى.

٣. وجدوا سعادتهم في تعذيب الأسرى ببشاعة ووحشية، غالبًا ما كان المسبيون يُساقون مُقيَّدين بسلاسل، حفاة الأقدام، وكان الجند الذين يقودونهم إلى السبي يُعاملونهم بشيءٍ من القسوة.

٤. في أرض السبي تقدم استعراضات للمسبيين بعد بتر بعض أعضاء الجسم مثل فقأ إحدى العينين أو قطع الأذنين أو الأنف. كانوا أحيانًا يسلخون جلد البعض وهم أحياء تدريجيًا إمعانًا في العذاب حتى يموتوا.

٥. كثيرا ما كانوا يجمعون الجماجم في أكوام في أماكن عامة كنوعٍ من الإرهاب.

٦. ما كان يشغل البابليون هو سيطرتهم على العالم، وتوسُّع الإمبراطورية البابلية، والانتفاع بالبلاد التي تسقط تحت أيديهم. تشغلهم الجزية التي يحصلونها وخضوع البلاد لهم، وعدم إعطاء فرصة للتمرُّد على بابل. فكانوا أحيانًا يقيمون حكّامًا من البلد المهزومة لإدارتها في خضوعٍ لبابل.

٧. سمحوا للشعوب التي في السبي أن يعيشوا جماعات معًا يمارسون عبادتهم وشعائرهم، ويحتفظون بثقافتهم إلى حدٍ كبيرٍ، فلا نعجب إن سمعنا المرتل يقول: "كيف نسبِّح تسبحة الرب في أرضٍ غريبة" (مز ١٣٧: ٤). وكانوا يسمحون للمسبيين بحرية المعاملات التجارية والعبادة الخ.

كان البابليون يسيرون في الأعياد الوثنية في مواكب كبرى، يُمجِّدون فيها آلهتهم الوثنية في الأحياء اليهودية والمجتمعات الأخرى المسبية، ليعلنوا أن آلهة بابل صاحبة سلطان وقوية، قدَّمت لهم النصرة على آلهة الشعوب الأخرى.

٨. كانوا يعتزُّون بأبناء الأسرة المالكة والأشراف والشخصيات القوية والموهوبة للخدمة في بابل، مثل دانيال والثلاثة فتية ومردخاي الخ.

أقسام السفر

من وحي سفر الملوك الثاني

هبْ لي روحين من إيليا النبي،
فأحمل قلبا ناريًا وأُبوَّة وبرًّا!

❖ هب لي مع أليشع روحيْن من إيليا الناري.
أحمل قوتك المضاعفة،
فأُتمِّم خطتك من نحوي!

❖ لأمسك بثوب إيليا، وأضرب الأردن.
فأجد لي طريقا وسط المياه،
وأعبر مع أليشع مسنودًا بشركة القديسين.

❖ لستُ أطلب أن تصنع معي عجائب أستعرضها.
لكنني أطلب عملك يا إله العجائب والمعجزات.

❖ أسألك أن تُجدِّد طبيعتي،

فأحمل ظلّ أبوتك وحنانك وحبك للجميع.

أصير أيقونة لك!

هذه هي المعجزة التي تهبها لي، يا إله المستحيلات!

❖ يا لطول أناتك عليَّ!

كسرتُ عهودي معك، وتجاهلتُ ناموسك ووصيتك،

سلّمتُ نفسي للأسر والعبودية،

أذلّني أشور العنيف، وسبتني بابل المتعجرفة!

ليس لي أن أعاتبك!

خطيتي حملتني إلى السبي. قيّدتُ إرادتي بسلاسل أبدية.

من يحلني منها إلا نعمتك، يا ملكي ومُحرِّري!

الأسفار	موضوعها
١- ٢ مل	نظرة ملوكية، مع تركيز على العرش.
١- ٢ أي	نظرة كهنوتية، مع تركيز على الهيكل.
الأنبياء	نظرة نبوية مع الربط بين العرش والهيكل.

قائمة بالأحداث الرئيسية

آدم ٤٠٠٠ ق.م	**بدء حكم سليمان** ٩٧١ ق.م
إبراهيم ٢٠٠٠ ق.م	انفسام المملكة ٩٣١ ق.م
موسى ١٥٠٠ ق.م	[إيليا وأليشع]
الخروج ١٤٤٠ ق.م	بدء خدمة أليشع ٨٥٣ ق.م
بدء القضاة ١٣٧٥ ق.م	الأسر الأشوري ٧٢٢ ق.م
تجليس شاول ١٠٥٠ ق.م	سبى بابل ٥٨٦ ق.م
داود يحكم ١٠١٠ ق.م	**منشور كورش** ٥٣٨ ق.م
ثورة أبشالوم ٩٧٥ ق.م	عزرا ٥٠٠ ق.م
موت داود ٩٧١ ق.م	نحميا في أورشليم ٤٤٤ ق.م

مقارنة بين الأسفار التاريخية

اهتمت أسفار ١، ٢ صم؛ ١، ٢ مل بالعرض التاريخي مع عمل الله لأجل رجوع الشعب إليه. أما سفرا ١، ٢ أي، فاهتما بالجانب الإيجابي لمساندة الراجعين من السبي بروح الرجاء.

أسفار ١، ٢ صم؛ ١، ٢ مل	سفرا ١، ٢ أي
ذكرت عائلة داود مباشرة (٢ صم ٢: ٣-٥؛ ٥: ١٣-١٦).	اهتما بالإنسان حتى نهاية السبي لتأكيد عمل الله مع الكل (١ أي ١-٩).
الحديث عن شاول وضعفاته وموته (١ صم ٩: ٣١).	أشارا إلى موته فقط (١ أي ١٠).
ذكرت سقوط داود في الزنا (٢ صم ١١).	لم يشيرا إليه.
ذكرت ثمار خطيته (٢ صم ١٥-١٨).	لم يشيرا إليها.
إشارة سريعة عن إعداد داود للهيكل (١ مل ٥: ٣).	وصف تفصيلي (١ أي ٢٢، ٢٨-٢٩).
المتاعب لاستيلاء سليمان العرش (١ مل ١-٢).	لم يشيرا إليها.
زواج سليمان بالأجنبيات (١ مل ١١: ١-٨).	لم يشيرا إليه.
قدمت عرضًا مختصرًا لملوك إسرائيل ويهوذا.	اهتما فقط بملوك يهوذا.
انتهت بيهوذا في السبي مع إسرائيل.	انتهيا بمنشور كورش (٢أي٣٦).
الحديث عن مقاومة إيليا وأليشع للملوك الأشرار.	لم يشيرا إلى ذلك.
تلميح لشئون الحكم والاهتمام بالجوانب الخاصة بالأسباط.	اهتما بالثقافة العبرية ككل.
ركَّزت على الملوك وأعمالهم.	ركَّزا على الهيكل والعبادة.
ذكرت حياة داود قبل تتويجه ملكًا (١ صم ١٦-٣١).	بدأ بحياة داود كملك (١ أي ١١).
صراع شاول مع داود وهروب الأخير (١ صم ١٨-٣٠).	لم يشيرا إلى ذلك.
حوار مع أبنير رئيس جيش شاول (٢ صم ٣: ٦-٢١).	لم يشيرا إلى ذلك.
تمرد أبشالوم (٢ صم ١٥-١٨).	لم يشيرا إلى ذلك.

المملكة المنقسمة

السنة	يهوذا	إسرائيل	الأحداث
٩٣١/ ٩١٣	رحبعام ١٧سنة		(١ مل ١١:٤٣) (٢ أي ٩:٣١) بسببه انشقت المملكة. اهتم بالاقتصاد. أقام الأوثان بعد أن عبد الرب ٣ سنوات.
٩٣١/ ٩١٠		يربعام ٢١ سنة	(١ مل ١٢:٢٠) بنى شكيم عاصمة لإسرائيل. أقام عجلين ذهبيين في دان وبيت إيل. سمح لأي شخص أن يكون كاهنًا. غيَّر نظام الأعياد.
٩١٣/ ٩١١	أبيام ٣ سنوات		(١ مل ١٤:٣١) بالرغم من شرِّه التجأ إلى الله في حربه ضد إسرائيل.
٩١١/ ٨٧٠	آسا ٤١ سنة		(١ مل ١٥:٩) (٢ أي ١٤:١) هدم المذابح الوثنية وخلع جدته لعبادتها العشتاروت.
٩١٠/ ٩٠٩		ناداب سنتان	(١ مل ١٥:٢٥).
٩٠٩/ ٨٨٦		بعشا ٢٤ سنة	(١ مل ١٥:١٦) قاد الشعب للوثنية.
٨٨٦/ ٨٨٥		إيلة سنتان	(١ مل ١٦:٨).
٨٨٥		زمري ٧ أيام	(١ مل ١٦:١٠). رئيس نصف مركبات الجيش. قتل أيلة وملك عوضًا عنه.
ح٨٨٥ /٨٨٠		تبني بن جينة	(١ مل ١٦).
٨٨٠/ ٨٧٤		عمري ١٢ سنة	(١ مل ١٦:٢٢) بنى السامرة العاصمة لإسرائيل. له قوة عسكرية. قاد الشعب للوثنية.
٨٧٤/ ٨٥٣		أخآب ٢٢ سنة	(١ مل ١٦:٢٨) تزوج إيزابل الشريرة. صارع معه إيليا النبي.

٨٧٢/ ٨٤٨	يهوشافاط ٢٥ سنة		(١ مل ٢٤:١٥) تزوج ابنه بنت أخآب. له جيش قوي. عبد الرب.
٨٥٣/ ٨٥٢		أخزيا سنتان	(١ مل ٤٠:٢٢) اقترح مشروعًا تجاريًا مع يهوذا.
٨٥٢/ ٨٤١		يهورام ١٢ سنة	يورام (٢ مل ١:٣) عانى من المجاعة والحرب مُعْظَم أيام حُكْمه.
٨٥٣/ ٨٤١	يهورام (يورام) ٨ سنوات		يورام شريك في الحكم مع يهوشافاط (١ مل ٥٠:٢٢) تزوج ابنة أخآب وأجبر الشعب على الوثنية. قتل إخونه.
٨٤١/	يهوآحاز سنة واحدة		(أو **أخزيا**) (٢ أي ١:٢٢) كان صديقًا ليهورام ملك إسرائيل.
٨٤١/ ٨٣٥	عثليا ٦ سنوات		(٢ مل ١:١١) قتلت أحفادها ونجا يوآش من يدها. نهبت الهيكل لتبني هيكلاً للبعل.
٨٤١/ ٨١٤		ياهو ٢٨ سنة	(٢ مل ٢:٩) مسؤول عن قتل يورام (يهوذا) وأخزيا (إسرائيل) وإيزابل. قتل كهنة البعل لكنه لم يتبع الله تمامًا.
٨٣٥/ ٧٩٦	يوآش ٤٠ سنة		يهوآش (٢ مل ٢:١١) رمّم الهيكل وهدم مذابح البعل. بعد موت يهوياداع الكاهن ابتعد عن الله وأمر بقتل ابن يهوياداع.
٨١٤/ ٧٩٨		يهوآحاز ١٧ سنة	(٢ مل ٣٥:١٠) شجّع العبادة الوثنية.
٧٩٨/ ٧٨٢		يوآش ١٦ سنة	يهوآش (٢ مل ٩:١٣) احترم أليشع كنبي، لكنه سلك في الشر.
٧٩٦/ ٧٦٧	أمصيا ٢٩ سنة		(٢ مل ٢١:١٢) لم يقضِ على الوثنية تمامًا.
٧٨٢/ ٧٥٣		يربعام II ٣١ سنة	(٢ مل ١٦:١٤) صار مضرب الأمثال في الشر. كان قويًا سياسيًا واقتصاديًا.
٧٩١/ ٧٤٠	عزيا ٥٢ سنة		(عزريا) (٢ مل ١:١٥) مُحِب للتعمير وقام بتنظيم الجيش. تعدّى على الشريعة بممارسة الكهنوت فضُرب بالبرص.

٧٥٣/ ٧٥٢		زكريا ٦ شهور	(٢ مل ١٤:٢٩) شجع الوثنية.
٧٥٢		شلوم شهر	(٢ مل ١:١٥)
٧٥٢/ ٧٤٢		منحيم ١٠ سنوات	(٢ مل ١٤:١٥) ضايق الشعب بالضرائب.
٧٥٠/ ٧٣٦	بوثام		(٢ مل ٧:١٥) اهتم بالهيكل لكنه سمح بالوثنية.
٧٤٢/ ٧٤٠		فقحيا سنتان	(٢ مل ٢٢:١٥).
٧٤٠/ ٧٣٢		فقح ٨ سنوات	(٢ مل١٥:٢٥) سُبى كثيرون إلى أشور.
٧٣٦/ ٧١٦	آحاز ١٦ سنة		(٢ مل ١:١٦) أغلق أبواب الهيكل. قدَّم ابنه ذبيحة للأوثان.
٧٣٢/ ٧٢٢		هوشع ٩ سنوات	(٢ مل ١:١٧) التزم بالجرية لأشور. غزته أشور وسبت كثيرين، وحلت محلهم غرباء.
٧٢٢			**سقوط السامرة والسبي الأشوري بواسطة شلمناصر.**
٧١٦/ ٦٨٧	حزقيا ٢٩ سنة		(٢ مل ٢٠:١٦) طهر الهيكل وأقام الخدمة. حطم الأوثان، حتى الحية النحاسية. مدَّ الله عمره ١٥ سنة، لكنه كشف ثروة الهيكل للبابليين.
٦٩٧/ ٦٤٢	منسى ٥٥ سنة		(٢ مل ١:٢١) أعاد الوثنية، ومارس السحر، وقدَّم أحد أبنائه ذبيحة، أقام صنمًا في الهيكل، وقتل الكثيرين من شعبه، تاب أثناء سبيه في أشور.
٦٤٢/ ٦٤٠	آمون سنتان		(٢ مل ١٨:٢١).

٦٤٠/ ٦٠٨	يوشيا ٣١ سنة		(٢ مل ٢١:٢٤) قام بإصلاح الهيكل وجد سفر الشريعة، واحتفل بالفصح. دمَّر المعابد الوثنية.
٦٠٨	يهوآحاز ٣ شهور		شالوم (٢ مل ٢٣:٣١) سُجن واقتيد إلى مصر حيث مات هناك.
٦٠٨/ ٥٩٧	الياقيم (يهوياقيم) ١١ سنة		(٢ مل ٢٣:٣٤) أحرق درجًا من كلمة الله. لعبت به مصر ثم بابل. حملت كنوز الهيكل إلى بابل. رأى السبي الأول إلى بابل (أخذ منه دانيال).
٥٩٧	يهوياكين ٣ شهور		(٢ مل ٢٤:٦) السبي الثاني إلى بابل، وفي السجن كوّن صداقة مع أويل مردوخ بن نبوخذناصر وخلفه.
٥٩٧/ ٥٨٦	متنيا (صدقيا) ١١ سنة		(٢ مل ٢٤:١٧) شاهد حرق الهيكل. اقتيد إلى السبي الأخير إلى بابل، بعد قتل ابنيه أمام عينيه، وفقأ عينيه، وربطه بسلاسل نحاسية إلى السجن في بابل.
٥٨٦			**سقوط أورشليم وسبي يهوذا إلى بابل.**

راجع:

دار الثقافة: قاموس الكتاب المقدس، ١٨٩٤، ١٩٩٤.

Unger's Bible Handbook, Moody Press, 1967
NIV Bible Study
NKJ Bible Study

الباب الأول

إيليا الناري

٢ الملوك ١

سلطان فائق

باب الرجاء المفتوح وسط التأديب

اهتم سفر الملوك الأول بالأكثر بالمملكة الشمالية خاصة الكشف عن القادة الوثنيين وكيف لم تستمر أُسرهم في الحكم بسبب وثنيتهم وفسادهم. واهتم سفر الملوك الثاني بتوضيح أن إصرار قادة مملكة الشمال على الوثنية، هدم المملكة كلها حيث أرسل الله أشور لغزوها، وسقطت المملكة تحت السبي.

لم تتعظ مملكة يهوذا (الجنوب)، بل سلكت ذات طريق أختها إسرائيل (الشمال). وبسبب خيانتها لله وعدم أمانتها، خاصة بالخطايا التي سقط فيها الملك منسى، سمح الله لبابل أن تُحطِّم الهيكل، وتقود شعب يهوذا إلى السبي البابلي.

جاءت الثلاثة آيات الأخيرة من السفر تفتح باب الرجاء لهم حيث أُخرج الملك يهوياكين من السجن: وتمتع بمعاملة رقيقة من ملك بابل الجديد، أويل مرودخ. وكأن الله يدعو الشعب كله بروح الرجاء أن يرجعوا إليه، فيردهم إلى وطنهم ويُعيد بناء هيكله.

كما بدأ سفر الملوك الأول بارتقاء سليمان للعرش عوضًا أبيه داود، وما ناله من مجد وكرامةٍ وغنى وسلطان، هكذا يبدأ سفر الملوك الثاني بإيليا النبي صاحب السلطان العجيب.

طلب إيليا من السماء أن تنزل نارًا لتحرق قائدي الخمسين المتعجرفين وجنودهما فاستجابت السماء فورا لطلبته. وينتهي السفر بفقدان المملكتين الشمالية والجنوبية لا لسلطانهما فحسب، بل ولكل كيانهما. هكذا بينما يتمتع المؤمن الحقيقي بسلطان سماوي، يفقد الإنسان المُصمِّم على مقاومة الحق حتى السلطان الطبيعي الزمني.

الأصحاح الأول

ما هي هيئة الرجل؟

إيليا الناري

خلال دراستي لسفري الملوك الأول والثاني انسحب قلبي نحو شخصية إيليا النبي، رجل الله الناري. الذي عاش في خدمته بقلبٍ ناري، حتى في بعض معجزاته نزلت نار من السماء سواء لإبادة قائديّ الخمسين وجنودهما (٢ مل ١)، أو للإعلان عن قبول الله لذبيحته (١ مل ١٨: ٣٨). استحق صاحب القلب الناري بالنعمة الإلهية أن يبعث له الله مركبة نارية بخيل نارية (٢ مل ٢: ١١) لتحمله إلى السماء، فيشارك السمائيين الناريين، ويتمتع بحضرة الله النار الآكلة.

يروي لنا هذا الأصحاح قصة مُرعِبة تكشف عن خطورة خطية الارتداد عن الله، والإصرار على عدم الرجوع إليه. فقد سقط أخزيا ملك إسرائيل الشرير من الكوة، وهو في أمان في قصره الملكي. هل كان في حالة سُكر وغير وعي، وكيف حدث هذا؟ لم يذكر الكاتب. لكنه سقط وترضض، وكانت جراحاته خطيرة. عوض التوبة والرجوع إلى الله، وعالبًا بناء على مشورة أمه الشريرة إيزابل، أرسل إلى بعل زبوب إله عقرون يسأله إن كان يُشفى أم لا.

التقى الرسل بإيليا النبي ليُقدّم لهم رسالة من الله الغيور بأنه لن يُشفَى، لأنه التجأ إلى إله وثني عاجز عن تقديم الحياة أو شفاء المرضى. عاد الرسل يخبرون الملك بما حدث، فعرف أنه إيليا. أرسل قائد خمسين ومعه جنوده للقبض عليه والانتقام منه، وجاء القائد متشامخا بسلطانه يأمره أن ينزل معه إلى الملك، فطلب النبي نارا من السماء نزلت وأحرقته هو وجنوده. وتكرر الأمر مع القائد الثاني، أما القائد الثالث فجاء إليه وبروح التواضع تحدث معه. أرشده الرب أن ينزل ويلتقي مع الملك. وبالفعل التقى به، وتحدث معه بكل صراحة.

كان أخآب والد أخزيا شريرا، لكنه من الجانب السياسي والاقتصادي كان قويًا. أخضع مملكة موآب تحت سلطانه، وكانت تقدم له الجزية. وإذ مات وخلفه ابنه أخآز تمرد موآب على ابنه وطلب الاستقلال.

يُقدّم لنا هذا الأصحاح مقابلة بين الإنسان الشرير المُتمرّد على الله وبين إنسان الله.

عندما بلغت الملك رسالة إيليا النبي، كان سؤاله: **ما هي هيئة الرجل الذي صعد للقائكم، وكلمكم بهذا الكلام؟ [٧]** لم تشغله رسالة الله إليه ما هي، ولا مراجعة نفسه، ولا حقيقة شخصية من أرسل له الرسالة، إنما توقف عند المظهر الخارجي!

أما إيليا كرجل الله، فكان ما يشغله أن يُتمم مشيئة الله مهما كلّفه الأمر.

بين إيليا النبي ويوحنا المعمدان

يقدم لنا **القديس أمبروسيوس** مقارنة بين شخصيتي إيليا النبي ويوحنا المعمدان، فيقول:

[عاش إيليا في البرية، وكذا يوحنا. كانت الغربان تعول الأول، أما الثاني ففي البرية داس كل إغراء للملاهي وأحب الفقر وأبغض الترف.

الواحد لم يسعَ لكسب رضاء أخآب الملك، والثاني ازدرى برضاء هيرودس الملك.

رداء الأول شق مياه الأردن، والثاني جعل هذه المياه مغسلاً يهب خلاصًا.

ظهر الأول مع الرب في المجد (في التجلي)، والثاني عاش مع الرب على الأرض.

الأول يسبق مجيء الرب الثاني، والثاني سبق مجيء الرب الأول.

الأول أسقط الأمطار على أرضٍ جفتْ لمدة ثلاث سنوات، والثاني غسل تراب أجسادنا في مياه الإيمان خلال ثلاث سنوات.

تسألونني: ما هي هذه السنوات الثلاثة؟ فأُجيبكم بما قيل: "هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمرًا في هذه التينة ولم أجد" (لو ١٣: ٧)...

السنة الأولى هي عهد الآباء حيث بلغ الحصاد مدى لم يتحقق بعد ذلك.

والسنة الثانية هي عهد موسى والأنبياء.

ثم السنة الثالثة لمجيء إلهنا ومخلصنا "ليكرز بسنة الرب المقبولة" (لو ٤: ١٩)[1].]

١. قيادة إلهية	١-٨.
٢. تمجيد الله	٩-١٤.
٣. ثقة في الله	١٥.
٤. تنفيذ مشيئة الله	١٦-١٨.

١. قيادة إلهية

أخطر عدو للإنسان هو أن ينسحب قلبه وفكره عن أعماقه الداخلية والحياة الحقيقية إلى المظاهر الخارجية. سقوط أخزيا من الكوة التي في عليته، وما سببه له ذلك من جراحات خطيرة كان كفيلاً أن يجعله يهتم بأبديته، وينتفع من أخطاء عائلته، ويطلب مشورة القدير وعونه، عوض الالتجاء إلى الآلهة الباطلة. بعث إرسالية إلى بعل زبوب يسأله. أما إيليا رجل الله، فقد تدرّب أن يكون قائده ومرشده هو الرب نفسه، لذلك أرسل له الرب ملاكًا يطلب منه أن يصعد ليلتقي برسل ملك إسرائيل، ويبعث رسالة إلهية له يوبخه على التجائه إلى بعل زبوب.

---

[1] In luc 1:7

وَعَصَى مُوآبُ عَلَى إِسْرَائِيلَ بَعْدَ وَفَاةِ أَخآب. [١]

موآب التي يومًا ما أخضعت إسرائيل (قض ٣: ١٢-١٤) فتحها داود (٢ صم ٨: ٢). وربما استقلت عند موت سليمان. ثم أخضعها عمري ملك إسرائيل، كما علمنا من الحجر الموآبي، وهو نصب تذكاري اُكتشف عام ١٨٦٩[1]. وكان الموآبيون يؤدون الجزية لإسرائيل (٢ مل ٣:٤). وربما بعد تشتت الجيش بعد أن مات أخآب انتهزت موآب الفرصة وعصت إسرائيل (٢ صم ٨: ٢؛ ٢ مل ٣: ٤).

تمرُّد موآب غالبًا ما يُقصد به تمرُّد ميشا *Mesha* ملك موآب المعروف.

وَسَقَطَ أَخزيا من الكُوَّة التي في عُلِّيَّتِه التي فِي السَّامِرَة فَمَرِضَ،
وأَرْسَلَ رُسُلاً وقَالَ لهُمْ:
اذْهبُوا اسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلَهَ عَقْرُونَ إِنْ كُنْتُ أَبْرَأُ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ. [٢]

بدأ الحديث عن أخزيا في ١ مل ٢٢: ٥١ واستمر الحديث عنه هنا كتكملة للسفر السابق.

كانت البيوت في إسرائيل غالبًا ما تتكون من طابقٍ واحدٍ، أما القصور والبيوت الفخمة فتتكون من طابقين. لعله سقط من كوة على السطح أو خلال درابزين (سور) يحيط بسقف البيت[2].

جاء النص "نافذة شبكية". إلى عصر قريب، كان كثير من النوافذ في مصر مزودة بشبكية خشبية، يدعوها البعض أرابسكو، وإن كانت منقولة عن الفن القبطي.

بقوله "**مرض**": يعني لازم الفراش بسبب جراحاته.

"**بعل زبوب**": اسمه الأصلي بعل زبول، أي رب الحياة، وكان أكبر جميع آلهة الفلسطينيين. كان هيكله في مدينة عقرون، وكان يُظَن أن له قدرة على التنبؤ كقوةٍ سريةٍ خارقة. ولما كان الذباب من أخطر ضربات بني البشر، وهو يتولد في الأقذار، وينقل جراثيم الأمراض، يظن البعض أن هذا الإله هو أحد أصنام الفلسطينيين المستخدم لغرض طبي، كما يمنع عنهم الذباب، ويحميهم من الموت والمرض. ربما كان في هذه العبادة إشارة إلى خروج الحياة من الموت، والشفاء من المرض.

وإذ كان اليهود مغرمين بالتلاعب بالكلمات، فقد غيَّروا اسم هذا الإله عمدًا[3]، دعوه بعل زبوب، أي رب الذباب، في نوع من السخرية[4]. تعني حرفيًا "إله الذباب"، لكن لا يعرف إن كان هذا الاسم أُعطي للتكريم أو للاستخفاف بالبعل الفلسطيني، وهو بهذا يعني إله المزبلة (راجع مت

---

[1] *Barnes' Notes on 2 Kings 1: 1.*
[2] *Adam Clark's Commentary.*
[3] *CF. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, article 324.*
[4] *W. Whitcomb: Solomon to the Exile, P. 64.*

١٠: ٢٥؛ ١٢: ٢٤؛ مر ٣: ٢٢؛ لو ١١: ١٥، ١٨، ١٩). كان البعض يقرأون بعل زبوب "بعلزبول"، أي سيد الأقدار، ويحسبه اليهود رئيس الشياطين (مت ١٢: ٢٤).

هنا ليس الإله الكنعاني "البعل" الذي عبده أخآب وإيزابل (١ مل ١٦:٢٩-٣٣)، بل إله آخر مشهور. والعجيب أن اسم الملك أخزيا ويعني: "يهوه بساند"، يلجأ إلى بعل زبوب لكي يشفيه.

توجد في *Taylor's Calmet* صورة مُلفِتة للنظر لقطعة أثرية تُمثِّل رأس جوبتر وله مظهر ذبابة ضخمة.

يظن *Scaliger* أن الاسم الأصلي له هو "بعل رباهيم" *Baal-zebahim*، أي سيد الذبائح، وبنوع من السخرية دعي "بعل زبوب" أي "رب الذباب"، أي يعجز عن أن بطرد الذباب من الذبائح المُقَدّمة له.

عقرون: إحدى مدن الفلسطينيين الخمس، وموقعها في شمال أرض الفلسطينيين.

السؤال من بعل زبوب دليل على عدم إيمانه بالرب واحتقاره له.

إرساليه الملك أخزيا لسؤال بعل زبوب إله عقرون عن شفائه تُمثِّل الانطلاق للشرْبِ من مياه مملوءة بسم الوثنية القاتل، عوض التمتّع بمياه الله الحية.

❖ يبدو أن هذه المشورة قُدِّمتْ له من إيزابل أمه، هذه التي جعلت ابنيها أخزيا ويورام في كل حياتها عبدين لها، مثل أخآب زوجها الذي كان لها عبدًا[١].

القديس مار أفرام السرياني

❖ بالرغم من وجود دور علوي في بيت الرب، إلا أن فشحور لم يلقِ إرميا إلا في الجب السفلي. أما نحن فإننا نريد أن نأخذ إرميا الآن، ونُصعده إلى الدور العلوي من بيت الرب؛ هذا الدور العلوي أقصد به المعنى الروحي المرتفع[٢]، وذلك كما سأوضح من خلال نصوص عديدة من الكتاب المقدس، تؤكد أن **الأبرار يستقبلون الأنبياء في الأدوار العليا.**

يذكر سفر الملوك أن أرملة صرفة صيدا التي جعلها الرب لإعالة إيليا استضافته عندها في العُليّة الموجودة في منزلها (١ مل ١٧: ١٩).

كذلك المرأة الشونمية التي كانت تستضيف أليشع النبي كلما مرَّ بها، عملت له عُليَّة صغيرة لكي يستريح فيها كلما يجيء (٢ مل ٤: ٨-١٠). وعلى العكس من ذلك، فإن **أخزيا الخاطئ سقط من الطابق العلوي** (٢ مل ١: ٢).

يوصيك يسوع المسيح أنت أيضًا ألا تنزل من السطح، فيقول: "والذي على السطح فلا

---

[1] *On the Second Book of Kings, 1:1*

[٢] أي أن الذين لا يأخذون من نبوات إرميا سوى الجانب الحرفي، يفعلون مثل فشحور الذي ألقى النبي في الجب السفلي.

ينزل ليأخذ من بيته شيئا" (راجع مت ٢٤: ١٥-١٧).

إذا الوجود في الأدوار المرتفعة وعلى الأسطح هو أفضل شيء.

جاء عن الرسل الأطهار في سفر الأعمال، أنهم كانوا موجودين في العُلّية حين كانوا مجتمعين للصلاة والتأمل في كلمة الرب، وحين حلّ الروح القدس عليهم في شكل ألسنة من نار.

كذلك الحال بالنسبة للقديس بطرس عندما أراد أن يصلي، "صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة" (أع ١٠: ٩)، لو لم يصعد على السطح، لما استطاع أن يرى "السماء مفتوحة وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض".

نفس الشيء يُقال عن المرأة التي كانت ممتلئة أعمالا صالحة والتي كان اسمها طابيثا، فهي لم تكن في الطابق الأرضي، بل كانت في عُلّيَة (أع ٩: ٣٧)، حيث صعد إليها بطرس ليُقيمها من الأموات.

كذلك السيد المسيح حينما كان يستعد ليأكل الفصح مع تلاميذه، وعندما سأله تلاميذه: "أين تريد أن نُعدّ لك لنأكل الفصح؟"، أجاب: "إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء. اتبعاه إلى البيت حيث يدخل، وقولا لرب البيت يقول لك المعلم أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي، فذاك يريكما علية كبيرة مفروشة، هناك أعدّا" (لو ٢٢: ٩-١٢).

إذا من يريد أن يحتفل بالفصح مثل يسوع المسيح لا يختار أبدا الطابق الأرضي. إنما كل من يحتفل بالعيد مع السيد المسيح لابد أن يكون مرتفعًا وجالسًا في العلية الكبيرة، في العلية المفروشة، في العلية المُزيّنة والمُعَدَّة. إذا صعدت معه لتحتفل بالفصح، يُقدّم لك كأس العهد الجديد، وخبز النعمة؛ يهديك جسده ودمه.

لهذا فإننا ننصحكم بالصعود إلى المرتفعات: ارفعوا عيونكم إلى الجبال.

العلامة أوريجينوس

فقالَ مَلاكُ الرَّبِّ لإِيلِيَّا التِّشْبِيِّ:
قُم، اصْعَدْ لِلِقَاءِ رُسُلِ مَلِكِ السَّامِرةِ،
وَقُلْ لَهُمْ: هَلْ لأَنَّهُ لا يُوجَدُ في إِسْرَائِيلَ إِلَهٌ،
تَذْهَبُونَ لِتسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلَهَ عَقْرُونَ؟ [٣]

كان آخر ذكر لإيليا النبي حديثه مع أخآب في كرم نابوت قبل هذه الحادثة بحوالي أربع سنوات (١ مل ٢١: ١٧-٢٤).

اتَّبع أخزيا والديه في عبادتهما للبعل. ربما لم يرسل إلى المعبد الذي في السامرة، خشية أن ينتشر خبر مرضه الخطير.

يعلمنا إيليا النبي أن الله يستطيع أن يدخل في حياة شعبه في الوقت الذي يريده[1]. في كل عصر يرسل الله قادة، تتناسب مواهبهم مع الظروف المحيطة، ليكون له شهود منيرون وسط الظلمة. إنه دائم العمل لحساب ملكوته، حتى وإن ظن الإنسان كأن الله قد حوّل وجهه عن البشرية بسبب فسادها! يبقى الله أمينًا بالرغم من عدم أمانتنا. وكما يقول الرسول: "إن كنا غير أمناء، فهو يبقى أمينا، لا يقدر أن ينكر نفسه" (٢ تي ٢: ١٣).

سبق أن قلنا إن أحداث حياة إيليا النبي غالبًا ما تحمل **عنصر المفاجأة**، كما حدث هنا. ممَّا دفع بعض معلِّمي اليهود إلى الظنّ أن إيليًا كان ملاكًا، ودُعي في **الحجادة *Haggadah* "طائر السماء"**[2]، فهو كالطائر يطير في العالم لتحقيق رسائل سماويَّة[3]. أرسله الله في عصر أخآب أشر ملوك إسرائيل وابنه اخزيا.

قال **القديس مار يعقوب السروجي** عنه: **"كان بهيًا وجميلاً وبارًا ولا عيب فيه، فقد ارتفع إلى موضع لا تدخل فيه العيوب"**، وذلك بمقارنته مع إخوته في البشرية، وليس كمالاً مطلقًا. لقد حمل رمز السيد المسيح في أمورٍ كثيرةٍ. كما يصوره هكذا:

❖ إيليا الساهر المستعد والمملوء جمالاً، صبر كثيرًا، حتى يخلط نفسه مع الله.

دمج كل حياته في الله، وسكن في البرية بدون الأهواء العالمية.

اقتني إرادة صالحة واحدة مع الله، لئلا يكون له ولله إرادتان (متناقضتان).

في كل الأمور التي طالبته أن يحارب ضد الشعب، كان يقوم ليُنَفِّذَ إرادة الرب.

لم يكن يشتاق أن يفعل شيئًا بنفسه، لأنه كان مهتمًا أن يُكَمِّلَ كل أعمال الرب.

لم يعش لنفسه، ولا تحرَّك ليُنَفِّذَ أعماله لأجله. كل حركات نفسه كانت في الله[4].

❖ أتى إيليا وصعد في الطريق أمام المرسلين الذين أرسلهم ابن أخآب إلى بعل زبوب.

قال لهم: اذهبوا وقولوا لسيدكم الملك، لماذا أرسل إلى عقرون مثل ناقصٍ؟

ألا يوجد رب في الشعب، لترسل وتطلب من إله الفلسطينيين؟

من لا يعرف بأنه يوجد إله لبني يعقوب؟ ومن لم يسمع بأن الرب أعظم من الآلهة؟...

في مصر خبره، وجبروته في البحر، وفي حوريب بأسه، وفي شيلوه عزته.

---

[1] *The Orthodox Study Bible*

[2] *Ps 8 9 Hebr*

[3] *Mid Teh ad loc., See also Ber 4B Targ on Eccles 10 20*

[4] الميمر ٦٣ على محبة الله للبشر وعلى محبة الأبرار (راجع نص الراهب بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

سكينته (مسكنه) في سيناء، ومخافته في العالم كله، في الأردن عجبه، وفي أريحا اسمه ظافر.

في الشعوب سيفه، وقوسه عالٍ في كل المخاطر، رعبه في فلسطين، وفي الجزر قوته العظمى.

من لا يعرف بأنه يوجد إله لبني يعقوب؟ ولماذا الآن يُسخَر منه كأنه غير موجود؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

فَلِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
إِنَّ السَّرِيرَ الَّذِي صَعِدْتَ عَلَيْهِ لاَ تَنْزِلُ عَنْهُ،
بَلْ مَوْتًا تَمُوتُ.
فَانْطَلَقَ إِيلِيَّا. [٤]

سرير أو أريكة *Divan*: كان السرير الملوكي كما هو حاليًا في بيوت الشرقيين الأثرياء، عبارة عن أريكة على شكل منبر عرضها حوالي ٣ أو ٤ أقدام، وتمتد أحيانًا من أول الحجرة إلى نهايتها، وأحيانًا تأخذ ثلاثة جوانب من الحجرة. تُستخدم في النهار كأريكة للجلوس، وكسرير للنوم بالليل. ارتفاعها من الأرض حوالي ٦ بوصات إلى قدم.

رأى الأستاذ *Hackett* أريكة مرتفعة بحيث تحتاج أن يصعد إليها الشخص بدرجتين أو ثلاث درجات. في قصر الملك يحتمل أن تكون أكثر ارتفاعًا عن الأريكة العادية، لذلك قيل: "السرير الذي **صعدت** عليه". كذلك قيل عن داود إنه صعد إلى سريره (مز ١٣٢: ٣)[2].

طلب الملك رسالة إلهية من إله وثني غريب، لكن جاءته الإجابة من عند الله الذي في يده الحياة والموت. ما نطق به إيليا النبي عن الملك: **"موتًا تموت"**، لم يصدر عنه شخصيًا، إنما عن الله الذي له السلطان على الحياة، في يده الموت والحياة، الذي يقتل ويحيي. هذا الحكم هو ثمرة طبيعية لمن يلجأ للإله الوثني، ويظن أنه قادر أن يشفيه.

رجع إيليا إلى مكان إقامته، جبل الكرمل (٢ مل ٢: ٢٥؛ ١ مل ١٧: ٤٢).

يُقدِّم لنا **القديس مار يعقوب السروجي** مقارنة مختصرة بين الله الحيّ الذي تجاهله الملك وبعل زبوب إله عقرون الذي التجأ إليه.

١. الإله الحيّ هو واهب الحياة لمن يسأله، فكيف يُطلَب من بعل زبوب الشفاء؟
٢. الإله الحي صاحب سلطان، قادر أن يهب الحياة بقوته.

---

[1] ميمر ١١: عن إيليا النبي وأحزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

[2] *CF James M Freeman Manners and Customs of the Bible, 1972 article 325*

٣. **الإله الحيّ يسمع الصلاة ويستجيب، أما بعل زبوب، فعاجز عن الاستماع للصلاة.**

❖ الحياة ليست في يديّ بعل زبوب لمن يطلبها منه.

الرب هو الذي يحيي، وبما أنك لم تطلب منه، فإنك لن تحيا.

الرب هو صاحب سلطان على حياة البشر، ومنه كان يجب أن تطلب الحياة، فيهبها لك.

شيطان عفرون لا يستجيب لك، فلا يُسأل، الرب الذي يعرف أجابك: موتًا تموت[١].

القديس مار يعقوب السروجي

ورجعَ الرُسُلُ إِلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُمْ: لماذَا رَجَعْتُمْ؟ [٥]

رجع الرسل إلى الملك، وهم لا يعرفون من هو هذا الشخص الغريب، الذي يتكلم بنغمة صاحب سلطان، والواثق مما نطق به على الملك. لم يستطيعوا أن يهاجموه أو ينتقدوه. هاجم ملكهم، ولم يجسروا حتى أن يسألوا عن صفته واسمه. كان لحديث إيليا سلطان، فلم يجسر رسل الملك أن يُكمِّلوا الطريق إلى إله عقرون، بل رجعوا ليُقدِّموا إجابة الله على لسان إيليا النبي.

تعجب الملك من رجوعهم قبل الوقت، ربما لأنهم قابلوا إيليا بالقرب من السامرة وهم نازلون من المدينة التي كانت مبنية على تل. غالبًا ما عرفه أخزيا أنه إيليا التشبي. سمع بلا شك عن أعماله العظيمة، وما حدث بينه وبين أبيه أخآب وأمه إيزابل، وربما سبق أن رآه.

فقالُوا لهُ: صعد رجُلٌ للقائنا،

وقالَ لنا: اذْهبُوا راجِعِين إِلى الْملك الّذِي أَرْسَلَكُمْ،

وَقُولُوا لهُ: هكذا قَالَ الرّبُّ: هلْ لأَنّهُ لا يُوجَدُ فِي إِسْرائيل إِلَهٌ،

أَرْسَلْتَ لِتسْأَلَ بعْلَ زَبُوب إِله عقْرُون؟

لذلِك السّرِيرُ الّذِي صَعدْتَ علَيْه لا تَنْزِلُ عنْهُ، بلْ موْتًا تَمُوتُ. [٦]

سمع أخزيا عن والديه اللذين كانا يرتعبان منه، لأنهما حادا عن طريق الحق. الآن إذ لم ينتفع بخبرة والديه، فكما حلّ التأديب عليهما، جاءه الصوت النبوي: "لن تنزل من سريرك".

إذ انحرف الشعب إلى العبادة الوثنية مع القادة وراء أخآب وإيزابل ثم أولادهما مثل أخزيا، شعر إيليا النبي بالمسئولية في حث الشعب بالعودة إلى عبادة الله الحيّ. لقد وقف أمام أخآب، تارة جعله يعاني من الجفاف لمدة ثلاث سنوات ونصف، وأخرى سأل أن تلحس الكلاب دمه، وها هو في حزم يعلن لأخزيا أنه لن ينزل من سرير مرضه، بل موتًا يموت. لم يكن ينتقم

[١] راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، خطاب حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٤٤.

لنفسه، ولكنه كان كحارسٍ يخشى على هلاك الشعب كله بسبب انحراف الملوك. لقد أراد أن يغلق باب الوثنية، لكي يرجع الشعب إلى عبادة الله الحيّ.

❖ سمع مبعوثو ابن أخآب من إيليا، وعادوا إليه حاملين أخبارًا سيئة.

دخلوا وقالوا له كل ما سمعوه من إيليا، وردَّدوا أمامه بأنه لن ينزل أيضًا عن سريره.

نقلوا إلى الوثني المريض بُشرَى الموت، وجرحوا قلبه بالكلمة التي سمعوها من إيليا.

جُعل النبي مثل حارسٍ لبني يعقوب، وكان توبيخه شديدًا للوثنيين منهم.

قَتَلَ أخآب بحُكْمٍ أصدره عليه، وأتى ليلاحق عمليًا أولاده.

بقصاصاته الروحية كان النبي مجتهدًا ليقتلع جذور تلك الوثنية من قلب الشعب.

قال أمام أخآب: تلحس الكلاب دمك، وأرسل إلى ابنه: سوف لن تنزل من سريرك.

كان محاربًا، فحارب ضد الملوك الوثنيين، ووبخهم في حضورهم دون خوفٍ.

عندما كانوا يحيدون عن الله إلى الآلهة، كان يلتقي بهم بقوةٍ في كل طرقهم.

كان يعطي البعض للكلاب والبعض للموت، ليحرس شعبه بتأديبات الرب الرهيبة.

كان يتحين الفرص ليغلق طريق الوثنية، لئلا يسير فيها بنو إبراهيم المختونون[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ لَهُمْ: مَا هِيَ هَيْئَةُ الرَّجُلِ الَّذِي صَعِدَ لِلِقَائِكُمْ،
وَكَلَّمَكُمْ بِهَذَا الْكَلاَمِ؟ [٧]

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ رَجُلٌ أَشْعَرُ مُتَنَطِّقٌ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ.
فَقَالَ: هُوَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ. [٨]

عرف الملك إيليا من وصف رسله له أنه رجل أشعر، وأنه متمنطق بمنطقة من جلدً. يُمكن إدراك مظهر إيليا الخارجي وروحه في القديس يوحنا المعمدان "إيليا الثاني" (مت ٣: ٤).

رجل أشعر إشارة إلى شعره المرتخي، غير أن البعض يُرَجِّح بأن هذا التعبير يشير إلى ثوبه الجلدي، الذي كان لباس الأنبياء الاعتيادي (زك ١٣: ٤).

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن مظهر إيليا يحمل نوعًا من الحياة البدائية، وأنه في تجلي السيد المسيح ظهر موسى وإيليا معه، وكما يقول:

[هذان لم يكونا رجليْن بليغيْن. كان موسى ثقيل اللسان، جافًا في حديثه. وإيليا كان ريفيًا، له المظهر البدائي.

[1] راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٤٤-١٤٥.

كان كلاهما يحفظان حياة الفقر الاختياري بدقة.

لم يعمل موسى من أجل مكسبٍ عالمي، ولم يكن لدى إيليا أكثر من ثوبه الجلدي[١].]

ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الملك بإمكانياته كان محتاجًا إلى إيليا الذي يبدو فقيرًا.

❖ كان الملك في حاجة إلى الإنسان الفقير.

ذاك الذي لديه ذهب كثير، مرتهن بكلمات ذاك الذي ليس لديه سوى الثوب الجلدي.

هكذا كان الثوب الجلدي أكثر سموًا من الأرجوان، ومغارة البار أعظم من قاعات الملوك،

لذلك عندما صعد إلى السماء لم يترك لتلميذه شيئًا سوى الرداءً الجلدي.

يقول: "بمعونة هذا (الثوب) جاهدت ضد الشيطان، فإنك إذ تأخذه تتسلح أنت ضده!"

فالمثابرة سلاح قوي، مسكن للخلود لا يُقاوَم، حصن لا يتزعزع!

تسلَّم أليشع الثوب الجلدي كأعظم ميراث، بالحق كان هكذا ثمينًا أكثر من كل الذهب.

ترك إيليا ثوبًا جلديًا لتلميذه، وابن الله الصاعد ترك لنا جسده.

إيليا بالحق خلع ثوبه قبل صعوده، والمسيح ترك جسده خلفه من أجلنا، لكنه عاد فصعد[٢].

❖ كان إيليا يرتدى (ثيابًا خشنة)، وهكذا كان كل واحدٍ من القديسين، لأنهم في حالة عمل مستمر، فهم مشغولون برحلاتهم أو أمورهم الهامة، يطأون تحت أقدامهم كل زينة، ويمارسون التقشف. أعلن المسيح أمرًا كهذا كأعظم مديح للفضيلة، إذ يقول: "ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنسانًا لابسًا ثيابًا ناعمة؟! هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك" (مت ١١: ٨)[٣].

القديس يوحنا الذهبي الفم

كان إرميا النبي مثل إيليا **متمنطقًا بمنطقة من الجلد على حقويه**، لا يعرف النعومة حتى في ملابسه، وكأنه يشارك شعبه المُحتفِل بعيد الفصح أو كما يوصى السيد المسيح تلاميذه: "لتكن أحقاؤكم ممنطقة" (لو ١٢: ٣٥). يرى **القديس جيروم** في هذه الوصية دعوة ألا يُسمح للجسد أن يشتهي ضد الروح (غل ٥: ١٧)[٤].

يرى **القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم** أن التمنطق بمنطقة يشير إلى أن الإنسان دائم الحركة والعمل، سواء في الأسفارِ أو القيام بمهامٍ ضرورية[٥].

---

[1] *Homilies on Matthew, 56 3.*
[2] *St John Chrysostom. Concerning the Statues, Hom 2:25-26*
[3] *St John Chrysostom Homilies on St Matthew, Hom 10 4.*
[4] *Hom 91 on the Exodus.*
[5] *Homilies on Matt Homily 10 4*

❖ منذ زمن بعيد يُقدّم لنا القديسون أمثلة عن ضرورة المنطقة.

كان يوحنا يربط حقويه بمنطقة من جلد (مت ٣: ٤). وهكذا فعل قبله إيليا، إذ كُتب كما لو كان هذا النوع من الملبس لائقًا على وجه الخصوص للرجل: "رجل أشعر، متمنطق بمنطقة من جلد" (٢ مل ١: ٨).

واضح أيضًا من كلمات الملاك لبطرس أنه كان يرتدي منطقة: "تمنطق والبس نعليك" (أع ١٢: ٨). ويتضح من نبوة أغابوس أن الطوباوي بولس أيضًا استخدم منطقة: "الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطونه في أورشليم" (راجع أع ٢١: ١١).

وأيضًا أيوب أمره الرب أن يمنطق نفسه (أي ٣٨: ٣)، إذ كان ذلك نوعًا من النشاط والاستعداد للعمل.

كان من عادة تلاميذ الرب أن يستخدموا المناطق كما يتضح من أنهم مُنعوا من حمل مال في مناطقهم (مت ١٠: ٩)[1].

القديس باسيليوس الكبير

❖ كان يوحنا يرتدي منطقة من جلد حول حقويه، ولم يكن يرتدي شيئًا ما ناعمًا أو مدللاً، بل كان كل جزء منهِ قاسيًا ورجوليًا. كان إنسانًا خشنًا[2].

القديس جيروم

❖ إذ احتقر الطوباوي يوحنا (المعمدان) صوف الغنم بكونه نوعًا من الترف، اختار وبرْ الجمل والتحف به، مُقدّمًا نفسه مثالاً للاقتصاد والبساطة في الحياة... كيف يستطيع أن يرتدي الثياب الأرجوانية، من ترك أُبّهة المدن، وانسحب إلى عزلة البرية، ليعيش في هدوءٍ مع الله، بعيدًا عن السعي وراء التفاهات وعن كل مظهرٍ باطلٍ للصلاح، وعن كل الأمور التافهة؟

استخدم إيليا ثوبًا من جلد الغنم، وكان يضمه بمنطقة من الشعر. وإشعياء نبي آخر كان عريانًا وحافي القدمين، وغالبًا ما كان يكتسي بالخيش، لباس التواضع (إش ٢٠: ٢).

إن استدعيتم إرميا لم يكن لديه سوى منطقة من كتان (إر ١٣: ١)[3].

القديس إكليمنضس السكندري

٢. تمجيد الله

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ مَعَ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ،

---

[1] *The Long Rules, Q 23 Regarding the cincture.*
[2] *Homilies on Exodus, homily 91*
[3] *Paesagogus, Books, ch. 6.*

فَصَعِدَ إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ.
فَقَالَ لَهُ: يَا رَجُلَ اللهِ،
الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ. [٩]

كان يكفي لجنديٍ واحدٍ أو للقائد أن يُلقي القبض على رجلٍ أعزل بلا سلاح، لكن ما سمعه أخزيا عن موقفه مع أبيه أو رآه منه جعله يخشاه. وعوض التوبة ظن في كثرة عدد الجنود ما يمكِّنه من إلقاء القبض عليه وسجنه.

إذ يقول رئيس الخمسين له: "**يا رجل الله**"، يتضح أنه قد عرف أنه مُرسل من قبل الله، وغالبًا ما عرف أنه سبق فأنزل نارًا من السماء تلتهم الذبيحة. لكنه ظن في الملك صاحب سلطان عليه، وأن الخمسين جنديا قادرون على القبض عليه، وأنه لن يفلت من أياديهم.

يدعوه رئيس الخمسين الشرير "**رجل الله**"، لأن الملك نفسه والقصر الملكي يدركون حقيقة شخصية إيليا النبي، لكنهم لا يطيقونه.

أُعطي هذا اللقب أولاً لموسى النبي (تث ٣: ١)، وبعد ذلك لصموئيل (١ صم ٩: ٦-٧)، وإيليا (١ مل ١: ٩-١٣)، وأليشع (٢ مل ٤: ٩)، وداود (٢ أي ٨: ١٤)، وتيموثاوس (١ تي ٦: ١١).

❖ لم يخف الملك العنيد من كلمة النبي، قائلاً في قلبه: "إنه يكذب". ولهذا لم يبالِ بتحذيره، إذ نصحه أن ينزع أسباب الشرور ويتوب.

لقد صمَّم على عناده، وعوض التوبة عن كبريائه ورجوعه، ازداد في عناده، وأرسل قائد خمسين مع الخمسين للقبض على نبيّ الله، يقودونه إلى المحكمة[1].

القديس مار أفرام السرياني

فَأَجَابَ إِيلِيَّا رَئِيسَ الْخَمْسِينَ:
إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ،
فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ،
وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ.
فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ،
وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. [١٠]

سبق أن استدعى إيليا النبي نارًا من السماء تلتهم الذبيحة وتقاوم كهنة البعل (١ مل ١٨: ٣٦ - ٣٨). الآن يطلب نارًا من السماء ليدرك أخزيا ورجاله أن الله إله إسرائيل له سلطان على

[1] *On the Second Book of Kings, 1:1.*

الطبيعة ومخوف، وأن إله عقرون لا حول له ولا قوة.

يُعلِّق **العلامة أوريجينوس** على قول النبي: "**أنَا رَجُلَ**"، بقوله إنه يوجد في الكنيسة أناس هم **رجال** الله كقول إيليا عن نفسه: "إن كنتُ أنا رجل الله، فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك" (٢ مل ١: ١٠)، أما الذين تركوا التعقُّل والفهم ويسلكون ببساطة، فيُحسبون كحيواناتٍ، إذ يقول المرتل: "الناس والبهائم تخلص يا رب" (مز ٣٦: ٧). فإن مات أحد هؤلاء البسطاء بالخطية وصار كجيفة، فإن من يمسها ويسلك معها في خطيتها يتدنس.

هذا بالنسبة للحيوانات المستأنسة، أما بالنسبة لحيوانات البرية المفترسة، فيرى أن الأسد الميت يُشير إلى الالتصاق بإبليس، الذي يقول عنه الرسول بطرس: "لأن إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتمسًا من يبتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان" (١ بط ٥: ٨-٩). أما الذئاب فتُشير إلى الهراطقة، كقول الرسول بولس: "بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تُشفِق على الرعية" (أع ٢٠: ٢٩)، فمن يتبعها في أفكارها الخاطئة يكون كمن تنجس بلمس جيفة ذئبٍ ميتٍ.

من أجل مجِّد الله طلب إيليا نزول نار من السماء تلتهم قائد الخمسين ورجاله الذين أصروا على العصيان في تشامخٍ. غالبًا ما تحقق نزول النار من السماء بُناء على توجيه الله لإيليا. أما وقد نزل السيد المسيح إلى العالم، فأقام من مؤمنيه الحقيقيين خدامًا له هم لهيب نار، مملوءين حبًا؛ هذه النار تُحوِّل الأعداء إلى أحباء (رو ١٢: ١٤-٢١).

جلبت كلمة إيليا النار المُهلِكة من السماء؛ نفس النار المُهلِكة عُرفت في عدد ١١: ١، وتحدث عنها الرسل (لو ٩: ٥٤). سبق أن أعلن الله قبوله الذبيحة من إيليا النبي بنار السماء، وأخزى كهنة البعل (١ مل ١٨). الآن ذات النار النازلة من السماء أحرقت جنود البعل الذين ظنوا أنهم قادرون أن يلقوا القبض على رجل الله.

احتراق القائدين وجنودهما ربما لأنهما قد اشتركا في قرار الملك إن لم يكن ظاهريًا فبقلوبهم الشريرة.

كما تمجد الله بواسطة نبيه إيليا حين قدَّم ذبيحة له، فالتهمتهما النار النازلة من السماء، هكذا تمجد أيضًا باحتراق جنود البعل الذين ظنوا في أنفسهم أنهم قادرون على مقاومة الله ونبيه.

يقول **القديس أفراهاط الحكيم الفارسي**: "إن رئيسي الخمسين والمائة جندي احترقوا، لأنهم اقتربوا إلى الجبل الذي كان إيليا جالسًا عليه، هذا الذي ارتفع إلى السماء في مركبة نارية. لهذا أيها الأحباء يُمتحن الأبرار بالنار مثل الذهب والفضة والحجارة الكريمة، أما الأشرار فيحترقون في النار مثل الخشب والقش والعشب، فيكون للنار سلطان عليهم وهم يحترقون[1]".

---

[1] *Orthodox Study Bible*

كان البشر بوجه عام حتى شعب إسرائيل في حاجة إلى إدراك مخافة الرب، حتى يتركوا عبادة الأوثان وعصيانهم للوصية الإلهية. ولكن إذ جاء السيد المسيح ليرفع البشرية إلى النضوج الروحي، رفض طلب تلميذيه يعقوب ويوحنا أن يُنزل نارًا من السماء لتفني السامريين الذي لم يقبلوه في قريتهم (لو ٩: ٥١-٥٦)، إذ جاء ليكسب البشرية بحبه المُعلَن خلال الصليب، وليس بحرقهم بالنار.

لم تكن شهوة قلب إيليا الانتقام، لكن ما نطق به هو إعلان مع تحذير من واقع كشفه له الرب. هذه النار التي من السماء لا تتعارض مع محبة الله، وإنما يطيل الله أناته على الأشرار، وفي وقت مُعيَّن يسمح بالتأديب ليكون درسًا عمليًا أمام الآخرين. وقد نزلت من السماء ولم تصدر عن الأرض، فلا يجوز للناس أن يحرقوا بعضهم بعضًا، أو يطلبوا لأنفسهم من الله أن ينتقم لهم.

❖ حينئذ أرسل قائد الخمسين إلى إيليا، ومعه خمسين ليأتي به عنده حتى إن رفض.

لو كان لهذا الوثني (أخزيا) والدة أخرى، لما كان يلزم أن تكون أمه إلا إيزابل.

لو لم يكن ابنها بالحقيقة يشبهها، كم بالأحرى الآن بعد أن ولدته وقامت بتربيته!

هذا القلب القاسي الذي يشبه إيزابل بأفعاله، أراد أن يحارب إيليا بخمسين رجلاً.

كل المخلوقات ترتعد أمام (إيليا)، فكيف يغلبه الخمسون الذين أُرسلوا إليه؟

العلو والعمق يرهبان هذا القوي، وابن إيزابل يهدد ليأتي به مثل ضعيف.

دعا النارَ ونزلت حالما دعاها، واستجابت وأتت، كيف يغلبه القش لينزل معه؟

يعرف اللهيب صوته ويطيعه، فلماذا لم يخف منه المريض الذي يهدده؟

شابه أمه التي هددت أيضًا الجبار، وأرادت أن تقتل ذاك الذي كان الموت يخاف منه.

صعد وراءه قائد الخمسين، كما أُرسل، فنظره جالسًا على قمة الجبل بمفرده[1].

القديس مار يعقوب السروجي

ثُمَّ عَادَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ آخَرَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ.
فَقَالَ لَهُ: يَا رَجُلَ اللهِ،
هَكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ:
أَسْرِعْ وَانْزِلْ. [١١]

لم يرتدع الملك بحرق رئيس الخمسين وجنوده، وعوض توبته والحزن على الذين تسبب في حرقهم، في قسوة قلب أرسل رئيسًا للخمسين آخر ومعه جنوده. عاد فكرر الأمر للمرة الثالثة

---

[1] ميمر ١١٤ عن إيليا النبي وأخزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٤٧-١٤٨.

[١٣]، وإن كان رئيس الخمسين الثالث نسم بالتواضع والحكمة أكثر من الملك نفسه الذي كان مع الكبرياء يتسم بالغباوة.

فَأَجَابَ إِيلِيَّا: إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ،
فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ،
وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ.
فَنَزَلَتْ نَارُ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ،
هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. [١٢]

❖ أرسل أيضًا قائد الخمسين ومعه خمسون، قسا قلبه وكان وثنيًا أكثر من الأول.

صعد هو أيضًا إلى إيليا، وقال له: "يا نبي الرب، يقول الملك: انزل من هناك".

لعل القائد الأول الذي صعد عند إيليا لم يكن مُلامًا مثل القائد الثاني الذي أُرسل.

لم يشاهد الآخرين الذين احترقوا كما احترق هو. الأول داهمته النار دون أن يشعر.

ما حدث له لم يحدث لآخر قبله حتى يخاف من المشهد الذي كان قريبًا منه.

لم يكن يعلم بأن النار تنقض عليه، وعندما انقضت صار مثلاً مملوءًا بالمخاوف.

كانت وقاحة الوثني الثاني الذي أُرسل أعظم، لأنه تجاوز الواجب كثيرًا.

رأى الجثث مطروحة كالفحم على الجبل، ولم يخف قلبه من سلوك الطريق إلى إيليا.

تفوح رائحة رفيقه القائد الذي احترق، ولم ترعبه ليعود إلى الوراء لئلا يصعد.

الفوج الذي قبله دمَّرته النار وطرحته، وها هو يدوس عليه، ويصعد بغضبٍ إلى إيليا.

العظام التي أكلها اللهيب تبعثرت على الطريق، مع ذلك كان يخطو بشجاعة نحو الغيور الذي أحرقها.

من دخان الفوج الذي احترق كان الجبل مضطربًا، ومع ذلك قسّى قلبه، ولم يكن ينظر إلى ما جرى.

اكتسب إرادة شريرة وقاسية ومتوحشة، ولم يرتجف من النار التي أكلت رفاقه.

قسّى وجهه كمن يحارب الله، وكان يهدد كأنه ينتصر على النار.

طريقه رهيبة كمن لا يخاف من اللهيب، وصوته يرتفع إلى إيليا لينزله معه.

يا نبي الرب، الملك يقول: انزل. فأجابه أيضا إيليا، وقال له:

لو كنت نبيًا، لتأكلك النار أنت والخمسين، فاتقد اللهيب واشتعل وسحقهم...

هجم عليه اللهيب وسحقه، لأنه تخطّى الحريق المخيف الذي رآه.

قلب قاسٍ، كان يُجلد بقضيب النار، ولم يشأ أن يتعلم من تأديب (القائد) الأول.

وإذ لم يقبل أن يخاف، أصبح رعبًا، وإذ لم ينظر إلى من احترق، أصبح مثالاً.
راعي الشعب وقف على الجبل مثل نشيط ليحرس قطيعه بقوات وعظائم ومذهلات.
عندما تجمعت الذئاب صعدت لتفترسه، فأنزل نارًا من بيت ربه والتهمتها.
جُعل اللهيب له قضيبًا عظيمًا، وبه كان يطرد الحيوان المفترس من رعيته.
أنزل على الكرمل نارًا، والتهمت ذبيحته، وبها جمع غنم يعقوب عند إلهه.
هنا دعا النبي النار مرتين ليجمع القطيع المبدد بالأعجوبة.
خضعت له النار، وعرفت صوته، وكلما تكلم استجابته، لتُنَفِّذ كل ما يقول لها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

لماذا سمح الله بإنزال نارٍ أحرقت قائديّ الخمسين ومن معهم؟

هكذا يحسب **العلامة ترتليان**[2] أن القائدين الأول والثاني **كانا نبيين كاذبين للإله بعل زيوب**، لذلك فنزول النار كان بسماح من الله لوقف نشر هذه العبادة الوثنية بالعنف والإلزام من قبل الملك وجيشه الذي يقوده كثير من الأنبياء الكذبة للبعل وغيره.

انحرف إسرائيل إلى عبادة البعل وهو في ذهنهم إله المطر والنار والمحاصيل الزراعية، كما أن عبادته تتطلب إجازة الأطفال في النار كذبائح بشرية، لهذا أكّد كلاً من إيليا وأليشع النبيين قوة الله الحقيقي، وسلطانه على النار والمطر والمزروعات فوق القوة المزعومة للبعل. كما أظهر اهتمامه بالصبيان كإقامة ابن الأرملة بصرفة صيدون (١ مل ١٧:١٧-٢٤)، وإقامة الولد الميت (٢ مل ٤:١٨-٣٧).

❖ في أيام العهد القديم كان العقاب يتم جسديًا بالنسبة لأية جريمة أو معصية تُرتكَب بين الشعب. لقد كُتب: "عين بعينٍ، وسن بسنٍ" (خر ٢١:٢٤). **حقًا عُوقب البعض لكي يخاف الباقون من العقاب الجسدي، فيكفوا عن الخطايا والمعاصي.**

في أيام النبي الطوباوي إيليا، ترك كل الشعب اليهودي الله وذبحوا الأوثان، وليس فقط رفضوا تكريم أنبياء الله، بل غالبًا ما حاولوا قتلهم. لهذا امتلأ إيليا غيرة لله وكان سببًا في سقوط البعض تحت عقاب بدني، وذلك لكي يُشفَى أولئك الذين أهملوا خلاص نفوسهم خلال خوفهم من العقاب الجسدي...

إننا نعرف أن نفس الأمر حدث خلال الطوباوي بطرس في حالة حنانيا وسفيرة، خلاله

---

[1] ميمر ١١٤ عن إيليا النبي وأخزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٥٢-١٥٥.
[2] *Tertullian against Marcion, Book 4, ch, 23*

سقطا تحت هلاك الموت ليصيرا مثلاً للبقية. لذلك قيل: "صار خوف عظيم على جميع الذين سمعوا بذلك" (راجع أع ٥:١١)...

إذ كان اليهود التعساء يفكرون فقط في أجسادهم، ويرفضون الاهتمام بنفوسهم، لذلك بالله الديان يعانون من آلام في ذات الجسد الذي كرَّسوا الكثير لأجله[1].

❖ إن تأملتم حسنًا أيها الأعزاء المحبوبون، تتحققون أنه ليس فقط الشعب اليهودي قد سقط في الكبرياء، بل وقائدا الخمسين أيضًا هلكا بسبب نفس الضعف.

في كبرياء عظيم وتشامخ بدون تواضع جاء الثاني إلى الطوباوي إيليا، وقال له: **"يا رجل الله، الملك يقول انزل" [٩].**

إذ لم يكرماه كشخصٍ كبير السن ولا كنبيٍ، تكلم الروح القدس خلال فم النبي، وضُربا بنفخة أُرسلتْ من السماء...

بعدل أصاب قلة بالموت، لكي يمنح خلاصًا لكل أحدٍ[2].

الآب قيصريوس أسقف آرل

❖ **لم يكن حرق الناس محبوبًا لدى إيليا، لأنه لم يكن يتحرك لهذا العمل إلا بالروح.**

لا يفكر أحد بأنه غضب جسديًا، وثار ثائرة، فعمل الحريق ليريح غضبه.

قاده الروح حيثما شاء في كل الأعمال، ليدفع الوثنيين أن يتركوا آلهتهم.

جعله الرب مثل وسيط بينه وبينهم، ليصنع على يده قوات عجيبة ويعيدهم.

أحرق المئة ليفيد أكثرية الشعب حتى يعيدهم من الوثنية بالآية التي صنعها.

كان الوثنيون قساة، ومتمسكين بآلهتهم، ولم يكن يقدر أن يتكلم معهم إلا بالنار...

أضرم فيهم نارًا تنطفئ، حتى يبطل جهنم التي يرثها الوثنيون إلى الأبد.

تحرك الرجل روحيًا وبحبٍ عظيمٍ، ليحيي العالم المائت بالأصنام...

قتل وأحرق، لتتحقق إرادة ربه، ويعظم اسمه، بينما لم يكن يريد هو مثل هذه الأمور.

نزلت النار كما أمرها، والتهمت الفوجين ومعهما القائدين كما سمعتم[3].

القديس مار يعقوب السروجي

ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ رَئِيسَ خَمْسِينَ ثَالِثًا وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ.

---

[1] *Sermon 125.1.*
[2] *Sermon 125:2.*

[3] ميمر ١١٤ عن إيليا النبي وأحزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٥٦-١٥٧.

فَصَعِدَ رَئِيسُ الْخَمْسِينَ الثَّالِثُ،
وَجَاءَ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَمَامَ إِيلِيَّا،
وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا رَجُلَ اللهِ،
لِتُكْرَمْ نَفْسِي وَأَنْفُسُ عَبِيدِكَ هَؤُلاَءِ الْخَمْسِينَ فِي عَيْنَيْكَ. [١٣]

هُوَذَا قَدْ نَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ،
وَأَكَلَتْ رَئِيسَيِ الْخَمْسِينَيْنِ الأَوَّلَيْنِ وَخَمْسِينَيْهِمَا،
وَالآنَ فَلْتُكْرَمْ نَفْسِي فِي عَيْنَيْكَ. [١٤]

لقد دعا القائدان الأول والثاني إيليا "**رجل الله**"، لكنهما فيّ كبرياء قلب أرادا القبض عليه وتسليمه للملك. ودعاه الثالث بذات اللقب "**رجل الله**"، لكنه بتواضعٍ طلب الرحمة، سائلاً إياه أن تكون نفسه ونفوس الجنود عزيزة لديه. فإن كانوا قد جاءوا إليه كأمر الملك الشرير، لكنهم يثقون في سلطان النبي ويطلبون رحمة الله. بتواضعه استحق القائد أن يرسل الله ملاكًا لإيليا النبي يدعوه أن يذهب معه إلى الملك.

❖ عاد وأرسل قائد خمسين للمرة الثالثة، ولم يحزن على الأولين الذين احترقوا.

باد فوجان من مملكته، وكان قلبه مريضًا، ومملوءًا خوفًا، ومع ذلك لم يتغير.

صعد قائد الخمسين الذي أُرسل بتواضعٍ يقدر أن يُخضع جميع الجبابرة.

نظر إلى إيليا، وعرفه من هو، وكيف هو، فخاف منه كما من بحر اللهيب.

فكَّر في الأولين، إذ نزلت النار وأكلتهم، وأدرك أنه من السهل أن يحترق هو أيضًا.

فكَّر الحكيم بوجود إيليا، وبأن لديه نارًا، ويقدر أن يحرق من يعصاه كما يشاء.

هبط التمييز على نفسه، وشعر مثل العارف (بالأمور) أن النبي عظيم وإلهه عظيم، فخاف منه.

وتواضع حتى يقترب منه، طالبًا المراحم، وهيأ له توسلاً مفيدًا ينقذه.

ركع على ركبتيه، وأحنى نفسه متوسلاً، وبخوفٍ أحنى وجهه إلى الأرض أمام إيليا.

اقترب بقلبٍ منكسرٍ، ونفسٍ مروّعة، ورأسه منحنٍ، وصوته خافت طالبًا الرحمة.

قال له: يا نبي الرب، لتُكرم نفسي، ونفوس عبيدك، هؤلاء الذبن أتوا وهم لا يريدون.

لك سلطان لتنزل النار من بيت ربك، وتحرق الناس كما تريد، إن عصوك.

سيدي، يسهل عليك أن تحرق الآن إن شئت، ويمطر الهواء اللهيب من كل الجهات.

عُرف جبروتك في الذين احترقوا، أظهر الآن رحمتك للعالم بي.

لك سلطان أن تحرق أو لا تحرق، وهذا واضح، فإن كنت لا أحترق، فهذا يعود إليك.

بقائدَين أظهرت قدرة قوة الله، ليظهر بي الآن حنانه كيف يغفر[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٣. ثقة في الله

فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لإِيلِيَّا: انْزِلْ مَعَهُ.

لاَ تَخَفْ مِنْهُ.

فَقَامَ وَنَزَلَ مَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ. [١٥]

بقوله: "**لا تخف منه**"، يقصد الملاك المُرسَل من الرب ألا يخاف من رئيس الخمسين أو من الملك. بثقة كاملة في عمل الله لم يخشَ رجل الله أن يخبر الملك أنه لن يُشفى بل يموت، لأنه استخف بالله الحقيقي ولجأ إلى بعل زبوب.

إذ يتحدث **القديس أمبروسيوس** عن الحياة السعيدة أنها لا ترتبط بالظروف الخارجية، بل بأعماق القلب، يقارن بين إيليا النبي وموسى النبي، وأيضًا بينه وبين داود الملك قائلاً:

❖ لم يكن إيليا أقل سعادة من موسى، ومع ذلك كان أحدهما محتاجًا إلى طعام ويرتدى جلد ماعز رخيصًا (عب ١١:٣٧) ، ليس له أولاد أو ممتلكات أو أصدقاء ، بينما كان الآخر قائدًا للشعوب، يفرح بنسله، يتمنطق بالقوة. بطرق مختلفة نالا استحقاقًا آمنًا متساويًا كما أعلن في الإنجيل عندما أضاءا مع الرب يسوع في مجد القيامة (مت ١٧:٣). يبدو أنهما نالا مكافأة متساوية كشاهدين متساويين لمجده.

لم يكن إيليا أقل سعادة من داود، مع أن أحدهما كان خاضعًا للملوك بينما ملك الآخر بسلطانٍ ملوكيٍ، لكنهما نالا بالتساوي نعمة النبوة والقداسة[2].

القديس أمبروسيوس

❖ دخل توسل المتميز أمام إيليا، وشرعت الرحمة تخرج إليه لتنقذه.

رأى الرب قلبًا مملوءًا تمييزًا، وبواسطة ساهرٍ (ملاك) بعث إلى إيليا أن ينزل معه.

أراد أن يبين أن كل من يتوسل له رجاء، وأن الباب مفتوح لكل من يأتي ليطلب الرحمة.

مال بوجهه إلى تلك الطلبة، لأنها كانت متواضعة، عندما تُقبل لدى الله ليقتنيها كل واحدٍ.

عرَّف الرب أن هؤلاء الذين التهمتهم النار، يعود احتراقهم إليهم، لأنهم قسّوا قلوبهم.

هذا الذي تواضع أمام إيليا أنقذه، واتضح أن هؤلاء احترقوا بسبب كبريائهم.

---

[1] ميمر ١١٤ عن إيليا النبي وأخزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٥٨-١٥٩.

[2] *Jacob and the Happy Life, 8: 38.*

وبَّخ هؤلاء الذين صاروا سبب ذلك الحريق، وأنقذ هذا ليظهر به حنانَه العظيم.
يريد أن يفيد البشر بكل أفعاله: عندما يقتل وعندما يحيي، فهدفه واحد.
عندما أحرق هؤلاء، أحرقهم حتى يترك الوثنيون أصنامهم بسبب الخوف.
وعندما أنقذ هذا الذي توسل، أراد أن يظهر به أنه مملوء رحمة، وللتوسل موضع لديه.
توسل قائد الخمسين الثالث، فقام ونزل مع المُعلِّم عند ابن أخآب.
عندما أصبحوا قساة أنزل نارًا قتلتهم، ولما تواضعوا قادوه ونزلوا كما أرادوا.
يخضع محب البشر للتواضع، ولا يسمح للقسوة أن تقترب عنده[١].

القديس مار يعقوب السروجي

٤. تنفيذ مشيئة الله

وَقَالَ لَهُ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ أَرْسَلْتَ رُسُلاً لِتَسْأَلَ بَعْلَ زَبُوبَ إِلَهَ عَقْرُونَ،
فَهَلْ لاَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلَهٌ لِتَسْأَلَ عَنْ كَلاَمِهِ!
لِذَلِكَ السَّرِيرُ الَّذِي صَعِدْتَ عَلَيْهِ لاَ تَنْزِلُ عَنْهُ، بَلْ مَوْتًا تَمُوتُ. [١٦]

بكل قوة قام إيليا بتنفيذ مشيئة الله. وقف أمام الملك الطالب قتله وتحدث بكل جرأة، فسمعه الملك، وأطلق إيليا الذي اختفى دون أن يذكر الكتاب طريقة اختفائه والمكان الذي ذهب إليه.

❖ نزل معهم عند ذاك الملك، ولم يخف منه، وملأ فمه توبيخًا ورفع صوته.
دخل وقال للملك وجهًا لوجهٍ كما أرسل إليه: موتًا تموت، وعن سريرك لن تنزل.
كلمته واحدة سواء كان قريبًا أو بعيدًا، لأن الحقيقة التي تكلم بها واحدة، ولا تردد فيها.
وعندما نظر إلى وجه الملك وبَّخه، لأن المحاباة لم تكن تردُ نهائيًا في كلمته.
لو أرسل إلى الملك ولم يتكلم في وجهه، لظهر بأنه خائف وغير صادق.
كان الرب وحده يُكرَم وينظر إليه، ويهتم لينطق بالحق في كل مكانٍ.
مات أخزيا كما قرر النبي العظيم، فثبتت كلمته، لتدحض الوثنيين وأصنامهم.
صار موت الوثني علة صالحة ليقترب الكثيرون إلى الله، بفضل القوة التي رأوها.
فُضح أيضا إله العقرونيين، وارتاع المرضى، لن يدوسوا عتبته.
فرغت دروبه فما أتى إليه أحد يستعطفه، لأن ما حدث بخصوصه كان قد سُمع (وانتشر).

---

[١] ميمر ١١٤ عن إيليا النبي وأخزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٥٩-١٦٠.

لطم الغضب (الإلهي) الملك الذي أرسل ليسأل، فمن لا يخاف من ذكر حتى اسم إيليا؟
سمع الشعب لماذا احترق هؤلاء الذين احترقوا، وأن الملك مات بحكم إيليا عليه.
وأن بعل زبوب لا يفيد شيئًا، انفضح، وتوقف السبيل الذي يؤدي إلى عقرون بالنسبة للعبرانيين.

لأجل هذا جرت كل هذه الأمور، ولأجل هذا أيضًا تواجد إيليا في زمنٍ مضطرب[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَمَاتَ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ إِيلِيَّا.
وَمَلَكَ يُورَامُ عِوَضًا عَنْهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِيَهُورَامَ بْنِ يَهُوشَافَاطَ مَلِكِ يَهُوذَا،
لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ. [١٧]

تحقق قول الرب لإيليا عن طريق ملاكه، ومات أخزيا على سرير مرضه، وملك أخوه يهورام في نفس الوقت الذي كان فيه يهورام بن يهوشافاط ملكًا على يهوذا.

جاء عن يهورام الأخير أنه ملك في السنة الخامسة ليهورام بن أخآب (٢ مل ٨: ١٦)؛ لهذا يرى بعض الدارسين أن يهورام ملك مع أبيه في السنة الثامنة عشر من مُلك أبيه يهوشافاط. بهذا يكون يورام بن أخآب ملك في السنة الثانية من مُلك يهورام بن يهوشافاط.

في كثير من الممالك القديمة كان الملك غالبًا ما يسند بعض مهام الحكم إلى ابنه البكر أو من يراه مناسبًا لتولي الحكم بعده. هذا التقليد كان متبعًا في وراثة العرش على ممر العصور. لذا يعتبر البعض أنه بدأ استلامه الحكم مع بدء مشاركة الابن لأبيه، وآخرون يحسبونه يعد استقلاله بالحكم غالبًا بعد وفاة والده أو انسحابه من الحكم كنوعٍ من الفلسفة والاهتمام بنوال الحكمة في هدوء.

- بعد موت أخزيا، إذ لم يكن له أبناء يمكنهم أن يرثوا المملكة، صار أخوه ملكًا. لم يحدث هذا لأن الشريعة نادت بمثل هذا، وإنما لأنه هكذا كانت عادة جيرانهم الذين كان بنو إسرائيل يطيعونهم لسنوات طويلة. أما الله فكان له نظام آخر بخصوص مملكة أبناء يهوذا، فقد أمرهم أن يكونوا من عائلة داود[2].

القديس مار أفرام السرياني

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ أَخَزْيَا الَّتِي عَمِلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١٨]

---

[1] ميمر ١١٤ عن إيليا النبي وأخزيا الملك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٦٠-١٦١.
[2] *On the Second Book of Kings, 1:15.*

من وحي ٢ ملوك ١

نار من السماء!

❖ لأسكن مع نبيك إيليا وسط الجبال المقدسة.
أسكن في كتابك المقدس، الجبل العالي.
فأحمل روح القوة والشجاعة والاستنارة.

❖ أدرك ما وهبتني من سلطان.
فلا أخاف ملكًا يحرك قادة وجنودًا،
ولا أخشى قادة مملوءين زهوًا وغرورًا.

❖ يحمل الملوك سلطانًا، فيحركون القادة حسب هواهم.
ويحمل القادة سلطانًا، فيحركون الجند للعمل معهم حسب أفكارهم.
أما أنا فاحمل سلطانًا من عندك.
أدوس على الحيات والعقارب وكل قوات الظلمة.

❖ أحمل سلطانًا، فتتحرك السماء لخدمتي.
تنزل نار، فتحرق قادة الشياطين، وتبدد أعمالهم!
أقتدي بك، فلا أطلب نارًا تحرق بشرًا،
فإنك أتيت لتخلص، لا لتهلك!
أطلب نار روحك القدوس، حارق الخطايا!
أطلب نارك السماوية، تلهب القلوب حبًا!
أطلب نارًا مقدسة، تحطم نار الشر!

الباب الثاني

أليشع صاحب العجائب

٢ ملوك ٢-٨

أبوّة أليشع الحانية

يبدأ هذا الفصل بصعود إيليا النبي إلى السماء، وتسليم العمل النبوي لتلميذه أليشع، الذي اشتهى أن يحل عليه روحين من مُعلّمه حتى يستطيع أن يحقق رسالته، ويواجه تيار الشر المتزايد. وهبه الله أن يتم على يديه ضعف المعجزات التي صنعها مُعلّمه، ليس لأنه أعظم منه، لكن لتأكيد حاجة المجتمع إلى عملٍ متزايدٍ بسبب تزايد الفساد.

لم ترد المعجزات هنا حسب ترتيب حدوثها تاريخيًا، وإنما جاءت بترتيبٍ لاهوتيٍ لائق.

لم تكن المعجزات استعراضًا لإمكانياته وقدراته، إنما حملت مفاهيم لاهوتية وروحيه عملية تمس حياتنا اليومية وشركتنا مع الله. لعل من أبرز ما تقدمه هذه المعجزات التي صنعها الرب على يدي أليشع النبي هو الكشف عن أبوّة أليشع الحانية.

بقوة الله الفائقة شق نهر الأردن بثوب إيليا، وفي أبوّة حانية خجل من كلمات بني الأنبياء حينما ألحّوا عليه أن يرسلوا خمسين رجلاً ذوي بأس يبحثون عن إيليا. لم يوبخهم لأنهم سبق أن أخبروه بأن إيليا يؤخذ من رأسه اليوم، وأنهم حتى إن ظنوا بأن روح الرب قد خطفه، وذهب به إلى موضع آخر كما كان يحدث قبلاً، فلماذا يبحثون عنه؟ هل ليُقدّموا له طعامًا وشرابًا؟ هل يخطفه روح الرب ولا يُقدّم له احتياجاته؟!

١. اهتم ببني الأنبياء كجماعةٍ، فذهب معهم ليقطعوا خشبًا، واهتم باحتياجات كل واحدٍ منهم كما حدث عندما سقطت رأس الفأس الحديدية من أحدهم.

٢. في أبوّة حانية اهتم بأرملة أحد الأنبياء التي كادت أن تُسَلِّمَ ابنيها عبدين للمرابي.

٣. اهتم بالمرأة الفقيرة الأرملة كما اهتم أيضا بالمرأة العظيمة الغنية، فسأل من أجلها لتنعم بطفلٍ، وعندما مات اهتم بإقامته بالرب.

٤. اهتم بالجيش، فطلب له النصرة في غيرة على مجد الرب، كما اهتم بالشعب، فطلب له أن يشبع الله احتياجاته.

٥. كان يهتم بالملك كما بالأنبياء، وأيضا عامة الشعب، يحمل حبًا وأبوّة للجميع!

٦. في أبوّته استخدم الحزم تارة، والحنو تارة أخرى!

كثيرًا ما تحدث الآباء عنه كرمزٍ للسيد المسيح كخادمٍ ومحب للبشر.

❖ كان أليشع خليفة (إيليا) أيضا رمزًا لك، إذ تعلّم بواسطة سيده الحكيم، مهيئًا لحضورك قبل أن تُولد، بإشارات أكيدة لما سيحدث بعد ذلك، مُقدِّمًا العون والشفاء للمحتاجين، بطريقة تفوق

الطبيعة[1].

الأب ميثوديوس

أهم المعجزات أليشع ومدلولاتها الروحية

١. شق نهر الأردن بثوب إيليا ص ٢ ⇦ يشير إلى سحق الشهوات بواسطة مخلصنا.
٢. المياه المجدبة تصير مياه عذبة ص ٢ ⇦ مسيحنا يحول الطاقات المدمرة إلى بنياننا.
٣. لعن الصبيان المقاومين للحق ص ٢ ⇦ بالمسيح لا نخاف من المقاومين للحق.
٤. نبوته للملوك الثلاثة ضد أرام ص ٣ ⇦ مسيحنا مُشبِع الاحتياجات وواهب النصرة.
٥. مباركة الزيت للأرملة ص٤ ⇦ مسيحنا يملأ أوعيتنا الداخلية الفارغة بنعمته.
٦. إقامة ابن الشونمية ص ٤ ⇦ مسيحنا واهب القيامة.
٧. الحنصل السام يصير طعامًا ص ٤ ⇦ بمسيحنا نتحدى الموت.
٨. إشباع مئة رجل بعشرين رغيفا ص ٤ ⇦ بمسيحنا نتحدى قوانين الطبيعة.
٩. تطهير نعمان السرياني ص ٥ ⇦ بمسيحنا نتمتع بالميلاد الجديد في المعمودية.
١٠. إخراج رأس الفأس بخشبة ص ٦ ⇦ بالصليب ترتفع نفوسنا المُثَقَّلة والغارقة.
١١. إصابة رجال أرام بالعمى ص ٧⇦ الذين معنا أكثر من الذين علينا (شركة السمائيين).
١٢. البرص ومحلة الأراميين ص ٧ ⇦ اليوم يوم بشارة. الاهتمام بتمتع الكل بالفرح.
١٣. حث الشونمية على الهجرة ص ٨ ⇦ مسيحنا ضابط الأمور برعانا.
١٤. نبوته لحزائيل الأرامي ص ٨ ⇦ صرخة القلب على الساقطين.

---

[1] *Methodius Oration Concerning Simeon and Avura,9*

الأصحاح الثاني[1]

نصيبان من روح إيليا النبي

يبدأ الأصحاح بانفتاح السماء لاستقبال إيليا النبي [١-١١]، وينتهي بثورة الوحوش الضارية، أي الدببة، على قُطَّاع طرق صبيان يسخرون برجال الله.

بعد أن تحدث عن إيليا صاحب القلب الناري ذكر صعوده إلى السماء في مركبة نارية بخيول نارية، وكأن من يلتهب قلبه بنار الحب الإلهي، وتتقد نفسه بالغيرة المقدسة كما بنار، تتأهل نفسه أن ترتفع كما بمركبة نارية، لتصعد إلى حيث يجلس الله، النار الآكلة، ويُحسب من خدامه الناريين.

صعد إيليا إلى السماء، فقد أكمل رسالته، وكان لا بد أن يوجد من يتسلم منه الخدمة، ويتحمل ذات المسئولية، وتكون له نفس الروح. إنه أليشع النبي الذي نال شهوة قلبه، ألا هي نصيب اثنين من روح سيده الناري إيليا النبي.

كما أن أخنوخ انتقل إلى السماء دون أن يذوق الموت (تك ٥: ٢٤)، هكذا أيضًا إيليا؛ بهذا ندرك أن الله وحده لديه مفاتيح الحياة والموت والقبر والقيامة.

❖ انتقل أخنوخ بلا شك (تك ٥: ٢٤؛ عب ١١: ٥)؛ وأيضًا إيليا. هذان أيضًا لم يختبرا الموت، فقد تأجّل موتهما. لقد حُفظا لكي يختبرا الموت، ولكي بسفك دمهما يبطلان عمل ضد المسيح (رؤ ١١: ٣)[2].

العلامة ترتليان

يكشف لنا إصعاد إيليا إلى السماء عن أربعة أنواع من الشخصيات التي التقت به أو سمعت عن إصعاده:

١. **الرفيق العامل معه:** وهو أليشع، في بداية الدعوة، إذ طرح إيليا رداءه عليه ترك البقر وركض وراءه (١ مل ١٩: ١٩-٢١)، وخدمه لمدة حوالي عشرة سنوات. وعندما طلب منه أن يمكث في الجلجال أو في بيت إيل أو في أريحا، قال: "حي هو الرب، وحية هي نفسك إني لا أتركك" (٢ مل ٢: ٤). لم يقبل أليشع أن يتلكأ أو يتوانى في مرافقته لإيليا والخدمة معه! لذلك تأهل أن يُنعم عليه الرب بنصيب اثنين من روح إيليا.

---

[1] راجع للمؤلف: حول ميامر القديس مار يعقوب السروجي عن لقطات من حياة القديس إيليا النبي مع تعليقات لبعض آباء الكنيسة الأولين، ٢٠٠٦، ف ١١.

[2] *Tertullian A Treatise on the Soul, 50*

يُعتبَر أليشع مثلاً حيًا لمن يلتصق بالسيد المسيح، ويدخل معه في شركة، فينعم بروح القوة، ويصير أيقونة له.

❖ طبعتَ ملامحك علينا! لقد أوجدتنا على صورتك ومثالك! لقد جعلتنا عُملتك، لكن لا يليق بصورتك أن تبقى في الظلام. أرسل شعاع حكمتك، لتُبَدِّد ظلمتنا، فتشرق صورتك فينا[1].

القديس أغسطينوس

❖ ليس لخادم المسيح الكامل شيء بجانب المسيح، فإن كان له شيء بجانب المسيح، فهو ليس كاملاً[2].

القديس جيروم

❖ يحق لنا أن نكون هناك في حضرة الله في السماوات، نحن الذين حفظنا الدرس بينما كنا على الأرض، وذهبنا هناك إلى السماء كي نكون في محبة الله الآب، ذاك الذي عرفناه ونحن على الأرض، ولأن الله الكلمة القدوس صنع كل شيءٍ وعلَّمنا ويُعلِّمنا كل شيءٍ، وهو يُدرِّبنا في كل الأمور الصالحة[3].

القديس إكليمنضس الإسكندري

٢. **جماعة المشاهدين** أو المتفرجين: وقد أخبرهم الروح عما سيحدث لإيليا، هؤلاء اكتفوا بالقول لأليشع. "أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك؟!" (٢ مل ٢: ٣، ٥). صارت لهم معرفة صادقة من الله نفسه، لكنهم كانوا أشبه بالمتفرجين، ولم يلتصقوا بإيليا، ليتمتعوا بما تمتع به أليشع.

هؤلاء يشبهون من يؤمنون بالسيد المسيح، لكنهم لا يسلكون بروحه القدوس، يقفون عند المعرفة العقلانية دون التمتع به.

٣. **جماعة العاملين:** إذ أُصعد إيليا في مركبة نارية لم يُقم أليشع له حجرًا تذكريًا، ولا عاش في ذكريات الماضي ولأجل الماضي، بل تحرك للعمل (٢ مل ٢: ١٩-٢٢). هكذا صار أليشع مثلاً حيًا لمن يدرك مركزه كابن لله وسفير للسيد المسيح السماوي. بهذا تتحول قلوبنا الترابية إلى سماءٍ جديدةٍ. فتصير الأبدية حياة نذوق عربونها، ونلمسها في واقعنا العملي، ونشهد لها كسفراء للسيد المسيح السماوي ووكلاء السماء، إذ نشتهي أن تصير الأرض سماءً!

❖ حقًا لقد جاء السيد ليُلغي الأمور القديمة، ويدعونا إلى وطنٍ أعظم. إنه يصنع كل شيءٍ ليعتقنا

---

[1] *On Ps. 67.*
[2] *Ep. 14:6*
[3] *Paedagogus 3:12.*

من الأمور غير الضرورية، ومن عاطفتنا نحو الأرض. لهذا أشار إلى الوثنيين أيضًا قائلاً: "إن هذه كلها تطلبها الأمم" (مت ٦: ٣٣)؛ التي تقدم تعبها كله من أجل الحياة الحاضرة، ولا تبالي بالأمور المقبلة، ولا بأي فكرٍ سماوي[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

٤. **جماعة الساخرين:** لقد سمع هذا الخبر كثيرون، فأثار البعض في بيت إيل صبيانا صغارًا ليسخروا بإصعاد إيليا، إذ قالوا لأليشع: "اصعد يا أقرع" (٢ مل ٢: ٢٣)، بأسلوب سخيف، كأنهم يقولون لتصعد مثل سيدك يا أقرع!

تمتعت هذه الفئات الأربع بمعرفة صادقة على إصعاد إيليا، لكن تجاوبت كل فئة بطريقة متباينة عن بقية الفئات.

١. حياته البهية هيَّأته للسماء	١.
٢. لماذا أخفى إصعاده عن تلميذه أليشع؟	٢.
٣. الرب يعلن عن إصعاد إيليا	٣.
٤. أليشع لا يفارق إيليا	٤.
٥. الروح يكشف للأنبياء عن إصعاد إيليا	٥-٧.
٦. أعجوبة على نهر الأردن	٨.
٧. أليشع يطلب نصيبين من روح إيليا	٩-١٠.
٨. الأرض الأم تودّع إيليا	١١.
٩. أليشع يبكي على فراق إيليا	١٢.
١٠. رداء إيليا	١٣-١٤.
١١. موقف بني الأنبياء	١٥-١٨.
١٢. المياه المجدبة تصير مياه عذبة	١٩-٢٢.
١٣. لعن الصبيان المقاومين للحق	٢٣.

١. حياته البهية هيَّأته للسماء

وَكَانَ عِنْدَ إصعاد الرَّبِّ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ،
أَنَّ إِيلِيَّا وَأليشع ذَهَبَا مِنَ الْجِلْجَالِ. [١]

تمتَّع إيليا بصعوده إلى السماء في مركبة نارية، بينما مات موسى ودُفن، وقد ظهر الاثنان

[1] *In Matt. hom., 22:4.*

في تجلي السيد المسيح على قدم المساواة. إصعاد إيليا له رسالته، وموت موسى كان له رسالته، ليس لنا أن نُميِّز بين هذا وذاك، إذ كل منهما يتمم رسالة الآخر في المسيح يسوع مخلص العالم.

الجلجال: الجلجال هنا غير تلك التي ليشوع (يش ٤: ١٩)، إنما موضع آخر. الجلجال المذكورة هنا كانت في جبل أفرايم على بعد ثمانية أميال شمال بيت إيل، وهي جلجلية الحالية، وكان فيها مقر للأنبياء (٢ مل ٤: ٣٨).

كلمة "الجلجال" تعني "دحرجة". لقد ترك إيليا النبي الجلجال، أي موضع الدحرجة، وامتلأ بالغيرة، ليسكن في بيت إيل، أي في بيت الله، إشارة إلى الاشتياق للتمتع بالعالم السماوي[1].

لم يسرد لنا الكتاب المقدس شيئًا عن أليشع في الفترة ما بين دعوته للعمل النبوي (١ مل ١٩: ١٩-٢١) وفترة إصعاد إيليا إلى السماء، فقد كانت فترة تلمذة بروح الصلاة مع الاهتمام بالسلوك كتلميذٍ لإيليا النبي.

إذ يتطلع **القديس مار يعقوب السروجي** إلى منظر إصعاد إيليا النبي، يدعو الصاعد في المركبة "**الجميل**" أو "**البهي**"، ولعله يقصد بذلك الحامل انعكاس بهاء الله عليه، فتأهل لمركبة سماوية بهية، نزلت إليه خصيصًا، لتحمله إلى السماء. يدهش من هذا الترابي الذي لم تستطع الأرض أن تمسك به، ليعود مثل أبيه آدم إلى التراب. إنما انطلق هذا الأرضي السفلي ليسكن مع العلويين، ويختلط مع السمائيين. وكأن السماء اختطفته من الأرض لتعلن عن نصرته!

تمتع إيليا باللقاء مع الله على جبل سيناء، وامتلأت نفسه باللهيب السماوي. صعد بعقله إلى السماء. هكذا جاء إصعاده إلى السماء امتدادًا طبيعيًا لالتصاقه الدائم مع السماوي. فقد التصق إيليا بكل كيانه بالله، ولم يعد فيه جزء ما، سواء في نفسه أو جسده بكل طاقاته يميل حتى لرؤية العالم. جاء إصعاده ثمرة إصعاده المستمر كل أيام حياته نحو السماء دون انحدار، يرتفع دومًا على سلم الكمال الروحي. لم تكن تشغله اللقاءات الجسدية أو البشرية، فتأهل للسكنى بين العلويين. نصراته المستمرة هيأته لينطلق من عالمٍ مملوءٍ بالفخاخ. وحاله الروحي هيَّأه ليقطن بين السمائيين.

لم يقبل القدوس أن يترك مثل هذا المنتصر أن يكون خبزًا للموت! الرأس التي لم تنحنِ قط للخطية والشر انفتحت أمامها أبواب السماء، لكي لا تنحني في باب الهاوية!

❖ لنتحدث إذًا عن إصعاد هذا الجميل، وعن المركبة البهية التي نزلت إليه على الأرض.

وعن الجسداني الذي استحق أن يسكن مع الروحيين، وعن الترابي الذي لم يعد إلى الأرض ليصير ترابًا.

وعن السفلي الذي توجَّه في طريقه نحو العلويين، وعن ابن جنسنا الذي تركنا ليختلط مع

---

[1] *Orthodox Study Bible.*

الملائكة.

وعن المعجزة التي استولت على الأرض، لأن العلويين خطفوا واحدًا من حضنها، ليصير معهم بين أجواقهم...

يلزم أن نفتش عن سبب هذا الطريق، كيف؟ ولماذا؟ وبماذا أسرع منذ البداية؟...

بعد كل هذا الجمال السامي الذي اقتناه، أخذوه من هنا ليصعد، ويقيم بين المملوءين جمالاً.

بعد أن استنار من إيحاءات جبل سيناء، واشتعلت نفسه كاللهيب بالمشهد العلوي،

وظهرت له شكينة[1] الأسرار وطهَّرته، ولم يظل فيه جزء من العالم إلا واكتمل،

صعد ليقيم بعقله مع الله، ونزل العلي عنده ليسكن فيه.

لم يكن يكرس أوقات للكمال، لأن البهي خلط كل حياته مع الله.

لم يكن يصعد في الكمال ثم ينحدر، لأنه منذ أن بدأ ارتفع فوقُ في الكمال.

وإذ لم يوجد فيه جزء يميل ليرى العالم، أراد العليّ أن يُصعد ابنُ السفليين إلى العلى.

أراد أن يعطيه إكليل الحياة اللامائت، الذي كان قد أسقطه من آدم عندما صار عريانًا.

أراد أن يُكلِّل الجميل، لأنه صنع جهادًا في العالم الذي هو مسرح لمن يعرفه.

أراد أن يعطي هذا المجد هدية الحياة لذاك النشيط، لأنه ركض مثل الأبطال في ساحات البرّ.

أراد أن يرفعه من المسكونة المملوءة آلامًا، إذ وجد بأنه لا يحبها، ولو أنه كان يسكن فيها.

أراد أن يُصعده، ليجعل مسكنه بين الروحيين، لأنه أبغض كل اللمسات الجسدية.

أراد أن يعطيه موضعًا في عالمه الذي لا ألم فيه، لأنه أحس بأن هذا الموضع ليس ملكه.

أراد أن يرفعه من عمقٍ مملوءٍ بفخاخٍ، إلى موضعٍ سامٍ وبهيٍ وخالٍ من الشرور.

أراد أن يُصعده، ليسكن بين جموع الروحيين، بسبب جماله الروحي.

أراد الرب الخفي أن يريح العبد الصالح: هلم يا من تعبت، استرح من تعبك وضيقك!

هلم أيها المجيد، ادخل إلى خدر الحياة الجديدة، فالموت الشره لا يستحقك لتصير خبزه!

هوذا أبواب العلي مفتوحة لك، فادخل أيها القديس، لئلا ينحني رأسك الشامخ في باب الهاوية[2].

---

[1] كلمة عبرية تعني السكن الإلهي أو الحضرة الإلهية وسط شعبه أو في المؤمن.

[2] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٨٣-١٨٥.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ أخذ إيليا إلى السماء، أما بولس فإلى السماء والفردوس (٢ كو ١٢: ٢، ٤)، (إذ يليق أن يكون لتلاميذ المسيح نعمة مضاعفة)، "وسمع كلمات لا يُنطَق بها، ولا يسوغ لإنسانٍ أن يتكلم بها". لكن بولس نزل ثانية من فوق ليس لعدم استحقاقه أن يبقى هناك، إنما لكي ما بعد أن تمتع بالأمور التي تعلو على الإنسان يعود ويكرز بالمسيح ويموت لأجله، فيأخذ إكليل الشهادة[1].

القديس كيرلس الأورشليمي

٢. لماذا أخفي إصعاده عن تلميذه أليشع؟

فَقَالَ إِيلِيَّا لأَلِيشَع:
امْكُثْ هُنَا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى بَيْتِ إِيلَ.
فَقَالَ أَلِيشَع: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لاَ أَتْرُكُكَ.
وَنَزَلاَ إِلَى بَيْتِ إِيلَ. [٢]

"**الرب قد أرسلني**": بدعوة من الله انطلق إيليا النبي في ساعاته الأخيرة ليفتقد الأنبياء في محلاتهم المختلفة لكي يُثبّتهم ويشجعهم بكلماته الوداعية.

لماذا طلب إيليا النبي من تلميذه أليشع أن يمكث في الجلجال؟

١. ربما لأنه أراد في ساعاته الأخيرة أن ينفرد حتى في تنقلاته بين الأنبياء لكي تكون له أحاديثه الخفية مع الله.

٢. ولعله أشفق على تلميذه، فلم يرد أن يرى لحظات اختطافه من هذا العالم، فيجد التلميذ نفسه وحيدًا.

٣. ولعله أراد اختبار محبته وأمانته، وقد أظهر أليشع النبي محبته الشديدة بقوله: "حي هو الرب، وحية هي نفسك، إني لا أتركك".

لحظات حاسمة، فقد أدرك إيليا أنه حان وقت انتقاله من وسط متاعب هذا العالم ليقف أمام الله وجهًا لوجه، ويعيش على مستوى علوي لا يحتاج جسده إلى ضروريات الحياة هنا. وفي نفس الوقت أدرك أليشع بأنه حان الوقت ليفارقه معلمه إيليا بل كما يدعوه: "أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها" [١٣]. لم يكن لدى أحدهما ما يقوله للآخر، فإن المشاعر تفوق كل تعبيرٍ بشري.

"**إني لا أتركك**": أراد إيليا أن يخفي عن تلميذه أمر إصعاده إلى السماء، لا رغبة في الإخفاء ذاته، ولا عن عدم صراحة إيليا، إنما لأنه لا يطلب مجدًا من بشرٍ، حتى وإن كان تلميذه

---

[1] *Lecture 14: 26*

المحبوب جدًا لديه. في نفس الوقت لم يُخفِ الله عن أليشع أمر إصعاد إيليا، لذا أصرَّ أليشع على ملازمة إيليا النبي حتى اللحظات الأخيرة من أيامه على الأرض.

لم يرد إيليا أن يحتفل به أحد من بني البشر، وفي تواضعه طلب من تلميذه أن يفارقه، حتى لا يراه صاعدًا. لكن الله القدوس كشف السرّ لتلميذه ولجوقة الأنبياء. احتفل به الأنبياء على الأرض، واستقبلته الطغمات السماوية بفرحٍ عظيم!

❖ بإشارة خفية تحرك إيليا واستعدّ، وسلك في طريقه، ليذهب إلى موضعه كما تهيأ.

وبسبب جمال تواضعه، لم يرد أن يراه أحد عندما يرتفع إلى الموضع السامي.

تواضع، ولم يكن يريد أن يرى إنسان ما احتفال إصعاده والمجد العظيم الذي يرتفع فيه.

لهذا أخفى السرّ عن تلميذه، وكان يُبعده لعلل كثيرة لئلا يُفهم.

وإذ ربط قلبه بالعلي، كان يفكر في العلى، ولم يرد أن يراه أحد من السفليين.

لم يكن يعرف مجد هذا العالم وإهانته، فحقارته وكرامته كلا شيءٍ[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٣. الرب يعلن عن إصعاد إيليا

فَخَرَجَ بَنُو الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ إِيلَ إِلَى أَلِيشَعَ.

وَقَالُوا لَهُ: أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ، فَاصْمُتُوا. [٣]

كان "**بنو الأنبياء**" يدعون معلمهم ورئيسهم أباهم. هم تلاميذ في مدرسة الأنبياء، وُهب بعضهم عطية النبوة، وكانوا على مستويات روحية متباينة.

يبدو أن صموئيل النبي هو الذي أسس هذا النظام، وإن كان يصعب التعرُّف على بدء قيام هذه المدارس وتاريخها. انتشرت مدارس للأنبياء في بلاد كثيرة، لصدِ تيار الفساد الروحي والإيماني الذي بدأ في عهد يربعام أول ملك لإسرائيل بعد انشقاقه عن يهوذا.

وُجدتْ هذه المدارس في رامة (١ صم ١٩: ١٩-٢٠)، وأريحا (٢ مل ٢: ٥)، والجلجال (٢ مل ٤: ٣٨)، وبيت إيل (٢مل ٢: ٣)، وربما في أماكن أخرى. كان عددهم كبيرًا، قيل إنه كان يوجد مئة في الجلجال (٢ مل ٤: ٤٣) وعلى الأقل خمسون في أريحا (٢ مل ٢: ٧). تتكون من مجموعات، بعضهم كان متزوجًا، وربما في بيوت خاصة بهم (٢ مل ٤: ١-٢). والبعض غير

---

[1] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٨٥-١٨٦.

متزوجين كانوا يقطنون في مبانٍ عامةٍ (٢ مل ٦: ١-٢)، ويأكلون معًا (٢ مل ٤: ٣٨).

تلتف كل مجموعة حول قائدٍ معين يتتلمذون على يديه، يتدربون على الحديث عن الله.

ازدهرت هذه المدارس في أيام الأنبياء صموئيل وإيليا وأليشع[1].

يتطلع كثير من الدارسين إلى بني الأنبياء أنهم كانوا على مستوى المساواة مع الأنبياء (١ مل ٢٠: ٣٥، ٣٨)، وإن كان عاموس النبي يميز بين الفريقين (عا ٧: ١٤).

يبدو أن بني الأنبياء كانوا يضمون من هم صالحون وأيضًا من هم طالحون، وربما من بينهم ظهر الأنبياء الكذبة الذين انحرفوا لسببٍ أو آخر، إما رغبة في مداهنة الملوك والعظماء، أو كسب شعبية بكلمات ناعمة كاذبة تُخَدِّر الشعب عوض حثهم على التوبة (إش ٣٠: ١٠؛ إر ٦: ١٤؛ ٨: ١١).

كان لبني الأنبياء نظام خاص، يدرسون الشريعة، وتاريخ شعب الله مع الشعر المقدس والموسيقى. لم يكونوا تحت نظام رهباني، ولا طلبة لتعلم اللاهوتيات. رسالتهم هي مساعدة الأنبياء في تحقيق رسالتهم، وفي وقت ما يخلفونهم.

علموا بانتقال إيليا غالبًا بإعلان إلهي، وإذ سألوا أليشع إن كان يعلم هذا، أجاب بالإيجاب، وطلب منهم الصمت. فإنه ليس وقت للحديث في أي أمر سواء خاص بانتقال إيليا أو بالخدمة، إذ كان فكره مشغولاً تمامًا بالتأمل فيما يتمتع به بالتصاقه بأبيه إيليا في الرب. لم يكن محتاجًا إلى كلمة تعزية من بشرٍ، ولا إلى تدبير أمورٍ خاصة بالخدمة. أدرك أنه عمل مقدس فائق، لا يمكن أن يكون موضوع نقاشٍ أو جدالٍ.

❖ إذ أراد أن يخفي جمال طريقه عن الكل، احتفل به الأنبياء أجواقًا أجواقًا وهم يتنبأون.

كان يحاول أن يختبئ بتواضعه، غير أن ربَّه البار كشفه في الطرق أمام الكثيرين.

حالما شعر أن الرب دعاه ليرتفع، عزم أن يخبئ نفسه عن المشاهدين.

وشرع يطلب من تلميذه أن يفارقه، ويقول له: الرب أرسلني، حتى يتركه[2].

القديس مار يعقوب السروجي

٤. أليشع لا يفارق إيليا

ثُمَّ قَالَ لَهُ إِيلِيَّا:

يَا أَلِيشَعُ، امْكُثْ هُنَا،

---

[1] *CF James M Freeman Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 326*

[2] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٨٦.

لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى أَرِيحَا.

فَقَالَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لاَ أَتْرُكُكَ.

وَأَتَيَا إِلَى أَرِيحَا. [٤]

بينما أخفى إيليا أمر إصعاده عن تلميذه أليشع، أعلن الله من جانبه هذا السرّ للتلميذ الذي تأهّل للنبوة. يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن هذا الإعلان جاء من قِبل الله لكي يغرف التلميذ من الكنز الذي بين يديه. فيرى في معلمه إيليا النبي الشمس التي يتمتع بنورها وبهائها، والينبوع الذي تتدفق منه مياه الحياة، يشرب منها التلميذ، فترتفع أعماقه نحو العلو. يرى فيه نارًا مملوءة بهاءً، يحتضنها فتُضرم نيران الحب في أعماقه. ويغرفُ من لجة الروح، فيمتلئ قوة. يراه بحرًا مملوءً بالإعلانات الإلهية، يتقبّلها فيغتني.

لم تبقَ لحياة إيليا على الأرض إلاَّ ساعات، فيسرع التلميذ ليطْلب فيجد، ويسأل فيأخذ، ليدخل إلى الباب، لأنه لازال مفتوحًا أمامه.

العجيب أن أليشع أقسم: "**حيّ هو الرب، وحيَّة هي نفسك**". فقد أدرك أن نفس إيليا قد اقتنت الحياة، لأنها ملتصقة بالله مصدر الحياة.

أصرَّ التلميذ ألاَّ يفارق مُعلِّمه، ليقتني منه الغِنَى الروحي.

❖ بما أن ذاك الصبي استحق النبوة، فقد أشار إليه الوحي، وعلَّمه خفية ألا يتركه.

قيلت هذه الأمور للتلميذ من قبل الوحي بألا يترك صحبة مُعلِّمه:

اهتم أيها الصبي، وانهب ثروة غير محدودة، مادام **الكنز العظيم المملوء خيرات** قريبًا منك.

سيرتفع **الكنز**، خُذ منه قدر المستطاع، وكن ثريًا، وكن معلمًا أنت أيضًا.

مادامت **الشمس** معك على الأرض، خذ منها نورًا وبهاءً، وزيِّن ذاتك ببهائها.

مادمتَ قريبًا من **الينبوع** الذي يتدفق حياة، اشرب منه، لأنه سيرتفع عنك إلى العلو.

مادامت معك **النار الحية** ومملوءة جمالاً تمسك بها، وبها أضرم نفسك، لأنها ستختفي.

مادامت **لجة الروح** تتبعك، وتجري معك، افتح لها نفسك وامتلئ من قوتها.

مادام معك **البحر المملوء بكل الإيحاءات**، تاجر به، لتصير غنيًا بعدما يرتفع.

لا تفارقه إلا بعد أن تراه يرتفع، وبعد أن يعطيك شيئًا عظيمًا، فتغتني من موهبته.

أسرع فستدرك، واطلب فستجد، واسأل فستأخذ، الباب مفتوح لك: إنه يوم غناك إن كنت تتجاسر.

أشار الروح إلى الصبي خفية، فعرف هذه الأمور، ولهذا لم يرد أن يتركه...

قال له: حي هو الرب، وحيَّة هي نفسك، يا سيدي، لن أتركك وأتخلف عنك، يا أيها الرفيق الصالح...

عندما أقسم جعل نفسه مع الله، لأنه كان يعرف بأنها كانت مع الله روحيًا.

حي هو الرب، ومعه نفسك، أعني نفسك اقتنت هذه الحياة الموجودة لله.

به تحيا نفسك، وهي مختلطة وغارقة وممزوجة به، وبما أنه حي، فهي حية معه في إرادة واحدة...

لم يشأ أن يتخلف، لأنه كان يتوق أيضًا أن يقتني الغنى الروحي من رفقة المُعلِّم البهي[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٥. الروح يكشف للأنبياء عن إصعاد إيليا

فَتَقَدَّمَ بَنُو الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي أَرِيحَا إِلَى أَلِيشَع، وَقَالُوا لَهُ:
أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟
فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْمُتُوا. [٥]

أعلن الروح للأنبياء عن إصعاد إيليا إلى السماء، الأمر الذي أراد النبي إخفاءه. انطلقوا إلى أليشع يخبرونه بما أعلنه الروح، فأدركوا أن الروح أيضًا كشف السرّ لأليشع!

❖ لكي يكون الاحتفال بطريقه وهو يرتفع عظيمًا، كشف الروح للأنبياء عنه خفية.

خرجوا من بيت إيل ومن أريحا بإيحاءاتهم، وتكلم السرّ مع التلميذ عن مُعلِّمه.

عندما كشف لهم الروح، كشفوا له بمحبةٍ، وقالوا: اليوم يأخذ الرب معلمك منك.

همس له كما همس لهم فأسكتهم، حتى يحفظوا السرّ الذي كان يعرفه[2].

القديس مار يعقوب السروجي

ثُمَّ قَالَ لَهُ إِيلِيَّا:
اُمْكُثْ هُنَا لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى الأُرْدُنِّ.
فَقَالَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لاَ أَتْرُكُكَ.
وَانْطَلَقَا كِلاَهُمَا. [٦]

عندما بدأ إيليا عمله النبوي في أيام أخآب جاء من جلعاد شرق نهر الأردن (١ مل ١٧:

[1] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٨٦-١٨٩.

[2] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ١٨٩-١٩٠.

١)، والآن عند نهاية عمله النبوي عبر نهر الأردن راجعًا لكي يُصعد إلى السماء.

بعد زيارة مدارس الأنبياء أرسله إلى برية في عبر الأردن، ليكون إصعاده في مكانٍ منفردٍ ما أمكن، كما صعد موسى على جبل نبو بمفرده ليموت.

كان نهر الأردن رمزًا للمعمودية، حيث يعبر المؤمن من محبة العالم الساقط إلى الوعد بالميراث، أي الحياة العتيدة. لقد حقَّق السيد هذا الوعد بتجسده وعماده (مر ١: ٩).

❖ اسم "**الأردن**" معناه "النزول"، فقد حقَّق الرب يسوع هذا النزول، وجعل الذين يسكنون بجوار نهر الأردن يتطهرون من عدوى الخطية[١].

القديس أمبروسيوس

❖ إيليا الذي كان يعيش في ذلك الوقت مع أليشع، الذي كرَّسه نبيًا بأمرٍ إلهي (١ مل ١٩: ١٩)... كان معه في ذات طريقة الحياة بغير انفصال. إذ اقترب وقت إصعاده بمركبة نارية، فيتركه ويصعد إلى السماء بهذا الثقل الجسدي الذي يجتذبنا نحو الأرض. بعدما عبر إلى الجلجال وفي طريقه إلى بيت إيل، أمر أليشع أن يمكث في الجلجال. أما أليشع فلم يطعه، ولا أراد أن ينفصل عنه، حاسبًا أن هذه الكلمات حملته كما إلى سجنٍ تام. هذا هو السبب الذي دفع إيليا أخيرًا أن يأخذه معه.

عندما بلغ الاثنان بيت إيل، حيث قضيا أيامًا قليلة، وقد وضع إيليا مرة أخرى خطة لزيارة أريحا بمفرده، أمر أليشع ألا يأتي معه للمرة الثانية. ولكن كما حدث قبلاً استمر أليشع في عدم طاعته بإصرار، كما لو كان قد شعر كمن يتمزق عندما يُنزَع من سيده.

إذ لم يعرف إيليا ماذا يفعل وافق أنٍ يذهب معه[٢].

القديس مار أفرام السرياني

فَذَهَبَ خَمْسُونَ رَجُلاً مِنْ بَنِي الأَنْبِيَاءِ،
وَوَقَفُوا قُبَالَتَهُمَا مِنْ بَعِيدٍ.
وَوَقَفَ كِلاَهُمَا بِجَانِبِ الأُرْدُنِّ. [٧]

الخمسون هنا من مدرسة الأنبياء في أريحا، فقد وُجدت مدارس كثيرة للأنبياء. إذ كان كثيرون يهربون إلى هذه المدارس ليعبدوا الرب في أمان من أخآب وعائلته.

٦. أعجوبة على نهر الأردن

وَأَخَذَ إِيلِيَّا رِدَاءَهُ وَلَفَّهُ وَضَرَبَ الْمَاءَ،

---

[1] *The Prayer of Job and David, 4:4:14.*
[2] *On the Second Book of Kings, 2:2-5*

فَانْفَلَقَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ،

فَعَبَرَا كِلاَهُمَا فِي الْيَبَسِ. [٨]

إذ تركزت أنظار إيليا النبي على السماء، لم يكن لنهر الأردن أن يعوقه. ضرب النهر بردائه، فصار فيه يابسًا، ليسير عليه إيليا حتى يصعد! ذاك الذي صار له طريق يعبر بها إلى السماء بمركبة نارية، لم يجد صعوبة أن يعبر في طريق جديدة في نهر الأردن!

ضرب موسى النبي البحر الأحمر بالعصا، فانشق لشعبه طريقًا حتى ينطلقوا من عبودية فرعون (رمز لإبليس) إلى البرية، على رجاء دخول أرض الموعد. وضرب إيليا النهر بردائه لينشق النهر، ويعبر إيليا وأليشع في وسط النهر على اليابس. كان ذلك لشهادة من قبل الرب لعمله خلال النبيين للتحرُّر من عبودية الشر والدخول إلى راحة الحياة مع الله.

أشار موسى النبي إلى المعمودية بعبوره البحر الأحمر (خر ١٤: ١٦-٢٣). وأمر يشوع الكهنة حاملي التابوت أن يضعوا أقدامهم في نهر الأردن، فانشق لكي يعبر الكل إلى أرض الموعد (يش ٣: ١٣-١٧). والآن يضرب إيليا النبي النهر بردائه لينشق، فيعبر المؤمن لا من عبودية فرعون، بل من عبودية الارتباط بالأرضيات، ويدخلون معه كما في مركبة نارية منطلقين بقلوبهم إلى السماء.

عند خروج الشعب من مصر انشق البحر الأحمر أمامهم ليعبر الكل إلى البرية، وذلك بعصا موسى النبي (خر ١٤)، وفي نهاية خدمة إيليا انشق نهر الأردن ليعبر إيليا وذلك بثوبه. فما قدَّمه الله من أجل الجماعة قدَّمه أيضًا لأجل شخصٍ واحدٍ أيضًا!

❖ عماده (إيليا) في الأردن هيَّأه أن يصعد، لأنه كما سبق أن أظهرنا أن بولس أُعطي اسم العماد لعبارة كهذه خلال المياه.

وخلال نهر الأردن هذا تقبَّل أليشع خلال إيليا نصيبين من روح إيليا، ربما لأنه عبر الأردن مرَّتين، مرة مع إيليا والثانية بعدما تقبَّل ثوب إيليا وضرب الماء، قائلاً: "أين هو إله إيليا؟" وانشق النهر هنا وهناك.

❖ يليق بنا أن نلاحظ أنه قبل أن يُحمَل إيليا في الزوبعة كما إلى السماء، أخذ رداءه وطواه ثم ضرب به الماء، فانشق إلى اثنين وعبر هو وأليشع (٢ مل ٢: ٨)، بهذا اعتمدا في الأردن. لأن بولس كما سبق فقلت دعا عبور هذه المياه العجيب عمادًا. بهذا تهيأ إيليا للارتفاع عاليًا[1].

العلامة أوريجينوس

---

[1] *Comm. Jos 6:47.*

الرداء الذي طرحه على أليشع حين دعاه (١ مل ١٩: ١٩) إشارة إلى مشاركته في العمل النبوي، هو الذي ضرب به نهر الأردن فانشق.

يرى **العلامة أوريجينوس** أن أليشع ضرب الأردن مرتين كما ضرب موسى النبي الصخرة مرتين. فمن جانب يفيض علينا بالماء، فيروى عطشنا، ومن جانب آخر ينشق النهر، أي يفصل لنا كلمة الحق ويكشفها، فنتعرف على التفسير السليم لها[١].

❖ ارتفع إيليا إلى السماء، ولكن ليس بدون ماء. لقد بدأ بعبور الأردن بعد ذلك حملته المركبة إلى السماء[٢].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ يا لعظمة فضيلة القديسين! ليس فقط بكلماتهم، بل ولا بأجسامهم فقط، بل أيضًا بثيابهم نفسها التي تظهر مُكرَّمة بواسطة كل الخليقة. فإن الثوب الجلدي لهذا الرجل شقّ نهر الأردن!

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سار رجل **التطويبات** المملوء بالأمجاد، وبلغ إلى الأردن مع التلميذ المملوء تمييزًا.

الصادق والبهي والكامل والبتول والعفيف والنقي والبار والمجيد والعجيب والمملوء عجبًا عظيمًا.

سار نحو موضعه، ووضع العالم وراء ظهره، وهو متجِّه إلى السماء، ولم يعد يعرف أن ينظر إلى الأرض.

وقف على النهر وهو مملوء بقوة وجبروت، ولبس البأس وقوة الروحانية العظيمة.

ضرب النهرَ بثوبه، فجعله يابسًا، توقفت السيول التي منعها من الجريان.

توقفت طريق النهر الطليقة الرهيبة، وهدأت لتفسح المجال لطريق البهي حتى يرتفع.

تركت الأمواج الفائضة عنف عاداتها، لتسلك طريق ذلك القديس بجبروتٍ...

طريق الماء ممدودة وماشية، ولما رأت إيليا انغلقت، لئلا يتعطل طريقه.

حُبست الأمواج على العبر وهدأت، أغلقتها القوة الخفية، وتوقفت عن الجريان.

مهدتْ طريقًا جديدة مملوءة عجبًا، فعبر إيليا كمن كان على اليابسة ليسير إلى موضعه[٣].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] *Origen Commentary on John , book 6:28*

[2] *PG 33:433A*

[٣] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الحوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٩٠-١٩١.

٧. أليشع يطلب نصيبين من روح إيليا

وَلَمَّا عَبَرَا قَالَ إِيلِيَّا لأَلِيشَعَ:

اطْلُبْ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ قَبْلَ أَنْ أُوخَذَ مِنْكَ.

فَقَالَ أَلِيشَعُ: لِيَكُنْ نَصِيبُ اثْنَيْنِ مِنْ رُوحِكَ عَلَيَّ. [٩]

لم يترك إيليا مالاً يرثه تلميذه أو ابنه الروحي، لكن نال أليشع ما هو أعظم من كل أمور هذا العالم.

عندما اقتربت الساعات الأخيرة من حياة إيليا كان رفيقه الوحيد هو أليشع. وكان طلب أليشع نصيب اثنين من روح إيليا (٢ مل ٩: ٢) مؤسسًا على التمتُّع بحق البكر، وهو أن يأخذ نصيب اثنين من ميراث الأسرة والقيادة الأبوية للعائلة بعد موت الأب. لم يطلب أليشع أن يكون أعظم من إيليا، بل أن يكون أهلاً أن يُحسب ابنه البكر.

لم يكن في طلب أليشع رغبة في ممارسة آيات وعجائب ضعف ما مارسه مُعلِّمه، مع أنه يبدو جميلاً أن تعرف أن عدد المعجزات التي سُجِّلتْ لأليشع توازي ضعف العدد الذي سُجِّلَ لإيليا تقريبًا. إنما طلب نصيبين من روحه للخدمة والشهادة لله. في بساطة وبروح التواضع، اشتهى أن يتمم رجل الله رسالة مُعلِّمه، متطلعًا إلى إيليا النبي كنموذجٍ حيٍ أمامه.

حسب أليشع نفسه الابن الأكبر له حق ميراث نصيبين (تث ٢١: ١٧). في دالة الحب اعتبر أليشع نفسه ابنًا أكبر لإيليا النبي. وفي جرأة طلب حق الميراث، وهو أن يتمتع بنصيبين من روحه.

لم يشته أليشع النبي شيئًا سوى أن يقتدي بسيده، ويحمل روحه. لكن إيليا النبي أدرك أن ذلك ليس في سلطانه، إنما هو حق إلهي، يُقدِّمه الله الفاحص القلوب لمحبوبيه الأمناء. لم يكن أليشع يطمع أن يكون أعظم من سيده، ولا أقوى منه، لكن إذ رأى حال المملكة يزداد انهيارًا، فالأمر يحتاج إلى قدرة إلهية متزايدة تواجه هذا التيار الجارف.

الإنسان الروحي يحب الآخرين كأبناء أبكار له، فيود أن يقدِّم لهم نصيبين في وصيَّته الوداعيَّة، بل ويشتهي لأحبَّائه الروحيِّين في جرأة أن ينالوا هذا الميراث. هذا ما اشتهاه أليشع النبي حيث طلب من معلِّمه إيليا النبي: "ليكن نصيب اثنين من روحك عليَّ" (٢ مل ٢: ٩).

لم يخفْ أليشع من أن يطلب نصيبين من روح إيليا، أي يحمل قوة مضاعفة. طلب بإيمان لشعوره بضعفه وحاجته إلى قوة مضاعفة من السماء تسنده، بجانب شعوره بانحدار الشعب المستمر في الفساد. لم يغضب إيليا النبي من هذا الطلب، بل تهللت أعماقه، وأدرك أنه ليس في سلطانه أن يُقدِّم هذا، لكنه يفرح أن يُكمِّل تلميذه رسالته بروح القوة.

ليتنا لا نستخف بالجيل الجديد، بل نطلب من الله أن يهبهم ما هو أعظم مما نلناه لتكون الكنيسة في المستقبل أكثر قوة، وقادرة على مواجهة كل التحديات بروح النصرة والغلبة.

يرى **القديس أغسطينوس** أنه إذ طلب أليشع الضعف من روح إيليا، إنما يقصد به روح الله العامل فيه، الذي يليق بنا أن نطلب عمله المتزايد فينا. أما من لم يتمتع بعد بعمل الروح فيه، فيطلب أن يعمل الروح فيه.

❖ الوعد (الخاص بالنمو في عمل الروح) ليس باطلاً، سواء بالنسبة للذي لم يقتنِ (الروح القدس) أو ذاك الذي يقتنيه. فمن لم يتمتع بعطية الروح يُقدم له الروح ليقتنيه، ومن اقتنى الروح يتمتع به بفيضٍ. فلو أن (الروح) غير مُقتنى بقياس أقل لدى البعض عن الآخرين، ما كان القدّيس أليشع يقول للقديس إيليا: "ليكن لي نصيب اثنين من الروح الذي فيك فيّ" (راجع ٢ مل ٩).

ولكن عندما قال يوحنا المعمدان: "لأنه ليس بكيلٍ يعطي الله الروح" (يو ٣: ٣٤)، كان يتحدث على وجه الخصوص عن ابن الله الذي لم ينل الروح بقياس، لأن الروح يسكن فيه بكل كمال اللاهوت[1].

❖ ذاك الذي هو حاضر في كل مكان لا يسكن في الجميع، ولا يسكن بدرجة متساوية في أولئك الذين يسكن فيهم. وإلا فما هو معنى الطلب الذي سأله أليشع أن يكون له نصيب اثنين من روح الله الذي في إيليا؟ وكيف يوجد بين القديسين البعض أكثر قداسة من الآخرين، سوى أن لهم فيض أكثر من سكنى الله؟

يلزم أن نلاحظ بدقة أن ما نقوله أنه حاضر بالكامل في كل مكان، أنه حاضر في ذاته، لا في الأشياء التي لها إمكانية أعظم لحضوره، وآخرون إمكانية أقل[2].

القديس أغسطينوس

❖ من يؤمن بي يعمل الأعمال التي أعملها وأعظم منها (يو ١٤: ١٢). أين تظهر تلك الكلمة التي قالها: ليس التلميذ أعظم من سيده (مت ١٠: ٢٤)؟

كمثال قتل موسى فقط ثلاثة ملوك، أما يشوع فقتل ثلاثين (يش ١٢: ١-٢٤).

موسى ثابر في الصلاة وتوسل، لكنه لم يدخل (أرض الموعد)، أما يشوع فدخل واشترك في الميراث (تث ٢٤: ٤-٥).

هكذا كان صموئيل أعظم من عالي، ونال أليشع ضعفين من روح سيده بعد صعوده (٢

---

[1] *On the Gospel of St John, tractate 74, 2-3*
[2] *Letter 187·17.*

مل ٢: ٩-١٢). هكذا وهب الرب تلاميذه ضعفين من آياته[1].

- **القديس مار أفرام السرياني**

فقَالَ: صَعَّبْتَ السُؤَالَ.
فَإِنْ رَأَيْتَنِي أُوخَذُ مِنْكَ، يَكُونُ لَكَ كَذَلِكَ،
وَإِلاَّ فَلاَ يَكُونُ. [١٠]

شعر أليشع بصعوبة الخدمة الملقاة على عاتقه، فطلب نصيبين من روح أبيه الروحي. وشعر إيليا بصعوبة السؤال، لأنه ليس من حقه اختيار من يخلفه، بل من حق الله وحده.

جاءت إجابة إيليا: إن الأمر ليس في يدي، بل في يد إلهنا. إن وهبك أن تراني عند مفارقتي لك يكون ذلك لك. وكأنه يقول له: "لتكن لا إرادتي، بل إرادة أبينا الذي في السماوات!"

كان صعود إيليا النبي مخفيًا عن الأعين الجسدية، وذلك كما كانت الخيل والمركبات النارية مخفية عن عيني غلام أليشع في دوثان (١٧: ٦). وإذ رآه أليشع عرف إيليا النبي أن الله قد وهبه قوة النظر في الروحيات ليرى ويفهم ما لا يستطيع غيره أن يراه أو يفهمه. بهذه العلاقة أدرك إيليا النبي أن تلميذه قد تعيّن من قبل الله ليكون رئيسًا للأنبياء، ومتحدثًا في الأمور الإلهية مع الناس.

إذ رأى أليشع سيده منطلقًا في مركبة نارية نحو السماء، صار هذا المنظر مطبوعًا في قلبه وفي ذاكرته كل أيام حياته. به تقوّى إيمانه ليقول في وقت الشدة: "الذين معنا أكثر من الذين معهم" (١٦: ٦). ربما قبل هذا المنظر كان أليشع متكلاً على رجل الله إيليا، أما بعد رؤيته هذا المنظر صار الله يحتل كل فكره، ويملأ كل قلبه وكيانه الداخلي.

كان ظهور المركبة النارية التي تحمل إيليا لا يراها الإنسان بعينيه الجسديتين ما لم يفتح الرب عيني الإنسان بنعمته الإلهية. فجيحزي لم يرَ المركبات والخيل النارية التي تحيط بالجبل إلا بعد أن طلب أليشع من الله أن يفتح عينيه (٦: ١٧). هكذا أدرك إيليا أنه إن رأى أليشع المركبات يكون قد نال من الله قوة النظر في الروحيات، وأنه قد تعيَّن من الله ليكون خليفة له كرئيس للأنبياء.

يرى **القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم**[2] أنه لا يمكن للإنسان أن يتمتع بنعمة إلهية ما لم يكن مشتاقًا ومترقبًا ذلك. فما كان يمكن لأليشع أن ينال نعمة مضاعفة ما لم يترقب ليرى إيليا صاعدًا، ولهذا السبب وعد الرب تلاميذه بنوالهم قوة من الأعالي بحلول الروح عليهم دون أن يحدد لهم

---

[1] *Commentary on Tatian's Diatessaron, 19 8*
[2] *Homilies on Acts of Apostles, 1*

اليوم، حتى يترقبوا وينظروا.

❖ شطر النهرَ وعبر البهي مع تلميذه، وكشف له كلمته بمحبةٍ، وقال له:

الآن اطلب مني، ماذا أصنع لك قبل أن أصعد؟ اسأل، فأعطيك ما تشاءه مادمتُ معك.

سأل التلميذ محب الحياة والمملوء تطوبيات من مُعلِّمه كنزًا كاملاً بقلبٍ صالحٍ.

رأى أنه فتح له بابًا ليأخذ كما يشاء، ومثل حكيم سأل منه كنزًا عظيمًا.

نظر إلى معلمه الذي يقدر أن يعطي كل المطالب، فطلب وأكثر، لأنه وثق بأنه لن يردَّه.

قال له: سيدي، ليحل عليّ اثنان من روحك، وإذ بالغ قال: بالغتَ، دون أن يحرمه.

إن رأيتني عندما أفارقك سيكون لك هكذا، وإن لم تشاهدنّي لن يكون لك.

وضع الإرادة في يدي الرب، كما قال الابن للآب: لا تكن إرادتي بل إرادتك[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ الملائكة التي حملت إيليا إلى السماء، حرست أليشع على الأرض. أي عجب إن كانت الملائكة التي انطلقت بالسيد، تحمي التلميذ؟

يليق بنا أن نلاحظ أن الإكرام الذي أظهروه للآب أعلنوه أيضًا للابن، فإنه هو الابن الروحي لإيليا، وارث قداسته!

ما يبرر دعوة أليشع الابن الروحي لإيليا أنه وهو صاعد إلى السماء ترك إيليا نصيب اثنين من نعمته له. فعندما أُعطي لأليشع الحق أن يسأل ما يريده قبل أن يُؤخذ إيليا منه، سأل أن يكون له نصيبان من روح إيليا. عندئذ قال إيليا "صعَّبت السؤال، لكن سيتحقق ذلك لك".

يا له من ميراث ثمين حيث يكون الميراث المتروك أكثر مما يملكه، وأن الذي يرث ينال أكثر مما يملكه المُعطي!

واضح أنه ميراث ثمين حيث هو مضاعف كما بفائدة، أهل للتقدير عندما يتحول من الأب إلى الابن. ترك إيليا نصيبين لأليشع، مع أنه هو نفسه له نصيب واحد من القداسة. إنه بطريقة عجيبة ترك إيليا نعمة أعظم على الأرض عما حملها معه إلى السماء.[2]

الأب مكسيموس أسقف تورين

٨. الأرض الأم تودِّع إيليا

وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ،

---

[1] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٩٣-١٩٤.

[2] *Sermon 84.2*

إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا،
فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. [١١]

الطريقة التي بها تم عزل إيليا عن أليشع تُظهر قوة الله وسلطانه.

يرى بعض الآباء في المركبات النارية والخيول النارية أنها طغمات سماوية جاءت تحمل رجل الله الناري إلى السماء.

يرى **القديس أغسطينوس** أن إيليا سيأتي قبل يوم الدينونة، وأن اليهود سوف يؤمنون بالسيد المسيح من خلال كرازة إيليا لهم وتفسيره الكتاب المقدس[1].

إذ يُعِدّنا الله للّقاء معه وجهًا لوجه في السماء، ونتمتع بشركة الأمجاد الأبدية، يُقدِّم لنا في هذه الحياة التمتُّع بأمجاد مستمرة كعربونٍ لما سننال.

❖ عندما تنفتح عيناك ترى مركبة نارية مثل إيليا، تنتظرك لتحملك إلى السماء (٢ مل ٢: ١١)، فترنم بفرح: "انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين، الفخ انكسر، ونحن انفلتنا" (مز ١٢٤: ٧)[2].

❖ بالنسبة لنا نحن البشر الحياة سباق؛ نحن نصارع هنا، ونُكلَّل في موضع آخر. لا يمكن لإنسانٍ أن ينزع الخوف بينما الحيات والعقارب تهاجم سبيله من كل جانب. يقول الرب: "لأنه قد روى في السماوات سيفي" (إش ٣٤: ٥)، فهل تتوقع أن تجد سلامًا على الأرض؟ لا، لأن الأرض تنبت شوكًا وحسكًا فقط، وترابها هو طعام للحية (تك ٣: ١٤، ١٨). "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحمٍ، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢). نحن نطوَّق بجنود الأعداء من كل جانب. الجسد الضعيف، قريبًا يصير رمادًا، واحد مقابل كثيرين. إنه يحارب ضد خصومات رهيبة. لم يُحل (الجسد)، لم يأتِ بعد رئيس العالم، ولا يجد فيه خطية (يو ١٤: ٣٠)، إلى الآن لا تصغون إلى كلمات النبي وأنتم في أمان: "لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار..." (مز ٩١: ٥-٧).

عندما يضايقك جنود العدو، عندما يصير مزاجك مصابًا بحمى، وعندما تثور أهواؤك، عندما تقول: "ماذا أفعل؟" عندئذ تجيبك كلمات أليشع: "لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٦). إنه يصلي: "يا رب افتح عينيه فيبصر". وعندما تنفتح عيناك ترى مركبة نارية مثل مركبة إيليا تنتظرك لتحملك إلى السماء (٢ مل ٢: ١١). عندئذ تغنِّي بفرح:

---

[1] *City of God, Book 20, ch. 29.*
[2] ***Letter** 22:3.*

"انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين، الفخ انكسر، ونحن انفلتنا" (مز ١٢٤: ٧)[1].

القديس جيروم

❖ إنه النور الذي حمل إيليا في مركبة نارية، ومع ذلك إذ حملته لم تحرقه[2].

❖ إلهنا نار آكلة (عب ١٢: ٢٠)، نار تحرق الأشرار (تث ٤: ٢٤)... الروح الذي حمل إيليا في مركبة، وطلب منه أليشع الضعف، وداود قاده الروح الصالح السخي وقوّاه[3].

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ إذا كان هذا مكان صعود نفوسنا، كما في مثال إيليا، حيث تُخطَف عقولنا إلى أعلى في المركبة النارية (٢ مل ٢: ١١)، وترتفع إلى الجمال السماوي، نفهم أن المركبة النارية هي الروح القدس الذي أتى ليمنحها للساكنين على الأرض، على هيئة ألسنة قُسمتْ على التلاميذ، سوف لا نيأس من الاقتراب من النجوم، أي من البحث في الأمور المقدسة التي تضيء نفوسنا بكلمة الله السماوية الروحية[4].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ إذ يتكلمون ضد صعود المُخلِّص كأمرٍ مستحيل، فليذكروا كيف حمل ملاك حبقوق من شعر رأسه[5]، فبالأحرى جدًا يستطيع إله الملائكة والأنبياء أن يصعد على سحابة من جبل الزيتون بقوته الخاصة.

يمكنكم أن تتذكروا عجائب كهذه لكن لتعطَ المكانة الأولى لله صانع العجائب. فهؤلاء رُفعوا، أما هو فرافع كل الأشياء.

تذكروا أن أخنوخ نُقِلَ، أما يسوع فصعد.

تذكروا ما قيل بالأمس عن إيليا أنه أُصعد في مركبة نارية (٢ مل ٢: ١١)، أما مركبات المسيح فربوات ألوف (مز ٦٨: ١٧).

أخذ إيليا ناحية شرق الأردن، أما المسيح فصعد شرق وادي قدرون.

ذهب إيليا كما إلى السماء، أما المسيح ففي السماوات.

طلب إيليا أن يُعطَى لتلميذه الطوباوي نصيب مضاعف من الروح القدس، أما المسيح

---

[1] *Letter 22 to Eustochium، 3*
[2] *Oration 40 on Holy Baptism, 6.*
[3] *Oration 41 on Pentecost, 12*

[4] عظة ١٠ على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.
[5] جاء في حزقيال ٨: ٣ "ومد شبه يد وأخذني بناصية رأسي، ورفعني روح بين الأرض والسماء، فأتى بي في رؤى الله".

فمنح رسله نعمة الروح القدس هكذا حتى أنهم لم يأخذوه لأنفسهم وحدهم، بل وهبهم أن يمنحوا المؤمنين أن يشتركوا معهم فيه بوضع الأيدي![1]

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إذ ضبط إيليا شهوة الجسد، منع المطر عن الزناة... إذ لم تسيطر عليه نيران شهوة الجسد لذلك أطاعته النيران التي في الأعالي.

وإذ أخضع على الأرض شهوة الجسد ارتفع إلى حيث القداسة تقطن في سلام.

❖ اشتاق إيليا إليه (إلى السيد المسيح)، وإذ لم يره على الأرض، إذ تطهر بالإيمان بكل ما في الكلمة من معنى، صعد إلى السماء ليراه.

موسى وإيليا نظراه. صعد الوديع من الأعماق، ونزل الغيور من العلا، وفي الوسط شاهدا الابن. إنهما يرمزان لسرّ مجيئه.

موسى رمز للأموات، وإيليا رمز للأحياء الذين يطيرون ليلتقوا معه عند مجيئه.

الموتى الذين ذاقوا الموت يجعلهم في الأول، والبقية التي لم تُدفن يختطفون في النهاية ليلتقوا معه[2].

القديس مار أفرام السرياني

❖ إذ كان قلب (إيليا) في السماء، اعتاد طائر السماء أن يُحضر له مؤونة. وإذ أخذ شبه ملائكة السماء، كان الملائكة أنفسهم يحضرون له خبزًا وماءً. وإذ وضع كل أفكاره في السماء، أُصعد إلى السماء بمركبة نارية، وهناك أُعد له مكان إلى الأبد"[3].

القدِّيس أفراهاط

❖ إذ تنبأ إيليا النبي عن طهارتك، وإذ كان يحاولَ أن يتمثل بها بالروح، التف بإكليل الحياة النارية، فكوفئ بما هو أعظم من الموت بحكم إلهي[4].

الأب ميثوديوس

❖ الروح هو الذي حمل إيليا في مركبة، وطلب أليشع نصيبين منه[5].

❖ يقول البعض: "لكن إيليا يُرى بأنه لا يحتضن حبًا جسديًا"، ولهذا فإنه حُمل بمركبة إلى السماء.

---

[1] *Lecture 14: 25*
[2] *Hymns on Nativity, 1.*
[3] *Demonstration 6 on Monks 5.*
[4] *Methoduis. Oration Concerning Simeon and Anna, 9.*
[5] *On Pentecost, 13*

وظهر مُمَجَّدًا مع الرب (مت ٣: ١٧)، وسيأتي كسابقٍ لمجيء الرب (ملا ٥: ٤)[١]

❖ صالحة هي أجنحة الحب، الأجنحة الحقيقية التي ترفرف على أفواه الرسل؛ أجنحة النار التي تنطق الكلام النقي (مز ١٢: ٦).

على تلك الأجنحة طار أخنوخ حين اُختطِفَ إلى السماء (تك ٥: ٢٤).

وعلى هذه الأجنحة انطلق إيليا حينما صعد بالمركبة النارية والخيول النارية إلى الأماكن العلوية (٢ مل ٢: ١١).

على هذه الأجنحة قاد الرب الإله شعب الآباء البطاركة بعمودٍ من نار (خر ١٣: ٢١).

للسيرافيم هذه الأجنحة، فحينما أخذ ساروف جمرة النار من على المذبح، ولمس بها فم النبي، أزال آثامه، وطهر خطاياه (إش ٦: ٦-٧).

بنار هذه الأجنحة تطهَّرَ أبناء لاوي (ملا ٣: ٣)، وتعمدت قبائل الأمم كما يشهد يوحنا، حينما قال عن الرب يسوع: "سيعمدكم بالروح القدس ونار" (مت ٣: ١١؛ يو ١: ٣٣).

حقًا أراد داود لحقويه وقلبه أن تُحرَق (وتُصفَّى بالنار مز ٢٦: ٢)، إذ عرف أنه لا ينبغي أن يخشى أجنحة الحب النارية.

لم يشعر الفتية العبرانيون في أتون النار المتقدة (بحرارة) النار، والسبب معروف أن لهيب الحب أعطاهم برودة (دا ٣: ٥٠).

ولكي نعرف أكثر أن للحب الكامل أجنحة، اسمعوا المسيح يقول: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها؟" (مت ٢٣: ٣٧)[٢].

❖ (إيليا) وحده منحته السماء وهو على الأرض مركبة بخيل نارية، هكذا عاد من الأرض إلى السماء[٣].

القديس أمبروسيوس

❖ **اشتعال الروح، هو الذي يُشعل القلوب نارًا. فإن النار الإلهيّة غير الماديّة لها فاعليّة لإنارة النفوس وتمحيصها، كما يُمتحَن الذهب النقي بنار البوتقة. ولكن (النار الإلهيّة) تحرق كل شرّ مثل الأشواك والقيود، "لأن إلهنا نارًا آكلة" (عب ١٢: ٢٩) "معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله، في نار لهيب، وللذين لا يطيعون إنجيله" (٢ تس ١: ٨).**

هذه النار هي التي عملت في الرسل حينما تكلموا بألسنة ناريّة (أع ٢: ٢٥).

---

[1] *St. Ambrose: Concerning Virgins, book 1:3.12.*

[٢] إسحق أو النفس، ف ٧٧.

[3] *The Prayer of Job and the weakness of man. 1:1:1.*

هذه النار هي التي أحاطت ببولس؛ بالصوت الذي أنار عقله ولكنها أعمت بصره (أع ٩: ٣). فلم تكن رؤيته لقوة ذلك النور بدون الجسد.

هذه النار ظهرت لموسى في العليقة، وهذه النار، في شكل مركبة هي التي اختطفت إيليا من الأرض (٢ مل ٢: ١١).

وداود المبارك كان يطلب فاعليّة هذه النار حينما قال: "امتحني يا رب، جرّبني، محّص كليتيَّ وقلبي" (مز ٢٦: ٢)[1].

القديس مقاريوس الكبير

يستخدم **القديس إيرينيؤس** في حواره ضد الهراطقة الذين ينكرون قيامة الجسد قصة صعود إيليا إلى السماء كنبوة عن قيامة الجسد.

❖ أُختطف إيليا أيضا وهو بعد في الشكل الطبيعي معلنًا بالنبوة عن صعود الروحيين، وأنه لن يقف شيء ما كعائق أمام أجسادهم التي ستنتقل وتصعد. فإنه بذات الأيدي التي بها قد تشكلوا في البداية يتقبلون الانتقال والصعود[2].

القديس إيرينيؤس

❖ أخنوخ وإيليا اللذان لم يواجها حتى الموت... انتقلا من هذا العالم، ولهذا السبب عينه فهما مُعينان للحياة الأبدية. لأي إيمان هذان الحدثان (انتقالهما) يشهدان سوى إلى مستقبلنا وقيامتنا التامة؟

لنستعر كلمات الرسول، إنهما كانا مثالين لنا (١ كو ١٠: ٦).

كُتب عنهما لكي ما نؤمن أن الرب أكثر قوة من كل النواميس الطبيعية الخاصة بالجسد[3].

❖ أخنوخ انتقل دون شك (تك ٥: ٢٤؛ عب ١١: ٥)، وأيضًا إيليا (٢ مل ٢: ١١)، فلم يختبرا الموت. إنه تأجّل بكل تأكيد. إنهما محفوظان لآلام الموت، حتى بدمهما يُحطِّمان ضد المسيح (رؤ ١١: ٣)[4].

العلامة ترتليان

❖ مرة أخرى، وُهب الزواج من أجل تكاثر الجنس البشري.

بعد ذلك إيليا راكب المركبة التي تنفث نارًا، والمقيم في السماء ألم يحتضن البتولية؟ ألم

---

[1] العظة الخامسة والعشرون، ٩.

[2] *Irenaeus against Heresies, 5 5 1.*
[3] *On the Resurrection of the Flesh, 58.*
[4] *A Treatise on the Soul, ch 50*

تكن له فضيلة تُعلن عن صعوده الفائق؟ من الذي أغلق السماء؟ من الذي أقام ميتًا؟ من شق الأردن؟ (٢ مل ٢: ١٤)؟ أليس إيليا البتول؟

أليس أليشع تلميذه بعدما أخذ البرهان عن مساواته في الفضيلة طلب أن يرث نصيب ضعفين؟

ماذا عن الثلاثة فتية؟ أليس بممارستهم البتولية صاروا أقوى من النار، وأجسامهم خلال البتولية صارت مقاومة للنار؟

أليس جسم دانيال تشدد هكذا بالبتولية حتى لم تستطع أسنان الوحوش المفترسة أن تتمكن منه (دا ٣: ٢٠)؟ أليس عندما أراد الله من الإسرائيليين أن يروه، أمرهم بتطهير الجسم (خر ١٩: ١٥؛ عد ٦: ٢)؟ أليس الكهنة كانوا يتطهرون حتى يقتربوا من مقدس الهيكل ويقدموا ذبائح؟ ألم يدعُ الناموس الطهارة نذرًا عظيمًا؟[1]

الأب يوحنا الدمشقي

❖ شهي أنت أيها الصوم، طوبى لمن انتصر بك، فبك توجد كل الأسرار وكل الأنماط...

بك جمل إيليا وتنقى، واقتنى جناحين، وطار وصعد إلى موضع لا يدخله الموت (٢ مل ٢: ١١).

القديس مار يعقوب السروجي

يقدم لنا **القديس مار يعقوب السروجي** حديثًا رائعًا على لسان الأرض توجهه لابنها إيليا، الذي ولدته، لكنه صار محصيًا بين السمائيين. شعرت أنها لا تستحق أن يسير عليها ابنها، فقد عاش طاهرًا، بينما امتلأت كل أرجائها بالفساد.

❖ امضِ أيها السفلي الذي اختلط بالعلويين، وأُحصي معهم، ربيتك فكبرت، بك أفتخر لأني ولدتك.

امضِ أيها الجميل، وكن لي عربونًا بين الملائكة، وادخل كقربان بكر أمام العظمة.

لتتذكرني جموع العلي بسببك (فتقول): الأرض ربَّت هذه الثمرة، وأرسلتها إلى موضعنا.

هذا **العنقود من تلك الجفنة التي خرَّبها** آدم، وقد جمع الحلاوة من بين الأشواك لنستعذبها.

هذه السنبلة تسلقت من ذلك الحقل الملعون، وسمنت هكذا بين الزوان ولم تُضر.

امضِ أيها **القديس**، الذي لم أكن استحق خطواتك، بسبب الزنا الفاسد الذي يُمارَس كل يوم.

---

[1] *Exposition of the Orthodox Faith, ch.24*

امضِ بسلام، لأن **أختي السماء اشتهت جمالك، وخطفتك مني، لأنها تستحق جميع الجميلين (الأبرار).**

امضِ، لأنك أذهلتني بتصرفاتك وقضاياك وعِشرتك الروحية التي كنت اعتبرها بهية.

امضِ بسلامٍ، **لأنني حزينة لأنك تركتني، وأنا أفتخر بهذه الثمرة التي تربت عندي**[١].

القديس مار يعقوب السروجي

٩. أليشع يبكي على فراق إيليا

وَكَانَ أليشع يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ:

يَا أَبِي يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا!

وَلَمْ يرَهُ بَعْدُ.

فَأَمْسَكَ ثِيَابَهُ، ومَزَّقَهَا قِطْعَتَيْنِ. [١٢]

دعاه أليشع "**مركبة إسرائيل وفرسانها**"، لأن الرب يستخدمه ليرشد الشعب، ويُحذِّرهم من خطط الأعداء، ويهبهم النصرة.

جاءت كلمة "**مركبة**" في الأصل بصيغة الجمع "مركبات"، لا ليركب مجموعة من المركبات، إنما لترحب به السماء ويتهلل به السمائيون. هذا معناه أن إيليا كان يُعتبَر أعظم سلاح يكشف عن قوة الله في ذلك الحين، في الدفاع عن إسرائيل.

لم يعد يرى إيليا بعد. حدث لإيليا ما حدث مع موسى النبي؛ حيث اختفى، ولم يعرف أحد قبره حتى اليوم (تث ٣٤: ٦).

❖ رأى التلميذ أنهم فصلوا مُعَلِّمه من عن يمينه، فصرخ بأصوات مملوءة بالألم، لأنه انفصل عنه.

بكى الوارث، ورافق أباه الروحي، وحُرِم الوارث من العِشرة المملوءة فوائد.

صرخ الابن الحكيم وهو يولول: يا أبي، يا أبي، ومزَّق ثوبه، لأن الأب الروحي انفصل عنه.

دعاه مركبات وفرسان كل الشعب، لأن به انتصر إسرائيل في كل المعارك.

أخذ المعطف، وقَبِلَ الوارث الصالح روحَه، وحُرِم من مُعلِّمه الذي ركب الأعالي ورُفع[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[١] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٩٦.

[٢] ميمر ١١٥ على القديس مار إيليا النبي وعلى صعوده إلى السماء (راجع نص الاب بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

راجع الخوري بولس الفغالي: يعقوب السروجي، عظات حول النبي إيليا، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ١٩٥.

❖ **احتمل إيليا الجوع والخيانة ومخاوف الموت، وأتعابًا مُرّة. ومع ذلك فهو وحده توجَّه من الأرض إلى السماء بمركبة نارية بخيل نارية...**

لقد أخفى أي استحقاقٍ له لنوال هذه الخدمة، وقدَّم النعمة الممنوحة للقائد المقدس فوق كل اعتبارٍ إنساني[1].

❖ تقول النفس: "لقد جَعَلَتْني كمركبات عميناداب" (نش ٦: ١٢ *LXX*). (عميناداب = عمي كريم، أو قوم شريف، أو أمير شعبي، أو مركب أميري).

النفس هي مركبة تحمل سيدها الصالح، لها خيول صالحة أو رديئة. الخيول الصالحة هي فضائل النفس، والرديئة هي الشهوات الجسدية، لهذا يكبح السيد الصالح الخيول الرديئة، ويسحبها إلى خلف بينما يحث الصالحة (للتقدُّم إلى الأمام).

الخيول الصالحة أربعة: التعقل والاعتدال والثبات والعدل.

والخيول الرديئة هي الغضب والشهوة والخوف والظلم.

أحيانًا تكون هذه الخيول في تعارُض مع بعضها البعض، كأن يتهيّج الغضب أو الخوف، فيعوق أحدهما الآخر ويبطئ الاثنان في تقدمهما. أما الخيول الصالحة فتنطلق طائرة، ترتفع عن الأرض إلى أماكن علوية؛ فترتفع النفس خصوصًا إن كان لها النير الحلو والحمل الخفيف للقائل: "احملوا نيري عليكم، لأن نيري حلو، وحملي خفيف" (مت ١١: ٢٩-٣٠).

إنه السيد الذي يعرف كيف يسوس خيوله، فيحافظ الكل على نفس الخطوة (ليسير الكل في انسجام). فإن كان التعقل سريعًا جدًا، والعدل بطيئًا جدًا يحث الأكثر تكاسلاً بسوطه. وإن كان الاعتدال لطيفًا جدًا والثبات حادًا جدًا، يعرف كيف يوحِّد غير المنسجمين حتى لا يفقدان تقدمهما.

حسنًا قيل: "قد جَعَلَتْني كمركبات عميناداب"، وهو اسم معناه "أب شعب"، وأب الشعب هو أيضًا أبو نحشون (عد ١: ٧؛ ٢: ٣)، معناه "من الحية أو الثعبان". تذكروا الآن من عُلِّق على الصليب كحية لخلاص كل البشر (يو ٣: ١٤، عد ٢١: ٩)، فستتذكرون التي لها الله حاميها والمسيح قائدها هي في سلام؛ لأن تلك اللفظة "قائد" وردت في كتابنا المقدس: "يا أبي، يا أبي، قائد (مركبة) إسرائيل" (٢ مل ٢: ١٢)[2].

القديس أمبروسيوس

مع كل ما بلغه أليشع من نضوج روحي، وما ناله من بركات، لم يحتمل في ضعفٍ فراق

---

[1] *The Prayer of Job and David, 1: 1.*

[2] النفس أو اسحق، ٧٥.

إيليا، فأمسك بثيابه، ومزقها قطعتين علامة حزنه الشديد على فراقه، فإنه سيُحرَم من إيليا مُعلِّمه، لكنه أمسك برداء إيليا، وشعر أن إله إيليا لن يفارقه.

أدرك أليشع ما تحمله نفس إيليا من قداسة، وأيضًا جسده الذي تأهل أن يركب مركبة نارية تصعد به إلي السماء، وآمن أنه حتى رداء إيليا يحمل قوة بها يشق نهر الأردن. هكذا يُقدِّس الله نفوس أولاده وأجسادهم وثيابهم حتى ظلهم كما نرى في سفر الأعمال، حيث كانت الخرق التي كانت على جسد الرسول بولس المريض وظل الرسول بطرس، تصنع آيات وعجائب. إنه عمل الله الذي يُقدِّس كل ما لمؤمنيه!

كان إيليا النبي بالنسبة لإسرائيل كمركبات وفرسان، بل وأفضل منها، لأنه به كان الرب يرشد شعبه ويحذرهم ويهبهم النصرة.

يقدم لنا **القديس أثناسيوس الرسولي** مقارنة بين إصعاد إيليا إلى السماء وصعود السيد المسيح إلى السماء.

❖ كانت الملائكة تظهر في كل حين: عندما ولد، وعندما قام، وعندما صعد إلي السماوات. إذ يقول الكتاب: "إذا رجلان قد وقفا بهما بلباس أبيض"، ولبسهما هذا يعلن عن فرحهما. وقد قالا للتلاميذ: "أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلي السماء. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلي السماء..." (أع ١: ١٠-١١)"

ركِّزْ انتباهك معي! لماذا قالا هكذا للتلاميذ؟! ألم يرَ التلاميذ ما هو حادث أمامهم؟ ألم يقل الإنجيلي: "هذا ارتفع وهم ينظرون"، فلماذا وقف الملاكان بهما وأخبراهما عن صعوده إلي السماء؟!...

السبب الأول: لأن التلاميذ بدأوا يحزنون، لأن المسيح سيتركهم... "ليس أحد منكم يسألني أين تمضي، لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم" (يو ١٦: ٥-٦)... لأجل هذا وقف الملاكِ بمن حزنوا عند الصعود ، مُذكِّرًا إياهم بأنه سيأتي أيضًا مرة أخري. "إن يسوع هذا الذي ارتفَع عنكم إلي السماء سيأتي كما رأيتموه منطلقًا إلي السماء". كأنه يقول لهم: أنتم تحزنون، لأنه صعد. لا تحزنوا بعد، فإنه سيعود. وقد قال لهم ذلك حتى لا يفعلوا ما فعله أليشع مُمزقًا ثيابه عندما رأى سيده يصعد إلي السماء (٢ مل ٢: ١٢). لأنه لم يقف به أحد يقول له بأن إيليا سيعود مرة أخرى. وحتى لا يفعلوا هذا وقف بهما الملاكان وعزياهم، ونزعا عنهم الحزن الذي ملأ قلوبهم. هذا هو سبب ظهور الملاكين.

وأما **السبب الثاني:** فهو ليس بأقل من الأول، إذ أضافا قائلين: "يسوع هذا الذي ارتفع عنكم" لماذا؟ لقد ارتفع إلي السماء. والمسافة بينهم وبين السماء شاسعة، تعجز قدرة أبصارهم

عن أن ترى جسدًا يرتفع إليها... لهذا فإن الملاكين وقفا بهم وأوضحا لهم حقيقة الصعود إلي السماء، حتى لا يظنوا أنه أُخذ إلي فوق حيث يوجد إيليا، بل بالحق صعد إلي السماوات. ولهذا السبب قيل لهم: "هذا الذي ارتفع عنكم إلي السماء". فلم يضف هذا القول بغير سببٍ. لكن **إيليا أخذ إلي فوق كما إلي السماء، لأنه خادم، أما يسوع، فقد صعد إلي السماء (حيث العرش الإلهي) إذ هو الرب**. واحد صعد في مركبة، والآخر في سحابة. عندما دُعي العبد أُرسلت إليه مركبة، أما الابن فإذ له العرش الإلهي وليس أي عرش بل عرش أبيه، وقد جاء في إشعياء: "هوذا الرب راكب على سحابة" (إش ١٩: ١)... وإذ صعد إيليا سقط عنه رداؤه لأليشع (٢ مل ٢: ١٣). وإذ صعد يسوع أرسل النعم لتلاميذه لهم جميعًا، وليس لنبيٍ. يوجد كثيرون من هم مثل أليشع، بل ومن هم أكثر من أليشع مجدًا.

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ لنقم أيها الإخوة المحبوبون، ولنرفع أعين نفوسنا تجاه ذاك الذي سيعود، إذ يقول لنا بولس: "لأن الرب نفسه بهتافٍ، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله ينزل من السماء... ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١ تس ٤: ١٦).

ولُكن ليس الكل (يتمتع بهذا)، بل بعضنا يصعد إلى السماوات وآخرون يبقون... اسمعوا ماذا يقول المسيح؟ "اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة، وتُترَك الأخرى" (مت ٢٤: ٤١)... فهل نحن أيضًا نصعد؟!...

وعندما أقول "**نحن**" أحسب نفسي لستُ (مستحقًا) أن أكون بين الذين يصعدون. لأنني لست هكذا بلا إحساس أو فهم حتى أتجاهل خطاياي. وإذ أخشى أن أتلف فرح هذا العيد المقدس، لهذا فإنني أبكي بدموعٍ مُرةٍ عندما استرجع في ذهني هذه الكلمات وأتذكر خطاياي.

وإذ لا أريد أن أنزع فرح هذا العيد، فإنني أنهي عظتي تاركًا فرح هذا العيد يشع في أذهانكم دون أن يُحتجَب، فلا يبتهج الغني كثيرًا بغناه، ولا يتضايق الفقير بسبب فقره، بل يصنع كل إنسانٍ عمله أيا كان حسبما يمليه عليه ضميره.

لأن الإنسان السعيد ليس هو الغني، ولا الفقير إنسان بائس، بل بالأحرى مُطوَّب، ومثلث التطوبيات، ذاك الذي يكون مستحقًا أن يصعد على السحاب ولو كان أفقر الجميع.

وهو بالحق بائس ومثلث البؤس، ذاك الذي يُحسَب مع المفقودين، ولو كان أغنى من جميع الناس[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *In Ascensione PG 50.*

١٠. رداء إيليا

وَرَفَعَ رِدَاءَ إِيلِيَّا الَّذِي سَقَطَ عَنْهُ،
وَرَجَعَ وَوَقَفَ عَلَى شَاطِئِ الأُرْدُنِّ. [١٣]

سبق أن أخذ رداء إيليا يوم دعاه للخدمة (١ مل ١٩: ١٩)، ثم ردَّه إليه، لأن لم يكن قد حان الوقت لكي يخلفه.

سقوط الرداء يشير إلى عبور الروح والقوة من إيليا إلى أليشع. هكذا اجتاز رداء المسيح إلى الكنيسة بعد أن صعد إلى السماء. ففي يوم الخمسين حلَّ الروح القدس على الكنيسة، معطيًا معنى حقيقيًا للكلمات التي تكلم بها المسيح لتلاميذه: "من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا، ويعمل أعظم منها، لأني ماضٍ إلى أبي" (يو ١٤: ١٢).

يرى **القديس جيروم** في سقوط الثوب الجلدي من إيليا عند إصعاده إلى السماء صورة حيَّة للمؤمن الذي يريد أن يرتفع قلبه إلى السماء، أن يخلع عنه شهوات الجسد، فكما ارتدى آدم بعد سقوطه القميص الجلدي يريدنا عدو الخير - الحيَّة القديمة - أن نرتدي الشهوات المميتة.

❖ عندما صعد إيليا في مركبة نارية إلى السماء ترك رداءه الذي من جلد الغنم على الأرض... مادمنا مشغولين بأمور العالم، مادامت نفوسنا مُقيَّدة بممتلكات وإيرادات مالية لن نقدر أن نُفكِّر بحرية في الله... الآن فإن إلقاء المال جانبًا هو للمبتدئين في الطريق وليس للذين صاروا كاملين... أما أن يقدم الإنسان نفسه لله فهذه علامة المسيحيين والرسل. هؤلاء يشبهون الأرملة التي ألقت من أعوازها فلسيْها في الخزانة. وبتقديم كل ما لديهم للرب، يُحسَبون أهلاً لسماع كلماته: "تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (مت ١٩: ٢٨)[١].

❖ ألا يليق بنا أن نبكي ونتنهد عندما تدعونا الحيَّة كما سبق أن دعت أبوينا الأولين، أن نأكل من الثمرة الممنوعة. وبعدما طُردنا من فردوس البتولية تريد أن تُلبسنا رداءً من الجلد، ذلك الذي تركه إيليا خلفه على الأرض عند عودته إلى الفردوس. قل لنفسك: ماذا أفعل بملذات الحواس التي سرعان ما تنتهي؟ ماذا أفعل بأغنية السيرانة *Sirens*[٢] العذبة والخطيرة جدًا على من يسمعها؟[٣]

---

[1] *St Jerome. Letters, 71: 3.*

[٢] أحد الكائنات الأسطورية التي كانت عند الإغريق، لها رؤوس نساء وأجساد طيور، كانت تُسحر للملاحين بأغانيها فتسبب في هلاكهم.

[3] *Letter 22:18.*

❖ هذا هو السبب لماذا يجد الأغنياء صعوبة في ملكوت السماوات. لأنه ملكوت يتطلب من مواطنيه نفسًا تُحلِّق في الأعالي، متحررة من كل الأربطة والمعوقات. يقول الرب: "اذهب وبع"، ليس جزءًا مما لك، بل "كل مالك، وأعط الفقراء"، وليس أصدقاءك أو أقاربك أو أنسباءك...

عندما تضع يدك على المحراث لا تنظر إلى الوراء (لو ٩: ٦٢).

عندما تقف على السطح، لا تفكر في ثيابك التي في البيت، لكي تهرب من يد سيدتك المصرية (تك ٣٩:١٢).

اُترك ثوب هذا العالم. حتى إيليا في انتقاله السريع إلى السماء لم يستطع أن يأخذ معه ثوبه، بل ترك في العالم ثياب العالم[1].

القديس جيروم

❖ ترك إيليا ثوبه (من جلد الغنم) لتلميذه، أما ابن الله إذ صعد ترك لنا جسده!

بالحقيقة طرح ثوبه قبل أن يرتفع، أما المسيح فتركه لنا من أجلنا، واسترده عند صعوده.

ليتنا لا نطرح نحن (ثوبه). ليتنا لا نحزن ولا نخاف من صعوبة الأزمنة؛ فإن ذاك الذي لم يرفض أن يُسفك دمه من أجل الجميع، وسمح لنا أن نشترك في جسده ودمه مرة أخرى، ماذا يرفض أن يفعله من أجل أماننا؟![2]

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَأَخَذَ رِدَاءَ إِيلِيَّا الَّذِي سَقَطَ عَنْهُ،
وَضَرَبَ الْمَاءَ وَقَالَ:
أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِيلِيَّا؟
ثُمَّ ضَرَبَ الْمَاءَ أَيْضًا،
فَانْفَلَقَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ،
فَعَبَرَ أَلِيشَعُ. [١٤]

يترجم البعض هذه العبارة بأن ضرب الماء كان مرة واحدة فقط وليس مرتين. غير أن البعض يرون أن أليشع ضرب الماء برداء إيليا ولم يحدث شيء، لكنه إذ قال: "أين هو الرب إله إيليا؟!" ثم ضرب النهر مرة أخرى بالرداء انفلق إلى هنا وهناك. حدث هذا ليؤكد الرب لأليشع أن القوة ليست في الرداء نفسه، وإنما في رب إيليا.

[1] *Letters, to Juloan 118, Commentary on John 2: 143.*
[2] *Orthodox Study Bible.*

يلذ للكتاب المقدس، كلمة الله، أن يُنسَب الله لأتقيائه سواء على مستوى الجماعة أو الأشخاص، حتى يشتهي كل مؤمنٍ أن يُنسَب الله إليه، كما يُنسَب لإخوته، وإلى كل الكنيسة.

لم يكن ثوب إيليا إلا رمزًا لقوة الله التي التحف بها النبي. هذا الثوب بالنسبة لإيليا يعادل عصا موسى وهرون (خر ٤: ١-٩؛ ٧: ٩).

❖ لقد سُجِّل عن الله أنه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب (خر ٣: ٦). إنه بالحقيقة يريد أن النور يُنسَب لا لأحد إلا للبشر، إذ يُقال: "الحياة هي نور الناس" (يو ١: ٤). على هذا القياس قد يُظَن أنه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب؛ إنه ليس إله إلا لهؤلاء الآباء الثلاثة وحدهم. لكنه هو أيضًا على الأقل "إله إيليا" (٢ مل ٢: ١٤). وكما تقول يهوديت: "إله أبي شمعون" (يهوديت ٩: ٢)، وهو إله العبرانيين (خر ٣: ١٨؛ ٥: ٣).

على هذا القياس إن كان هذا لا يمنعه من أن يكون إله آخرين، فإنه ليس شيء يمنع نور الناس أن يكون نور خلائق أخرى بجانب البشر.

العلامة أوريجينوس

❖ عاش إيليا في البرية وكذا يوحنا (المعمدان). كانت الغربان تعول الأول، أما الثاني ففي البرية داس كل إغراء للملاهي، وأحب الفقر، وأبغض الترف.

لم يسعَ الواحد لكسب رضاء أخآب الملك، وازدرى الثاني برضاء هيرودس الملك.

رداء الأول شق مياه الأردن (٢ مل ٢: ١٤)، والثاني جعل هذه المياه مغسلاً يهب خلاصًا.

الأول يظهر مع الرب في المجد، والثاني يحيا مع الرب على الأرض.

الأول يسبق مجيء الرب الثاني، والثاني يسبق مجيء الرب الأول.

الأول أسقط الأمطار على أرض جفت لمدة ثلاث سنوات، والثاني غسل تراب أجسادنا في مياه الإيمان خلال ثلاث سنوات.

تسألونني: ما هي هذه السنوات الثلاث؟ فأجيبكم بما قيل "هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمرًا في هذه التينة ولم أجد" (لو ١٣: ٧)...

السنة الأولى هي عهد الآباء حيث بلغ الحصاد مدى لم يتحقق بعد ذلك، والسنة الثانية هي عهد موسى والأنبياء، ثم السنة الثالثة لمجيء إلهنا ومخلصنا "ليكرز بسنة الرب المقبولة" (لو ٤: ١٩)[1].

القديس أمبروسيوس

---

[1] *In luc 1: 7.*

١١. موقف بني الأنبياء

وَلَمَّا رَآهُ بَنُو الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي أَرِيحَا قُبَالَتَهُ، قَالُوا:
قَدِ اسْتَقَرَّتْ رُوحُ إِيلِيَّا عَلَى أَلِيشَعَ.
فَجَاءُوا لِلِقَائِهِ، وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ. [١٥]

أظهر أبناء الأنبياء التكريم اللائق في حضور أليشع النبي القديس، كرمزٍ التتابع الرسولي.

حُرِمَ أليشع من حضرة سيده إيليا النبي بالجسد، لكنه كان مُحاطًا بقوة الله العاملة فيه. لقد ورث رداء إيليا الذي به شقّ نهر الأردن، فوثق بنو الأنبياء أنه قد احتل مكانه.

لم يرَ الأنبياء الذي كانوا من أريحا المركبة والخيول النارية، لكنهم رأوا أن إيليا اختفى، ورجع أليشع وانشق النهر، فأدركوا أن قوة إيليا وسلطانه استقرا عليه، فقَبَلُوه.رئيسًا عليهم.

سجد بنو الأنبياء لأليشع، ليس سجود العبادة، إنما سجود التكريم وقبول الإرادة الإلهية التي أقامته نبيًا يخلف أباه إيليا النبي.

❖ كان أليشع يحمل شخصين: إيليا من فوق، وأليشع من تحت[١].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **العلامة أوريجينوس** أنه من الضروري توضيح أن الحديث هنا عن تمتع أليشع بنصيب روحين من إيليا، وأيضًا ما ورد في إنجيل لوقا عن يوحنا المعمدان أنه يتقدم أمام الرب بروح إيليا وقوته (لو ١: ١٧). لا يعني أن نفس *soul*إيليا هي بعينها في يوحنا. فإن الكتاب يُميِّز بين النفس *soul* والروح *spirit*، كما جاء في ١ تس ٥: ٣٤ "وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام، ولتحفظ **روحكم ونفسكم** وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح". وأيضًا ما جاء في تسبحة الثلاثة فتية (دا ٣: ٨٦) "باركوا الرب يا **أرواح ونفوس الصديقين**". [لذلك لم يُدع إيليا يوحنا، بسبب النفس *soul*، بل من أجل الروح والقوة، الأمر لا يتعارض قط مع تعليم الكنيسة[٢].]

وَقَالُوا لَهُ: هُوَذَا مَعَ عَبِيدِكَ خَمْسُونَ رَجُلاً ذَوُو بَأْسٍ،
فَدَعْهُمْ يَذْهَبُونَ وَيُفَتِّشُونَ عَلَى سَيِّدِكَ،
لِئَلاَّ يَكُونَ قَدْ حَمَلَهُ رُوحُ الرَّبِّ،
وَطَرَحَهُ عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ أَوْ فِي أَحَدِ الأَوْدِيَةِ.
فَقَالَ: لاَ تُرْسِلُوا. [١٦]

قالوا "**حمله روح الرب**"، إذ كان من عادة إيليا النبي أن يختفي ويظهر فجأة.

---

[1] *St John Chrysostom: Concerning the Statues, Hom 2 25*
[2] *Origen Comm. On Matth 13 2*

مع أن بني الأنبياء في أريحا قالوا لأليشع "أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك؟" (٢: ٥) فقد تمتعوا بإعلان إلهي عن إصعاد إيليا، غير أنهمْ اختاروا خمسين رجلاً ذوي بأس ينطلقون في الوديان وعلى رؤوس الجبال يبحثون عنه، لئلا يكون الرب قد أخذه وطرحه في موضعٍ ما.

❖ من جهة إيليا ذهبوا يبحثون عنه في الجبال (٢ مل ٢:١٦)،

وإذ لم يجدوه على الأرض، أكد لهم بحثهم هذا صعوده.

بحثهم حمل لهم شهادة عن صعوده، إذ لم يجدوه!...

هكذا أيضًا وضعهم حراسًا على القبر يدينهم مؤكدًا قيامتك![١]

القديس مار أفرام السرياني

فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ حَتَّى خَجِلَ،

وَقَالَ: أَرْسِلُوا.

فَأَرْسَلُوا خَمْسِينَ رَجُلاً،

فَفَتَّشُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَلَمْ يَجِدُوهُ. [١٧]

لماذا خجل أليشع النبي من إلحاح الرجال عليه؟

لقد عرف أن الله أعلن لهم عن إصعاده، وشهدوا بهذا قدامه، وكانوا يريدون الحوار معه قبل حدث الصعود، والآن قد صعد ورأى بنفسه ذلك، غير أنه إذ يكره الحوار الباطل خجل، فاستسلم لطلبهم حتى يلمسوا بأنفسهم أمر صعود إيليا.

❖ من هم هؤلاء بنو الأنبياء الذين التقوا بأليشع، وأخبروه بأن سيده سيُرفَع من رأسه، ومع هذا عندما صعد إلى السماء في مركبة نارية صمَّموا أن يرسلوا خمسين من ذوى البأس يبحثون عنه في الجبال ولم يجدوه؟

بنو الأنبياء هم اليهود الذين استلموا الشريعة، وتمتعوا بظهور الأنبياء.

لقد عرفوا خلال النبوات عن المسيح السماوي الذي ينزل إلينا ويصعد إلى سماواته.

إنهم يطلبون المسيا، لكن حسب فكرهم المادي، بحثوا عنه خلال رجال ذوى بأس، وليس بالروح القدس، لذا فشلوا في الالتقاء به.

إنهم لم يجدوه! لقد جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله، لأنه لم يأتِ حسب هواهم، فحُرموا من حضرته!

---

[١] من تسابيح الميلاد، للتسبحة الثامنة.

❖ عندما انطلق إيليا من الأرض إلى الله قديمًا سبَّب حزنًا لشعب إسرائيل، لكن أليشع عزاهم عن الخسارة، إذ التحف برداء سيده[1].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِ وَهُوَ مَاكِثٌ فِي أَرِيحَا،
قَالَ لَهُمْ: أَمَا قُلْتُ لَكُمْ لاَ تَذْهَبُوا؟ [١٨]

١٢. المياه المجدبة تصير مياهًا عذبة

بعد شق نهر الأردن برداء إيليا الذي به أعلن الله أن أليشع مُحاط بسحابة من الشهود من بينهم مُعلِّمه إيليا سمح له بتحويل المياه المجدبة إلى مياه عذبة.

إلى هذا اليوم يُظَن أن المياه التي برئت هي التي تخرج من عين السلطان الحالية، وهي عذبة.

وَقَالَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ لأَلِيشَعَ:
هُوَذَا مَوْقِعُ الْمَدِينَةِ حَسَنٌ كَمَا يَرَى سَيِّدِي،
وَأَمَّا الْمِيَاهُ فَرَدِيئَةٌ، وَالأَرْضُ مُجْدِبَةٌ. [١٩]

موقع المدينة الجغرافي ممتاز والأرض خصبة، لكن المياه مجدبة تفسد الأرض، عوض أن ترويها لتصلح للزراعة. ما هذه المدينة إلا شعب الله كجماعة وكأعضاء. فقد خلق الله الإنسان صالحًا ليقيم من أعماقه جنة مقدسة له، يفرح بها، ويدعو السمائيين خدامه وأصدقاءه ليتمتعوا بثمار الروح المُفرحة. وكما جاء في سفر النشيد: "ليدخل حبيبي إلى جنته، ويأكل شهدي مع طيبي..."، "أيها الأصحاب كلوا واشربوا."

ماذا يعني بالمياه المُرَّة؟ إن كانت المياه تشير إلى الناموس وشرائعه، فقد أفسد الحرفيون معناه ورسالته، فصار مُرًّا؛ ليس من ينزع عنه هذه المرارة سوى السيد المسيح الملح القدوس، إذ يرفعنا من الحرف إلى الروح.

كتب **القديس جيروم** رسالة وجهها إلى أوستوخيوم يعزيها في والدتها باولا Paula حيث عرض فيها زيارتها للأراضي المقدسة من بينها أريحا، فقال: لقد رأت أيضا ينبوع الشريعة المُر للغاية وعقيم، وقد شفاه أليشع الحقيقي بحكمته، محولاً إياه إلى بئر عذب واهب الخصوبة[2].

❖ تحدث الأنبياء عنه وهم مندهشون (وقالوا): حلّ عليه روح مُعلِّمه وفاض.

---

[1] *St. Gregory of Nyssa : Funeral Oration on Meletius.*
[2] *St. Jerome· Letters, 108.1.*

طلبوا منه أن يشفي – كما من طبيبٍ روحي – الأرض المريضة (الفاسدة) والمقفرة التي كانت مجدبة.

شاهدوا فيه قوة، فسألوه أن يشفي الماء الرديء، ويفرح على كل البلد بخبرته.

كانوا يقولون له: القرية وموقعها جميلان جدًا، والمياه رديئة، والأرض مقفرة وتضايقنا.

قال لهم: أحضروا لي جرّة جديدة وفيها الملح، وصنعوا هذا كما قال.

أخذها وخرج إلى الينبوع، وألقى الملح في المياه الرديئة، وأصلحها لأنها كانت مريضة (فاسدة)[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ: ائْتُونِي بِصَحْنٍ جَدِيدٍ،
وَضَعُوا فِيهِ مِلْحًا.
فَأَتَوهُ بِهِ. [٢٠]

صحن *Tselochith* تُرجمت أحيانًا صحن (٢ مل ٢١: ١٣)، مقلاة (٢ أي ٣٥: ١٣)، صفحة (أم ١٩: ٢٤؛ ٢٦: ٢٥). يُفترض أنها صحن معدني مفلطح[2].

❖ يُرش ملح الأنبياء العذب اليوم بين الأمم.

لنقتنِ مذاقًا جديدًا الذي به يفقد الشعب القديم نكهته.

لننطق بكلام الحكمة، لا بأمورٍ خارجًا عنها، لئلا نصير نحن أنفسنا خارجًا عن الحكمة[3].

القدّيس مار أفرام السرياني

فَخَرَجَ إِلَى نَبْعِ الْمَاءِ، وَطَرَحَ فِيهِ الْمِلْحَ،
وَقَالَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ أَبْرَأْتُ هَذِهِ الْمِيَاهَ.
لاَ يَكُونُ فِيهَا أَيْضًا مَوْتٌ وَلاَ جَدْبٌ. [٢١]

لم تكن قوة الشفاء في الصحن الجديد، ولا في الملح، لكن في قول الرب وكلمته العاملة في المؤمن كصحنٍ جديدٍ، قد تمتع بالحياة الجديدة المُقامة مع المسيح يسوع. فإنه إذ يقبل المؤمن الربَ عاملاً فيه، يصير كقول الرب ملحًا للأرض، ينزع الفساد منه. سرّ عذوبة هذه المياه الرديئة هو اسم الرب، أما أليشع فمجرد أداة في يد الرب.

---

[1] الميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٢٥.

[2] *CF. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 327.*

[3] *Hymn on the Nativity, 1.*

شفى الرب مياه أريحا بالملح، هكذا جدَّد كلمة الله المتجسد الخليقة.

يقول **الأب ميثوديوس** بأن ما فعله أليشع هنا يشير إلى عمل السيد المسيح. فالصحن الجديد الذي يحوى ملحًا شافيًا للمياه القاتلة من الموت، يظهر للعالم أنه يتجدد بسرّ ظهوره. فإنه قدَّم طعامًا بلا خميرٍ، كرمزٍ لميلاده بدون الدنس بزرع بشرٍ، نازعًا من الطعام مرارة الموت. أما إلقاء العناصر الطبيعية في الأردن، فيظهر مُقدِّمًا نزول ربنا إلى الجحيم، وإنقاذ الذين دب فيهم الفساد[١].

❖ هنا سرّ الابن: شفى المياه الرديئة، وأصلح ذلك الينبوع عندما تفقَّده.

ما أن عبر النبي النهر حتى التقى بالسرّ الذي تجلى، ووقف كنيِّرٍ لمن يتطلع إليه.

وبما أن السرّ تجلَّى جدًا، فقد اتضح بأنه لم يقم هو **بالشفاء**، لكنه كان رمزًا للحقائق.

القرية الحسنة الموقع هي الخليقة كلها، التي كانت جميلة قبل تجاوُز الوصية.

المياه الرديئة هي الخطيئة التي تسلطتْ على البشر، سكبت الموتَ على كل الجنس البشري، وبها أصبح مقفرًا.

تقيأت الحية الكبيرة السم في رأس النبع، ففسد كل نهر الناس، وولّد الموتَ.

ولما كانت الخليقة بطبيعتها مملوءة جمالاً، فقد أفسدتها الخطيئة لتصير بغيضة ومقفرة.

التجاوز عن الوصية أدخل الموتَ، وجعل الأرض مقفرة، بكدر (ثفالة) الخمر التي مزجتها الحية في أذن حواء[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

فَبَرِئَتِ الْمِيَاهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ،
حَسَبَ قَوْلِ أَلِيشَعَ الَّذِي نَطَقَ بِهِ. [٢٢]

رسالة كل نبي حقيقي وخادم للكلمة هي تحويل النفوس التي أجدبها روح العالم، المياه المُرَّة، لتصير فردوسًا روحيًا للرب. يتحقق هذا بإلقاء الملح فيها خلال صحنٍ جديدٍ. ما هو هذا الصحن الجديد إلا خبرة الحياة المُقامَة. وكما يقول الكتاب: "هوذا الكل قد صار جديدًا". أما الملح فهو عمل الروح القدس فينا، إذ يجعلنا ملحًا للعالم.

يليق بالمؤمن الحامل الروح أن يكون كالملح، بلمسات حبه الخفيفة يُملِّح الآخرين، كما يفعل الملح بالطعام فلا يفسد. ويليق به ألا يضع أنفه في حياة الآخرين، فيكون كمن يسكب كمية

---

[1] *Methodius. Oration Concerning Simeon and Anna, 9.*

[٢] الميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٢٦.

ضخمة من الملح على الطعام فيفسده. لنعمل، ولكن بلمسات هادئة خفيفة وفعالة، فلا نكون محبين للاستطلاع أو إلزام الآخرين بأفكارنا ومفاهيمنا.

❖ يبدو أن ذاك الينبوع المُر يعني آدم، الذي نبع منه الجنس البشري. قبل مجيء أليشع الحقيقي، أي ربنا ومخلصنا، إذ بقي الجنس البشري بلا ثمر ومُر خلال خطية الإنسان الأول.

مع أن الإناء الجديد الذي ألقي فيه ملح يمثل الرسل، لكنه بلياقة نقبل أن فيه سرّ تجسد الرب.

الآن وُضع الملح فيه، أي الحكمة، إذ نقرأ: "ليكن كلامكم مُصلَّحًا بملحٍ" (كو ٤: ٦).

علاوة على هذا، حيث أن المسيح ليس فقط "قوة الله"، بل وأيضًا "حكمة الله" (١ كو ٢٤: ١)، فإن جسد المسيح يشبه إناءً جديدًا مملوءًا من الحكمة الإلهية عندما صار الكلمة جسدًا. لذلك أُلقى الإناء الجديد بالملح في المياه المُرَّة بواسطة أليشع، وتحولتْ إلى العذوبة والأثمار. هكذا الإناء الجديد، أي الكلمة المتجسد أرسله الله الآب ليرد الجنس البشري من ينبوع مياه مُرَّة إلى مياه حلوة، ويقوده إلى الحب الطاهر عوض العادات الشريرة والعقم في الأعمال الصالحة، ويرده إلى الإثمار بالعدل.

حقًا يا إخوة ألا يبدو لكم أن الإناء الجديد المملوء من ملح الحكمة الإلهية قد وُضِعَ في المياه عندما نزل المسيح الرب إلى النهر ليعتمد؟ عندئذ تحولّتْ كل المياه إلى العذوبة وتقدَّست بهذا الإناء الجديد، أي جسد المسيح.

نتيجة لذلك ليس فقط صارت المياه غير عقيمة، بل أنتجت نعمة المعمودية في كل العالم مسيحيين بلا عدد كثمرٍ متزايدٍ، ومحصولٍ وفيرٍ للغاية[1].

❖ أُشير إلى المياه لتعني الشعب في سفر الرؤيا: "المياه التي رأيت هي شعوب وأمم" (رؤ ١٥: ١٧). علاوة على ذلك، واضح جدًا أن الإناء الذي به الملح الذي وُضع في الماء يمثل الرسل كما أشار ربنا في الإنجيل عندما قال: "أنتم ملح الأرض" (مت ١٣: ٥). لذلك بنعمته جعل رسلاً جددًا من الإنسان العتيق، وملأهم من ملح تعاليمه وحكمته الإلهية، وأرسلهم إلى كل العالم كما إلى ينبوع الجنس البشري، لينزع عنه عدم إثماره ومرارته.

أخيرًا، فإنه منذ ذاك الوقت الذي فيه قدَّم ملح الحكمة الإلهية للقلوب البشرية أُنتزعت كل مرارة في العلاقات أو عدم إثمار في الأعمال الصالحة[2].

❖ نحن أيضًا أيها الإخوة المحبوبون قد تقبّلنا دون أي استحقاق صالح سابق أعمالاً صالحة عظيمة

[1] *Sermon 126: 2.*
[2] *Sermon 126· 3.*

من الرب خلال نعمته السخية، واستحققنا أن نتحول من المرارة إلى العذوبة، ودعينا من عدم الإثمار إلى الإثمار في الأعمال الصالحة[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ انظروا مدى عظمة استحقاقات أليشع! في إقامته الأولى في مدينة أبنائه جاء بثمرٍ كثيرٍ. فبنزع عقم المياه جعل كثيرين ينتفعون.

بتحقيق هذا لم يُطهِّر أليشع إنسانًا واحدًا، ولا قدَّم شفاءً لأسرة واحدة، بل قدَّم شفاءً لأهل المدينة كلها. لو أنه تأخر في فعل ذلك لصارت المدينة غير آهلة للسكان تمامًا... لقد قام بتطهير الناس حين طهَّر المياه. وبمباركة نبع المياه قدَّم فائدة للنبع، كما لو كانت للنفوس...

إذ يقول الرسول الطوباوي بولس إن هذه الأشياء حدثت معهم كرمزٍ (١ كو ١٠: ٦)، دعونا نرى المعنى الحقيقي لهذا الرمز، أي أن تلك المدينة التي كانت تعاني من الجدب، وما يعنيه الصحن، وأيضًا الذي طُرح ليهب صحة.

نقرأ في نفس الرسول أن هذا قيل عن الكنيسة "افرحي أيتها العاقر التي لم تلد. اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخض" (غل ٤: ٢٧؛ إش ٥٤: ١). إذن الكنيسة هي المدينة المجدبة، لأن حال المياه كانت رديئة قبل مجيء المسيح، أي بسبب دنس شعوب الأمم، ولم تكن قادرة أن تحبل بأبناء لله بسبب عقمها. لكن عندما جاء المسيح وأخذ جسدًا بشريًا مثل صحن من الطين، أصلح رداءة المياه، بمعنى أنه نزع دنس الشعب، وللحال صارت الكنيسة التي كانت عاقرًا مثمرة[2].

الأب مكسيموس أسقف تورين

❖ لقد رأت (والدتك باولا *Paula*) أن ينبوع الناموس مُرّ للغاية وعقيم، هذا الذي شفاه يشوع الحقيقي بحكمته، محولاً إيَّاه إلى بئر عذبة ومُخصبة[3].

القديس جيروم

❖ ألقى الملح في إناءٍ جديدٍ ليصوِّر هناك الولادة الكاملة في حضن البتول الطاهرة.

صوَّر البتولَ بالجرة الجديدة التي لم تدنُ منها الوصمة نهائيًا...

بالملح مثّل الابن الوحيد، لأنه هو الذي يملح كل تفاهة الطعام بطعمه المميز.

بالوعاء الجديد صوّر جسد الشابة الطاهر، وبالملح صوّر الابن الذي يملح الأذواق

---

[1] *Sermon 126: 5.*
[2] *Sermon 84:3-4.*
[3] *Letter 108 To Eustochium, 12.*

التافهة.

نزل الملح إلى المياه الرديئة فشفاها، وهذا يعني أن الابن شفى بميلاده جنس آدم.

كانت القرية الحسنة كلها مريضة (فاسدة)، ومُعذَّبة، إلى أن افتقدها الملح وشفاها.

هكذا كانت كل الخليقة الجميلة مملوءة موتًا، حتى أشرق الابن من مريم، وشفى الأحياء.

لو لم تسكب الجرة الجديدة الملحَ على نبع المياه المريضة لما شُفيت.

ولو لم تلد البتول ابن الله، لما قام الجنس البشري من سقطته.

مزج الملحَ في شرابِ المياه ليشرب كل واحدٍ، كما مزج الله الابن بالبشر، فأحيا الكل.

هلم وشاهد الملح تشربه المياه الرديئة، ويأكل الموتى ابنَ الله فيحيون.

المياه بالملح، والشعوب بالجسد اقتنوا العافية، وعاشت الأرض كأريحا التي كانت مريضة...

ألقى أليشع الملح بسرّ الابن، وأزال اللعنة، وشفى المياه التي كانت مريضة.

وأظهر كيف يأتي ابن الله إلى العالم، وبه تُرفَع لعنة الأرض فيشفيها.

نقض أليشع قصاص يشوع بن نون (يش ٦: ٢٦)، وأزال اللعنة من النبع بالملح الذي ألقاه.

وصوَّر المسيحَ الذي أبطل حكم الآب، وبصليبه رفع لعنة الأرض، وبه شُفيت.

الآب في البداية لعن الأرض بسبب آدم، ويشوع بن نون لعن أريحا عندما استأصلها.

بذلك الملح زالت اللعنة من أريحا، وبأليشع بطل منها الموت الذي حلّ بها.

هناك صُورت صورة عظمى لابن الله، لأنه يبطّل اللعنة، ويمنع الموت عن الإنسانية[1].

القديس مار يعقوب السروجي

١٣. لعن الصبيان المقاومين للحق

ثُمَّ صَعِدَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَيْتِ إِيلَ.

وَفِيمَا هُوَ صَاعِدٌ فِي الطَّرِيقِ،

إِذَا بِصِبْيَانٍ صِغَارٍ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ،

وَسَخِرُوا مِنْهُ،

وَقَالُوا لَهُ: اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! [٢٣]

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٢٨-٢٩.

كانت بيت إيل هي البلدة التي وُجد فيها عجل يربعام. وهناك أيضًا أقام بعض بني الأنبياء الذين اعتبروا إيليا سيدًا لهم ومُعلِّمًا. من ثم كان هناك صراع ديني عنيف.

كان أليشع يغطي رأسه كعادة الشرق الأوسط في ذلك الحين. فعبارة "يا أقرع، يا أقرع" لم تكن سخرية أطفال، بل إهانة لرئيس بني الأنبياء في بيت إيل، وهي إهانة مباشرة لله. ولابدَّ أنها كانت بإيعاز من آبائهم الذين على وجه الخصوص جَنُوا العقاب الذي وقع على الصبيان.

في الهند تعبير "أصلع الرأس" لا يشير إلى عدم وجود شعر في الرأس، إنما غالبًا ما يستخدم عن أناس لهم غنى وفير.

كان العبرانيون يقدّرون الرأس الجميلة المملوءة بالشعر، ويستنكرون تمامًا الصلعة (إش ١٥: ٢) ، يستخدم تعبير "أصلع" للسخرية والاحتقار، يعني إنسانًا وضيعًا وتافهًا.

إن فهمنا عبارة "رجل اشعر" إن شعر إيليا كان طويلاً ومرخيًا، فعلى العكس كانت قرعة أليشع غير عادية.

❖ يبدو أن وقاحة الأولاد كانت ثمرة تعليم والديهم، الذين كانوا أثمة يحملون عداوة لإيليا ولتلاميذه. ويمكننا القول إنهم كانوا قد أُرسلوا من سادتهم ليرددوا ما قد تعلّموه.

الكلمة التي نطق بها أليشع لتلاميذ إيليا أعلنوها للمواطنين زملائهم (في بيت إيل)، وذلك بخصوص صعود سيدهم، وقد أحزنت شعب بيت إيل بطريقة صعبة. لهذا أظن أن هؤلاء الأطفال لم يشيروا فقط إلى صلعته، إنما صبُّوا له شتائم لتشويه سمعته، حتى لا يصدق أحد كلامه، إن ردد في بيت إيل ما قد أقنع به كثيرين في أريحا[1].

القديس أفرآم السرياني

فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ،
وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ.
فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ،
وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا. [٢٤]

بعد أن تمتع أليشع النبي بقوة الله الفائقة التي تجلت في أول عمل له بعد صعود سيده، حيث ضرب نهر الأردن برداء إيليا، وحوّل المياه المجدبة إلى مياه عذبة بالملح الذي في الصحن الجديد، خرج صبيان المدينة، غالبًا ما كانوا شبابًا، يسخرون منه. لم يكن تصرف الفتيان هنا نوعًا من التسلية يمارسها بعض الأطفال أو الصبيان عن سذاجة، لكنهم كانوا شبانًا تحركوا لمقاومة عمل الله.

---

[1] *On the Second Book of kings, 2 20*

يبدو أن عددهم كان كبيرا، إذ قيل: "كان من بينهم اثنين وأربعين ولدًا". خرجوا بخطة واضحة يسخرون بكلمات لها معناها.

من هم هؤلاء الصبيان الصغار؟

١. يرى البعض أن بيت إيل كمركزٍ رئيسيٍ لعبادة العجل، لم يكن البعض يقبــل دخــول رجل الله إلى المدينة[1]. كان ذلك ربما خطة قد أعدها عدو الخير إبليس خلال كهنة البعل والعاملين لحساب الوثنية. فما حلَّ بالصبيان كان لتأديب عائلاتهم المقاومين للحق الإلهي.

٢. يرى آخرون أنهم تلاميذ لمُعلِّم كرَّس حياته للتعليم ضد التقوى والحياة الصالحة[2].

يتساءل البعض: **لماذا يسمح الله بافتراس اثنين وأربعين صبيًا بسبب كلمات سخرية نطقوا بها ضد أليشع النبي؟"**

أولاً: كانوا شبابًا مثل جماعات الـ gangs، غالبًا ما كانت سخريتهم هادفة نحو تحطيم الإيمان بالله الحيّ، وربما كانوا يجتذبون أعدادًا كبيرة من الشباب حولهم. لذا كانت حياة أليشع النبي في خطر لكثرة عددهم وطبيعة إثمهم وعدم احترامهم الواضح للسلطة.

ثانيًا: أراد الله بما حدث أن يتغلغل الخوف في قلوب أية عصابة أخرى مثل هذه، فلو لم يخف هؤلاء الصبيان من سخريتهم برجل الله أليشع، لصاروا خطرًا يهدد حياة جميع رجال الله.

ثالثًا: يرى البعض في قولهم لأليشع: "اصعد يا اقرع"، مكررين ذلك أنهم يسخرون مما أعلنه للشعب عن صعود مُعلِّمه إيليا. وكأنهم يقولون: "إن كان إيليا ذو الشعر الطويل قد صعد في مركبة نارية إلى السماء، فما الذي يمنع من صعودك يا أيها الأقرع؟"

أيضًا كان ذلك نوعًا من التسخيف لإيليا الصاعد في مركبة نارية نحو السماء، فقد بقي الأشرار يقاومونه حتى بعد صعوده. لم تكن السخرية موجهة ضد أليشع شخصيًا، وإنما كانت ضد رسالته النبوية والعمل الإلهي خلاله وخلال مُعلِّمه إيليا.

ما فعله هؤلاء الصبيان كان يُمثِّل خطة خطيرة قام بها أهل بيت إيل، فقد سمعوا كيف كرَّمه بنو الأنبياء في أريحا عندما رأوه قد شق نهر الأردن بقوة الله خلال رداء إيليا، وأصلح مياه النبع بطريقة فائقة لحساب كل أهل المدينة. بهذا بدأت أريحا تشهد لصعود إيليا رجل الله. فلكي يُحطِّموا هذه الكرازة قبل وصول أليشع إلى بيت إيل أرسلوا هؤلاء الصبيان، لتحطيم نفسيته، ولكي لا يصغِ أحد من بيت إيل إلى كلماته بخصوص صعود إيليا بمركبة نارية.

استخدم الأب يوحنا الدمشقي هذا الحدث كمثال لضرورة تكريم أناس الله.

---

[1] *Barnese Notes*

[2] *Adam Clarke's Commentary*

❖ **أول شيء، الأماكن التي يستريح فيها الله القدوّس وحده في أماكن مقدّسة هي الثيؤتوكس والقدّيسون. هؤلاء الذين يتشبهون بالله قدر المستطاع، حيث اختاروا أن يتعاونوا مع الاختيار الإلهي. لذلك يسكن الله فيهم. فإنّه حقًا يدعوهم آلهة، ليس بالطبيعة ولكن بالتبنّي، مثلما ندعو قضيب الحديد الساخن مشتعلاً، ليس بطبيعته، ولكن لأنّه اشترك في العمل مع النار.**

إنه يقول: "تكونون قدّيسين، لأنّي قدّوس الرب إلهكم" (لا ١٩: ٢) هذا أولاً، وبعد ذلك اختيار الخير، فبمجرّد أن نختار الخير، يساعد الله الذين اختاروا الخير أن يزدادوا في الخير، لأنّه يقول: "وأسير بينكم" (لا ٢٦: ١٢). نحن هياكل الله، وروح الله ساكن فينا (١ كو ٣: ١٦) "وأعطاهم سلطانًا على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرضٍ وكل ضعفٍ" (مت١٠: ١). وأيضًا: "من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا، ويعمل أعظم منها" (يو ١٤: ١٢). **"يقول الرب حاشا لي؛ فإني أكرم الذين يكرّمونني" (١ صم ٢: ٣٠) و"إن كنّا نتألّم معه، لكي نتمجّد أيضًا معه" (رو ٨: ١٧) "الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي" (مز ٨٢: ١).**

لذلك حيث أنّهم آلهة، ليس بالطبيعة، ولكن لأنّهم شاركوا الطبيعة الإلهيّة، فيجب أن يُبجّلوا، ليس لأنّهم يستحقّونه، ولكن لأنّهم يحملون في داخلهم ذاك الذي هو معبود بالطبيعة.

نحن لا نبتعد عن الحديد المشتعل ونرفض أن نلمسه بسبب طبيعته، لكن لأنّه اشترك مع ما هو ساخن بالطبيعة.

والقدّيسون يُبجلون، لأن الله مجّدهم. ومن خلاله أصبحوا مخوفين للأعداء، ومفيدين للإيمان.

هم ليسوا آلهة بطبيعتهم، ولكن لأنّهم كانوا خدّامًا محبّين لله، لذلك نُبجّلهم، لأن الملك يتكرم من خلال التكريم المُقدَّم لخدّامه المحبوبين. هم خدّام طائعون، وأصدقاء مُقرّبون، ولكنّهم ليسوا الملك نفسه.

عندما يصلّي المرء بإيمان مُقدّمًا دعواه باسم صديق مُفضّل، فإن الملك يقبل الدعوة من خلال الخادم الأمين، **لأنّه يقبل التكريم الذي أعطي لخادمه.** لذلك هؤلاء الذين يتقدّمون إلى الله من خلال الرسول يستمتّعون بالشفاء، لأن ظل الرسل أو مناديلهم ومناشفهم التي تلمسهم مملوءة من الدواء.

هؤلاء الذين يرغبون في عبادتهم مثل الله ممقوتون، ويستحقّون النار الأبديّة.

أما الذين بسبب عجرفتهم يرفضون أن يكرّموا خدّام الله، فسوف يُحكم عليهم على عجرفتهم وإظهارهم عدم التكريم لله. الأطفال الذين أساءوا إلى أليشع هم مَثَل لذلك، لأن الدببة

افترستهم (٢ مل ٢: ٢٣)[1].

القدّيس يوحنا الدمشقي

رابعًا: دفع هؤلاء الشبان حياتهم الزمنية ثمنًا للفساد والرجاسات التي عاشوا فيها، ولم يقبلوا توبيخات إيليا النبي وتلميذه أليشع النبي.

خامسًا: لم يستدعِ النبي الدبتين، إنما ترك الأمر في يدي الله، الذي أرسل الدبتين من الغابة. لقد لعنهم بالرب، أي لعنهم بذاك الذين يقاومونه ويسيئون إليه. لم يطلب النقمة لنفسه، ولم يسأل شيئًا لتأديبهم، لكن الله هو الذي أرسل الدبتين من الوعر لتشهدا لخطورة مقاومة الحق الإلهي فافترستاهم.

لم يرد في الكتاب المقدس أن أليشع صلَّى لكي يُعاقَبوا بمثل هذا العقاب. كان هذا عقاب الله لدينونة هذه العصابة الغير تقية[2].

سادسًا: سمح الله بذلك لأن السخرية برجال الله أمر شائع في كل العصور، خاصة بين الأجيال الناشئة، فأراد الله تقديم درسٍ للأجيال كلها.

ما فعلوه ليس بالإهانة صغيرة، لأن هؤلاء الصبيان سخروا بنبي الله. وبما أن النبي يُمثِّل فم الله بالنسبة للشعب، لأنه يكلمهم بكلام الله، يكون خطأ هؤلاء الصبيان في نبي الله موجَّه أيـضًا إلى الله في شخص هذا النبي.

سابعًا: يرى **العلامة ترتليان**[3] أن الله سمح بافتراس هؤلاء الصبية الساخرين بالنبي ليؤكد أنه ليس لديه محاباة، فكما يهلك الغرباء الوثنيون المقاومون للحق هكذا يؤدب شعبه حتى وإن كانوا صبيانًا صغارًا متى أصرُّوا على الشر.

ثامنًا: يربط بعض الآباء مثل **القديس أغسطينوس ومار يعقوب السروجي** هذا الحدث بصلب رب المجد يسوع، حيث سخر به الصالبون، قائلين: "أصلبه! أصلبه!" يقدمون لنا تبريرًا لخروج الدُبتين اللتين افترستا الصبيان الساخرين بأليشع. إذ يرون في أليشع رمزًا للطبيب الذي يشفي مياه الطبيعة البشرية التي حلّ بها الفساد، فإن **الصبيان يشيرون إلى جماعة الصالبين الذين سخروا بعمل الفداء.**

لقد جحد الصالبون السيد المسيح الذي جال يصنع معهم خيرًا. صاروا أشبه بصبيان غير متعقلين، يسلكون بجهالة، ويدفعون بأنفسهم تحت نير اللعنة. هذا هو حال رؤساء الكهنة والكهنة

---

[1] عن الصور المقدسة، الدفاع الثاني، ٣٣.

[2] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill.: Victor Books. Geisler، N L.، & Howe، T. A. (1992).*

[3] *Tertullian: Against Marcion, 2: 14.*

والكتبة والفريسيين الذين سخروا بالسيد المسيح أثناء محاكمته، وظنوا أنهم قادرون أن يتشفوا فيه، إذ فضح رياءهم، عوض تقديمهم الشكر بمجيئه، والكرازة به، والشهادة لتحقيق النبوات.

❖ تذكروا الإنجيل (مت ٢٧: ٣٣) حيث صلبوه في موضع الجلجثة. أضف إلى ذلك، أولئك الذين سخروا بصليبه، افترستهم الشياطين الذين هم أشبه بالوحوش. فإن هذا أيضًا ما عناه سفر آخر، عندما كان أليشع النبي صاعدًا خرج إليه صبيان صغار وسخروا به، "اصعد يا أقرع! اصعد يا أقرع!"

أما هو فليس في شيء من القسوة، إنما خلال السرّ جعل هؤلاء الصبيان تفترسهم دبتان خارجتان من الغابة. لو أن هؤلاء الصبيان لم يُفترَسوا، هل كانوا سيعيشون حتى الآن؟...

ليته لا يسخر أحد بصليب المسيح. لقد سيطرت الشياطين على اليهود وافترستهم، فإنه في موضع الجلجثة صرخوا بأسلوب صبياني، غير مدركين ما يقولونه: "اصعد يا أقرع!" فإنه ماذا يعني "اصعد"، سوى "اصلبه، اصلبه" (لو ٢٣: ٢١).

فإن الطفولة توُضع أمامنا لكي نقتدي بالتواضع، كما توضع أمامنا لكي نحذر من الغباوة[1].

القديس أغسطينوس

تاسعًا: يرى بعض المفسرين، أن كلمة "أقرع" ربما تشير إلى المصابين بالبرص، إذ كانوا يحلقون رؤوسهم. وهذا يعني أن هؤلاء الصبيان كانوا ينظرون إلى أليشع باعتباره رجل نجس، منبوذ ومكروه كالبرص[2].

يرى **مار يعقوب السروجي** وراء الصبيان إبليس عدو الخير الذي يحرك الخاضعين له ككلاب تنبح ضد المُخلِّص، وتسخر به. لم يكن ممكنًا لإبليس أن يقف صامتًا، وهو يرى الطبيب السماوي يشفي الطبيعة البشرية، ويرد لها صحتها وجمالها.

عاشرًا: كان يليق بالكل أن يُقدّموا **ذبيحة شكر لله** على تحويل المياه المُرَّة إلى مياه عذبة، والأرض الجدباء إلى أرض مثمرة، لكن عوض الشكر والتسبيح لله، قدَّموا استخفافًا بالله، واستهزاءً بنبيّه أليشع، فما حلّ بالصبيان هو ثمر طبيعي لروح السخرية بالله وبأعماله، وبالعاملين معه!

❖ في الوقت الذي كان فيه الطوباوي أليشع في اليهودية، لم يُكرم هو وغيره من الأنبياء بواسطة غالبية الشعب، بل وكانوا موضوع سخرية وإهانات، حاسبين إياهم مجانين يمتلكهم الشيطان.

---

[1] *On ps 47 (46).*

[2] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill.: Victor Books. Geisler، N. L.، & Howe، T. A. (1992).*

حقًا حدث في ذلك الوقت عندما أرسل أليشع أحد أبناء الأنبياء ليمسح ياهو ملكًا، قال القواد الذين كانوا جالسين مع ياهو: "لماذا جاء هذا المجنون إليك؟" (٢ مل ١١: ٩)...

فعل الصبيان ذلك بتحريض من والديهم، فإنه واضح أنه ما كان لهؤلاء الصبية أن يصرخوا هكذا لو أن هذا لا يُسر والديهم. لذلك حزن أليشع الطوباوي من أجل هلاك الشعب، أو بالحري أراد الروح القدس خلال أليشع أن يوقف كبرياء اليهود، فجعل دبّتين تأتيان وتُمزّقان الاثنين وأربعين صبيًا. سبب ذلك الفعل هو أنه عندما يُضرب الصبيان يتأدب الكبار، ويكون موت الأولاد درسًا للآباء. لعلهم يتعلمون على الأقل الخوف من النبي هذا الذي رفضوا أن يحبوه عندما صنع معجزات. على أي الأحوال تمادى اليهود في شرورهم... فتحقق فيهم المكتوب: "لباطلٍ ضربت بنيكم، لم تقبلوا تأديبًا" (راجع إر ٣٠: ٢)[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ افتقد الله حتى شعبه عند جحودهم (بتأديبهم عد ١١، ٢١). أيضًا أرسل دُبّتين ضد الصبيان لاستخفافهم بالنبي[2].

العلامة ترتليان

يرى **القديس جيروم** أن الاثنين وأربعين صبيًا هم الاثنان وأربعون عامًا من صعود السيد المسيح إلى بيت إيل (السماء) إلى مجيء الدبتين فاسبسيان وتيطس وحرق الهيكل[3].

❖ الآن بحسب الحرف أيها الأعزاء المحبوبون يليق بنا أن نؤمن أن الطوباوي أليشع كان مدفوعًا بغيرة إلهية ليصلح الشعب أكثر منه أنه بدافع الغضب عندما سمح بتمزيق الصبيان اليهود، لم يكن غرضه الانتقام بل الإصلاح، بالحقيقة أيضًا حمل بوضوح هذا رمزًا لآلام ربنا ومخلصنا.

كما صرخ الأولاد غير المُهذّبين نحو الطوباوي أليشع قائلين: "اصعد يا أقرع؛ اصعد يا أقرع!"، هكذا أيضًا في أيام الآلام كان اليهود مختلي العقل يصرخون بكلمات شريرة نحو المسيح، أليشع الحقيقي: "اصلبه! اصلبه! ماذا تعني: "اصعد يا أقرع!" سوى "اصعد على الصليب ناحية الجلجثة". لاحظوا يا إخوة أنه في أيام أليشع قُتِلَ اثنان وأربعون صبيًا، هكذا بعد ٤٢ عامًا من آلام ربنا جاء دُبّان: فاسبسيان وتيطس وحاصرا أورشليم.

لاحظوا أيضًا يا إخوة أن حصار أورشليم تم في أثناء الاحتفال بالفصح. هكذا بحُكْم الله العادل نالوا العقاب المستحق في نفس الأيام التي فيها عُلِق أليشع الحقيقي، ربنا ومخلصنا، على

---

[1] *Sermon 127: 1.*
[2] *Tertullian against Marcion, Book 2, ch. 14.*
[3] *Hom. 17 on Ps. 84 (85).*

الصليب... نقرأ في التاريخ أن ثلاثة ملايين يهودي اجتمعوا في أورشليم؛ ومليون ومائة ألف منهم قتلوا بالسيف أو الجوع، ومنهم ألف شاب اُقتيدوا إلى روما. في نصرة (للعدو) حُوصرت المدينة سنتين، وعدد كبير من الموتى أُلقوا خارج المدينة حتى صارت أجسادهم مرتفعة في علو الأسوار. هذا الخراب سبق فرُمز له بالدُبتين اللتين مَزّقتا الاثنين وأربعين صبيًا الساخرين بالطوباوي أليشع. فتحقق ما قاله النبي: "يفسدها الخنزير من الوعر، ويرعاها وحش البرية" (مز ١٤: ٧٩)، لأنه كما أشرنا بعد الاثنين وأربعين علمًا تقبلت الأمة الشريرة ما تستحقه من الدُبّين فاسيبسيان وتيطس[١].

الأب قيصريوس أسقف أرل

❖ أجل، في الحقيقة هو تلميذ ذاك الجميل (إيليا)، وجماله يصدر من أفعاله حيثما سار.

صنع نصرًا بالمياه الرديئة التي شفاها، ووهب الصحة للأرض المريضة والقفرة.

بنبوته وضع حدًّا للموت وأبعده، وبعد أن ظهر جبروته خرج ليذهب.

شرع يسلك طريقه وهو يصعد إلى بيت إيل، فالتقاه هازئون تجاسروا عليه بالإهانة.

صبيان ملعونون أبناء تربية المياه الرديئة، سخروا بالطبيب الذي افتقدهم مجانًا.

ماذا كان يشبه سوى ربنا الذي احتقره اليهود بعد أن شفى مرضاهم؟

أولئك مَن كانوا يشبهون إلا هؤلاء الذين عاينوا قوات ربنا، وعادوا وشتموه وأثموا؟

أعني أولئك كانوا الصالبين سريًا، لأنه هو أيضًا كان يحمل سرّ ابن الله.

بعد أن شفى المياه الرديئة، سُخِرَ منه، مثل المسيح الذي كان يُهان بعد صنع القوات.

منع الموتَ، وعاد أبناء العبرانيين يجازونه شرًا، لأنهم يفترون على كل الحسنات.

ضمد جرحًا عظيمًا وشفاه ولم يأخذ أجرة، ولم يكفهم هذا، بل جازوه إهانة وشتمًا.

افتقد المياه وأعطى العافية للينبوع، وإذ قام الطبيب الصالح ليغادر، زوّدوه بالإهانة.

أبناء العبرانيين أعطوه الإهانة أجرة رجليه (سلوكه)، لأنهم يكافئون الأطباء دائمًا بالشر.

لم يطالبهم أن يعطوه شيئًا عندما شفاهم، وكان يرافقه أبناء الثعابين بالشتائم[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن أليشع النبي لم يطلب النقمة، ولا كان مغلوبًا من

---

[1] *Sermon 127· 2.*

[٢] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٣١-٣٢.

الغضب، لكنه كان يطلب تنقية البشرية من روح السخرية. يشبه هذا التصرُّف ما فعله فينحاس من أجل غيرته على تقديس هيكل الرب. ما فعله فينحاس في مظهره قتلٌ اللذين كانا يستخفّان بقدسية الهيكل، لكن في نية فينحاس كان ذلك صلاة وتطهيرًا من الزنا والفساد والاستخفاف بمقادس العليّ.

علة تعثرنا بمثل هذه التصرفات الصادرة عن رجال الله عدم إدراكنا لمفاهيمهم الروحية، وعدم معرفتنا ما في قلوبهم وأفكارهم. فما يفعله رجال الله لا يدركه الجسدانيون والنفسانيون، لأنهم لا يتمتعون بالشركة مع الله مثل الروحيين، الذين لا يفعلون شيئًا إلا خلال اتحادهم بالقدوس.

❖ حين تسمع بأنه لعن الصبيان، لا تظن بأن غضبه غلبه، واستعد لينتقم من الهزء.

فالشجرة صالحة كلها، ولم تصنع ثمارًا رديئة، لأن كل ثمارها حسنة.

الرجل الموجود فيه حياة الموتى والنبوة، لم يصنع سوءًا بالغضب كما نقول.

لو لم يقصد أن يفيد لما لعنهم، لما سلَّم الصبيان إلى الدُبتَين بسبب إهانته...

ألا تنظر إلى تصرفاته كيف كانت حسنة، إذ اهتم بشفاء الناس وحياتهم؟

فينحاس الذي قتل ومنع الموت من المعسكر، هل نقول إذًا أنه قاتل لأنه قتل؟

كان البهي يحمل الصلاة في قلبه، والرمح في يده، ليمنع بكل الوسائل الموتَ المتفشي.

ولا يُقال إنه قتل... بل صلّى، فاستعمل القتل كأنه صلاة...

هكذا جميع الشرفاء وأبناء النور يتحركون بالروح، (ليقوموا) بأعمال للمساعدة.

عندما يقتلون يريدون أن يُحيوا، لأن إرادتهم أسمى من الشرور، على مثال الله.

الروحاني بعيد عن النفساني بأفعاله، ولا يقدر أن يعرف أموره عندما تُصنع.

لهذا عندما ينظر إليه يتعثر، حيث يظن شيئًا بدل شيءٍ بخصوص الروحاني.

وأنت عندما تنظر إلى أليشع، اُنظر إليه هكذا: إنه رجل مملوء كله روحًا وتمييزًا.

وإذ نسج الله نفسه، كان يصنع كل أعماله ليساعدهم بقلبٍ صالحٍ.

كان قلبه مأسورًا بالله بالروح الذي أخذه، ولم يكن يقدر أن يتحرك للعمل بدونه.

استنارت نفسه بالرب الذي حلَّ فيها، ولم يكن يتعثر، لأنه كان يسير فيه كما في أثناء النهار.

كان قد عظُم الرجل بالغنى الإلهي من ذلك الكنز الذي أعطاه إياه مُعلّمه حين صعد.

أخذ المفتاح العظيم، يفتح ويغلق كل الخلائق، ليقوم مثل وكيل بيت الله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٣٥-٣٦.

وَذَهَبَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى جَبَلِ الْكَرْمَلِ،

وَمِنْ هُنَاكَ رَجَعَ إِلَى السَّامِرَةِ. [٢٥]

كانت السامرة عاصمة المملكة، وكان لأليشع بيت فيها (٥: ٣، ٩؛ ٦: ٣٢). وكان يعاشر الملك والشيوخ، وله اعتبار خاص لديهم.

أليشع النبي كرمزٍ للسيد المسيح

أليشع	السيد المسيح
١. نصيبان من روح إيليا (٢).	ربّ الأنبياء.
٢. استهزاء صبيان بيت إيل به (٢).	خاصته لم تقبله.
٣. النصرة على موآب حيث ظهر الماء على شكل دم (٧).	النصرة على إبليس بمياه المعمودية الحاملة لقوة الدم.
٤. مباركة الزيت (٤).	غنى مسحة روحه القدوس.
٥. إقامة ابن الشونمية (٤).	المسيح واهب القيامة.
٦. إصلاح المسلوق السام في القدر (٤).	المسيح الخالق والمُصلح.
٧. إشباع ١٠٠ رجل بعشرين رغيفًا (٤).	المسيح خبز الحياة.
٨. تطهير نعمان السرياني من برصه (٥).	مطهرنا بمياه المعمودية.
٩. الحديد يطفو بإلقاء عود في الماء (٦).	بعود الصليب تتغير طبيعتنا.
١٠. كشف خطط ملك أرام (٦).	يكشف حيل إبليس الخفية.
١١. نبوته عن فتح كوى السماء (٧).	المسيح واهب المستحيلات.
١٢. نبوته لحزائيل أنه سيَضطهد المؤمنين (٨).	يكشف المسيح عن الضيقات القادمة.

من وحي ٢ ملوك ٢

روحك الناري يحملني إلى سماواتك!

❖ من لا يشتهي الصعود مع نبيك إيليا؟

من لا يطلب مركبة نارية وخيول نارية تحمله إلى السماء؟

فيعيش مع ملائكتك وخدامك اللهيب الناري.

هب لي أن أحمل الروح الناري، فلا أعرف التراخي والتهاون.

هوذا روحك القدوس ينزل كألسنة نارية.
يُحوّل أعماقي إلى نار حب مُتّقد.
كل مياه العالم لا تقدر أن تطفئها!

❖ ليكن لي القلب الناري، فيتأهل للصعود إليك.
يرى أبواب السماء مفتوحة أمامه، يستريح فيها.

❖ كما فرّحتَ قلب إيليا الناري بأليشع،
هب لي فرحًا أن أرى الكل يمارسون عملك.
يحملون معي، لا ثوب إيليا النازل من جسده،
بل جسدك العجيب حياة أبدية.

❖ لأتمتع بثوبك، فأشق به نهر العالم،
وأجد لي طريقًا وسط المياه، فأعبر إليك.
أسير فيه، ولا أنحرف يمينًا ولا يسارًا.

❖ أتمتع بأبوّة صادقة هي عطيتك لي.
بها أقدم لا دقيقا فاخرًا في صحن جديد،
بل جسدك الذي يُجدّد طبيعتي.
ويُحوّل بريتي وبرية إخوتي إلى فردوس روحي.
نعم تجد فينا ثمر روحك القدوس.
تسر به، وتدعو السمائيين يتمتعون به!

❖ روحك الناري يهبني قوة لا تُقاوَم.
يصير مقاومي الحق أشبه بصبيانٍ لا حول لهم.
ليسخروا بي وليهزأوا برسالتي التي تسلمتها منك.
يا لهم من مساكين،
حتمًا ستخرج الدببة لتفترس حياتهم!
انزع يا رب كل مقاومة للحق،
أما المقاومون، فردهم إليك ويتهللون بخلاصك.

اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

أليشع وملك موآب الذي ذبح ابنه على السور

حاول يهورام ملك إسرائيل إخضاع موآب التي عصت عليه بقيادة ملكها ميشع. تحالف يهورام مع يهوشافاط ملك يهوذا ومع ملك أدوم، ولم تجد جيوشهم الثلاثة ماء في برية أدوم. أصبح الموقف حرجًا. بتحالفهم كانت لديهم إمكانيات عسكرية قوية، لكن لم يكن لديهم أبسط الأمور وأرخصها ألا وهو الماء. وبسبب نقصه كان يمكن أن يُصابوا، لا بالهزيمة فحسب، بل وبالموت عطشًا. وعندما اكتشفوا وجود أليشع نزل إليه الملوك الثلاثة، ورفض أليشع في البداية معاونة يهورام، وأمره أن يذهب إلى أنبياء والديه أخآب وإيزابل. لكنه قَبل أن يساعدهم من أجل يهوشافاط؛ طلب أن يأتوه بعواد. ولما ضرب العواد كانت عليه يد الربّ، فأمرهم أن يحفروا في الوادي جبابًا كثيرة لجمع الماء الذي سيأتي يقينًا عن طريق أدوم دون أن يروا ريحًا أو مطرًا. كما تنبأ لهم بهزيمة موآب هزيمة منكرة، وقد تم كل ما تنبأ به.

تحالف ملوك يهوذا وإسرائيل وأدوم الثلاثة معًا، دون مشورة الله. هذا التحالف لم يفدهم شيئًا بدون تدخُّل الله لينقذ جيوشهم التي كان ينقصها الماء. فكما أنقذ الله شمشون، إذ كاد يموت من العطش، فشق الله الكفة التي في لحي، وخرج منها ماء فشرب، ورجعت روحه فانتعش (قض ١٥: ١٨-١٩)، هكذا أرسل الله مياهًا للجيوش الثلاثة بطريقة فائقة للطبيعة.

حاصروا ميشع ملك موآب في عاصمته، وفي أثناء الحصار أصعد ابنه البكر مُحرقة على السور لإلهه على مرأى من إسرائيل، فانصرفوا عنه، ورجعوا إلى أرضهم.

١. يهورام يرتكب الشر ١-٣.

٢. تمرُّد موآب على إسرائيل ٤-٥.

٣. تحالف بين يهورام ويهوشافاط ٦-١٢.

٤. أليشع يؤكد النصرة ١٣-٢٠.

٥. موآب يدعو للنهب ٢١-٢٦.

٦. ميشع يُقدِّم ابنه ذبيحة ٢٧.

١. يهورام يرتكب الشر

وَمَلَكَ يُورَامُ بْنُ أَخآبَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ،

فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشَرَةَ لِيَهُوشَافَاطَ مَلِكِ يَهُوذَا.

مَلَكَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. [١]

عند موت أخزيا بن أخآب ملك أخوه يهورام، لأن أخزيا لم يكن له ابن.

في السنة الثامنة عشرة ليهوشافاط، وكان قد صار ليهورام بن يهوشافاط سنتان ملكًا على يهوذا مع أبيه (١: ١٧). وكانت هناك صداقة بين المملكتين، لأن يهورام بن يهوشافاط تزوجَ عثليا ابنة أخآب. وكان لهذا الصداقة أثرها الطيب على إسرائيل، فلم يعمل يهورام شرًا كأبيه وأمه، إذ أزال تمثال البعل الذي عمله أبوه، كما كان لها أثرها الشرير على يهوذا، إذ دخلت عبادة البعل يهوذا.

❖ المجالسة مع الذين ليسوا حكماء تفتت القلب، ومحادثة الفضلاء ينبوع عذب.

❖ لا تتنازل مع المسترخين، وإلا صيَّرتَ نفسك في الدرجة السفلى، بل لتكن مناجاتك مع محبي الخير، ليكون سكناك معهم في الأعالي. لذلك ليكن مقامك بشجاعة في المواضع التي فيها المعرفة العليا. اذهب إلى بلدة الضوء، ولا تتنازل عند الخطاة.

مار إسحق السرياني

❖ إن كانت لك صداقة مع أحد الإخوة وانتابك ضرر بسبب مخالطتك إياه، فأسرع واقطع نفسك منه. لستُ أقول لك هكذا أيها الحبيب لتبغض الناس، كلا. وإنما لتقطع أسباب الرذيلة.

مار أفرآم السرياني

❖ **"لا تضلوا، فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة" (١ كو ١٥: ٣٣)**... أنت تحتقر الذهب، يوجد آخر يحب الذهب. أنت ترفض الغنى، هو يطلب الغنى بشغفٍ. أنت تحب الصمت والضعف والحياة الخاصة، أما هو فيجد سعادته في الأحاديث الباطلة بلا تريث في الميدان العام والشوارع... لا تبقَ معه تحت سقفٍ واحدٍ. لا تعتمد على عفتك السابقة. فإنك لا تقدر أن تكون أكثر قداسة من داود، أو أحكم من سليمان... إن كان دورك في العمل الكهنوتي هو أن تفتقد أرملة أو عذراء لا تدخل البيت وحدك. ليصحبك أشخاص لا يسيئون إليك... لا تجلس بمفردك مع سيدة سرًا بدون شهود. إن كان لديها أمر سري تريد أن تبوح به، يجب أن يكون معها مربية أو عذراء أو أرملة، أو سيدة متزوجة. لا تقدر أن تفيض بأسرارها لك بدون وجود صديقة لها[1].

القديس جيروم

بينما يذكر ١ مل ١٧:١ أن يهورام كان ملكًا على يهوذا يسجل لنا هنا أن يهوشافاط كان

[1] *Letter 32.*

هو ملك يهوذا. فقد كانت العادة لدى ملوك كثيرين في العالم في إسرائيل وبابل والدولة الرومانية الخ. أن يشترك الابن مع الملك في الحكم حتى ينال خبرة، فلا يحدث خلل بموت الملك الأب. هنا عيَّن يهوشافاط ابنه يهورام (يورام) ملكًا شريكًا معه، وبقي معه خمس سنوات (٨٥٣-٨٤٨ ق.م). وهكذا أصبح في إسرائيل ويهوذا ملكان بذات الاسم.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
وَلَكِنْ لَيْسَ كَأَبِيهِ وَأُمِّهِ،
فَإِنَّهُ أَزَالَ تِمْثَالَ الْبَعْلِ الَّذِي عَمِلَهُ أَبُوهُ. [٢]

أزال يهورام تمثال البعل، ربما كان عمودًا حجريًا أو صنمًا نُحِتَتْ عليه صورة البعل مع نقش عنه لكنه لم يُدمِّره، بل استبعده من موضعه أو من هيكله، لذلك أُعيد فيما بعد، وقام ياهو بتطهير البلد منه (٢ مل ١٠: ٢٦-٢٧).

"**أزال تمثال البعل**": يقوم البعض بالإصلاح بالامتناع عن خطايا معينة وترك الأخرى. أو إزالة الخطايا في أيام الصوم، والتهاون معها في المناسبات كحفلات الزواج غير اللائقة، أو إصلاح أخطاء عقائدية دون الالتزام بالحياة المقدسة في الرب.

إِلاَّ أَنَّهُ لَصِقَ بِخَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ.
لَمْ يَحِدْ عَنْهَا. [٣]

صار يربعام الأول مضربًا للأمثال في الشر، إذ هو أول ملوك مملكة الشمال، أقام عجلين ذهبيين في دان وبيت إيل للعبادة، وأفسد نظام الكهنوت والأعياد، ودفع الشعب نحو الارتداد عن الله، وحرمهم من التمتع بالعبادة في الهيكل بأورشليم.

كان السجود للعجلين في دان وبيت إيل أمرًا سياسيًا أكثر منه دينيًا. لأنه لو أزال هذه العبادة لرجع الشعب ليسجد للرب في أورشليم، هذا الرجوع يصحبه رجوع سياسي، وخضوع لملوك يهوذا.

- **كان ابن أخآب اسمه أخزيا، الذي يقول عنه الكتاب إنه فعل الشر في عيني الرب، وسار في طريق أبيه أخآب، وفي طريق إيزابل أمه (١ مل ٢٢:٥١-٥٢).**

ثم يقول الكتاب إن أخ أخزيا هو يورام الذي كُتِبَ عنه أنه سار في خطايا بيت يربعام (٢ مل ٣:٣).

وبعد يورام ملك أخزيا الثالث الذي تقول عنه القصة إنه فعل أيضًا الشر أمام الرب مثل بيت أخآب. وحينما جاء الوقت لمعاقبة بيت أخآب الذي لم يكف عن الشر أمام

الرب حتى الجيل الرابع، فقد مُسح بعد ذلك ملك على إسرائيل وهو ياهو بن يهوشافاط بن نمشي الذي قتل أخزيا وأيضًا إيزابل، وقتل أيضًا سبعين ابنًا آخرين لأخآب وكأنه ينفذ ذروة الغضب الإلهي، حتى أنه حصل على نعمة وكرامة بسبب ذلك. إذ قال الله له: "من أجل أنك قد أحسنت بعمل ما هو مستقيم في عيني، وحسب كل ما بقلبي فعلت ببيت أخآب، فأبناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسيك" (٢ مل ١٠: ٣٠ س).

لذلك، ها أنت ترى أنه على مضض عاقب نسل الأشرار في الجيل الرابع، بينما من يقدم إكرامًا له، يبسط رحمته عليه إلى الجيل الرابع. لذلك كف أيها اليهودي عن توجيه الاتهام لعدل الله، وكنوعٍ من المديح، نحن نقبل بالتأكيد ذلك القول: مفتقدًا خطايا الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع[1].

القديس كيرلس الكبير

٢. تمرُّد موآب على إسرائيل

وَكَانَ مِيشَعُ مَلِكُ مُوآبَ صَاحِبَ مَوَاشٍ،

فَأَدَّى لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ مِئَةَ أَلْفِ خَرُوفٍ وَمِئَةَ أَلْفِ كَبْشٍ بِصُوفِهَا. [٤]

ورد اسم هذا الملك "**ميشع**" أو ميسا في الحجر الأثري الموآبي، وقد ورد فيه قيام حروب بين عمري ملك إسرائيل مع موآب، فخضع الأخير له ولابنه أربعين عامًا، لكن موآب عصى إسرائيل وأخذ مدنًا؛ غالبًا ما حدث هذا في أيام مُلك أخزيا (١: ١).

يقول **القدّيس مار أفرآم السرياني**[2] أن الكلمة *noqds* المذكورة هنا في الكتاب المقدس مشتقة عن العبرية، ويمكن ترجمتها "ملك رعاة الكباش".

جاءت كلمة "**بصوفها**" في الأصل بدون حرف الباء، فكانت موآب تقدم صوف مئة ألف خروف ومئة ألف كبش كل عام.

إذ كان ملك موآب يقدم هذه الكمية من الصوف لمئة ألف خروف ومئة ألف كبش، فهذا يدل على غنى بلاد موآب بالمواشي، وعلى سلطة إسرائيل عليها.

وَعِنْدَ مَوْتِ أَخآب عَصَى مَلِكُ مُوآبَ عَلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. [٥]

إذ مات أخآب الذي قمع موآب وجد ملكها فرصته للعصيان على إسرائيل. لم يتحرك أخزيا لذلك حتى جاء خليفته يهورام، فتحالف مع يهوشافاط ملك يهوذا لمحاربة موآب، وكادا أن

---

[1] شرح إنجيل يوحنا، الإصحاح التاسع.

[2] *On the Second Book of kings, 3:9.*

يلزماه بالتسليم، لكنهما إذ شاهداه يُقدِّم ابنه ذبيحة [٢٧] رجعا إلى بلادهما مغتاظين.

كانت موآب على حدود إسرائيل في الجنوب الشرقي، وكانت تطمع في أرض إسرائيل الخصبة. قامت حروب كثيرة بين موآب وإسرائيل ويهوذا. وقد سجَّل ميشع ملك موآب بعضًا منها نحو سنة ٨٤٠ ق.م، ونقش انتصاراته على لوح يُدعَى "حجر موآب" اُكتشف عام ١٨٦٩م.

٣. تحالف بين يهورام ويهوشافاط

وَخَرَجَ الْمَلِكُ يُورَامُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ السَّامِرَةِ،

وَعَدَّ كُلَّ إِسْرَائِيلَ، [٦]

تمرُّد موآب أثار يهورام لمحاربتهم لتأديبهم.

وَذَهَبَ وَأَرْسَلَ إِلَى يهوشافاط مَلِكِ يَهُوذَا يَقُولُ:

قَدْ عَصَى عَلَيَّ مَلِكُ مُوآبَ.

فَهَلْ تَذْهَبُ مَعِي إِلَى مُوآبَ لِلْحَرْبِ؟

فَقَالَ: أَصْعَدُ. مَثَلِي مَثَلُكَ.

شَعْبِي كَشَعْبِكَ، وَخَيْلِي كَخَيْلِكَ. [٧]

التجاء يهورام بن أخآب إلى يهوشافاط كان بسبب الصداقة، لأن أخت يهورام تزوجت ابن يهوشافاط.

فَقَالَ: مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ نَصْعَدُ؟

فَقَالَ: مِنْ طَرِيقِ بَرِّيَّةِ أدوم. [٨]

كان الذهاب إلى موآب عن طريقين أحدهما إلى الشرق بعد عبور الأردن إلى الجنوب. والآخر إلى الجنوب غرب بحر لوط ثم إلى الشرق إلى أدوم، ومنها إلى الشمال نحو موآب. ربما كان الموآبيون مستعدين للدفاع في الشمال، ولم يتوقعوا الهجوم من الجنوب. واستحسن يهوشافاط الطريق الثاني لسبب آخر، وهو أن يكون أدوم أيضًا معهما.

جاء في ١ مل ٢٢: ٤٧ أنه لم يكن ملك في أدوم، إنما كان بها ملك وكيل، دُعي هنا ملكًا، ربما كان تحت حماية يهوذا.

اقترح يهوشافاط أن يواجه موآب خلال أدوم، بهذا تتجنب الجيوش حصون موآب التي على حدودها، والقيام بالهجوم من خلف موآب حيث لم تتوقع موآب ذلك.

"أدوم" هو لقب عيسو الذي كان عنيفًا، يحمل عداوة ضد أخيه يعقوب. كلمة "أدوم" تعني "دموي" أو "أحمر" أو "سافك دمٍ"، فهو يُمثِّل الشيطان الذي لا يطيق مملكة الله، إذ هو مُحِب للقتال.

أُطلق هذا الاسم على الإقليم الذي يسكنه عيسو، أي على أرض سعير (تك ٣٢: ٣)، وهو إقليم جبلي وعر، استولى عليه عيسو ونسله بعد طردهم الحوريين (تث ٢: ١٢).

بنو أدوم هم نسل عيسو (تك ٣٦: ١٩)؛ غالبًا ما كانوا يحملون عداوة لليهود ترجع إلى أيام يعقوب وعيسو (أدوم) حيث اغتصب الأول البكورية منه. لم يأذن بنو أدوم للعبرانيين أن يعبروا في أرضهم بعد خروجهم من مصر (عد ٢٠: ١٤-٤١)، وإن كان الله أمر شعبه ألا يسيئوا التعامل مع الأدوميين بكونهم إخوتهم (تث ٢٣: ٧-٨).

حارب شاول الملك الأدوميين (١ صم ١٤: ٤٧)؛ وغزا داود أدوم، وأقام عليها حُرَّاسًا (٢ صم ٨: ١٣-١٤). هرب هدد - أحد أمراء أدوم - إلى مصر، وصار خصمًا لسليمان (١ مل ١١: ١٤-٢٢).

تحالف يهورام بن أخآب مع ملك يهوذا وملك أدوم وحاربوا موآب (٢ مل ٣: ٥-٩). وقد عاون الأدوميون إسرائيل ويهوذا في حربهم ضد ميشع ملك موآب (٢ مل ٣: ٤-٢٧)

وفي أيام يورام بن يهوشافاط عصى أدوم يهوذا، وأقاموا لأنفسهم ملكًا (٢ مل ٨: ٢٠؛ ١ أي ٢١: ٨-١٠). وقتل أمصيا عشرة آلاف من الأدوميين طوح بهم من فوق قمة الصخرة، فقتلهم في وادي الملح، وأخذ سالع[1] عاصمة بلادهم (٢ مل ١٤: ٧؛ ٢ أي ٢٥: ١١-١٢). وفي أثناء حكم آحاز غزا الأدوميون سبط يهوذا وأخذوا منه أسرى. وقد ابتهجوا عند تخريب نبوخذناصر أورشليم (مز ١٣٧: ٧).

تنبأ الأنبياء ضدها بسبب عدائها الشديد لإسرائيل، كما تنبأوا بإدماجها ضمن ملكوت الله (إر ٤٩: ٧-٢٢، مرا ٤: ٢١-٢٢، يؤ ٣: ١٩ الخ).

فَذَهَبَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَمَلِكُ يَهُوذَا وَمَلِكُ أَدُوم،
وَدَارُوا مَسِيرَةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ.
وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِلْجَيْشِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي تَبِعَتْهُمْ. [٩]

"**مسيرة سبعة أيام**"، مسيرة الجيش بعد اجتماع الملوك الثلاثة. الماء في تلك المنطقة قليل، والجيوش الثلاثة معًا كثيرة، الأمر الذي لم يضعه القادة في الحسبان.

"**وداروا مسيرة سبعة أيام**": هذه مسيرة الجيوش التي اجتمعت باجتماع الثلاثة ملوك. لكن الماء في تلك المنطقة قليل والجيش كبير. لم يدرس القادة هذه المشكلة قبل التحرك، وهذا من سوء التدبير.

---

[1] سالع *Sela*، ربما في موقع البتراء *Petra* حاليًا.

كانت الجيوش وحيواناتهم في حاجة إلى مياه أكثر مما يمكنهم حملها.

فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ:

آهِ! عَلَى أَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَا هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ الْمُلُوكِ لِيَدْفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مُوآبَ! [١٠]

فَقَالَ يهوشافاط: أَلَيْسَ هُنَا نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَنَسْأَلَ الرَّبَّ بِهِ؟

فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ:

هُنَا أليشع بْنُ شَافَاطَ الَّذِي كَانَ يَصُبُّ مَاءً عَلَى يَدَيْ إِيلِيَّا. [١١]

سؤال يهوشافاط يوضح أن غالبية الكهنة قد غادروا المملكة، وكثير من الأنبياء الحقيقيين كانوا يهربون من مجالس الملوك، إذ يتطلع الملوك إليهم كرسل شؤم.

ما قاله يهوشافاط هنا هو ما قاله قبلاً حين تفاوض الملكان في محاربة راموت جلعاد (١ مل ٢٢: ٥-٧)، وهذا القول يكشف عن مخافة للرب، غير أنه كان يجب أن يسأل الرب من البداية قبل التحرك.

"كان يصب ماءً على يديّ إيليا"، أي كان خادمًا وتلميذًا له. إذ لم يكن تُستخدَم الملاعق والشوك في الأكل كانوا يهتمون بغسل الأيادي بعد كل أكلة. يستخدمون الأبريق والطست وكان للطست قاعين، واحد علوي عليه غطاء مملوء ثقوبًا حتى متى غسل الإنسان يديه تنزل المياه في القاع الأسفل ولا تظهر المياه غير النظيفة، كما يوجد بروز على الغطاء يستخدم كوعاءٍ توضع فيه قطعة الصابون.

غسل الأيدي غالبًا ما يقوم به الخدم. وكأن أليشع كان تلميذًا وخادمًا لإيليا[1].

فَقَالَ يهوشافاط: عِنْدَهُ كَلاَمُ الرَّبِّ.

فَنَزَلَ إِلَيْهِ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَيهوشافاط وَمَلِكُ أدوم. [١٢]

أظهر الملوك الثلاثة تواضعًا، إذ ذهبوا إلى النبي، ولم يطلبوا أن يأتي إليهم.

نزول الثلاثة ملوك للقاء مع أليشع، دون أن يستدعوه ليحضر إليهم، تبرز نظرتهم إليه، إذ يسكب الله مهابة على خدّامه ورسله وتلاميذه الذين يخشونه. فمن يخشى الرب، يهبه الرب مهابة في أعين حتى الأشرار المقاومين له.

٤. أليشع يؤكد النصرة

فَقَالَ أليشع لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ: مَا لِي وَلَكَ!

---

[1] *Cf. James M Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, article 329*

اذْهَبْ إِلَى أَنْبِيَاءِ أَبِيكَ وَإِلَى أَنْبِيَاءِ أُمِّكَ.
فَقَالَ لَهُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ: كَلاَّ.
لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَا هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ الْمُلُوكِ لِيَدْفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مُوآبَ. [١٣]

تحدث أليشع بأسلوبٍ قاسٍ عن ملوك إسرائيل الأشرار "الذين كانوا يستشيرون البعل" (١: ٢-٣).

"**ما لي ولك**": تحدث أليشع النبي مع يهورام ملك إسرائيل الشرير بشجاعة. واضح من الحديث أن يهورام وإن كان قد أزال تمثال البعل لكنه لم يبد عبادة البعل. لقد أعلن الملك أنه لن يذهب إلى أنبياء البعل، إذ لم يكن يثق فيهم وأن عبادته للبعل لم تكن من قلبه، وإنما لتحقيق مآربه السياسية.

فَقَالَ أَلِيشَعُ: حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ،
إِنَّهُ لَوْلاَ أَنِّي رَافِعٌ وَجْهَ يَهُوشَافَاطَ مَلِكِ يَهُوذَا،
لَمَا كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ وَلاَ أَرَاكَ. [١٤]

"**حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه**": استخدم أليشع النبي ذات أسلوب أبيه إيليا النبي (١ مل ١٧: ١).

بقوة وصراحة قال ليهورام: "**لما كنت أنظر إليك ولا أراك**"، فقد كرس يهورام قلبه وحياته لحساب البعل، ولم يكن لله نصيب فيه، أما يهوشافاط فارتبط بالله وتأهل لقبول نعمته الإلهية.

من أجل عبده داود، كان لا يزال يوجد سراج لله في يهوذا، يهوشافاط ملك يهوذا. أخطأ هذا الملك بتحالفه مع يهورام بن أخآب ملك إسرائيل الشرير، ومع هذا عندما طلبا أليشع النبي، قبل الدعوة من أجل يهوشافاط.

كان يهوشافاط كاملاً، تقيًا يخاف الرب، لكن الرب انتهره على خطية اتحاده مع الأشرار (٢ أي ١٩: ١-٣؛ ٢٠: ٣٧)، لكنه لم يترك الرب ولم يسجد للأوثان. لقد انتفع الأشرار بوجود بارٍ في وسطهم، غير أن هذا سبَّب له متاعب كثيرة.

❖ اعترض النبي ووبخ بعنف يهورام، لكنه كان مسرورًا بيهوشافاط، وقدَّم له رجاء في الخلاص. في نفس الوقت وعد بأنه خلال تدخله (وساطته) هو ورفقائه تتحقق النصرة خلال وكالة الرب[1].

القدِّيس مار أفرآم السرياني

[1] *On the Second Book of kings, 3:9*

وَالآنَ فَأْتُونِي بِعَوَّادٍ.

وَلَمَّا ضَرَبَ الْعَوَّادُ بِالْعُودِ، كَانَتْ عَلَيْهِ يَدُ الرَّبِّ. [١٥]

طلب النبي عوّادا يضرب قطعة موسيقية، غالبًا ما كانت لتسبحة أو ترنيمة. في هذا الجو الموسيقي الهادئ ينتزع جو القلق والاضطراب، فيعلن الله إرادته له. هذا يساعد في العبادة، ويُعد القلب لسماع صوت الله.

الموسيقى وصوت التسبيح والترنيم يساعد المؤمن في العبادة، ويُعد قلبه للاستماع لكلمة الله. كان داود يضرب بالعود لأجل شاول (١ صم ١٦: ٢٣)، وكان أنبياء العهد القديم يستخدمون الترنيم بآلات موسيقية.

❖يشير الكتاب المقدس إلى آلة موسيقية تعطي صوتًا، أو عودًا (قيثارة) كما جاء في العبرية، وذلك لتقديم تشكرات لصوت الموسيقى الذي يجعل كل الجنود يجتمعون لإبادة أعدائهم. هنا توجد شهادة لكلمات أليشع. بهذا عندما تتم المعجزة لا يستطيعون أن ينسبوها للبعل أو الأصنام التي يتعبَّدون لها. بالحقيقة كان الجيش يضم أعدادًا ضخمة من عابدي الأوثان[١].

❖عزف العوّاد، وفاضت المياه في قاع المجاري.

خلال هذا الرمز أشار إلى صوت المسيح بطريقة لائقة، إذ حفظ قيثارة الروح على الصليب. حقا لقد صرخ ربنا مرتين وأسلم روحه بصراخ (مت ٢٧: ٤٦-٥٠؛ مر ١٥: ٣٤-٣٧).

في الحال مجَّد قائد المئة الأممي الرب (مت ٢٧: ٥٤؛ مر ١٥: ٣٩)، بهذا صار اهتداء الأمم واضحًا بصفة خاصة.

بعد أن أكمل المسيح على خشبة الصليب المجد الجديد، انفتحت للحال الينابيع، وفاضت أنهار المياه الحيّة على شعوب الأمم، الذين رُمز لهم بالوادي. وذلك كما قال يسوع قبل آلامه: من يؤمن بي فليشرب. وكما قالت الكتب "تجري من بطنه أنهار ماء حيّ" (يو ٧: ٣٨).

بهذا تتحقق كلمة النبي الذي يعزف على القيثارة للأمم باسم الرب (مز ١٠٨: ٣)[٢].

القدِّيس أفرآم السرياني

فَقَالَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:

اجْعَلُوا هَذَا الْوَادِيَ جِبَابًا جِبَابًا. [١٦]

---

[1] On the Second Book of kings, 3 15

[2] On the Second Book of Kings, 3 16.

الجباب جمع "جب" يستخدم لحفظ المياه. وقد جاءت الوصية هنا أن يجعلوا جبابًا في الوادي، أي يعلنوا إيمانهم عمليًا بتوقع فيض المياه الساقطة من الجبال، حيث تسقط الأمطار بعيدًا، وتجري إليهم من الجبال إلى الوادي الذي هم حالين فيه.

عملوا جبابًا في أرض يابسة قبل ظهور أية بوادر للمطر، هكذا بالإيمان نصدق مواعيد الله، ونعمل في يقين بتحقيقها.

طلب الله منهم أن يعملوا جبابًا لحفظ الماء، فلا يكتفوا بشرب الماء، إنما يحرصوا على حفظ ما يتبقى من ماء، وذلك كما طلب ربنا يسوع: "اجمعوا الكسر"!

لعلهم دهشوا لقوله: "جبابًا، جبابًا"، فإنه ليس ماء، ولا ما يدل على سقوط أمطار، ولم يكن الوقت شتاء، حيث المطر لا يسقط في الصيف في الشرق الأوسط.

يريد الله أن يعمل، فيُقدِّم إله المستحيلات ما هو مستحيل بالنسبة لنا. يطلب منا أن نعمل قدر إمكانياتنا بالرغم من أن عطيته مجانية، وليس ثمنًا أو مكافأة لاستحقاقنا. إن كان الله يرسل ماءً دون رياح أو أمطار على الوادي، هذه المياه تملأ الوادي، إنما يلتزم الملوك أن يحفروا جبابًا تمتلئ ماء لتشرب الجيوش وكل حيواناتهم.

لماذا طلب الرب أن يحفروا في الوادي جبابًا؟

١. بلا شك كان عدد المحاربين في الجيوش الثلاثة ضخمًا جدًا. وكان اجتماعهم معًا فرصة لكي يتمجد الله وسط هذه الأعداد، لأن قادة جيش إسرائيل والجنود إن لم يكن جميعهم فأغلبهم كانوا من عبدة البعل، وكل جيش أدوم يعبدون الأوثان. فحفر الجباب قبل ظهور أية بوادر للمطر تجعل الكل يتساءلون ما هذا الذي نفعله.

الإنسان الظمآن يود ألا يرهق نفسه بالعمل حتى لا يزداد ظمأه. لكن الملوك الثلاثة أصدروا الأمر بحفر الجباب، وربما ظن الكثيرون أن هذا العمل يحمل نوعًا من الغباء. فإذ امتلأت الجباب ماءً دون رياح ولا أمطار، ما كان يمكن لأحدهم أن ينكر عمل الله الحيّ، الذي يستحيل على الأوثان تحقيقه.

كما طلب أليشع عوادًا ليُسبِّح الله علانية أمام الجيوش الثلاثة، هكذا تحركتْ الجيوش الثلاثة لحفر الجباب.

٢. كان يكفي أن يطلب الله أن يضعوا أواني المياه في الطل فتمتلئ ماءً، لكن الله يريد أن يعطينا أكثر مما نسأل وفوق ما نحتاج.

٣. طلب حفر الجباب يكشف عن تكريمه للإنسان، فذاك الذي يملأ الجباب ماءً دون رياح أو أمطار، أما كان قادرًا أن يُرسل سحابًا تمطر عليهم، فيرتوون هم وحيواناتهم. لكنه أراد

لهم أن يعملوا القليل حسب إمكانياتهم، وهو يقوم بالمستحيلات.

يؤكد **القديس يوحنا الذهبي الفم** دور المؤمن العملي، ويهبه الله ما هو فائق للطبيعة.

❖ "ليس للإنسان طريقه" (إر ١٠: ٢٣). لا يقف (النبي) عند هذا، إنما يضيف: "ليس لإنسانٍ أن يهدي خطواته".

الآن ما يعنيه هو ما يلي: "ليس كل شيءٍ يتوقف علينا. بعض الأمور تعتمد علينا، والبعض على الله. بمعنى اختيار الأفضل، وأخذ القرار، وإظهار الغيرة واحتمال كل متاعب يتحقق بناء على نيّتنا، بينما بلوغ هذه إلى النتيجة المطلوبة، وحفظنا من الانحراف نحو الخطأ، وبلوغ هدف الأعمال الفاضلة تتحقق بنعمةٍ من فوق.

كما ترون، الله هو الذي يمنحنا الفضيلة، دون أن يترك كل شيءٍ حتى لا ننحرف في غباوتنا، ولا يأخذ كل شيء بطريقة ننحرف إلى اللامبالاة. مع هذا الجانب البسيط لمسعانا، يقوم بنفسه بالجانب الأكبر.

في الواقع إن كان كل شيءٍ يتوقف علينا، يتشامخ البعض فيسقطون. لننصت لقول الفريسي (لو ١٨: ١٠-١٤)، أي تشامخ بلغ إليه، كيف تباهى، حاسبا رأسه أكبر من العالم كله. لذلك عوض أن يكون كل شيء يعتمد علينا، ترك القليل لنا، لتوحد حجة أن نكلل بحقٍ.

لقد أشار في المثل الذي فيه قال إنه وجد أناسًا في الساعة الحادية عشرة وأرسلهم إلى الحقل للعمل (مت ٢٠: ٦-٧). لكن أي عمل يقدر أن يتمموه في الساعة الحادية عشرة، لا شيء! فإنه حتى الوقت القصير كان كافيًا ليعطيهم الله المكافأة كاملة[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
لاَ تَرُونَ رِيحاً، وَلاَ تَرُونَ مَطَراً،
وهَذَا الْوَادِي يَمْتَلِئُ مَاءً،
فَتَشْرَبُونَ أَنْتُمْ وَمَاشِيَتُكُمْ وَبَهَائِمُكُمْ. [١٧]

إذ يعلنون إيمانهم بنوال بركة الرب خلال المياه الموهوبة لهم، ولم يكن الوقت موسمًا للمطر، إذ تسقط الأمطار في منطقة الشرق الأوسط في الشتاء، وليس في الصيف كما في مناطق أخرى، حتى أن سقوط المطر في الإسكندرية يقال عنه بالعامية "الدنيا بتشتي".

لم يكن لدى أليشع النبي ذهب أو فضة أو ثروات أو جيوش، لكنه كان غنيًا بالله الذي

---

[1] *Homily on Jeremiah 10 23.*

يُشبع كل احتياجاته واحتياجات من يطلب عنهم. وقف الملوك الثلاثة وقادة جيوشهم يتوسلون إليه، ليسد نقائصهم. إنه بالله أغنى من كل الملوك.

❖ أيها المتميز اُنظر إلى عظائمه، كم هي عديدة، ومنها تتعرف على سلطانه الذي لا يُحد.

ثلاثة ملوك طالبوه بالماء ليسقيهم، وكما طُلب منه استطاع أن يعطي بفيضٍ.

حدث عطش عظيم حلّ بالملوك والجيوش، فوجههم إلى أليشع حتى يتوسلوا إليه.

كان الإلهي غنيًا، لأن غناه حقيقي، وملوك الأرض وطئوا عتبته مثل المساكين.

بسبب الحاجة أتى قادة العساكر والأسياد إلى بابه ليسدّ احتياجاتهم.

فقرُ هذا العالم مملوء بالغنى، كما أن غناه هو فقر بالنسبة للمتميزين.

لم يكن لذاك الغني ذهب وفضة ولا مقتنيات ولا مبانٍ في هذا العالم.

لكن كان يملك شفاء المياه عندما تفسد، ويشفي الينابيع المعلولة إن طلبوا منه.

ويمنع الموت، ويعطي الحياة للبشر، ويأمر حيوانات الغابة للقيام بمهماته.

يصنع المستنقعات في الأرض العطشانة للجنود، ويبدل الماء إلى زيت حيث لزم.

ويعطي للعواقر أبناء من أحشائهن، ولو لزم يحيي الميت بتضرعه.

ويُحلّي المرارة عندما تصادفه، ويكثّر الخبزَ القليل بنبوته.

ويطهر برص الأجسام لو يصادفه، ويرى بعين النبوة كل الخفايا.

ويُلبس البرص من يسرق ويكذب عليه، ويغرق الخشب في النهر بخلاف العادة.

ويجعل الحديدَ يطفو فوق الماء بخلاف الطبيعة، ويرى بالروح كمائن الملوك ويفضحهم.

ويصلي ويفتح العيون المغلقة، وتسير معه خيول النار حيثما يمشي.

ويغلق عيون أعداء بيت الله، ويرى من بعيد كل الأفعال كما لو كانت عن قُربٍ.

ويهزم الجند بصوت السلاح بدون معركة، ويعطي الشبع للمدن بنبوته.

ويُضعِف بكلمته جبابرة الملوك، ويظهر بالإعلانات أسرار المستقبل.

ويكشف للملوك موتهم عندما يمرضون، ويتنبأ مَن سيملك قبل أن يملك.

ويمسح الملوكَ ليقوموا بجبروت، ويعطي القوة للجبابرة في معاركهم.

(ولو) طلبوا منه الحياة للميت إن اقترب منه، يُظهر قوته بكل ثروات روحية[1].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ١١٧ الثاني على إليشع وعلى ملك موآب الذي ذبح ابنه على السور (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٣٧.

وَذَلِكَ يَسِيرٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
فَيَدْفَعُ مُوآبَ إِلَى أَيْدِيكُمْ. [١٨]

بعد نوال بركة امتلاء الجباب بالماء بغزارة وبدون حدوث أمطار ومتاعب، ينالون البركة الثانية، وهي هزيمة موآب على أيديهم. حقًا إن الغير مستطاع لدى الناس مستطاع لدى الله (لو ١: ٣٧؛ لو ١٨: ٢٧)، إنه إله المستحيلات. وكما يقول السيد المسيح نفسه: "عند الله كل شيء مستطاع" (مت ١٩: ٢٦؛ مر ١٠: ٢٧).

إن كان الله اهتم بالجيوش الثلاثة؛ ربما كان الأغلبية متعبدة للبعل أو غيره من الأصنام، فقدَّم لهم ماءً بدون نزول مطر، واهتم بنصرتهم على موآب دون الدخول في معركة حربية، كم بالأكثر يهبنا أن نتمتع بعمل روحه القدوس، فتفيض في داخلنا ينابيع مياه، ويُقدِّم لنا نصرة على إبليس وكل قواته.

ما نظنه مستحيلاً في حياتنا الروحية يهبه لنا مسيحنا مجَّانًا وبفيضٍ، هكذا حتى في تنفيذ الوصية الإلهية التي تبدو لنا مستحيلة نجدها سهلة، بل عذبة ومفرحة.

❖ ما هو مستحيل لدى البشر ممكن لدى الله" (مر ١٠: ٢٧). هذا ما نتعلَّمه من المشورة التي قدَّمها الرسول لتيموثاوس: "أوْصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا، ولا يُلقوا رجاءهم على غير يقينيّة الغنى، بل على الله الحيّ الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتُّع، وأن يصنعوا صلاحًا، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع، مدّخرين لأنفسهم أساسًا حسنًا للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الحقيقيَّة (الأبديَّة)" (١ تي ٦: ١٧-١٩)[1].

القدّيس جيروم

فَتَضْرِبُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ،
وَكُلَّ مَدِينَةٍ مُخْتَارَةٍ،
وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ،
وَتَطُمُّونَ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ،
وَتُفْسِدُونَ كُلَّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْحِجَارَةِ. [١٩]

أمر موسى جيوش إسرائيل ألا يدمروا أشجار أعداء إسرائيل (تث ٢٠: ١٩). ومع ذلك ورد هنا: "تقطعون كل شجرة طيبة" (٢ مل ٣: ١٩).

---

[1] *Ep.* 79:3.

يعتقد بعض الدارسين أن ما ورد في سفر التثنية ينطبق فقط لاستخدام الأشجار في الحصار siege-works. لأنه قيل: "لا تقطعها لتستعملها في الحصار" (تث ٢٠: ١٩ حسب النص). هذا يتناسب مع الحقيقة التي في سفر تثنية أن الأشجار الصالحة للأكل تستخدم ليأكل منها الإنسان، أما الأشجار التي لا يؤكل منها من الممكن أن يقطعها.

من الممكن أن يكون الأمر بعدم تدمير الأشجار خاص فقط بأرض الكنعانيين التي كانوا سيسكنون فيها في نفس الوقت، بينما في سفر الملوك الثاني يشير إلى تدمير موآب التي لن يسكنوا فيها[1]. هذا وقد اعتاد الوثنيون أن يقدموا العبادة الوثنية عند كل شجرة.

جاءت كلمة **"طيّبة"** هنا بمعنى "صالحة". يقول السيد المسيح: "ليس أحد صالح إلا واحد، وهو الله" (مت ١٩: ١٧؛ مر ١٠: ١٨؛ لو ١٨: ١٩). هنا يتحدث السيد المسيح عن الصلاح المُطلَق الذي ينفرد به الله، لكن يوجد صالحون نسبيًا، كما توجد أشياء صالحة زمنيًا.

❖ إن وُجد في الكتاب المقدس آخر (غير الثالوث القدوس) صالح، مثل ملاك؛ أو إنسان (مز ٣٧: ٢٣)؛ أو صالح (حك ١: ١)؛ أو شجرة طيبة (٢ مل ٣: ١٩)، كل هؤلاء يُدعون ص لحون ليس بالمعنى الدقيق للكلمة، لأن الصلاح فيهم عرضي وليس جوهريًا[2].

العلامة أوريجانوس

❖ أليس الله صالحًا؟ تذكّر كيف أشبع آلاف الجموع في البرية بخبزٍ من السماء. لقد حال دون حدوث مجاعة، ولم تكن الجموع محتاجة إلى المشاركة في العمل لكي يشبعوا. لقد نعموا بالراحة لمدة أربعين عامًا، فلم تُبلَ ثيابهم ولم تتهرأ أحذيتهم.

أليس هو صالحًا؟ فقد أصعد الأرض إلى السماء، حتى أنه مثلما تعكس النجوم بهاء مجده في السماء كالمرآة، كذلك جوقة الرسل والشهداء والكهنة يتلألأون كالنجوم تمامًا، ويبعثون نورهم للعالم أجمع. فإذًا هو ليس صالحًا فحسب، بل أكثر من ذلك كثيرًا.

إنه الراعي الصالحِ لخرافه... و"الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف".

لنفعي أؤمن أن الله صالح، و"صالح هو الاتكال على الرب". جيد هو الاعتراف بأنه هو الرب، لأنه مكتوب: "احمدوا الرب، فإنه صالح"[3].

القدّيس أمبروسيوس

---

[1] *When Critics ask A popular handbook on Bible difficulties Wheaton، Ill.· Victor Books. Geisler، N L ، & Howe، T. A. (1992)*

[2] *De Principiis 1: 2· 13.*

[3] *Exposition of Christian Faith, 2 23-25, 27* ترجمة الدكتورة نهي عزت

وَفِي الصَّبَاحِ عِنْدَ إِصْعَادِ التَّقْدِمَةِ،
إِذَا مِيَاهٌ آتِيَةٌ عَنْ طَرِيقِ أَدُوم،
فَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مَاءً. [٢٠]

بقوله "إصعاد التقدمة"، لا يعني هنا أن جيوش إسرائيل ويهوذا وأدوم كانت تقدم ذبائح وتقدمة في هذه المنطقة، إنما يقصد عندما كانت تُصعد تقدمة كل يوم صباحًا (حز ٢٩: ٣٨-٣٩). فهنا إشارة إلى الوقت الذي كانت تُقدَّم فيه التقدمة الصباحية.

❖ يكون الإنسان بالحق صابرًا سواء عندما تخدشه الكوارث أو عندما ينحني من تشييد رجائه. بخصوص مزاج الفكر الشرير كُتب: "يحمدك إذا أحسنت[1]إليه" (راجع مز ٤٩: ١٨). هنا يتميز الذهن البار عن الشرير؛ حتى في وسط الضيق، الأول يعرف أن المجد لله القدير لا ينكسر مع الأمور العالمية، فلا ينهار مع انهيار المجد الخارجي، بل بالحري يؤكد أنه يكون أكثر قوة عندما يفقد الخيرات الزمنية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

٥. موآب يدعو للنهب

وَلَمَّا سَمِعَ كُلُّ الْمُوآبِيِّينَ أَنَّ الْمُلُوكَ قَدْ صَعِدُوا لِمُحَارَبَتِهِمْ،
جَمَعُوا كُلَّ مُتَقَلِّدِي السِّلاَحِ فَمَا فَوْقُ،
وَوَقَفُوا عَلَى التُّخُمِ. [٢١]

وَبَكَّرُوا صَبَاحاً وَالشَّمْسُ أَشْرَقَتْ عَلَى الْمِيَاهِ،
وَرَأَى الْمُوآبِيُّونَ مُقَابِلَهُمُ الْمِيَاهَ حَمْرَاءَ كَالدَّمِ. [٢٢]

لم يكن ممكنًا لهم أن يدركوا بأن هذه المجاري مملوءة ماءً، لأنه لم يحدث مطر يملأها، إنما إذ أشرقت الشمس عليها عكست هذا اللون على المياه فحسبوه دمًا، وللحال انطلقوا للنهب فانكسروا.

فيض المياه في الجباب التي تملأ الوادي أنقذت الجيوش الثلاثة من هلاك مُدمِّر بسبب نقص الماء. هذا الماء عينه أرعب بني موآب فهربوا.

هكذا إذ أشرق شمس البرّ على البشرية ارتوى المؤمنون بمياه الروح، بينما ارتعب غير المؤمنين، حاسبين هذه المياه دمًا مهلكًا. يقول بولس الرسول عن رائحة المسيح الذكية، إنها لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة (٢ كو ٢: ١٦).

❖ لمن إذن "**رائحة موت لموتٍ**" إلا للذين لا يؤمنون، والذين لا يخضعون لكلمة (لوغوس) الله؟...

مرة أخرى، من هم أولئك الذين يخلصون وينالون الميراث؟ بلا شك إنهم الذين يؤمنون بالله ويستمرون في محبته كما فعل كالب بن يفنة ويشوع بن نون (عد ١٤: ٣٠) والأطفال الأبرياء (يونان ٤: ١١) الذين ليس لهم إحساس بالشر. لكن من هم أولئك الذين يخلصون الآن، ويتمتعون بالحياة الأبدية؟ أليس الذين يحبون الله، ويؤمنون بوعوده، ويصيرون أطفالاً في الخبث (١ كو ١٤: ٢٠)؟[1]

القديس إيريناؤس

فَقَالُوا: هَذَا دَمٌ!
قَدْ تَحَارَبَ الْمُلُوكُ،
وَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بعضاً،
وَالآنَ فَإِلَى النَّهْبِ، يَا مُوآبُ. [٢٣]

❖ في هجومهم لم يقاوم الموآبيون، بل أداروا وجوههم وهربوا، لأنهم لم يأتوا مسلَّحين. لم يأتوا ليحاربوا بل لكي يسلبوا[2].

القدّيس أفرآم السرياني

وَأَتُوا إِلَى مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ،
فَقَامَ إِسْرَائِيلُ وَضَرَبُوا الْمُوآبِيِّينَ،
فَهَرَبُوا مِنْ أَمَامِهِمْ،
فَدَخَلُوهَا وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْمُوآبِيِّينَ. [٢٤]

لم تكن الجيوش الثلاثة تتوقع ما حدث، فإن أقصى ما كانوا يشتهونه أن الله – بصلاة أليشع – يهبهم ماءَ ينقذهم من موت مُحَقَّق بسبب العطش. لكن الله السخي في عطائه، قدَّم لهم ماءً يرويهم ويروي حيواناتهم، وتبقى المياه تملأ الجباب لينطلع إليها جيش موآب فيحسبونها دمًا. ألقى الموآبيون أسلحتم بأمر ملكهم لينطلقوا إلى النهب والسلب، دون الدخول في معركة، وإذا بهم يُسلِّمون أنفسهم بأنفسهم للجيوش التي استعادت طاقتها بالمياه.

لم تدخل الجيوش الثلاثة في معركة حقيقية، لأن هذا الجيش جاء إلى محلّتهم لا يحملون سلاحًا، ولا يتوقعون الدخول في حرب.

هذه صورة حيّة لعمل السيد المسيح الذي يحوِّل معركتنا مع إبليس إلى نصرة فائقة! عوض هدم مملكة المسيح التي في قلوبنا، يحل العار والخزي بمملكة إبليس.

---

[1] *Adv Haer 4 28 3*
[2] *On the Second Book of Kings, 3 23*

❖ الآن يا أحبائي قد ذُبِحَ الشيطان، ذلك الطاغية الذي هو ضد العالم كله... لا يعود يملك الموت، بل تتسلط الحياة عوض الموت، إذ يقول الرب: "أنا هو الحياة" (يو ١٤:٦)، حتى امتلأ كل شيء بالفرح والسعادة، كما هو مكتوب: "الرب قد ملك فلتفرح الأرض"... الآن إذ بطل الموت وتهدمت مملكة الشيطان امتلأ الكل فرحًا وسعادة.

القديس البابا أثناسيوس الرسولي

❖ شدة عظيمة هكذا وحزن جسيم حلَّ بالشياطين وجنودهم في يوم صلب إلهنا، لأنه عند موته ونزوله إلى الجحيم صنع فيهم ما صنعه بفرعون والمصريين، وعتق بني آدم من حبسهم كما عتق بني إسرائيل من أرض مصر[1].

القديس أمبروسيوس

وَهَدَمُوا الْمُدُنَ،
وكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يُلْقِي حَجَرَهُ فِي كُلِّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ حَتَّى مَلأُوهَا،
وَطَمُّوا جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ،
وَقَطَعُوا كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ.
ولَكِنَّهُمْ أَبْقُوا فِي قِيرِ حَارِسَةَ حِجَارَتَهَا.
وَاسْتَدَارَ أَصْحَابُ الْمَقَالِيعِ وَضَرَبُوهَا. [٢٥]

"قير حارسة" أو "قير حارس" (إر ٤٨: ٣١) أو "قير موآب" (إش ١٥: ١). وهي تُدعى حاليًا كرك، تقع على رأس تل حوله أودية عميقة، وهي مدينة منيعة محصنة مخصبة.

كلمة "قير" تعني "سورًا"، وربما كانت هذه المدينة وحدها محاطة بسورٍ، فأبقاها الإسرائيليون بعد أن هدموا المدن الأخرى. غير أنهم ضايقوا أهلها وضربوهم بالمقاليع.

فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ مُوآبَ أَنَّ الْحَرْبَ قَدِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ،
أَخَذَ مَعَهُ سَبْعَ مِئَةِ رَجُلٍ مُسْتَلِّي السُّيُوفِ لِيَشُقُّوا إِلَى مَلِكِ أَدُوم،
فَلَمْ يَقْدِرُوا. [٢٦]

اتجه ملك موآب نحو ملك أدوم ربما ظن أنه أضعف من جيش إسرائيل ويهوذا. أو لأنه غضب عليه جدًا، لأنه كان سابقًا حليفه، وها هو قد تحالف مع عدّويه إسرائيل ويهوذا (٢ أي ٢٠: ٢٢).

❖ خرج ثلاثة ملوك لمحاربة بني موآب: ملوك إسرائيل ويهوذا وأدوم.

---

[1] *On Belief in the Resurrection 2:110.*

تجمع ثلاثة ملوك للقتال ومحاربة موآب الضعيف، وشنوا عليه معركة قاسية...
لاقاهم عطش عظيم وأنهكهم، وجاء الملوك عند أليشع، واستجاب لهم.
صلى النبي، وفاضت جداول المياه السريعة للشعب الكبير، بدون ريحٍ ولا مطرٍ.
وامتلأ الوادي بمستنقعات الماء بإشارةٍ خفية، وشربت الشعوب المجتمعة للقتال.
تقووا وجابهوا الخطر بجبروتٍ، ودمرت الحرب الموآبي، وهلك الأثيم.
أحاطت به القوات المجتمعة، وخربت أرضه، ودمَّروا ميراثه بغضب.
حميت المعركة، واستأصلوا قراه المحصنة، وأفسدوا وأبادوا جمال أرضه ومدنه.
رأى الوثني أن الحرب اشتدت عليه، ولم يقدر أن يقاوم خطر هذا القتال.
عزم الملكُ على الهروب ولم يسمحوا له، فوجد نفسه في وسط الأفواج السريعة.
وأحاطت به الحرب كأمواج بحرٍ عظيمٍ، ولم يجد مساعدًا ولا منقذًا ولا معينًا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٦. ميشع يُقدِّم ابنه ذبيحة

فَأَخَذَ ابْنَهُ الْبِكْرَ الَّذِي كَانَ مَلَكَ عِوَضاً عَنْهُ،
وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عَلَى السُّورِ.
فَكَانَ غَيْظٌ عَظِيمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ.
فَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَرَجَعُوا إِلَى أَرْضِهِمْ. [٢٧]

إذ شعر ملك موآب بالهزيمة تحرّك بقوة لمحاربة أدوم وحده، فلم يقدر. عندئذ قدم ابنه البكر نبيحة محرقة على السور. اغتاظ إسرائيل جدًا، وانصرفوا إلى أرضهم.

العجيب أن إسرائيل اغتاظ جدًا لتقديم ابن الملك البكر محرقة علانية، وحسب هذا رجاسة، فانصرف وعاد إلى أرضه، لكنه لم يفكر في إزالة عبادة الأوثان في بلده! فاض الله على الجيوش جداول مياه سريعة دون وجود ريح أو مطر، شرب منها الملوك الثلاثة والقادة والعسكر، ولم يفكر أحَد في تقديم نبيحة شكر أو تسبيح لله المعتني بهم. أما الوثني، فإذ دخل في ضيقة، وحوصرت مدينته، قدَّم ابنه البكر نبيحة لصنمه.

يدهش الكثيرون لماذا غضب الرب على إسرائيل عندما ذبح ملك موآب ابنه للشيطان. هذا ما يحدثنا عنه **القديس مار يعقوب السروجي** في شيء من الاستفاضة، في ميمره عن "أليشع

---

[1] الميمر ١١٧ الثاني على إليشع وعلى ملك موآب الذي ذبح ابنه على السور (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي٥٣-٤٣.

وملك موآب الذي ذبح ابنه على السور".

❖ أخذتُ الكتاب، وإذ كنتُ اقرأ، فاجأني العجب من ملك موآب الذي ذبح ابنه على السور.
تركتُ القراءة، وتوقفتُ بعجبٍ عظيمٍ، ودخلتُ واجتهدتُ لأفهم بحبٍ صافٍ.
ذبح الوثني ابنه على السور لإبليس الدنس، ومن قبل الله حلَّ الغضب على إسرائيل.
لهذا أخذتني الحيرة لأتكلم عن عملٍ، خَفيتْ علّته على الكثيرين...
ذبح لإبليس، وغلب الشعب العظيم... وسماع الموضوع يقلق الكثيرين.
الآن عزمتُ أن أتكلم عنه إن وُجد حبٌّ في الأذن التي تسمع لكي تفهم[1].

❖ فجأة أخذ ابنه البكر الذي يحبه، وأصعده مُحرقة فوق السور أمام عيون الكثيرين.
اشتد غضب الرب على الشعوب المحيطة به، واشتد الشرّ على العبرانيين والأدوميين.
وصار فرج للملك الوثني بذبيحة ابنه، وتوقفت حرب الملوك التي كانت تُشَن عليه.
وبذبيحة ابنه زالت عنه الخصومة الكبرى، وبدم بكره كسب في حرب الجبابرة...
ولهذا فالاستفسار هو عظيم: **كيف انتصر وثني بذبيحة دنسة أصعدها؟**
الحرب هي حرب الرب، والذبيحة قُرِّبت لإبليس، كيف نصره الرب بذبيحة نجسة؟
لم يكن يقدر صنمُ الملك الذي ذبح له ابنه على السور أن ينتصر ولا أن ينهزم.
الرب الذي في يديه الغلبة والهزيمة، ذبيحة الوثني لم تكن ذبيحته، بل كانت ذبيحة الأصنام.

مكتوب: إن غضب الرب اشتد على إسرائيل، أما إبليس الذي قبل الذبيحة فلم يحقق الغلبة.
لنستفسر الآن: لماذا نصر الرب ملكَ موآب، بينما ذبح بكره للصنم؟
رأى أن الوثني اتّكل على إلهه، فاشتد غضبه على شعبه إسرائيل.
ذاك صدّق بأن صنمه الفاسد ينقذه، وشعب الرب كان متشككًا من خلاص الرب له.
لهذا احتد غضبه على العبرانيين، لأنهم لا يحبونه، ولا يفتخرون به مثل الوثنيين.
أحب الوثني إلهه الذي ليس إلهًا، حتى ذبح له بِكرَه.
أنا الرب والإله والمُخلِّص، لماذا لم تحبوني أيها العبرانيون كما أحب هو صنمه؟
أحب ملك موآب ذاك الذي هو لا شيء، كما لو كان شيئًا عظيمًا، وبمحبة عظمى ذبح له بِكرَه.

---

[1] الميمر ١١٧ الثاني على إليشع وعلى ملك موآب الذي ذبح ابنه على السور (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي٥٢-٥٣.

وأنا الكائن والرب والعظيم، حسبني الشعب كلا شيء، وأبغضني.

ولهذا أسحق من لم يحبوني، أمام هذا الوثني الذي فيه حبّ لإلهه.

صدّق هذا الوثني الكذبَ ولم يتشكك، ويُكذِّب شعبي الحقيقة، ويرتاب في الخلاص.

هذا الوثني الذي لم يجد في إلهه قوة ولا عونًا ولا معجزة جبارة،

ولا آيات ولا انتصارات بأي شكل من الأشكال، وثق فيه وذبح له ابنه، ولم يتشكك.

إسرائيل الذي رأى قوتي وذراعي الرفيعة التي شقت البحر، وفجَّرت الصخرة، وحلَّت الماء،

وأنزلت المنّ، وأصعدت السلوى، وأجزلت الخيرات، وفتحت النهر، وأسقطت الأسوار، وقهرت الملوك.

في مصر القوّات، وعلى البحر المعجزات، وفي البرية المذهلات، وفي سيناء الرعدة، وفي كل مكان مآثر من كل نوعٍ.

بعد هذه العظائم التي صنعتُها، شعبي مرتاب ومتراخي، ولا يصدقني بأنه سينتصر بي.

ولهذا أسلمه أمام الخاسر، ليتعلم منه كيف يتكل على إلهه.

ذاك يحب صنمه دون أن يختبره، وأنا جربني الشعب بالقوّات ولا يحبني.

موسى علَّمهم أن يحبوا إلههم، ولم يسمعوا له، والوثني وبَّخه بمحبته البالغة لصنمه.

ذبح له بكره مع أنه لم يختبر مساعدته، وأنا احتقرني شعبي بينما مساعداتي كثيرة جدًا.

لأجل هذا اشتد الغضب على إسرائيل، عندما ذبح الموآبي ابنه على السور لصنمه.

لكي يخجل الشعب الذي لم يحب الرب سيده، مثّل هذا الوثني الذي برهن على محبته بذبح ابنه.

هؤلاء الملوك الثلاثة الذين حاربوا ذلك الوثني رأوا الأعجوبة التي صنعها أليشع.

مستنقعات الماء للعطاش للشعب العظيم أنهار سريعة في صحوٍ بدون ضباب.

شربت هذه الجيوش ولم يُسبِّحوا، ورأوا الآية ولم يتحركوا ليشكروا بسبب الأعجوبة.

ولهذا طُردوا بذبيحة الوثني، لأنه ربط اتكاله بإلهه بدون آية.

رأوا في أليشع قوة موسى العظيم، الذي صلَّى وملأ الوادي بالماء وسقاهم.

تفجرت السيول للجيوش في طريق أدوم، كتلك الصخرة التي ولدت المستنقعات في شونم.

ولأنهم أنكروا مجد حدوث آية عظيمة، كانوا يُحتقرون بواسطة وثني لم يرَ آية وآمن.

خسر الشقي، وخربت أرضه، وفنيَ شعبه، ورأى القوات التي صنعها رب بني يعقوب.

وسمع أخبار القوات التي صنعها أليشع، ورأى بأم عينيه ذراع أدوناي السامية.

اشتدت الحرب العظمى التي أحاطت به، وضعف بالخطر المحيق به من كل جهة.

لم يبتعد عن إلهه بسبب حدوث الأعجوبة، ولم يتشكك هذا الشقي، ويحتقر صنمه، لأنه خسر.

ولم يترك إيمانه لأنهم غلبوه، ولم يظن بأن إلهه ليس إلهًا، لأنه لم يخلصه.

وبعد كل هذا ذبح له بكره، وصدَّق بأنه يساعده، ولم يتشكك في الخلاص.

رأى الرب وصعد غضبه على إسرائيل، لأنه لم يكن ثابتًا عند إلهه مثل الوثني.

تلك الثقة التي في (الموآبي) بما ليس بشيء، كان يطلبها الرب، لتصير لشعبه ويثق به...

بذبيحة الوثني احتقرهم وهزمهم، لأنهم لم يكونوا متكلين على الله مثله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

للقديس أفرآم السرياني تعليق آخر على ذبيحة الابن البكر لميشع ملك موآب، يرى أن مشيري الملك الحكماء أخبروه عن أعمال الله العجيبة، وطلبوا منه أن يُقدِّم أثمن ما لديه لهذا الإله، فقدَّم ابنه البكر، كما قدَّم إبراهيم ابنه، والقاضي يفتاح ابنته، فقبل الله ذبيحة ملك موآب.

❖ لذلك فإن ميشع الذي فقد كل رجاء له في جيوشه، حدث له تغيير كامل ومفاجئ من جهة سؤاله عونًا من الآلهة. فقد رأى أنه لا يمكن لكائنٍ بشري أن يعينه. قال له بعض حكماء بلده أنه من الضروري أن يتوسل طالبًا الرحمة من إله إسرائيل عن طريق ذبيحة غير عادية، تشبه تمامًا ذبيحة إبراهيم أب الإسرائيليين، وقد سُرّ بها الله، وذلك حسب التقليد الذي كان يتجدد بين الكنعانيين (تك ٢٢: ١-١٨).

لقد عرفوا من الجميع الأمر العجيب جدًا الذي حدث أمام كل الموآبيين. إنه ليس أحد إلا (الله) هو الذي جعل المياه تفيض على شعبه في برية أدوم، فإنهم لم يسمعوا قط أو يعرفوا إله آخر يهب عابديه منافع أكثر مما يُقدِّمها هو.

لذلك فإن الملك الذي لم يستطع أن ينكر المعجزة التي رآها بعينيه، لم يرد أن يُحرَم من العون الكافي في تلك الظروف الصعبة المحيطة به.

لقد تأكد (في رجائه) وترك عبادة الأوثان بالتجائه إلى الله القدير الذي خلق بحرًا جديدًا في البرية. لهذا دعاه الحكماء ونبلاء موآب أن يقدم ذبيحة عظيمة، وهي بكره، عمود بيته، ورجاء مملكته على أسوار المدينة، أمام الجيوش التي حاصرته.

لقد أراد أن يرى العبرانيون الذبيحة التي يقدمها لإله إبراهيم، حسب تعاليم إبراهيم[1].

---

[1] الميمر ١١٧ الثاني على إليشع وعلى ملك موآب الذي ذبح ابنه على السور (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). القمص بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي٥٤-٦٠.

❖ يقلد الناس الذين يمارسون أعمالاً صالحة، ليس عن حب لهذه الأعمال الصالحة، وإنما لأجل نفعها...

سمع ملك موآب عن يفتاح. لكن، إذ كانت ابنته البكر التي ذبحها وليس حيوانًا، لذلك تحنن الله عليه، مع أنه فعل هذا ليس عن حبٍ، وإنما عن ألمٍ. في حالة يفتاح، لو كانت الذبيحة هي أحد خدامه ما كان يبالي به أحد لو أنه قام بذبحه. ولكن لكي لا يقوم البشر بتقديم ذبائح من إخوتهم في البشرية جعل ابنته تلتقي به، حتى يخاف الآخرون من تقديم كائنات بشرية نذرًا لله[2].

القديس أفرآم السرياني

توجد تفاسير أخرى كثيرة لهذه الذبيحة، منها:

أولاً: يتساءل البعض هل قدّم ملك موآب ابنه محرقة (مي ٦: ٧) لإلهه كموش ليرغمه أنه يرضى عنه، أم أنه قدّم ابن ملك أدوم الذي أسره ملك موآب (عا ٢: ١).

ثانيًا: ماذا يعني بالقول: كان غيظ عظيم في إسرائيل؟

أ. يرى البعض أن ملكي يهوذا وأدوم إذ شاهدا ملك موآب يقدم ابنه ذبيحة ندما على ما كانا قد سبَّباه من قسوة مُفرِطة، وألقيا بالمسئولية على ملك إسرائيل، إذ هو الذي حركهما للحرب.

ب. يفسر البعض هذه العبارة أن إسرائيل حنق حنقًا شديدًا، وانصرفوا عن ملك موآب، ورجعوا إلى أرضهم.

ج. يرى آخرون أن الغيظ كان من جانب الموآبيين على إسرائيل ويهوذا وأدوم عندما شاهدوا ملكهم يُقدّم ابنه البكر مُحرقَة على السور، فتشددوا في الدفاع حتى التزم الإسرائيليون بالانصراف عنهم.

د. يرى البعض أن ملك موآب قدَّم ابن ملك أدوم ذبيحة، وكان ملك موآب سبق أن أسر هذا الابن، ويرون أن ما ورد في (عا ٢: ١) إشارة إلى هذه الحادثة.

تقديم الذبائح البشرية عادة قديمة جدًا، كانت تمارسها الكثير من الأمم في عصور متباينة.

قدم *Burder* ملاحظة دقيقة، وقائمة طويلة للأمم التي كانت تُقدِّم ذبائح بشرية. من بينها: الأثيوبيون، والفينيقيون والسكيثيون والمصريون، والصينيون والفارسيون، والهنود وأهل بلاد الغال، والغوصيون، أهل قرطاجنة، والعرب والبريطانيون (قبل غزوات الانجلوسكسانيين)، والرومانيون. كانت تتم بطرق كثيرة، أحيانًا بالذبح بالسكين وأحيانًا بالغرق، وأحيانًا بالحرق بالنار،

---

[1] *On the Second Book of Kings. 3:25-27.*
[2] *Commentary on Tatian's Diatessaron, 10:3.*

وأحيانًا بالدفن وهم أحياء.

تمثَّل الإسرائيليون الذين عبدوا الأوثان بجيرانهم الفينيقيين في هذا الأمر (راجع إر ١٩: ٥؛ مي ٦: ٧).

منذ سنوات قليلة أُكتشف نقش في *Behistun*، وكما يقول عنه الأستاذ *Grotefend* من هانوفر بأن النقش أشار إلى أن نبوخذ ناصر قام بحرق ابنه حتى الموت لكي يحفظ بابل من ضيقة[1].

من وحي ٢ مل ٣

إليك التجئ يا إله المستحيلات!

❖ بالحسابات البشرية ظنَّ ملوك يهوذا وإسرائيل وأدوم،
أنهم لا محالة منتصرون على موآب.
بدون مشورتك انطلق الثلاثة للحرب.
نسوا أبسط الحسابات الحربية.
اجتمعوا معًا في أدوم حيث كانت تنقصهم المياه.
موارـهم البشرية والعسكرية قوية.
لكن بسبب نقص الماء تعرَّضوا لهلاكٍ أكيدٍ.

❖ أصرَّ يهوذا أن يستشيرك خلال نبيّك أليشع.
وفي طول أناتك قدَّمتَ لهم أكثر مما سألوا.
طلبوا ماء ليرتووا من عطشهم ويتحركوا للحرب.
رويّتهم هم وحيواناتهم، وملأت جباب الوادي ماءً!
لم ترسل لهم رياحًا ولا أمطارًا،
فمن أين امتلأت الجباب؟!
أنت إله المستحيلات.
وهبتهم ما لم يحلموا به.
قدمت لهم ماءً بلا تعب،
ووعدتهم بالنصرة بدون معارك.

---

[1] *CF James M Freeman Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 330*

- قدّمتَ ماءً ينقذ من في عطشهم التجأوا إليك،
  نظره موآب فظنّه دمًا.
  تحرك جيشه لا للحرب بل للسلب.
  فسقطوا في فخ لم يخرجوا منه.
- إلهي تُسبِّحك نفسي، لأنك تفتح لي أبواب الرجاء.
  حين يضيق الأمر أمام عينيَّ الجسديتين،
  تفتح بصيرتي، فأنظر عجبًا!
  خلال الضيق تشرق برحمتك عليّ!
  تشرق يا شمس البرّ فيّ، فأستنير.
  وببهائك تتبد مملكة الظلمة.
- يسبيني حبك، ويحررني من عبودية إبليس!
  تسندني بروحك، وتقيم ملكوتك في داخلي!
  لك المجد يا من تُحوِّل مرارتي إلى عذوبة.
  تُحررني من الهاوية، وتصعد بي إلى سماواتك.

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

أسلام لكِ؟ أسلام لزوجكِ؟
أسلام للولد؟

سرّ الكنيسة الكارزة

في المعجزة الأولي أعلن الله لبني الأنبياء أن أليشع قد صار بالحق نبيًا، يحمل ذات القوة التي كانت لمُعلِّمه إيليا، فشق نهر الأردن برداء إيليا (٢ مل: ٢).

وفي **الثانية** أعلن الله عما في قلب أليشع النبي من حبٍ، وما وُهب له من قدرة في الرب، كرمز للسيد المسيح الطبيب السماوي، فشفى المياه الفاسدة، لتصير القرية مثمرة.

وفي **الثالثة** أعلن عن اهتمام أليشع بخلاص النفوس، فسمح الله لدُبتين أن تفترسا الصبيان الذين سخروا بالنبي عوض الشكر لله. إنه أصلح المياه والأرض، بهذا قدَّم الله درسًا لكل الشعب عن ضرورة الشكر عوض الجحود، والسلوك بالتقوى عوض السخرية.

وفي **الرابعة** أعلن عن غِنَى رجال الله وتمتعهم بكنوز فائقة، فما لم يستطع الملوك الثلاثة المتحالفون أن ينالوه من مياه للشرب، قدَّمه لهم أليشع النبي دون وجود رياحٍ وأمطار. أما عن نصرة ملك موآب بعد هزيمته أمام الملوك الثلاثة، بتقديمه ابنه البكر ذبيحة لصنمه علانية على سور المدينة، ففيه درس خطير يُقدِّمه الله لشعبه: إنهم لم يحبوه ولا خافوه ولا تمسكوا به كما فعل هذا الوثني بصنمه.

الآن إن كان الوثني قد كرَّم الصنم، وصار درسًا لشعب الله الجاحد للإله الحقيقي، ففي المعجزة التي بين أيدينا يعلن الله عن كنيسة العهد الجديد، هذه التي ليس فقط تخشى الله وتحبه، وإنما تفتح أبواب الإيمان لكل الشعوب والأمم.

بينما كان إيليا يميل بالأكثر إلى خدمة الجماعة ككل، ويهتم بالشعب كأمة، دون تجاهل خدمة الفرد، كان أليشع يميل بالأكثر إلى الخدمة الفردية دون تجاهل خدمة الجماعة. لذا يرى البعض أن إيليا في خدمته يشبه القديس يوحنا المعمدان، بينما أليشع يتشبه بالسيد المسيح.

في هذا الأصحاح يختبر أليشع نواله نصيب اثنين من روح إيليا (٢: ٩)، يظهر هذا من خلال كثرة المعجزات. يُقدِّم لنا هذا الأصحاح صورة حية لخدمة أليشع النبي:

١. **إعالته أرملة وابنيها** ١-٧.
٢. **قبوله استضافة امرأة عظيمة** ٨-١٠.

١. إعالته أرملة وابنيها

وَصَرَخَتْ إِلَى أَلِيشع امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الأَنْبِيَاءِ قَائِلَةً:
إِنَّ عَبْدَكَ زَوْجِي قَدْ مَاتَ،
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَكَ كَانَ يَخَافُ الرَّبَّ.
فَأَتَى الْمُرَابِي لِيَأْخُذَ وَلَدَيَّ لَهُ عَبْدَيْنِ. [١]

يبدو أن هذه الأرملة اضطر رجلها وهو نبي تحت ظروف المرض أن يستدين من مُراب. يبدو أن أحد الأنبياء أُصيب بمرضٍ، فأنفق كل ما لديه واستدان من مُرابٍ، لأجل الأنفاق على مرضه أو بيته، ثم مات. طالب المرابي الأرملة بإيفاء الدين، وإذ لم تستطع هددها بأن يأخذ ابنيها عبدين له.

كان يجوز للفقراء والمدينين أن يبيعوا أنفسهم أو أولادهم عبيدًا لسداد ديونهم، وكان الشعب يطلب من الأغنياء الترفق بهم كإخوة لهم، وعدم استغلال ظروفهم (تث ١٥:١-١٨). لكن الدائن هنا لم يحفظ الشريعة، وجاء عمل أليشع يكشف عن سخاء عطية الله ومحبته ورحمته بالمتألمين.

استنجدت الأرملة بأليشع النبي، وكان أمامه أحد أمرين: إما أن يفي عنها الدين أو يسأل المُرابي أن يُمْهلَها. لم يكن لدى أليشع مالاً يفي به الدين، ولم يكن لدى المُرابي قلبًا رحيمًا لينصت لحديث النبي وطلبته. استحسن النبي التعامل مع دهنة الزيت عن التعامل مع المُرابي. فالطبيعة تستجيب للصوت النبوي أكثر من الإنسان القاسي القلب.

كانت النظم والقوانين تسمح ببيع الأبناء كعبيد للدائن لتسديد الدين. أما الكتاب وإن كان قد سمح بذلك لكنه قدَّم حدودًا حتى لا يُساء استخدام هؤلاء العبيد، وهو بهذا كان يُهيئ البشرية بالتعامل مع العبيد كإخوة في البشرية لهم حقوقهم. وجاء العهد الجديد يطالب بذلك بكل وضوحٍ، فأطلق كثير من المؤمنين عبيدهم في حرية، وبقي البعض في خدمة سادتهم بكامل حريتهم خلال علامة الحب والاحترام المتبادل. هذا هيَّأ لقيام ثورات ضد نظام العبيد فيما بعد.

تصدر هذه الشكوى عن كل إنسانٍ يشعر بحالة من اليتم، بسبب الخطية التي تعزل النفس البشرية عن عريسها السماوي، وتصير كمن فقدته، فصارت أرملة ليس لها من يسندها ويشبع كل

احتياجاتها. تصير النفس في حاجة إلى زيت نعمة الله الغنية القادرة أن تهبنا المغفرة بالتوبة والرجوع إلى الله مخلصنا، كما تُحرِّرنا من عبودية إبليس القاسية.

واضح أنه مع وجود أنبياء بتوليين زاهدين مثل إيليا النبي وأليشع النبي، وُجد أيضًا بعض الأنبياء كانوا متزوجين ولهم ممتلكات وأعمال خاصة.

حقوق الدائن: سمحت الشريعة الموسوية للدائن أن يلزم المدين العاجز عن سداد دينه أن يقوم هو وأولاده بخدمته حتى متى حلَّتْ سنة اليوبيل يُطْلِقهم أحرارًا (لا ٢٥: ٣٩-٤١؛ نح ٥: ٥، ٨؛ أي ٢٤: ٩؛ إش ٥٠: ١)[1].

❖ يُقال أن هذه المرأة هي زوجة عوبيديا، أمين خَزنة أخآب، وتلميذ خفي لإيليا، هذا الذي أخفى مئة نبيًا من ثورة إيزابل، وكان يُطْعمهم عندما كانوا جائعين.

يبدو أنه في هذا الشأن كان الحافظ على ذهب البيت الملكي، ولكن بعد موته ترك زوجته وعليها دين ضخم تلتزم بسداده. وإذ لم تستطع أن توفيه كان رجال الضرائب العاملين لحساب الملك يضغطون عليها، ويريدون أن يبيعوا ابنيها، فتوسلت الأم أمام أليشع، إذ عرفت أنه أب الأيتام والمدافع عن الأرامل (مز ٦٨: ٥)، وعرفت أن يديه لن تتوانيا عن مساعدة أبناء إنسانٍ بارٍ خدم زملاءه الأنبياء[2].

القدِّيس أفرآم السرياني

فَقَالَ لَهَا أَلِيشع: مَاذَا أَصْنَعُ لَكِ؟
أَخْبِرِينِي، مَاذَا لَكِ فِي الْبَيْتِ.
فَقَالَتْ: لَيْسَ لِجَارِيَتِكَ شَيْءٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ دُهْنَةَ زَيْتٍ. [٢]

من قول أليشع النبي: ماذا أصنع لك؟ يتضح أنه لم يكن يستطيع أن يتحدث مع المُرابي، إما لمعرفته به أنه طماع وقاسي القلب، أو لأن كثيرًا من المرابين كانوا يستغلون فرصة المرض أو الاحتياج الشديد. فكان من الأسهل على أليشع أن يتعامل مع "دهنة الزيت" لتملأ كل الأوعية التي تستعيرها من الجيران عن أن يتعامل مع قلب المرابي وفكره، لأن إرادته الشريرة أغلقت عليه، فلا يقبل مشورة ولا يمارس حبًا ورحمة.

"دهنة زيت": لم يكن لديها إلا ما يكفي إلا لدهن قطعة خبز. تشير دهنة الزيت إلى عدم وجود زيت يكفي للطعام، إنما دهنة تستخدم كمسحة. غالبًا ما كانت الدهنة في إناء صغير لا قيمة له.

[1] *CF. James M. Freeman· Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 331.*
[2] *On the Second Book of Kings, 4:1.*

يطالبنا الرب أن نُقدِّم ما عندنا ولو كان قليل القليل كدهنة زيت، أو خمسة خبزات لإشباع خمسة آلاف رجلٍ وعائلاتهم، وهو يبارك في القليل ليسد احتياجاتنا بفيض من عنده.

إناء الزيت *Asuk*: وهو إناء غالبًا ما يكون جرة فخارية عميقة وعنقها ضيق، توضع في قاعدة خشبية أو حجرية أو تُسند في الأرض مثل القارورة التي كان الرومان والمصريون يستخدمونها للخمر والزيت والماء، ذات عروتين (يدين)، وإن كان البعض يرون أن هذا الإناء *asuk* بلا عروة[1].

❖ كان ذاك المسكين يستعمل هذه الثروات، لأنه لم يقتنِ على الأرض مع الله ذهبًا وفضةً.

لم يكن له شيء، لكنه كان غنيًا في كل شيء، وكل ما طُلب منه وهبه للمحتاجين، فأغناهم.

كانت أرملة يضايقها المدينون، عرضت عليه طلبها بالدموع بسبب حاجتها.

ضايقها صاحب الدين، **فركضت عند أليشع، ليقوم محل رجلها في حاجتها.**

الرب هو رجل الأرملة، وبدل الرب كان (أليشع) يُطالب بأن يفرج عن المُعوزة.

بدل الله تمسكت به، ليحل محل الرجل، لئلا يمزقها الدائنون.

عرفت أنه وكيل بيت الله، لهذا طلبت منه أن ينقذها من صاحب دَينها.

عند من تذهب الأرملة عندما تتضايق، إلا عند الله وحده الذي هو رجلها؟

ولما كان أليشع وكيله، أمسكت به ليخلّص يتيميها من عبودية صاحب الدين.

أسرعت لتودع أمورهما إلى أب الأيتام، كما وعد بأنه يسند المظلومين، الذين مات أبوهم.

وإذ ارتفع صوتها، صرخت أمامه بقوةٍ، ليفي دَينها، وينقذ ابنيها من العبودية.

قالت له الذكية: عبدك بعلي مات، وها صاحب الدَين يمسك اليتيمين ليستعبدهما.

وأنت تعلم بأن عبدك كان يخاف الرب. قم مكانه، لأجل الرب الذي كان يخافه.

عرضت الذكية قضيتها بحكمة، حتى يُلزَم النبي ويقوم لكي يتمم مهمتها.

قالت له مات بعلها، وكان يخاف الرب، حتى يهتم بها بسبب كلا الأمرين.

أجبرته ليقف مثل رجلها، وأن يخلص ابنيّ خائف الرب من العبودية.

عرفت أنه نبي، ذاك الذي وعد بأنه يجازي الأصدقاء مجازاة حسنة إلى ألف جيلٍ.

وطلبت من النبي أن يقوم مقام الله، استنادًا إلى ذلك الوعد المستودع عندها كرهينة.

قام النبي أيضًا مثل مُطالب بالعدالة ليسدد كل ديونها بدل الله.

طُلب منه كأنما اسمه موجود في الصك، فأعطى بفرحٍ ليخلِّص اليتيمين.

---

[1] *CF. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bihle, 1972, , article 332.*

وقف بدل الله مع الأرملة المحتاجة، وحلَّ محل رجلها في عوزها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ: اذْهَبِي اسْتَعِيرِي لِنَفْسِكِ أَوْعِيَةً مِنْ خَارِجٍ مِنْ عِنْدِ جَمِيعِ جِيرَانِكِ،
أَوْعِيَةً فَارِغَةً.
لاَ تُقَلِّلِي. [٣]

عندما طلب منها النبي أن تستعير أوعية من الخارج، لم يشر إلى ضمها إلى أوعية في البيت، مما يدل أن البيت كان مُعدمًا حتى من الأوعية الفارغة.

غالبًا ما كان جيرانها هم عائلات الأنبياء، إذ سمعن عن قول أليشع قدَّمن بإيمان كل ما عندهن من أوعية فارغة.

دعوة الله لنا على لسان نبيه أليشع هي:"لا تقللي"، وكأنه يحثنا بطلب الأمور العظيمة وبكثرة، فإنه يليق بنا كأبناء لله أن نطلب منه ما يليق بأبينا.

❖ هذه الأرملة، أي الكنيسة، عليها دين ثقيل من الخطايا، ليس دينًا ماديًا. عليها دين ودائنوها أقسى ما يكون، إذ جعلت نفسها خاضعة للشيطان بخطاياها الكثيرة. هكذا بالحقيقة سبق فأخبرنا النبي: "هوذا من أجل آثامكم قد بُعتم، ومن أجل ذنوبكم طلقت أُمكم" (إش ٥٠: ١). لهذا السبب صارت الأرملة مُستعبَدة لدينٍ ثقيلٍ هكذا.

كانت مسبية، إذ لم يكن بعد قد جاء الفادي، لكن بعد مجيء المسيح ربنا الفادي الحقيقي افتقد الأرملة، وحررها من كل ديونها. لنرى الآن كيف تحررت هذه الأرملة، كيف تم ذلك إلا بفيض الزيت؟ نفهم بالزيت الرحمة.

لاحظوا يا إخوة أن الزيت قلَّ والدين زاد؛ وإذ زاد الزيت اختفى الدين... هكذا عند مجيء أليشع الحقيقي، المسيح ربنا، تحررت الأرملة أو الكنيسة من دين الخطية بزيادة الزيت، أي بعطية النعمة والرحمة أو غِنَى الحب[2].

❖ لنأخذ في الاعتبار ما قاله الطوباوي أليشع لها: "**استعيرى لنفسك أوعية كثيرة من جيراتك وأصدقائك، وأغلقي بابك، وصبِّي هذا الزيت في آنية جيرانك**".

من هم جيرانها إلاَّ الأمم؟ بالرغم من أن هذه الأرملة تشير إلى الكنيسة، لكنها كانت لا تزال أرملة، والجيران الذين استعارت منهم الآنية هم الأمم. قدَّموا آنية فارغة لكي يستحقوا

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص٤٠-٤٢.

[2] *Sermon 128:1.*

استلام زيت الرحمة، لأنه قبل الحصول على عطية النعمة كان الأمم معروفين أنهم بلا إيمان ولا محبة ولا أعمال صالحة. أخيرًا، كل الذين قُدِّموا للكنيسة لنوال العماد المُكرَّم، ونالوا المسحة وزيت البركة حتى لا يعودوا بعد أوعية فارغة بل صاروا مملوءين من الله بكونهم هيكله[1].

❖ لاحظوا أيها الأحباء الأعزاء أنه طالما كان لدى الأرملة زيت في آنيتها لم يكن ذلك كافيًا لكي تسد دينها. هذا حق يا إخوة. إن أحب إنسان نفسه فقط لا يكفى هذا ولا يفي دين خطاياه، لكنه عندما يبدأ يسكب زيت الحب على كل أصدقائه وجيرانه، وبالحقيقة على كل بشرٍ، عندئذ يصير قادرًا أن يشبع ويتحرر من كل الديون.

حقًا يا إخوة هذه هي طبيعة الحب المقدس والمحبة الصادقة إنها تزيد عندما تُنفَق، وبقدر ما تدفع للآخرين تنمو بفيض وتتكدس في الإنسان...

إن قدَّمتَ خبز الحب لمئة إنسان يبقى خبز الحب سالمًا بكماله. في الواقع إن كنتَ تمنحه للعالم كله، لن تفقد منه شيئًا، بالحري ليس فقط لا ينقص، وإنما الربح الذي ناله كل الذين وهبتهم هذا الحب يزداد بالأكثر فيك[2].

❖ يلزمنا من جانبنا أن نبحث عن أوعية نسكب فيها الزيت، فقد أظهرنا أنه طالما نحن نسكب الزيت على آخرين يكون لنا ما هو أكثر.

البشر هم أواني الحب، إن أردنا أن نحمل فيضًا من زيت الحب، يلزمنا أن نحب الأشرار كما الصالحين، الصالحين لأنهم صالحون، والأشرار لكي يصيروا صالحين. حقًا إن زيت الحب له هذه القوة، يجعل الصالحين في حالٍ أفضل، ويرد الأشرار من ظلمة خطاياهم إلى نور الحق[3].

الأب قيصريوس أسقف آرل

ثُمَّ ادْخُلِي وَأَغْلِقِي الْبَابَ عَلَى نَفْسِكِ وَعَلَى بَنِيكِ،
وَصُبِّي فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأَوْعِيَةِ،
وَمَا امْتَلأَ انْقُلِيهِ. [٤]

طلب منها النبي أن تدخل وتغلق الباب عليها وعلى بنيها، لتدرك أن ما تتمتع به هو من الله الساكن في أعماقها وفي بيتها. يشير غلق الباب إلى توجيه الأنظار إلى الرب السخي في

---

[1] *Sermon 128.2*
[2] *Sermon 128:3.*
[3] *Sermon 128.4.*

العطاء، فلا نترقب زيتًا من الخارج. لقد طلب منا رب المجد في صلواتنا أن نغلق أبوابنا حتى يكون ربنا هو موضع تفكيرنا ورجائنا (مت ٦: ٦).

❖ حقيقة أن الكتاب المقدس يقول بأن الأرملة صبّت زيتًا في الأواني والباب مُغلَق، يعني أن كل واحدٍ يلزم أن يقُدِّم الصدقة وداره مُغلَق، أي من أجل الله وحده، وليس بطريقة بها يمدحه الناس، وإنما أن يتأهل أن يجد نعمة لدى الله.

إن قدَّم إنسانٌ صدقةً من أجل مديح بشري، يصنعها وبابه مفتوح، إذ هو مفتوح لرؤية كل بشر. على أي الأحوال إن تمم أحدٌ أعمالاً صالحة من أجل الحياة الأبدية وغفران خطاياه، حتى إن مارسها علنًا، إنما يمارسها وبابه مُغلَق، لأنه لا يطلب ما يُرَى أثناء عطائه، بل ما لا يُرَى (٢ كو ٤:١٨)[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

فَذَهَبَتْ مِنْ عِنْدِهِ،
وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى بَنِيهَا.
فَكَانُوا هُمْ يُقَدِّمُونَ لَهَا الأَوْعِيَةَ وَهِيَ تَصُبُّ. [٥]

إذ طلب أليشع من مُعلِّمه أن ينعم بروحيْن منه، نال سؤل قلبه. فكما وُهب إيليا النبي سلطانًا، يأمر الخلائق فتطيعه في الرب، إذ طلب من السماء ألا يكون طلّ ولا مطر حتى يقول لها، هكذا تمتَّع أليشع بذات السلطان. لقد طلب من دُهنة الزيت أن تفيض حتى تملأ الأواني الفارغة، وتُحقِّق له طلبه.

لقد أكَّد النبي بعمله هذا أن الله قادر أن يُشبع احتياجات المؤمنين حتى المادية.

إنه لأمر مُحزِن أن تستجيب دهنة الزيت لطلبة النبي، فتحل بها البركة، لتُسدِّد دين الأرملة المسكينة، وتنقذ الابنين، ولا يستجيب قلب الإنسان ليظهر حنوًا ورأفة.

لقد أشركت المرأة ابنيها في العمل، حيث كانا يُقدِّمان لها الأواني الفارغة، وهي تسكب من دهنة الزيت لكي تكون لهما خبرة عملية بعمل الله المُشبِع لاحتياجاتنا.

❖ سألها ماذا يوجد معها في بيتها؟ أجابته: إن لها زيتًا في قارورة.
لماذا إذًا سأل النبي المختار واستفسر من الأرملة (قائلاً): ماذا لكِ في البيت؟
حرَّك نفسه ليصنع آية في بيت الأرملة، ويُكثِّره لها ما لها، وتغتني به.
بالروح الذي أخذه من الله، كان قد تسلط حتى يُكثِّرَ الخليقة ويُقللها ويُبدِّلها.

---

[1] *Sermon 128.5*

لهذا سألها ماذا لديكِ، حتى يكثِّر ذلك الشيء الموجود عندها.
لو كان يوجد في بيتها شيء آخر، لأكثره، وكان يثريها مما لها.
إذ أعلمته بأنها تملك زيتًا، صمم أن يملأ كل بيتها زيتًا، فتغتني به.
أخذ أليشع مفتاح إيليا العظيم ليفتح الخلائق ويغلقها مثل رب بيتٍ.
بهذه القوة التي بها تدفق القرن في بيت الأرملة، بُوركت القارورة وكثر الزيت.
معلّمه لقّنه، والرب وهب له أن يأمر الخلائق، فتخدمه بطبائعها.
ولهذا سأل ماذا يوجد في بيت الأرملة، ليدعو الخليقة المجيدة فتقوم.
وإذ وجد هناك زيتًا، أمر الزيتَ ففاض، وسُدَّ حاجة المعوزة.
ما أن عرف بأنها تملك في بيتها زيتًا، قال لها أن تطلب من جيرانها آنية فارغة.
وتدخل إلى بيتها هي وابناها وتغلق بابها، وتملأ الآنية ماءً[1]، وفعلت هكذا.
والآنية التي طلبتها ملأتها ماء وفاض الزيت واغتنى بيت المعوزة بمعجزةٍ حدثت[2].

القديس مار يعقوب السروجي

يتعجب **القديس مار يعقوب السروجي** من تصرُّف أليشع النبي، فإن كثيرين كانوا يقدمون له ذهبًا وفضة وثيابًا، وكان يرفض أن يأخذ شيئًا منهم. كان في إمكانه أن يأخذ منهم ويُسدِّد دين هذه الأرملة. لقد طلب منها أن تدخل بيتها مع ولديها **وتُغلِق الباب عليهم**، فتمتلئ الأواني الفارغة بالزيت. إنها صورة رائعة لعمل السيد المسيح في كنيسته التي تُقدِّم أسرار الله الغنية الفائقة في داخلها، الأسرار التي لن يدركها من هم في الخارج. يُحوِّل السيد المسيح قلوبنا الباردة إلى الامتلاء بزيت نعمته.

❖ من يعطني عينًا صافية ترى الأسرار، وفمًا صاحب سلطان على الخفايا فأتكلم عنها.
ونفسًا مملوءة من حبّ الرب، وإيمانًا، وكلمة جلية تُحرِّك التمييز.
وأذنًا مملوءة حبًا عظيمًا، وعطشًا لسماع جمال الأسرار، عندما توصف بأشكالها؟
هذه الأرملة التي اشتكت لدى أليشع، مصوّر بها السرّ بوضوح لمن ينظر إليها.
كان النبي يستطيع أن يدفع دَينها بدون زيت، لو أَمَرَ صاحب الدَين أن يتركه لها.
كان يُقدَّم له وزنات وثياب ولم يأخذها، أما كان قادرًا أن يفي دَين تلك المشتكية؟

---

[1] لم يذكر الكتاب المقدس أن الأرملة ملأت الأواني الفارغة ماءً تحول بعد ذلك إلى زيتٍ، إنما كانت تصب الزيت من القنينة التي لديها وكان الابنان تقدمان لها الواني الفارغة فتمتلئ زيتا.

[2] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص٤٢-٤٣.

سأل الشونمية ماذا يُصنَع لها، وكان مُستعِدًا أن يقول كلمة للملك لأجلها.

ذاك الذي كان يسهل عليه أن يأمر الملوكَ، لماذا لم يأمر صاحبَ دَين هذه الأرملة؟

أدخلها وأغلق الباب عليها وعلى ولدَيها، لأجل الأسرار التي تمَّت فيها بوضوح.

ربنا هو نسمة نفس النبوة، ولا توجد فرصة نهائيًا، بأن تحيا بدون أسراره...

بتلك الأرملة التي دخلت وأغلقت الباب على نفسها صوَّر أليشع سرّ الكنيسة وخلاصنا...

أغلقت أبوابها وأوفت دَينها، وبها رُسمت الكنيسة التي هي أيضًا تغلق أبوابها لغفران الذنوب...

كان السرّ محفوظًا عن الذين في الخارج ولم يعرفوه، عندما صنعت فعلها بينها وبين ولدَيها داخل أبوابها.

أرسل أليشعُ صاحبُ السرّ الروحَ، ورفرف هناك في بيت الأرملة داخل أبوابها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** الأرملة وقد أدخلت إلى بيتها آنية فارغة من السوق ومن الجيران، ليملأها أليشع بالزيت، صورة حية للكنيسة التي تدخل بالبشرية من كل الأمم والشعوب إلى العضوية الكنسية، فتمتلئ القلوب بسُكنَى الله فيها!

❖ داخل الأبواب المُغلَقة تكلم ثلاثة بالسرّ، وصبُّوا، وملأوا الأوعية الفارغة غنى عظيمًا.

الأوعية الفارغة تدل على البشر الذين كانوا فارغين من الحياة ومن موهبة اللاهوت.

في داخل الكنيسة، يسكب الثالوث الحياة، ويملأ الجميع من موهبته صاحبة الكنوز.

هذه الأسرار التي تمت داخل الكنيسة، موجودة في كل العمل الذي صار في بيت الأرملة...

طلب النبي من المرأة أن تسأل الأوعية حتى من السوق ومن جيرانها لتملأها.

هذا يرسم أن تأخذ الكنيسة من جميع الشعوب أناسًا فارغين، وتملأهم إيمانًا.

قال لها: اطلبي من السوق ومن جيرانك، كما تأخذ الكنيسة من الشعوب والأمم[2].

وَلَمَّا امْتَلأَتِ الأَوْعِيَةُ قَالَتْ لابْنِهَا:

قَدِّمْ لِي أَيْضًا وِعَاءً.

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص٤٣-٤٥.

[2] ميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص٤٦.

فَقَالَ لَهَا: لاَ يُوجَدُ بَعْدُ وِعَاءٌ.
فَوَقَفَ الزَّيْتُ. [٦]

قدَّم الله للأرملة زيتًا قدر ما قدّمت من أوعية، فإن عطاياه لا تُحد، يهب قدر ما نطلب، ويملأ قدر ما نستقبل. إيماننا وطاعتنا يفتحان مخازن الله لنأخذ أكثر مما نطلب وفوق ما نحتاج. قدر ما نفتح أفواهنا يملأها؛ الله لا يكف عن أن يبارك ويعطي حتى تمتلئ.

فَأَتَتْ وَأَخْبَرَتْ رَجُلَ اللهِ، فَقَالَ:
اذْهَبِي بِيعِي الزَّيْتَ، وَأَوْفِي دَيْنَكِ،
وَعِيشِي أَنْتِ وَبَنُوكِ بِمَا بَقِيَ. [٧]

دُعي أليشع النبي رجل الله ٦ مرات في هذا الأصحاح (٧، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٧).

كانت المرأة حكيمة وتقية، فإنه إذ امتلأت الأواني لم تتصرف في الحال من عندها، بل سألت النبي عما تفعله. سلكت بروح التواضع، لا تفعل شيئًا بدون مشورة رجل الله. أما بالنسبة للنبي فواضح أنه في أبوّة صادقة يهتم بالجميع ويشبع احتياجاتهم ويحل مشاكلهم الروحية والاجتماعية والمالية.

طلبت المرأة الحاجة العاجلة لكي تنقذ ابنيها من العبودية، فقدَّم لها النبي ليس فقط ما تسد به احتياجها السريع، وإنما ما يسندها في معيشتها: "اذهبي بيعي الزيت وأوفي دينك، وعيشي أنت وبنوكِ بما بقى".

امتلأت كل الأوعية التي قدَّمتها بالزيت، فلم تنشغل بالزيت، ولا انبهرت بالمعجزة، لكنها أسرعت إلى رجل الله تخبره بما حدث حتى تتمم إرادة الله. هكذا يليق في كل أمورنا أن نطلب مشورة الله، ولا نتحرك حسب مشورتنا البشرية.

❖ من الجانب الرمزي يلزم ملاحظة ثلاثة أمور هنا:

أولاً: قيل أن الأرملة ملأت أواني جيرانها بزيت تفجر في بيتها، بفضل عطية الله، فإن الكنيسةَ المقدسة تمثلها الأرملة. في الواقع لم تُهجَر عندما صعد رجلها إلى السماء، إنما ملأت قلوب الأمم بزيت معرفة الخلاص الذي تكاثر وفاض في بيتها بفضل حضور الروح القدس!...

ثانيًا: سألت الأرملة عن أوعية فارغة، ملأتها بالزيت، تلك التي قدَّمها لها ابناها، الأواني الكبيرة والصغيرة. هذا يعني أن القديسين الذين رفضوا شهوة زمنية، وامتلأوا بدسم المسحة المقدسة وزيت البهجة، فإن أمهم، أي نعمة الله، تهب زيتًا لكل واحدٍ منهم، للعظماء والصغار. إذ يعطي الله هذه العطايا كما يشاء. فيصير كل شيءٍ هو لنا (١ كو ٣: ٢١-٢٢)، كقول الرسول: "يلزمنا أن ننمو في المسيح حسب عطيته" (راجع أف ٤: ١٥). أما الذين ينحدرون

بسبب الإفراط في الشهوات والسُكْر والاهتمامات الزمنية، هؤلاء الذين – كما يقول الرسول – يسيرون في بطلان روحهم، وفي ظلمة جهالتهم، هؤلاء الذين فقدوا رجاءهم وسلّموا أنفسهم لممارسة كل نوعٍ من الوثنية والطمع (أف ٤: ١٧-١٩؛ رو ١: ٢١-٢٤)، فيتجرّدون من هذه النعمة. في الحقيقة لا يرغبون في هذا الزيت، وإن رغبوا فيه لا يعدون إناءً يمتلئ به.

ثالثًا: بقية الزيت الذي تركه الزوج الميت لأرملته، يعني رحمة ذاك (المسيح) التي أظهرها للقديسين عندما كان يعيش على الأرض. يقول سليمان إن من يلتصق بالرب يرحم الفقير، ويكافئه الرب على أعماله (أم ١٩: ١٧)[1].

القدّيس مار أفرآم السرياني

٢. قبوله استضافة امرأة عظيمة

كان أليشع رجلاً عظيمًا يحمل قلبًا متسعًا للجميع، ويهتم بكل أحدٍ. لذلك أرسل الله إليه امرأة عظيمة تهتم هي وزوجها به، وتُقيم له مسكنًا في العلية لكي يستريح فيها أثناء عبوره ورحلاته المتكررة، خاصة بين مراكز الأنبياء أو مدارسهم.

لقد وجد القديس يعقوب في قصة الشونمية مع أليشع كما سجّلها الكتاب المقدس مصدرًا رائعًا للمفاهيم الإنجيلية، فتحدث عن:

١. **مفهوم الغنى**، مقارنًا بين الغنى الداخلي والغنى الخارجي.
٢. **خدمة القديسين**، وكيف يتأهل المؤمن لهذه الخدمة المباركة.
٣. **مساواة المرأة للرجل**، وكيف يمكن أن تكون أكثر غيرة منه.
٤. **المبادرة بالحب والعطاء** من سمات المؤمن، فلا ينتظر من يسأله شيئًا.
٥. **المؤمن صاحب سلطان.**
٦. **للمؤمن بصيرة مفتوحة.**
٧. المؤمن **جاد في خدمته**، لا يُفسِد وقته بالمجاملات الزائدة.
٨. **المسيح وحده هو القيامة وواهبها.**
٩. أن تكون **بيوتنا كنيسة الله أو موضع الجلجثة**، حيث تشهد لصليب المسيح.

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ عَبَرَ أَلِيشَعُ إِلَى شُونَمَ.
وكَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ عَظِيمَةٌ، فَأَمْسَكَتْهُ لِيَأْكُلَ خُبْزًا.
وكَانَ كُلَّمَا عَبَرَ يَمِيلُ إِلَى هُنَاكَ لِيَأْكُلَ خُبْزًا. [٨]

---

[1] *On the Second Book of Kings. 4.3*

شونم: كانت من نصيب سبط يساكر (يش ١٨:١٩)، وهي سولم على جانب جبل الدوحي الجنوبي الغربي، على بعد ثلاثة أميال من يزرعيل. حلّ الفلسطينيون فيها قبل معركة جلبوع العظيمة، وكانت مسكن أبيشج (١ مل ٣:١).

كان أليشع النبي يمر على شونم كثيرًا، لأنها على الطريق من الكرمل إلى مدن الجليل ومدارس الأنبياء في الجلجال وبيت إيل وغيرها.

امرأة عظيمة: واضح مما ورد عنها أنها كانت غنية أو زوجة رجل غني بجانب أنه يبدو عليها أنها مُتقدّمة على رجلها في حياة التقوى والذكاء، كما كانت كريمة وغيورة.

حتى في وسط الأيام القاسية بسبب الانحلال والفساد وعبادة الأوثان، وُجِدَ أُناس أتقياء عظماء في حياتهم الداخلية.

إذ ترك أليشع النبي ممتلكاته، واختار بإرادته الفقر، حيث وجد في الرب إلهه كنزه وغناه وشبعه وسلامه، كان يحمل هذا الغنى الفائق في أعماقه أينما حلّ. فلم يكن يشعر بالعوز، وإنما كان يفيض بالغنى على من يلتقي بهم، كما حدث مع المرأة الشونمية. هذا ما دفع **القديس مار يعقوب السروجي** إلى افتتاح ميمره عن "أليشع النبي والشونمية" بعمل مقارنة بين الغِنَى الداخلي والغِنَى الخارجي:

أ. يُمَثِّل الغِنَى الخارجي ثقلاً على الإنسان، فإنه يبحث عن موضع آمن لحفظه، إذ يخشى سرقته أو اغتصابه، أما الغِنَى الداخلي بالله الساكن في الإنسان، فيهب حياة سعيدة آمنة!

ب. ينصب الغِنَى الخارجي فخاخًا لصاحبه قد تؤدي إلى هلاكه، أما الغِنَى الداخلي فيدخل بصاحبه إلى الحياة المُطوَّبة!

ج. الغِنَى الخارجي يُشبِه قيدًا يربط صاحبه به، فيفقده حريته، أما الغِنَى الداخلي ففي كمال الحرية يحمله صاحبه أينما ذهب!

❖ غِنَى العالم يُحمِّل من يقتنيه ثقلاً، بك يا رب أغنني، لأن غناك حياة لمن يحبك.

كل مُقتَنَى يقتنيه المرء خارجًا عنك هو فخ عظيم، يخنق من يقتنيه.

ربي نقتنيك، لأنك الغِنَى الذي لا يُسلَبُ، وغناك يُكسب الحياة، والتطويب لمن يتعلق.

إذ يتغير الغنى ويعبر عن قانيه، فلماذا يفرح به، لأنه قد ركب العجلة وغيَّر المكان؟

هذا هو الغنى عندما يغتني الإنسان من داخله، **وكل غناه يسير معه حيثما سار.**

عبيد الرب كانوا أغنياء في الرب فقط، وكانوا فقراء في كل ما وُجد في العالم.

كانوا فقراء في مقتنيات الوقت القصير، لكنهم كانوا أغنياء في الله وفي مواهبه.

هذا هو الغِنَى: غنى كل يوم لمن يعرفه- الغنى الذي يثبت بدون تغيير لدى مقتنيه.

من أجل هذا اقتناه الأبرار عوض كل شيء، لأن منه ينبع كل غنى بدون تغيير[1].

القديس مار يعقوب السروجي

تأهلت الشونمية أن يقيم أليشع النبي في بيتها كلما عبر في الطريق إلى الكرمل، إذ كانت نفسه تستريح لهذه التي اتسمت حياتها بالتقوى. وكأنه كان رمزًا للسيد المسيح الذي كان يستريح لبيت لعازر ومريم ومرثا في بيت عنيا.

لقد طلب السيد المسيح من التلاميذ عند دخولهم أية مدينة أن يقيموا في بيت من هو مستحق لذلك بحياته التقوية المقدسة في الرب.

❖ مال إلى بيت الشونمية المملوءة بالتمييز، لأنها استحقت أن تستقبله بحبِ إيمانها.

كان يتقيد بوصية ربنا الجديدة منذ بداية سيرته حسب (العهد) القديم.

أمر ربنا الرسلَ عندما يدخلون إلى المدن أن يسألوا: من يستحق (ليقيموا عنده).

وبما أن روح الأولين والآخِرين واحد، فيه كان يتصرف أليشع باستنارة.

رأى أن الشونمية كانت مستحقة ليُقيم عندها، وكان يزورها دائمًا حين يَعبُرُ.

أنت تفهم أنها كانت تستحقه بفضل تمييزها، وكلامها مع رَجلها بخصوص أليشع.

قالت الذكية لرجلها بخصوص أليشع: أنا أعرف أن نبي الرب قديس.

لم تكن تستقبله بدون تمييز، لكن بحركات الإيمان المملوء حبًا.

ولهذا قالت: أعرف أنه قديس، فتجلى جمال إيمانها وتميُّز[2].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ **قال شيخ: "يُقال إنّ الشونمية تشير إلى النفس، وأليشع النبي إلى الروح القدس. هكذا عندما تبتعد النفس من الاهتمامات الجسدانية يحلُّ عليها الروح القدس، حينئذٍ ولو كانت عاقرًا يمكنها أن تحبل وتلد".**

❖ **قال أبّا بيمين:** "ذهبتُ يومًا ما إلى أنبا آمون، وطلبتُ منه قولاً لمنفعتي، فقال لي: "عمل الخير وحده هو الذي ينجِّي من جهنم، فالخير يمنع ذهاب الإنسان إلى الهلاك. اُنظر إلى طابيثا، كيف أنّ فضيلتها أقامتها بعد الموت (أع ٩: ٣٦-٤٢). وها هي امرأة عملت عملاً صالحًا مع أليشع النبي، فأقام ابنها حيًّا من الموت (٢ مل ٤). اُنظر إلى الملك حزقيا كيف أنه بسبب برّه وحُسن

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص٦٩.

[2] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ، ص ٧٠-٧١.

أعماله منحه الرب ١٥ سنة إضافية على عمره (٢ مل ٢٠: ١-١١)."

❖ **قال أخٌ لأنبا كرونيوس: "قُل لي كلمة". فقال له:** "عندما ذهب أليشع النبي إلى المرأة الشونمية وجد أنها ليس لها تعهُّد بشري مع إنسان، وأنها أكرمته جدًا كنبي. وهكذا حبلت وولدت طفلاً في أيام ذهاب أليشع إليها (٢ مل ٤)." فقال له الأخ: "ماذا يعني ذلك؟" **فقال له الشيخ:** "تُشبَّه المرأة بالنفس وأليشع النبي بروح الله، فإذا كانت النفس متيقِّظة وبعيدة عن كل تشتُّت وتنبذ مشيئتها، حينئذٍ يسود عليها روح الله، ويمكنها أن تُثمر حتى ولو كانت عاقرًا، لأنها حرّة أن تفعل ذلك.

فردوس الآباء

فَقَالَتْ لِرَجُلِهَا: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي يَمُرُّ عَلَيْنَا دَائِمًا. [٩]

قول الشونمية: "**عَلِمتُ أنه رجل الله مقدس**"، يعني أنه مُخلِص في تكريس حياته لخدمة القدوس، فصار مِلكًا له.

❖ بعد صعود إيليا، احتلّ أليشع مكانه، وصار كرئيس لبني الأنبياء والمدبِّر لهم. بناء على دعوته هذه، كان مُلزمًا أن يفتقد مساكنهم في بيت إيل وأريحا، كما يفتقد الذين عند الأردن. في الواقع في طريقه هذا كان ملزمًا أن يعبر خلال قرية شونم، كان من وقت إلى آخر يميل إلى بيت الشونمية، إذ كانت امرأة عجيبة... أدركت بركة إقامته في بيتها. لهذا سألت رجلها أن تبني له عُلّية معتزلة ومنفصلة عن سكان البيت[1].

القدّيس أفرآم السرياني

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن المرأة مع مساواتها للرجل في الطبيعة البشرية، وفي قدراتها العقلية والتدبير، إلا أنها تتميز عنه بأنها قادرة على تحقيق ما تريده إن كان خيرًا أو شرًا. يرى أيضًا في المرأة الشونمية نموذجًا حيًا للمرأة البارة، ذات الفكر المقدس، يمكن أن يقتدي بها رجلها وكل أهل بيتها، كمصدر بركة لكل الأسرة.

❖ صوّرت (المرأة الشونمية) للنساء صورة مُحبَّبة ومملوءة جمالاً، لينظرن إليها، ويتشبهن بها مع رجالهن.

يسهل على المرأة أن تحث بعلَها على ما هو جميل، وبإيمانها تصير لبيتها سبَب صلاح.

طبيعة النساء لا تنقصها المعرفة، فإن أردن، يكن حكيمات جدًا في أعمالهن.

أنزلت عادات التراخي ومحبة العالم الباطلة (بعض) النساء من معرفة الله.

---

[1] *On the Second Book of Kings, 4:8.*

بدون ذلك طبيعة الرجل وطبيعة المرأة متساويتان في خلقتهما: الفكر والعقل والتمييز وكل فهم.

يسهل على المرأة أن تفهم كل شيءٍ بوضوح، ما لم تُنزلها العادة إلى الرخاوة.

لاحظها عندما تصلي لتحب شيئًا، فإنه ليس ما يمنعها، فتشغف نفسها كلها بمحبته بشدةٍ.

إنها مستنيرة كثيرًا بأمور تخصها، وما تود أن تصنعه تفعله كما الرجل.

حينما تحب، تكون بليغة جدًا في المدح، وحينما تبغض تكون ماهرة جدًا في اللعنات...

إن أرادت فهي نشيطة في كل هذا، ومستنيرة في التعليم الإلهي.

لُنظر تمييز الشونمية وتَعلَّم منها، فإنه يلزم على جميع النساء أن ينظرن إليها.

ويمارسن تعليم البرّ، ويرتبطن بفكر القداسة.

ويصرن سبب خيرٍ لرجالهن، ويظهرن كمُعظَّمات في منازلهن.

وتصدر من أفواههن نصائح صالحة داخل بيوتهن لرجالهن ولأشخاصهن.

مثل هذه المرأة التي صارت مثالاً لكل ما هو نافع، بمشورتها الصالحة تبارك بيتها كله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَلْنَعْمَلْ عُلِّيَّةً عَلَى الْحَائِطِ صَغِيرَةً،
وَنَضَعْ لَهُ هُنَاكَ سَرِيرًا وَخِوَانًا وَكُرْسِيًّا وَمَنَارَةً،
حَتَّى إِذَا جَاءَ إِلَيْنَا يَمِيلُ إِلَيْهَا. [١٠]

العلية *aliyah*، هي حجرة علوية في البيوت في الشرق، كانت تُبنَى على السطح، وكانت تُفرَش بأثاثات خاصة تليق بالضيوف الذين يكرمونهم. إقامة علية للضيافة كان أمرًا عاديًا للقادرين، خاصة الذين بيوتهم على الطريق. وكان الضيف يشعر بحريته، فيصعد وينزل من العلية خلال سلم خارج البيت، فلا يشعر بحرجٍ في تحركاته.

تعتبر العلية مكانًا محبوبًا لرب البيت ينسحب إليها ليقضي فترة خلوة. كان **إيليا النبي** مقيمًا في العلية في منزل أرملة بصرفة صيدا (١ مل ١٧: ١٩؛ ٢٣). وكان **الملك أخزيا** في العلية التي بقصره في السامرة عندما سقط من الكوة (٢ مل ١: ٢). وكان **عجلون ملك موآب** في العلية (قض ٣: ٢٠، ٢٣) حين اغتاله أهود. واعتكف **داود** في العلية ليبكي ابنه أبشالوم (٢ صم ١٨: ٢٤). وفي العلية كان **دانيال** يصلي ثلاث مرات يوميًا (دا ٦: ١٠). واستخدمت العلية بمعنى رمزي في إر ٢٢: ١٣، ١٤؛ مز ١٠٤: ٣، ١٣.

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧١-٧٣.

وفي العهد الجديد أسس السيد المسيح سرّ الإفخارستيا في العلية في بيت مريم والدة مرقس الرسول (مر ١٤: ١٥؛ لو ٢٢: ١٢).

يرى *James Freeman* أن الكلمة الأصلية في سفر الملوك الثاني جاءت *Kisse*، وهي لا تعني عُلية بمعنى بدائي، إنما تُستخدَم في بعض العبارات لتشير إلى عرشٍ.

يرى **العلامة أوريجينوس** أن العلية أو الدور العلوي يشير إلى الارتفاع إلى التفسير الروحي للكتاب المقدس عوض النزول إلى الجب أي إلى التفسير الروح.

❖ أمر منطقي أن يُضرَب إرميا كما ضُرِبَ بولس وكما ضُرِبَ السيد المسيح. "**فضرب فشحور إرميا النبي، وجعله في المقطرة التي في باب بنيامين الأعلى**". كانت المقطرة في **باب بنيامين** وفي الدور **الأعلى (العلوي)**. إن نصيب سبط **بنيامين** من الميراث كان "أورشليم" حيث يوجد هيكل الرب، ذلك كما هو موضح في تقسيم الميراث الموجود في سفر يشوع. بما أن الهيكل كان في سبط بنيامين، لذلك فإن النبي قد **جُعل في المقطرة**، أو بحسب الترجمة النص: **قد أُلقي في الجب الذي في باب بنيامين**. واسم بنيامين معناه "ابن اليمين". وهذا الباب موجود بالقرب من **الدور العلوي** عند **بيت الرب**. وبالرغم من وجود دور علوي في بيت الرب، إلا أن فشحور لم يلق إرميا إلا في الجب السفلي. أما نحن فإننا نريد أن نأخذ إرميا الآن ونصعده إلى الدور العلوي من بيت الرب؛ هذا الدور العلوي أقصد به المعنى الروحي المرتفع[1]، وذلك كما سأوضح من خلال نصوص عديدة من الكتاب المقدس، تؤكد أن الأبرار يستقبلون الأنبياء في الأدوار العليا. يذكر سفر الملوك أن أرملة صرفة صيدا التي جعلها الرب لإعالة إيليا استضافته عندها في العلية الموجودة في منزلها (١مل١٧: ١٩)

كذلك المرأة الشونمية التي كانت تستضيف أليشع النبي كلما مرّ عليها، عملت له علية صغيرة لكي يستريح فيها كلما يجيء (٢ مل ٤: ٨-١٠). وعلى العكس من ذلك فإن أخزيا الخاطئ سقط من الطابق العلوي (٢ مل ١: ٢). يوصيك يسوع المسيح أنت أيضًا ألا تنزل من السطح، فيقول: "**والذي على السطح، فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئًا**" (راجع مت ٢٤: ١٥- ١٧)[2].

العلامة أوريجينوس

٣. سدّ احتياج المرأة العظيمة

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ جَاءَ إِلَى هُنَاكَ،

---

[1] أي أن الذين لا يأخذون من نبوات إرميا سوى الجانب الحرفي، يفعلون مثل فشحور الذي ألقى النبي في الجب السفلي.

[2] عظات على إرميا، عظة ١٩: ١٣.

وَمَالَ إِلَى الْعُلِّيَّةِ، وَاضْطَجَعَ فِيهَا. [١١]

فَقَالَ لِجِيحَزِي غُلاَمِهِ: ادْعُ هَذِهِ الشُّونَمِيَّةَ.

فَدَعَاهَا، فَوَقَفَتْ أَمَامَهُ. [١٢]

كلمة "غلامه" هنا تُطلق على إنسان تحت التدريب، أكثر منه إنسان يهتم بالخدمة. هذا التعبير أُطلق أيضًا على أليشع نفسه في علاقته بإيليا النبي (١ مل ١٩: ٢١). لكن للأسف فإن جيحزي أثبت بتصرفاته أنه ليس أهلاً أن يخلف أليشع النبي كما خلف أليشع إيليا.

❖ للنار الإلهية غير المادية فاعليتها لإنارة النفوس وتمحيصها كما يمتحن الذهب النقي بنار البوتقة. لكنها (النار الإلهية) تحرق كل شرٍ مثل الأشواك والقيود "لأن إلهنا نارٌ آكلة" (عب ١٢ : ٢٩) "معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله، في نار لهيب، وللذين لا يطيعون إنجيله" (٢ تس ١ : ٨)... هذه النار ظهرت لموسى في العليقة، وظهرت في شكل المركبة التي اختطفت إيليا من الأرض (٢ مل ٤: ١١). وداود المبارك كان يطلب فاعلية هذه النار حينما قال: "امتحني يا رب، وجربني، محِّص كليتي وقلبي" (مز ٢٦ : ٢)[١].

القديس مقاريوس الكبير

قَالَ لَهُ: قُلْ لَهَا: هُوَذَا قَدِ انْزَعَجْتِ بِسَبَبِنَا كُلَّ هَذَا الانْزِعَاجِ،

فَمَاذَا يُصْنَعُ لَكِ؟

هَلْ لَكِ مَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ أَوْ إِلَى رَئِيسِ الْجَيْشِ؟

فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَنَا سَاكِنَةٌ فِي وَسَطِ شَعْبِي. [١٣]

كان أليشع كريمًا يود أن يرد لكل من يَعمل له خيرًا خدمة يحتاج إليها. هذا واضح من حديثه أن الملك مع كونه شريرًا لكنه هو ورئيس جيشه كانا يعتبران أليشع ويسمعان له (٣: ١٢؛ ٦: ٩، ٢١؛ ١٣: ١٤). لم يستغل محبة المرأة العظيمة، إنما سألها إن كان يقدر أن يخدمها لدى الملك أو أحد رجال الدولة. فقد تدرب ألا يمتنع عن أن يأخذ، ولكنه وهو يأخذ يرد العطاء بالعطاء، والحب بالحب العملي.

تدعو الكنيسة الله "صانع الخيرات"، فإنه مُبادِر بالعطاء لمحبيه ولأبنائه. هكذا أراد أليشع مثل إلهه أن يُقدِّم خيرًا للمرأة الشونمية. إنها لم تسأله شيئًا، بل بادر يسألها ماذا تطلب. كان مستعدًا أن يطلب من أجلها لدى الملك أو قائد الجيش. هكذا يليق بكل مؤمنٍ أن يبادر بكل قلبهِ ليعطي دون أن يسأله أحد.

---

[١] عظة ٢٥: ٩.

❖ بذل عناية فائقة لاحتياجات (المصارعين) الزمنية والروحية. اسمعه كيف يناشد الجميع بخصوص امرأة واحدة، فيقول: "أوصي إليكم بأختنا فيبي التيٍ هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين، وتُقدِّموا لها في أي شيء احتاجته منكم، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا" (رو ١٦: ١). وأيضًا: "أنتم تعرفون بيت استفانوس أنهم باكورة أخائية، وقد رتَّبوا أنفسهم لخدمة القديسين كي تخضعوا أنتم أيضًا لمثل هؤلاء" (١ كو ١٦: ١٨).

من خصائص محبة القديسين، مساعدة الآخرين في الأمور الزمنية، فأليشع النبي ساعد المرأة التي استضافته ماديًا وروحيًا (٢ مل ٤: ١٢)، فقال لها: "هوذا قد انزعجتِ بسببنا كل هذا الانزعاج، فماذا يُصنع لكِ، هل لكِ ما يُتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش؟" (٢ مل٤: ١٣)[1]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بإيمانها أظهرت لزوجها الطريق، وصنعت لذلك القديس (أليشع) مسكنًا مقدسًا في بيتها.
بنفسها المُحبة التي كانت ساكنة لدى الله، قالت لزوجها: إن نبي الرب قديس.
ونظرًا لوجود التمييز والإيمان فيها، أمكنها أن تعرف ذلك القديس كما هو.
وأعطت النصيحة، وسمع الرجل للمؤمنة، وأعدًا مكانًا ليحل النبي عندما يَعبُرُ.
كان النبي أيضًا فطنًا مثل الله، وقد أراد أن يكافئ الصالحين على أفعالهم الصالحة.
رأى العلّية التي أتقناها له حسب إرادته بفقرٍ وتجردٍ وعفافٍ.
واستعد ليجازيهم خيرًا كما يجازي الله أعمال أحبائه الصالحة.
ولئلا ينكر النبي تعب الإيمان، طلب أن يكافئ محبتها التي بها أُكرم.
دعاها النبي ليستفهم منها ماذا يعطيها، لتقول له ماذا تطلب منه فيعطيها.
هكذا يعطي الله أيضًا من يطلب منه، ويريد أن يستجيب كل سؤال من السائلين.
بنفس الفكر استعد نبي الرب ليعطيها ما تسأله، لأنها خدمته.
استفهم منها: هل تطلب منه بأن يقول عنها كلمة للملك أو لقائد الجيش فتنال مساعدة[2].

القديس مار يعقوب السروجي

ثُمَّ قَالَ: فَمَاذَا يُصْنَعُ لَهَا؟

---

[1] في مديح القديس بولس، عظة ٣.

[2] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). للخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧٣-٧٤.

فَقَالَ جِيحَزِي: إِنَّهُ لَيْسَ لَهَا ابْنٌ، وَرَجُلُهَا قَدْ شَاخَ. [١٤]

لم تذكر المرأة أنها عاقر، ليس لها ابن، ربما لأنها قد قطعت كل رجاء في ذلك. غير أن جيحزي أدرك مشاعر سيدة عاقر متزوجة رجلاً قد شاخ، لا يوجد من يُشبع أمومتها ولا من يرثها وهي غنية. لذا سأل النبي لا أن يخدمها لدى الملك أو لدى أحد رجال الدولة العظماء، بل لدى الله نفسه، القادر وحده أن يهبها ابنًا. آمن جيحزي بالله إله المستحيلات، المتخصص في الأمور المستعصية.

قال أنبا إشعياء: "قال لي أنبا بفنوتيوس: 'كنتُ أقوم بزيارة الأبوين الشيخين أنبا أنوب وأنبا بيمين طيلة حياتهما مرتين في الشهر. وكانت قلايتي تبعد عنهما اثني عشر ميلاً، وكنتُ أسألهما عن جميع أفكاري، فكانا يقولان لي هذا: "لا تعمل لك اسمًا في المكان الذي تسكن فيه، فتجد راحة، فالمرأة الشونمية استضافت أليشع النبي لأنه لم يكن لها انشغال شديد برجلها (٢ مل ٤: ١٤-١٧). ونحن نقول إنّ المرأة الشونمية هي النفس وأليشع هو روح الله، فإذا أقامت النفس بعيدًا عن الطياشة يفتقدها الروح، وحينئذٍ تستطيع أن تلد هذه التي كانت من قبل عقيمة."

فَقَالَ: ادْعُهَا.

فَدعَاهَا فَوَقَفَتْ فِي الْبَابِ. [١٥]

فَقَالَ: فِي هَذَا الْمِيعَادِ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ، تَحْتَضِنِينَ ابْنًا.

فَقَالَتْ: لاَ يَا سَيِّدِي رَجُلَ الله!

لاَ تَكْذِبْ عَلَى جَارِيَتِكَ! [١٦]

ظنت المرأة الشونمية أنه يكذب عليها، ليس عن عمدٍ، لكن مع محبته وإخلاصه واشتياقه أن يخدمها، فيطلب لها ابنًا، غير أنه عاجز عن تحقيق هذا الوعد، لأنه ليس في سلطانه هكذا. ولعلها دعته هكذا لأنها كانت في حالة إحباط لسنين كثيرة، وشعرت أن ما يعدها به أمر لا يستطيع أحد أن يهبه لها.

إذ علم أليشع النبي بأن المرأة عاقر ورجلها شيخ طُعن في السن، تذكَّر سارة وإبراهيم، وكيف أقام الله لهما ابنًا مباركًا. آمن أليشع بأن الله قادر أن يقيم من مستودع الشونمية الحجري أولادًا لله.

❖ أراد النبي أن يعطيها ابنًا دون أن تطلبه، إذ لم تسأل ولدًا تناله من الله.

عرف البهيّ بأنها كانت عاقرًا، وزوجها شيخ، فحارب الأمرين وقهرهما.

صارع مع العقم والشيخوخة، وجنى النبي العظيم ثمرة من كليهما...

كانت كلمة الرب في فم ذلك القديس، وكان يسهل عليه أن يصنع أبناء من الحجارة.

ولهذا وعد أن يعطي المرأة العاقر والرجل الشيخ ثمرة، ويبهجهما.
أشرقت من بين شفتيه قوة فاعلة، فلم تقدر الطبيعة أن تعصيه في ما يأمرها.
بثقةٍ وعد المرأة المقفرة، وكما وعد تمّم الرب، وأعطاها ثمرة.
شبعت العاقر، وفرحت المعوزة بالثمرة، واغتنى البيت بوارثٍ محبوبٍ، وابتهج سكانه.
انتصر أليشع حين أمر، فأثمر الحضن العاقر، وابتهجت الشونمية بابن تحتضنه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يُقدّم لنا أليشع النبي مفهومًا حيًا لحياة لوحدة والتأمل. فالوحدة في نظره هي شركة مع الله، مع العمل بروح الرب لحساب ملكوته ولبنيان شعب الله. ليست الوحدة انعزالاً ولا خمولاً ورفضًا للعمل!

❖ لنقارن بين راحة (أليشع) والآخرين. الآخرون إذ يطلبون الراحة اعتادوا أن يسحبوا أفكارهم من العمل، وأن ينسحبوا من الشركة وصحبة الناس، لكي يبحثوا عن الانسحاب من القرية، أو وحدة الحقول أو من المدينة ليهبوا راحة لعقولهم، وينعموا بالسلام والهدوء.

في الهدوء شق الأردن بعبوره عليه، ففاض الجانب الأسفل، ورجع الجانب الأعلى إلى مصدره. على الكرمل وعد امرأة لم يكن لها بعد طفل، أن يكون لها طفل غير متوقع تحبل به (٢ مل ٤: ٦). أقام ميتًا إلى الحياة (٢ مل ٤: ٣٤)، وأصلح مرارة الطعام وجعله حلوًا بمزج دقيق به (٢ مل ٤: ١٤). وإذ تم توزيع عشرين رغيفًا للشعب للطعام، جمعوا الكسر التي تبقّت بعد أن شبعوا (٢ مل ٤: ٤٤). جعل رأس الفأس الحديدي الذي سقط في نهر الأردن وغطس في الأعماق أن يطفو بوضع يد خشبية في الماء (٢ مل ٦:٦). جعل البرَص يتحول إلى نقاوة (٢ مل ٥: ١٠)، والجفاف إلى مطر (٢ مل ٣: ١٧)، والمجاعة إلى وفرة (٢ مل ٧: ١).

متى يكون البار في وحدةٍ؟ متى كان الله معه على الدوام. متى يُترك ذاك الذي لن ينفصل قط عن المسيح؟ قيل: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟... فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملاك يفعل ذلك" (راجع رو ٨: ٣٥، ٣٨)[2].

القدّيس أمبروسيوس

فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، وَوَلَدَتِ ابْنًا فِي ذَلِكَ الْمِيعَادِ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ،
كَمَا قَالَ لَهَا أَلِيشَعُ. [١٧]

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧٥-٧٧.

[2] *Duties of the Clergy, Book 3, ch. 1:6-9.*

إذ تحقق الحبل في رحم عقيم أو شبه ميت، فإن إنجاب طفل يُمثّل تمتعنا بالحياة الجديدة في الرب عوض الموت.

❖ إذ لم يكن ممكنًا لأحد أن يقبل بسهولة أن عذراء تقدر أن تحمل طفلاً، فإنه في البداية أُعطي لنساء عواقر أن يكون لهن هذا؛ ليس فقط عواقر بل وأيضًا نساء كبار (شيخات)... وذلك لتهيئة الطريق للإيمان بأنه يحدث حبَلاً في عذراء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كانت المرأة عاقرًا، لكن بصلاة أليشع أنجبت ابنًا. هكذا أيضًا كانت الكنيسة عاقرًا قبل مجيء المسيح، وكما أنجبت هذه ابنًا بصلاة أليشع، هكذا أنجبت الكنيسة الشعب المسيحي عندما جاء إليها المسيح.

على أي الأحوال مات ابن هذه المرأة في غياب أليشع، وهكذا مات ابن الكنيسة أي الأمم بالخطية قبل مجيء المسيح. عندما نزل أليشع من الجبل عاد ابن الأرملة إلى الحياة، وعندما نزل المسيح من السماء عاد ابن الكنيسة أي الأمم إلى الحياة[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

٤. إقامة ابنها الميت

وَكَبِرَ الْوَلَدُ. وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَرَجَ إِلَى أَبِيهِ إِلَى الْحَصَّادِينَ. [١٨]

لا تزال تمتاز أرض شونم بالخصوبة. واضح هنا أن هذا الرجل كان غنيًا، لديه كثير من الخدم والحصادين.

وَقَالَ لأَبِيهِ: رَأْسِي، رَأْسِي.
فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: احْمِلْهُ إِلَى أُمِّهِ. [١٩]

فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى أُمِّهِ،
فَجَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهَا إِلَى الظُّهْرِ وَمَاتَ. [٢٠]

لم يكن موت ابن الشونمية علامة غضب الله عليها، وإنما لكي يتمجد الله في نبيِّه أليشع. كطلب النبي وهبها الله الابن، وبطلبته يردُّه إليها بعد موته. الله هو واهب الحياة، ومقيم الأموات.

❖ أراد الرب أن ينتصر عبدُه المختار، ويعظم اسمه بالعجائب التي تُصنَع.

أرسل الموتَ، فقطف الثمرة المحبوبة التي نمت، والكرمة العاقر التي تحمله لبست الحِداد.

---

[1] *Sermon 128:6.*

وهبه وأخذه ليُظهِرَ قدرته العظيمة، لأن حياة العالم كله وموته موضوعان في يديه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

بموت الصبي لم يتمجد الله فحسب، ولا نال أليشع كرامة في الرب فحسب، وإنما تزكّت المرأة الشونمية، فظهر إيمانها بالله القادر أن يقيم من الأموات. عند موت ابنها لم تطلب تعزية من رجلها وأهل بيتها. ولا تسلّل اليأسُ إلى قلبها، كما لم تفكر في تكفينه ودفنه، إنما حملته إلي سرير النبي، ووثقت في عمل الله خلاله.

❖ تدبير الله سام جدًا، ولا يوجد خطأ في أعماله الحكيمة.

كل (أعماله) تُذهل المميّزين، ولا تُدرَك إلا بمحبة الإيمان.

حتى عندما يأخذ الرب شيئًا من إنسانٍ، فكأنه ينال بالنسبة لمن يعرف أن يتأمل فيه.

عندما وهب ابنًا للعاقر كان ذلك موهبة، وحين أخذه أيضًا كان يتعامل بنعمته نفسها.

أراد أن يُعظِّم موهبته ويزيِّنها، لتصير محبوبة ونامية جدًا لدى آخذيها.

وهب ولدًا للمرأة العاقر ولكن فقدته، ثم عاد وأعطاها من الميت حيًا لكي تفرح به.

ضاعف هذه الموهبة المحبوبة التي أعطاها، ليكثر جمالها، ويُمدَح بها النبي العظيم.

وهبه القوة أن يُعطي أبناء للعواقر، وأضاف له أيضًا أن يُعيدَ الموتى من الموت.

بنبوتِّه جعل البطن العاقر والهاوية يثمران، وأظهر قدرته بالحضنَين اللذين كانا مُقفرَين.

ولكي ينتصر جبروته (الله) في العالم كله، أمات الرب حينئذ ابن الشونمية.

نظر الله إلى إيمانها كم كان عظيمًا، وكانت تطلب منه دون ارتياب أن يُحيي الميتَ.

لهذا أخذ (الله) هذا المحبوب الذي سُلب، لتهتم أمه وتطلب حياة الموتى من المختار.

عرف بأنها لن تترك ذلك القديس حتى يقيمه، لهذا أخذه منها بالموت.

حكيم القلب أرسل الموتَ إلى العاقر، وجرَّد مسكنها الذي عرف الأمان بحبيبها (ابنها)[2].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ إننا نقتنع أن الموت ليس جزاء عقوبة، فالقديسون أيضًا يجتازونه، لا بل ورب القديسين نفسه يسوع المسيح، الذي هو حياتهم والقيامة من الأموات (اجتازه)[3].

قوانين الرسل القديسين

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧١-٧٣.

[2] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧٧-٧٨.

[3] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 5., Sec.1 7*

فَصَعِدَتْ وَأَضْجَعَتْهُ عَلَى سَرِيرِ رَجُلِ اللهِ
وَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِ وَخَرَجَتْ. [٢١]

تصرُّف المرآة الحكيم يكشف عن الصلاة المقبولة لدى الله، حين نُلقِي بأمورنا بين يديه دون أن نسأل شيئًا معينًا، إنما نقبل إرادته المقدسة ومشيئته الحكيمة.

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن المرأة الشونمية تطلعت إلي أليشع كرمزٍ للسيد المسيح، الأسد الخارج من سبط يهوذا، يزأر فيقتل الموت ويميته! لهذا دخلت بابنها إلي العلية كما إلي كنيسة المسيح، ووضعته علي سرير النبي، وكأنها دخلت به إلي قبر المسيح. فالمعركة هي بين الأسد واهب الحياة والموت الذي لا يقدر أن يقف أمام واهب القيامة.

❖ **مات حبيبها ولم تفتح قبرًا يدخل فيه، بل وضعته في العلية التي تُنبع الحياة.**

عرفتْ من يحل في ذلك البيت، وكانت واثقة أنه سيأتي حالاً، وسيشرق الحياة.

وضعت الصبي في بيت أليشع، وأغلقت عليه، ليأتي النبي ويطرد الموت من خدره.

وضعت الجثمان على سرير الرجل الإلهي، ليأتي ويسحق الموت الذي سحق مضجعه.

أدخلت الميت إلى عرين الأسد، وأغلقت الباب، ليزأر على الموت ويطرده بسرعة[١].

القديس مار يعقوب السروجي

وَنَادَتْ رَجُلَهَا وَقَالَتْ:
أَرْسِلْ لِي وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَإِحْدَى الأُتُنِ،
فَأَجْرِيَ إِلَى رَجُلِ اللهِ وَأَرْجِعَ. [٢٢]

وضعت ابنها على سرير النبي في العلية، وأغلقت عليه، كي لا يشعر رجلها وأهل بيتها والعاملون فيه بالأمر، فيرتبك الكل بسبب موته. كما أن تصرُّفها هكذا يكشف عن إيمانها بأن رجل الله بطلبته وهبها هذا الطفل وهي عاقر، حين كانت كمن في حالة موت تعجز تمامًا عن الحبل بطفلٍ. ذاك الذي بطلبته وهبها هذه الهدية، قادر أيضًا بطلبته أن يُقِيمَ الميت باسم الرب الحي.

من شونم إلى الكرمل مسافة نحو ست ساعات. وكان نادرًا ما تمشي سيدة من الطبقة النبيلة، إنما غالبًا ما تركب حمارًا أو خيلاً، وكان يجري وراءها خادم ومعه سوط أو عصا ليحث الحمار على السرعة. ربما أشار إلى ذلك سليمان في سفر الجامعة ١٠: ٧ بقوله: "قد رأيت عبيدًا على الخيل، ورؤساء ماشين على الأرض كعبيدٍ"[٢].

---

[١] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧٩.

[2] *CF. James M Freeman. Manners and Customs of the Bihle, 1972, , article 334*

فَقَالَ: لِمَاذَا تَذْهَبِينَ إِلَيْهِ الْيَوْمَ؟
لاَ رَأْسُ شَهْرٍ وَلاَ سَبْتٌ.
فَقَالَتْ: سَلاَمٌ. [٢٣]

في أيام الأعياد لا يقوم المؤمنون بأعمالهم اليومية، بل يُكرِّسونها للعبادة والخدمة، لذا يذهبون إلى بيت الرب ويقابلون أناس الله لممارسة أي عمل روحي (خر ٢٠: ٩-١٢؛ عا ٨: ٥).

واضح أنه بالرغم من انتشار عبادة الأوثان، كانت توجد بقية تمارس عبادة الرب وتحتفل بالأعياد، خاصة مع الأنبياء.

لم تتحدث مع رجلها، ربما لأنها كانت في عجلةٍ تود أن تُسرِعَ إلى رجل الله. ولعلها خشت أن يعوقها عن الذهاب إلى رجل الله، مادام الابن قد مات.

ربما اعتاد الأنبياء في رأس الشهر وفي أيام السبوت أن يقيموا اجتماعات للشعب للتعليم. يصف عاموس النبي الطامعين هكذا: "قائلين متى يمضي رأس الشهر لنبيع قمحًا، والسبت لنعرض حنطة" (عا ٨: ٥)؛ أي يُفضِّلون أعمالهم اليومية عن حفظ الأيام المقدسة أو الاستماع لكلمة الله وتعاليم الأنبياء.

إن كانت المرأة الشونمية قد آمنت بيقين أن أليشع قادر بالرب أن يقيم ابنها، فقد اخفت الأمر عن رجلها حتى يبعث ابنها حيًا. لعلها أدركت أن رجلها يعاني من ضعف إيمان، فلم ترد أن تُربِكَه، أو خشت أن ينطق بكلمة تذمر.

❖ وضعت الميت وسلكت طريقها إلى أليشع، ليأتي ويرد سبيًا أخذه الموت منها.
مضت لتدعو الطبيب الذي يعرف أن يحيي ميتًا، ليأتي ويشفي الصبي الميت ويقوم حيًّا.
بإيمانها أدركت كيف أن قوته قادرة، وطلبت منه ما يسهل عليه فعله مثل الجبار.
توجهت وصعدت إلى جبله لتأتي به، فينزل ويُصعد الميت من حفرة الموتى.
أخفت الذكية السرّ عن زوجها لئلا يتذمر، إلى أن يحيا الصبي، ثم تكشفه له[١].

القديس مار يعقوب السروجي

وَشَدَّتْ عَلَى الأَتَانِ،
وَقَالَتْ لِغُلاَمِهَا:
سُقْ وَسِرْ وَلاَ تَتَعَوَّقْ لأَجْلِي فِي الرُّكُوبِ إِنْ لَمْ أَقُلْ لَكَ. [٢٤]

طلبت من الغلام أن يُسرع وهو يسوق الأتان دون أي اعتبار أنها تنزعج لسرعة الأتان.

---

[١] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٧٩-٨٠.

وَانْطَلَقَتْ حَتَّى جَاءَتْ إِلَى رَجُلِ اللهِ إِلَى جَبَلِ الْكَرْمَلِ.
فَلَمَّا رَآهَا رَجُلُ اللهِ مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ لِجِيحْزِي غُلاَمِهِ:
هُوَذَا تِلْكَ الشُّونَمِيَّةُ. [٢٥]

اُرْكُضِ الآنَ لِلِقَائِهَا، وَقُلْ لَهَا:
أَسَلاَمٌ لَكِ؟ أَسَلاَمٌ لِزَوْجِكِ؟ أَسَلاَمٌ لِلْوَلَدِ؟
فَقَالَتْ: سَلاَمٌ. [٢٦]

قولها لجيحزي "سلام"، يحمل معنى أنها في عجلة، والأمر خطير ليس لديها الوقت للكلام، بل تود اللقاء مع النبي سريعًا.

تكشف هذه الأسئلة الثلاثة عما في قلب أليشع النبي، ألا وهو سلام كل إنسان!

بالرغم من أن أليشع هو الذي أرسل تلميذه جيحزي ليلتقي بها ويسألها، غير أنها أرادت أن تتحدث مع النبي مباشرة، فهو وحده يشاركها مشاعرها، وله القدرة بالله أن يُقدّم لها المستحيلات.

كان الشرقيون يمارسون تحيات جرى العرف عليها. فمتى سألت إنسانًا عن صحة شخص تعرف أنه مريض؛ يجيب: "بخير، شكرًا لله"، حتى وإن أكمل الحديث، قائلاً بأنه قد انتقل.

أحد الأمثلة التي قدّمها العلامة ترتليان[1] لتأكيد وحدة العهد القديم مع العهد الجديد هو أن وصية أليشع هنا تحمل رمزًا وتناغمًا مع وصية السيد المسيح لرسله عند إرساله لهم في الخدمة (لو ١٠: ٤-٩).

فَلَمَّا جَاءَتْ إِلَى رَجُلِ اللهِ إِلَى الْجَبَلِ أَمْسَكَتْ رِجْلَيْهِ.
فَتَقَدَّمَ جِيحْزِي لِيَدْفَعَهَا.
فَقَالَ رَجُلُ اللهِ: دَعْهَا لأَنَّ نَفْسَهَا مُرَّةٌ فِيهَا،
وَالرَّبُّ كَتَمَ الأَمْرَ عَنِّي، وَلَمْ يُخْبِرْنِي. [٢٧]

ما كان يشغل جيحزي هو ألا تمسك المرأة رِجلَي النبي، أما ما كان يشغل النبي فهو التطلُّع إلى مرارة نفسها وتقديم الخدمة، دون الاهتمام بالمظهر الخارجي.

بقوله: "والرب كتم الأمر عني، ولم يخبرني" واضح أن إخفاء الأمر عنه أمر استثنائي، وكأن الله اعتاد أن يكشف له كل شيء، لكنه لحكمة إلهية لم يخبره بما في نفس المرأة.

"أمسكت رجليه": يحمل هذا التصرُّف نوعًا من التواضع مع تكريم النبي (مت ٢٨: ٩).

---

[1] *Tertullian against Marcion, Book 4, ch. 24.*

يُعلّق القديس إكليمنضس الروماني[1] على تصرُف جيحزي هذا بأنه هكذا كان طابع الحياة بالنسبة لأليشع، حيث لا يُسمَح لامرأة غريبة أن يكون لديها دالة أن تمسك بقدميه.

❖ النبي أليشع وهو كائن بشري لم يسمح لتلميذه أن يرد اقتراب المرأة، قائلاً: "دعها لأن نفسها مرة"، ليشير فقط إلى أنه بسببٍ صالحٍ ومن حقها إذ هي في ضيقة. بالأولى الله لن يخذلك عندما تقترب وأنت مُر النفس، ولهذا طوَّب المسيح الحزانى، وأما الطائشين فأعطاهم الويل[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يُنتج الحزن الصراخ إلى الله، والتضرُّع بشدة العزم والهمَّة، ويجلب إليه استجابة الله وإغاثته. لأن أليشع النبي عندما رأى المرأة الشونمية تقترب إليه بغمٍ وحزنٍ شديدٍ، لم يترك خادمه يطردها، بل سمح لها بالدخول إليه، وقضى أمرها (٢ مل ٤: ١٧)، **ليُعرِّفنا أن الله لا يطرد الصارخين إليه في حزنهم.**

وأنت أيها الأخ المسيحي عند حزنك لا تيأس، بل اُصرخ إلى الرب.

الأب أنسيمُس الأورشليمي

حديث **القديس مار يعقوب السروجي** يُلهِبُ القلب اشتياقًا نحو الالتصاق بالرب، فإن الرب يود أن يهب محبيه بصيرة مفتوحة، فلا يُخفي عنهم شيئًا، وإن أخفى أمرًا ما يكون ذلك لبنيان الشخص ومجده. كان أليشع مثل مُعلِّمِه إيليا النبي يدرك حتى الأسرار السمائية، ليس من أمرٍ يُخفَى عنه إلا بسماح إلهي للبنيان.

لو لم يخفِ الله عن أليشع موت الصبي، لمنع أليشع موته، وكان الرب يستجيب طلبته. أخفى الأمر حتى يتمَّ موتُ الصبي، ويدخل النبي في معركة مع الموت، فينهزم الموت أمامه، ويتمجد الله في نبيِّه أليشع.

❖ لماذا إذًا يا تُرَى أخفى الرب موت الصبي عن أليشع، ولم يشعر به عندما مات؟
لو شعر، لكان قد منع الموت عنه، وبدعائه كان يزجره، فلا يقترب منه.
شعوره بالصبي وطرد الأذى منه ليس عظيمًا كما أقامه وأعطاه لأمه[3].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَتْ: هَلْ طَلَبْتُ ابْنًا مِنْ سَيِّدِي؟

---

[1] *Clement of Rome: Two Epistles Concerning Virginity, 1:15.*
[2] *On PS 120.*
[3] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٨٢.

أَلَمْ أَقُلْ: لاَ تَخْدَعْنِي؟ [٢٨]

مرارة نفسها بموت هذا الابن الوحيد، عطية الله لها، أكثر من مرارتها حين كانت فارغة لا نسل لها.

لم يعلن الله لأليشع غاية زيارتها له، ولا تحدثت معه في هذا الأمر، إنما أشارت إلى طلبها بسؤالها: "هل طلبت ابنًا من سيدي؟ ألم أق: لا تخدعني؟" ربما ظن أليشع من هذين السؤالين أن الابن يعاني من مرض خطير. لكن بهذه العبارة المُختصَرة أدرك النبي أن الولد قد مات.

فَقَالَ لِجِيحَزِي:
أُشْدُدْ حَقَوَيْكَ وَخُذْ عُكَّازِي بِيَدِكَ وَانْطَلِقْ،
وَإِذَا صَادَفْتَ أَحَدًا، فَلاَ تُبَارِكْهُ،
وَإِنْ بَارَكَكَ أَحَدٌ، فَلاَ تُجِبْهُ.
وَضَعْ عُكَّازِي عَلَى وَجْهِ الصَّبِيِّ. [٢٩]

كانت وصية أليشع النبي لتلميذه جيحزي، أن يسرع ليعمل ما هو للرب، وطلب منه ألا يبارك أحدًا في الطريق، ولا يرد على من يباركه. فيليق بالخادم أن يُقدِّس كل وقته للشهادة لإنجيل المسيح ما استطاع.

طلب أليشع النبي أن يستخدم تلميذه العكاز، ولعله شعر بأن عكازه يحمل قوة كما حملت عصا موسى ورداء إيليا. لكن الله لم يرد أن يستعمل[1].

❖ يستخدم (الرهبان العصا) متشبهين بأليشع النبي (٢ مل ٤ : ٢٩)، أما مفهومها الروحي فهو أنه لا يليق بالراهب أن يسير غير مُسلَّح بين كلاب الخطايا التي تنبح والوحوش الروحية في الشر غير المنظورة، هذه التي أراد داود الطوباوي أن يتخلَّص منها، قائلاً: "لا تُسَلِّمْ يا رب للوحش النفس التي اتكلتْ عليك" (مز ٧٤ : ١٩). عندما تهاجمه يلزمه أن يضربها بعلامة الصليب ويطردها بعيدًا. وعندما تثور بعنف ضده يُبدِّدها بمصالحته الدائمة باحتماله آلام الرب وإتباعه مثال حياة الإماتة[2]

القديس يوحنا كاسيان

يرى **القديس أغسطينوس** أن أليشع أعطى خادمه عصا، وطلب منه أن يذهب إلى الابن الميت، لكن العصا لم تستطع أن تهبه الحياة. هذه العصا هي الناموس الذي بعث به الرب عن

[1] *Orthodox Study Bible.*
[2] *De institutis caenoborum, Book 1, chapter 8.*

طريق خدامه، لكن الصبي لن يقوم إلا بمجيء ربنا يسوع نفسه[1]. انطلاق جيحزي ومعه عصا أليشع يشير إلى عمل الناموس العاجز عن الإقامة من الأموات، وانطلاق أليشع يشير إلى عمل السيد المسيح واهب النعمة، والقادر وحده على الإقامة من الأموات.

❖ أُرسل الناموس ولم يحيا، ومع هذا إذ أرسل عصاه بواسطة الخادم، والذي تبعه بنفسه، ووهبه الحياة... الناموس بواسطة خادمه والرحمة بواسطته هو نفسه.

الناموس كما لو كان في العصا التي أرسلها أليشع لإقامة ابن الأرملة، وقد فشلت في إقامته. "لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يحيي، لكان بالحقيقة البرّ بالناموس" (غل ٣: ٢١)، أما الرحمة فكما لو كانت في أليشع نفسه الذي يحمل رمز المسيح، بإعطائه الحياة للموتى. ارتبط هذا المعنى بالسرّ العظيم الذي للعهد الجديد[2].

القديس أغسطينوس

ويُعلِّق **القدّيس أمبروسيوس** على هذه الوصيَّة بأن السيِّد لم يمنعنا من تحيَّة السلام، إنما من تقديمها في الطريق، بمعنى ألا تكون مُعطِّلة للعمل، وذلك كما أمر أليشع النبي خادمه (٢ مل ٤: ٢٩) لكي يُسرع ويتمِّم الأمر، [المُراد بهذا الأمر لا منع السلام، بل إزالة العقبات. السلام عادة جميلة، لكن إتمام الأعمال الإلهيَّة أجمل، وهي تستلزم السرعة، تأخيرها غالبًا ما يجلب عدم الرضا.]

❖ لاحظوا أنه لم يَقل فقط: "**لا تُسلِّموا على أحدٍ**"، وإنما بقوله "**في الطريق**" (لو ١٠: ٤) لا تحمل عدم الاهتمام بالشخص.

عندما أرسل أليشع خادمه ليضع عصاه على جسم الصبي الميت، أمره أيضًا ألا يُسلِّم على أحد يلتقي به (٢ مل ٤: ٢٩). أمره أن يُسرِعَ في الذهاب، ليُتمِّم رسالة الكرازة بالقيامة، لئلا ينحرف عن عمله بالدخول في حوارٍ مع أحدٍ في الطريق.

لم ينزع الغيرة في تقديم التحية، إنما يطلب إزالة العقبة في ممارسة التقوى.

متى أعطيت وصايا إلهية تتنازل إلى حين عن قليل من الالتزامات البشرية[3].

القديس أمبروسيوس

❖ المرأة المُحيَّة قالت لرجل الروح هذه الأمور، وبطلبها أجبرته ليعمل حسب إرادتها.

أرسل جيحزي، وأعطاه عصا كما قلنا، وأمر الخادم بأن يسكت ولا يتكلم في الطريق.

---

[1] *On Ps 71 (70).*
[2] *Against two Letters of Pelagians, Book 4, ch 11*
[3] *Exposition of the Gospel 7: 63.*

قال له: لو التقى بك رجل في الطريق، لا تُبَاركه، ولو باركك لا تردّ عليه.

هذا ما قاله أيضًا ربنا لتلاميذه: لا يُسلِّموا أبدًا على أحدٍ في الطريق.

العبارتان إذًا قيلتا بروح واحدٍ، لأن ربنا وهب الأنبياء روحًا منه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لاَ أَتْرُكُكَ.
فَقَامَ وَتَبِعَهَا. [٣٠]

استخدمت المرأة نفس لغة النبي، فقولها له: "حي هو الرب، وحية هي نفسك" نفس الكلمات التي نطق بها النبي عندما رفض أن يترك إيليا (٢: ٢، ٤، ٦).

وَجَازَ جِيحَزِي قُدَّامَهُمَا، وَوَضَعَ الْعُكَّازَ عَلَى وَجْهِ الصَّبِيِّ،
فَلَمْ يَكُنْ صَوْتٌ وَلاَ مُصْغٍ.
فَرَجَعَ لِلِقَائِهِ وَأَخْبَرَهُ، قَائِلاً: لَمْ يَنْتَبِهِ الصَّبِيُّ. [٣١]

لم يكن ممكنًا لعصا أليشع أن تُقيمَ الصبي، إذ تُشْبِه الناموس. فإن كلاهما - العصا والناموس - غير قادرين أن يُخلِّصا البشرية بدون كلمة الله المتجسد.

تُشير عصا أليشع النبي إلي تابوت العهد أو الحضرة الإلهية، كما إلي صليب ربنا يسوع المسيح. أمام تابوت العهد انشق نهر الأردن وعبر الكهنة مع الشعب إلي أرض الموعد. بينما حين حمله الكهنة الأشرار مثل ابني عالي الكاهن، انهزم الشعب واستولى الوثنيون على تابوت العهد. هكذا بالنسبة لاسم المسيح أو لصليب المسيح. فباسم المسيح وبقوة صليبه صنع التلاميذ آيات وعجائب، بينما عندما استخدم أبناء سكاوا اسم يسوع لطرد الشياطين هاجمتهم الشياطين وغلبتهم (أع ١٩: ١٤). هكذا لم ينتفع جيحزي شيئًا بعصا أليشع، لم يكن الضعف في العصا، إنما في حاملها الذي كان فارغًا من نعمة الله.

❖ أخذ العصا واجتاز أمامه كما أمره، فوصل إلى الميت، ووضع العصا عليه كما قال له.

لم يتحرّك الموتُ ويهرب من التلميذ، ولم يترك الجثة وينتقل، لأنها كانت مغلقة.

لم تكن للعصا الضعيفة القوة لتحيي الميت، بل كان حاملها فارغًا ومجردًا من الأعجوبة.

تابوت العهد الذي شطَرَ البحر، وحطَّم السور، وصنع القوات على يديّ يشوع الكاهن العظيم.

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٨٤.

من جهة ثانية سُبيَ سبيًا، وقُتل شعبه، وأُذل مع المسبيين.

لم ينتصر بأيدي كهنة طماعين حملوه، وهكذا لم تشتهر العصا بيديّ جيحزي.

حمل الضعيف عصا قوية ولم يصنع بها آية، كالتابوت الذي لم ينتصر بالطماعين الذين حملوه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ، وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ،
وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. [٣٢]
فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. [٣٣]

كشف الالتجاء إلى الصلاة عما في قلب النبي وفكره:

أ. محبته للولد واهتمامه بوالديه.

ب. الالتجاء إلى الله والاتكال عليه، وليس على العكاز أو الخادم أو النبي نفسه.

ج. يقينه أن الله يسمع ويستجيب، وأنه قادر على الإقامة من الأموات.

ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ،
وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ،
وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. [٣٤]

لم تستطع عصا أليشع أن تقيم الميت، إنما كانت هناك حاجة أن يضع فمه على فم الولد، وعينيه على عينيه الخ. فكان رمزًا للسيد المسيح الذي يُقدّم حياته فديةً عنا.

يرى **القدّيس أفرآم السرياني** أن ما فعله أليشع النبي كان يشير إلى تجسد كلمة الله الذي صار إنسانًا أقل من الملائكة (عب ٢: ٩) لكي يُقيمنا من الموت. ويرى أن النبي قد صغُر ليصير كمن في حجم صبي من أجلنا[2].

❖ لم يستطع الخادم أن يقيم الجسم الميت بالعصا، كما يشهد بذلك بولس الرسول: "الناموس لا يُكمّل شيئًا" (عب ٧: ١٩). ولكن عندما جاء بشخصه، وبسط نفسه في تواضع على الجسم حدّ نفسه ليكون في حدود أعضاء الجسم الميت. "الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذًا صورة عبدٍ، صائرًا في شبه الناس" (في ٢: ٦-٧)...

نفخ على الجسد الميت سبع مرات، فإنه بإعلان العطية الإلهية يهب الروح النعمة

---

[1] ميمر ١١٦ على أليشع والشونمية (راجع نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٨٥-٨٦.

[2] *On the Second Book of Kings, 4:30-35.*

السباعية على الذين ينطرحون في موت الخطية.

بعد ذلك قام حيًا، ذاك الطفل الذي لم تستطع عصا الخوف أن تُقيمَه، عاد إلى الحياة بروح الحب[1].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إن كان عوض أن يتقلص ويصغُر تمدد أليشع وازداد، ما كان قد استرد ابن الأرملة الحياة. وهكذا أيضًا لنوال الحياة جعل المسيح نفسه أقل. فمع كونه على صورة الله قبل صورة البشرية، هكذا صغُر هو، كي نزداد نحن[2].

❖ بالرغم من كونه على هيئة الله، تقبَّل هيئة الإنسان، هكذا نقص حتى نزداد نحن خلاله[3].

القديس جيروم

❖ تشهد أناجيل كثيرة بقيامة الأموات، إذ توجد شهادات كثيرة في هذا الأمر. لكن الآن لمجرد التذكر نُقدِّم تنويهًا عابرًا عن قيامة لعازر في اليوم الرابع، ونُلمِّح فقط لضيق الوقت عن قيامة ابن الأرملة.

ولكي أُذَكِّركم فقط، دعوني أذكر ابنة رئيس المجمع، وتشقُّق الصخور وقيام كثير من أجساد القديسين الذين رقدوا (مت ٢٧: ٥٢)، فقد "فُتحتْ قبورهم".

لكن بالأحرى كونوا ذاكرين "أن المسيح قام من الأموات" (١ كو ١٥: ٢٠).

أتكلم عن إيليا وعن ابن الأرملة الذي أقامه، وعن أليشع الذي أقام ميتًا مرتين: مرة في حياته، وأخرى بعد موته.

لأن في حياته أتم القيامة بنفسه *his soul* (٢ مل ٤: ٣٤). لكن لكي تُكرَم ليس فقط نفوس الأتقياء، بل ولكي يُصدَّق أنه في أجساد الأتقياء تكمن قوة، فالجثة التي ألقيت في قبر أليشع عندما لمست جسد النبي قامت (٢ مل ١٣: ٢١). فصنع جسم النبي الميت فعل النفس. الذي مات ودُفن أعاد الحياة للميت، ولو أن الذي أعطى حياة استمر وسط الأموات. لماذا؟ لئلا إن قام أليشع مرة أخرى فالعمل يُعزى لـ "نفسه" فقط، وإنما **ليظهر أنه حتى في غياب "النفس" تسكن فضيلة في أجساد القديسين بسبب النفس التقية التي سكنت به عدة سنين واستعملتها لخدمتها.**

فلا تدعونا نكذب بجهل كأن هذه الأشياء لم تحدث. لأنه إن كانت المناديل والعصائب التي

---

[1] *Morals on the Book of Job, 9 40.63.*
[2] *Homilies on Psalms, 25 (Ps. 98)*
[3] *Hom. 25 on Ps.97 (98)*

من الخارج تلمس أجساد المرضى فيشفون، فما بالك بجسم النبي نفسه يقيم الموتى؟[1]

. **القديس كيرلس الأورشليمي**

❖ يشير هذا الغلام إلى الطوباوي موسى الذي أرسله الله إلى مصر بعصا، بدون المسيح لم يستطع موسى أن ينقذ الشعب بالعصا، ولا أن يحررهم أو يُحييهم من الخطية الأصلية أو الواقعية. وكما يقول الرسول: "إذ الناموس لم يُكمِّل شيئًا" (عب ٧:١٩). كان من الضروري نزول الذي أرسل العصا بنفسه. العصا بدون أليشع لا تنفع شيئًا، لأن الصليب بدون المسيح بلا قوة[2].

❖ انحنى أليشع ليحيي الصبي، وتواضع المسيح ليرد العالم المُلقَى في الخطية.

وضع أليشع عينيه على عيني الصبي، وفمه على فمه، ويديه على يديه. لاحظوا يا إخوة كيف أن رجلاً كامل السن يسحب نفسه ليتناسب مع صبي مُلقَى ميتًا، لأن ما فعله أليشع في حالة الصبي حققه المسيح بالكامل مع الجنس البشري كله. أنصت إلى قول الرسول: "وضع نفسه وأطاع حتى الموت" (في ٢:٨). جعل نفسه صغيرًا... انحنى الطبيب الحنون لأنه بالحق يا إخوة، لا يقدر أحد أن يرفع أحدًا مُلقَى أرضًا إن رفض أن ينحني[3].

❖ حقيقة عطْس الصبي سبع مرات يُظهِر نعمة الروح القدس السباعية التي منحت للجنس البشري عند مجيء المسيح ليرده إلى الحياة. بخصوص الروح نفسه، يقول الرسول: "إن كان أحد ليس له روح المسيح، فلا ينتسب للمسيح" (راجع رو ٨:٩)... حقًا بطريقة وضع فمه على أفواههم ونفخ عليهم وأعطاهم الروح[4].

الأب قيصريوس أسقف آرل

ثُمَّ عادَ وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ، تَارَةً إِلَى هُنَا، وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ،
وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ، فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ،
ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ. [٣٥]

صار النبي يتمشى كدليل على اضطراب النبي، لأن الله لم يستجب له في الحال، لكنه لم يفقد الثقة في إمكانية الرب أن يقيمه.

يرى **القدّيس أفرآم السرياني** أن تحركه هنا وهناك في العُلّية يشير إلى دخول السيد

---

[1] *Lecture 18: 16*
[2] *Sermon 128 7*
[3] *Sermon 128:8.*
[4] *Sermon 128 8*

المسيح إلى بيوت البشر وحلوله بينهم، ومشاركتهم حياتهم[1].

❖ لاحظوا، أليس اليهودي صلسس يتكلم وهو أعمى، إذ يقول... "هذا هو السؤال: هل يمكن لأحدٍ مات حقيقة أن يقوم بجسد حقيقي؟"

ما كان يليق بيهودي أن ينطق بهذه الكلمات، إذ يؤمن بما هو مُسجل في سفريّ الملوك الثالث والرابع (١ و٢ مل) بخصوص الفتيَين، أحدهما أقامة إيليا (١ مل ١٧: ٢١-٢٢) والآخر أقامة أليشع (٢ مل ٤: ٣٤-٣٥). لهذا أيضًا أظن أن يسوع لم يظهر لأمةٍ أخرى سوى لليهود، الذين اعتادوا على حوادث معجزية، حتى بمقارنتهم بما يعتقدون به مع أعمال صنعها يسوع، وبما ينتمي إليه، يعترفون أنه أعظم من كل السابقين له، وذلك بسبب الأمور العظيمة، التي سبق فتمت وبما هو أعظم منها قوة وعجبًا[2].

العلامة أوريجينوس

فَدَعَا جِيحَزِي وَقَالَ: ادْعُ هَذِهِ الشُّونَمِيَّةَ فَدَعَاهَا.
وَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ قَالَ: احْمِلِي ابْنَكِ. [٣٦]

فَأَتَتْ وَسَقَطَتْ عَلَى رِجْلَيْهِ،
وَسَجَدَتْ إِلَى الأَرْضِ،
ثُمَّ حَمَلَتِ ابْنَهَا وَخَرَجَتْ. [٣٧]

في مرارة نفسها سقطت المرأة العظيمة عند رجلي أليشع بسبب حزنها على ابنها، والآن تسقط أيضًا عند رجليه في فرحها بإقامته لتعبر عن شكرها.

٥. إصلاح طعام مميت

وَرَجَعَ أَلِيشَعُ إِلَى الْجِلْجَالِ.
وَكَانَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، وَكَانَ بَنُو الأَنْبِيَاءِ جُلُوسًا أَمَامَهُ.
فَقَالَ لِغُلاَمِهِ: هَيِّئِ الْقِدْرَ الْكَبِيرَةَ، وَاسْلُقْ سَلِيقَةً لِبَنِي الأَنْبِيَاءِ. [٣٨]

الجلجال: تبعد حوالي ميل شمال شرق أريحا. وهي أول مكان عسكر فيه إسرائيل بعد عبور الأردن (يش ٤: ١٩-٢٠).

ربما يشير هنا إلى المجاعة التي دامت سبع سنوات (٢ مل ٨: ١-٢).

وَخَرَجَ وَاحِدٌ إِلَى الْحَقْلِ لِيَلْتَقِطَ بُقُولاً،

---

[1] *On the Second Book of Kings, 4 30-35*
[2] *Against Celsus, Book 2, ch 57*

فَوَجَدَ يَقْطِينًا بَرِّيًّا،
فَالْتَقَطَ مِنْهُ قُثَّاءَ بَرِّيًّا مِلْءَ ثَوْبِهِ،
وَأَتَى وَقَطَّعَهُ فِي قِدْرِ السَّلِيقَةِ،
لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا. [٣٩]

من هو هذا الواحد؟ يرى **القدّيس أفرآم السرياني** أنه هو المسئول عن تدبير معيشة الأنبياء.

❖ هذا هو المسئول بين الأنبياء، كاد يموت جوعًا، إذ لم يجد طعامًا التزم أن يذهب إلى الحقول يبحث عن بعض الأعشاب. وإذ لم يستطع أن يجد الأعشاب التي يعرفها جمع ما لم يعرفه، ولم يكن صالحًا للأكل، إذ كتب أنه جمع حنضلاً برّيًا[1].

القدّيس أفرآم السرياني

اليقطين البرّي هو القثاء البرّي، غالبًا ما كان الحنضل، طعمه مرّ، ويُسبّب إسهالاً شديدًا مع مغص وقيء شديد. جاء في الترجمة البشيطة *Peshitta* السريانية والتي اقتبس منها القدّيس أفرآم السرياني "الحنظل" *colocynths*.

❖ بنو الأنبياء الذين كانوا رهبان العهد القديم بنوا لأنفسهم أكواخًا بجوار مياه الأردن، وهجروا المدن المزدحمة، عاشوا على الحساء وأعشاب البرية (٢ مل ٤: ٣٨-٣٩؛ ٦: ١-٢). مادمت في بيتك، اجعل قلايتك هي فردوسك (جنّتك)، هناك جميع ثمار الكتاب المقدس المتنوعة. لتكن هذه هي رفيقك المُفضّل، واحمل وصاياه في قلبك[2].

القديس جيروم

❖ ما السبب في أن حياة أليشع النبي مثال للسيرة الحسنة. تأمل كيف أن المرأة الشونمية استضافته، وكيف أنه هو نفسه كان يستضيف بني الأنبياء؟ انظر معي هل قدَّم لبنى الأنبياء قليل من الخبز مع نباتات برية سامة؟ بالطبع لا، لأن واحدًا من هؤلاء خرج إلى الحقل وجمع يقطينًا بريًا سامًا ووضعه مع السليقة في القدر، ولكن بفضل صلوات هذا النبي الصائم — إذ كان الموت متربصًا بمن يأكل ما هو موجود في القدر — اختفى السُم من الطعام. (٢ مل ٤:٣٩-٤١)[3].

القديس باسيليوس الكبير

---

[1] *On the Second Book of Kings, 4.39.*
[2] *Letter 125 To Rusticus 7.*

[3] عن الصوم المقدس.

وَصَبُّوا لِلْقَوْمِ لِيَأْكُلُوا.
وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ مِنَ السَّلِيقَةِ صَرَخُوا:
فِي الْقِدْرِ مَوْتٌ يَا رَجُلَ اللهِ!
وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْكُلُوا. [٤٠]

عرفوه من طعمه المرّ، وتوقفوا عن الأكل قبلما يأكلوا قدرًا ما يسبب لهم سمًا.

وجَّه الأنبياء هذه الصرخة لأليشع النبي، فإنه إذ كان جوع وضعوا قثاء بريًا أو حنضلاً سامًا في القدر، ولم يستطيعوا أن يأكلوا. أمر أليشع النبي بوضع قليل من الدقيق في القدر ثم طلب منهم أن يأكلوا، فأكلوا وشبعوا.

ماذا يُقدِّم لنا العالم إلا الموت ؟! لذا صارت الحاجة أن يسكب الدقيق في القدر فلا يكون موت بل حياة. هذا الدقيق هو جسد الرب يسوع الذي صار خبز الحياة، من يأكله يتمتع بالحياة الأبدية عوض الموت (يو ٦ : ٥٣).

فَقَالَ: هَاتُوا دَقِيقًا.
فَأَلْقَاهُ فِي الْقِدْرِ وَقَالَ: صُبَّ لِلْقَوْمِ فَيَأْكُلُوا.
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ رَدِيءٌ فِي الْقِدْرِ. [٤١]

لا يحمل الدقيق قوة معجزية لإزالة السم عن الطعام، إنما إيمان أليشع في قوة الله وقدرته ومحبته هو الذي نزع عن الطعام السم المميت. ليس في الدقيق ما يضاد السم، لكن الله اختاره كما سبق فاختار الملح (٢: ٢٠) لإصلاح الماء المُر.

أظهر بنو الأنبياء إيمانهم بالرب ونبيه فأكلوا حسب قوله مما كان قبلاً سامًا.

❖ أصلح أليشع طبيعة الطعام المطبوخ بقليل من الدقيق، أعطاه تذوقًا جديدًا. فعل ربنا نفس الأمر بتدبيره (الإلهي) حتى يُقتدَى به. وكما قال لأجل نصحنا لكي نسير في طريق البرّ والتقوى، ونفرح بالمكافأة العظيمة التي وعدنا بها، ولشفاء الأمراض والكروب والضيقات التي تحيط بنا على الدوام منذ بدء حياتنا.

أب جنسنا آدم، جمع هذه الثمار (المرّة) كثمرة لخطيته، وقدمها لنا في الساعة التي سمع فيها كلمات خالقه: "الأرض ملعونة من أجلك. إنها تنبت لك شوكًا وحسكًا. أنت تراب وإلى تراب تعود" (تك ٣: ١٧-١٩)[1].

القدّيس أفرآم السرياني

---

[1] *On the Second Book of Kings, 4:41.*

٦. إشباع مئة رجل بعشرين رغيفًا

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْلِ شَلِيشَةَ،
وَأَحْضَرَ لِرَجُلِ اللهِ خُبْزَ بَاكُورَةٍ عِشْرِينَ رَغِيفًا مِنْ شَعِيرٍ،
وَسَوِيقًا فِي جِرَابِهِ.
فَقَالَ: أَعْطِ الشَّعْبَ لِيَأْكُلُوا. [٤٢]

❖ يقول يوحنا (عن إشباع الجموع) "**أرغفة شعير**" (يو ٦: ٩)، مشيرًا إلى ذلك ليس بدون هدف. إنما يعلمنا أن نطأ بأقدامنا كبرياء تعظم المعيشة. هكذا كان طعام الأنبياء (من **أرغفة شعير**)[1].

القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

قام **العلامة ترتليان** في القرن الثاني الميلادي بتفنيد آراء مرقيون في خمسة كتب، خاصة وحدة الكتاب المقدس (أي العهدين). كان مرقيون يكره العهد القديم، ويرى في الخالق كائنًا عنيفًا لا يعرف الحنو والرحمة، وأن السيد المسيح الكلي الرحمة ضد خالق المادة، التي هي عنصر الشر.

استخدم **العلامة ترتليان** القصة التي بين أيدينا حيث أشبع أليشع الكثيرين بقليلٍ من الطعام وفاض في رده على مرقيون، فهي تحمل رمزًا لعمل السيد المسيح **الخالق**[2].

بعل شليشة: ذكرت أرض شليشة في ١ صم ٩:٤، موقعها مجهول، غير أنها كانت قريبة من الجلجال.

خبز باكورة: ربما أحضره الرجل، لأنه من الواجبات الدينية أن يُقدِّمه للرب (لا ٢٣:١٤) فكان ذلك دليلاً على وجود من يخافون الرب الذين لم يشاركوا العامة في عبادة البعل. من بينهم هذا الرجل الذي يُقدِّم البكور لرجال الله حتى من الخبز الذي يقوم بصنعه في البيت. كان هذا الرجل كريمًا إذ لم يرد أن يحفظ الخبز لنفسه، بل قدَّم بكور الخبز في وقت المجاعة [٣٨]. أما عمل الرب فهو أنه بارك العشرين رغيفًا ليشبع المئة رجل ويفضل عنهم.

السويق: هو ما يخرج من البرغل عند غربلته، ويفهمه البعض على أنه الفريك (لا ٢: ١٤؛ ٢٣: ١٤).

❖ **هنا صُنعت معجزتان**، تحققتا بواسطة أليشع عندما كان بين تلاميذه. تمَّ الأولى عندما جعل الموت يفارق القِدْر، حيث قيل أنه كان مخفيًا. وتمَّ الثانية عندما أطعم مئة نبي بقليلٍ من الخبز. في كلتا المعجزتين كان يرمز لذاك الذي بارك خبزات الشعب (مت ١٤: ١٣-٢١)،

---

[1] *Homilies on Matt. Homily 49·1.*
[2] *Tertullian against Marcion, Book 4, ch. 21.*

حيث أطعم خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال (مت ١٤: ٢١)[1].

القدّيس أفرآم السرياني

فَقَالَ خَادِمُهُ: مَاذَا؟
هَلْ أَجْعَلُ هَذَا أَمَامَ مِئَةِ رَجُلٍ!
فَقَالَ: أَعْطِ الشَّعْبَ فَيَأْكُلُوا،
لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
يَأْكُلُونَ وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ.
فَجَعَلَ أَمَامَهُمْ فَأَكَلُوا،
وَفَضَلَ عَنْهُمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. [٤٣]

حينما نُقدّم مما عندنا للغير تحل بركة الرب، فنشبع ويشبع الآخرون ويَفضُل عنا وعنهم. يقول الحكيم: "يوجد من يفرّق فيزداد أيضًا، ومن يمسك أكثر من اللائق، وإنما إلى الفقر. النفس السخية تُسمَّن، والمُروي هو أيضًا يُروى" (أم ١١: ٢٤-٢٥).

ليس الشبع من كثرة الأكل أو من تنوعه، بل من بركة الرب.

لم يكن ممكنا لرجل الله أن يترك الرجال - مهما بلغوا - يخرجون جائعين، فإن الله قد أوجد الإنسان وهو مُلتزِم أن يُشْبِعَ كل احتياجاته. يهبه أكثر مما يسأل وفوق ما يحتاج.

هذا هو عمل الخادم الحقيقي، بل وكل مسيحي، ألا يمد يده كمحتاجٍ، بل يمدها ليعطي بسخاء، فيُشبِع من هم حوله ويفيض عنهم.

رقم ١٠٠ يشير إلى كمال الجماعة، لذا عندما تحدث السيد عن الخروف الضال، قال إنه كان لدى الراعي مائة خروف. هكذا كان ما فعله النبي إنما هو دعوى لكل خادم أن يهتم بكل البشرية ليشبعها. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: "أيها الكاهن أنت أب العالم كله".

من وحي ٢ ملوك ٤

لأفتح فمي فتُشبِع أعماقي بزيت نعمتك!

❖ بارك أليشع دهنة زيت، فملأت بيت الأرملة فرحًا.
حررت ابنيها من العبودية، وقدَّمتَ للأسرة كل احتياجاتها .

❖ لتدخل يا إله أليشع إلى بيتي.

---

[1] *On the Second Book of Kings, 4:38.*

نفسي صارت أرملة، وأولادها كادوا يصيرون عبيدًا.
هوذا إبليس كمُرابي عنيف يستعبد أولادي:
عقلي وعواطفي وأحاسيسي ومواهبي وكل طاقاتي.
لتدخل إلى بيتي، وتسكب زيت نعمتك فيَّ.
كل أوعيتي فارغة، من يقدر أن يملأها سواك .
لماذا أشحذ من الناس عاطفة أو مالاً أو كلمة مديح؟!
وأنت أبي الغني تُشبعُ كل احتياجاتي؟!

❖ لمرأة عظيمة أقامت لنبيك علية، يصعد إليها وفيها يستريح.
هب لي أن أُسلِّمك أعماقي، فتُقيم فيها هيكلاً مُقدَّسًا لك .
تسكن فيها وتدعو أصدقاءك السمائيين!
نعم لتقم في داخلي، ولتحوّل أعماقي إلى ملكوت مُفرِح .

❖ أنت تنزع عُقم نفسي!
تهبني أبناء لك، أتمخض بهم لحسابك!
إن ماتت نفسي الوحيدة، أو هلكت نفس أخي،
إلى من أذهب إلا إليك؟!
أنت هو الحياة! أنت هو القيامة!
أنت مُحطِّم الموت! أنت واهب النصرة!
ليلتصق جسدي بجسدك، ولتتحد نفسي بك!
فمن يرتبط بك، يهرب منه الموت،
وتجري إليه الحياة الأبدية!

❖ التفتْ حولَك الجموع تطلب كلمتك.
أشبعتَ نفوسَها بوصيتك، وملأت بطونها بالطعام!
ليس من يقترب إليك ويرجع فارغًا.
تشبعه وترويه، ويفيض منه ليهب أيضا آخرين!
لك المجد يا خبز السماء!
لك المجد يا مُشبِعَ الجميع!

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ

أُرْدُنُنا العظيم!

أبرز هذا الأصحاح التزامنا بالعمل لحساب ملكوت الله، أيا كان مركزنا أو دورنا في الحياة، نسلك بروح الحكمة الإلهية وليس بافتراضات بشرية. ونطلب مجد الله لا مجد العالم وغناه.

يروي لنا هذا الأصحاح قصة فتاة اصطادها الأراميون في إحدى المعارك واستعبدوها. صارت في أرض غريبة بلا أب ولا أم ولا أخ أو أخت. ليس من قريب يُشبِع عواطفها، ولا من كاهن يسند نفسيتها، ويصلي لأجلها. ليس من كتاب مقدس بين يديها. فقدت حريتها وإنسانيتها، يتحكَّم الغير في مصير حياتها. ومع هذا كله لم تتحطَّمْ ولا تذمرت على الله، بل شهدت لعمل الله أمام قائد الجيش الغريب. حرَّكتْ التاريخ في شجاعة، الأمر الذي فشل فيه ملك إسرائيل.

شهدت الفتاة المسبية لعمل الله الفائق في أرض العبودية، ودفعت القائد الوثني إلى الإيمان والتعرف على قوة المعمودية، بينما مزَّق الملك الإسرائيلي صاحب السلطان ثيابه ولم يعرف إمكانيات الله في حياته وفي بلده.

في إيمان صدَّق القائد الفتاة المسبية، وبروح التواضع سمع لصوت عبيده حين سألوه أن يُنفِّذ ما قاله النبي.

الفتاة الصغيرة التي قدَّمتْ عملاً كرازيًا بين الأمم هي رمز للكنيسة في بدء نشأتها أو التلاميذ والرسل الذين من اليهود، القلة الصغيرة التي كرزت وسط الأمم. والملك الرافض للعمل يُمثِّل الأمة اليهودية التي بجحودها وعدم إيمانها لم تقبل العمل الإلهي.

أروع ما في هذا الأصحاح اكتشاف الرجل الغريب الجنس سرّ أُرْدُنُنا القادر وحدَه أن يهبنا الميلاد الجديد. قدَّسه ربنا يسوع المسيح لننزل في جرن المعمودية، أُردُننا العجيب، فنتمتع بالولادة من الماء والروح!

❖ مجيء نعمان السرياني وشفاؤه باستحمامه في مياه الأردن كان قياسًا لنقاء أنفس المؤمنين المعتمدين بالمسيح من خطاياهم. وكان الموضع الذي استحم فيه نعمان في نهر الأردن هو الذي وقف فيه تابوت الرب على عهد يشوع بن نون، وفيه تعمَّد المسيح ابن الله فحقق الرسم بالحقيقة[1].

القديس أثناسيوس الرسولي

[1] كمال البرهان على حقيقة الإيمان، ص ١٣٢.

❖ الشعب الذي - كان غريبًا - كانوا بُرصًا قبل عمادهم في النهر السرّي، هؤلاء يتطهرون بسرّ المعمودية من وصمات نفوسهم وأجسادهم. حقًا لقد أُعلن للأمم عن خلاصهم المُقبِل خلال مثال نعمان[١].

القديس أمبروسيوس

❖ في الحقيقة الأردن وحده بين كل الأنهار تقبَّل باكورة التقديس والبركة، وأفاض كينبوع نعمة المعمودية على العالم كله[٢].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ ليس نهر آخر ينزع البرّص من الإنسان إلا ذاك النهر الواحد (الأردن) إن دخله الإنسان بإيمان وغسل نفسه في يسوع؟[٣]

العلامة أوريجينوس

١. **شهادة فتاة مسبية** ١ - ٤.
٢. **افتراض ملك أرام** ٥- ٧.
٣. **الحاجة إلى الأردن** ٨- ١٤.
٤. **مجد الله لا العالم** ١٥- ١٩.
٥. **بالغنى افتقر جيحزي** ٢٠- ٢٧.

١. شهادة فتاة مسبية

لعبت الفتاة المسبية وأيضًا عبيد نعمان دورًا حيويًا في إتمام هذه المعجزة. فقدَّمت الفتاة المسبية شهادة للرب لم يستطع ملك إسرائيل إدراكها. وقام عبيد نعمان بتشجيع سيدهم على الطاعة للنبي، الأمر الذي به تمتع بشفاء جسمه كما تمتع بالإيمان بالله مُخلِّص البشرية.

هكذا يعمل الله بالأسرى والخدم وأصحاب المواهب القليلة، فيقومون بدور يصعب أن يقوم به أصحاب مراكز سامية ومواهب عظيمة.

وَكَانَ نُعْمَانُ رَئِيسُ جَيْشِ مَلِكِ أرام رَجُلاً عَظِيمًا عِنْدَ سَيِّدِهِ،
مَرْفُوعَ الْوَجْهِ،
لأَنَّهُ عَنْ يَدِهِ أَعْطَى الرَّبُّ خَلاَصًا لأرام.

---

[1] *Exp Luc 4 50، 51.*
[2] *PG 46 593 D*
[3] *Comm Joan 6 47*

وكَانَ الرَّجُلُ جَبَّارَ بَأْسٍ، أَبْرَصَ. [١]

الله هو إله البشرية كلها، يهتم بالجميع، لذا نسمع هنا أن الرب أعطى خلاصًا لأرام، غالبًا ما كان الخلاص هنا من أشور.

كان البرص مثل مرض الإيدز الآن، من أخطر الأمراض في ذلك الوقت. إذ كان شديد العدوى، غير قابل للشفاء. وكان المصابون به يُطردون من المدن، ليعيشوا في مُخيَّمات معزولة. ولعل برص نعمان كان في دوره الأول، وربما كان يتوقع نعمان أنه سيضطر إلى ترك خدمته بسبب مرضه.

الله الذي يهتم بإسرائيل يهتم بالأمم الأخرى، فأعطى خِلاصًا لسوريا (أرام) غالبًا من يد أشور.

كانت شخصية نعمان السرياني فريدة، يشهد له الكتاب "عن يدهِ أعطى الرب خلاصًا لأرام" [١]، سمع لمشورة زوجته، وهي بدورها بروح التواضع سمعت لمشورة الجارية الصغيرة المسبية غريبة الجنس [٢-٤]، كما سمع مشورة عبيده الذين يدعونه "أبانا" [١٣-١٤].

وكَانَ الأَرامِيُّونَ قَدْ خَرَجُوا غُزَاةً،
فَسَبُوا مِنْ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ فَتَاةً صَغِيرَةً،
فَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيِ امْرَأَةِ نُعْمَانَ. [٢]

كانت أرام تجاور مملكة الشمال من الجانب الشمالي الشرقي. وكانت المعارك بينهما كثيرة. ففي أيام داود كانت أرام تدفع جزية لإسرائيل، وفي أيام أليشع كانت أرام تزداد قوة. وكثيرًا ما هاجمت إسرائيل كنوعٍ من الإرهاب وإحداث اضطراب وسط الشعب. وكثيرًا ما كانوا يحملون معهم بعض الأسرى. كانت خادمة نعمان فتاة من أسرى بني إسرائيل.

فَقَالَتْ لِمَوْلاَتِهَا:
يَا لَيْتَ سَيِّدِي أَمَامَ النَّبِيِّ الَّذِي فِي السَّامِرَةِ،
فَإِنَّهُ كَانَ يَشْفِيهِ مِنْ بَرَصِهِ. [٣]

اعتزت فتاة مسبية بإلهها، وآمنت أنه قادر أن يشفي إنسانًا وثنيًا من برصه.

كان لأليشع بيت في السامرة عاصمة إسرائيل، حيث عاش الملك والعظماء، وهو في هذا اختلف عن إيليا الذي قطن بالأكثر في البراري والجبال، ولم يكن له موضع مستقر فيه على الدوام. وقد شاع خبره عند جميع الناس، حتى أن هذه الفتاة الصغيرة المسبية سمعت عنه، وأدركت إمكانياته في الرب.

اتسمت هذه الفتاة الصغيرة بإيمانها الذي فاق إيمان ملك إسرائيل، كما اتسمت بالمحبة

وهي أسيرة كانت تئن لأنات مريض وثني بالبرص وزوجته.

❖ الآن نعمان رئيس الجيش، الذي كان أبرص، جاء إلى الطوباوي أليشع بناء على اقتراح صبيَّة خادمة لكي يُشفى، رمزًا للأمم. هذه الصبيَّة جاءت من اليهودية أسيرة، وأخبرت سيدتها أنه إذا ذهب سيدها إلى الطوباوي أليشع يرد له صحته. كانت رمزًا للنبوة لأنه بالرغم من أن النبوة كانت في ذلك الحين محصورة في اليهودية وحدها، إلاّ أنه من المحتم إن المعرفة المطوبة لها بلغت إلى الأمم المجاورة أيضًا. لذلك أصغى نعمان إلى الصبيَّة وذهب إلى أليشع؛ سمع الأمم النبي وجاءوا إلى المسيح. عند المجيء إلى أليشع شُفي نعمان من برصه، وعند المجيء إلى المسيح تطهرت الأمم من كل برَص خطاياهم[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ افهموا الآن من هي تلك الفتاة الصغيرة بين الأسرى؟... إنها الجماعة التي جُمعت من الأمم، كنيسة الله التي كانت مُستعبدة قديمًا في أسر الخطيئة عندما لم تكن لها حرية النعمة، هذه التي بواسطة تدبيرها سمع الناس الأغبياء من الأمم كلمة النبوّة التي كانوا يُشكّون فيها قبلاً، ولكن بعدما آمنوا أنه ينبغي أن تُطاع اغتسلوا من دنس الخطيئة. لقد شك نعمان قبل أن يبرأ، أما أنتم فقد برئتم، فلا ينبغي إذن أن تشكّوا[2].

القديس أمبروسيوس

فَدَخَلَ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ:
كَذَا وَكَذَا قَالَتِ الْجَارِيَةُ الَّتِي مِنْ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. [٤]

٢. افتراض ملك أرام

كثيرًا ما تُسبِّب لنا افتراضاتنا البشرية متاعب روحية ومادية واجتماعية.

في هذا الأصحاح أخطأ ملك أرام حين افترض أن الذي يشفي نعمان من برَصه هو ملك إسرائيل. وبسبب هذا الافتراض كان يمكن أن تنشب حربٌ بين أرام وإسرائيل.

وافترض أيضًا نعمان أن شفاءه يتحقق بلقاء النبي له، ووضع يده عليه ليطلب من الله أن يطهره من برَصه، ولولا تدخُّل عبيده الحكماء لرجع إلى بلده في خزي ومرارة نفس، ولم يتمتع بالتطهير من البرَص.

وافترض أيضًا نعمان أن نهري دمشق – أبانة وفرفر – أفضل من جميع مياه إسرائيل،

---

[1] *Sermon 129:2*

[2] الأسرار: فصل ٣.

بهذا كان ينتقد سرّ الأردن العظيم.

فَقَالَ مَلِكُ أرام:
انْطَلِقْ ذَاهِبًا،
فَأُرْسِلَ كِتَابًا إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ.
فَذَهَبَ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ عَشَرَ وَزَنَاتٍ مِنَ الْفِضَّةِ،
وَسِتَّةَ آلاَفِ شَاقِلٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَعَشَرَ حُلَلٍ مِنَ الثِّيَابِ. [٥]

غالبًا ما كان ملك إسرائيل هو يهورام بن آخاب. لم يكن من السهل أن يطلب ملك أرام هذا الطلب من ملك إسرائيل. واضح من موقف ملكي أرام وإسرائيل، إنه وُجد سلام في ذلك الوقت بين المملكتين، لكي في شيءٍ من التخوف، يظهر فيما فعله ملك إسرائيل وما قاله [٨].

الهدايا التي حملها نعمان معه تشير إلى غناه وحاجته الشديدة للخلاص من هذا المرض. قديمًا كان التعامل بالذهب والفضة بالوزن ولم توجد نقود مسكوكة. وكانت الهدايا حتى بين الأصدقاء غالبًا ما تكون ذهبًا أو فضة أو ثيابًا أو غنمًا. كانت الثياب من الهدايا الثمينة التي تقدم كنوعٍ من التقدير والاعتزاز والتكريم. هنا يقصد ثيابًا مزركشة ثمينة تليق كهدية من رئيس الجيش.

وعد شمشون بتقديم ثياب لمن يحل لغزه (قض ١٤: ١٢- ١٣، ١٩). حتى سليمان في كل مجده لم يستخف من قبول ثياب كهدايا قيمة (٢ أي ٩: ٢٤). ودانيال ارتدى ثوبًا من أرجوان قدَّمه له الملك لتكريمه (دا ٥: ٢٩). جاء عن شاعر شرقي مشهور في القرن التاسع أنه قُدِّمت له هدايا كثيرة في حياته، وعند موته كان لديه ١٠٠ طاقم من الملابس كاملة، و٢٠٠ قميص و٥٠٠ عمامة. لا يزال الهندوس يقدمون في نهاية العيد ثيابًا جديدة لكل ضيفٍ حضر العيد.

وَأَتَى بِالْكِتَابِ إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ فِيهِ:
فَالآنَ عِنْدَ وُصُولِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَيْكَ،
هُوَذَا قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ نُعْمَانَ عَبْدِي، فَاشْفِهِ مِنْ بَرَصِهِ. [٦]

لم يشر كتاب ملك أرام إلى النبي، إنما طلب شفاء نعمان، الطلب الذي يبدو مستحيلاً، فظن ملك إسرائيل أن الطلب قُدم لإثارة معركة بين المملكتين.

فَلَمَّا قَرَأَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ مَزَّقَ ثِيَابَهُ، وَقَالَ:
هَلْ أَنَا اللهُ لِكَيْ أُمِيتَ وَأُحْيِيَ،
حَتَّى إِنَّ هَذَا يُرْسِلُ إِلَيَّ أَنْ أَشْفِيَ رَجُلاً مِنْ بَرَصِهِ؟
فَاعْلَمُوا وَانْظُرُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَعَرَّضُ لِي! [٧]

كان إيمان الفتاة الصغيرة الأسيرة أعظم من إيمان الملك. بإيمانها القوي حرّكت قائد جيش أرام، ليطلب من إله إسرائيل، بينما كشف الملك عن عدم إيمانه. غالبًا ما كان ملك إسرائيل هو يهورام بي أخاب، كانت له علاقات طيبة مع ملك أرام. لم يذكر اسمه هنا بسبب عدم إيمانه، وقد ركّز الكتاب المقدس هنا على عمل الله خلال أليشع النبي.

أرسل بنهدد ملك أرام نعمان إلى ملك إسرائيل، إذ ظن أن للملك سلطانًا على النبي يأمره فيطيع، كما حسب أن الشفاء يُقتني بالمال. أما ملك إسرائيل فكان يجهل قوة الله.

افترض ملك إسرائيل في ملك أرام سوء النية، يود أن يجد علة ليدخل معه في معركةٍ، ولم يخطر على فكره أن يستشير أليشع النبي، وربما لم يكن يتخيل أن النبي له القدرة عل شفاء أبرص بقوة الله. لم يدرك أن الله هو الذي "يميت ويحي" (٢ مل ٥: ٧)، حياة الإنسان معروفة لدى الله، وأيامه محددة لديه، وهو صاحب السلطان المُطلَق.

❖ **"وقد عينت أجله (زمنه) فلا يتجاوزه"** (أي ١٤: ٥). بالنسبة لكل البشر قد تعيَّن ليس فقط بالسنوات والشهور، بل والأيام والساعات وذلك من جانب خالقنا. فقد **"عيَّن زمنًا"**، وقد تحدد الزمن، ولا يمكن تجاوزه مطلقًا. ألا تعلمون أن كثيرين يخلصون من المرض المميت، بينما آخرون وهم في صحة جيدة يُختطفون فجأة من الحياة الزائلة؟ البعض يسقطون من أماكن عالية، وينزلون في أمانٍ أصحاء، بينما آخرون وهم يمشون يختطفهم الموت في خطوة باطلة. مرة أخرى، فإن البعض يخرجون من سفينتهم (أثناء غرقها) ويصعدون على لوحٍ خشبيٍ مجرد، فيصلون في صحةٍ وأمانٍ، بينما آخرون يجدون الموت قرب الميناء، تغرق سفينتهم هناك حيث لا يتوقع أحد أن يكون الموت نصيبهم، لكنه يتحقق بدعوة من الخالق.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

وَلَمَّا سَمِعَ أَليشع رَجُلُ الله أَنَّ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ قَدْ مَزَّقَ ثِيَابَهُ،
أَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ يَقُولُ:
لِمَاذَا مَزَّقْتَ ثِيَابَكَ؟
لِيَأْتِ إِلَيَّ، فَيَعْلَمَ أَنَّهُ يُوجَدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ. [٨]

تمزيق الإنسان ثيابه يشير إلى الحزن الشديد، كما إلى الشعور بالعجز عن تحقيق ما يُطلب منه.

❖ كان البهي مملوءًا بالروح القدس، كاشف الأسرار.

استند على إعلانات النبوة، وكان يجتر القداسة والنقاء ويمضغهما.

سهل عليه أن يداوي الأمراض، ويصنع القوات، ويواسي الضعفاء، ويفرّج عن المجروحين.

كان اسم جبروته مشهورًا بين العبرانيين، وأخباره الحسنة أقلقت أرض الأراميين[1].

قوة الشفاء صارت كالينبوع، فجرى وسقى الإسرائيليين، وفاض ليسقي الأراميين[2].

القديس مار يعقوب السروجي

فَجَاءَ نُعْمَانُ بِخَيْلِهِ وَمَرْكَبَاتِهِ،
وَوَقَفَ عِنْدَ بَابِ بَيْتِ أليشع. [٩]

يصوّر لنا **القديس مار يعقوب السروجي** المرضى من فقراء وأغنياء يلجأون إلى أليشع، ويقفون على بابه طالبين الشفاء. كان نعمان يتوقع معاملة خاصة كرئيسِ جيشٍ. وفوجئ بأليشع لم يخرج إليه ليستقبله.

لم يلتقِ أليشع النبي بنعمان الأبرص، ربما خشية أن يتنجس، لأن هذا المرض يحمل نوعًا من النجاسة في نظر الشريعة [١٣]. ويُقدّم لنا **القدّيس مار أفرآم السرياني** سببًا آخر لعدم خروجه إليه.

❖ الآن يثور سؤال: لماذا منع أليشع نعمان من رؤيته، ولم يسمح له بالدخول في بيته؟

في الدرجة الأولى، لأنه خدم بنهدد (١ مل ٢٠: ١-٤٣) في حروبه. بالحقيقة عرف النبي أن ملك أرام قتل الكثيرين من بني إسرائيل، وكيف خرّب أرضهم، وتلطّخت يداه بالدم البريء، إذ كان هو قائد الجيش، وكان له سلطان كامل على الأراميين.

في الدرجة الثانية، لأنه كان قد فسد بالبرص، والنبي يعلم أن الشريعة تطلب عدم الاقتراب، أو لمس الأبرص[3].

القدّيس مار أفرآم السرياني

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أليشع رَسُولاً يَقُولُ:
اذْهَبْ وَاغْتَسِلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الأُرْدُنِّ،
فَيَرْجِعَ لَحْمُكَ إِلَيكَ وَتَطْهُرَ. [١٠]

يُحسب هذا الطلب دعوة لنعمان أن يتواضع، وألا يثق إلا في الله نفسه [١٥].

---

[1] خلال كل الميمر استخدم أدوم عوض أرام.

[2] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٠١-١٠٢.

[3] *On the Second Book of Kings, 5:10-11.*

يرى **العلامة ترتليان**[1] أن نزوله في النهر سبع مرات يشير إلى تلوثه بسبع خطايا مميتة، وهي العبادة الوثنية والتجديف والقتل والزنا والنجاسة وشهادة الزور والغش. وكأنه في كل مرة يغطس يتطهر من خطية ما بالترتيب.

❖ أعلن أليشع النبي مُقدمًا عن غنى مياه المعمودية غير الموصوف. وفي نفس الوقت أشار إلى أنه سيمتد إلى كل الذين يرغبون في قبول الإيمان، فقد أرسل نعمان الأبرص الذي كان غريبًا الذي طلب الشفاء، وأمره أن يغطس سبع مرات في الأردن.

لقد أوضح له أنه يلزمه أن يغطس سبع مرات، لكي يتعلَّم هذا الغريب أن الله استراح في اليوم السابع، أو لأنه كان يشير إلى الروح الإلهي بطريقة رمزية[2].

القديس ديديموس الضرير

فَغَضِبَ نُعْمَانُ وَمَضَى، وَقَالَ:
هُوَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَيَّ وَيَقِفُ،
وَيَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِهِ،
وَيُرَدِّدُ يَدَهُ فَوْقَ الْمَوْضِعِ،
فَيَشْفِي الأَبْرَصَ! [١١]

ربما حسب نعمان أن تصرُّف أليشع ومشورته يحملان مهانة لقائد عظيم مثله، وأن طلبه غير منطقي، لأنه ماذا يكون نهر الأردن بمقارنته بنهري دمشق أبانة وفرفر [١٢].

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن من يعاني من متاعب يطلب بطريق أو آخر علامات منظورة ومحسوسة[3].

لم يكن أليشع رجلاً متكبرًا، بل بالعكس لم يخرج من البيت ولم يمس نعمان، لأنه أراد أن يوجِّه أفكار نعمان إلى الرب أنه هو الذي يشفيه، ولكي يُقدِّم للبشرية درسًا إيمانيًا عن العماد وقبول الأمم كأعضاء في كنيسة الله.

❖ لم يتحرك أليشع ليرى نعمان، فمع إدراكه أن نعمان قد تعثر لعدم خروجه واللقاء معه – ملاحظًا دقة الناموس – فقد بقي في بيته، وأرسل نعمان إلى نهر الأردن ليغتسل. أما الرب (فعند شفائه للأبرص) فلكي يشير إلى أنه يشفيه لا كخادمٍ بل بكونه السيد المطلق قام بلمس الأبرص (مت ٨: ٢-٣). فإن يده لن يلحقها دنس من البرَص، إنما يتطهر الجسم الأبرص

---

[1] Tertullian against Marcion, 4 9
[2] PG 39, 700 d
[3] Chrysostom. Homilies On Matthew, homily 31 1

ويتجدد بيده المقدسة. فإنه كما نعلم جاء لا ليشفي الأجساد فحسب، بل ويقود النفوس إلى ضبط النفس[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه ليس بالأمر العجيب أن يكون له هذه الأفكار ويثور، فإنه إذ سمع بأذنيه وزن كلمات النبي. الرجل الذي كان عمله في الجيش لم يكن قادرًا أن يتلامس مع السرّ المخفي لهذا الشفاء غير الطبيعي[2].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ نعمان في غضبٍ، لم يرَ أُردُنَنا الذي يطهِّر الذين تدنَّسوا بالبرص، أي من هذا الدنس، وواهب الصحة. إنه الأردن هو الذي فعل هذا (يطهر من البرص) وليس النبيَ. عمل النبي أن يوجّه إلى مركز الشفاء. نعمان لعدم فهمه للسرّ العظيم الذي للأردن يقول: هوذا قلت إنّه يخرج إليّ ويقف ويدعو باسم الرّبّ إلهه، ويردّد يده فوق الموضع، فيشفي الأبرص! [١١]... فإن وضع اليد على البرص والتطهير منه هذا من اختصاص ربنا يسوع وحده (مت ٨: ١-٣)، توسل إليه الأبرص بإيمان: "إن أردت تقدر تطهرني". لم يقل: "أريد فتطهر" فقط، إنما أضاف إلى الكلمة أنه لمسه، فبرأ من البرص. كان نعمان مخطئًا، ولم يرَ كيف أن كل الأنهار الأخرى أقل من الأردن لشفاء الأمم[3].

العلامة أوريجينوس

يُكمّل **العلامة أوريجينوس** حديثه موضحًا امتياز نهر الأردن عن بقية الأنهار، فإنه لا يوجد غير الأردن قادر على التطهير من البرَص. فعلى أنهار بابل جلس الإسرائيليون وتذكروا صهيون، وهناك بكوا. لقد سُبوا إلى بابل، وتذوقوا مياه غير مياه الأردن المقدسة، فاشتاقوا إلى نهر الخلاص. لقد جلسوا ولم يقدروا أن يقفوا، ويوبخ إرميا النبي من يشرب من مياه جيئون (إر ٢: ١٨)

شتان ما بين فكر الله وفكر الإنسان. يظن الإنسان أنه قادر أن يحقق كل شيءٍ بما له، بينما يُقدّم الله لنا خلاصه لكي نشبع ونتمجد بنعمته المجانية (إش٥٥:١؛ رو٣:٢٤؛ رؤ٢٢:١٧). يريد الإنسان أن يختار وسائل الخلاص حسب هواه، ويريدنا الله أن نُسلِّم حياتنا وإرادتنا في يديه. يرى الإنسان أن طريق الخلاص صعب أو مستحيل، أما الله فيرى أن طريق الخلاص بسيط

---

[1] *Orthodox Study Bible.*
[2] *On the Second Book of Kings, 5 11.*
[3] *Commentary on John, book 6:28.*

كالغسل في نهر الأردن المُقدَّم لكل نفسٍ مشتاقة إليه.

لم يخرج أليشع ليلتقي بنعمان تكبرًا منه، وإنما ليوجه أفكار نعمان إلى الرب لا إلى شخصه، ليعلم أن الشفاء من عند الرب.

❖ يمكن لله أن يهبنا ما يبدو لنا مستحيلاً. فقد بدت المياه عاجزة عن أن تغسل الخطية. وظن نعمان السرياني أن برصه لا يمكن أن يزول بالماء. لكن ما هو مستحيل يجعله الله ممكنًا، هذا الذي وهبنا نعمة عظيمة[١].

القدّيس أمبروسيوس

❖ سمع نعمان الأبرص قائد جيش بني عيسو بخبره، أنه يسهل عليه شفاء البرص.

أشرق اسمه في البلاد كالشمس، وتجمع كل المرضى من كل الجهات عند بابه.

أتى نعمان الأرامي مع الكثيرين، لينزع عنه قميص البرَص بواسطة أليشع.

أتى قائد الجيش اللابس البرَص، ووقف على بابه، وتوسل ليشفيه أليشع.

أرسل النبي العجيب، وقال له: اغتسلْ في الأردن سبع مرات فتطهر.

غضب نعمان، واحتقر الكلمة التي سمعها، وخرج غاضبًا ومنتقدًا، ثم غادر الموضع.

كان منتقدًا، قال: لماذا لم يخرج إليّ ويشفي مرضي؟

لا تنقص الأنهار في أرض أرام، لو كان الأمر هكذا، أمضي وأغتسل فأطهر[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

أَلَيْسَ أَبَانَةُ وَفَرْفَرُ نَهْرَا دِمَشْقَ أَحْسَنَ مِنْ جَمِيعِ مِيَاهِ إِسْرَائِيلَ؟
أَمَا كُنْتُ أَغْتَسِلُ بِهِمَا فَأَطْهُرَ؟
وَرَجَعَ وَمَضَى بِغَيْظٍ. [١٢]

أبانة: نهر بردي الحالي، ومنبعه من الجبل الشرقي. ويُظَن أن النهر الآخر فرفر، هو الأعرج الذي يخرج من جبل الشيخ. ويجري نهر أبانة في وسط دمشق. هذان النهران يمدان الأراضي الواقعة حول دمشق بمائهما الغزير، ويجعلان تلك البقاع من أخصب أراضي العالم. بعكس أنهر إسرائيل ويهوذا التي تجري أكثرها في أودية عميقة صخرية.

❖ عندما بدأ يفكر في نفسه أن لديه في بلده مياهًا أفضل، والتي غالبًا ما كان يستحم بها ولم

---

[1] *Concerning Repentance, Book 2. 12.*

[٢] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٠٢-١٠٣.

تطهره من برصه. بتذكره هذا لم يطع أمر النبي، ولكن بناء على نصيحة خدمه وحثّهم له خضع وغطس. وإذ تطهر أدرك أنه ليست المياه التي تطهر الإنسان، بل النعمة[1].

❖ يبدو أنه من الاستحالة للماء أن يغسل الخطايا، وظن نعمان السرياني أن البرص لا يمكن أن يُطهر بالماء. لكن ما كان مستحيلاً، يجعله الله الذي يهبنا نعمة عظيمة ممكنًا. نفس الشيء يبدو مستحيلاً أن تُغفَر الخطايا بالتوبة، لكن المسيح أعطى هذا السلطان لرسله، والذي انتقل خلال العمل الكهنوتي، بهذا صار ما كان مستحيلاً ممكنًا[2].

القديس أمبروسيوس

فَتَقَدَّمَ عَبِيدُهُ وَقَالُوا:
يَا أَبَانَا، لَوْ قَالَ لَكَ النَّبِيُّ أَمْرًا عَظِيمًا أَمَا كُنْتَ تَعْمَلُهُ،
فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِذْ قَالَ لَكَ: اغْتَسِلْ وَاطْهُرْ؟ [١٣]

انصرف نعمان ساخطًا، فقد عاش كل أيامه يحمل بطولة في حياته ومعاركه، فاستصغر أن يُشفَى بعلاجٍ بسيطٍ. إنه لم يقبل علاج الإيمان البسيط. هذا هو موقف الكثيرين، إذ يرفضون عطية الله المجانية، الإيمان البسيط. لا يثقون أن مسيحنا قادر أن يغسل ويُقدّس، بل ويهب البنوة في مياه المعمودية.

❖ عندما سمع نعمان أنه يلزمه أن يغتسل في الأردن سبع مرات كان ناقمًا، ولم يرد أن ينصاع للأمر، لكنه سمع مشورة أصدقائه، وقبل أن يغتسل ويتطهر. هذا يعني أنه قبل صليب المسيح. لم يؤمن الأمم بالمسيح عندما تحدث بشخصه، لكن بعد ذلك جاءوا بروح التقوى إلى سرّ العماد بعد كرازة الرسل...

أضف إلى هذا حقيقة عدم لمس أليشع لنعمان نفسه أو تعميده، يظهر أن المسيح لم يأتِ للأمم بنفسه، بل خلال رسله الذين قال لهم: "اذهبوا عمدوا كل الأمم باسم الآب والابن والروح القدس" (راجع مت ٢٨: ١٩).

لاحظ أيضًا أن نعمان، رمز الأمم، استرد صحته في نفس النهر الذي فيه قدس الله عماده فيما بعد...

الحقيقة بأن نعمان اعتقد بأنه كان يمكن أن يسترد صحته من خلال أنهره (٢ مل ٥: ١٢)، تشير إلى أن الجنس البشرى ظن أن يعتمد على إرادته واستحقاقاته الذاتية، ولكن بدون نعمة

---

[1] *On the Mysteries, 3:17*
[2] *Concerning Repentance 2: 2: 7-12.*

المسيح لا تقدر استحقاقاتهم أن تعطيهم صحة[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ أن لكي يتطهر نعمان من مرضين، مرض النفس وذاك الذي للجسد، كان من الضروري أن يُمثل في شخصه تطهير كل الأمم خلال غسل التجديد، الذي يبدأ في نهر الأردن، بكونه والد المعمودية ومنشئها[2].

القدّيس مار أفرآم السرياني

فَنَزَلَ وَغَطَسَ فِي الأُرْدُنِّ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَسَبَ قَوْلِ رَجُلِ اللهِ،
فَرَجَعَ لَحْمُهُ كَلَحْمِ صَبِيٍّ صَغِيرٍ وَطَهُرَ. [١٤]

مع غيظه لأنه حسب النبي لم يهتم به، وأن ما طلبه منه أمر يبدو غير معقول، لكنه في وداعةٍ استمع لرأي عبيده الحسن ولم يُصر على غيظه.

اتسم نعمان بقلب طفلٍ سريع الغضب وسريع الرجوع عنه، لم يُصر على غضبه، بل قبل مشورة عبيده الذين وجدوا فيه أبوة، فكانوا يدعونه "أبانا".

"**نزل وغطس**": نجح في امتحان الإيمان، فحتى الغطسات الست الأولى لم يشعر بأي تغيير فأطاع، وفوجئ في الغطسة السابعة بشفائه. لقد نزل في مياه الأردن، كما نزل أيضًا عن غيظه وكبريائه.

في هجوم **العلامة ترتليان** على مرقيون الذي كان يحتقر المادة.ويرفض أن يدعو السيد المسيح الخالق. كأغلب الغنوسيين يرى فيه أعظم من أن يكون خالق للمادة، يرى في أليشع النبي رمز المادة (مياه الأردن) شفاء نعمان السرياني، وطلب أن يغطس سبع مرات. هذا عمل الخادم أليشع، فكم بالأكثر يكون عمل سيده "ربنا يسوع المسيح" الذي هو الخالق للمادة ويشفي بكلمته[3].

خلال الفداء يتمتع بميلاد جديد، ويصير المؤمن خليقة جديدة على صورة خالقه، يصير ابنًا لله في مياه المعمودية، باتحاده بالابن الوحيد الجنس، يصير نعمان الجديد، الذي قيل عنه: "فنزل وغطس في الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله، فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر" (٢ مل ٥: ١٤). يتحقق فيه قول السيد المسيح لنيقوديموس: "الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح روح هو" (يو ٣: ٥-٦).

---

[1] *Sermon 129:4.*
[2] *On the Second Book of Kings, 5:11.*
[3] *Against Tertullian, Book 4, ch. 9.*

❖ لم يتطهر أحد إلا نعمان السرياني الذي ليس من إسرائيل.

انظر، إن الذين يغتسلون بواسطة أليشع الروحي الذي هو ربنا ومخلصنا يتطهرون في سرّ المعمودية ويغتسلون من وصمة الحرف (الذي للناموس).

لقد قيل لك: قم، اذهب إلى الأردن، واغتسل، فيتجدد جسدك. لقد قام نعمان وذهب واغتسل رمزًا للمعمودية، فصار جسمه كجسم صبي صغير. من هو هذا الصبي؟ إنه ذاك الذي يولد في جرن التجديد[١].

العلامة أوريجينوس

❖ تطهير السرياني دون الإسرائيليين له مغزاه في كل أمم العالم، لتطهيرهم في المسيح نورهم (لو ٢: ٣٢)، فيُنقعون كمن كانوا في دنس سبع خطايا مميتة: عبادة الأوثان، التجديف، القتل، الزنا، الفسق، شهادة الزور، والغش.

اغتسل في الأردن سبع مرات، كما لو كان مرة عن كل خطية. كل منها لأجل الاحتفال بالتكفير عن سبعة كاملين، ولأن عمل المعمودية الواحدة الكامل ينسب بمهابة إلى المسيح وحده، الذي كان له أن يؤسس يومًا ما على الأرض ليس فقط إعلانًا، بل معمودية تهب فعَّالية مختصرة[٢].

العلامة ترتليان

❖ ليس بلا سبب تطهر نعمان القديم المصاب بالبرص بالعماد، إنما كان ذلك إشارة إلينا. فكما نحن كنا مصابين بالبرص بالخطية، وعاجزين عن التطهير، فبالمياه المقدسة واستدعاء الرب نُطهَّر من معاصينا القديمة؛ إذ نتجدد روحيًا كأطفالٍ مولودين حديثًا. وذلك كما أعلن الرب: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥)[٣].

القديس إيريناؤس

❖ بالذبيحة العجيبة أعلن إيليا بوضوح لنا عن طقس العماد السرائري الذي كان يليق أن يؤسَس فيما بعد. فإن النار أُشعلت بالماء المنسكب ثلاث مرات عليها، حتى أنه من الواضح حيث يوجد الماء السري يوجد الروح المُلتهِب الدافئ المشتعل الذي يحرق الأشرار وينير المؤمنين. نعم، فإن تلميذه أليشع أيضًا عندما جاء إليه نعمان السرياني المصاب بالبرص، كمن يتوسل، طهر المريض بغسله في نهر الأردن (٢ مل ٥)، مشيرا بوضوح إلى ما يحدث بعد ذلك، باستخدام

---

[1] *Origen Comm Jos 6:47, 48; In Luc - hom 33.*
[2] *Tertullian against Marcian, Book 4, ch. 9.*
[3] *Fragments from the Lost Wittings of Irenaeus, 34.*

الماء على وجه العموم والغطس في النهر على وجه خاص. فالأردن وحده من بين الأنهار تقبَّل فيه باكورة التقديس والبركة، مانحًا ذلك في قناته إلى كل العالم، كما من ينبوع في الرمز الممنوح له نعمة العماد. هذه إذن إشارات عن عمل الميلاد الجديد في العماد[1].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ ليست (بركة) سلوام هي التي فتَّحت عيني الأعمى (يو ٩: ٧)، كما أنه ليست مياه الأردن هي التي طهَّرت نعمان (٢ مل ٥: ١٤). إنه أمر الرب هو الذي فعل هذا. هكذا أيضًا ليست مياه الكفارة هي التي تطهرنا، بل بالحري الاسم الذي يُنطَق به علينا يهبنا الكفارة[2].

القديس مار أفرام السرياني

❖ غطس السرياني سبع مرات تحت الناموس، أما أنتم فاعتمدتم باسم الثالوث.

لقد اعترفتم بالآب. تذكروا أنكم فعلتم هذا، اعترفتم بالابن، واعترفتم بالروح القدس.

لاحظوا تدبير الأمور في هذا الإيمان: لقد متُّم عن العالم، وقمتم لله. وإذ دُفنتم للعالم في هذا العنصر (الماء)، إذ أنتم أموات للخطية، قمتم للحياة الأبدية. لذلك آمنوا أن هذه المياه ليست خالية من القوة[3].

❖ أنت تخلص العالمَ؛ فلتخلص نفس خاطئ واحد!

هذا هو سمو حنوِّك الخاص، الذي به تخلص العالم كله، واحدًا فواحدًا!

أُرسل إيليا إلى أرملة واحدة (١ مل ١٧: ٩).

وطهَّر أليشع إنسانًا واحدًا (٢ مل ٥: ١٤).

أما أنت أيها الرب يسوع تطهر اليوم ألوفًا. كم من كثيرين تطهرهم في مدينة روما؛ وكم من كثيرين بالإسكندرية، وأيضًا بالقسطنطينية! حتى القسطنطينية تتقبل كلمة الله، وتتقبل براهين أحكامك الواضحة[4].

القدِّيس أمبروسيوس

❖ عندما نزل نعمان في النهر رمز المعمودية "رجع لحمه كلحم صبى صغير" (٢ مل ٥:١٤). لاحظوا أيها الإخوة الأحباء أن هذا الشبه قد كمُل في الشعب المسيحي، إذ تعلمون أن كل الذين يعتمدون لا يزالون يدعَون أطفالاً، سواء كانوا كبارًا أو صغارًا. الذين وُلدوا عتقاء بآدم وحواء،

---

[1] *On the Baptism of Christ*

[2] *Commentary on Tatian's Diatessaron, 16: 29.*

[3] *On the Mysteries, 4:21.*

[4] *Of the Holy Spirit, Book 1:17.*

يولدون من جديد كصغارٍ بالمسيح والكنيسة. الميلاد الأول يلد أناسًا للموت، والثاني للحياة. الأول يجلب أبناء الغضب، والثاني يلدهم من جديد كأوانٍ للرحمة. يقول الرسول: "في آدم يموت الجميع" (١ كو ١٥: ٢٢).

لذلك كما أن نعمان وهو رجل كبير صار صبيًا بالغسل سبع مرات، هكذا الأمم مع أنهم عتقاء بسبب خطاياهم السالفة ومصابون بوصمات البرص الكثيرة، تجددوا بنعمة المعمودية بطريقة لا يبقى فيهم برص الخطية الأصلية أو الفعلية... عندئذ يتحقق فيهم ما يخبر به الرسول الكنيسة بخصوص المسيح: "ليقدم لنفسه كنيسة بلا عيب ولا غضن" (أف ٥: ٢٧)[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ "**أُستهلك جسده بالعقوبات، ليعود إلى أيام صباه**" (أي ٣٣: ٢٥). عندما سقط الإنسان الأول من الله، طُردنا من مباهج الفردوس، وارتبطنا بمآسي هذه الحياة الفانية. ونشعر بألم عقوبتنا مدى خطورة خطأنا الذي ارتكبناه بغواية الحية. فإننا إذ سقطنا إلى هذه الحال، لا نجد شيئًا خارج الله سوى الحزن... فإننا نعاني يوميًا من الحزن في الجسد، وفيه العذاب والموت، لذلك فالرب بتدبيره العجيب يُغيِّر ما حلّ بنا بارتكابنا الخطية وذلك بوسائط العقوبة....

"**أُستهلك جسده بالعقوبات، ليعود إلى أيام صباه**". كأنه يقول: خلال عقوبة موته (موت الإنسان) هبط بعمره المسن، فيرتد إلى أيام صباه، أي يتجدد إلى كمال حياته السابقة، ولا يبقى في الحال الذي سقط إليه، بل بخلاصه يرجع إلى مباهج حالته التي خُلق عليها أصلاً... إذ أُحضرنا إلى هذه القوة للحياة الجديدة، ليس بقوتنا، وإنما بواسطة المخلص، ليت الرسول (السيد المسيح) يقول في وساطته لهذا الإنسان الذي تحت العقوبة: "ليعود أيام صباه".

البابا غريغوريوس (الكبير)

أما كان يكفي أن يستحم مرة واحدة في نهر الأردن؟ لا يخضع العمل الروحي، أو الشفاء الروحي للأرقام. هكذا يرى **القديس مار يعقوب السروجي، لكن رقم ٧ يشير إلى الراحة حيث خلق الله العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع.** وجاء في سفر الأمثال أن الحكمة (كلمة الله) بنَت بيتها، أي الكنيسة، في جمالٍ بارعٍ، وأقامته على **سبعة أعمدة**. كذلك أوجد الله الزمن قائمًا على الأسبوع الذي يتكون من سبعة أيام. لقد أراد النبي أن يربط معجزة التطهير من البرص بعمل الخلق نفسه. **فتطهير الأبرص لم يكن بقوة أليشع وسلطانه الشخصي، إنما من عمل الخالق الذي يجد راحته ومسرته في تطهير البشرية من برص الخطية، وفي من يقدس كل الزمن، ليحيا طاهرًا في العالم بالحاضر، كعربون للقداسة الكاملة في الحياة العتيدة.** هذا الذي

---

[1] *Sermon 129:5.*

خلق للزمن لأجل الإنسان ليكون مقدسًا وطاهرًا!

❖ ذهب واغتسل سبع مرات كما أُمر، ونُزِع برصه، وصار طاهرًا بقوة عظمى.
لماذا أمره أن يغتسل سبع مرات، مع أن القوة واحدة لا تخضع للتعداد؟...
قامت الخلائق وتخومها في ستة أيام، وفي اليوم السابع استراح من أعماله البديعة.
ولهذا كُرِّم السبتُ على السبعة أيام، لأنه الإكليل الذي به خُتمت كل الخلائق.
بنت الحكمة لها بيتًا عظيمًا مملوءًا جمالاً، وسندته بسبعة أعمدة ليقوم بها.
في سبعة أيام يسرع العالم نحو التغييرات، وهي تدور فيه كل يوم وتقيمه.
أيام الأسبوع السبعة التي بها يقوم العالم كله، تقف مثل أعمدة وتحمله.
ولهذا **علَّم النبيُ الأرامي سرّ السبت، فيغتسل سبع مرات ويطهر**.
فإن طُرح سؤال عن هذا التعداد يأتي سرّ السبت ويدخل ويظهر نفسه.
ومن التوراة ظهر جمال هذا العدد الذي به أقام الخالق العوالم وإبداعها.
تطهير الأرامي كان أعجوبة، ومع الأعجوبة كان يلزم التعليم.
وضع النبي عدد الأيام السبعة، ليصير نافعًا للأراميين ويفيدهم.
فحين يستفسرون عن عدد المرات السبع يعرفون القوة من التوراة صاحبة الكنوز.
ظهر خبر القدرة الخالقة والإبداع، والخالق الذي أقام العوالم في سبعة أيام[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٤. مجد الله لا العالم

وقف نعمان في دهشةٍ ورهبةٍ حين أدرك أن برصه قد زال، وعاد جسمه كجسم صبيٍ صغيرٍ، كأن الله أعاد خلقته. انفتح قلب نعمان ولسانه ليشهد لله بحياة الشكر والتسبيح. لم ينطلق إلى دمشق مسرعًا ليلتقي بالملك كما بأفراد أسرته، وإنما **رجع إلى النبي ليُقدِّم لله ذبيحة شكر**.

فَرَجَعَ إِلَى رَجُلِ اللهِ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ،
وَدَخَلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ.
هُوَذَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَهٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ إِلاَّ فِي إِسْرَائِيلَ.
وَالآنَ فَخُذْ بَرَكَةً مِنْ عَبْدِكَ. [١٥]

إذ زال البرص من نعمان، أمكن لأليشع أن يستقبله، وقف نعمان أمامه كإنسانٍ لمس محبة

---

[1] الميمر ١١٩ للرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٠٦.

الله وقدرته، ويعلن إيمانه به.

كان لكل بلدٍ آلهته، لها حدودها، لكن نعمان أدرك أن إله إسرائيل هو الإله الحقيقي وحده في الأرض كلها. تواضع نعمان أمام هذا الإله الحي القدير ووثق فيه وحده.

ظهر سمو أخلاقه بأنه وإن فرح بشفائه لم يسرع للعودة إلى بلده، إنما رجع إلى النبي يشكره، وذلك كما فعل الأبرص السامري الذي طهَّره ربنا يسوع، إذ رجع يُمجِّد الله، مع أن التسعة الباقين وهم من شعب الله القديم لم يرجعوا إليه (لو ١٧: ١٢-١٩).

حسب نعمان أن الاغتسال في نهرٍ صغيرٍ كالأردن إهانة واحتقارًا لمركزه. كان عليه أن يتواضع ويطيع، فيجد السيد المسيح نفسه غاسل كل الخطايا يعتمد في هذا النهر، ويرى السماء المفتوحة، وتجلِّي الروح القدس.

كان لابد لنعمان أن يُدرِك أن طرق الله غير طرق البشر، وأن الله يريدنا أن نطيعه أكثر من أن نُقدِّم تقدمات كثيرة، وأن يستخدم أية وسيلة للعطاء، وبقليلٍ أو كثيرٍ قادر أن يخلص.

كان نعمان إنسانًا شاكرًا، رجع إلى أليشع النبي لكي يشكره. وكان في رجوعه تعب وخسارة، لأنه لو انطلق من الأردن إلى دمشق لاختصر من الطريق حوالي ٣٠ ميلاً، وكان يمكنه أن يبعث للنبي رسولاً برسالة يشكره فيها. حقًا لقد شُفِي جسديًا وروحيًا.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن ذبيحة الشكر حتى في وسط الألم كما فعل أيوب البار، فيقول: [إنه لأمر عظيم إن استطعنا أن نُقدِّم الشكر بفرحٍ عظيمٍ. لكن تقديم الشكر عن خوفٍ شيء، وتقديم الشكر أثناء الحزن شيء آخر. هذا ما فعله أيوب عندما شكر الله... لا يقل أحد إنه لم يحزن على ما حلَّ به أو أنه لم يتأثر به في أعماقه. لا تنزع عنه المديح العظيم لبرّه... يؤذينا الشيطان لا لكي يسحب ما لنا ويتركنا معدومين، وإنما لأنه عندما يحدث هذا يُلزِمنا أن نجدف على الله[1].]

[تُوِّج أيوب وصار مشهورًا، ليس لأنه لم يهتز بالرغم من التجارب غير المحصاة التي أحدقت به، وبالرغم من مقاومة زوجته له، وإنما استمر في شكره للرب على كل حال ليس عندما كان غنيًا فقط، وإنما عند صار فقيرًا أيضًا، ليس عندما كان في صحة، بل وعندما ضُرِب جسمه (بالقروح) أيضًا، ليس عندما حلت به هذه الأمور ببطءٍ، وإنما عندما حلت به عاصفة عنيفة، حلت ببيته كما بشخصه بالكامل أيضًا[2].]

❖ اغتسل نعمان، فهرب برصه، وتعافى جسده، واقتنى جسمًا جديدًا يشبه جسم الصبي.

[1] *J. A. Crammer, ed. Catena in Epistolas Catholicass. Oxford 1840, 35.*
[2] *On Ps 111.*

حين سمع الكلمة احتقرها لكونها ناقصة، ولما تحققت خاف من العجب بسبب عظمته.
قامت هذه القدرة العظيمة التي رافقت النبوة في النهر، وتعافَى الجسم الذي كان فاسدًا.
القدرة الخالقة التي أنجزت العالم في سبعة أيام، غيّرت الجسم بسباحة نعمان سبع مرات.
تعافى جسمه، وخاف من العجب، وفرح قلبه، وامتلأت نفسه بإيمان الله.
هرب برصه، وهربت الشكوك من فكره، ورأى العجب، فتحرّك ليُسبِّح بسبب الأعجوبة.
عاد فرحًا إلى باب رجل الله ليُسبِّح، لأجل الأعجوبة العُظمَى التي شاهدها.
اعترف بأنه لا يوجد إله في كل الأرض إلا في إسرائيل، وله يسجد.
هذا هو الذي أقام العالم في سبعة أيام، وهو صاحب سلطان على الخلائق ليُغيِّرَها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ، إِنِّي لاَ آخُذُ.
وَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ فَأَبَى. [١٦]

لم يكن ممكنًا لذاك الذي افتقر بإرادته من أجل الرب أن ينحني أمام نعمان السرياني ليقبل منه فضة وثيابًا. فقد سبق له أن تركها من أعماق قلبه، وحسبها كنفاية من أجل انشغاله بالإلهيات. لم يكن للفضة والثياب موضع في قلبه ولا في فكره، فلم تمتد يداه لقبولها! سبق فتخلَّى عن ماله وثروته، ولم تجسر محبة المال أن تتسلل إلى أعماقه، لذا استطاع بالرب أن يطرد برص نعمان، كما لا يشتهي شيئًا من ثروته!

من عند الله هرب البرص من جسم نعمان، ومن عند الله استخف أليشع بغنى العالم وثروته.

أعلنت قوة الله نصرتها على البرص بتطهير نعمان، وأعلنت عن عظمتها في أليشع النبي باستخفافه بمحبة المال!

صار أليشع رمزًا للتلاميذ والرسل الذين أطاعوا الوصية الإلهية، فلم يكن لهم ذهب ولا فضة، وإنما الذي لهم قدَّموه للبشرية: اسم يسوع القدير!

يقف الأبرار أمام الله بثقة ليهبهم الحياة المقدسة (١ يو ٣: ٢١)، قائلين مع أليشع النبي: "**حيّ هو الرب الذي أنا واقف أمامه**" (٢ مل ٥: ١٦). أما الشرير فيهرب من وجه الرب. يحدثنا **القديس أمبروسيوس** عن سرّ هروب الشرير، فيقول: [الضمير المُذنب يكون مثقلاً حتى أنه يعاقب

---

[1] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى حيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٠٦.

نفسه بنفسه دون قاضٍ، يود أن يتغطى، لكنه يكون أمام الله عاريًا[1].] كأن الخطية تُفقِد الإنسان سلامه الداخلي، وتدخل به إلى حالة من الرُعب. ويُعلِّل القديس ديديموس الضرير اختفاء آدم بقوله إن الإنسان قد طلب المعرفة خلال خبرة الشر، فاختبأ من وجه الرب بابتعاده عن معرفة الله النقية. ويرى العلامة أوريجينوس أن الأشرار يختفون عن وجه الرب، إذ قيل" "حَوّلوا نحوي القفا لا الوجه" (إر ٢: ٢٧)،

رفض أليشع النبي أن يقبل شيئًا من أموال نعمان، لئلا يظن الأخير أن مراحم الله وعطاياه يُمكن شراؤها بالمال. لقد أراد أن يؤكد له أيضًا أننا إذ نقف أمام الله ينظر إلى شخصياتنا لا إلى أموالنا ومراكزنا وممتلكاتنا. يعطي الله جميع الخيرات على سبيل النعمة. مسرة الله أن يتمتع البشر بالسعادة الحقيقية.

❖ لم يقبل النبي الهدايا الملوكية، ولا اقتنع بالواهب، بالرغم من الضغوط التي مارسها عليه مرات كثيرة. ذلك لأن هذا رمز واضح جدًا وموهوب لسرّ الشفاء، الذي يوهَب مجّانًا لكل الأمم على الأرض بواسطة ربنا خلال تدخُل الرسل.

هذا قد وُعد به مُقدَّمًا لهؤلاء السادة بواسطة إشعياء النبي القائل "مجّانًا بُعتم، وبلا فضة تُفكون" (إش ٥٢: ٣).

ولما كانت كل الأمراض هي نوع من العبودية، لذلك كان من الضروري أن يحدد النبي الشفاء في الاستحمام السابع، في تواز مع الحقيقة أن الشريعة تأمر وتَعِدْ بتحرير العبد في السنة السابعة (خر ٢١: ١-٣؛ تث ١٥: ١٢)[2].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ أتى الأرامي بالفضة، وأعطاها لأليشع، وتوسل إليه أن يأخذها منه كقربان.

تعارك الغِنى والفقر على باب بيت ذلك المسكين الإلهي.

داس الغِنى البغيض والبعيد عن الله، ولم يمد يده ليأخذ الفضة التي قُدِّمت له.

كان عيبًا على ذلك الذي صرخ في البرص فهرب، أن يحني يده مثل شقيّ إلى المال.

كانت بغيضة في عينيه فضة الأرامي وبرصه، وبصدق طرد كليهما من عتبته.

أزال برصه ورذل فضته المساوية له، واحتقر البرص والفضة، ورذل كليهما.

ألحّ عليه كثيرًا ليأخذ منه، فلم يتنازل، لأنه احتقر كل كنوز السلاطين.

كان الإيمان مضطرمًا في نفس نعمان، والتهبت فيه محبة الرب كاللهيب.

---

[1] *Conc Repent. 2: 103*

[2] *On the Second Book of Kings, 5.15*

اشتهي أن يعطي الفضة بكثرة، والرجل الذي أبغض اقتناء الغنى لم يقبل.

كان هروب برص نعمان من عند الله، واحتقار النبي للمال كان من عنده.

جمال نفسه هو أنه هرب من المال، واحتقر الغنى الذي يحرق الكثيرين بناره.

محبة المال التي تقتل مرارًا حتى القديسين، قتلها النبي، وأخرجها، وداسها خارج بابه.

بتطهير نعمان غلبت فيه قوة الله، ونصرة النبي تعني أنه غلب محبة الذهب...

الوصية التي أعطاها ابن الله لرسله كانت موضوعة في نفسه ليبغض الذهب مثل التلميذ.

بعين النبوة السامية رأى طريق الرسل، فسار فيه بدون المقتنيات[١].

القديس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ نُعْمَانُ: أَمَا يُعْطَى لِعَبْدِكَ حِمْلُ بَغْلَيْنِ مِنَ التُّرَابِ،
لأَنَّهُ لاَ يُقَرِّبُ بَعْدُ عَبْدُكَ مُحْرَقَةً،
وَلاَ ذَبِيحَةً لآلِهَةٍ أُخْرَى، بَلْ لِلرَّبِّ. [١٧]

في تواضع استأذن نعمان من النبي أن يسمح له أن يأخذ مقدار حِمْل بغلين من تراب إسرائيل ليبسطهما في أرام ليبني مذبحًا للرب على قطعة أرض مقدسة. هنا يبرز تقديرًا لقدسية حتى التراب الذي لأرض إسرائيل. وربما كان هذا مبنيًا على الفكرة الخاطئة أنه لا يمكن عبادة أي إله بعيدًا عن أرض وطنه. وهكذا اعتقد أن يهوه يمكن عبادته فقط على التراب الذي أحضره من إسرائيل.

❖ سأل نعمان الأرامي أن يأخذ بعض التراب من أرض الموعد، وذلك ليُخزي إسرائيل كما أظن. وذلك لكي يخجلوا أن رجلاً غريبًا آمن أنه حتى تراب بلدهم مملوء (مُقدس) بالله، بينما لم يؤمن العبرانيون أن الله يسكن في الأنبياء[٢].

القدِّيس مار أفرآم السرياني

عَنْ هَذَا الأَمْرِ يَصْفَحُ الرَّبُّ لِعَبْدِكَ:
عِنْدَ دُخُولِ سَيِّدِي إِلَى بَيْتِ رِمُّونَ لِيَسْجُدَ هُنَاكَ،
وَيَسْتَنِدَ عَلَى يَدِي،
فَأَسْجُدُ فِي بَيْتِ رِمُّونَ،
فَعِنْدَ سُجُودِي فِي بَيْتِ رِمُّونَ،

---

١ الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٠٧–١٠٨.

2 *On the Second Book of Kings, 5: 17.*

يَصْفَحُ الرَّبُّ لِعَبْدِكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ. [١٨]

حسب سجوده في بيت رمون من واجباته السياسية كرئيس لجيش أرام، لكنه لن يقبل إلهًا آخر غير الله الحقيقي.

بيت رمون: ربما كان رمون أحد آلهة الأراميين المشهورة. يرى البعض أن رمون مشتقة من كلمة "رمان"، وأنها تشير إلى عبادة الشمس. ويرى آخرون أنها مشتقة من كلمة *Raman* وتعني عالية أو مرتفعة، وهي أيضًا ترتبط بالشمس. رمون هو إله الرعد والعواصف "رامان"، لكن اليهود كانوا يحرفون أسماء الآلهة الوثنية.

"**ويستند على يدي**": كان من عادة بعض الملوك والملكات أن يستندوا على يد أحد رجال القصر أو رئيس القواد. وقد جاء في تكملة سفر أستير أنها كملكة إذ دخلت عند الملك كان معها جاريتان، واحدة تمسك بذيل ثوبها، والأخرى تستند الملكة عليها.

فَقَالَ لَهُ: امْضِ بِسَلاَمٍ.
وَلَمَّا مَضَى مِنْ عِنْدِهِ مَسَافَةً مِنَ الأَرْضِ [١٩]

لم يطلب نعمان من النبي الإذن له بالسجود للإله رمون، بل أن ما يفعله، إنما من واجبه في معاونة سيده الملك، مع تأكيده أنه لن يعود يقدم ذبيحة إلا إلى الله الحيّ وحده.

بينما جاهد نعمان نحو العبادة لله الواحد والتخلُّص من العبادة الوثنية، انحرف إسرائيل إلى عبادة الأوثان.

رأى البعض في جواب النبي "**امضِ بسلام**" هو استجابة النبي للطلبين: السماح له بحمل بغلين من التراب، والصفح عنه في سجوده الشكلي في بيت رمون. ويرى آخرون أنه بهذه الإجابة صرفه، وتركه يأخذ قراره في الأمرين حسبما يسمح له ضميره.

٥. بالغِنَى افتقر جيحزي

قَالَ جِيحَزِي غُلاَمُ أَلِيشَعَ رَجُلِ اللهِ:
هُوَذَا سَيِّدِي قَدِ امْتَنَعَ عَنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ يَدِ نُعْمَانَ الأَرَامِيِّ هَذَا مَا أَحْضَرَهُ.
حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنِّي أَجْرِي وَرَاءَهُ،
وَآخُذُ مِنْهُ شَيْئًا. [٢٠]

ظن جيحزي أنه يغتني بكلمات كذب يرويها لنعمان، ولن يدري أحد بما يفعله، لكن الله كشف لأليشع ما فعله جيحزي. ظن جيحزي أنه اغتنى بالهدايا التي نالها من نعمان، ولم يدرك أنه بالغِنَى افتقر، إذ لصق به برص نعمان وبنسله إلى أجيالٍ كثيرة. دفعت محبة المال جيحزي إلى السقوط في سلسلة من الخطايا:

أولاً: طلب مالاً عن ما لم يعمله.

ثانيًا: قدَّم صورة مؤلمة وخاطئة لنعمان ومن حوله، إذ طلب المال كبديلٍ لعطية الله المجانية، ألا وهي شفاء نعمان من البرص.

ثالثًا: أراد تغطية الموقف، ففقد سمة الأمانة والصدق، وكذب على النبي، ليصير ابنًا لإبليس الذي يدُعَى كذّابًا وأب الكذابين.

رابعًا: محبة المال أفسدت قلب جيحزي، وعاقته عن خدمة الله. لهذا يقول السيد المسيح أنه لا يقدر إنسان أن يخدم الله والمال (مت ٦: ٢٤).

لقد افتقر ربنا يسوع المسيح وهو الغني، لكي بفقره يغنينا.

"**حي هو الرب**" قَسَمٌ اعتاده البعض لممارسته دون تفكير، إنما على سبيل العادة، وفي هذا كسر للوصية الإلهية: "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً".

يقارن **القديس مار يعقوب السروجي** بين القديس أليشع النبي الذي شهد لقوة الله العجيبة، التي تجلت في عدم محبته للذهب والفضة وكل غِنَى العالم، كما في تطهير نعمان من البرص، وبين جيحزي الذي أحب المال، فأذلَّه ووطأ عليه بقدميه!

١. **نصبت محبة المال شباكها للمتراخين**؛ فسقط فيها جيحزي، وارتفع عنها أليشع.

٢. **محبة المال نار**، أطفأها أليشع، بينما اضطرمها جيحزي، فأحرقته.

٣. **هزم النبي خطية محبة المال ببهاء الفضيلة** (المسيح)، بينما أسَرت التلميذ المملوء طمعًا.

٤. **دفعت محبة المال أسيرها إلى السرقة والكذب**.

٥. **جعلت محبة المال من أسيرها إنسانًا متكبرًا**، فظن أنه أحكَم ممن استخف بها وذمهم.

❖ محبة الفضة التي غُلبت من قبل أليشع، صنعت كمينًا لتُهلك التلميذَ المتكاسل.

وبما أن المعلم غلبها، عادت إلى التلميذ، وإذ وجدته متراخيًا داسته وأذلته.

النار التي انطفأت عند أليشع، اضطرمت وشبّت في جيحزي، ليحترق بها بدل مُعلّمه.

الخطيئة التي غلبها هذا المُعلِّم العظيم المملوء بهاء، عادت إلى التلميذ المملوء طمعًا.

رأى مُعلّمه الذي رذل مال الأراميين، فذمّه واحتقره، لأنه سكر بمحبة الذهب.

قذفته شهوة الغنى بسهمٍ، فطُعن وسقط، ودفعته ليخرج ويصبح أيضًا سارقًا.

لم ينتظر أن يقتني فقط ما يعطونه، لكنه أسرع ليسرق مثل إنسانٍ نشيطٍ.

بدل المقتني صار بجسارته سارقًا، بعد أن اتقدت فيه محبة المال واضطرمت.

ذمّ مُعلِّمَه، قائلاً: لماذا رفض الأرامي، ولم يأخذ منه المال حين شُفي؟...

بما أنه سكر بشهوة محبة الذهب البغيضة، **كان تمييز مُعلِّمه العظيم بغيضًا في عينيه.**

وإذ ظن بأنه يملأ نقص مُعلِّمه، ركض السارق وراء نعمان، وقال له:

أتى أناس محتاجون عند مُعلِّمنا ليسندهم، وطلب منه أن يعطيه وزنة فضة لهؤلاء المحتاجين.

أعطاه قائد الجيش وزنة وثيابًا بقلبٍ صالحٍ وهو مسرور كما طلب هذا السارق.

أعطاه ضعفًا فأخذه، وعاد مسرعًا، أخفاه وطمره وبحكمة رتَّبه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فَسَارَ جِيحَزِي وَرَاءَ نُعْمَانَ.

وَلَمَّا رَآهُ نُعْمَانُ رَاكِضًا وَرَاءَهُ ،

نَزَلَ عَنِ الْمَرْكَبَةِ لِلِقَائِهِ وَقَالَ: أَسَلاَمٌ؟ [٢١]

نزول نعمان من المركبة نوع من التكريم لخادم النبي الذي سبق أن قدَّم له وصية النبي أن يغتسل في الأردن سبع مرات، والتي بها شُفِي نعمان من البرص.

فَقَالَ: سَلاَمٌ.

إِنَّ سَيِّدِي قَدْ أَرْسَلَنِي قَائِلاً:

هُوَذَا فِي هذَا الْوَقْتِ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ غُلاَمَانِ مِنْ جَبَلِ أَفْرَايِمَ مِنْ بَنِي الأَنْبِيَاءِ،

فَأَعْطِهِمَا وَزْنَةَ فِضَّةٍ وَحُلَّتَيْ ثِيَابٍ. [٢٢]

تُعتبر وزنة الفضة مبلغًا ضخمًا يعادل ٣٠٠ شاقل أو حوالي ٧٠ رطلاً، لذلك احتاج جيحزي إلى غلامين من رجال نعمان يحملان هذه الكمية الضخمة.

فَقَالَ نُعْمَانُ: اقْبَلْ وَخُذْ وَزْنَتَيْنِ.

وَأَلَحَّ عَلَيْهِ وَصَرَّ وَزْنَتَيْ فِضَّةٍ فِي كِيسَيْنِ وَحُلَّتَيِ الثِّيَابِ،

وَدَفَعَهَا لِغُلاَمَيْهِ فَحَمَلاَهَا قُدَّامَهُ. [٢٣]

خدع جيحزي نعمان، إذ ادَّعى أن النبي لا يطلب شيئًا لنفسه، إنما لغلامين، أي من بني الأنبياء الذين كانوا يلجأون إلى النبي ليسد احتياجاتهم.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الأَكَمَةِ أَخَذَهَا مِنْ أَيْدِيهِمَا،

وَأَوْدَعَهَا فِي الْبَيْتِ.

---

[1] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٠٨-١٠٩.

وَأَطْلَقَ الرَّجُلَيْنِ فَانْطَلَقَا. [٢٤]

الكلمة العبرية المترجمة **"أكمة"** تشير إلى تلٍ أو رابية أو مبنى مثل قلعة أو حصن (٢ أي ٢٧: ٣؛ مي ٤: ٨).

وَأَمَّا هُوَ فَدَخَلَ، وَوَقَفَ أَمَامَ سَيِّدِهِ.

فَقَالَ لَهُ أَلِيشَع: مِنْ أَيْنَ يَا جِيحَزِي؟

فَقَالَ: لَمْ يَذْهَبْ عَبْدُكَ إِلَى هُنَا أَوْ هُنَاكَ. [٢٥]

كما كذب جيحزي على نعمان، كذب أيضًا على أليشع النبي.

السلوك الشرير غالبًا ما يُسقِطنا في الكلام بالكذب كتغطية للشر. هذا ما حدث مع جيحزي الذي جرى وراء نعمان السرياني يطلب فضة وثيابًا، وعندما سأله أليشع النبي أنكر (٢ مل ٥: ٢٥)، ولم ينطق بالحق. حقًا "إن من يسلك بالاستقامة يسلك بالأمان" (أم ١٠: ٩).

أسكرت محبة المال جيحزي، ففقد عقله. لقد نسي كيف وهب الله مُعلِّمه معرفة الأمور المخفية، الأمر الذي أثار ملك أرام. ظن جيحزي أنه قادر أن يُخفي شيئًا عن مُعلِّمه، الأمر الذي لم يكن ملك أرام قادرًا عليه.

❖ جيحزي الجاهل، إما أنه نسي من هو مُعلِّمه، أو سَكَرَ بمحبة الذهب، وفقد عقله.

يا جيحزي، ماذا يُخفَى عن أليشع؟ ومتى لم يتطلع إلى الخفايا فيراها؟

أي سرّ اختفى يومًا ما عن أليشع، حتى تخفي فضتك عنه، فلا يدري بها؟

تحجب الشهوة وجه النفس وتغطيه مثل ستارٍ، وتُغَطِّيها لئلا ترى العمل الشرير.

لو أن ضمير المرء يدينه قبل أن يخطئ، لأظهر له أن خطيئته بغيضة، فما كان يخطئ.

لكن إن تحركت الشهوة وركضت إلى العملِ، تُبطل الشهوة حُكم الضمير اللائق.

خطفت شهوة الفضة جيحزي، ولم يفهم أن لمُعلِّمه عينًا خفية ترى الأسرار[١].

القديس مار يعقوب السروجي

يرى **القدِّيس مار أفرآم السرياني** أن أليشع حاول أن يعطي تلميذه فرصة لمراجعة نفسه والرجوع إلى الله، لكن جيحزي حاول أن يخفي طمعه الذي كان يحتل أعماق قلبه، غير أن فمه خانه.

❖ كان جيحزي إنسانًا طمَّاعًا في أعماق قلبه. لقد تظاهر أنه يجحد طمعه الخفي، غير أن خيانة

---

[١] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١١٠.

فمه كشفت ما كانت نفسه تحاول إخفاءه[1].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ لم يكن **بطرس** حاضرًا مع حنانيا وسفيرة حين باعا ممتلكاتهما، لكنه كان حاضرًا بالروح، إذ يقول: "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس؟" (أع ٥: ٣) لم يكن بينهما، ولا شاهدهما، لكنه عرف ما قد حدث. "أليس وهو باقٍ كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك. فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟!" (أع ٥: ٤) بطرس عديم العلم (أع ٤: ١٣) عرف خلال نعمة الروح القدس ما لم يعرفه حكماء اليونان.

كذلك أيضًا **أليشع** حين شفى برص نعمان مجانًا أخذ جيحزي المكافأة، أخذ مكافأة عمل آخر. أخذ المال من نعمان، وأخفاه في الظلام، لكن الظلام غير مُخفَى عن القديسين (مز ١٣٩: ١٢). فلما أتى سأله أليشع، وقال له كما قال بطرس: "قولي لي، أبهذا المقدار بعتما الحقل؟!" هكذا تساءل أليشع: من أين أتيت يا جيحزي؟ لم يسأله عن جهل، لكنه في أسفٍ يسأله: "من أين أتيت" (٢ مل ٥: ٢٥)، من الظلام أتيت، وإلى الظلام تذهب. لقد بعت شفاء الأبرص، يكون البرص ميراثك. كأن أليشع يقول إنني نفذت أمر القائل: "مجانًا أخذتم، مجانًا أعطوا" (مت ١٠: ٨)، لكن أنت بعت هذه النعمة (المجانية).

يقول أليشع: "ألم يذهب قلبي معك؟" (٢ مل ٥: ٢٦) لقد كنتُ هنا محصورًا بالجسد، لكن الروح الذي أعطاني الرب رأى الأمور البعيدة، وكشف لي بوضوح ما كان يحدث في موضع آخر.

انظروا كيف أن الروح القدس ليس فقط ينزع الجهل، بل ويهب المعرفة؟! انظروا كيف ينير أرواح الناس؟![2]

القديس كيرلس الأورشليمي

فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبِي حِينَ رَجَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَرْكَبَتِهِ لِلِقَائِكَ؟
أَهُوَ وَقْتٌ لأَخْذِ الْفِضَّةِ، وَلأَخْذِ ثِيَابٍ وَزَيْتُونٍ وَكُرُومٍ وَغَنَمٍ وَبَقَرٍ وَعَبِيدٍ وَجَوَارٍ؟ [٢٦]

كلمة "**قلب**" هنا لا تعني مجرد معرفة أليشع النبي لتصرف جيحزي المشين، إنما تحمل أعماقه مرارة لهذا التصرُّف.

أعطى الله أليشع معرفة الغيب، فكان كمن قد رأى وسمع ما جرى.

يسمح الله أحيانًا لخدامه وتلاميذه وأتقيائه أن يتمتعوا بمعرفة أمورٍ فوق الطبيعة في حدودٍ معينة ووقتية بإرادة الله لخدمة ملكوته.

---

[1] *On the Second Book of Kings, 5.21.*
[2] *Lecture 16: 17.*

أعمت الشهوة بصيرة جيحزي، فاندفع إلى التراب يدفن ما سرقه، وانفتحت بصيرة أليشع النبي لترى ما هو وراء الجبل، بينما كان جسده بين جدران بيته.

❖ حفر وطمر، وظنَّ أن (مُعلِّمه) لا يدري، وبما أنه سكر، أظلمت نفسه ولم تفهم.

حاول بحيلة وطمر فضته، وأتى ووقف أمام أليشع مثل وديع.

هذا المُعلِّم الذي امتلأت نفسه بروح الإعلانات يسأل: من أين أتى جيحزي؟

(تكلَّم) بكذبٍ يتعلق بالسرقة، وقال الجاهل: عبدك لم يحِدِ إلى هنا ولا إلى هناك.

بدأ النبي يوبخه ويزجره ويفضحه ويُظهر له ما عمل في الطريق.

أظهرَ لي قلبي أن رجلاً نزل من المركبة للقائك، وأعطاك فضة، فأتيت وخبأتها.

كان قلب هذا النبي العجيب مرآة مملوءة نورًا، ترى الأسرار روحيًا.

وهو في بيته رأى نعمانَ وراء الجبل، عندما صرّ الوزنة، وأعطاها لجيحزي السارق[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لقد رفض أليشع الهديَّة، وكان له إيمان تعلَّمه في مدرسة أصول الأعمال، فسِرْ أنت على ما تعلَّمته من مبادئ الرب مقتديًا بالنبي: "مجانًا أخذتم، مجانًا أُعطوا" (مت ١٠: ٨).

لا تتأخر في الخدمة بل قدِّمها مجانًا، فلا يجوز لك أن تقيِّم نعمة الله بمالٍ، ولا يليق بالكاهن في عمل الأسرار أن يفكِّر في الغنى بل في الخدمة...

علِّمْ عبيدك ذلك وحثُّهم، فإن خدَمَك أحد وضبطَّته هكذا محبًّا للمال (كجيحزي) اطرده كما فعل النبي، ولتحسب الأموال التي حصل عليها بطريقة خاطئة تُدنِّس النفس والجسد، قائلاً: "أهوَ وقت لأخذ الفضَّة ولأخذ ثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوار؟! فبَرَص نُعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد" (٢ مل ٥: ٢٦-٢٧).

القدِّيس أمبروسيوس

❖ بالرغم من كوْن أليشع على بعدٍ رآه يقبل الهدايا، ونحن سنقول إنه عندما يحل الكامل ولا يعود الجسد الفاسد يضغط على النفس، بل يكون غير فاسد ولا يُسبِّب أية إعاقة لها، فإن القديسين سيحتاجون إلى أعين جسدية ليروا، وإن كان أليشع لم يحتج إليها ليرى خادمه؟...

يقول النبي إنه رأى هذا بقلبه بطريقة معجزية بعون الله، الأمر الذي لا يشك فيه أحد. كم بالأكثر يتمتع بهذه العطية القديسون عندما يصير الله الكل في الكل. فإن النبي لم يفقد

---

[1] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١١٠-١١١.

استخدام عينيه فيما هو أمامهما، وإن كان لم يكن محتاجًا إليهما ليرى خادمه أنه غائب عنه... حاشا لنا أن نقول إنه في الحياة العتيدة لا يرى القديسون الله عندما تكون أعينهم مغلقة، وإنما يرون الله بالروح[1].

القديس أغسطينوس

- هذا هو معنى أن يكون الشخص "حاضرًا بالروح"، ذلك مثل أليشع إذ كان حاضرًا مع جيحزي، وقال: "ألم يذهب قلبي معك" (٢ مل ٥: ٢٦ *LXX*) يا للعجب! يا لعظمة قوة هذه العطية، إذ تجعل الكل معًا كأنهم واحد، وتؤهلهم لمعرفة أشياء بعيدة. "قد حكمت كأني حاضر"[2].

القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

فَبَرَصُ نُعْمَانَ يَلْصَقُ بِكَ وَبِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ!
فَخَرَجَ مِنْ أَمَامِهِ أَبْرَصَ كَالثَّلْجِ. [٢٧]

ارتبط البرص في ذهن اليهود بالخطية لخطورة المرض صحيًا، وتشويه جسم الإنسان، وسرعة نقل العدوى. لهذا استخدمه الرب أحيانًا للتأديب كما فعل مع مريم أخت موسى بسبب كلامها ضد أخيها (عد ١٢: ١٠)، وما حدث مع جيحزي حين مال قلبه وراء نعمان السرياني يطلب الفضة والذهب ويكذب على أليشع النبي (٢ مل ٥: ٢٧)، وما أصاب عزيا الملك لاعتدائه على وظيفة الكهنوت (٢ أي ٢٦: ١٦-٢١).

البرص كالخطية لم يكن لدى اليهود كما بقية الأمم إمكانية الخلاص منه بأنفسهم، بل يشعر الكل بالحاجة إلى تدخل إلهي للخلاص منه. لذلك حُسب الشفاء منه تطهيرًا كما من النجاسة أو من آثار الخطية، كما قيل عن نعمان السرياني حين تطهَّر منه في مياه الأردن (٢ مل ٥: ١٠-١٤)، وحينما قال السيد المسيح نفسه "البرّص يطهرون" (مت ١١: ٥)، وحينما توسل إليه أبرص، قائلاً: "يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني"، فأجابه: "أريد فأطهر" (مت ٨: ١-٣).

يشير البرص إلى الخطية (لا ١٣). جيحزي صار أبرص بسبب الطمع والخداع. وصارت مريم أخت موسى وهرون برصاء بسبب الغيرة والنقد اللاذع (عد ١٢). والملك عزيا بسبب الكبرياء (٢ أي ٢٦: ١٦-٢٣).

اشتهى جيحزي فضة نعمان، فاقتنى برصه الذي شُفي منه. شُفي نعمان من برصه، إذ آمن بالرب، وضُرب جيحزي بالبرص، لأنه تعدَّى الرب.

---

[1] *City of God, Book 22, ch 29.*
[2] *In 1 Corinth, hom 15 3*

يُشبِّه الحكيم الجشعين بمن يقيمون أجنحة للثروة (أم ٢٣: ٥)، لا لكي تطير بهم إلى الراحة، بل لكي تطير عنهم وتختفي، فلا يجدون ما قد جمعوه. بينما الإنسان القانع والمستخدم العالم حسنًا يحمل جناحي الروح ليطير كما إلى السماء، إذا بالجشع يُطيِّر منه كل تعب يديه، ويبقى ملقيًا في العالم في عوزٍ شديدٍ!

إذ اُستعبد جيحزي تلميذ أليشع النبي لمحبة المال، جرى وراء نعمان السرياني يأخذ منه شيئًا (٢ مل ٥: ٢)، فنال ضعف ما طلبه، لكن التصق به برص نعمان وبنسله أيضًا (٢ مل ٥: ٢٧). وإذ طمع عخان بن كرمي في رداء شنعاري نفيس ومائتي شاقل فضة ولسان ذهب (يش ٧: ٢١)، حلَّ غضب الله على الشعب كله بسببه.

صار نعمان الأممي شاكرًا لله، وعاد يُكرِّم نبيه، وصارت الفضة والثياب الثمينة في عينيه كلا شيء، بينما صار جيحزي تلميذ النبي العظيم طماعًا وكذابًا. أخذ الفضة ليطمرها في التراب، فصارت حياته ترابًا، وأخذ الثوبين ليرتديهما مع نسله، فارتدوا ثياب البرص معهما!

❖ لا يمكنك أن تعيش حسب الله، إن كنتَ تحب المال والمسرات الأرضية.

القديس أنبا إيسيذورس

❖ اسمع مني يا أخي واحتمل مني رأيًا قد ينفعك: إنك **مُجرَّبٌ بشيطان الطمع وحُب المال**، لأني رأيته فيك، ولكن إن قبلتَ نصيحتي وأخرجته من قلبك، فإنك تكمِّل عمل الله بالكمال في هذا المكان، وتصير في النهاية ممجَّدًا، فلا تقترب إليك تأديبات الله. أما إذا كنتَ لا تسمع لي، فإنك ستسقط فيما سقط فيه جيحزي، لأن مرضه فيك!

❖ إنني أقول لك، يا ابني، إنّ كل عملٍ رديء هو في هذين الأمرين: الزنا ومحبة المال، مع أنّ الزنا رديءٌ جدًّا، وبعد وقتٍ قليل يشمئز الإنسان منه بسبب رائحته الكريهة... أما محبة المال فتأتي من التكديس، وعندما تأتي تكون حلوةً لك، لأنها شرهة لا تشبع، لأجل هذا يجب أن يختم الإنسان أبواب كنيسة البرية وأبواب الأموات بالخوف من قوات هذا الزمان، لأنه في الحقيقة سيقوم أناسٌ معينون يبحثون ويستقصون عن ميراث الذين يرقدون ناسين هذا المكتوب: "إذا أتى الغِنى فلا تضعوا عليه قلوبكم" (مز ٦٢: ١٠ *LXX*)، وهذا ما يقول عنه الرسول: "محبة المال أصلٌ لكل الشرور" (١ تي ٦: ١٠).

القديس مقاريوس الكبير

❖ لو أن جيحزي تاب وتبَّت ذلك، لغُفر له، لكن إذ أنكر أنه تقبَّل مالاً خفية غطاه برص نعمان

بطريقة واضحة[١].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ هكذا كان مصير خادم أليشع في قصة نعمان. فإنه وإن كان لم يأخذ بالعنف، إنما أخطأ، لأنه اقتنى مالاً بالخداع الذي هو خطأ[٢].

القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

❖ كما أن جيحزي خدم الطوباوي لكي يقتني مالاً، هكذا كان يهوذا ملاصقًا لربنا ومخلصنا لكي يرتكب غشًا، وينال غنى أرضيًا. حقًا كُتب عنه في الإنجيل: "كان سارقًا، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقَى فيه" (يو ١٢:٦). الآن جيحزي الذي كان يمكنه أن يتأهل للتمتُّع بميزات سيده كما فعل سيده حيث نال تلك التي للطوباوي إيليا، لكنه غُلِبَ بالطمع واستحق أن يمسك به البرص القاسي إلى الأبد. فَقَدَ يهوذا نعمة الرسولية خلال محبته للمال، وانتهت حياته بالشنق. هكذا نفهم كل بشرٍ طامعين ومحبين للمال تُصاب نفوسهم في الداخل ببرص الخطية[٣].

❖ على أي الأحوال يمكن أن يرمز جيحزي للشعب اليهودي... إذ ضُربوا ببرص الخطية في نفس الوقت الذي شُفي منه الأمم. أخيرًا، صرخ اليهود البؤساء أثناء آلام المسيح: "دمه علينا وعلى أولادنا" (مت ٢٧:٢٥). عندئذ استحقوا بالحق أن يُصابوا ببرص الخطية، عندما صرخوا بشفاة شريرة نحو الطبيب السماوي: "خذه، خذه، اصلبه" (يو ١٩:١٥). لذلك لصق بهم البرص في الوقت الذي فيه عبرت النعمة إلينا. أخيرًا تحدث الرسول بولس إليهم هكذا: "كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم، وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هوذا نتوجه إلى الأمم" (أع ١٣:٤٦). عندما عبر تعليم الرسل إلى الأمم لصق برص الخطية باليهود الأشقياء[٤].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ كُشف له السرّ كما لو كان معه بقربه، ووبَّخه وأخزاه، لأنه عُري أمام الكثيرين.

نعم أيها التلميذ، من علَّمك إن كنت قد تعلمتَ؟ ومتى وأين تعاملنا مع محبة الذهب؟

لماذا يا جيحزي هذا العمل الجديد، الذي لم تشاهده فيَّ، فأنت مثل سارق وطماع عظيم؟

لماذا المقتنيات؟ ولماذا الكروم؟ ولماذا الزيتون، والغنى الفاسد الذي لا يدوم في عالم

---

[1] *On the Second Book of Kings, 5.27.*
[2] *Homilies on 2 Cor. Homily 23:8.*
[3] *Sermon 129:1.*
[4] *Sermon 129:*

شرير؟

أمرتك عندما أرسلتك لتُحيي ميتًا، ألا تُبارك ولا تبارِك من يلتقيْ بك.

أمرتك أن تصمت وتُسرع في طريق النبوة العظمى، والآن لقد ملأتها بالسرقة.

ليلتصق بك برص نعمان الأرامي، والذي أخذت فضته، فخذ برصَه واقتنِه لك.

اقتنِ لك البرص والفضة، لأن هذا وتلك بغيضان، اقتنِ كليهما، وكن سخرية في العالم كله.

تحققت كلمة ذلك القديس بسرعةٍ إلهية، وألبست جيحزي الطماع قميص البرص.

مع كلمته تم الفعل بقوة عظمى، ولبس جيحزي النجاسة، واقتنى العار.

القميص الذي خلعه نعمان لبسه جيحزي، وأظهر النبي العظيم قوته بكليهما.

بكلمة فمه نزعه عن واحدٍ وألبس آخر، لأن قوة عظيمة كانت توجد في كلمته...

طهَّر نعمان، وأعطى الدنس لهذا الطماع، ووقفت شهوة الذهب والسرقة في خجلٍ.

احتقر الغنى وأعطى النصرة للفقر، وجعل من الطمع عارًا في العالم كله.

وبما أن جيحزي اشتهى الثياب واقتناها، أعطاه النبي ثوب البرص، فلبسه وخزي.

جُعل هذا مثل مرآة لمحبِّي الغنى، وجعل السارق مثلاً في العالم كله.

صوَّر النبي صورة العار لهذا السارق، ووضعها في كتابه، وهوذا كل الخليقة تنظر إليه.

بها يتعلم المرء أن محبة المال نجاسة، وبرَص خفي، وبغيضة جدًا لمن يقتنيها...

إكليل النصرة لذاك الذي أبغض اقتناء الذهب!

مبارك من وهب (أليشع) اسمًا جميلاً في العالم كله![1]

القديس مار يعقوب السروجي

من وحي ٢ مل ٥

لأدخل معك نهر الأردن،

وأتمتع بميلاد روحي جديد!

❖ معك يا سيد الكل أدخل نهر الأردن.

لا لكي أطهر مع نعمان من برَص الجسد،

بل لأتمتع بميلادٍ روحي جديد.

تهبني البنوة لله أبيك،

---

[1] الميمر ١١٩ الرابع على إليشع: على نعمان الأرامي وعلى جيحزي تلميذه (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١١١-١١٢.

وتجدد بروحك القدوس طبيعتي.
أغطس معك، فأُدفن معك.
أقوم معك، حاملاً قوة قيامتك!

❖ يوم ميلادي في الأردن تهللت الطغمات السماوية!
مجَّدت نعمتك الفائقة الحب!
أقامت من التراب مواطنًا سماويًا!
نزعت عني الفساد،
وصيرتني هيكلاً مقدسًا لك.

❖ بصليبك عتقتني من عبودية الطاغية إبليس،
ووهبتني مجد أولاد الله.
لك المجد يا كلي الحب!

اَلأَصْحَاحُ السَّادِسُ

الإيمان بإله المستحيلات!

يحثنا هذا الأصحاح على الإيمان بإله المستحيلات، فإن الله يتمجد بعمله عندما تبدو الحلول مستحيلة. فيُقدّم لنا هذا الأصحاح:

١. عمل ما هو مستحيل: الفأس الحديدي يطفو (١-٧).

٢. معرفة ما هو غير معروف: أليشع يعرف أسرار ملك أرام الخفية (٨-١٢).

٣. رؤية ما هو غير منظور: القوات السماوية مكشوفة له (١٣-١٧).

٤. حدوث ما يفوق الفكر البشري: خيرات عِوَض المجاعة (١٨-٣٣).

١. الفأس الحديدي يطفو

حسب قوانين الطبيعة، الحديد يغطس في الماء والخشب يطفو، لكن عند الضرورة إذ سقط رأس فأس حديدي استعاره بنو الأنبياء، ألقى أليشع النبي عود خشب في الماء فطفا الحديد.

تظهر أبوّة أليشع الحانية في التجاء بني الأنبياء إليه في كل كبيرة وصغيرة. عندما ضاق بهم الموضع سألوه أن يذهبوا إلى الأردن ليقطعوا خشبًا ويصنعوا منه لأنفسهم أماكن للإقامة. وعندما وافقهم طلبوا منه أن يرافقهم فلم يمتنع. عندما سقط رأس فأس أحدهم ذهب للتو إليه يسأله ماذا يفعل، إذ هو مُستعار.

حملت الأعجوبة عملاً رمزيًا لخلاصنا، فإذ تتسلل الخطية إلى حياتنا تجعلنا مثل هذه الرأس الساقطة في أعماق النهر. كما حدث مع فرعون وجنوده، إذ قيل: "غاصوا كالرصاص في مياه غامرة" (خر ١٥)، ورأى زكريا النبي المرأة الخاطئة في إيفة من الرصاص (زك ٥: ٨). وعلى العكس، إذ نحمل برَّ الله فينا عِوَض الغوص إلى الأعماق، نصير كالسحاب الخفيف المُرتفع في الأعالي. يقول الرسول بولس عن القديسين: "إذ لنا سحابة شهود هذه مقدارها" (عب ١٢: ١). وشُبِّهت القديسة مريم بالسحابة الخفيفة، إذ قيل عنها في سفر إشعياء: "هوذا الرب قادم إلى مصر على سحابة سريعة" (إش ١٩ : ١).

والآن إذ أثقلت الخطية نفوسنا وغاصت بنا إلى الأعماق لن نرتفع إلا بالخشبة، أي بصليب ربنا يسوع المسيح! هذا هو عملنا المستمر أن نحمل صليب ربنا يسوع ونُقدِّمه للساقطين في أعماق المياه لكي يطفوا، ونحملهم إلى الله الذي له الكل!

أما ذِكْر هذه المعجزة بين معجزة تطهير نعمان السرياني قائد جيش أرام من البرَص، ومعجزة إنقاذ جيش المملكة، فيوضح أن النبي الذي يحترمه الملوك والقواد لا ينسى الاهتمام

بتلاميذه حتى في الأمور الصغيرة.

وَقَالَ بَنُو الأَنْبِيَاءِ لأَلِيشَعَ:

هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي نَحْنُ مُقِيمُونَ فِيهِ أَمَامَكَ ضَيِّقٌ عَلَيْنَا. [١]

غالبًا بنو الأنبياء هنا هم الساكنون في أريحا، لأن الموضع كان قريبًا من الأردن. وكان أليشع كرئيس لبني الأنبياء كثيرًا ما يقوم بزيارة مدارسهم وأماكن سكنهم كتلاميذ له.

❖ تحققت هذه الكلمات بواسطة الرسل: منزل الذبائح حسب الشريعة كان صغيرًا جدًا بالنسبة لهم. وعندما تحققوا أن موضع اجتماع اليهود كان غير كافٍ لعظمة الإنجيل، قاموا ببناء كنيسة مقدسة تجمع أولاد الله الأبرار. هذا ما أشار إليه إشعياء لهم مقدمًا بكلمة الرب، حيث قال: "قليل أن تكون لي عبدًا لإقامة أسباط يعقوب، ورد محفوظي إسرائيل، فقد جعلتك نورًا للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض" (إش ٤٩: ٦)[1].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ كان ليوحنا المعمدان أم تقية وكان أبوه كاهنًا. ومع هذا لم تغره عاطفه أمه ولا غنى والده ليعيش في بيت والده خشية تجارب العالم، لهذا عاش في البرية. إذ كان يطلب أن يرى المسيح بعينيه لم ينطلع إلى شيءٍ آخر. طعامه من الجراد وعسل البرية، أعداه للحث على الفضيلة والعفة. أراد نسل الأنبياء الروحي، رهبان العهد القديم قديمًا أن يبنوا لأنفسهم أكواخًا بجوار مياه الأردن، تاركين المدن المزدحمة ليعيشوا على الحساء وأعشاب البرية (٢ مل ٤: ٣٨-٣٩).

مادامتَ في البيت، فلتكن قلايتك هي فردوسك، تجمع فيها ثمار الكتاب المقدس. لتكن هذه الثمار هي رفقاؤك المُفضّلون لك، وأدخل بوصاياه في قلبك[2].

القديس جيروم

فَلْنَذْهَبْ إِلَى الأُرْدُنِّ،

وَنَأْخُذْ مِنْ هُنَاكَ كُلُّ وَاحِدٍ خَشَبَةً،

وَنَعْمَلْ لأَنْفُسِنَا هُنَاكَ مَوْضِعًا لِنُقِيمَ فِيهِ.

فَقَالَ: اذْهَبُوا. [٢]

لم يكن عمل أليشع استعراضًا للعمل الفائق المعجزي، لكنه يحمل كشفًا عن خطة الله

---

[1] *On the Second Book of Kings, 6.1.*

[2] *Letter, 10 Rusticus 125. 7.*

الخلاصية.

ففي قصة إعادة الفأس المفقود ترجمة لشوق الله أن يعيد بخشبة الصليب النفوس التي غطست إلى الأعماق في مياه غامرة بسبب الخطية. إنها تؤكد عناية الله الفائقة، واهتمامه بكل صغيرة وكبيرة في حياة المؤمنين، فهو حاضر على الدوام، يود أن يبلغ بهم إلى أحضانه الإلهية.

فَقَالَ وَاحِدٌ: اقْبَلْ وَاذْهَبْ مَعَ عَبِيدِكَ.

فَقَالَ: إِنِّي أَذْهَبُ. [٣]

كان بنو الأنبياء بسطاء، يقيمون أماكن سكنهم بأياديهم، لا يُكلِّفهم شيئًا يُذكَر سوى تعبهم.

يرى البعض أن الخادم هنا هو جيحزي، وأن المعجزة تمت قبل شفاء برص نعمان. لأن المعجزات لم ترد هنا بترتيب زمني، وإنما بتسلسل فكري لاهوتي وروحي.

فَانْطَلَقَ مَعَهُمْ.

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الأُرْدُنِّ، قَطَعُوا خَشَبًا. [٤]

وَإِذْ كَانَ وَاحِدٌ يَقْطَعُ خَشَبَةً،

وَقَعَ الْحَدِيدُ فِي الْمَاءِ.

فَصَرَخَ: آهِ يَا سَيِّدِي، لأَنَّهُ عَارِيَةٌ! [٥]

كان من المعتاد في ذلك الزمن أن تُصنع رأس الفأس من البرنز، لأن الرأس الحديدية كانت غالية الثمن. كان الحديد يُعتبر ثمينًا لقِلَّتِه. وإذ سقط رأس الفأس في الماء، صرخ التلميذ إلى أبيه الروحي ومُعلِّمه أليشع ليحل له المشكلة.

كان أبناء الأنبياء متواضعين وفقراء، إذ لم يكن لهم فأس، بل استعاروه. يرى **القديس جيروم** في بني الأنبياء في أيام أليشع صورة للحياة الرهبانية الزاهدة، حيث لم يكن لهم طعام، فسلق لهم غلام النبي يقطينًا بريًا (٢ مل ٤: ٣٨-٣٩)، وكان المكان ضيقًا، والتزموا بقطع أخشاب بفأس استعاروه (٢ مل ٦: ١-٥).

في شرحنا لسفر الخروج[1] رأينا أن الأشرار قد شُبِّهوا بالرصاص الذي هبط في الأعماق (خر ١٥: ٥-١٠)، فالشر كالرصاص يجعل النفس تهبط (زك ٥: ٨)، أما القديسون فلا يغوصون، بل يمشون على المياه، إذ ليس فيهم ثقل الخطيئة. هذا هو عمل الروح القدس، ففي المعمودية يُنزَع الرصاص عنهم لكي يصيروا خفيفي الوزن. وكما يقول **العلامة أوريجينوس**: [لقد مشى ربنا ومخلصنا على المياه (مت ١٤: ٢٥)، هذا الذي بالحقيقة لا يعرف الخطيئة، ومشى تلميذه بطرس

[1] المؤلف: سفر الخروج، أصحاح ١٥.

مع أنه ارتعب قليلاً، إذ لم يكن قلبه طاهرًا بالكلية، إنما حمل في داخله شيئًا من الرصاص... لهذا قال الرب: "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟" فالذي يخلص، إنما يخلص كما بنارٍ (١ كو ٣: ١٥). حتى وإن وُجد فيه رصاص يُصهَر[1].]

حينما نشعر بأن نفوسنا ليست ملكنا، بل هي ملك لذاك الذي اقتناها بدمه الثمين نقول مع النبي: "إنها عارية". لنمسك بصليب الرب وندخل به إلى أعماقنا فتطفو، نمسك به ونُقدِّمه له. وكل ما لدينا أيضًا هو عارية، اقترضناه من الله لنُتَمِّم به عمله (يو ٣: ٢٧). نقترض منه الرأس الحديدية للفأس الذي به نقطع الشر حتى أثناء خدمتنا لله.

❖ أليشع رجل الله الذي سأل: أين سقطت الفأس؟ كان رمزًا لله الذي يأتي بين البشر، هذا الذي سأل آدم: أين أنت؟

سقوط الحديد في الأعماق المظلمة هو رمز لثقل الطبيعة البشرية الخالية من النور.

الخشبة التي أُخذت وأُلقيت في الموضع حيث كان الشيء الذي يُبحَث عنه ترمز للصليب المجيد.

الأردن هو المعمودية الخالدة. حقًا، من أجلنا عيَّن خالق الأردن أن يعتمد في الأردن.

أخيرًا، فإن الحديد الذي طفا على المياه وعاد إلى من قد فقده، يشير إلى أننا في المعمودية نصعد إلى الأعالي السماوية، ونجد النعمة التي هي مسكننا الحقيقي القديم. لو أن إنسانًا ظن أن هذا الموضوع ليس نبوة عن المعمودية، فلماذا سجَّله الكتاب المقدس؟![2]

❖ نزل إلينا، لكي نصعد إلى الأعالي السماوية.

القديس ديديموس الضرير

❖ هذا رمز يشير إلى سقوط آدم. لأن الماء يرمز للخطية. حقًا خلال الماء خلصنا من الخطية بالطوفان في أيام نوح (تك ٦: ١٧)، وفي ملء الأزمنة.

لقد غُسلت في مياه المعمودية المقدسة بربِّنا، عندما اعتمد في الأردن بواسطة يوحنا، عندما قَبل وأكل مع الخطاة، وفي آلامه أُحصي مع الأثمة.

نزلت الخشبة، وبزغ الحديد، لأن عمانوئيل مات ودُفن ونزل إلى طبقات الأرض اللعينة، ومن هناك عاد، وبصعوده رُفع آدم من الأعماق إلى الأعالي[3].

القدّيس مار أفرآم السرياني

---

[1] *In Exod، hom 6.*

[2] *PG 39:700 A.*

[3] *On the Second Book of Kings, 6:5.*

فَقَالَ رَجُلُ اللهِ: أَيْنَ سَقَطَ؟
فَأَرَاهُ الْمَوْضِعَ.
فَقَطَعَ عُودًا وَأَلْقَاهُ هُنَاكَ،
فَطَفَا الْحَدِيدُ. [٦]

يقول **القديس أمبروسيوس** إن ما حدث هنا هو رمز يكشف عن عجز القوة البشرية عن الخلاص، والحاجة إلى قوة الله لخلاصنا في المعمودية[1].

ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الماء يشير إلى ماء المعمودية، ورأس الفأس يشير إلى الشخص الذي يُعمَّد، والعصا تشير إلى الصليب. نحن الذين نغطس في الخطية والموت مثل الحديد، ننعم بالحياة الجديدة في المعمودية بصليب يسوع المسيح، ونبدأ الرحلة إلى السماء.

يرى **القديس إيرينيؤس** أن نفس السيد المسيح المقدسة نزلت إلى الجحيم، فصعدت نفوس كثيرة، وظهرت بأجسادها. فكما أن الخشبة الخفيفة غطست في الماء، هكذا الحديد الثقيل طفا.

عندما تجسد كلمة الله صار الجسد الثقيل الأرضي خالدًا، يُحمَل إلى السماء بعد القيامة.

❖ ألقى أليشع قطعة خشب في نهر الأردن، فاسترد من الماء رأس الفأس الحديدية، التي أراد بنو الأنبياء أن يقطعوا بها الخشب، لإقامة مبنى فيه يقرأون ويدرسون وصايا الله. هكذا خلَّصنا مسيحنا في المعمودية من خطايانا الثقيلة بصلبه على خشبة الصليب وتقديسنا بالماء، نحن الذين غطسنا في حمأة خطايانا المميتة، جعلنا بيت صلاة وعبادة[2].

القديس يوستين

❖ في الخلقة أخرج أشياء من نقيضها. فبالرمل، كمثالٍ، صنع سورًا للبحر، فجعل من الضعف لجامًا للقوي. أقام الأرض على المياه، فجعل ما هو ثقيل وكثيف محمولاً على ما هو خفيف وسائل، عن طريق الأنبياء مرة أخرى بقطعة خشب خفيفة رفع الحديد من العمق.

بنفس الطريقة أيضًا بالصليب سحب العالم إليه. فكما أن الماء يحمل الأرض، هكذا يحمل الصليب العالَم[3].

القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم

❖ حسب تدبير أليشع النبي، أصعَدَتْ خشبة يابسة نصل (حديد) الفأس من النهر (٢ مل ٦: ٦)؛ وحسب تدبير الراهب، إذ يضعف الجسد بالصوم، تُنتَشل النفس من البحر. صوم الراهب يجفف

---

1 *Sacr. 2.11*
2 *Dialogue with Trypho, 86.*
3 *Homilies on 1 Cor. Homily 4:5.*

مجاري الشهوات الحسيّة.

❖ بفضل عود يابس جعل أليشع النبي الحديد يطفو فوق الماء (٢ مل ٦: ١-٧)؛ وبفضل جسد يبس من (شدة) الصوم يجتذب الراهب نفسه من الأعماق.

الأب هيبريشيوس الكاهن

❖ تنبأ داود قائلاً: "طوبى للذين غُفِرَتْ آثامهم، وسُتِرَتْ خطاياهم. طوبى لرجلٍ لا يحسب له الرب خطية" (مز ٣٢: ١-٢)، هكذا يشير إلى مغفرة الخطايا التي تتم بمحوها، "إذ محا الصك الذي علينا، مُسَمِّرًا إياه على الصليب" (كو ٢: ١٤). حتى إنه بواسطة خشبة صرنا مَدينين لله، وهكذا بخشبةٍ ننال إيفاء ديننا.

هذه الحقيقة ثبتت بطريقة واضحة بآخرين خاصة بواسطة أليشع النبي...

أشار النبي بعمله هذا إلى أن كلمة الله الأكيدة التي فقدناها بإهمالنا خلال شجرة، ولم نكن في الطريق لنجدها من جديد، يليق بنا أن ننال تدبيرًا جديدًا للشجرة (أي صليب المسيح). فإن كلمة الله هذه تُشبَّه بفأس كما يعلن يوحنا المعمدان مشيرًا إليها "والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة" (مت ٣ :١٠). وإرميا النبي أيضًا يقول ذات الأمر: "كلمتي كمطرقةٍ تُحَطِّم الصخر" (إر ٢٣ :٢٩) هذه الكلمة التي اختفت منا أعلنها تدبير الخشبة كما سبق فأشرت.

وكما فقدناها بواسطة خشبة، تُعلَن لك من جديد بواسطة خشبة، لتُظهر الارتفاع والطول والعرض والعمق في داخلها[1].

القديس إيرينيؤس

فَقَالَ: ارْفَعْهُ لِنَفْسِكَ.
فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهُ. [٧]

وقف الكل في ذهول حين رأوا أليشع النبي يلقي قطعة خشبة، فتطفو رأس الفأس الحديدية. قال أليشع النبي للمسئول عن تدبير حياتهم: "ارفعه لنفسك، فمدّ يده وأخذه".

لم يعرف أليشع مكان سقوط الحديد، لكن الله وهبه أن يطرح عود خشب فطفا الحديد. كان العود كالشجرة التي طرحها موسى في ماء مارة، فصار عذبًا (خر ١٥: ٢٥)، والملح الذي طرحه أليشع في النبع في أريحا فأبرأه. لم يكن لهذه الآلات قوة في ذاتها، إنما كانت قيمتها في كونها رموزًا لصليب رب المجد يسوع.

قد يعترض البعض هل هذه القطعة من الحديد تستحق عملاً معجزيًا؟ في الحقيقة إن ما

---

[1] *Irenaeus Against Heresies 5 : 17 : 2, 3.*

وراء هذا العمل تهيئة القلوب لإدراك سرّ الصليب وقوته.

❖ أي شيءٍ أكثر وضوحًا من سرّ هذه الخشبة؟! لقد غرق عناد العالم في أعماق الخطأ، وقد تحرر بالعماد بخشبة المسيح أي بآلامه، حتى أن ما قد سبق فهلك خلال الشجرة في آدم، قد أُصلح خلال الخشبة في المسيح؟... هذه الخشبة مرة أخرى حملها إسحق بن إبراهيم شخصيًا لأجل تقديمه ذبيحة عندما أمر الله أن يُقدّم ذبيحة لأجله[1].

العلامة ترتليان

❖ إن كان الحطب الذي من طبعه الخفة لما أُلقي في الماء في أيام أليشع أخرج الحديد من طبعه الثقيل (٢ مل ٦: ١٦)، فكم بالحري يُرسِلُ الرب إلينا روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي وبواسطته يُخرِجُ النفس التي غطست في مياه الإثم، ويُصيِّرها خفيفة، ويرفعها على جناحه تجاه أعالي السماء، ويُغيِّر طبيعتها الأصلية تغيُّرًا كاملاً.

وكما أنه في الأمور المنظورة لا يقدر أحد من نفسه أن يجتاز البحر ويعبره، إلاَّ إذا كان له قارب خفيف مصنوع من الخشب يسير على المياه، لأن من يزعم أن يسير على البحر يغرق ويهلك، هكذا لا يمكن للنفس أن تعبر بذاتها بحر الخطيئة المُرّ وتعلو عليه، وتجتاز الهُوّة الصعبة التي هي هُوَّة قوات الظلمة الخبيثة في الهواء، إلاَّ إذا أحرزت روح المسيح اللطيف السماوي الخفيف الذي يسير بها، ويعبر بها من كل خبثٍ. بواسطة هذا الروح يمكنها أن تصل إلى ميناء الراحة السماوية من معبر ضيّق إلى مدينة الملكوت[2].

القدّيس مقاريوس الكبير

❖ يبدو أن الفأس الذي سقط يشير إلى آدم أو إلى الجنس البشري كله. لذلك فإن ابن الأنبياء أمسك بالفأس في يده، لأن ربنا ومخلصنا في يد قوته الجنس البشري الذي خلقه. وكما سقط الفأس من يد النبي في الماء، هكذا خلال الكبرياء الذاتي سقط الجنس البشري، وغطس في نهر الانغماس في الملذات ومياه كل خطية. هكذا سقط الفأس في الماء، لأن الجنس البشري سقط في أعماق كل الرذائل في دمار مُحزِن. كما كُتِبَ: "غرقت إلى أعماق المياه، والسيل غمرني" (مز ٦٩: ٣). يشير النهر الذي سقط فيه الفأس إلى الملذات أو الانغماس في ملذات هذا العالم العابر والزائل والمنحدر إلى الأعماق...

عند مجيء أليشع ألقى قطعة خشب فطفا الحديد. ماذا يعني إلقاء قطعة خشب وظهور

---

[1] *Tertullian : An Answer to the Jews, 13 .*

[2] المؤلف: الحب الإلهي، ١٩٦٦، ص ٨٥١.

الحديد في النور إلاّ صعود الجنس البشري من عمق الهاوية وتحرره من وحل كل الخطايا بسرّ الصليب؟...

بعد أن طفا الحديد وضعه النبي في يده لكي يصلحه ويرده إلى عمله النافع لسيده[1].

❖ هكذا أيضًا حدث لنا أيها الإخوة الأعزاء. نحن الذين سقطنا من يد الرب بالكبرياء، استحققنا أن نعود ثانية إلى يده وقوته خلال خشبة الصليب. لذلك ليتنا نجاهد بمعونته قدر ما نستطيع حتى لا نسقط ثانية من يده خلال الكبرياء.

بدون أي استحقاق صالح ذاتي لنا جُبلنا من الظلمة إلى النور، دُعينا من الموت إلى الحياة، استرددنا الطريق الحق عِوَض الأخطاء الكثيرة. لهذا ليتنا نسرع ونملك نور الحياة ولا نهمل أيام الخلاص العابرة.

ليتنا لا نبتهج بالعذوبة الفاسدة وأفراح العالم الخطيرة للغاية، لئلا نسقط ثانية من الأعمال الصالحة وطريق البرّ كما من يد الرب، مُسرعين إلى نهر هذا العالم الشرير...

لنصغِ إلى قول الرسول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله؛ اهتموا بما فوق" (كو ٣:١-٢). لماذا يقول: "إن كنتم قد قمتم" ما لم نكن قد سقطنا؟

وفي موضع آخر يقول نفس الرسول: "استيقظ أيها النائم، وقم من الأموات فيضيء لك المسيح" (أف ٥:١٤). ألا يبدو لكم أنه يصرخ إلى الفأس الذي سقط في الوحل؟ يقول استيقظوا أيها النيام في المياه العميقة، فيضيء لكم المسيح خلال سرّ الصليب[2].

الأب قيصريوس أسقف آرل

٢. أليشع يعرف أسرار ملك أرام الخفية

كان أليشع النبي وهو في مسكنه يعرف ما يُخطِّطه ملك أرام ضد إسرائيل عسكريًا، ويُخطِر بها ملك إسرائيل، فيفلت من خطط العدو وشباكه. هكذا من يتمتع بكلمة الله يُدرِك خطط إبليس ويفلت من شباكه.

وَأَمَّا مَلِكُ أرام فَكَانَ يُحَارِبُ إِسْرَائِيلَ،
وَتَآمَرَ مَعَ عَبِيدِهِ قَائِلاً: فِي الْمَكَانِ الْفُلاَنِيِّ تَكُونُ مَحَلَّتِي. [٨]

يُقدِّم لنا القدِّيس أمبروسيوس مقارنة بين أليشع النبي الذي كان في مسكنه قليل الحركة، لكنه عامل على الدوام، ليس من أمر يُفقده سلامه، وملك أرام (سوريا)، الذي كان يخطط

---

[1] *Sermon 129:5.*
[2] *Sermon 130:1, 2.*

مؤامرات، وينصب كمائن وفخاخ لمحاربة شعب إسرائيل، ومع كل قدراته وإمكانياته، فقد سلامه. هكذا يليق بالمؤمن أن يقتدي بأليشع، فبهدوئه الداخلي يحمل سلام الله الفائق، لا يضطرب من كل الأحداث التي تثور حوله. بهدوئه في الرب يحقق ما لا يحققه الآخرون بكل إمكانياتهم وتدابيرهم البشرية.

❖ كان أليشع مستريحًا في مكانٍ واحدٍ، بينما أثار ملك سوريا حربًا ضد شعب آبائنا، وكان يصنع عمليات إرهابية بخططٍ مخادعة متنوعة، وكان يسعى أن يصطادهم في كمين[1].

القدّيس أمبروسيوس

فَأَرْسَلَ رَجُلُ اللهِ إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ:
احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَعْبُرَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ،
لأَنَّ الأَرَامِيِّينَ حَالُّونَ هُنَاكَ. [٩]

إن كان ملك إسرائيل وكثير من الشعب قد شوّهوا عبادة الله الحي، لكن من أجل أمانة الله، والقلة الأمينة، ولطول أناته كان يعمل لنصرتهم، فيكشف أسرار ملك أرام لنبيه أليشع، وهذا بدوره كان يُخبِرُ الملك.

كان أليشع النبي يرى الخفيات، ولا يُخفي عليه شيء مما يمس حياته وحياة شعب الله، سرّه هو نقاوة نفسه التي لا تُفسدها محبة العالم، ولا شهوات الجسد. نفسه هي قائدة لجسده، لا تنحني لأوامره، بل تقوده بروح الرب. بهذا صارت لنفسه البصيرة لرؤية الكائنات غير المنظورة من ملائكة وشياطين! إذ يحمل إنسان الله نفسًا نقية، يتشبه بالملائكة، ويرى روحيًا مثلهم! تتحد النفس النقية وحواسها بالله، فتنعم برؤية الإلهيات.

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن النفس النقية ترى الخفيات، لكن إن سيطرت شهوات الجسد على النفس، جعلت بصيرتها الداخلية مظلمة، فلا تقدر على معاينة الإلهيات. تُرَى هل تمتع هذا القديس بهذه الخبرة التي تبدو لنا أمرًا مستحيلة أو مبالغًا فيها.

❖ طبيعة النفس سامية في خلقتها، ومملوءة جمالاً، وتحمل صورة اللاهوت العُظمَى.
عندما تتنقَّى من الأعمال العالمية، وعندما لا تتنجس بالشهوات الغريبة؛
عندما تكون سيدة للجسد فلا يأمرها؛ تدبره بالقداسة، ولا يعصاها؛
عندما تتطهر من كل الحركات الجسدية، **تنظر وترى روحيًا العوالمَ الخفية.**
إن اجتاز ملاك أمامها لا يُخفَى عنها، وترى الأبالسة والملائكة وجهًا لوجهٍ.

---

[1] *Duties of the Clergy, Book I, ch. I (5).*

هذه القوات المستترة ليست خفية عنها، لأنها تنظر وترى أفواجها بوضوح.

كل قديس يمرّن نفسه بالروحانية، يرى بوضوح كل ما يوجد على الأرض.

جميع القديسين يرون مثل ملائكة الرب، ولا يوجد شيء عند الله مُستتر عنهم[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

فَأَرْسَلَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ عَنْهُ رَجُلُ اللهِ،
وَحَذَّرَهُ مِنْهُ، وَتَحَفَّظَ هُنَاكَ،
لاَ مَرَّةً وَلاَ مَرَّتَيْنِ. [١٠]

لم يُرسلْ ملك إسرائيل جيشًا بل جواسيس، ليتحققوا منْ كلام النبي. تصرُّفه هذا حمَلَ نوعًا من التشكك وعدم الإيمان.

فَاضْطَرَبَ قَلْبُ مَلِكِ أرام مِنْ هَذَا الأَمْرِ،
وَدَعَا عَبِيدَهُ وَقَالَ لَهُمْ:
أَمَا تُخْبِرُونَنِي مَنْ مِنَّا هُوَ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ! [١١]

❖ كان يرى بوضوح كمائن الملوك التي كانت تُعمل سرًا، عندما كانت تُدبَّر.

عندما كانوا يتكلمون بأسرار خفية في (أرام)، كان أليشع يفضحها في أرض اليهودية.

دارت حرب بين الأراميين والإسرائيليين، وشبّ خطر الدم المثير للخصام والداعي إلى الحرب.

بينما كان أليشع يقيم مع العبرانيين، فضح الكمائن التي صنعها الأراميون.

عندما فكَّر ملك أرام أن يفعل شيئًا، كان يبطل التنفيذ قبل أن ينفذ كلمته.

عندما كان يهيئ كمينًا ليصنعه سرًا، كان يكشفه أليشع كاشف الأسرار.

كان ملك أرام يُحيك الأسرار في خدره، وحالاً تنتشر بوضوح بين العبرانيين.

كانت أفكار الأراميين ومؤامراتهم وكل أسرارهم يُفضحها أليشع.

وهو في بيته، كان ينظر ويرى أيضًا كل ما هو خفي في منازل الأراميين.

عندما كان ينظر، لم تكن بُعد المسافات الموجودة بين البلدَين تخفي عنه شيئًا.

كان لهذا الرجل رؤية صافية مملوءة نورًا، بها يرى كل الخفايا بدون غطاء.

وعندما أراد الأراميون أن يغيِّروا الخطط، كان ذاك العبراني يراها ويفضحها.

---

[1] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع للخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٢٦-١٢٧.

لأنه كانت له عين ترى روحيًا كل أسرار الأراميين التي كان يفضحها.
تذمر ملك أرام واضطرب، لأن كل خفاياه كانت تُكشَف بين العبرانيين.
صنع كمينًا بخدعة وحيلة عُظمَى، ونصب فخًا ليوقع العبرانيين في الشَرَك.
كشف أليشع كل الخدعة وكل السرّ، وانكسر قلب الأرامي لأنه انفضح.
ظن الملك بأن أحدًا من أتباعه يكشف أسراره للإسرائيليين، ويُبطل خطط نصرته.
بدأ الرجل يشتكي، ويقول لعبيده: واحد من أتباعنا يكشف سرّنا لإسرائيل.
فأعلنوا حالاً لملك أرام بأن أليشع يفضح خططهم وكمائنهم[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِهِ:
لَيْسَ هَكَذَا يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ.
وَلَكِنَّ أَلِيشَعَ النَّبِيَّ الَّذِي فِي إِسْرَائِيلَ يُخْبِرُ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بِالأُمُورِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِهَا فِي مِخْدَعِكِ. [١٢]

يقول أيوب: "يَكشف العَمَائقَ من الظَّلاَمِ، ويُخْرِجُ ظِلَّ الموت إلى النور" (أي ١٢: ٢٢). يفضح الله المؤامرات التي تُدبَّر في الظلام، والشر الذي يُرتكَب في الخفاء. عندما ظنَّ ملك أرام أن من بين رجاله من هو خائن، قال له أحد عبيده: "أليشع النبي الذي في إسرائيل يُخبر ملك إسرائيل بالأمور التي تتكلم بها في مخدع مضجعك" (٢ مل ٦: ١٢).

٣. القوات السماوية مكشوفة له

كثيرًا ما نخاف العدو إبليس وجنوده، لأننا نسلك بالعيان لا بالإيمان. إن رأينا بعيني القلب أن الله وجنوده في صفنا، هم معنا، فمن يستطيع أن يقف أمامنا؟

فَقَالَ: اذْهَبُوا وَانْظُرُوا أَيْنَ هُوَ، فَأُرْسِلَ وَآخُذَهُ.
فَأُخْبِرَ: هُوَ فِي دُوثَانَ. [١٣]

كانت أسرار السماء مكشوفة أمام أليشع النبي، فهل يُخفي عنه ما يفعله ملك أرام سرًا في قصره؟ بهذا صار النبي سندًا لشعبه، يفضح لهم كل خطط العدو الشريرة ضدهم. لكن ملك أرام في غباوة ظن أن قدرته العسكرية يمكن أن تأسر ذاك الذي يهبه الله معرفة الأسرار! أرسل جيشًا يحاصر النبي الأعزل من الأسلحة البشرية، ولم يدرك أن القوات السمائية تُسَرُّ بحمايتها له، لأنه

---

[1] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٢٨.

رجل الله المحبوب لديهم.

دوثان: وهي تل دوثان الحالية شمال السامرة، على بعد ١٢ ميلاً منها. كانت في مركز مرتفعات إسرائيل. أُشير إليها هنا فقط وفي سفر التكوين، إذ طُرح فيها يوسف (تك ٣٧: ١٧)،

فَأَرْسَلَ إِلَى هُنَاكَ خَيْلاً وَمَرْكَبَاتٍ وَجَيْشًا ثَقِيلاً،

وَجَاءُوا لَيْلاً، وَأَحَاطُوا بِالْمَدِينَةِ. [١٤]

كان **جيشًا ثقيلاً**، لا بالنسبة لجيوش الحرب، وإنما بالنسبة للقبض على رجلٍ واحدٍ. لأننا نرى أليشع سار بهم إلى السامرة، ودخل بهم إلى المدينة، وقدّم لهم الملك وليمة [١٩، ٢٣].

كان ملك أرام يخطط بحكمة بشرية مُجرَّدة، معتمدًا عليَّ جيوشه والذراع البشري، أما النبي فكان ينعم بحكمة سماوية، تحوط به قوات السماوات التي لا تُحصَى ولا تنام، وتقوم بحراسته، لهذا لم يكن ممكنًا أن يقترب منه القنوط أو القلق. أصدر الملك أمره لجيوشه كي تتحرك لتصطاد النبي، وأمر رب الطغمات السماوية المستيقظين الناريين لطرد الأشرار عن نبيه أليشع.

كثيرًا ما رأينا في القصائد السابقة **القديس مار يعقوب السروجي** يدعو الملائكة "المستيقظين"، إذ لا يغفلون ولا ينامون.

❖ كانت الملائكة تحرس أليشع، وحيثما ذهب كانت تسير معه القوات.

جيش خدام الله يحيط بخائفيه، وينجيهم من الأضرار.

كان مستيقظو النار يحيطون به من كل الجهات، ولم يكن يقترب منه الخطر أو التهديد.

خاف تلميذه الذي رأى الخيول والقوة العظيمة مثل صبي، ارتعب من الأفواج القوية.

خاف وعاد إلى أليشع وهو يرتعب، وقال: آه يا سيدي، كيف نعبر من الفرسان؟

أما أليشع فلم يَخَف من الأفواج، ولم يكن يحسب بأس الملوك شيئًا.

أحاطت به قوات بيت الله، التي كانت أكثر من الجموع المحيطة به[١].

القدّيس مار يعقوب السروجي

فَبَكَّرَ خَادِمُ رَجُلِ اللهِ وَقَامَ وَخَرَجَ،

وَإِذَا جَيْشٌ مُحِيطٌ بِالْمَدِينَةِ وَخَيْلٌ وَمَرْكَبَاتٌ.

فَقَالَ غُلاَمُهُ لَهُ: آهِ يَا سَيِّدِي! كَيْفَ نَعْمَلُ؟ [١٥]

خادم رجل الله: يرى غالبية الدارسين أن هذا الخادم هو جيحزي قبل أن يحل به البرص، ويرى آخرون أنه إذ طُرد جيحزي، فهذا الخادم هو شخص آخر.

---

[١] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٢٨-١٢٩.

سأل التلميذ أليشع النبي: كيف نعمل؟ لأنه شعر أن لا مجال من الهروب من أيديهم، ويستحيل أسرهم أو قتلهم، فالسؤال يدل على الشعور باليأس.

ما لم يرَه التلميذ رآه أليشع سواء عيانًا أو بالإيمان، إذ رأى جيش الرب في جانبهما. ومع هذا لم يستخف النبي بتلميذه، ولا تشامخ عليه، إنما في وداعة طمأنه، وصلى لأجله كي يفتح الله عينيه.

جاء في قوانين الرسل القديسين أنه لا يليق بإنسان الله أن يستخف بغيره من الأتقياء، لأنهم لم ينالوا موهبة ما مثله. فإذ وُجد سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة للبعل غير أن إيليا وأليشع وحدهما في ذلك الوقت كانا يصنعان معجزات. لم يستخف **أليشع بتلميذه لأنه خاف من الأعداء.** أيضًا دانيال وأصدقاؤه الثلاثة فتية لم يستخفُّوا ببقية زملائهم لأن الله أنقذ دانيال مرتين من جب الأسود، والثلاثة فتية من أتون النار[1].

فَقَالَ: لاَ تَخَفْ،

لأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ. [١٦]

أدرك أليشع النبي قيمة العون الملائكي، فلم يخشَ إحاطة جيش أرام بالجبل الذي يسكنه للقبض عليه (٢ مل ٦: ١٦).

تحمل الطغمات السماوية حبًا فائقًا لنا بكونهم العبيد رفقاءنا يودون أن يخدموا سيدهم خلالنا (رؤ ٢٢: ٩). إنها حقيقة مُفرِحة يعلنها الكتاب المقدس أن الملائكة والبشر يُكوِّنون أسرة واحدة متكاملة[2].

إن كنا بسبب ضعفنا إن قورنا بإمكانيات إبليس نُحسَب كواحد أمام ألف، لكن بالرب لا تقدر الألف أن تقف أمامنا، بل نطردها بالرب المُدافِع عنا. هذا هو إيمان أليشع النبي الذي قال لتلميذه: "الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٦). ليتنا لا نخاف إبليس وكل جنوده، لأن الرب إلهنا يحارب عنا حتى يدخل بنا إلى كمال مجده الأبدي.

حقًا إن إبليس مرهب بعنف حيله وثقل تجاربه التي تضغط على الإنسان، لكنه بلا سلطان علينا إن كنا نسلك في الرب، ونحمل في داخلنا روح الله الناري، فننعم بالسلطان أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوات العدو. يتحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن إمكانيات المؤمن في مواجهة إبليس وإغراءاته وعنفه، قائلاً: [إن رآك الشيطان مرتبطًا بالسماء، ساهرًا، لن يجرؤ قط أن يحدق فيك.]، [السيرة الطاهرة تسد فم الشيطان نفسه وتبكمه.]

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 8. Sec 1:1.*
[2] *W. S. Plumer: Ps. 91.*

يليق بالمؤمن ألاَّ يخاف، فلا يقول: "عدوي أعظم مني، كيف أنتصر؟" بل ليقل مع أليشع النبي: "الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٦). وكما قيل: "ليقل الضعيف بطل أنا!" (يؤ ٣: ١٠) هكذا بالمسيح يسوع ربنا ننال روح القوة لا روح الهزيمة والفشل، فلا نرتبك أمام التجارب أو الضيقات أو الخطايا.

الله يفتح أفواه قديسيه لينطقوا بالحق (أف ٦:١٩)، وآذانهم ليفهموا كلمته (إش ٥٠:٤-٥)، وأعينهم ليروا عنايته ورعايته.

كما يدخل الرب إلى الفم ليُقدِّسه وأيضًا إلى الأذنين والعينين، يحاول إبليس أن يدخل ليملك ويُهلك (رو ١:٢٩-٣٠). فقد قيل عن يهوذا إنه دخله شيطان (يو ١٣:٢٧).

❖ لما خاف التلميذ من غبار الجيش الذي رآه، شجَّعه مُعلِّمُه لئلا يرتجف من الكثيرين.

القوات الموجودة معنا هي أكثر من قوات الأراميين المُحيطة بنا.

صلَّى البهي من أجل التلميذ لكي يراها، وفتح الربُ عينَي الخادم كما طلب له.

رأى الفرسان وخيول النار المملوء منها الجبل. إنه منظر مخيف ومُرعِب لمن يشاهده[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

❖ كما يفتح الله أفواه القديسين، أظنه كذلك يفتح آذانهم لسماع الكلمات الإلهية. وعن ذلك يقول إشعياء النبي إن الرب سوف يفتح أذنيه ليَعلَم متى يتحتم عليه الكلام (إش ٥٠: ٤-٥) كذلك يفتح الرب الأعين. فقد "فتح عيني هاجر، فأبصرت بئر ماء (حي)" (تك ٢١: ١٩).

كما صلَّى أليشع النبي إلى الله قائلاً: "افتح يا رب عيني الغلام حتى يبصر أن الذين معنا أكثر من الذين مع العدو". ففتح الرب عينيه، فأبصر الجبل مملوءًا خيلاً ومركبات نار وقوات سماوية (راجع ٢ مل ٦: ١٦-١٧). فملاك الرب حالُ حول خائفيه ينجيهم (مز ٣٤: ٨).

❖ يفتح الله الفم والآذان والأعين لكي ما نتكلم أو نُميِّز، إذ نسمع ما هي كلمات الله[2]

❖ "الفرس وراكبه طرحهما في البحر، صار معيني وحامي في الخلاص" (خر ١٥: ١٢). الناس الذين يقتفون أثرنا هم خيول، وهكذا كل الذين يولَدون في الجسد هم رمزيًا خيول. هؤلاء لهم ركابهم. توجد خيول يركبها الرب، ويجولون في كل الأرض، هؤلاء قيل عنهم: "فرسانك هم الخلاص". على أي الأحوال توجد خيول ركابهم هم إبليس وملائكته.

---

[1] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٣٠.

[2] *Homilies on Exodus, 3.*

يهوذا كان فرسًا، إذ كان الرب راكبه كان جزءًا من فرسان الخلاص. إذ أُرسل مع الرسل الآخرين بالحق، شفى مرضى وأعطى صحة للضعفاء (مت ١٠: ١). لكنه إذ خضع للشيطان، إذ بعد اللقمة دخله شيطان (يو ١٣: ٢٧)، صار الشيطان راكبه، وإذ اقتيد بلجامه، بدأ يسير ضد ربّنا ومخلصنا.

إذن كل الذين يضطهدون القديسين، هم خيول تصهل، لهم ملائكة أشرار ركاب عليهم، يقودونهم، لذا فهم متوحشون. لذلك عندما ترى مضطهدك في ثورة عنيفة جدًا اعرف أن شيطانًا يمتطيه يثيره، لذا فهو عنيف وقاس[1].

العلامة أوريجينوس

❖ إنه عدد ضخم من القديسين والمؤمنين، الذين إذ يحملون الله، يصيرون بطريقة ما مركبة الله... إذ يسكن فيها ويقودها كما لو كانت مركبته، يبلغ بها إلى النهاية، كما إلى موضعٍ مُعيَّن. "المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه، وبعد ذلك النهاية" (١ كو ١٥: ٢٣-٢٤). هذه هي الكنيسة المقدسة التي تتبعه، "ألوف من البشر يفرحون". فإنهم بالرجاء يفرحون، حتى يبلغوا إلى النهاية، الأمر الذي يتطلعون إليه الآن بصبرٍ (رو ١٢: ١٢)... يعطي السبب لماذا هؤلاء الألوف يفرحون. لأن مركبة الله الحاملة الرب فيهم.

القديس أغسطينوس

❖ عندما ظن أليشع أنه وحده في البرية كان في صحبة الملائكة، هكذا أيضًا في هذه الحالة (العبرانيون المُضطهَدون من فرعون). كان الشعب أولاً في ضيق في البرية، لكن الذين بقوا مُخلِصين دخلوا فيما بعد أرض الموعد. بنفس الطريقة الذي يحتملون أحزانًا مؤقتة هنا، ينالون في النهاية راحة، أما الذين يَضطهِدون فيسقطون تحت الأقدام، وتكون نهايتهم غير صالحة[2].

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ نعم، لقد ولَّى الله الملائكة النورانيين على حراسة الناس، لاسيما على الصديقين، كما كتب الرسول في الأصحاح الأول من رسالته إلى العبرانيين، قائلاً: "أليس جميعهم أرواحًا خادمة مُرسَلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟!" (عب ١: ١٤) فإن هؤلاء الملائكة يدفعون الصديقين إلى سمو النظر والعمل، لئلا تعثر سيرتهم بحجر الذلة والمعصية. وأيضًا يرفعون بمعونتهم الضعفاء في وقت سلوكهم بمشقةٍ، لئلا يعثروا بفكرهم ويصيروا مداسًا للشيطان.

الأب أنسيمُس الأورشليمي

---

[1] *Homilies on Exodus 6:2.*
[2] *Paschal letter 10, 6.*

❖ **ابتسم النبي أمامه، فإن الأمور المخيفة ليس في قدرتها أن تخيف؛ وأمره أن يكون مبتهجًا.**

على أي الأحوال، إذ لم يكن التلميذ بعد كاملاً لم يُصغِ إليه. وإذ كان مذهولاً للمنظر بقي في خوفٍ[1].

القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم

❖ **كان أنبا موسى الأسود،** الذي كان يسكن في "بترا" (أي الصخرة)، يصارع مرةً مع تجربة الزنا، ولم يستطع أن يحتمل البقاء في قلايته، ذهب وأخبر أنبا إيسيذورس بذلك، فعزَّاه بكلام الكتب المقدسة، ثم حثّه على الرجوع إلى قلايته. لكنه لم يقتنع وقال: "لا يمكنني يا أبي أن أحتمل ذلك". فأخذه الأب إيسيذورس إلى سطح قلايته، وقال له: "اُنظر إلى الغرب"، ولما نظر رأى جموعًا من الشياطين بهيئةٍ مرعبةٍ وهم مهيَّأون للحرب. ثم قال له: "اُنظر إلى الشرق"، فنظر ورأى جموعًا لا تُحصَى من الملائكة في مجدٍ ونورٍ ببهاءٍ عظيم. ثم قال له أنبا إيسيذورس: "هؤلاء الذين من ناحية الغرب هم الذين يحاربون القديسين، والذين رأيتهم ناحية الشرق هم الذين يُرسلهم الله لمعونة القديسين، فاعلم إذن أن للذين معنا أكثر من الذين علينا كما قال أليشع النبي" (٢ مل ٦: ١٦). فتعزّى أنبا موسى بالرب، وعاد إلى قلايته متشجِّعًا بلا خوفٍ وممجِّدًا لله.

فردوس الآباء

❖ فتح الرب عيوننا ورأينا المعونات التي تحمينا... كأن الرب قال لنا برهبته: أنظروا عظمة الشهداء الذين أعطيتكم"، فنرى بعيون مفتوحة مجد الرب الذي يعين في آلام الشهداء، وحال في أعمالهم[2].

❖ لاحظوا أن غير المنظورين أكثر كثيرًا من المنظورين الذين يحرسون خدام المسيح[3].

القدِّيس أمبروسيوس

❖ صعد فرعون على خيله، وغرق في سُبات وهلك. كان للمصريين خيلهم، لكنهم هلكوا. هذا هو السبب الذي لأجله جاء في الناموس ألا يملك يهودي حصانًا (تث ١٧: ١٦). تذكرون أن سليمان لم يكن له خيول من أورشليم أو اليهودية، وإنما اشتراها من مصر (١ مل ١٠: ٢٨) إذ كانت الخيول معروضة دائمًا للبيع في مصر.

"البعض أقوياء بالمركبات، والبعض بالخيل، أما نحن فأقوياء باسم الرب إلهنا" (مز ٢٠:

---

[1] *Homilies on Eph., Homily 9.*
[2] *St. Ambrose. Letters, 22:11.*
[3] ***Sermon Against Auxentius, 11.***

٧). هؤلاء بالحقيقة، الذين يمتطون الخيل ينامون ويهلكون.

للرب أيضًا خيل، كما له أيضا جبال مُشرِقة، بينما جبال الشيطان مملوءة ظلامًا. الآن كما توجد جبالٌ متلألئة وجبال مظلمة، توجد خيول صالحة وخيول رديئة...

عندما جاء الفرسان للقبض على أليشع (٢ مل ٦: ١٣-١٧)، وخرج خادمه ورأى جيش الأراميين حول المدينة، قال أليشع: "لا تخف، فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم".

بعد قليل قيل في الملوك: "يا رب افتح عيني عبدك لكي يرى". وعندما انفتحت عيناه رأى مركبات وخيلاً. هؤلاء كانوا مُعينين لهما.

لتلاحظوا أنه قيل "مركبات وخيل" لا يوجد بشر في المركبات وعلى الخيول، إنما توجد مركبات وخيل، بمعنى جموع من الملائكة. كانوا مركبات وخيل، أما قائد المركبة فهو الرب[١]. هذا هو السبب الذي لأجله تغنًّى حبقوق: "مركباتك هي خلاص" (٣: ٨). هذا يُقال لله، إن كنا نحن فقط خيول الله، تعيَّن أن يقودنا الله! أما الخيول الأخرى فينمون نومهم الطويل، ومعهم الذين يقودونهم[٢].

❖ بالنسبة لنا، حياتنا هي حلبة صراع. إننا هنا نجاهد، وهناك نكلل.

لا يستطيع أحد أن يتجنب الخوف عندما تكتنف الحيات والعقارب طريقه... الأرض تنبت فقط شوكًا وحسكًا، وترابها طعام للحية (تك ٣: ١٤، ١٨). "فإن مصارعتنا ليست مع لحمٍ ودمٍ، بل مع الرؤساء، مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢). إننا محاصرون بقوات الأعداء، أعداؤنا من كل جانبٍ. الجسد الضعيف حالاً يصير رفات؛ واحد مقابل كثيرين. يحارب ضد فرق مرعبة. يبقى هكذا حتى ينحل، حتى يأتي رئيس هذا العالم، ولا يجد فينا خطية (يو ١٤: ٣٠).

لذا فلتنصتوا بأمانٍ إلى كلمات النبي: "لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهمٍ يطير في النهار، ولا من وبأ يسلك في الدُجَى" (مز ٩١: ٥-٦)... عندما تضايقك قوات العدو، عندما يُصاب جسدك بحمى، عندما تثور الأهواء فيك، عندما تقول في قلبك: "ماذا أفعل؟" عندئذ تُقدِّم لك كلمات أليشع الإجابة. "لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٦).

إنه يصلي: "يا رب افتح عن عيني أمتك[٣] لكي ترى". عندئذ تتفتح عينيك، فترى مركبة نارية تحملك إلى السماء مثل إيليا (٢ مل ٢: ١١، ٦: ١٧)، عندئذ ترنم بفرح: "انفلتت أنفسنا

---

[1] *Homilies on the Psalms, 9.*
[2] *Homilies on the Psalms, 9*

[٣] هكذا كأن النبي يصلي من أجل كل إنسان وليس فقط من أجل غلامه جيحزي.

مثل العصفور من فخ الصيادين، الفخ انكسر ونحن انفلتنا؟ (مز ١٢٤: ٧)[1].

القديس جيروم

❖ سأريك يا عزيزي الآن كيف كان الله موجودًا حتى في كل واحدٍ من أسلافنا الأبرار الذين كانوا يُصلُّون.

عندما صلَّى موسى على الجبل كان وحده، وكان الله معه. ليس حقيقيًا أن صلاته لم تُسمَعْ لأنه كان وحده، لكن على العكس، فإن صلاة موسى سُمعت بشدَّة ونزعت غضب الله (لأنه كان يحمل إخوته في قلبه).

أيضًا إيليًا كان وحده فوق جبل الكرمل، وأظهرتَ صلاتهُ قوَّة مدهشة. إذ بصلاته أغلقت السماء، وحلَّ الأربطة، وأنقذ الشعب من أيدي الموت، وأبعدهم عن الهاوية. بصلاته أيضًا اقتلع دنس إسرائيل. بصلاتِه نزلت النار في ثلاث مناسبات مختلفة، مرَّة على المذبح ومرَّتين على الشرفاء.

وكانت النار وسيلة انتقام عندما نزلت وهو يصلِّي. وعندما ركع على ركبتيه وصلَّى سُمعت صلاته على الفور، في حين أن الأربعمائة وخمسين صرخوا بأعلى صوت لم تُسمع صلاتهم، لأنها كانت توسُّلاً باسم البعل، لكن إيليا بالرغم من أنه كان وحده، سُمعت صلاته.

كذلك يونان النبي عندما صلَّى من أسفل الهاوية سُمعت صلاته بالرغم من أنه كان وحده، واُستجيبت صلاته فورًا.

أيضًا صلَّى أليشع، فأقام إنسانًا من الهاوية، وأنقذ من أيدي الأئمة الذين أحاطوا به، وبالرغم من أنه في الظاهر كان وحده، ولكن جيشًا عظيمًا كان حوله، لأنه قال لتلميذه: "لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم" (٢ مل ٦: ١٦). بالرغم من أنهما كانا وحدهما، ولكن حقيقةً لم يكونا وحدهما[2].

القدِّيس أفراهاط

وَصَلَّى أَلِيشَعُ وَقَالَ:
يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ.
فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيِ الْغُلاَمِ فَأَبْصَرَ،
وَإِذَا الْجَبَلُ مَمْلُوءٌ خَيْلاً وَمَرْكَبَاتِ نَارٍ حَوْلَ أَلِيشَعَ. [١٧]

لم يطلب أليشع من الرب أن يرسل جيشًا ليحميه هو وتلميذه، لأن الجيش كان بالفعل

[1] *Letter 22. 3.*

[2] *Demonstrations, 4:12 (On Prayer).* ترجمة الدكتور صفوت منير

حاضرًا، وإنما طلب أن يفتح الله عيني الغلام. بشفاعة النبي (عب ١: ١٤) انفتحت عينا تلميذه عندما اهتز إيمانه، انفتحت لرؤية الحضرة الإلهية تحيط به.

ليس لدى الله جيوش مادية ومركبات وأسلحة جسدية، لكننا لا نستطيع أن ندرك الروحيات إلا من خلال صور جسدية.

كان أعداء إسرائيل غالبًا ما يحاولون أن يرعبوهم بالمركبات (خر ١٤: ٧؛ قض ٤: ٣؛ ١ صم ١٣: ٥؛ ٢ صم ٨: ٤؛ ١٠: ١٨)؛ لكن كيف يمكن لهذه المركبات أن تقف أمام مركبات الله؟! عندما انفتحت عينا جيحزي كطلب أليشع النبي "أبصر، وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع" (٢ مل ٦: ١٧).

تُرسَل الملائكة لخدمة مُعيَّنة لحساب خائفي الرب الذين يرثون الخلاص (عب ١: ٦-٧). إنه من اللائق بنا جدًا أن نفكر في خدمة الملائكة بفكر سليمٍ مُفرحٍ، وقد أشار الكتاب المقدس كثيرًا إلى ذلك (٢ مل ٦: ١٥-١٧؛ مز ١٦: ١١؛ لو ١٦: ٢٢). فإن كان أعداؤنا كثيرين جدًا وأقوياء، لكن هؤلاء الرسل السمائيين هم أكثر في العدد وأعظم في القدرة. توجد جماعة بلا حصر متفوقون في القوة يسندوننا[١].

الله في حبه لنا يسكن في وسطنا، بل وفينا، ويُقيم ملائكته حراسًا لنا ضد الشر. أرسل ملاكًا ليُخرِجَ الرسول بطرس من السجن. ويضرب هيرودس مُضطهِده فصار يأكله الدود ومات (أع ١٢).

❖ يا لإيمان النبي القدِّيس! إنه لا يخاف الخصوم الذين يراهم، إذ يعرف أن الملائكة مع ذاك الذي يؤمن بالله. لا يخشى الخطط الأرضية، لأنه يعرف أن القوات السماوية حاضرة معه. يقول: يوجد كثيرون في جانبنا أكثر من الذين في جانبهم. يا له من أمرٍ ملحوظ! يوجد مدافعون كثيرون من السماء نؤهل لهم بالقداسة، أكثر من المهاجمين على الأرض الذين يأتون بسبب الشر. تطلّعوا إلى استحقاق التطويب!

كان النبي يتحدث عن جموع كثيرة بينما كان خادمه غير واثقٍ في الخلاص. كم تتأهل العيون الروحية للتمييز عن العيون الجسدية! واحد يرى حشدًا من المحاربين، والآخر يتمتع بمنظرٍ يشير إلى الحماية.

يا للرحمة الإلهية! توهب الكائنات البشرية عونًا غير منظورٍ. أولئك الذين هم في خطرٍ ينالون معونة وهم لا يعرفونها. هذا هو حنو المُخلِّص؛ إنه يتدخل لأجل الخلاص ولا يدع نفسه منظورًا، حتى يُلمَسَ من خلال معونته، ولا يُميَّز خلال الرؤية.

---

[1] *Plumer: The Psalms, p. 425.*

لذلك يُخطئ من يظن أنه يشن حربًا ناجحة وينتصر بقوته. إنما يلزم أن يعرف أن الخصوم يُهزَمون بالأكثر خلال الاستحقاق أكثر من القوة، ويُقهَرون بالأكثر بالقداسة لا بالقوة. وذلك كما غلب أليشع أعداءه لا بالجيوش، بل بالصلاة[١].

الأب مكسيموس أسقف تورين

❖ من المؤكد أن الرب يدعو النفوس البشرية كرمه، تلك النفوس التي أحاطها بسلطان تعاليمه وحراسة ملائكته[٢].

القديس باسيليوس الكبير

❖ إن قوة غير مرئية دمَّرتْ قوات المصريين خلال معجزة البحر الأحمر، وهذه القوة يُسمِّيها النص "الفرسان"، ويمكن أن نفترض أن الفرسان كانوا جيشًا من الملائكة التي يذكرها حبقوق النبي: "ركبت خيلك ومركباتك مركبات الخلاص" (حب ٣: ٨). وذكر داود أيضًا مركبات الله قائلا: "مركبات الله ربوات" (مز ٦٨: ١٧)[٣].

❖ أولئك الذين يشير إليهم النص (نش ٥: ٧) كحرس المدينة هم الأرواح الخادمة المُرسَلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص...

جيد للنفس أن يجدها الملائكة الذين يطوفون حول المدينة (السماوية)[٤].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ إذ كنتُ أعدُّ نفسي للزواج بابن الملك، بكر كل خليقة، رافقتني الملائكة وخدمتني وقدَّمتْ لي الناموس كهدية عرس[٥].

❖ هؤلاء هم الملائكة حراس الأطفال الذين يرون وجه الآب في السماء[٦].

❖ حينما رأت الملائكة ملك الطغمات السمائية يسير في أماكن الأرض، دخلوا الطريق الذي افتتحه، وتبعوا ربهم، وأطاعوا إرادته، ذاك الذي وزعهم على المؤمنين لحراستهم. الملائكة في خدمة خلاصك... إنهم يقولون فيما بينهم: "إن كان قد أخذ (المسيح) جسدًا قابلاً للموت، فكيف نقف نحن مكتوفي الأيدي؟ تعالوا أيها الملائكة، لننزل جميعًا من السماء". هذا هو السبب الذي

---

[1] *Sermon 83:2-3.*
[2] *Haexaemeron 5: 6.*

[٣] عظة ٣ على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[4] *Comm. on Cant., serm. 8.*
[5] *Comm. in Cant. 1.*
[6] *Comm. in Cant. 2.*

لأجله كانت جموع الطغمات السمائية تمجد الله وتسبحه عند ميلاد المسيح. لقد امتلأ كل موضع بالملائكة[1].

❖ إن كان ملاك الرب يعسكر حول خائفيه وينجيهم (مز ٣٣: ٨)، فيبدو أنه متى اجتمع عدد من الناس لمجد المسيح، يكون لكل منهم ملاكه يعسكر حوله، إذ هم خائفو الرب. كل ملاك يرافق إنسانًا يحرسه ويرشده، وبهذا متى اجتمع القديسون معًا تقوم كنيستان: كنيسة من البشر، وأخرى من الملائكة[2].

العلامة أوريجينوس

❖ ما هذا؟ "**رأينا مجده مجدًا كما لوحيدٍ من الآب**". ما كان يمكننا أن نرى (مجده) ما لم يُظهره لنا خلال جسد يَخفيه ويعيش بيننا...

ولكن ماذا يعني "**مجدًا كما لوحيدٍ من الآب**"؟ حيث أن كثيرًا من الأنبياء أيضًا قد تمجدوا، مثل موسى وإيليا وأليشع. فأليشع أحاطت به مركبة نارية (٢ مل ٦: ١٧)، وإيليا صعد عليها، وبعدهما دانيال والثلاثة فتية وآخرون كثيرون أظهروا عجائب ومُجِّدوا، وظهرت ملائكة للبشر وأعلنوا جزئيًا لناظريهم نورًا لامعًا يناسب طبيعتهم... بل ظهر لهم حتى الشاروبيم والسيرافيم.

يقودنا الإنجيل بعيدًا عن كل هذه، وعن الخليقة، وبهاء العبيد زملائنا، ويضعنا أمام ذروة الأمور الصالحة... السيد نفسه، الملك ذاته، الابن الوحيد الأصيل، رب الكل نفسه، رأينا مجده.

تعبير "كما" لا يعني هنا المشابهة أو المقارنة، وإنما لفظة تحقيق وتحديد خالٍ من الشك، كأنه قال: "ورأينا مجده مجدًا كما وجب أن يمتلكه ابن وحيد خالص لإله الخليقة كلها وملكها"[3].

القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

❖ عندما ظن أليشع أنه وحده في البرية، كان معه رفاق من الملائكة. لذلك فإنه إذ يتألم الناس في البداية في البرية، لكن من يبقى أمينًا يدخل فيما بعد أرض الموعد[4].

القدّيس أثناسيوس الرسولي

❖ اعتقد أنه إن كانت النفس نقية بالكمال وفي وضعها الطبيعي، يمكنها بكونها تحمل بصيرة نقية أن ترى أكثر وأفضل من الشياطين، إذ لها الرب الذي يُعلِن لها ذلك، وذلك مثل نفس أليشع

---

[1] *In Ez., hom. 1: 7.*

[2] *Fr. Malaty: Church, House of God, p. 332.*

[3] *Homilies on St. John Homily 12:1.*

[4] *Paschal Letter 10:6.*

التي رأت ما فعله جيحزي، كما رأت القوات (٢ مل ٦: ١٧) التي تقف حوله[1].

القدّيس أنبا أنطونيوس الكبير

٤. خيرات عِوَض المجاعة

إذ ظن ملك أرام أن عدوه الحقيقي الذي يُفسِد كل خططه العسكرية هو أليشع أرسل قوات وجيشًا ثقيلاً للقبض عليه، فإذا بأليشع يُلقِي القبض عليهم، ويطلب من ملك إسرائيل أن يُقدِّم لهم وليمة، علامة إقامة عهد بين الطرفين.

وَلَمَّا نَزَلُوا إِلَيْهِ صَلَّى أليشع إِلَى الرَّبِّ:
اضْرِبْ هَؤُلاَءِ الأُمَمَ بِالْعَمَى.
فَضَرَبَهُمْ بِالْعَمَى كَقَوْلِ أليشع. [١٨]

يُفهَم من نزولهم إليه أن أليشع خرج من المدينة، وكان الأراميون قد حلُّوا في مكان أعلى من دوثان، فنزلوا لكي يلقوا القبض عليه.

ربما لم يصابوا بالعمى الكامل، لكنهم أصيبوا بالعجز عن تمييز ما يتطلعون إليه بوضوح، لهذا كانوا قادرين على السير وراء أليشع، لكنهم لم يعرفوا أليشع، ولا الطريق الذي ساروا فيه.

❖ بالتأكيد أيها الجنود المحيطون، تسمعون أنه حيث يوجد غدر يكون هناك عمى. لذلك بحقٍ كان جيش غير المؤمنين أعمى. ولكن حيث يوجد إيمان، يوجد جيش الملائكة.

صالح إذن هو الإيمان، الذي يمارس غالبًا سلطانه بين الأموات (كو ٢: ١٢؛ أع ١٧: ٣١).

لذلك عدونا (إبليس) وحشوده يرتدُّون بقوة بفضيلة الشهداء[2].

القدّيس أمبروسيوس

❖ **رجل واحد قاد كل الجيش بدون قتال، وهم أضعف وأوهن من أن يتخلصوا منه.**

عرقل نظرهم، وربط أعينهم، واقتادهم إلى حيث شاء، وأذلهم.

أُرسلوا ليصطادوه مثل الجبابرة، فاصطادهم هو، وجلبهم مثل الضعفاء.

جلب ثوب الضلالة وبسطه على وجوههم، واقتادهم مثل عميان حتى يخزيهم.

ذهبوا معه وهم ينظرون إليه دون أن يروه ليصيروا سخرية بجنونهم على من تجاسروا.

---

[1] *Vita Antoni, 34.*

[2] *On the Death of Theodosius, 10.*

ضُرِبَ الأشقياء من قبل ملائكة الله التابعين له، وهرب نور وجوههم[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

❖ هكذا كان شاول مُضطهِد الكنيسة، الذي كانت عيناه مفتوحتين دون أن يرى (أع ٩: ٨)، والذي أغلق الله عينيه بطريقة عجيبة، لكن فتحهما مرة أخرى سريعًا[2].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ "الرب رحوم وعادل" (مز ١١٤: ٥). لذلك ليتنا لا نعرف الله بطريقة جزئية، ولا نجعل من حنوّه عِلّة لإهمالنا... ذاك الذي يجعل الشمس تشرق (مت ٥: ٤٥)، هو أيضًا يضرب الناس بالعمى (٢ مل ٦: ١٨). ذاك الذي يُرسِل المطر (زك ١٠: ١)، هو أيضًا يجعل مطرًا من نارٍ (تك ١٩: ٢٤)[3].

القديس باسيليوس الكبير

فَقَالَ لَهُمْ أَلِيشَعُ:
لَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَ، وَلاَ هَذِهِ هِيَ الْمَدِينَةَ.
اتْبَعُونِي، فَأَسِيرَ بِكُمْ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي تُفَتِّشُونَ عَلَيْهِ.
فَسَارَ بِهِمْ إِلَى السَّامِرَةِ. [١٩]

عندما ذهب أليشع لملاقاة أعدائه. قال لهم: "ليست هذه هي الطريق، ولا هذه هي المدينة. اتبعوني، فأسير بكم إلى الرجل الذي تُفتشون عليه" (٢ مل ٦: ١٩). كيف يكذب رجل الله على هؤلاء الجنود؟ هل الكذب مُبَاح في حالة الحروب؟

ما قاله أليشع لم يكن في الحقيقة كذبًا، لأن جنود أرام كانوا ذاهبين إلى دوثان لأسر أليشع، لكن الله أعماهم، وجاء أليشع إلى المدينة للقائهم خارج المدينة، وكان ذلك فعلاً خارج دوثان، وبهذا لم يكن دخول دوثان هو الطريق الصحيح للقبض على أليشع. ذهب أليشع أمامهم إلى السامرة، وقال لهم: "اتبعوني فأسير بكم إلى الرجل الذي تفتشون عنه"، وكان هذا صحيحًا. سار بهم إلي السامرة، وعندما وصل هناك، فتح الله أعينهم ورأوا أليشع، فسأل الملك أليشع هل أقتلهم، لكن أليشع طلب أن يوضع أمامهم خبز وماء.

فَلَمَّا دَخَلُوا السَّامِرَةَ، قَالَ أَلِيشَعُ:

---

[1] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٣٢.

[2] *On the Second Book of Kings, 6:18.*

[3] *The Long Rules: Preface.*

يَا رَبُّ افْتَحْ أَعْيُنَ هؤُلاَءِ فَيُبْصِرُوا.
فَفَتَحَ الرَّبُّ أَعْيُنَهُمْ، فَأَبْصَرُوا،
وَإِذَا هُمْ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ. [٢٠]

كما طلب لهم العمى طلب من الله أن يفتح لهم أعينهم، فالله في سلطانه أن يسمح بالعمى لأجل تأديبهم وتعرفهم على عجزهم، وأن يسمح لهم بالبصر لكي تبصر قلوبهم الحق الإلهي.

يقول **القديس أمبروسيوس**: [على أي الأحوال أراد أليشع أن يُخلِّصَ لا أن يهلك هؤلاء الذين خُدِعوا بالحق، فإنهم لم يُصابوا بالعمى بتصرفٍ غبيٍ بل بقوة الرب.]

❖ قادهم وأدخلهم إلى قلب السامرة، ودعا الرب، ففتح عيونهم المُغلَقة.

رفع عنهم الضلالة التي لبسوها، فاستناروا وعرفوا أين هم؟ وكيف أتوا؟

عرفوا أيضا أنه الرجل الذي كانوا يطلبونه، فخافوا واضطربوا، كيف لم يعرفوه في الطريق.

فهموا أنه أليشع، وأنهم كانوا يبحثون عنه، وهو يتكلم معهم في الطريق ولم يعرفوه.

أضحى الأشقياء مُلامين وضعفاء ومملوءين خوفًا، ومحتقرين، وجهلة، وتحت الموت الذي أفزعهم.

نظروا إلى رجل الله كيف هو، واحتقروا الملك الذي أرسلهم[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لأَلِيشع لَمَّا رَآهُمْ:
هَلْ أَضْرِبُ؟ هَلْ أَضْرِبُ يَا أَبِي؟ [٢١]

سبق أن استخدم أليشع تعبير "يا أبي" في حديثه عن إيليا النبي، كما استخدم خدام نعمان نفس الاصطلاح في حديثهم مع نعمان، وها هو ملك إسرائيل أيضًا يستخدم ذات التعبير في حديثه مع أليشع النبي.

مع أن ملك إسرائيل كان شريرًا، لكنه كان يُقدِّر أليشع، ويُدرِك تقواه، فدعاه: "يا أبي". طلب أليشع النبي من الملك ألا يقتل الأراميين، إذ كان يجب على الملك ألا ينسب لنفسه الفضل فيما فعله الله وحده، بل يستضيفهم ليشهدوا لله الذي يريد أن يفتح العيون الداخلية لترى مراحم الله وتُدرِك خطته.

يُعلِّق **القديس أمبروسيوس** على تصرُّف أليشع الذي آمن بحماية الله وفي نفس الوقت لم

---

[1] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٣٤.

ينتقم لنفسه، بل بالبرّ طلب تقديم طعام للجند الذين سلّمهم الرب له دون تعبٍ بشريٍ. يقول: [واضح من هذا أن الإيمان والبرّ يجب حفظهما حتى في الحرب، وأنه لأمر مشين أن يُنتَهك الإيمان[1].]

❖ ماذا اتبع أليشع سوى الفضيلة، عندما أحضر جيش سوريا الذي جاء لكي يقبض عليه ويسبيه، بعد أن غطّى أعينهم بالعمى؟ قال: "يا رب افتح أعين هؤلاء فيبصروا" (٢ مل ٦: ٢٠)، فأبصروا. وعندما أراد ملك إسرائيل أن يقتل أولئك الذين دخلوا، وطلب إذنًا من النبي بذلك، أجابه بأن هؤلاء الذين جاءوا إلى السبي ليس بقوة الذراع ولا بأسلحة الحرب، يلزم ألا يُقتلوا، بل يُمدُّوا بالطعام[2].

القدّيس أمبروسيوس

فَقَالَ: لاَ تَضْرِبْ!
تَضْرِبُ الَّذِينَ سَبَيْتَهُمْ بِسَيْفِكَ وَبِقَوْسِكَ.
ضَعْ خُبْزًا وَمَاءً أَمَامَهُمْ،
فَيَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا، ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِهِمْ. [٢٢]

فَأَوْلَمَ لَهُمْ وَلِيمَةً عَظِيمَةً،
فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا،
ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ، فَانْطَلَقُوا إِلَى سَيِّدِهِمْ.
وَلَمْ تَعُدْ أَيْضًا جُيُوشُ أرام تَدْخُلُ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. [٢٣]

إن كانت القصة في بدايتها مدهشة، إلا إنها تكشف عن رعاية الله الفائقة للملتصقين به، غير أن نهايتها أكثر دهشة، فقد اقتاد أليشع الجيش القادم للقبض عليه إلى المدينة، وكان يُمكن قتلهم جميعًا بسهولة. لكن عوض ذلك طلب من ملك إسرائيل أن يُعدَّ لهم وليمة ويتركهم يرجعون إلى بنهدد دون أن تصيبهم أذية.

عاملهم النبي كضيوفٍ وأكرمهم، إذ طلب من الملك أن يقوتهم. وكان لهذا العمل أثره الطيب عليهم كما على ملك أرام، فلم يرسل بعد جيوشًا إلى أرض إسرائيل إلى حين.

مارس أليشع محبة الأعداء (٢ مل ٦: ٨-٢٦)، وقدَّم لنا السيد المسيح نفسه مثلاً لمحبة الأعداء (لو ٢٢: ٤٩-٥١). وهكذا عاشت الكنيسة الأولى تمارس وصية محبة الأعداء (أع ٧ ٥٩-٦٠؛ رو ١٢: ٢٠).

---

[1] *St. Ambrose: Duties of the Clergy, book 1.29:140.*
[2] *Duties of the Clergy, Book 3,14 (86).*

عمل المحبة الصادر عن قلب نقي أزال العداوة التي في أرام ضد إسرائيل إلى حين.

لا نعلم المدة التي كفَّ فيها الأراميون عن مهاجمة المملكة الشمالية، لكن الأرجح أنه قد مضت بضع سنوات قبل حدوث الهجوم المذكور في ع ٢٤، إذ نسي الأراميون هذه القصة.

❖ تأثروا بالمعاملة اللطيفة، فالتزموا أن يظهروا للعالم ما تلقُّوه من لطفٍ. نقرأ: "لم تعد جيوش سوريا تدخل إلى أرض إسرائيل" (٢ مل ٦: ٢٣)[1].

القدِّيس أمبروسيوس

❖ أتى بهم كأعداء لملك السامرة مثل الضعفاء، وأقامهم أمام وجهه...

رآهم الملك وتحرك مثل الجبار ليقتلهم، وكأنه هو الذي انتصر وأتى بهم وحبسهم.

طلب أن يرفع يده ويبيدهم بالسيف، أما رجل الرب فمنعه من أن يصنع بهم شرًا.

أيها الملك، إنك لم تُضعفهم في حربٍ، فلا تضربهم بقوسك ولا بسيفك.

لا تفتخر بنصرة ليست هي نصرتك، أطعمهم واسقهم واجعلهم يدهشون.

تغلَّب على الشر بالخير الذي سيصير للأراميين...

يليق بقديس الله أن يُطعِمَ الرجال الذين أتوا ليصطادوه.

بالأعجوبة العظمى التي صنع أفزعهم، وملأهم دهشة عظمى، ثم أرسلهم.

صنع سلامًا بين للجانبين بدون قتال، مبارك هذا الذي أعطاه القوة والبأس والجبروت[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

وكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ بَنْهَدَدَ مَلِكَ أرام جَمَعَ كُلَّ جَيْشِهِ،
وَصَعِدَ، فَحَاصَرَ السَّامِرَةَ. [٢٤]

الأرجح أن هذا كان بنهدد الثاني الذي حكم أبوه أرام في أيام الملك بعشا (١ مل ١٥: ١٨). وقد أحبط أليشع محاولات بنهدد الثاني للاستيلاء على إسرائيل.

وكَانَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي السَّامِرَةِ.
وَهُمْ حَاصَرُوهَا،
حَتَّى صَارَ رَأْسُ الْحِمَارِ بِثَمَانِينَ مِنَ الْفِضَّةِ،
وَرُبْعُ الْقَابِ مِنْ زِبْلِ الْحَمَامِ بِخَمْسٍ مِنَ الْفِضَّةِ. [٢٥]

---

[1] *Duties of the Clergy, Book 1, ch. 29 (139).*

[2] الميمر ١٢٠ الخامس على أليشع: وعلى رؤيا القديسين القادرة أن ترى الخفايا (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٣٥-١٣٦.

سبق أن أنبأ سفر التثنية بحدوث المجاعات عندما يرفض إسرائيل قيادة الله له.

يبدو للنبي أن هذا الحصار يُعتبَر أبشع حصار عرفه التاريخ. فقد دفعهم الجوع الشديد إلى ممارسة ما هو ليس بإنساني (٢ مل ٦: ٢٥-٢٩).

إذ رفضوا كلمة الله، طعام الروح، صاروا في مجاعة خطيرة، وتحولَتْ أعماقهم إلى صورة وحشية، يمارسون ما لا تفعله الوحوش بالغريزة الطبيعية.

جاء في تهديدات الله لشعبه أنهم إن عبدوا الأوثان وعصوا الوصية الإلهية، يسمح لهم بضربة القحط "بكسري لكم عصا الخبز، تخبز عشر نساء خبزكم في تنور، ويرددون خبزكم بالوزن، فتأكلون ولا تشبعون" (لا ٢٦: ٢٦). يكسر الله لهم عصا الخبز، أي يقطع عنهم خبز الحياة، الكلمة الإلهية، فتعيش نفوسهم في جوعٍ، لا تجد عصا تتكئ عليها. أما علامة القحط فهو عوض أن يكون لكل سيدة تنور أي فرن خاص بها، تضع فيه الخبز لتسويته، تستخدم كل عشر نساء تنورًا واحدًا. إذ ليس لدى كل منهن خبز يحتاج إلى تنور، وليس لديها الوقود اللازم لإشعال التنور.

العلامة الثانية للقحط هي الحرص في الخبز، فيستخدمونه بالوزن لقلة كميته، وانتزاع البركة عنهم. ويصل القحط مداه حين **تمتد أيدي الوالدين لأكل لحوم أولادهم**، كما حدث في أيام يهورام بن أخآب ملك إسرائيل، إذ اتفقت امرأتان أن تطبخ كل منهما ابنها في يوم لتأكلاه معًا (٢ مل ٦: ٢٤-٣٠)، وأيضًا في أيام حصار ملك بابل لأورشليم، إذ قيل: **"أيادي النساء الحنائن طبخت أولادهن، صاروا طعامًا لهن في سحق بنت شعبي"** (مرا ٤: ١٠)، وتكرر الأمر حين حاصر تيطس الروماني أورشليم.

صارت رأس الحمار التي لا تؤكل مطلقًا ثمينة جدًا بسبب المجاعة.

يرى **القدِّيس مار أفرآم السرياني** أن رأس الحمار هنا تشير غالبًا إلى تعاليم الفلاسفة المقاومين للحق الإلهي، تصير في وقت المجاعة التي تسيطر على الأرض ثمينة للغاية. ويشير زبل الحمام غالبًا إلى التفسير الحرفي للناموس، أما الحمام فيشير إلى التفسير الروحي.

يرى البعض أن هذا الحصار تم بعد المجاعة التي حلت لمدة سبع سنين والمشار إليها في الأصحاح ٨: ١-٢. وكان الموقف حرجًا للغاية، حتى صار ثمن الأكل الدنس (دينيًا) باهظ التكلفة (رأس الحمار).

القاب: هو معيار يعادل نصف جالون يستخدم لكيل الأمور الجافة.

زبل الحمام: يرى البعض أنه نبات بصيلي يؤكل. هذا النبات يُدعَى حاليًا "نجمة بيت لحم".

وَبَيْنَمَا كَانَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ جَائِزًا عَلَى السُّورِ
صَرَخَتِ امْرَأَةٌ إِلَيْهِ:
خَلِّصْ يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ. [٢٦]

فَقَالَ: لاَ! يُخَلِّصكِ الرَّبُّ.
مِنْ أَيْنَ أُخَلِّصُكِ؟
أَمِنَ الْبَيْدَرِ أَوْ مِنَ الْمِعْصَرَةِ؟ [٢٧]

ثُمَّ قَالَ لَهَا الْمَلِكُ: مَا لَكِ؟
فَقَالَتْ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ قَالَتْ لِي:
هَاتِي ابْنَكِ فَنَأْكُلَهُ الْيَوْمَ، ثُمَّ نَأْكُلَ ابْنِي غَدًا. [٢٨]

حَذَّرتْ إسرائيل من العصيان، فإن هذا يدفع الشعب إلى تصرفات تعوفها النفس (لا ٢٦: ٢٩؛ تث ٢٨: ٥٣، ٥٧).

فَسَلَقْنَا ابْنِي وَأَكَلْنَاهُ.
ثُمَّ قُلْتُ لَهَا فِي الْيَوْمِ الآخَرِ: هَاتِي ابْنَكِ فَنَأْكُلَهُ،
فَخَبَّأَتِ ابْنَهَا. [٢٩]

بمرثاة فريدة يصوِّر لنا **القديس مار يعقوب السروجي** سهم الجوع يطعن قلب الأمهات، فتحولّن إلى وحوش مفترسة. لا بل وأكثر شراسة، لأن الوحوش لا تفترس صغارها؛ وهوذا الأمهات من جنس البشر تضربن بالسكين في أعناق أطفالهن، ولا يبالين بصرخاتهم. تَصْبَغُ أياديهن في دم أطفالهن، وتلتهم أفواههن لحمهم لكي يعشن! قدَّمتْ الأمهات لأطفالهن عذرًا، فإن لم يأكلن الأطفال، فالمجاعة تأكلهم، ويموت الأطفال مع الأمهات!

❖ ماذا أقول عن تلك المجاعة التي حدثت هناك، حتى أكلت النساء أبناءهن بسبب الضيق؟

إنه خبر مُخيف تهرب منه الأذن، ورعدة عظيمة أن تأكل النساء أحباءهن.

أفسد الجوع أرحام النساء الوالدات، لئلا يُشفقن على أولادهن عندما يقتلونهم.

بدل أمهات صرن حيوانات مفترسة، وبسبب الضيق أكلن لحم أحبائهن.

طرد الجوع شفقة الأم وهزمها، لئلا تعود إلى الابن الذي يهلك.

طعن سهم الجوع المُرضِعة، وركعت وسقطت، وشرعت تأكل من حبيبها لكي تحيا.

يا للهول العظيم! أمسكت بالوارث لتقتله، وهربت محبة الأمهات بسبب المجاعة التي حدثت.

لم تخَف عندما صرخ الطفل تحت السكين، ولم ترتعب حين سبَحَتْ يداها في دمه[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلاَمَ الْمَرْأَةِ،
مَزَّقَ ثِيَابَهُ وَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى السُّورِ،
فَنَظَرَ الشَّعْبُ، وَإِذَا مِسْحٌ مِنْ دَاخِلٍ عَلَى جَسَدِهِ. [٣٠]

لقد مزق الملك ثيابه، وظهر أنه كان مرتديًا مُسحًا، لكنه لم يُلق باللوم على نفسه، بل على أليشع النبي وأراد قتله. لا نفع للمسوح مع قسوة القلب وعدم التوبة. كان يرتدي المُسح في الداخل، ربما لإرضاء الله أو الآلهة، ولكي لا يحبط همة شعبه.

❖ اضطرب الملك، لأن هاتين المرأتين أرادتا أن يقتاتا ليس بأجسام بشرية فحسب، وإنما بجسمي طفليهما...

هدد (الملك) أليشع النبي بالموت. إذ اعتقد أن في سلطانه أن يحطم الحصار، وأن يتجنب المجاعة. وربما غضب، لأن النبي لم يسمح للملك أن يقتل السريان الذين ضربهم بالعمى[2].

القدِّيس أمبروسيوس

فَقَالَ: هَكَذَا يَصْنَعُ لِي اللهُ وَهَكَذَا يَزِيدُ،
إِنْ قَامَ رَأْسُ أَلِيشَعَ بْنِ شَافَاطَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ. [٣١]

لم يكن ملك إسرائيل يجهل شخصية أليشع وقداسته وإمكانياته. كان يليق أن يرجع إليه ويسأله كيف يتقدس هو ورجاله وشعبه، فيقوم الرب بإنقاذهم. لكنه حمل روح أمه إيزابل التي كانت مُحبة لسفك الدماء. يرى **القدِّيس مار أفرآم السرياني** أن يهورام ملك إسرائيل ثار على أليشع في غضب، وقال: "بالأمس قدَّم طعامًا بوفرة للصوص الأراميين، واليوم يعطي تلاميذه فيض من الخبز ولا ينقصهم طعام، لكنه لا يبالي بشعب هذه المدينة، ويتجاهلهم في عوزهم". فأقسم أن يقتله من أجل دم شعبه. كان يليق بيهورام ألا يلوم أليشع، بل يلوم أخآب والده، الذي احتقر الأنبياء. بالحقيقة لو اتبع كلماتهم وقتل بنهدد، لما كان هذا الملك قد حاصر السامرة، ولما ألقى به في مثل هذه الكوارث.

دعي يهورام بن أخآب ابن القاتل، لأنه قتل أنبياء الرب (١ مل ١٨: ١٣)، وقتل نابوت (١ مل ٢١: ٩-١٣)، واضطهد عبيد للرب وأفناهم (١مل ١٩: ١٨). جاءت أعمال يهورام تؤكد

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لإليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٤٣-١٤٤.

[2] *Duties of the Clergy, Book 3, 20 (118).*

أنه ابن القاتل، لأنه لم يتب بل سلك بروح الشر الذي لأبيه.

ألقي الملك باللوم على أليشع، الذي لم يتحرك لينقذ البلاد من هذه الكارثة، فأقسم بقتله فورًا. ثار عليه، لأنه ظن أنه قادر أن يُخلِّصَه دون أن يُقدِّم توبة لله صادقة. أعلمه الله النبي بما في نية الملك، فأخبر النبي الشيوخ بأن رسول الملك قادم ويتبعه الملك مباشرة. طلب ألا يسمحوا للرسول بالدخول حتى يأتي الملك.

❖ ارتجف الملك من الخبر المُخيف الذي ذُكِرَ، ومزَّق ثوبه وولول وصرخ بسبب ما سمعه.

أقسم وهدد أليشع الإلهي بقطع رأسه، بسبب الخبر المريع الذي سمعه.

أيها الملك، بماذا أذنبَ إليك نبي الرب؟ إنه صامت في بيته، وهو مُحاصَر مثلك في المدينة؟

إن أكلت النساء أبناءهن، فما شأنه وبنات السامرة اللواتي قتلن وأكلن أحباءهن؟

إن كان يضايقك الأراميون، فما شأنه؟ لأنه ليس له رئيس فوج، ولا قائد جيش، فماذا يصنع لك؟

بماذا أخطأ إليك هذا الرجل النبي، حتى تهدد بقطع رأسه كأنه أرامي؟

لك السلاح، ولك قادة الجيوش، اخرج وحارب، وألا لا تهدد أليشع...

عرف ملك السامرة من هو الرجل، وكان واثقًا من أنه إن أراد يصنع الخلاص...

فكر بأنه إن صلى... تخرج صلاته، وتهلك آلاف الأراميين.

إن دعا النار تنزل على الذين في الخارج، وإن أمر الأرض بإشارة لابتلعتهم.

إن أرسل كلمته تخرج على صفوفهم، ويهزمهم بلا قتال، ويبيدهم.

كان الملك مُحاصرًا في المدينة، صامتًا عن ضيق، ولا يحزن على النساء لأنهن أكلن أحباءهن.

هذا الملك هو ابن إيزابل المتعطشة إلى الدم، وقد تهيأ ليجدد ما صنعته أمه.

عرف بأن لدى أليشع القوة، فلماذا لم يتوسل قبل أن يهدده ليقوم بعملٍ ما؟

المدينة محاصَرة بسبب خطايا بني الشعب، والجاهل يهدد بقطع رأس هذا القديس[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

وكَانَ أَليشع جَالِسًا فِي بَيْتِهِ وَالشُّيُوخُ جُلُوسًا عِنْدَهُ.

فَأَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ أَمَامِهِ.

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لإليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٤٧-١٤٨.

وَقَبْلَمَا أَتَى الرَّسُولُ إِلَيْهِ، قَالَ لِلشُّيُوخِ:
هَلْ رَأَيْتُمْ أَنَّ ابْنَ الْقَاتِلِ هذَا قَدْ أَرْسَلَ لِيَقْطَعَ رَأْسِي؟
انْظُرُوا إِذَا جَاءَ الرَّسُولُ، فَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَاحْصُرُوهُ عِنْدَ الْبَابِ.
أَلَيْسَ صَوْتُ قَدَمَيْ سَيِّدِهِ وَرَاءَهُ؟ [٣٢]

تمتع أليشع النبي بموهبة الكشف عن الخفيات. رأى وهو في بيته خطة الملك لقطع رأسه وأدركها.

❖ شعر أليشع وهو جالس في بيته أن الملك عزم فأرسل لقطع رأسه.

رأى ببصيرته الروحية الرسول الذي خرج ليأتي للتنفيذ.

مع أنه كان بعيدًا، رأى عن قُرب العمل البغيض، وكشف للشيوخ الجالسين عنده عن الرسول.

طلبوا منه أن يصنع الأمان وكأنه الحاكم، وأن يزجر الأراميين فيهربون.

وأن يصنع الرخاء في السامرة المتضايقة، ويعطي كل الخيرات للشعب المُحاصَر...

لتهزم الأراميين أو تموت، وطالبوه بالأمان والشبع العظيم[١].

القدّيس مار يعقوب السروجي

وَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ إِذَا بِالرَّسُولِ نَازِلٌ إِلَيْهِ.
فَقَالَ: هُوَذَا هذَا الشَّرُّ هُوَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ.
مَاذَا أَنْتَظِرُ مِنَ الرَّبِّ بَعْدُ؟ [٣٣]

يتساءل البعض من المتكلم هنا، حيث قيل: "فقال هوذا هذا الشر من قبل الرب، ماذا انتظر من الرب بعد؟!" [٣٣] هل هو حديث الملك على لسان رسوله، أم هي كلمات أليشع النبي بعد وصول الرسول، وتقديم رسالة الملك للحاضرين.

يرى البعض أن الرسول قدّم رسالة الملك التي تحمل مرارة من جهة الله ونبيّه أليشع، وعندما حاول أليشع النبي أن يدعو إلى التوبة، أجابه الرسول نيابة عن الملك: "إن كان ما قد حدث من ضيق ومرارة جاء من قبل الرب، حتى التجأت الأمهات إلى أكل أطفالهن بسبب شدة الجوع وظهور شبح الموت أمام أعينهن، فماذا ينتظر الملك بعد من الرب الذي نبيّه هو أليشع؟" هذا هو أسلوب الكثيرين حين تشتد التجربة، يلقون باللوم على الآخرين، بل وعلى الله نفسه. هنا باسم الملك يهاجم الرسول إله إسرائيل ونبيّه أليشع.

---

[١] الميمر ١٢١ السادس لإليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٤٩.

لماذا ألقى الملك باللوم على أليشع النبي بخصوص المجاعة ومتاعب الحصار؟

أولاً: ربما أخبره أليشع النبي بضرورة الرجوع إلى الله بالتوبة، وبالفعل لبس الملك المسوح، لكنه لم يرجع بقلبه إلى الله، وإذ لم يُرفَع الحصار حسب مشورة النبي خداعًا له.

ثانيًا: على مدى قرون كان الصراع بين الملوك والأنبياء مُرًا، فكان الملوك يتطلعون إلى الأنبياء بأنهم مصدر المتاعب.

ثالثًا: ربما تذكر الملك كيف أنهى إيليا النبي المجاعة (١ مل ١٦:٤١-٤٦)، فأدرك أنه في إمكانية أليشع أن يفعل ذلك إن أراد، فغضب عليه لأنه لم يفعل شيئًا لإنقاذ المملكة.

من وحي ٢ مل ٦

ضاق الموضع بنا!

❖ مع بني الأنبياء نصرخ إليك:
الموضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك ضيّق علينا!
هب لنا أن تذهب بنا إلى الأردن،
ونعمل لأنفسنا موضعًا نقيم فيه.

❖ في مياه الأردن نرى خشبة صليبك!
تنزل إلينا حتى الأعماق، فترفعنا إلى السماء.
نتحرر من التنين الرابض في الأعماق.
وننعم بالسلام كأبناء لله الأحرار.

❖ نشتاق أن تجتذب كل نفسٍ إليك.
فيجد الكل موضعًا في أحضانك، يستقرون فيه.

❖ تهبنا مع أليشع النبي بصيرة روحية.
فلا نرى ملك أرام وهو يُخَطِّط ضدَّنا،
بل نتعرَّف على حيَل إبليس الذي يعمل لهلاكنا.
نُدرِك شباكه، فنهرب إليك!

❖ تفتح بصيرتنا، فنرى قوات السماء حولَنا.
لن نشكو من العزلة والوحدة.
ولن نخاف من أعداء ومقاومين.

فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم.
إن قام عليَّ جيش لا يخاف قلبي.
لأنك أنت معي!

❖ ليحاصرني العدو بكل طاقاته وقدراته.
ليحرمني من أمور العالم حتى الضرورية.
أنت تفتح لي كوى السماء.
تُشبِعُ روحي ونفسي وجسدي.
تملأ كل كياني تهليلاً وفرحًا.
تُحوِّل حياتي إلى وليمة سماوية.
تجعل كل زماني عيدًا لا ينقطع.

اَلأَصْحَاحُ السَّابِعُ

الرب يصنع كوى في السماء!

إذ اشتدت الضيقة جدًا حتى تحولتْ النساء إلى آكلات لحوم البشر، بل الأمهات إلى آكلات لحوم أطفالهن، جاءت ردود الفعل متباينة. فمن جهة الملك لم يحتمل ما بلغه الشعب من مرارة، فمزّق ثيابه وظهرت المسوح التي كان يرتديها، لكن عوَض الرجوع إلى الله، قرَّر قتل أليشع، ملقيًا باللوم عليه.

اتهم الملك أليشع النبي بكونه السبب فيما حلَّ بالبلاد، لكن النبي وعد بالخلاص. تحقق ذلك في وقت لم يتوقعه أحد.

الآن في هذا الأصحاح نتلمس ما يفعله البعض في أثناء الضيقة.

١. أليشع يعلن عن الفرح الإلهي ١.

٢. جندي الملك يتشكَّك فيموت ٢.

٣. أربعة رجال بُرْصٍ يسلكون بحكمةٍ ٣-٨.

٤. مشاركة إخوتهم معهم ٩-١١.

٥. تشكُّك الملك في الأمر ١٢-١٥.

٦. فتح كوى السماء ١٦.

٧. موت الجندي المُتشكك ١٧-٢٠.

١. أليشع يعلن عن الفرح الإلهي

وَقَالَ أَلِيشَعُ: اسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ.

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:

فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ غَدًا،

تَكُونُ كَيْلَةُ الدَّقِيقِ بِشَاقِلٍ،

وَكَيْلَتَا الشَّعِيرِ بِشَاقِلٍ فِي بَابِ السَّامِرَةِ. [١]

"في باب السامرة"، كانت الأسواق تُقام بجوار باب المدينة حتى يمكن للداخلين والخارجين أن يقوموا بشراء ما يحتاجون إليه.

في نهاية الأصحاح السابق، إذ نزل رسول الملك إلى أليشع، وغالبًا ما طالب النبي الملك وكل القيادات والشعب بالتوبة والرجوع إلى الله، فكانت إجابة الرسول: "هوذا هذا الشر من قبل

الرب؛ ماذا انتظر من الرب بعد؟" لم تكن هذه الإجابة تحمل عتابًا بل يأسًا.

يشتاق الله أن يدخل معنا في حوار، ويقْبَل من مؤمنيه العتاب، كما حدث مع أبينا إبراهيم حين أخبره الرب عن حرق سدوم وعمورة، وأيضًا ما حدث مع أيوب ومع المُرَتِّل. لكن هؤلاء حاوروه بروح التواضع، أما الملك ورسوله وقادته فكانوا يتحدثون بروح التشامخ مع اليأس. ومع هذا جاءت إجابة الرب على لسان أليشع تحمل رجاءً مُفرِحًا. وفي نفس الوقت أكّدت أن سبب الكارثة ليس الله بل شرورهم.

أولاً: كل ما كان يطلبه الملك، هو زوال الحصار ليتمكن مع السلطات في تدبير الأمر الذي يتطلب زمنًا طويلاً نسبيًا بعد حدوث هذا الخراب الشامل. وجاءت الإجابة بتحديد الزمن لا باليوم فقط بل وبالساعة: **"في مثل هذا الوقت"**.

ثانيًا: سيأتي الحلّ كاملاً من قِبَل الرب وسريعًا، فسيحدث فيض من الدقيق الفاخر كما من الشعير، فيَشبع الناس والحيوانات، ويحدث فائض يُقدَّم للبيع بأسعار زهيدة.

بإعلانٍ إلهي أدرك النبي الرخاء الذي يحلُّ على السامرة، أما حاشية الملك فلم تُصدِّق نبوته وإعلان الله له.

❖ أولاً لتدركوا تنازل الله. لتتنازلوا فتكونوا متواضعين لأجل أنفسكم، متطلعين إلى الله الذي تنازل متواضعًا لأجلكم أيضًا وليس لأجل نفسه...

اعترفوا بضعفكم؛ ولترقدوا أمام الطبيب في صبرٍ.

عندما تدركون تنازله ترتفعون معه، ليس بأن يرفع نفسه بكونه الكلمة، بل بالأحرى يُدرِكْ منكم أكثر فأكثر...

هو لا يزيد، لكنكم أنتم تتقدمون، فيكون كمن ارتفع معكم...

تطلعوا إلى الشجرة، فإنها أولاً ضربت جذورها إلى أسفل حتى تنمو إلى فوق. تُثَبِّت جذرها السفلي في الأرض لكي ما تمتد بقمتها إلى السماء. هل تبذل جهدًا للنمو إلاَّ من خلال التواضع؟ إذن "ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة... لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف ٣: ١٧-١٩)[1].

القديس أغسطينوس

❖ احتمل هذا الرجل المملوء بروح الله التعيير، ولم يغضب على المتجاسرين.

لم يقلقوه حين هددوه بالموت، لكنه احتمل، واستجاب لهم وأراحهم.

تحركت نفسه الجبارة ليصنع الأعجوبة، فرفع صوته بالنبوة بعجبٍ عظيمٍ.

[1] *Sermon on N T Lessons, 67:18.*

غدًا سيحل الأمان والشبع والعجب العظيم، غدًا ستفتح المدينة أبوابها بشكلٍ علني.

غدًا سيخرج المحاصرون في المدينة من الضيق، وسيشبع الجياع، وينسون المجاعة التي عذَّبتهم.

غدًا سيجد كل الشعب على أبواب السامرة كيلاً عظيمًا يُباع بأثمان زهيدة.

تكلم النبي كلامًا إلهيًا بحسب الإعلان، واحتقرت حاشية الملك عظَمة كلمته.

هدَّدوه بقطع رأسه بسبب المجاعة، ولما وعدهم بالرخاء لم يُصدقوه[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

شتان ما بين الموقف أثناء المجاعة وعند الفرج. ففي أثناء المجاعة اشتهوا أن يأكلوا رأس الحمار الدنس حسب الشريعة، لكن ثمنه كان مُرتفِع للغاية (ثمانون من الفضة)، أما عند الفرج فصارت كيلة الدقيق الفاخر بشاقل، إذ لم يوجد من يشتريها، ليس عن عجز في دفع الثمن، وإنما بسبب الفيض، فالكل سلبوا العدو وأكلوا وملأوا مخازنهم، ولم يعد يوجد مجال للشراء! الله سخي في عطائه!

٢. جندي الملك يتشكك فيموت

من يؤمن بإله المستحيلات يَنتَزِع من قاموسه كلمة "كيف". فلا يتساءل: "من أين يستطيع أحد أن يُشبع هؤلاء خبزًا هنا في البرية؟" (مر ٨: ٤).

وَإِنَّ جُنْدِيًّا لِلْمَلِكِ كَانَ يَسْتَنِدُ عَلَى يَدِهِ قَالَ لِرَجُلِ اللهِ:

هُوَذَا الرَّبُّ يَصْنَعُ كُوًى فِي السَّمَاءِ!

هَلْ يَكُونُ هَذَا الأَمْرُ؟

فَقَالَ: إِنَّكَ تَرَى بِعَيْنَيْكَ، وَلَكِنْ لاَ تَأْكُلُ مِنْهُ. [٢]

جاءت كلمة "جندي" في الأصل تعني الرجل الثالث (شالش) *shaliysh* في مركبة عسكرية يحمل درعًا ضخمًا. أما هنا فتعني نائب قائد عسكري (٩: ٢٥؛ ١٠: ٢٥).

قدَّم الرب الوعد بالخلاص للإنسان غير المؤمن، لكنه لم يتمتع بخبرة هذا الوعد، أي لم يشترك في بركاته.

تعبير "**كان يستند على يده**" يشير إلى أنه كان جليس الملك أو مشيره، كنعمان عند ملك أرام (٥: ١٨).

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لأليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٤٩-١٥٠.

كانت المدينة مُحاصَرة، ولا يمكن لسكانها أن ينالوا شيئًا من الخارج، فمن أين يأتيهم الدقيق والشعير؟ أيصنع الرب كوى في السماء؟ السؤال هنا استنكاري. مجازاة الجندي الذي لم يؤمن بما قاله الرب على لسان النبي وحسبه أمرًا مستحيلاً، أن يحقق الله ما يبدو مستحيلاً، إذ يأكل عامة الشعب بينما يرى جليس الملك ذلك ولا يأكل معهم.

في ألمٍ شديد يكتب **القدّيس مار أفرآم السرياني** عن جندي الملك هذا، قائلاً: لأنه يرمز لسقوط شعب إبراهيم الذين رأوا الخبز النازل من السماء، أي السيد المسيح، لكنهم لم يتأهلوا أن يتمتعوا بنعمة مخلصنا يسوع المسيح التي وُهِبَتْ لكل الذين طلبوها[1].

❖ بدأ رئيس الجبابرة يتكلم بروح متشامخة وبعيدة عن الإيمان.

إن لم تتفتح كوى السماء فوقُ في العُلَى لا يمكن أن يحدث ما تتكلم عنه.

قال المختار: سترى وترى كما قُلتَ، لكنك لن تأكل من الخير الذي تراه.

استطاع النبي أن يفعل كما قال: فالكلمة مِلكه، والتنفيذ العظيم مِلك الله.

تكلم روح الرب فيه حسب الوحي، وأتمَّ الله الكلمات، أتمَّ كل ما قاله له.

الأمان والحرب وُضعا على رأس شفتيه، بحيث يقول كلمة، ويتم تنفيذ العمل بسرعة.

وعد أن يصير الأمان، ويكون شبع، ويصير عيد مملوء بالخيرات والرخاء[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

تبدو إجابة القائد منطقية، فإن الأمر يتطلب أن يفتح الله كُوى السماء كما فعل في أيام نوح، لا ليفيض بالمياه فيحدث طوفان، بل يفيض بالقمح والشعير ليحدثْ هذا الرجاء. أما ما هو غير منطقي بالنسبة للجندي فهو أن الله الذي فتح كُوى السماء أيام نوح قادر أيضًا أن يفتحها ليفيض علينا بالخيرات.

للأسف كثيرًا ما نأخذ موقف هذا القائد حين تأسرنا خطايا لسنوات طويلة، فنظن استحالة خلاصنا منها وتقديسنا. الله الذي فتح أبواب محبته لينقذ هذا الشعب من المجاعة، ألا يفتحها لينقذ نفوسنا من الفساد ويهبنا من فيض نعمته؟! لا يهبنا الخيرات فحسب، بل يُقدِّم نفسه لنا فرحًا ونعيمًا وطعامًا سماويًا وشرابًا روحيًا وسلامًا وخيرات إلهية.

❖ فلنتأمل ما تقوله الأناجيل في ضوء الوعود بالخيرات. ولابد لنا من القول: إن **الخيرات التي يعلن عنها الرسل في هذه الأناجيل هي ببساطة "يسوع".**

---

[1] *On the Second Book of Kings, 7:1.*

[2] الميمر ١٢١ السادس لأليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٥٠-١٥١.

أحد الخيرات التي يعلنون عنها هي القيامة. ولكن القيامة، على وجه ما، هي يسوع، فهو القائل: "أنا هو القيامة"...

كما يقول إشعياء: "ما أجمل على الجبال أقدام المبشرين بالخير" (إش ٥٢:٧). إنه يرى كم هو جميل وملائم إعلان الرسل الذين ساروا (في المسيح)، القائل: "أنا هو الطريق". يمتدح أقدام السائرين في الطريق المُفَكِّرين في يسوع المسيح، ويذهبون من خلال هذا الباب إلى الله (الآب).

إنهم يعلنون عن الخيرات، عن الأقدام الجميلة، أي يسوع[1].

العلامة أوريجينوس

٣. أربعة رجال بُرْصٍ يسلكون بحكمة

وَكَانَ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ بُرْصٍ عِنْدَ مَدْخَلِ الْبَابِ.
فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِصَاحِبِهِ:
لِمَاذَا نَحْنُ جَالِسُونَ هُنَا حَتَّى نَمُوتَ؟ [٣]

كان البرص يُستبعَدون من المدينة، يعيشون خارجًا عند مدخل الباب (لا ١٣: ٤-٦؛ عد ٥: ٢، ٣)، غالبًا في أشبه بالحَجْرِ الصحي، مع الالتزام ألا يلمسهم أحد فيتنجس. وكان أهل المدينة يضعون لهم الطعام بعيدًا عنهم دون أن يلمسوهم، ولكن انقطعت المئونة بسبب المجاعة التي حلَّت بالمدينة المُحاصَرة. أما موقف الغزاة فغالبًا ما كان تجاهلهم تمامًا لأنهم حتى في نظر شعبهم لا وزن لهم. لقد تركوا الأربعة لمصيرهم الطبيعي وهو الحرمان من دخول مدينتهم وتحاشي الكل من لمسهم. في نظر الغزاة الذين في داخل المدينة كانوا يعانون من المجاعة، كم بالأكثر هؤلاء المطرودون والمحرومون!

جاء في الجمارا[2] *Gemara* أن هؤلاء البرص هم جيحزي تلميذ أليشع وأولاده الثلاثة[3].

الله في محبته يستخدم كل الأمور لبنياننا، فأولئك الذين كانوا يمثلون ثقلاً على الشعب، يقدمون لهم الطعام دون أي نفع من جهتهم، صاروا هم وسيلة الخلاص المُفرِح. الله في صلاحه العجيب يستخدم حتى ما يبدو غير صالحٍ لبنياننا. يستخدم حتى الأمراض والضيقات والشيطان نفسه لإكليلنا.

❖ فإنك وإن انحدرت إلى الموت وحلت بك أقصى أنواع المخاطر لا تيأس، فإنه يمكن لله أن

---

[1] *Comm. on John, 1:10*
[2] *Sota R. Sol. Jarchi.*
[3] *Adam Clarke Commentary.*

يوجد طريقًا حين يبدو أنه ليس من وسيلة[1].

❖ يلزمنا أن نخضع لخالق طبيعتنا، ونقبل بفرحٍ ولذةٍ عظيمةٍ ما يقرره، غير متطلعين إلى مظاهر الأحداث بل إلى قرارات الرب. فوق هذا كله، يعرف الرب أفضل منا ما هو لنفعنا، وما هي الخطوات اللازمة لخلاصنا[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يسألون: "هل الشيطان صالح لأنه نافع؟ "على العكس هو شرير، بكونه الشيطان، أما الله الصالح والقدير، فيستخرج أمورًا بارة وصالحة من خبث الشيطان. فما للشيطان هو إرادته التي بها يحاول أن يصنع شرورًا، وليس عناية الله التي تستخرج منه صلاحًا[3].

القديس أغسطينوس

إِذَا قُلْنَا نَدْخُلُ الْمَدِينَةَ،
فَالْجُوعُ فِي الْمَدِينَةِ، فَنَمُوتُ فِيهَا.
وَإِذَا جَلَسْنَا هُنَا نَمُوتُ.
فَالآنَ هَلُمَّ نَسْقُطْ إِلَى مَحَلَّةِ الأرامِيِّينَ،
فَإِنِ اسْتَحْيَوْنَا حَيِينَا، وَإِنْ قَتَلُونَا مُتْنَا. [٤]

فَقَامُوا فِي الْعِشَاءِ لِيَذْهَبُوا إِلَى مَحَلَّةِ الأرامِيِّينَ.
فَجَاءُوا إِلَى آخِرِ مَحَلَّةِ الأرامِيِّينَ،
فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ. [٥]

آخر المحلة: أي طرف المحلة إلى جهة السامرة، وليس إلى مسافةٍ طويلة في المعسكر.

فَإِنَّ الرَّبَّ أَسْمَعَ جَيْشَ الأرامِيِّينَ صَوْتَ مَرْكَبَاتٍ وَصَوْتَ خَيْلٍ،
صَوْتَ جَيْشٍ عَظِيمٍ.
فَقَالُوا الْوَاحِدُ لأَخِيهِ:
هُوَذَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ قَدِ اسْتَأْجَرَ ضِدَّنَا مُلُوكَ الْحِثِّيِّينَ وَمُلُوكَ الْمِصْرِيِّينَ لِيَأْتُوا عَلَيْنَا. [٦]

ارتعب الأراميون من مُجَرَّد سماعهم صوت جيش الرب، وكانوا يظنون أنه مجموعة من الجيوش استأجرها ملك إسرائيل، خاصة جيش الحثيين. جاء في وثائق أشور متى أشارت إلى فلسطين، أنها "أرض الحثيين".

---

[1] *On Ps. 118.*
[2] *Homilies on Genesis, 30: 16.*
[3] *Against the Manicheans 2: 28: 42.*

هرب الجيش الأرامي في ليلة ما حيث سمعوا أصواتًا لجيش قادم غالبًا من *muzrim* (كبادوكيا) وليس من مصر (بالعبرية مصرايم *Mizraim*).

هذا الصوت سواء بعثه بالفعل بعض القوات السمائية، أو هو صوت غير حقيقي سمعه الجنود الأراميون، فإنه تم بخطة إلهية.

ملوك الحثيين: كان الحثيون في ذلك الوقت في منطقة حمص وحماه وحلب وإلى جهة الشرق منها وبين حمص والشام. وكانت قاعدتهم العظمى مدينة كركميش على نهر الفرات وهي طرابلس الحالية.

ملوك المصريين: بسبب اضطراب الأراميين لسماع أصوات مرعبة لم يفكروا بتدقيق، فمن جهة قالوا "**ملوك المصريين**" لمجرد أنه في أوقات معينة كانت مصر منقسمة يحكمها ملكان أو ثلاثة ملوك. ومن جهة أخرى لم يدركوا أن الحثيين بعيدون من جهة والمصريين بعيدون من جهة أخرى والإسرائيليين محاصرون وفي ضيقة، فكيف تحالف الثلاثة معًا للهجوم على جيش موآب المُحاصر للسامرة.

ترك الأراميون خيامهم، ربما لأن الأصوات التي سمعوها كانت تبدو قوية وقريبة جدًا، فحسبوا أنه لا يوجد وقت لجمع ما لديهم وأخذ الخيام معهم، ومن جانب آخر فإن ترك الخيام وبجوارها البهائم يوحي للإسرائيليين أن الأراميين باقون في محلهم، فلا يلحقوهم وهم هاربون.

يربط القديس مار يعقوب السروجي بين ما حدث قبلاً، حين أحاط الجيش بالجبل لاصطياد أليشع النبي، فأصيب الجيش بالعمى، وسقط أسيرًا في السامرة، وبين حصارهم للسامرة، فأزعجتهم القوات السماوية بأصوات في آذانهم لا وجود لها! يحسب كأن معسكرًا سماويًا مهوبًا غير منظور يرافق رجل الله أليشع.

❖ **أراد الله أن يؤكد كلمته كما وعد، فهزم الأراميين بأعجوبة.**

أشار الرب إلى القوات المعزّزة، فركضت وسمعت أصواتًا مخيفة جعلتهم يهربون.

الحصان يصهل، والسلاح يرنّ، والشعب يضج، والجيش العظيم يهدد ويسرع إلى المعركة.

سُمعتْ أصوات مُخيفة من العاصفة: الخيول والناس يتحركون كثيرًا للمعركة.

ضجة مُرعِبة، وصوت الجبابرة ووعيدهم وتهديدهم ليبيدوا الأراميين.

كانت الأصوات ترنّ في آذانهم من ورائهم، وصدرت كمائن من كل جهة على المُخيَّم.

صفوف تركض لاصطياد الأراميين، وضجة القوات العُظمَى كصوت البحر.

أسمَعَ الربُ آذانهم أصواتًا مخيفة، وألقى الرعبَ والفزع في أفكارهم.

صوت السلاح وصوت الفرسان القوية، وصرير الأسنان، ولعنات المحاربين.
بالأصوات التي سمعوها من الأرواح القوية أرعبهم واحتقرهم وهزمهم.
رفعت قوات بيت الله الأصوات بكل أشكالها، كأصوات الحرب بفزعٍ عظيمٍ.
هذا كان المعسكر الموجود عادة عند أليشع، وحيثما ذهب كان يحرسه من السوء.
هذه هي الخيول والفرسان التي رافقته، عندما كان يريد الأراميون أن يصطادوه...
مَرة أعمى النبي عيونَ الأراميين، ومرة أخرى جعل في آذانهم ترن أصوات مُقْلِقَة.
خرج معسكر بيت الله الموجود معه، وصنع الأصوات وطردهم.
سمع الأراميون وخافوا وارتعبوا من صوت القوة المُخيف الذي أفزعهم.
قالوا: أرسل ملك السامرة واستأجر قوات وملوك الشعوب وجلبهم معه،
وعبيدًا صناديد ومحاربين يخربون أرضنا...
هوذا المصريون وهوذا الحثيون مع العبرانيين أتوا راكبين، فمن يقدر أن يلاقيهم؟
أناس مرعبون وشجعان مُدرَّبون على القتال، رهيبون في الخصام، ولا يتنازلون عن أخذ السبي.
أناس يأكلون وهم متعطشين إلى دم الأراميين، هلموا ننجو، لأنهم غير بعيدين عن المعسكر[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

فَقَامُوا وَهَرَبُوا فِي الْعِشَاءِ
وَتَرَكُوا خِيَامَهُمْ وَخَيْلَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ،
وَالْمَحَلَّةَ كَمَا هِيَ،
وَهَرَبُوا لِنَجَاةِ أَنْفُسِهِمْ. [٧]

جمع جيش الأراميين الكثير، وكانوا في رفاهية ينعمون بخيرات كثيرة، بينما كانت الأمهات تأكلن أطفالهن في السامرة. لكن إذ تدخَّل الله صار كل ما لجيش الأراميين وليمة لمن كانوا محاصرين.

❖ طرد الخوف من الموت الأراميين، فارتعبوا وقلقوا وتركوا كل مقتنياتهم.

ترك الأشقياء الخيام المنصوبة وكل الغِنَى، لأن الحياة محبوبة في العالم كله أكثر من الغنى...

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لأليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٥١-١٥٣.

المُقتَنى محبوب إلى حين ظهور الموت قربه، ما أن يُظهر الموت نفسه حتى تخزى المقتنيات.

تُحب ساعة حياة أكثر من الكنوز، ولا يُبدِّل أحد الحياة بذهب الأرض كلها.

كل ما اقتناه الأراميون تركوه وهربوا، لأنهم ظنوا بأن الموت بلغ إليهم.

نجوا بحياتهم، وتركوا أموالهم، لأنه لا توجد وسيلة ليحل الغِنَى محلّ الحياة.

كل من أخذ معه شيئًا كانت الأصوات المُرعِبة تخيفه، فيلقيه بعيدًا عنه.

أسرع لينقذ نفسه، ولم يأسف على إلقاء الذهب، إن كان يمكنه أن ينجو بنفسه.

أثناء هروبهم ألقوا الأوعية وهم مرتجفون، لأن الأصوات التي كانت تُسمَع لم تسكت.

طردهم رعد أصوات القوات المخيفة السريع، وجعلهم يهربون من المعسكر.

لم تكن لهذه الأصوات أن تصمت نهائيًا، ليأخذوا شيئًا من المعسكر الذي كانوا يحرسونه[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

وَجَاءَ هَؤُلاَءِ الْبُرْصُ إِلى آخِرِ الْمَحَلَّةِ
وَدَخَلُوا خَيْمَةً وَاحِدَةً،
فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، وَحَمَلُوا مِنْهَا فِضَّةً وَذَهَباً وَثِيَاباً وَمَضُوا وَطَمَرُوهَا.
ثُمَّ رَجَعُوا وَدَخَلُوا خَيْمَةً أُخْرَى،
وَحَمَلُوا مِنْهَا وَمَضُوا وَطَمَرُوا. [٨]

نسمع أحيانا عن بعض المصابين بمرض الإيدز أنهم يحملون نوعًا من الحسد نحو الآخرين، أذكر ما فعلته إحدى المصابات به أنها كانت تجتذب الكثيرين إلى ارتكاب الخطية معها وكانت تُرسِل لكل واحدٍ منهم كارت تهنئة تقول فيه: "أهنئك بأنك قد صرت عضوًا في نادي الإيدز". وأذكر شابًا في لوس أنجيلوس روى لي عن مريض بالإيدز أمسك بالحقنة التي بيد الممرضة وضربها بها في غضبٍ شديدٍ لكي تنتقل العدوى إليها. لست أقول هذا عن الجميع، فحتما يوجد من بينهم كثيرون محبون لإخوتهم في البشرية.

ونحن هنا أمام أربعة أشخاص مصابين بأخطر مرض في ذلك الزمان وهو البرَص، حيث يُحرم الإنسان من حق وجوده وسط أسرته أو حتى عزله داخل المدينة، وإنما يلتزم أن يكون خارج المدينة. إن اقترب إليه شخص يصرخ: "نجس! نجس!" لم يحمل هؤلاء الرجال أية مشاعر من البغضة نحو المجتمع، وإنما كانت لهم قلوب متسعة مشتاقة أن تشبع وتستريح وتفرح.

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لأليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٥٣-١٥٤.

٤. مشاركة إخوتهم معهم

ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
لَسْنَا عَامِلِينَ حَسَنًا.
هَذَا الْيَوْمُ هُو يَوْمُ بِشَارَةٍ، وَنَحْنُ سَاكِتُونَ!
فَإِنِ انْتَظَرْنَا إِلَى ضَوءِ الصَّبَاحِ، يُصَادِفُنَا شَرٌّ.
فَهَلُمَّ الآنَ نَدْخُلْ وَنُخْبِرْ بَيْتَ الْمَلِكِ. [٩]

لم يكن ممكنًا لأربعة من عامة البرص معزولين عن المجتمع أن يتمتعوا بغنائم العدو دون أن يخبروا بهذا العمل الإلهي. إنهم يقدمون دعوة لكل مؤمنٍ – سواء كان كاهنًا أو من الشعب – أن يشهد للآخرين عن عمل الله وعطاياه، لكي يختبر الكل ويتذوقوا ما يتمتع هو به.

يليق بنا أن نترنم قائلين: "فاليوم يوم بشارة، ونحن ساكتون!" [٩]. يجب علينا ألا ننتظر حتى طلوع الفجر، بل نسرع وسط الظلام، لنكرز بالخبر.

اعتبر الرجال البرص أن صمتهم عن تقديم أخبار مُفرِحة لبيت ملك إسرائيل شر يعاقبهم عليه الرب.

صوت هؤلاء البرص يوبخنا إنْ تراخينا عن نشر كلمة الخلاص، إذ قالوا: "**هذا هو يوم بشارة ونحن ساكتون! فإن انتظرنا إلى ضوء الصباح يصادفنا شر. فهلمَّ الآن ندخل ونخبر بيت الملك!**"

اتَّسم هؤلاء الرجال البرص بالحكمة، إذ لم يستسلموا لحالة الإحباط، بل بروح الرجاء انطلقوا إلى معسكر الأعداء بقوة، وعندما وجدوا فيضًا من الخيرات، انطلقوا بروح المحبة إلى المشاركة، ففتحوا الباب لكل الشعب!

عندما قرروا التسلُّل إلى محلة الأراميين بسبب الجوع الشديد، ووجدوا المحلة فارغة من الجند، وقد تركوا الطعام والشراب وكل ما لديهم حتى الحيوانات، أكلوا وشربوا، ثم قالوا: "اليوم هو يوم بشارة ونحن ساكتون، ليس حسنًا أن نبقى هكذا حتى الصباح". بحبهم لإخوتهم لم يقبلوا ان ينتظروا حتى الصباح، بل التقوا مع بواب المدينة ليخبر الملك عما حدث، فيتمتع الكل بما تمتعوا به.

النفس التي تختبر عذوبة الحياة مع المسيح فتشبع وترتوي بعد الجوع والعطش، لا تستريح حتى تُبشِّر الكل بالفرح الحقيقي، ليختبروا ويذوقوا عذوبة الحياة الأبدية في الرب.

❖ وإن كان (منظر) الأربعة البرص مكروهًا، إلا إذا عرفنا أنهم خلال الرمز يُعلنون عن الأخبار المُفرِحة لسكان مدينتهم. إنهم لا يسيئون إلى الرمز، بل بالصدق يشيرون إلى الأربعة إنجيليين

القديسين.

بالحقيقة يلزمنا أن نضع في أذهاننا أنه خلال أسفارهم عُرفتْ نعمة مخلصنا ومصدر الحياة يسوع المسيح، ووُهبت الحرية لكل البشر حسب الخطة الإلهية.

هكذا كان هؤلاء الذين كانت أجسادهم برص، مشرقين في الداخل ببهاء برِّهم.

بالإضافة إلى ذلك يمثلون رمزيًا لموقف الرسل في البداية، إذ كان البرَص قد أفسد جلدهم. وإنما هم أيضًا يمثلون في الحقيقة أن داخلهم كان مُزَيَّنًا بالسلوك البار، لأن الإنسان القديم تغيَّر بحلول الروح القدس وتجدَّد. لقد ارتدوا الثوب المُشرِق بألوان السماء، وقد أُرسلوا لكي يُظهِروا أعمال يديّ الله[1].

القدّيس مار أفرآم السرياني

فَجَاءُوا وَدَعُوا بَوَّابَ الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوهُ:
إِنَّنَا دَخَلْنَا مَحَلَّةَ الأَرامِيِّينَ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ،
وَلاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ،
وَلَكِنْ خَيْلٌ مَرْبُوطَةٌ وَحَمِيرٌ مَرْبُوطَةٌ وَخِيَامٌ كَمَا هِيَ. [١٠]

غالبًا ما نادى البرص بجوار الباب، فاستيقظ حارس باب المدينة أو تنبَّه إليهم يسألهم ما الخبر.

فَدَعَا الْبَوَّابِينَ،
فَأَخْبَرُوا بَيْتَ الْمَلِكِ دَاخِلاً. [١١]

يُقدِّم لنا **القديس مار يعقوب السروجي** صورة رائعة للوليمة التي قدَّمها الله لشعبه خلال البُرْص المطرودين خارج الأسوار!

- ❖ تدبير بيت الله صنع عجبًا، فأتت البشارة للشعب بواسطة أناس بُرصٍ.

ذهبوا وأتوا بالرجاء الصالح للشعب المُحاصَر، فسُمعتْ الأخبار السارة من كل الأفواه.

فتحت المدينة المحاصرة أبوابها وأنارت ساحاتها، ورقصت حين رأت أمانًا وشبعًا وفرح القلب.

اغتنى الأغنياء، ونهب الفقراء، وشبع الجياع، واستنار وجه الشعب كله الذي كان مظلمًا.

انفرج قلب النساء اللواتي أكلن أحباءهن، ونسين الجوعَ حين خرجن، فوجدن الشَبَعَ العظيم.

تَنَعَّمَ الشعب المُحاصَر بالسلب الذي وجده، وتمتَّع بأطعمة الأراميين.

---

[1] *On The Second Book of Kings, 7:3*

تَنَعَّم المُعَذَّبون الذين خرجوا من ضيق الجوع العظيم بالخبز والخمر والزيت والعسل.
صار معسكر الأراميين مثل وليمة، وتَنَعَّم عليها صغار النفوس بالشَبَعِ الذي وجدوه.
كل المؤونة التي جمعها الأراميون، أدخلها محتاجو السامرة، وحملوها باجتهادٍ.
أكلوا وشبعوا، وما فضل منهم بدأوا يبيعونه، وأقاموا عيدًا دعا إليه أليشع[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٥. تشكك الملك في الأمر

فَقَامَ الْمَلِكُ لَيْلاً وَقَالَ لِعَبِيدِهِ:
لأُخْبِرَنَّكُمْ مَا فَعَلَ لَنَا الأرامِيُّونَ.
عَلِمُوا أَنَّنَا جِيَاعٌ،
فَخَرَجُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ لِيَخْتَبِئُوا فِي حَقْلٍ قَائِلِينَ:
إِذَا خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ قَبَضْنَا عَلَيْهِمْ أَحْيَاءً وَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ. [١٢]

لا يقصد بكلمة "عبيده" هنا الخدم، وإنما القادة العسكريين، والمشيرين له.

الأمر الشائع في الكتاب المقدس أنه إن تحدث عن رجل شرير لا يتجاهل الجوانب الطيبة، وإن تحدث عن إنسانٍ بار لا يتجاهل ضعفاته. فالملك بالرغم من شرِّه لكن قلبه كان مشغولاً بشعبه. فقام ليلاً يشارك شعبه آلامهم ومرارتهم، ويلتزم بمسئولياته من نحوهم.

ربط الملك يربعام ما سمعه بما قاله البُرص، وما حدث في موقعة عاي (يش ٨: ٣-١٩)، فظن أن عدم وجود الأراميين في المعسكر يوحي بأنهم مختبئون لتدبير مؤامرة ضدهم. تفكيره يبدو أنه كان منطقيًا، ولم يكن بالأمر الغريب، لأنه ليس من سبب يدعو الأراميين إلى فك الحصار فجأة. لكن كان يليق بالملك أن يطابق كلمات هؤلاء البُرص بنبوة أليشع عن الأخبار المُفرحة. عِوَض ذلك ظن أن الأراميين وضعوا خطة جديدة باختفائهم في موضع حتى متى خرجت المدينة ينقضُّون عليهم.

مثل هذه الحيل كانت كثيرة في الحروب القديمة.

فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِهِ:
فَلْيَأْخُذُوا خَمْسَةً مِنَ الْخَيْلِ الْبَاقِيَةِ الَّتِي بَقِيَتْ فِيهَا.
هِيَ نَظِيرُ كُلِّ جُمْهُورِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ بَقُوا بِهَا،

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لأليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٥٥-١٥٦.

أَوْ هِيَ نَظِيرُ كُلِّ جُمْهُور إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ فَنُوا.
فَنُرْسِلُ وَنَرَى. [١٣]

"**نظير كل جمهور إسرائيل**": فإن الكثير من الخيل مات من الجوع، والبقية ضعيفة وهزيلة بسبب المجاعة، فلا مانع أن يكونوا فدية للشعب جميعه، إن خرجوا ولم يرجعوا.

إرسال خمسة من الخيول لم يكن بنوعٍ من المخاطرة، فإنها إن بقيت في السامرة ستهلك بسبب المجاعة، وإن انطلقت إلى المعسكر المخيَّم حول السامرة قد تتعرض للموت، وكأن الموت قادم عليهم لا محالة!

حسب النص الذي بين أيدينا (عن العبرية) يشير الحديث هنا إلى نوعٍ من التضحية بخمسة خيول لاكتشاف حقيقة، فإن هلكوا سيكون مصيرهم ليس بأفضل من مصير بقية الخيول الباقية في السامرة. أما في الترجمة السبعينية فالحديث هنا عن هذه الخيول الخمسة بكونها كل ما تبقَّى في السامرة، إذ ماتت بقية الخيول بسبب الجوع أو ذُبحتْ ليأكلها أهل السامرة.

فَأَخَذُوا مَرْكَبَتَيْ خَيْلٍ.
وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَرَاءَ جَيْشِ الأَرامِيِّينَ،
قَائِلاً: اذْهَبُوا وَانْظُرُوا. [١٤]

لقد تحققتْ الخطة إذ انطلقت مركبتان بكل مركبةٍ فرسان، والفرس الخامس كان يركبه فارس يتقدم المركبتين ليكتشف الطريق، أو خلفها يمكنه أن يرجع بسرعة ليُقدِّم تقريرًا بما حدث للمركبتين.

فَانْطَلَقُوا وَرَاءَهُمْ إِلَى الأُرْدُنِّ،
وَإِذَا كُلُّ الطَّرِيقِ مَلآنٌ ثِيَاباً وَآنِيَةً قَدْ طَرَحَهَا الأَرامِيُّونَ مِنْ عَجَلَتِهِمْ.
فَرَجَعَ الرُّسُلُ وَأَخْبَرُوا الْمَلِكَ. [١٥]

هرب الأراميون إلى بلادهم في الشرق، وهم مُتوَهِّمون أن المصريين والحثيين قد اقتربوا بجيوشهم للهجوم عليهم.

ربما هرب الأراميون خلال الطريق الكبير الذي بين السامرة ودمشق خلال جبع وعين جانيم *En- gannim* وبيت شأن *Bet - shean* وأفيق. إنه يعبر الأردن عند ميجاميا *Mejamia* حوالي ٣٥ ميلاً شمال شرقي السامرة[1].

أما الثياب والأواني المُلقاة على الأرض، فتشير إلى أن حتى الذين حملوا القليل الضروري من الثياب والأواني بعد أن ساروا قليلاً ألقوه بسبب الرُعْب الذي حلَّ بهم، والرغبة في

[1] *Barnes' Notes.*

الإسراع. وكأن الرُعب كان يتزايد بالنسبة للأراميين حتى بعد تَرْكِهم المعسكر، حتى لا يُفكِّروا في العودة إليه.

٦. فتح كوى السماء

فَخَرَجَ الشَّعْبُ، وَنَهَبُوا مَحَلَّةَ الأراميِّين.

فَكَانَتْ كَيْلَةُ الدَّقِيق بِشَاقِلٍ، وكَيْلَتَا الشَّعِيرِ بِشَاقِلٍ، حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ. [١٦]

تَبْقَى كلمة الرب أمينة وصادقة، أما مملكة هذا العالم الساقط فتزول (مت ٢٤: ٣٥؛ ١ كو ١: ٩؛ ١ تس ٥: ٢٤؛ ١ بط ١: ٢٥).

٧. موت الجندي المُتَشَكِّك

وَأَقَامَ الْمَلِكُ عَلَى الْبَابِ الْجُنْدِيَّ الَّذِي كَانَ يَسْتَنِدُ عَلَى يَدِهِ،

فَدَاسهُ الشَّعْبُ فِي الْبَابِ

فَمَاتَ كَمَا قَالَ رَجُلُ الله الَّذِي تَكَلَّم عِنْدَ نُزُولِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ. [١٧]

فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ رَجُلُ الله لِلْمَلِكِ:

كَيْلَتَا شَعِيرِ بِشَاقِلٍ، وكَيْلَةُ دَقِيق بِشَاقِلٍ، تَكُونُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ غَداً فِي بَابِ السَّامِرَةِ [١٨]

تكرار الحديث عن موت الجندي بيان تحقيق نبوة أليشع. لم يمت لأن الشعب داسه عمدًا، وإنما بسبب الازدحام وهم يطلبون الحصول على الطعام.

أَجَابَ الْجُنْدِيُّ رَجُلَ الله:

هُوَذَا الرَّبُّ يَصْنَعُ كُوًى فِي السَّمَاءِ!

هَلْ يَكُونُ مِثْلَ هَذَا الأَمْرِ؟

قَالَ: إِنَّكَ تَرَى بِعَيْنَيْكَ،

ولَكِنَّكَ لاَ تَأْكُلُ مِنْهُ. [١٩]

حُرِمَ الجبار من التَمَتُّع بالخيرات بسبب شكِّه في كلمة الرب على لسان أليشع النبي، بينما تَمَتَّع عامة الشعب بالخيرات! عديم الإيمان وحده حَرَمَ نفسه من العطايا الإلهية التي فاضت، كما من كوى السماء على كل المدينة!

- ❖ انفتح السوق، وحُدِّدَتْ الأسعار التي ثبتها النبي في اليوم السابق لجميع المشترين بلا خصام.

  كان يباع مدُّ القمح النقي بدرهم، كما حدَّد النبي سعر بيعه.

  تحققت كلمة ذلك الجبار المملوء انتصارات، وصار الأمان والشَبَع العظيم كما وعد.

أشبع الجياع، وهزم الذين في الخارج بالخوف، لأن جبروته كان يشرق إلهيًا.
استنارت كلمته، واستعادت النبوَّة الاحترام، لأن الرب تمم كل ما قاله بغنى.
الجبار الذي تشكَّك في القديس ولم يُصَدِّق أن يكون شبع كما وعد،
رأى بعينيه كما قال له النبي العظيم، ولم يذق من الشبع الذي رآه كما قال له.
ضايقته الجموع وداسته، وسقط وصار عارًا، رأى ولم يأكل كما أمر هذا القديس.
كم من ضعيف، وكم من شيخ ومن عجوز خرجوا إلى هناك، ليأتوا بالسلب من المُعَسكَر.
لم يمت أحد بذلك القصاص الذي أعطاه النبي، إلا ذاك الجبار وحده الذي تشكَّك.
ظفر النبي العجيب بكل الانتصارات، مبارك ذاك الذي أعطاه كنوز النبوة وغناها[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

فَكَانَ لَهُ كَذَلِكَ.
دَاسَهُ الشَّعْبُ فِي الْبَابِ فَمَاتَ. [٢٠]
لقد تحققت نبوة أليشع حرفيًا، بطريقةٍ لم يتوقعها أحد.

من وحي ٢ مل ٧

لتفتح كُوى السماء!

❖ من يستطيع أن يسدَّ كل احتياجاتنا سواك!
إن أغلقتْ الأرض مصادرها،
وحاصرتنا الضيقة من كل جانب،
تفتح كُوى السماء، فتفيض علينا ببركاتك.
تعطينا أكثر مما نسأل، وفوق ما نطلب!
تعطينا ما يبدو لنا مستحيلاً، وتهبنا فوق ما نتخيَّل.

❖ لم يُصدِّق قائد الملك وعودك السخية.
تحدَّى نبيَّك، وحسب كلماته لغوًا لا قيمة لها.
تحققت وعودك التي رآها القائد ولم يتمتع بها.
انفتحت كُوى السماء، لكن لم ينتفع بها صاحب الكُوى المُغلَقة!

---

[1] الميمر ١٢١ السادس لأليشع: على حصار السامرة (نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني)؛ راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٥٦-١٥٧.

بقلبه الجاحد حرم جسده من البركات،
وفقدت نفسه سلام الله وفرح الروح.

❖ أُغلقتْ أبواب المدينة أمام البرص المرذولين.
رذل الجميع هؤلاء المطرودين،
ولم يكن لديهم حتى ما يُقَدِّمونه لهم ولو قليل القليل!

❖ انفتحت كُوى السماء للجميع،
تمتَّع هؤلاء المرذولون بالفيض النازل قَبْل إخوتهم!
أكلوا وشبعوا واقتنوا ذهبًا وثيابًا.
انفتحت كُوى السماء أمامَهم،
ففتحوا كُوى سماء قلوبهم أمام إخوتهم.
قدَّموا للملك والعظماء كما للفقراء والمساكين.
قدَّموا لهم بشارة مُفرِحة، وبركات زمنية!
صاروا رمزًا للإنجيليين الأربعة،
الذين قدَّموا للأمم والشعوب المسيح السماوي نفسه طعامًا وشرابًا!

❖ لتفتح يا رب كُوى سماواتي الداخلية بالحب.
فلا أستريح حتى ينعم الكل بك.
يتمتعون بخبز الحياة ومياه الروح.
يشبعون ويرتوون ويصيرون جنة الله!
تُقيم ملكوتك فيهم، فيمتلئون فرحًا!
لك المجد يا مُفرِّح قلوب الجميع!

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ

الالتصاق بالرب

في الأصحاح السابق رأينا يدَ الله تتدخل، فيفتح كوى في السماء، ليفيض بخيراته على شعبه، بينما فقدَ جندي الملك حياته بسبب شكِّه في وعود الله وإمكانياته. في هذا الأصحاح نجد صورة حية للالتصاق بالرب والسلوك في طريقه والاتكال عليه عمليًا.

١. الشونمية المُلتصِقة بالرب	١-٦.
٢. بنهدد يطلب عون أليشع ولا يطلب إله أليشع	٧-١٠.
٣. حزائيل لا يُدرك حقيقة قلبه	١١-١٥.
٤. ابن يهوشافاط الصالح يلتصق بزوجة وثنية	١٦-٢٤.
٥. تحالف خارج الرب	٢٥-٢٩.

١. الشونمية المُلتصِقة بالرب

إذ قدَّمتْ الشونمية – المرأة العظيمة (٢ مل ٤: ٨) – خدمة لرجل الله، لم يرد أن يكون مدينًا لأحدٍ، لذا سألها: "ماذا يُصنع لكِ؟ هلْ لكِ ما يُتكلَم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش؟" (٢ مل ٤: ١٣) أجابته: "إنما أنا ساكنة في وسط شعبي" (٢ مل ٤: ١٣). بمعنى آخر، قالت: لماذا أُميِّز نفسي عن شعبي؟ ما تريد أن تُقدِّمَه لي، قدِّمه لشعبي، فما يناله شعبي أحسبه كأني نلته أنا".

كشف حديثها مع أليشع رجل الله عن محبتها لشعبها، فأعطتهم الأولوية عن نفسها، لذا تأهلت أن تنال ما لم تتوقعه، وهو أن يهبها الله ابنًا وهي عاقر، ورَجُلها قد شاخ!

عانت الشونمية من ثلاث كوارث، وفي كل كارثة كانت تتزكى بالتصاقها بالرب، كانت أمينة في علاقتها بالله. هذه الكوارث هي:

أ. موت ابنها الوحيد، فوهبها الله إقامته بواسطة نبيه أليشع (٢ مل ٤: ٣٥).

ب. موت رجلها رب البيت، ووهبها تعزية سماوية. وكما كتب **القديس يوحنا الذهبي الفم** لأرملة شابة: [حقًا، لو أنه هلك كلية أو انتهى أمره تمامًا، لكان ذلك كارثة عظمى، وكان الأمر مُحزنًا. لكن إن كان كل ما في الأمر أنه أبحر إلى ميناء هادئ، **وقام برحلة إلى الله الذي هو حقًا مَلِكه، لهذا يلزمنا ألا نحزن بل نفرح[1].]**

ج. فقدان ممتلكاتها بسبب المجاعة. والعجيب أن الله استخدم موضوع إقامة ابنها فرصة لاسترداد ممتلكاتها! حقًا إن كل الأمور تعمل للخير للذين يحبونه (رو ٨: ٢٨)! فموت ابنها زكّاها

[1] *Letter To A Young Widow*

أمام الله، وردّ لها ما فقدَته من ممتلكاتها، كما يروي لنا هذا الأصحاح.

وَقَالَ أليشع لِلْمَرْأَةِ الَّتِي أَحْيَا ابْنَهَا:
قُومِي وَانْطَلِقِي أَنْتِ وَبَيْتُكِ،
وَتَغَرَّبِي حَيْثُمَا تَتَغرَّبِي.
لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَا بِجُوعٍ،
فَيَأْتِي أَيْضًا عَلَى الأَرْضِ سَبْعَ سِنِينٍ. [١]

"الرب قد دعا بجوعٍ"، فالأحداث حتى وإن تمت نتيجة عوامل طبيعية، لكنها تتم بسماحٍ من الله، تارة لتأديب الشعب، وأخرى كمجازاة المقاومين لعمله. وأيضًا لكي تُعطَي فرصة للبشرية كي تترفَّق بالمصابين وممارسة الإنسان المحبة العملية لأخيه المحتاج أو المتألم، كما يستخدمها الله لمجده.

الجوع المذكور هنا ربما هو ذاك الذي ورد في (٢ مل ٤: ٣٨).

❖ تنبأ أليشع (للشونمية) بحلول مجاعة لمدة سبع سنوات، ودعاها أن تهاجر إلى بيتٍ جديدٍ. اختار لها فلسطين منطقة قريبة وخصبة، وكان سُكّانها أغنياء بسبب التجارة البحرية. إذ كانت أرض فلسطين تقع بكاملها مع طول الساحل، وكان بها مواني مشهورة مملوءة بسفنٍ لا عدد لها، كما يشهد بذلك الكتاب المقدس في أماكنٍ كثيرة. ولهذا السبب التجأ إليها البطريركان إبراهيم وإسحق كملجأ لهما (تك ١٢: ١).

حسب التفسير الرمزي، فلسطين التي استقبلت أبرارًا كانوا في السبي، تشير إلى التغرُّب عن الرب (٢ كو ٥: ٦) رمز للعالم. فإن شعب فلسطين كانوا يبغضون بشدة شعب الله، وكانوا يعاملون بني إسرائيل الذين كانوا يخشون الله بطريقة سيئة. مؤخرًا هزمهم داود وأوقف صنع أسلحة الحرب، وإن كانوا قد قاموا بتصنيعها من وقتٍ إلى آخرٍ.

يكره العالم القديسين ويضطهدهم على الدوام حتى بعد أن هزمهم الرب وهزم رئيسهم (إبليس). هذان الاثنان لن يكفا عن محاربة خدامه، فيغتصبا الكسالى والجهال ويحطماهم[1].

القدِّيس أفرآم السرياني

هنا يليق بنا أن نقف إلى لحظات، لنرى لماذا اهتم أليشع النبي بإنقاذ الشونمية من المجاعة.

لقد صارت هذه المرأة العظيمة الغنية صاحبة الممتلكات في عوزٍ، فما يليق بالنبي القديس أن يتجاهل احتياجاتها. فهو كمؤمنٍ يليق به أن يتمتع بالفضائل الحقيقية التي هي ترجمة محبتنا لله

---

[1] *On The Second Book of Kings, 8 1*

عمليًا خلال محبتنا لإخوتنا، خاصة الفقراء والمعوزين والذين في ضيقة.

في حديث السيد المسيح عن يوم الرب العظيم، وضع أساسًا للفَصلِ بين الخراف المُقدَّسة والجداء الشريرة يقوم على أساس العلاقة السرية للاتحاد بين السيد المسيح والمساكين. فما فعله الفريقان مع المساكين حُسِبَ أنه صُنع مع السيد المسيح نفسه (مت ٢٥: ٣١-٤٦).

وإذ يحدثنا **القدّيس كبريانوس** عن العطاء للمساكين يقول: [أما تعلمون أننا إنما نسير بين صورِ كثيرة للمسيح؟[1]]

- ❖ بقدر ما يكون الإنسان من "الأصاغر"، هكذا بالأكثر يأتيك المسيح خلاله، لأن من يعطي إنسانًا عظيمًا يفعل هذا بزهو، أمّا من يُقدِّم للفقراء فبنقاوة يفعل هذا أجل المسيح[2].
- ❖ ليس شيء يجعلنا هكذا مُقرَّبين من الله وعلى شبهه مثل العمل الصالح[3].
- ❖ تُصعِد الرحمة الإنسان إلى علوٍ شامخٍ، وتُعطيه دالة بليغة عند الله.

فكما أن الملكة متى أرادت الدخول إلى موضع الملك، لا يجسر أحد من رجال البلاط أن يمنعها أو يسألها عن المكان الذي تريد الذهاب إليه، بل جميعهم يستقبلونها بابتهاج، هكذا من يصنع الرحمة والصدقة يمتثل أمام عرش الملك بدون عائق، لأن الإله يحب الرحمة حبًا شديدًا، وهي تبقى بالقرب منه، لذلك قال الكتاب: "قامت الملكة عن يمينك". وذلك لأن الرحمة مُفضَّلة عند الإله، إذ جعلته يصير إنسانًا لأجل خلاصنا.

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

فَقَامَتِ الْمَرْأَةُ، وَفَعَلَتْ حَسَبَ كَلاَمِ رَجُلِ اللهِ،
وَانْطَلَقَتْ هِيَ وَبَيْتُهَا وَتَغَرَّبَتْ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سَبْعَ سِنِينٍ. [٢]

أظهرت المرأة إيمانها، إذ صدَّقت كلام الرب على لسان بنيه، وأطاعت الأمر دون جدال.

وَفِي نِهَايَةِ السِّنِينَ السَّبْعِ رَجَعَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ،
وَخَرَجَتْ لِتَصْرُخَ إِلَى الْمَلِكِ لأَجْلِ بَيْتِهَا وَحَقْلِهَا. [٣]

لم تقم الشونمية ببيع ممتلكاتها، إنما بناءً على مشورة أليشع النبي، تركت المدينة بسبب المجاعة، وإذ عادت من فلسطين في نهاية السبع سنوات، لأن الأرض قانونًا من حقها، قدَّمت شكواها لدى الملك.

جاءت المرأة تشتكي للملك، لأن أرضها قد اُغتصبت، وربما الملك نفسه هو الذي أخذها.

---

[1] On Works and Almsgiving.
[2] *In Acts, homily 45.*
[3] *In Rom., hom. 19*

وَقَالَ الْمَلِكُ لِجِيحَزِي غُلاَمِ رَجُلِ اللهِ:
قُصَّ عَلَيَّ جَمِيعَ الْعَظَائِمِ الَّتِي فَعَلَهَا أَلِيشَعُ. [٤]

واضح أن هذا حدث قبل تطهير نعمان من البرص في نهر الأردن، فلم يكن بعد قد أصيب. لأن جيحزي كان في دار ملك إسرائيل، المكان الذي لم يكن يُسمَح لأبرص أن يدخله.

بتدبير الله العجيب بينما كان الملك يتحدث مع جيحزي جاءت المرأة، وكان جيحزي يعرف المرأة وعلاقتها بأليشع.

يرى البعض أن جيحزي أحب أن يتحدث عن عمل الله مع سيده أليشع لدى الملك يهورام، دليل أنه حتى في الأشرار يوجد لمسات صالحة. فجيحزي كان يحب الحديث عن عمل الله، ويهورام الشرير أيضًا هو الذي طلب منه ذلك، إذ كان يحب أن يسمع مثل هذه العظائم.

يا للعجب! أحيانًا يشتاق الأشرار إلى الحديث عن عظائم الله والاستماع إليها، بينما قيل عن شعب الله: "نسوا الله مخلصهم، الصانع عظائم في مصر" (مز ١٠٦: ٢١).

❖ ليتني أخبر كل جيلٍ مُقبِل: أنتم تأتون من السبي، وتنتمون إلى آدم (الجديد واهب الحرية). لأخبر كل جيلٍ مقبلٍ أنه ليس لي قوة من عندي، ولا برّ من عندي، وإنما "**قوتك وبرك إلى العلياء يا الله الذي صنعت العظائم**" (مز ٧١: ١٩).

"**قوتك وبرك**"، إلى أي مدى؟ هل حتى إلى الجسد والدم؟ لا، بل "**إلى العلياء يا الله الذي صنعت العظائم**".

فإن العلياء هي السموات، وفي الأعالي الملائكة والعروش والسلاطين والرئاسات والقوات.

إنهم مدينون لك بما هم عليه.

إنهم مدينون لك بالحياة التي لهم.

إنهم مدينون لك أنهم يحيون بالبرّ.

مدينون لك بالبركات التي يعيشونها...

لا تظنوا أن الإنسان وحده ينتمي إلى نعمة الله، ماذا كان الملاك قبل أن يُخلَق؟

ماذا يكون الملاك إن تركه ذاك الذي خلقه؟[1]

القديس أغسطينوس

يقف الإنسان في دهشة أمام هذه الجلسة التي كانت بين شخصين أحدهما كان محبًا للمال والثاني كان ملوثًا بعبادة الأصنام، ومع هذا كان حديثهما في عظائم الله وأعماله خلال نبيّه أليشع.

---

[1] *On Ps. 70 (71).*

إنهما سيدينانا على إفسادنا لأوقاتنا فيما هو ليس للبنيان.

يقول المرتل: "**كل نسمة** فلتسبح الرب، هللويا" (مز ١٥٠: ٦)، "في ناموسه يلهج **نهارًا وليلاً**" (مز ١: ٢). فالمؤمن إذ يتمتع بالنعمة الإلهية، يحسب كل نسمة من نسمات حياته، نهارًا وليلاً لها وزنها وتقديرها، حتى في عيني الله.

❖ اليوم هو يومك، أما الغد فلا تعرف لمن هو؟ لعل أقدام الذين يدفنوك على الباب؟ لا تدفن يومك إلا ودفنت معه إثمك. لا تُكفِّن المساء قبل أن تُكفِّن خطيتك. لا تغمض عينيك في السبات إلا وفتحت فكرك على الصلاة.

لقد رأيت كيف كان النهار مستعجلاً ليذهب، أسرع لتغادر خطاياك معه! وليشرق برك مع الصباح! لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.

❖ لو سرقك لص لولولت، بينما تُسرَق حياتك من حياة الله ولا تتألم عليها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

وَفِيمَا هُوَ يَقُصُّ عَلَى الْمَلِكِ كَيْفَ أَنَّهُ أَحْيَا الْمَيِّتَ،
إِذَا بِالْمَرْأَةِ الَّتِي أَحْيَا ابْنَهَا تَصْرُخُ إِلَى الْمَلِكِ لأَجْلِ بَيْتِهَا وَحَقْلِهَا.
فَقَالَ جِيحَزِي: يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ،
هَذِهِ هِيَ الْمَرْأَةُ، وَهَذَا هُوَ ابْنُهَا الَّذِي أَحْيَاهُ أَلِيشَعُ. [٥]

ما أعجب حكمة الله ورعايته، فالمرأة الشونمية صرخت إلى الملك ليردَّ لها حقوقها في اللحظات التي كان يسمع فيها كيف أحيا أليشع النبي ابنها، لذا استجاب الملك لصرخاتها بعد أن طلب منها أن تروي له ما حدث مع النبي بخصوص إقامة ابنها من الموت.

فَسَأَلَ الْمَلِكُ الْمَرْأَةَ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ،
فَأَعْطَاهَا الْمَلِكُ خَصِيًّا قَائِلاً:
أَرْجِعْ كُلَّ مَا لَهَا وَجَمِيعَ غَلاَّتِ الْحَقْلِ مِنْ حِينَ تَرَكَتِ الأَرْضَ إِلَى الآنَ. [٦]

كان كل ما ترجوه الشونمية هو رد بيتها وحقلها لها ولابنها، لكن إذ سمع الملك قصتها مع رجل الله أليشع أمر أن يرد لها حتى المحاصيل التي للحقل خلال سنوات المجاعة السبع.

أمر الملك باسترداد الأرض وجميع غلات الحقل يُظهر أن المجاعة قد انتهت، وأمكنهم زراعة الحقول، أو كانت الحقول تأتي بشيءٍ من الغلات، ولكن ليس بالكفاءة الكاملة لها.

نختم هذا الحدث بكلمة عتاب مع الملك. حسن للغاية أن يستعذب الحديث عن المعجزات

---

[1] الرسالة الثالثة والأربعون.

التي يصنعها الله مع قديسيه في حياة الآخرين، لكن كان يلزم أن يطلب إله هؤلاء القديسين ليعمل عجائب في حياته هو. متى تتحول قراءاتنا عن عجائب ومعجزات السيد المسيح في حياة القديسين إلى التمتع بخبرة عملية في حياتنا الداخلية وسلوكنا اليومي!

كمثالٍ، حين تطلّع **القدّيس مار يعقوب السروجي** إلى عظائم الله التي تجلّت في لقاء السيد المسيح مع الكنعانية، انشغل لا بالمعجزة العظيمة التي تمتعت بها الكنعانية حيث كشف الرب عن عظمة إيمانها، ووهب ابنتها الشفاء (مت ٥: ٢١-٢٨)، وإنما بتركيز أنظاره إلى شخص السيد المسيح لينعم هو أيضًا بعظائمه في كل جوانب حياته.

❖ هو **الطريق** التي يسير فيه المرء ليرى أباه، وهو باب الحياة، ومن يدخلون فيه ينتصرون على الموت (يو ١٤: ٦، يو ١٠: ٩).

هو **الطبيب**، ومنه تَجري كل المعونات، وهو **الينبوع** الذي يتدفق حياة لمن هم حواليه.

به يُطرَد الأبالسة والشياطين من الإنسانية، وتُشفَي أمراض المرضى وقروحهم.

وبه تتنقى حياة النفس ومنه تستنير، وبه تُذبَح خطايا العالم التي كانت كثيرة.

هو يُبرِّر العشارين بقوة كرازته، وبالغفران يجعل الخطاة كاملين.

هو يطرد إبليس من الكنعانية التي طلبت منه، وهو يطفئ هوى نفسك إن كنتَ تنظر إليه.

هو الذي يحمل ثقل العالم بجبروته، وعليه تستند كل الخلائق، وبه توجد.

هو **شمس البرّ** والنور العظيم، وهو الطبيب والشافي لجميع المرضى (مل ٢: ٤).

هو **الغني**، وابن الغني، ومُثري الكل، وهو **قوة كل الضعفاء**، وبه يتقوون (٢ كو ٨: ٩؛ أف ٢: ٤).

هو الذي يُضمِّد الأوجاع والأمراض ويطرد الأبالسة، مبارك من نزل وافتقد العالم **وشفى** أمراضه![1]

القديس مار يعقوب السروجي

٢. بنهدد يطلب عون أليشع ولا يطلب إله أليشع

التجأ بنهدد ملك أرام إلى أليشع يطلب عونًا، أما قلبه فكان بعيدًا تمامًا عن الله. **تشغله** صحته، لكن لا يبالي بأبديته.

وَجَاءَ أليشع إِلَى دِمَشْقَ.
وَكَانَ بَنْهَدَدُ مَلِكُ أرام مَرِيضًا،

---

[1] الميمر ١٧ على الكنعانية (مت ١٥: ٢١-٢٨؛ مر ٧: ٢٤-٣٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

فَقِيلَ لَهُ: قَدْ جَاءَ رَجُلُ اللهِ إِلَى هُنَا. [٧]

لا نعرف لماذا جاء أليشع إلى دمشق. يرى البعض أنه جاء يدعو جيحزي للتوبة[1]. وربما جاء بقيادة الروح القدس لمتابعة ما سبق أن تنبأ عنه إيليا النبي في حوريب منذ عدة سنوات (١ مل ١٩: ١٥)، أي ليُقيم حزائيل من البلاط الملكي ملكًا لأرام. قال له أليشع: "قد أراني الرب إياك ملكًا على أرام".

لم يكن شعب أرام يعبد الرب، لكن الله ضابط الكل يُحرِّك العالم لتحقيق خطته الإلهية دون أن يُفقِدَ الإنسان حرية إرادته. هذه أثمن عطية قدَّمها الله لكل البشرية.

❖ كان الإنسان البشري (آدم) صورة ومثالاً للقوة التي تَحكُم كل الموجودات.

لهذا كان أيضًا له السيادة على نفسه، بكونه مُتشبِّهًا بذاك الذي يمارس السلطة الجامعية.

لم يكن قط عبدًا لأية ضرورة خارجية.

لا، بل كان يفكر فيما هو حق، وبكامل حرية إرادته يختار ما يُسرّه. وباختياره حلَّت الكارثة في تلك اللحظة التي هيمنتْ على الجنس البشري[2].

❖ هذا الإله (الصالح) ما كان يحرم الإنسان من أنبل الأمور الصالحة وأثمنها، أعني هبة الحرية والقدرة على اتخاذ القرارات بنفسه.

فلو أن الضرورة هي التي تَحكُم حياة الإنسان، لكانت "الصورة" (التي له كصورة الله) زائفة، لأنها تكون بذلك بعيدة كل البعد عن الأصل، ولا وجه للشبه بينهما.

كيف يمكن للطبيعة المُستعبَدة لأي نوع من الضرورة أن تُسمَّى صورة الطبيعة الملوكية؟... الله ليس مسئولاً عن الشرور الحاضرة، فقد أسس طبيعتك لتكون حُرَّة غير مُستعبَدة، إنما تقع المسئولية على الإرادة المُنحرِفة التي بها يختار الإنسان ما هو رديء عوضًا عما هو أفضل[3].

القديس غريغوريوس النيسي

عندما دخل دمشق لم يأتِ مُتنكِّرًا ولا مختبئًا، إذ عرفه الكثيرون أنه النبي، أو رجل الله، وذلك منذ أن شفى نعمان السرياني من برصه (٢ مل ٥).

فَقَالَ الْمَلِكُ لِحَزَائِيلَ:
خُذْ بِيَدِكَ هَدِيَّةً،

---

[1] *Adam Clarke's Commentary.*
[2] *De Virginitate 12.*
[3] *Oratione Cat. 5.*

وَاذْهَبْ لاسْتِقْبَالِ رَجُلِ اللهِ،
وَاسْأَلِ الرَّبَّ بِهِ:
هَلْ أُشْفَى مِنْ مَرَضِي هَذَا. [٨]

عند مجيئه، ربما تذكَّر الملك شفاء نعمان السرياني، لذا طلب من حزائيل أن يذهب لاستقباله، ويسأله عن إمكانية شفائه.

جاء في قوانين الرسل[1] أن أليشع النبي رفض الهدية، وذلك كما يرفض الله التقدمة إن كانت ثمن كلب أو أجرة زانية. [إن كان أنبياء الله لا يقبلون هدايا الأشرار، فمن اللائق أنتم أيضًا أيها الأساقفة (لا تقبلونها).]

جاء اسما حزائيل وبنهدد في نقش أشوري على مَسَلَّة سوداء موجودة الآن في المتحف البريطاني[2]. أُشير إلى الاسمين بكونهما ملكين لدمشق دخلا في صراع مع شلمناصر ملك أشور، وانهزما على يديه.

فَذَهَبَ حَزَائِيلُ لاسْتِقْبَالِهِ، وَأَخَذَ هَدِيَّةً بِيَدِهِ،
وَمِنْ كُلِّ خَيْرَاتِ دِمَشْقَ حِمْلَ أَرْبَعِينَ جَمَلاً،
وَجَاءَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ وَقَالَ:
إِنَّ ابْنَكَ بَنْهَدَدَ مَلِكَ أرام قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلاً:
هَلْ أُشْفَى مِنْ مَرَضِي هَذَا؟ [٩]

يرى بعض الدارسين أن هذا لا يعني أن الهدايا كثيرة بحيث تحتاج إلى ٤٠ جملاً لحملها. إنما كانت هذه عادة قديمة للمباهاة أن تُقدَّم الهدايا الثمينة في أوانٍ كثيرةٍ أو على جمالٍ كثيرةٍ. فقد كانت الهدايا الملوكية ثمينة للغاية، لكنها مُوزعة على ٤٠ جملاً. يقول *Maillet* عن هدايا العريس يحملها على أربعة أو خمسة خيول، مع أنه يمكن أن يحملها فرس واحد، وفي نوع من المباهاة عندما تُقدَّم جواهر وحلي ثمينة يصنعونها في ١٥ طبقًا، ويمكن لطبق واحد أن يحويها جميعًا. عندما قدَّم أهود هدية لعجلون ملك موآب حملها موكب من الناس (قض ٣: ١٨).

يُقال إنه في فارس كانت العادة أنه لا يجوز أن يحمل أي شخص أكثر من بندٍ واحدٍ من الهدايا مهما كان البند صغيرًا[3].

❖ كان علة مرض (بنهدد) بؤسه. فقد حزن جدًا، لأن جيوشه انهزمت في حربه مع السامرة، في

---

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 4 Sec 2.7*
[2] *Barnes' Notes*
[3] *CF James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 340*

نفس الوقت كان شعبه يترقَّب النصرة السريعة جدًا...

هرب جيشه بكامله في عارٍ وخزيٍ؛ هذا سبَّب له اضطراب في فكره. هذا بجانب أن لا يد له في هزيمته، فحلّ بأفكاره اضطراب شديد.

في خداع اعتقد أن جيشًا قويًا لا عدد له يقوم ضده، مع أنه ظهر فيما بعد أنه لم يكن هناك وجود لجيش يقاومه.

لهذا إذ سمع الملك عن مجيء أليشع إلى دمشق، أرسل حزائيل، أحد الأشراف، لكي يلتقي به.

طلب منه أن يطلب من النبي كي يهتم بشفائه، وإذ ظن أن هذا الطلب يلزم أن يصحبه هدايا وتقدمات حسب التقليد السائد في العالم، لذلك أرسل من كل خيرات دمشق على أربعين جملاً.

بالتأكيد رفض الأنبياء الهدايا، كما فعل أليشع عندما رفض تقدّمات نعمان السرياني[1].

القدّيس أفرآم السرياني

يقول حزائيل بكونه الوزير الخاص للملك أو الرئيس العام في البلاط الملكي لأليشع النبي: "**ابنك بنهدد ملك أرام**"، مما يكشف أنه مع ما حمله النبي من روح الحزم غير أنه يقدم أبوّة لا لشعب الله فحسب، بل لكل من يتعامل معهم، حتى وإن كان ملكًا وثنيًا شريرًا.

إن كان هذا هو روح النبي في العهد القديم، فكم بالأكثر يليق بكهنة الله في العهد الجديد. يليق بهم أن يشهدوا لأبوّة الله الحانية خلال أبوّتهم لكل البشر. لذلك كان **القديس يوحنا الذهبي الفم** يقول للكاهن: "أنت أب العالم كله".

❖ إعلمْ أن الرجل المتقدّم على الجماعة والمتسلّط عليهم، لا يؤيّده ويفخّمه مثل **إظهاره الحب العميق لمرؤوسيه.**

فالأب لا يكون أبًا لمجرَّد ولادته للبنين، بل لحبُّه إيَّاهم، هكذا إن كانت الطبيعة تقتضي ضرورة هذه المحبَّة، فكم بالأكثر البنوَّة التي بالنعمة؟! أعني إن كان يلزم الشخص أن يحب أولاده الطبيعيِّين، حتى يُدعَى أبًا طبيعيًا، فكم بالأكثر يحب أولاده بحسب النعمة، الروحيِّين المُعمَّدين، لئلاَّ يصيروا في جهنَّم مُعاقَبين.

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

فَقَالَ لَهُ أَلِيشَعُ: اذْهَبْ وَقُلْ لَهُ شِفَاءً تُشْفَى.
وَقَدْ أَرَانِي الرَّبُّ أَنَّهُ يَمُوتُ مَوْتًا. [١٠]

---

[1] *On The Second Book of Kings, 8.7*

يبدو أن المرض لم يكن خطيرًا، ويُشفَى منه، إنما يموت بنهدد لا بسبب المرض، إنما بالجريمة التي يرتكبها حزائيل.

طلب منه أن يقول للملك **"شفاء تُشفَى"**، ثم أكمل: **"وقد أراني الرب أنه يموت موتًا"**. ربما أراد أن يخبره أنه لا يموت بسبب المرض بل يُشفَى، لكنه يموت بسبب آخر. يرى البعض أن كلمات النبي هنا لحزائيل يُقصَد بها أن النبي يوبخه، لأنه لن يبلغ الرسالة، إذ يخشى غضب الملك. وكأن النبي يقول له أنا أعلم ما تقوله له تحت أي الأوضاع وهو "شفاءً تُشفَى"، لكن هذا يخالف قول الرب إنه موتًا يموت.

❖ إذ كان مرضه ليس خطيرًا، كان يُمكن أن يُشفَى من مرضه، كما قال أليشع له...

لقد مات بطريقة طبيعية، لكن بوسيلة غريبة، إذ خدعه حزائيل سفيره، إذ وضع اللبدة (وغمسها بالماء ونشرها على وجهه) وقتله، وملك عوضًا عنه كما تنبأ أليشع[1].

القدِّيس مار أفرآم السرياني

٣. حزائيل لا يدرك حقيقة قلبه

يُمثِّل حزائيل فئة خطيرة ممن يلجأون إلى الله، ولهم صورة التقوى والتواضع بينما قلوبهم قاسية وهم لا يدرون. لقد رأى أليشع الجريمة في قلب حزائيل، الأمر الذي لم يره حزائيل نفسه!

فَجَعَلَ نَظَرَهُ عَلَيْهِ وَثَبَّتَهُ حَتَّى خَجِلَ. فَبَكَى رَجُلُ الله. [١١]

رأى أليشع النبي في قلب حزائيل وأفكاره التي حاول أن يخفيها ما سيفعله ببني إسرائيل، لذلك تطلع إليه وبكى. لقد خجل حزائيل من نفسه، إذ شعر أن الله أظهر لأليشع أفكاره الخفية. لقد بكى النبي وهو يرى الجرائم الخطيرة التي سيرتكبها حزائيل، كما جاء في ٢ مل ١٠: ٣٢-٣٣ "في تلك الأيام ابتدأ الرب يقُصُّ إسرائيل، فضربهم حزائيل في جميع تخوم إسرائيل. من الأردن لجهة مشرق الشمس جميع أرض جلعاد والجاديين والرأوبينيين والمنسيين من عروعير التي على وادي أرنون وجلعاد وباشان. وأيضًا في ٢ مل ١٣: ٣-٤، ٢٢: "فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم ليد حزائيل ملك أرام وليد بنهدد بن حزائيل كل الأيام. وتضرَّع يهوآحاز إلى وجه الرب، فسمع له الرب، لأنه رأى ضيق إسرائيل، لأن ملك أرام ضايقهم... وأما حزائيل ملك أرام فضايق إسرائيل كل أيام يهوآحاز". كان يليق بحزائيل أن يراجع نفسه، ولا يأخذ هذا الموقف.

كما بكى النبي هكذا الرب نفسه سكب الدموع على حال شعبه الضائع (لو ١٩: ٤١).

فَقَالَ حَزَائِيلُ: لِمَاذَا يَبْكِي سَيِّدِي؟

---

[1] *On The Second Book of Kings, 8:10*

فَقَالَ: لأَنِّي عَلِمْتُ مَا سَتَفْعَلُهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الشَّرِّ،
فَإِنَّكَ تُطْلِقُ النَّارَ فِي حُصُونِهِمْ،
وَتَقْتُلُ شُبَّانَهُمْ بِالسَّيْفِ،
وَتُحَطِّمُ أَطْفَالَهُمْ، وَتَشُقُّ حَوَامِلَهُمْ. [١٢]

فَقَالَ حَزَائِيلُ:
وَمَنْ هُوَ عَبْدُكَ الْكَلْبُ حَتَّى يَفْعَلَ هَذَا الأَمْرَ الْعَظِيمَ؟
فَقَالَ أَلِيشَعُ: قَدْ أَرَانِي الرَّبُّ إِيَّاكَ مَلِكًا عَلَى أَرَامَ. [١٣]

هل طلب أليشع من حزائيل أن يخدع الملك بنهدد ويقتلّه ليملك عوضًا عنه؟ حتمًا لا، لكن ما قاله أليشع النبي كان وصفًا مسبقًا لما رأى حزائيل سيفعله. رآه يغدر بسيده الملك، ويغتصب منه المُلك، كما رآه وهو يمارس الشر ضد إسرائيل.

لم يكن حزائيل يتصوَّر ما سيبلغه قلبه من جحود، فيفعل هذا بشعب أليشع الذي تنبأ له أنه يصير ملكًا. لذا قال: "**ومن هو عبدك الكلب حتى يفعل هذا الأمر العظيم؟**! [١٣]

كثيرًا ما يظن الإنسان أنه أرفع من أن يقترف خطايا بشعة، وأنه قادر على السيطرة على تصرفاته، وأنه لن يهبط إلى هذا المستوى، متجاهلاً الشر الكامن في قلبه عِوض طلب القوة والعون من الله.

فَانْطَلَقَ مِنْ عِنْدِ أَلِيشَعَ وَدَخَلَ إِلَى سَيِّدِهِ فَسَأَلَهُ:
مَاذَا قَالَ لَكَ أَلِيشَعُ؟
فَقَالَ: قَالَ لِي إِنَّكَ تَحْيَا. [١٤]

لقد أخبر حزائيل بجزء من كلمات أليشع النبي وتوقف، فكان كلامه يحمل خداعًا.

وَفِي الْغَدِ أَخَذَ اللِّبْدَةَ وَغَمَسَهَا بِالْمَاءِ،
وَنَشَرَهَا عَلَى وَجْهِهِ وَمَاتَ،
وَمَلَكَ حَزَائِيلُ عِوَضًا عَنْهُ. [١٥]

اللبدة: ربما كانت على الأرض كبساطٍ أو على السرير كلحافٍ. غمسها بالماء لكي يقطع عن الملك الهواء، فيختنق ويظهر كأنه مات بسبب المرض. هذا الموت السريع غير المتوقَّع ساعد على تنصيب حزائيل ملكًا.

لقد سبق أن تنبأ إيليا النبي عن استلام حزائيل المُلك (١ مل ١٩:١٥)، وواضح أنه عرف ذلك. مع هذا تعجل حزائيل في استلامه المُلك، ولم يصبر، بل قتل بنهدد.

٤. يهوشافاط الصالح يلتصق ابنه بزوجة وثنية

مع ما لشخصية يهوشافاط من سمات صالحة، غير أن ارتباط ابنه بزوجة وثنية لسبب أو آخر، سواء لجمالها أو لخلق جو من الود بين يهوذا وإسرائيل، أفسد أعماقه، وفقد تقواه.

ملك يهورام (يورام) على يهوذا لمدة ثمان سنوات (٨٥٣-٨٤١ ق. م. راجع ٢ أي ٢١: ٤-٢٠).

ملك مع أبيه يهوشافاط لمدة خمس سنوات. يرى آخرون أن يهوشافاط شارك في المُلك مع آسا قبل موته بسنتين، وأن مُلك أخزيا ويهورام حُسِبَ من بداية مُلك يهوشافاط بمفرده.

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِيُورَامَ بْنِ أَخآب مَلِكِ إسرائيل وَيَهُوشَافَاطُ مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ يَهُورَامُ بْنُ يَهُوشَافَاطَ مَلِكِ يَهُوذَا. [١٦]

يرى البعض أن هذه العبارة جاءت اعتراضية، تلخص ما ورد في ١ مل ٢٢: ٥٠ "واضطجع يهوشافاط مع آبائه، ودُفن مع آبائه في مدينة داود أبيه، وملك يهورام ابنه عوضًا عنه".

جاء عن يهوشافاط أنه ملك على الأقل ٢٣ سنة (١ مل ٢٢: ٤٢، ٥١؛ ٢ مل ٣: ١؛ ٢ أي ٢٠: ٣١). يفترض البعض أن يهوشافاط أعطى لابنه لقب ملكٍ ليهوذا في السنة السادسة عشر من حُكمِه، وبعد سبع سنوات جعله شريكًا عمليًا حقيقيًا للحُكمِ معه في السنة الثالثة والعشرين. بعد عامين مات يهوشافاط وصار يهورام الملك المُنفرِد في الحكم.

وكأن ما يسبب ارتباكًا في التواريخ أن بعض الملوك مثل يهورام لُقِّب ملكًا في السنة الـ ١٦ من حكم أبيه، وشارك في الحكمِ في السنة ٢٣، واستلم الحكم بمفرده بعد موت أبيه وكان قد حكم يهوذا ٢٥ عامًا[1].

كَانَ ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ ثَمَانِي سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. [١٧]

تُحسَب الثمانية سنين هنا منذ شارك عمليًا في الحكم مع والده[2].

وَسَارَ فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إسرائيل كَمَا فَعَلَ بَيْتُ أَخآب،
لأَنَّ بِنْتَ أَخآب كَانَتْ لَهُ امْرَأَةً.
وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. [١٨]

تحالف يهوشافاط سياسيًا واجتماعيًا مع أخآب وأسرته، لم يسمح له ولبيته أن يحتفظوا بنقاوة إيمانهم. فقد تأثر ابنه يهورام بزوجته عثليا ابنة أخآب، فسلك في طريق ملوك إسرائيل،

---

[1] *Barnes' Notes.*
[2] *Barnes' Notes.*

وأدخل عبادة البعل في يهوذا[1].

الأمر العجيب أن مصدر الشر الذي جلب على إسرائيل غضب الله ألا وهو أخآب وامرأته إيزابل (١ مل ١٦: ٣١)، هو نفسه الذي جلب على يهوذا غضب الله ألا وهو عثليا ابنة أخآب وايزابل (٢ مل ١١: ١).

كان الهدف من زواج ملك يهوذا من ابنة ملك إسرائيل الشريرة هو إقامة سلام وتحالف بين المملكتين. لكن هذا الحدث السياسي الخطير سبَّب كارثة خطيرة لمملكة يهوذا.

بنت أخآب هي عثليا التي كانت مثل أمها ايزابل. ظن يهوشافاط أنه يقوي مملكته باتحاده مع مملكة إسرائيل، غير أن الاتحاد مع الأشرار يُنتِج ضعفًا وخرابًا.

ربما كان لزواج يهورام من عثليا ابنة أخآب وإيزابل الشريرة من فوائد سياسية، كما أدى إلى تحالف وسلام بين المملكتين: الشمالية والجنوبية. لكن هذا الزواج دفع بمملكة الجنوب إلى عبادة الأوثان. وبعد موت يهورام صار ابنه أخزيا ملكًا، وعندما قُتِلَ أخزيا في المعركة أبادت عثليا جميع النسل الملكي ليهوذا ماعدا يوآش الذي خبأته عمته (١١: ١)، لتقيم من نفسها ملكة، وتُثَبِّت مركزها.

وَلَمْ يَشَأَ الرَّبُّ أَنْ يُبِيدَ يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِهِ،
كَمَا قَالَ إِنَّهُ يُعْطِيهِ سِرَاجًا وَلِبَنِيهِ كُلَّ الأَيَّامِ. [١٩]

الثمرة الطبيعية لارتداد يهورام هو خراب بينه، ونقل عرش يهوذا إلى أسرة أخرى، كما حدث مع ملوك إسرائيل يربعام (١ مل ١٤: ١٠)، وبشع (١ مل ١٦: ٢-٤)، وأخآب (١ مل ٢١: ٢٠-٢٢).

لكن بالرغم من شر يهورام بقي الله أمينًا في عهده مع داود، فلم يشأ إبادة يهوذا، وذلك من أجل داود ووعوده له (٢ صم ٧: ١٢-١٦؛ مز ٨٩: ٣٠-٣٧). أما وعد داود أن يعطيه سراجًا ولبنيه كل الأيام، فهذا السراج رمز للرجاء أن يبقى منيرًا حتى في أحلك الظروف، وأن هذا الوعد تحقق بمجيء السيد المسيح نور العالم (١ مل ١٥: ٤؛ يو ١: ١٣)، وهو ابن داود حسب الجسد.

بقاء السراج يشير أيضًا إلى بقاء البيت به من يقيم فيه، أو بقاء خلفاء لهم يجلسون على العرش، وإطفاء السراج دليل على أن البيت مهجور، لا يسكن فيه أحد.

جاء تأديب يهورام بطريق آخر غير نقل العرش إلى أسرة أخرى، بالسماح لأدوم أن يذل يهوذا (٢ مل ٨:٢٣)، كما سمح لهم بالأمراض وغزو الفلسطينيين والعرب لهم وسلبهم (٢ أي

[1] *Barnes' Notes.*

٢١: ١٤-٢٠).

فِي أَيَّامِه عَصَى أَدُومُ عَلَى يَهُوذَا،
ومَلَّكُوا علَى أَنْفُسهِمْ مَلكًا. [٢٠]

غزا داود أدوم، وأقام عليها حُرَّاسًا (٢ صم ٨: ١٣-١٤؛ ١ مل ١١: ١٥-١٧)، لكنهم سبَّبوا متاعب كثيرة لنسله (٢ مل ٨: ٢٠؛ ١٤: ٧، ٢٢؛ ١٦: ٦). كانوا دائمًا يسخرون باليهود، ويهزأون بهم، خاصة عندما سباهم البابليون، لذا جاءت النبوات ضدهم كثيرة في الكتاب المقدس، منها إر ٤٩: ١-٢٢؛ صف ٢: ٨، ١١؛ حز ٢٥: ١٢-١٤ الخ، أما ما ورد هنا فلتأديب يهورام.

ثار أدوم على يهوذا، وتحققت النبوة الواردة في تك ٢٧: ٤٠، فصار لهم منذ ذلك الوقت استقلالهم (إر ٢٥: ٢١؛ ٢٧: ٣؛ عا ١: ١١ الخ). أشارت النقوش الأشورية إلى ملوك أدوم بكونهم ملوك لهم استقلالهم.

وَعَبَرَ يورَامُ إِلَى صَعِيرَ وَجَمِيعُ الْمَرْكَبَاتِ مَعَهُ،
وَقَامَ لَيْلاً، وَضَرَبَ أَدُومَ الْمُحِيطَ بِهِ وَرُؤَسَاءَ الْمَرْكَبَاتِ.
وَهَرَبَ الشَّعْبُ إِلَى خِيَامِهِمْ. [٢١]

يورام هنا هو نفسه يهورام.

صعير: اسم عبري معناه "صغير"؛ كانت المدينة الرئيسية في أدوم. قيل إنها صعير الحالية، وهي قرية تبعد حوالي خمسة أميال شمال شرقي حبرون، حيث يوجد قبر عيسو (أدوم).

عندما تحدث إشعياء النبي عن نبوة خاصة بأدوم أشار إلى صعير باسم "سعير"، إذ قال: "وحي من جهة دُومة. صرخ إليّ صارخ من سعير، يا حارس، ما من الليل! يا حارس، ما من الليل! قال الحارس: أتى صباح، وأيضًا ليل، إن كنتم تطلبون فاطلبوا، ارجعوا وتعالوا" (إش ٢١: ١١-١٢).

دومة *Dumah* هنا اختصار كلمة *Idumea*.

وقف النبي على المحرس كل الليالي [٨]، إذ ساد العالم نوعٌ من الظلمة الداخلية، يترقب مجيء شمس البرّ لينتزع ظلمة الليل، ويحل الصباح. الآن يسمع صوتًا ربما من السماء أو من بقية الأنبياء ورجال الله: **"يا حارس ما من ليل!"** لقد جاء ملء الزمان، وأشرق نور الصباح؛ لتصمت الأمم، ولتمت عن إنسانها القديم، لتتمتع بنور الحياة؛ لتطلب الآن فتجد نورها خلال إيمانها بالسيد المسيح، لترجع إلى الله مُخلِّصها وتأتي إليه، فتجده باسطًا يديه بالحب العملي ليحتضنها.

يُكرِّر **"يا حارس ما من ليل!"** مرتين، لأن الحديث مع النبي خاص باليهود كما بالأمم، وأيضًا خاص بمؤمني العهدين القديم والجديد كي يتمتع الكل بالخلاص وهم في سكون يتأملون

عمل الله معهم.

وَعَصَى أَدُومُ عَلَى يَهُوذَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.
حِينَئِذٍ عَصَتْ لِبْنَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. [٢٢]

كانت ليهوذا وأدوم حدودًا مشتركة، ولهما جدٍ واحد هو اسحق، لكنهما عاشا في حروبٍ مستمرةٍ.

خضعت أدوم لإسرائيل في أيام داود كما رأينا، ثم لمملكة الجنوب، والآن عصت على يهورام وأعلنت الاستقلال. فزحف يهورام لمهاجمة أدوم، لكنه فشل، ففقد جزءًا من أرضه عقابًا له على فشله في إكرام الله.

لبنة مدينة في الساحل بين مقيدة ولخيش (يش ١٠: ٣٩؛ ١٢: ١٥)، من مدن يهوذا إلى جهة الجنوب الغربي من أورشليم،؛ يُظَن أنها تل الصافية حاليًا.

خصصت لنسل هارون (يش ٢١: ١٣، ١ أي ٦: ٥٧). تمرَّدتْ على مملكة يهوذا، إذ ضعفت المملكة في أيام يهورام. أما سبب تمردها فورد في ٢ أي ٢١: ١٠-١١، وهو أن يهورام ترك الرب إله آبائه، وجعل سكان أورشليم يزنون.

حاصرها سنحاريب ملك أشور (٢ مل ١٩: ٨؛ إش ٣٧: ٨).

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يُورَامَ وَكُلُّ مَا صَنَعَ، أما هي مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٢٣]

واضْطَجَعَ يُورَامُ مَعَ آبَائِهِ،
وَدُفِنَ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،
وَمَلَكَ أَخَزْيَا ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٤]

جاء في ٢ أي ٢١: ١٨ أن يورام مات على أثر مرضٍ خطيرٍ، حيث انسكبت أحشاؤه، ودُفن في مدينة داود، ولكن ليس في مقبرة أسرته، أي مقبرة الملوك.

٥. تحالف خارج الرب

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشَرَةَ لِيُورَامَ بْنِ أَخآب مَلِكِ إِسرائيل،
مَلَكَ أَخَزْيَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكِ يَهُوذَا. [٢٥]

يفترض البعض أنه ملك سنة مع أبيه بسبب مرضه الشديد.

جاء في ٢ مل ٨: ٢٥ أن أخزيا بن يورام صار ملكًا على يهوذا في السنة الثانية عشرة من مُلك يورام بن أخآب ملك إسرائيل. ومع ذلك ورد في ٢ مل ٩: ٢٩ أن أخزيا ملك على يهوذا

في السنة الحادية عشر من مُلك يورام على إسرائيل. أين الصواب؟

كلاهما صحيح، الاختلاف نابع هنا من طريقة حساب مدة المُلك في إسرائيل ويهوذا. في أثناء مُلك أخزيا ليهوذا كان النظام المُتَّبع لحساب سنين الملك هو نظام "سنة التنصيب *accession-year*" حيث أن أول سنة رسمية للملك لا تبدأ إلا عند بداية السنة الجديدة بعد الجلوس على العرش. أما النظام المُتَّبع في إسرائيل هو "سنة اللاتنصيب *non accession-year*" والذي فيه تُحسَب السنة التي يستلم فيها الملك العرش هي السنة الأولى الرسمية لمُلكِه. وبالتالي تكون السنة الحادية عشر بحسب نظام سنة التولية توافق السنة الثانية عشر بحسب النظام الآخر[1].

وَكَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي مَلِكِ إِسرائيل. [٢٦]

كان أخزيا هو الابن الوحيد الباقي ليهورام ملك يهوذا. ومع كونه الأصغر استلم الحكم، لأن كل إخوته سقطوا في الأسر في إحدى غارات الفلسطينيين والعرب (٢ أي ٢١:١٦-١٧).

يُذكَر أحيانًا اسم أم الملك، لأنه كثيرًا ما تكون هي الملكة العملية والمُدبِّرة لشئون الدولة.

عثليا: يرى بعض الدارسين أن أخآب وإن كان قد أدخل عبادة البعل إلى إسرائيل، إلا إنه لم يترك عبادة الرب، ولذا دعا أبناءه: عثليا وتعني "يهوه مرتفع"، واسم أخيها "أخزيا" ويعني "يهوه يمسك أو يسند"، ويورام وتعني "يهوه علّي".

"بنت عُمري"، كانت عثليا ابنة أخآب بن عمري، وكان لعُمري اعتبار خاص.

أخزيا المذكور هنا هو ابن عثليا حفيدة عمري ملك إسرائيل. تشابُه الأسماء في هذه الحقبة بين الأسر المالكة في إسرائيل والأسر المالكة في يهوذا يُسبِّب نوعًا من الارتباك.

كان لأخآب ملك إسرائيل ابنان، توليا العرش بالتتابع، وهما أخزيا ويهورام (يورام). ويهوشافاط ملك يهوذا له ابن يُدعَى يهورام تولَّى العرش بعده؛ هذا له ابن تولى العرش بعده يُدعَى أخزيا.

يهوذا	إسرائيل
يهوشافاط	أخآب
ابنه يهورام	ابنه أخزيا
ابنه أخزيا	أخوه يهورام.

[1] *When Critics ask A popular handbook on Bible difficulties Wheaton، Ill.: Victor Books Geisler، N. L.، & Howe، T. A. (1992)*

وَسَارَ فِي طَرِيقِ بَيْتِ أَخآب،
وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ كَبَيْتِ أخآب،
لأَنَّهُ كَانَ صِهِرَ بَيْتِ أخآب. [٢٧]

كما أن إسرائيل في أيام أخآب وإيزابل وصل إلى أخطر درجات الارتداد والشر، هكذا يهوذا في أيام ابنتهما عثليا انحط إلى صورة خطيرة.

وَانْطَلَقَ مَعَ يُورَامَ بْنِ أخآب لِمُقَاتَلَةِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أرام فِي رَامُوتِ جِلْعَادَ،
فَضَرَبَ الأراميُّونَ يُورَامَ. [٢٨]

هنا بدأت متاعب حزائيل ملك أرام التي تنبأ عنها أليشع النبي (٨: ١٢).

فَرَجَعَ يُورَامُ الْمَلِكُ لِيَبْرَأَ فِي يَزْرَعِيلَ،
مِنَ الْجُرُوحِ الَّتِي جَرَحَهُ بِهَا الأراميُّونَ فِي رَامُوتَ،
عِنْدَ مُقَاتَلَتِهِ حَزَائِيلَ مَلِكَ أرام.
وَنَزَلَ أَخَزْيَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكُ يَهُوذَا،
لِيَرَى يُورامَ بْنَ أخآب فِي يَزْرَعِيلَ،
لأَنَّهُ كَانَ مَرِيضًا. [٢٩]

كانت يزرعيل مقر القصر الصيفي لملوك إسرائيل.

كان أخزيا قد رجع إلي أورشليم بعدما جُرِحَ يوارم، ونزل من أورشليم إلى يزرعيل ليعود إلى يوارم. وكانت يزرعيل مضيفًا لملوك إسرائيل.

أخيرًا، فإن الأحداث التي وردت في هذا الأصحاح تدفعنا نحو التسليم الكامل بين أيدي مخلصنا السماوي، فعنايته وخطته وتدابيره فائقة:

١. يهتم الله بالأرملة الشونمية وابنها وسط المجاعة التي عانى منها الشعب، وهو العالم بالمستقبل وفي يديه.
٢. يحمل بنهدد ملك أرام صورة التديُّن، لكن الله يعلم قلبه الشرير.
٣. يكرم حزائيل ملك أرام أليشع النبي الذي يدرك ما يحمله قلبه من مرارة.
٤. يسلك يهوشافاط باستقامة، لكن الصداقة الشريرة أفسدت نقاوته.
٥. يورام ملك يهوذا كان شريرًا، لكن الله يحفظ وعده لداود مع تأديب الملك.

فالله يهتم بنا ويُخطِّط لخلاصنا، يطلب نقاوة قلوبنا، لا صورة التقوى، يسألنا الشركة المُقدَّسة مع إخوتنا، وأخيرًا يبقى أمينًا في مواعيده لنا بالرغم من عدم أمانتنا.

من وحي ٢ مل ٨

لألتصق بك يا راعي الأمين!

❖ سمحتَ بالمجاعة للبلد كلها،
لكن الأرملة الملتصقة بك لا تتخلى عنها.
مستقبلها هي ونسلها بين يديك!
لتطمئن نفسي على الدوام،
فلا أخشى الغد، لأنه في يدك!

❖ حمل بنهدد ملك أرام صورة التقوى،
فلم يسأل آلهته عند مرضه،
بل أرسل يطلب مشورة نبيّك.
قدَّم عطايا كثيرة لخادمك،
أما قلبه فكان بعيدًا جدًا عنك.
لا تطلب صورة التقوى،
ولا تحتاج إلى ذبائح وتقدِّمات،
إنما تطلب القلب النقي مسكنًا لك!

❖ قدّمتَ كل الإمكانيات لحزائيل المملوء سمًا نحو شعبك.
كشفتَ له ما خفي في فكره وقلبه.
وحسب نفسه ككلبٍ إن كان يُسيء إليك.
بكى عندما كشف له نبيك عنف قلبه وقسوته.
لكنه لم يطلب نعمتك، ولا سألك لتقود حياته!
مع كل الإنذارات الإلهية تمَّم شهوة قلبه الشريرة!
احفظني من أعماقي الفاسدة، قدّسني واحملني على يديك!

❖ نفسي مُرَّة، فقد انهارت نقاوة قلب يهوشافاط.
تحالفه مع الأشرار، ومداهنته لهم،
أفقدته البصيرة الداخلية.
سقط بصره عنك أيها السماوي وعن سماواتك.
وسار قلبه وراء المجاملات البشرية المُنحرِفة!

لِيحفظ روحك النار ي أعماقي نقية،
فلا أنحرف يمينًا ولا يسارًا!
أراك فأفرح بك.
ألتصق بك، وأنعم بالشركة معك!

❖ لتؤدبني بسبب خطاياي، وإلى الموت لا تُسلِّمني.
لتبقى وعودك أمينة بالرغم من عدم أمانتي.
لتقيم يا ابن داود الخيمة الساقطة في أعماقي.
فيُعلن ملكوتك المُفرِح في داخلي.
لك المجد يا أيها العجيب في رعايتك الإلهية!

الباب الثالث

الممملكتان حتى السبي الأشوري
٢ ملوك ٩-١٧

الخطية هي الطريق إلى السبي الأبدي

قدَّم لنا سفر الملوك الأول صورة مُبهجِة للنفس، كيف تمتَّع سليمان بن داود بالحكمة السماوية مع أمجاد ومواهب فائقة، فصار مثلاً للنفس التي تتحد بحكمة الله المتجسد ربنا يسوع، يبني لا هيكلا في أورشليم الأرضية، بل يُقِيم روح الله في أعماقه ملكوته، عربون السماء. وجاءت حياة إيليا النبي في ذات السفر وبداية الملوك الثاني، تلهب أعماقنا شوقًا نحو الغيرة المقدسة النارية، حتى نتهيأ لا للصعود بمركبة نارية مع إيليا النبي، بل للقاء مع رب المجد على السحاب. كما جاءت سيرة أليشع النبي تبعث فينا روح الحب لله والناس، والعمل الدائم لحساب ملكوت الله، فتنفتح بصيرتنا، لا لنرى مركبات وخيولاً نارية تُحيط بنا على الدوام، بل أحضان الله مفتوحة لاستقبالنا، ورب المجد يسوع مشغولاً بإعداد مكانٍ لنا على مستوى أبدي.

الآن بعد أن تمتَّعنا بهذه الصورة المُبهِجة يحذرنا بقية سفر الملوك الثاني من خطورة العناد والتشبُّث بالخطية التي يبغضها القدوس.

يستعرض هذا الفصل (٢ مل ٩-١٧) ما يثير مرارةً شديدة في النفس، إذ يكشف عن ما بلغ إليه إسرائيل من فسادٍ فاق فساد يهوذا، حيث كان جميع ملوك إسرائيل أشرارًا، لم يوجد بينهم ملك واحد صالح، فأطال الله أناته عليهم كما على يهوذا. وأخيرًا سمح بتأديبهم بواسطة أشور الذي قام بسبيهم على مراحل، لماذا؟

١. تمَّ السبي على مراحل ليعطي لإسرائيل على مستوى القيادات والشعب الفرصة لمراجعة كل الأحداث منذ قام يربعام بالتمرُّد، وإقامة مملكة مُنشقَّة مستقلة تضم عشرة أسباط، ترفض قيام ملوك من نسل داود، كما تمنع الذهاب إلى أورشليم والعبادة في هيكل الرب الخ.

كما أعطاهم الفرصة لمراجعة تأديبات الرب لآبائهم، فيرجعون إلى الله بالتوبة الصادقة.

٢. تحقيق السبي على مراحل يشير إلى طول أناة الله، فهو لا يريد مذلّتهم وهلاكهم، فمع كل مرحلة يليق بالكل أن يرجعوا إلى الله، وكأن الله يود ألا يتم السبي الكامل.

٣. سبي إسرائيل على مراحل يعطي الفرصة لمملكة يهوذا أيضًا أن تدرك خطورة الخطية، فتنتفع من درس إسرائيل المُر. لكن للأسف عوض التوبة ظنَّت يهوذا أنها لن تسقط تحت السبي، لأن الله لن يُسلِّم مدينته أورشليم ولا هيكله ولا ينزع المُلك عن بيت داود. تمادت يهوذا في الشر حتى فاقت ما سبق أن مارسته مملكة إسرائيل، فسمح الله لها هي أيضًا بالسبي البابلي على مراحل.

حقًا إن الخطية خاطئة جدًا، هي الطريق الذي يقود النفس البشرية إلى السبي، فتفقد حريتها في الرب، ويُنزَع عنها رجاؤها في المجد الأبدي!

❖ الخطية ثقيلة جدًا، تحتاج إلى مراحم عظيمة[1].

القديس جيروم

❖ يلزمنا أن نعرف أن في الأمور البشرية لا يوجد صلاح حقيقي إلا فضيلة الروح وحدها التي تقودنا بإيمان حقيقي إلى الأمور السماوية، وتجعلنا على الدوام متمسكين بالأمور الباقية.

ومن ناحية أخرى ينبغي علينا **ألا ندعو شيئًا ما شريرًا إلا الخطية وحدها التي تفصلنا عن الله، وتربطنا بالشيطان الشرير**[2].

الأب ثيؤدور (تادرس)

❖ إن بقيتَ فيما يخص التراب، فستتحول إليه في النهاية. يليق بك أن تتغير، يجب أن تتحول، يجب أن تصير سماويًا[3].

العلامة أوريجينوس

❖ إذا سقط إنسان في خطية يفقد بهجة قلبه، ويمشي كئيبًا وحزينًا من شدة نخس ضميره، لكنه إذ يخلص من الخطية بالتوبة ترتد إليه بهجة الخلاص...

وأيضًا خلاص الأمم هو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، لذلك يسأل النبي من الله الآب أن يبهج العالم بمجيء ابنه إليه متجسدًا.

وأما روح رئاسي فهو الروح القدس الذي يسود ويرأس كافة الخليقة.

❖ يطلب النبي محو كل الآثام، لأنه لو بقيت خطية واحدة، فإنها تحرمنا من الدخول إلى ملكوت الله، كما إذا وُجد دنس يسير في اللباس يمنعنا من الدخول إلى المقدس. يصدق هذا القول مع الرسول بولس: "لا تضلوا؛ لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله (١ كو ٦: ٩-١٠).

الأب أنثيموس الأورشليمي

---

[1] *Epistle 122· 3*

[2] مناظرات يوحنا كاسيان مع مشاهير آباء البرية، ٦:٣.

[3] *Homilies on Genesis, 9.*

اَلأَصْحَاحُ التَّاسِعُ

الكلاب تأكل لحمها!

الأحداث الواردة في هذا الأصحاح مُرَّة وقاسية، فقد حان وقت إبادة هؤلاء القادة الذين أفسدوا الشعب وانحرفوا به بعيدًا عن عبادة الرب، ودفعوه نحو العبادة الوثنية وممارسة رجاساتها. ليس شيء يُبغِضه الله سوى الخطية. فهي تغلق أبواب السماء، وتقيم أساسات جهنم، وتُفسد صورة الله فينا. وهي التي دفعت كلمة الله المتجسد للصليب كي يخلصنا منها.

سبق أن تنبأ إيليا النبي عن قتل عدد كبير من القادة الأشرار عندما يصبح ياهو ملكًا (١ مل ١٩:١٦-١٨). تحقق ذلك على يدي تلميذه أليشع النبي إذ طلب من أحد بني الأنبياء أن يمسح قائد الجيش ياهو ملكًا على إسرائيل، وأن يسرع بالهروب من المنطقة حالما يتمم رسالته، قبل أن تبدأ المذبحة. وتبدو تصرفات ياهو قاسية في إبادته كل أقرباء أخآب وأصدقائه (٢ أي ٢٢:٨-٩).

الملك ياهو هو الشخصية الرئيسية في الأصحاح التاسع، كان واحدًا من ثلاثة أشخاص، طُلب من إيليا أن يمسحوا وهو على جبل حوريب لمهمة تحطيم البعل في إسرائيل (١ مل ١٩:١٥-١٨). كان ياهو آخر الثلاثة للقيام بهذه المهمة. سبق أن رأينا الاثنين الآخرين- أليشع وحزائيل وهما يعملان ضد البعل في إسرائيل. حزائيل عن طريق إثارة حرب على إسرائيل (٢ مل ٨:٢٨-٢٩) وأليشع عن طريق تعنيف الوثنيين وتثبيت قوة الله المعجزية في هذا السفر كله.

١. مسح ياهو لضرب بيت أخآب ١-١٠.

٢. قتل يهورام ١١-٢٦.

٣. قتل أخزيا ملك يهوذا ٢٧-٢٩.

٤. قتل إيزابل ٣٠ -٣٧.

١. مسح ياهو لضرب بيت أخآب

أرسل أليشع النبي أحد بني الأنبياء إلى راموت جلعاد، حيث كان ياهو رئيس جيش يورام معسكرًا لصد الأراميين. طلب منه أن يمسحه ملكًا خفية ويهرب، بعد أن يخبره بأن الله مسحه لإزالة كل ما تبقَّى في بيت أخآب أشر ملوك إسرائيل، مُحَقِّقًا نبوة إيليا النبي (١ مل ٢١: ٢١-٢٤).

وَدَعَا أَلِيشَعُ النَّبِيُّ وَاحِدًا مِنْ بَنِي الأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ لَهُ:
شُدَّ حَقَوَيْكَ، وَخُذْ قِنِّينَةَ الدُّهْنِ هَذِهِ بِيَدِكَ،

وَاذْهَبْ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ. [١]

يرى اليهود أن هذا النبي الذي ارسله أليشع هو يونان بن أمتّاي[1].

طلب منه أن يشد حقويه وهذا يحمل معنى الاستعداد للسَفَرِ عاجلاً، والقيام بمهمة خطيرة، فقد حان وقت سقوط بيت أخآب، وإقامة ملكٍ جديدٍ من بيت آخر.

لم نسمع أن أحدًا من ملوك إسرائيل، بعد انشقاقهم وتمردهم على بيت داود مُسِحَ سوى ياهو.

قنينة الزيت: تحوي زيتًا مُقدّسًا للمسحة، قدَّم الله لموسى أسماء المواد التي تتركب منها هذه المسحة. تُمسَح بها خيمة الاجتماع وأثاثاتها، ويُمسَح بها هرون وبنيه ليكهنوا للرب، وفيما بعد مُسِحَ بها الملوك. ولا يجوز أن يُركِّبَ أحد مسحة مثلها (خر ٣٠: ٢٢-٣٣).

كانت القنينة قارورة (١ صم ١٠: ١) من الزجاج أو المرمر أو الخزف. وُجِد كثير من هذه الأواني في مصر وأشور[2].

راموت جلعاد: مدينة لها أهمية عُظمَى عند الشعب اليهودي، شرقي الأردن، كانت تُمثِّل حصنًا للدفاع ضد الأراميين (السريان). استردها يورام (٢ مل ٨: ٢٩)، وكان الجيش الإسرائيلي معسكرًا هناك تحت قيادة ياهو.

كان الملك يورام قد ترك راموت جلعاد، وذهب إلى يزرعيل ليبرأ من جراحاته؛ ولم تكن بالجراحات البالغة، إذ خرج من يزرعيل في مركبته للقاء ياهو.

وَإِذَا وَصَلْتَهَا، فَانْظُرْ هُنَاكَ يَاهُوَ بْنَ يَهُوشَافَاطَ بْنَ نِمْشِي.
وَادْخُلْ وَأَقِمْهُ مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِ،
وَادْخُلْ بِهِ إِلَى مِخْدَعٍ دَاخِلَ مِخْدَعٍ [٢]

كان ياهو قائدًا في أيام أخآب وابنه يهورام، وكان غيورًا شجاعًا نشيطًا، لكنه لم يكن يخاف الله، ولا يهاب إنسانًا، عُرِفَ أنه كان يسوق بجنون [٢٠]. ولم يجسر أحد أن يخالف أوامره.

ابن يهوشافاط، غير يهوشافاط ملك يهوذا.

من وسط إخوته، أي من بين رفقائه القواد.

مخدع داخل مخدع، لكي تكون له الحرية في الكلام معه بعيدًا عن مسامع المُلتفين حوله. كما دخوله من حجرة إلى حجرة فيه أمان للرسول، وضمان عدم وجود عوائق لتحقيق ما جاء في الرسالة.

---

[1] *Adam Clarke's Commentary.*
[2] *Barnes' Notes*

ثُمَّ خُذْ قِنِّينَةَ الدُّهْنِ،
وَصُبَّ عَلَى رَأْسِهِ،
وَقُلْ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
قَدْ مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ.
ثُمَّ افْتَحِ الْبَابَ وَاهْرُبْ، وَلاَ تَنْتَظِرْ. [٣]

أوصى أليشع الغلام أن يفتح الباب ويهرب بسرعة، لأن في هذا العمل خطورة عليه من جهة الملك يوارم، كما من جهة ياهو لو كان مخلصًا ليورام، أو يسمع أحد من المتجسسين لحساب الملك، أو يوجد بينهم أحد من رجال البلاط المُحبِّين للملك والملكة.

بهروبه السريع لا يعطي ياهو ورجاله فرصة للمناقشة، فالأمر قد صدر من قبل الرب، هذا، ومن جانب آخر يعطي لياهو الفرصة لأخذ قرار سريع قبل أن يسمع الملك ويتحرك لمقاومة ياهو.

❖ دعا أليشع النبي عضوًا من جماعة الأنبياء، وقال له: "شد حقويك، وخذ قنينة الدهن هذه بيدك، واذهب إلى راموت جلعاد" (٢ مل ٩: ١). هنا يُقدِّم الكتاب المقدس تقريرًا عن حُكْمٍ عادلٍ يحل على بيت أخآب. في الحال يتحدث عن اختيار القاضي ومُنَفِّذ الحكم. إنه ياهو بن نمشي...

هرب النبي في الحال من المعسكر، وبعد قليل حدث إجماع عجيب على ياهو ملكًا لإسرائيل[1].

القدِّيس مار أفرآم السرياني

فَانْطَلَقَ الْغُلاَمُ، أي الغلام النَّبِيُّ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ [٤]

بلاشك كان هذا النبي الشاب يُدرك ما حلَّ بالمملكة من ارتداد خطير على أيدي أخآب وزوجته وأولادهما. لذا وجدت هذه الرسالة صدى في قلب الشاب، فتحرك بسرعة في طاعة لأليشع النبي وبروح التقوى.

يرى البعض أيضًا هذا الغلام هو الذي حلَّ محل جيحزي بعد أن أصابه البرص كعقوبة إلهية بسبب طمعه وكذبه.

وَدَخَلَ، وَإِذَا قُوَّادُ الْجَيْشِ جُلُوسٌ.
فَقَالَ: لِي كَلاَمٌ مَعَكَ يَا قَائِدُ.
فَقَالَ يَاهُو: مَعَ مَنْ مِنَّا كُلِّنَا.

---

[1] *On The Second Book of Kings, 9:1-24.*

فَقَالَ: مَعَكَ أَيُّهَا الْقَائِدُ. [٥]

لم يكن يعرف الغلام من هو ياهو، لذلك قال **"يا قائد"** دون ذكر الاسم، ولعل ياهو كان رئيس القواد، فجاوب الغلام، بهذا عرف أنه هو ياهو.

جاءت الكلمة العبرية وأيضًا اليونانية المُترجَمة هنا "القائد" تختلف عن كلمة قائد العادية. ولعل ياهو أدرك أن الرسول يحمل رسالة خطيرة، لذلك ترك مجلس القادة الذين تحت إشرافه، وربما كانوا يناقشون بعض الخطط الحربية، ودخل مع الشاب بعيدًا عن مسامع الجميع.

فَقَامَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ،
فَصَبَّ الدُّهْنَ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَالَ لَهُ:
هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ:
قَدْ مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِ الرَّبِّ إِسْرَائِيلَ، [٦]

تركت المملكة الشمالية (إسرائيل) عبادة الرب، وسارت في طريق يربعام، لكن الله ظل يرسل لهم أنبياء، ويعتني بهم حتى يردهم إليه.

كانت المسحة في العهد القديم محفوظة لمسح الملك (٢ صم ٢: ٤) ورئيس الكهنة (خر ٤٠: ١٣).

بقوله: **"على شعب الرب"**، يؤكد النبي لياهو أن هذه الدعوة لتولي الحكم ليست عن استحقاقه الشخصي، ولا مجهوداته البشرية، إنما هي بدعوة من الرب ليحكم الشعب حسب شريعة الرب، ويُطَهِّر المملكة من العبادات الغريبة، وينزع عنها روح الارتداد.

فَتَضْرِبُ بَيْتَ أَخْآبَ سَيِّدِكَ.
وَأَنْتَقِمُ لِدِمَاءِ عَبِيدِيَ الأَنْبِيَاءِ،
وَدِمَاءِ جَمِيعِ عَبِيدِ الرَّبِّ مِنْ يَدِ إِيزَابَلَ. [٧]

جاءت كلمات أليشع النبي تحقيقًا لما تنبأ عنه مُعلِّمه إيليا النبي منذ حوالي عشرين عامًا (١ مل ٢١: ١٧-٢٣).

كان ياهو في خدمة الملك، ويعرف تمامًا شروره هو وكل أسرته.

حسب العدالة الإلهية من يسفك دمًا ظلمًا، يُسفَك دمه. فما يفعله ياهو إنما تحقيق العدالة، ولكن كان يلزم أن يتحقق هذا بنقاوة قلب، وليس لتحقيق مطامع شخصية.

فَيَبِيدُ كُلُّ بَيْتِ أَخْآبَ،
وَأَسْتَأْصِلُ لأَخْآبَ كُلَّ ذَكَرٍ وَمَحْجُوزٍ وَمُطْلَقٍ فِي إِسْرَائِيلَ. [٨]

هنا كلّف الله ياهو بإبادة بيت أخآب، ومع ذلك، تنبأ هوشع أن الله قال: سوف "أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل" (هو ١: ٤). كيف يدين الله ياهو على إراقة الدم وهو الذي أمره بذلك؟

الإجابة: مدح الله ياهو على طاعته في إبادة بيت أخآب، وعلى الرغم من أن ما ورد في (٢ مل ١٠: ٣٠) يشير إلى أن الله أخبر ياهو بأنه كان على حق في قتله أقارب أخآب، ولكنه إذ "لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب إله إسرائيل... ولم يحد عن خطايا يربعام" وولم يبد العجل الذهبي (٢ مل ١٠: ٣١)، لذلك أدانه على خطيئته في إراقة الدماء. من الواضح أن ياهو عبد آلهة أخرى، ولم يسلك حسب شريعة الرب إله إسرائيل من كل قلبه، فإنه لم يبد بيت أخآب حبًا في تنفيذ وصايا الله[1].

وَأَجْعَلُ بَيْتَ أَخآبَ كَبَيْتِ يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ،
وَكَبَيْتِ بَعْشَا بْنِ أَخِيَّا. [٩]

تُحطِّم الخطية الإنسان نفسه، كما تُحَطِّم الأسرة وتمتد إلى الأمة، إن تجاوبت الأسرة أو الأمة مع الشر، أو تهاونت معه.

لقد انتهت أسرة أخآب كما تنبأ إيليا النبي (١ مل ٢١:١٧-٢٤)، وانتهت أيضًا أسرة يربعام (١ مل ١٤:١-٢١)، وذلك على يد بعشا (١ مل ١٥:٢٩). وتنبأ ياهو النبي، وهو غير ياهو الملك، بإبادة أسرة بعشا (١ مل ١٦:١-١٢،١١،٧).

❖ ليته لا يخطئ أحد في تقدير طول أناة الله، أو يفشل في وضع الدينونة القادمة في اعتباره.

ليته لا يعتقد أحد أن الديان العادل يترك أعمال الأشرار دون تأديب.

ليتعلم درسًا من الأحكام التي حلت بفرعون (خر ١٤: ٤) ونبوخذنناصر (إر ٥: ٥٧) وإيزابل (٢ مل ٩: ٧-١٠)، والعمالقة (باروخ ٣: ٢٧-٢٨) وبني قورح (عد ١٦: ٣١)، وجماعة داثان (عد ٢٦: ٩-١٠) ومدينتي سدوم وعمورة (تك ١٩: ٢٤-٢٥)، وكل بقية الأمم. فإن التطلّع إلى هذه الأمم الشريرة وكيف استخفوا بطول أناة الله يجعلنا نقف قليلاً، ونخشى العقوبة التي قد تحل بمثلهم.

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

وَتَأْكُلُ الْكِلاَبُ إِيزَابَلَ فِي حَقْلِ يَزْرَعِيلَ،
وَلَيْسَ مَنْ يَدْفِنُهَا.
ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ وَهَرَبَ. [١٠]

[1] *When Critics ask A popular handbook on Bible difficulties Wheaton، Ill Victor Books Geisler، N L.، & Howe، T A (1992)*

تحققت النبوة حرفيًا وبدقة (٢ مل ٩: ٣٣). يتم ذلك في "حقل يزرعيل" الذي كان في ملكية نابوت اليزرعيلي.

كثير من البشر، حتى الفقراء، يهتمون أن يُدفَنوا بلياقة، ويُعِدُّون القبور اللائقة بهم، حاسبين أن عدم الدفن كارثة كبرى وعار (إش ١٤: ١٨-٢٠؛ إر ٢٢: ١٨-١٩).

٢. قتل يهورام

وَأَمَّا يَاهُو فَخَرَجَ إِلَى عَبِيدِ سَيِّدِهِ.

فَقِيلَ لَهُ: أَسَلاَمٌ؟

لِمَاذَا جَاءَ هَذَا الْمَجْنُونُ إِلَيْكَ؟

فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ الرَّجُلَ وَكَلاَمَهُ. [١١]

عرفه الجالسون مع ياهو أنه ينتمي غالبًا إلى بني الأنبياء، وذلك من ملابسه وطريقة حديثه، وعدم مبالاته بتقديم الكرامة والتحيّات لقادة حرب جالسين مع قائدهم الأعظم.

دعوه مجنونًا، لأنه جاء وذهب عاجلاً بطريقة غير طبيعية، وقد ظهرت على ملامحه علامات الاضطراب، كما سحب القائد من وسطهم دون أن يُعلِنَ عن شيءٍ، فحسبوه شابًا متهوّرًا غير حكيمٍ. وربما لأنهم كقادة حرب كانوا يستخفون بأبناء الأنبياء الذين يقضون أغلب أوقاتهم في العبادة، في معزلٍ عن العالم، بعيدًا عن واقع الحياة.

ليس عجيبًا أن يتهم النبي الكاذب رجل الله الحقيقي بأنه قد عيَّن نفسه بنفسه، وأن ما ينطق به إنما هو كلام لا قوة فيه. على العكس ظهر في ذلك الوقت شمعيا النحلامي النبي الكاذب، لم يرسله الله، بل جاء باسمه الشخصي متهمًا الأنبياء الحقيقيين مثل إرميا أنهم قد بعثوا روح الاستكانة والخنوع وسط المسبيين، وطالبهم أن يبنوا بيوتًا ويغرسوا جنات كمن هم مستقرين في بابل (إر ٢٩: ٢٤-٢٩).

كتب شمعيا إلى صفنيا ليثيره حاسبًا أن الله أقامه عوض يهوياداع لا لشيء إلا ليضطهد أنبياء الله الحقيقيين مثل إرميا الذي حسبه رجلاً مجنونًا. هكذا كان الأشرار يحسبون الأنبياء الحقيقيين مختلّي العقل (٢ مل ٩: ١١، أع ٢٦: ٢٤؛ ٢: ١٣، ١٥، ١٧، ١٨). كان إرميا رمزًا للسيد المسيح الذي اُتهم هكذا من أقربائه أنه مُختَل العقل (يو ١٠: ٢٠).

جاءت إجابة ياهو: **أنتم تعرفون**"، ربما أراد أن يختبر وقع هذا الكلام عليهم. أو لعله يعني أنتم تعرفون الرجل أنه غير جادٍ، ولا يؤخذ على كلماته. لقد خشي من الغيرة والحسد، فيفقد قدرته على تحقيق الأمر بسرعة.

فَقَالُوا: كَذِبٌ. فَأَخْبِرْنَا.

فَقَالَ: بِكَذَا وَكَذَا قَالَ لِي:

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ. [١٢]

لاستخفافهم بأبناء الأنبياء، قالوا "كذب". وكأنهم يقولون: "نحن نعلم أنه لن ينطق بأمرٍ نافعٍ، بل يُقدِّم مما لديه من غباوة وجهلٍ، لكن على أي الأمور فلنسمع ماذا قال لك". وإذ أخبرهم ياهو كما بشيءٍ من الاستخفاف، فبسبب كراهيتهم لبيت أخآب، فضّلوا أن يتحقق هذا، أن يتولى ياهو المُلك عن بيت أخآب.

فَبَادَرَ كُلُّ وَاحِدٍ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ،

وَوَضَعَهُ تَحْتَهُ عَلَى الدَّرَجِ نَفْسِهِ،

وَضَرَبُوا بِالْبُوقِ،

وَقَالُوا: قَدْ مَلَكَ يَاهُو. [١٣]

إذ قدّم كل قائدٍ ثوبه ليضعه تحت ياهو، أعلنوا جميعًا عن قبولهم ملكًا عليهم، يصنعون له عرشًا بثيابهم.

هذه العادة تُعبِّر عن رغبتهم في الخضوع له، وكأنهم يقولون: إذ نضع ثيابنا الخارجية تحتك، هكذا نُسلِّم تدبير كل الأمور لك، ونحن نعمل تحت سلطانك كخدمٍ لك.

كان ياهو جالسًا على الدرج الذي أشبه بمنصة، حتى يقود اجتماع القادة. بوضع ثيابهم الثمينة تحته صار كمن يجلس على العرش.

ولعل هذا التصرُّف أيضًا يشير إلى ما فعله الرسل مع الأمم، فقد ألقوا عليهم ثيابهم، أي تعاليمهم الرسولية والحياة الفاضلة في الرب وتفسير الكتب المقدسة[1] لكي تستر حياتهم بعد عريّ هذا زمانه، فيصيرون عرشًا لله يجلس عليه ويملك.

هذه الثياب لا تزال الكنيسة تلقيها على كل قلبٍ متعرٍ مرتعش بردًا، لتُحوّله كرسيًا للسيد يستريح عليه! أما فرش الثياب في الطريق تحت قدميه، فيشير إلى خضوع الجسد للرب بعد أن كان خاضعًا للشهوات الرجسة. كثيرون فرشوا ثيابهم في الطريق من أجل الرب، فالشهداء فرشوا أجسادهم خلال قبولهم سفك دمائهم من أجل الإيمان، كطريق يسلك عليه الرب خلال البسطاء الذين قبلوا الإيمان، وأيضًا النساك الروحيون فرشوا أجسادهم بالنسك الروحي الإنجيلي، فصارت حياتهم طريقًا يسير الرب عليه عبر الأجيال، وهكذا الكارزون والعلمانيون حتى الأطفال يقدرون أن يلقوا بثيابهم تحت قدمي الرب في الطريق ليسير عليها.

يقول **القديس أمبروسيوس**: [فرش التلاميذ ثيابهم الخاصة تحت خطوات المسيح إشارة

---

[1] *St. Jerome. PL 26.*

للإنارة في كرازتهم بالإنجيل، لأنه كثيرًا ما أشارت الملابس في الكتب الإلهية إلى الفضائل[1].]

في المناداة بالملوك تُضرَب الأبواق (٢ صم ٥: ١٠؛ ١ مل ١: ٣٩، ٢ مل ١١: ١٤)، وتنتهي الأبواق بمجيء "ملك الملوك" تصحبه الملائكة بأصوات أبواق سمائيّة تهتف بملكوت سماوي أبدي!

صار ياهو بن يهوشافاط ملكًا على إسرائيل لمدة ٢٨ عامًا (٨٤١-٨١٤ أو ٨١٣ ق. م؛ ٢ مل ٩: ١٤، ١٠: ٣٦).

وَعَصَى يَاهُو بْنُ يَهُوشَافَاطَ بْنِ نِمْشِي عَلَى يُورَامَ.
وَكَانَ يُورَامُ يُحَافِظُ عَلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ هُوَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ حَزَائِيلَ مَلِكِ أرام. [١٤]

كانت إسرائيل قد استردت راموت جلعاد من أرام، غير أن ملك أرام كان يهدد بمحاولته الاستيلاء عليها. لهذا كان الجيش معسكرًا فيها، وكان يورام بالرغم من مرضه يترقب أخبار راموت جلعاد، تاركًا كل السلطة الخاصة بتحرك الجيش في يد ياهو.

وسط هذا الجو، أسرع ياهو ليتمم توليه العرش قبل أن يترك يوارم يزرعيل ويأتي إلى راموت جلعاد، إذ لم يكن ليورام جيش في يزرعيل يحميه، ويقف أمام ياهو كمغتصب للعرش. إنها فرصته لقتل الملك في يزرعيل، واعتلاء العرش قبل وصول الخبر إلى منطقة راموت جلعاد.

وَرَجَعَ يُورَامُ الْمَلِكُ لِيَبْرَأَ فِي يَزْرَعِيلَ،
مِنَ الْجُرُوحِ الَّتِي ضَرَبَهُ بِهَا الأَرَامِيُّونَ حِينَ قَاتَلَ حَزَائِيلَ مَلِكَ أرام.
فَقَالَ يَاهُو: إِنْ كَانَ فِي أَنْفُسِكُمْ،
لاَ يَخْرُجْ مُنْهَزِمٌ مِنَ الْمَدِينَةِ لِيَنْطَلِقَ فَيُخْبِرَ فِي يَزْرَعِيلَ. [١٥]

تحدث ياهو معهم كمن يستشيرهم، لأنه لم يكن بعد قد تبوأ كرسي الحكم.

وَرَكِبَ يَاهُو وَذَهَبَ إِلَى يَزْرَعِيلَ،
لأَنَّ يُورَامَ كَانَ مُضْطَجِعًا هُنَاكَ.
وَنَزَلَ أَخَزْيَا مَلِكُ يَهُوذَا لِيَرَى يُورَامَ. [١٦]

أسرع ياهو إلى يزرعيل لكي يقتل يورام قبل أن يصله خبر مسحه ملكًا، فيستعد لمقاومته. في نفس الوقت نزل إليه أخزيا ملك يهوذا، لأنه كان حليفًا ليورام في الحرب، ولأنه ابن أخته.

واضح من هذا النص أن يورام تعرَّض لجراحات في المعركة مع أرام في راموت

---

[1] *In Luc 19: 28-38.*

جلعاد، فاضطر إلى الذهاب إلى يزرعيل للعلاج والاستجمام. وقد جاءه ابن أخته ملك يهوذا يسأل عن صحته، ولم يدرك الاثنان بالمؤامرة التي تمت في راموت جلعاد ضد يورام، لأن القادة المجتمعين معه قبلوا بالإجماع مساندة ياهو في اغتصاب العرش، وقد حرصوا على السرية التامة، فلم يعلم أحد من كل الجيش المرابض في راموت جلعاد بما قرره القادة.

وَكَانَ الرَّقِيبُ وَاقِفًا عَلَى الْبُرْجِ فِي يَزْرَعِيلَ،
فَرَأَى جَمَاعَةَ يَاهُو عِنْدَ إِقْبَالِهِ،
فَقَالَ: إِنِّي أَرَى جَمَاعَةً.
فَقَالَ يُورَامُ: خُذْ فَارِسًا، وَأَرْسِلْهُ لِلِقَائِهِمْ فَيَقُولَ: أَسَلاَمٌ؟ [١٧]

امتازت المنطقة أولاً بارتفاعها، فتكشف مسافة كبيرة ناحية الشرق حتى نهر الأردن تقريبًا، كما أنها قائمة على تل وبها القصور الملكية، بجانب وجود أبراج مراقبة. لكن هذا كله لم يقف حائلاً عن تحقيق خطة الله في إبادة بيت أخآب.

كانت بيت شان تبعد حوالي ستة أو سبعة أميال وهي منخفضة، لذلك عندما بلغ ياهو وحاشيته بين جبع وبيت شان نظره الحرس الذين في الأبراج، وأبلغوا الملك بمجيئه وهو في قصره. أرسل الملك فارسًا بسرعة للتعرف على سرّ مجيء ياهو الغامض.

وجود غالبية الجيش في راموت جلعاد جعل الملك وحاشيته في حالة تأهب مستمر لاستقبال أخبار عن حال الجيش وموقف أرام منه. لم يكن يخطر على فكر أحد أن يترك ياهو الجيش ويأتي هكذا لاغتيال الملك.

فَذَهَبَ رَاكِبُ الْفَرَسِ لِلِقَائِهِ، وَقَالَ:
هَكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: أَسَلاَمٌ؟
فَقَالَ يَاهُو: مَا لَكَ وَلِلسَّلاَمِ؟ دُرْ إِلَى وَرَائِي!
فَقَالَ الرَّقِيبُ: قَدْ وَصَلَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَرْجِعْ. [١٨]

السؤال عن السلام كان عادة خطوة للدخول في تفاوضٍ أو حوارٍ، وقد جاءت إجابة ياهو تشير إلى رفضه الدخول في تفاوضٍ.

كأنه يقول له: ماذا يشغلك إن كان الموقف في راموت جلعاد يسوده السلام أو الحرب، إنما لتنضم إليّ، ولتحتل الصف الأخير من حاشيتي.

بقوله: **دُرْ إلى ورائي**" لم يسمح له أن يرجع ليخبر الملك.

فَأَرْسَلَ رَاكِبَ فَرَسٍ ثَانِيًا.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ قَالَ: هَكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: أَسَلاَمٌ؟
فَقَالَ يَاهُو: مَا لَكَ وَلِلسَّلاَمِ؟ دُرْ إِلَى وَرَائِي. [١٩]

سأل الفارس جماعة ياهو إن كانوا قد جاءوا للخير، فأجابه ياهو: "ما شأنك بالخير؟" فإن من انحرف عن الشركة مع الله ليس له أن يسأل عن الخير الذي هو عطية الله.

طلب ياهو من الرسولين أن يسيرا خلفه حتى لا يستطيعا أن يُحذِّرا الملك من الخطر الذي يلحق بحياته. ولعله أراد أيضًا أن يخلو الطريق أمامه لتصويب سهامه إلى الملك.

فَقَالَ الرَّقِيبُ: قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَرْجِعْ.
وَالسَّوْقُ كَسَوْقِ يَاهُوَ بْنِ نِمْشِي، لأَنَّهُ يَسُوقُ بِجُنُونٍ. [٢٠]

كان ياهو مشهورًا بالجسارة والتحرُّك السريع، متميزًا في تحركه العسكري. لم يَسُق بنفسه، بل كان معه في المركبة من يسوق الخيل بسرعة شديدة، وكانت هذه عادة ياهو. بقوله: "يسوق" لا يعني مُجرَّد قيادة المركبة أو قيادة الحاشية التي معه، فهو المُحرِّك لهم جميعًا.

كلمة "جنون" هنا كناية عن حدة الطبع، وليس جنونًا طبيعيًا. يرى يوسيفوس المؤرخ أن ياهو كان يقود هذه الجماعة بهدوء، لكن في حزم وجدية.

هنا ينسب الرقيب ياهو لجده لا لأبيه، لأن نمشي كان أكثر شهرة من ابنه يهوشافاط.

فَقَالَ يُورَامُ: اشْدُدْ. فَشُدَّتْ مَرْكَبَتُهُ،
وَخَرَجَ يُورَامُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَأَخَزْيَا مَلِكُ يَهُوذَا،
كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَرْكَبَتِهِ،
خَرَجَا لِلِقَاءِ يَاهُو.
فَصَادَفَاهُ عِنْدَ حَقْلَةِ نَابُوتَ الْيَزْرَعِيلِيِّ. [٢١]

انطلق يورام بمركبته الملوكية ومعه ابن أخته أخزيا ملك يهوذا، إذ عرف أنه ياهو، وقد ظن أنه آتٍ بسرعة لأن لديه أخبار هامة بخصوص راموت جلعاد.

أسرع الملكان نحو ياهو، لأنهما لم يشكَّا قط في نواياه، إنما ظنَّا أنه جاء ليُقدِّم خطة جديدة بخصوص المعركة مع أرام، فلإسعاف الوقت لم ينتظرا حضوره، إنما أرادا اللقاء معه في الطريق لمناقشة الأمر، ورجوع ياهو إلى الجيش في راموت جلعاد.

في غباوة انطلق الملكان بمركبتيهما لاستقبال ياهو، وكان الأفضل لهما أن ينتظرا في المدينة.

فَلَمَّا رَأَى يُورَامُ يَاهُوَ قَالَ: أَسَلاَمٌ يَا يَاهُو؟

فَقَالَ: أَيُّ سَلاَمٍ مَادَامَ زِنَى إِيزَابَلَ أُمِّكَ وَسِحْرُهَا الْكَثِيرُ؟ [٢٢]

كلمة "زنا" هنا تحمل معنى أوسع، ألا وهو عبادة الأوثان والديانات الباطلة واستخدام السحر مع التمرُّد على الله. أشار إلى إيزابل بكونها القائدة الخطيرة لهذا العمل الشرير.

فَرَدَّ يَهُورَامُ يَدَيْهِ وَهَرَبَ،
وَقَالَ لأَخَزْيَا: خِيَانَةٌ يَا أَخَزْيَا! [٢٣]

فَقَبَضَ يَاهُو بِيَدِهِ عَلَى الْقَوْسِ،
وَضَرَبَ يُورَامَ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ،
فَخَرَجَ السَّهْمُ مِنْ قَلْبِهِ،
فَسَقَطَ فِي مَرْكَبَتِهِ. [٢٤]

أغلب المركبات القديمة كانت مفتوحة من خلف.

ضرب يهورام بين ذراعيه، أي في وسط ظهره إذ كان مُسْرِعًا بمركبته، جاءت الضربة في قلبه، فمات للحال. سقط جثمان يورام على الأرض في حقل نابوت كنبوة إيليا (١ مل ٢١: ١٩). إن كان منظره وهو مُلْقَى على الأرض قتيلاً بيد رئيس جيشه، فإن منظره الخفي وهو ينحدر نحو الهلاك الأبدي بيد الخطايا التي ارتكبها بإرادته الحرة أخطر بكثير.

❖ تؤذي الخطايا النفس بخطورة أعظم من أنية الدود للجسم. ومع هذا فنحن لا ندرك فسادها، ولا نشعر بإلحاح ضرورة التطهر منها. وذلك كالسكران الذي يعجز عن أن يعرف كيف أن مذاق الخمر منفِّر، أما المُتعقِّل فيمكنه تمييز ذلك بسهولة. هكذا بالنسبة للخطايا، فمن يعيش في وقارٍ يُمَيِّز بسهولة الوحل والفساد، وأما من يعيش في الشرِ فيكون كالمخمور بالمُسكِر، فلا يتحقق من أنه مريض. هذا هو أشر ما في الخطية، أنها لا تسمح للساقطين فيها أن يدركوا حالة المرض الخطير التي هم فيها، وإنما يكونون كمن يرقدون في وحلٍ، ويظنون أنهم يتمتعون بالأطياب. فليس لديهم أدنى رغبة للتحرر. وإذ يعمل فيهم الدود يفتخرون كمن لديهم حجارة كريمة. لهذا لا يريدون قتلها، بل أن ينعشوها ويضاعفوها حتى تعبر بهم إلى الدود الذي في الحياة العتيدة[1].

❖ ماذا إن كان الإنسان غنيًا، وإن كان من الأشراف، فإنه عندما تسبيه خطيةٌ ما يصير أكثر فسادًا من كل فساد. فإن كان الإنسان ملكًا قد أسره البرابرة يصير أكثر الناس بؤسًا، هكذا بالنسبة للخطية، إذ هي بربرية، والنفس التي تصير أسيرة لا تعرف كيف تتخلص من الأسر،

---

[1] *Homilies on Rom., 40.*

فتقوم الخطية بدور الطاغية لتُحطِّم كل من يلتصق بها[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَقَالَ لِبِدْقَرَ ثَالِثِهِ: ارْفَعْهُ وَأَلْقِهِ فِي حِصَّةِ حَقْلِ نَابُوتَ الْيَزْرَعِيلِيِّ.
وَاذْكُرْ كَيْفَ إِذْ رَكِبْتُ أَنَا وَإِيَّاكَ مَعًا وَرَاءَ أَخآب أَبِيهِ،
جَعَلَ الرَّبُّ عَلَيْهِ هَذَا الْحُكْمَ. [٢٥]

بدقر، اختصار "بن دقار *ben deqar*" أي ابن الطعنة.

ثالثة *Shaalishow* أي الرجل الثالث.

برَّر ياهو ما فعله بترديده اللعنة التي سقط تحتها أخآب وايزابل بسبب قتلهما نابوت ظلمًا لكي يرثا حقله. حسب ياهو نفسه آلة الله لتحقيق غضبه على أخآب وأسرته (١ مل ٢١: ٢١-٢٤).

انتهت أعمدة أسرة أخآب بموت يهورام وإلقائه في حقل نابوت الذي اغتصبه أخآب أو استولى عليه ظلمًا بعد أن دَبَّرتْ زوجته إيزابل مؤامرة لقتل نابوت واتهامه زورًا بالتجديف على الله وعلى الملك (١ مل ٢١: ١٧-٢٤).

أَلَمْ أَرَ أَمْسًا دَمَ نَابُوتَ وَدِمَاءَ بَنِيهِ يَقُولُ الرَّبُّ،
فَأُجَازِيكَ فِي هَذِهِ الْحَقْلَةِ يَقُولُ الرَّبُّ.
فَالآنَ ارْفَعْهُ وَأَلْقه فِي الْحَقْلَةِ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. [٢٦]

ربما يقصد بالرؤيا هنا ما أخبره به النبي الذي أرسله أليشع النبي ومسحه ملكًا، مطالبًا إياه أن ينتقم لدم نابوت اليزرعيلي وبنيه من بيت أخآب، ولعل الله أكَّد له ذلك برؤيا بالليل بعد ترك النبي المعسكر.

قتل أخآب نابوت اليزرعيلي لكي يرث حقله، وذلك حسب مشورة زوجته الشريرة إيزابل. وظن أنه يجعل من الحقل حديقة تبعث في حياته السرور والبهجة، ولم يعلم أنه سيصير مقبرة يدفن فيها ابنه الشرير.

لم يُذكر من قبل أن أبناء نابوت أيضًا قد سُفك دمهم، ولعل إيزابل دبَّرتْ قتلهم لكي تمحو كل ذكر لنابوت، فلا يبقى أثر أو ذِكْر لجريمتها.

٣. قتل أخزيا ملك يهوذا

وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخَزْيَا مَلِكُ يَهُوذَا،

[1] *In I Corinth., hom. 9 8*

هَرَبَ فِي طَرِيقِ بَيْتِ الْبُسْتَانِ،
فَطَارَدَهُ يَاهُو، وَقَالَ: اضْرِبُوهُ.
فَضَرَبُوهُ أَيْضًا فِي الْمَرْكَبَةِ فِي عَقَبَةِ جُورَ الَّتِي عِنْدَ يِبْلَعَامَ.
فَهَرَبَ إِلَى مَجِدُّو وَمَاتَ هُنَاكَ. [٢٧]

كان كَرْمْ نابوت بجانب قصر أخآب، غالبًا ما انضم إلى حدائق القصر، وربما بيت البستان كان من الأملاك التابعة للقصر التي انضم إليها كرم نابوت.

لقد جنى أخزيا ثمرة ارتباطه بالأشرار، ودخوله في علاقات أسرية معهم، لا لخلاصهم، بل لأسباب سياسية أو منافع مادية، أفقدته التمتُّع بنقاوة القلب، بل ودفعت حياته ثمنًا رخيصًا لها.

يرى البعض أن ياهو لم يكن في خطته قتل أخزيا ملك يهوذا، وأنه لم يكن يعلم أن أخزيا جاء إلى يزرعيل لزيارة يورام الجريح. لكن كان ذلك بسماح من الله لكي يُظهر تحالفه مع خاله يورام فيضربه ياهو، وبهذا يزيل نسل أخآب ليس فقط في إسرائيل، وإنما حتى في يهوذا.

لقد نال أخزيا نصيبه بسبب التصاق ملوك يهوذا الذين من بيت داود بملوك إسرائيل ودخولهم في علاقة نسب وقرابة.

- ❖ ماذا نفعل بخصوص هذه الحقيقة وهي أن الرسول نفسه قدّم لنا قائمة ضخمة من الرذائل، وأشار من بينها إلى السُكْر وختمها بالتحذير من أن نأكل خبزًا مع من يخطئون بمثل هذه الأمور؟[1]

- ❖ إنه لأمر مثير للشفقة مذكِّرًا إيّانا مدى خطورة الأكل مع الذين هم يخطئون بالنهم حتى في بيوتهم[2].

القديس أغسطينوس

فَأَرْكَبَهُ عَبِيدُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ،
وَدَفَنُوهُ فِي قَبْرِهِ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ. [٢٨]

فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشَرَةَ لِيُورَامَ بْنِ أَخآب،
مَلَكَ أَخَزْيَا عَلَى يَهُوذَا. [٢٩]

في السنة الثانية عشر حسب ٢ مل ٨: ٢٥، ذلك لأن أخزيا شارك والده في الحكم عمليًا على الأقل لمدة سنة (٢ أي ٢١: ١٩).

---

[1] *Ep 22 3*
[2] *Ep. 39.5.*

٤. قتل إيزابل

فَجَاءَ يَاهُو إِلَى يَزْرَعِيلَ.
وَلَمَّا سَمِعَتْ إِيزَابَلُ كَحَلَتْ بِالأُثْمُدِ عَيْنَيْهَا،
وَزَيَّنَتْ رَأْسَهَا وَتَطَلَّعَتْ مِنْ كُوَّةٍ. [٣٠]

ربما أرادت ايزابل أن تغري ياهو بجمالها، أو لأنها أدركت أن قتلها قريب، فاستحسنت أن تموت وهي مُزَيَّنة كما يليق بملكة. وكانت إيزابل قد بلغت من العمر ٥٥ سنة أو أكثر، لأن أخزيا وهو ابن بنتها كان قد بلغ من العمر ٢٣ سنة حينما قُتل.

علمت ايزابل بقتل الملكين، وأدركت أن نهاية حياتها قد قربت جدًا، فظنت أن بجمالها وتزيينها يمكنها أن تقتنص قلب ياهو. قيل: "**إذا لبستِ قرمزًا، إذا تزينتِ بزينة من ذهب، إذا كحلتِ بالإثمد عينيكِ، فباطلاً تحسنين ذاتك، فقد رذلكِ العاشقون**" (إر ٤: ٣٠). إن ظنت أنها غنية تلبس القرمز، وإن خزائنها مملوءة بالجواهر الذهبية، وجميلة تكحل عينيها بالإثمد... تبقى مرذولة ليس من الله فقط، بل حتى من عاشقيها.

لقد كحلَتْ إيزابل الملكة الشريرة عينيها بالإثمد، وزيَّنتْ رأسها، وتطلعت من الكوة... لكن ياهو قال للخصيان: اطرحوها، فسال دمها على الحائط وعلى الخيل (٢ مل ٩: ٣٠-٣٣).

كانت النساء يُكحِّلن أعينهن بالإثمد لإبراز اتساع العينين، علامة الجمال في العالم القديم. هكذا فعل هذا الشعب، صار كامرأة تتزين وتُبرِز جمالها لأصحابها، فإذا بهم يصيرون قاتليها!

مسكين الإنسان الذي في جهاده الروحي يتكئ على برِّه الذاتي، يفقد كل جمالٍ داخلي، بل ويصير قاتلاً لنفسه، ويسمع التوبيخ الإلهي: "لأنك تقول إني أنا غني، وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيء، ولستَ تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان. أُشير عليك أن تشتري مني ذهبًا مُصفى بالنار لكي تستغني، وثيابًا بيضًا لكي تلبس. فلا يظهر خزي عريك، وكَحِّل عينيك بكحل لكي تبصر" (رؤ ٣: ١٧-١٨).

إذ أدركتْ أن ياهو سيقضي على حياتها، أرادت أن تؤكد لنفسها كما لمن حولها أنها شُجَاعَة لا ترتعب، فدعت ياهو "زمري" الخائن الذي قتل سيده ليضع يده على العرش (١ مل ١٦: ١١-١٢).

❖ ادهنوا، عيونكم لا بإثمد الشيطان، بل بمرهم المسيح للعيون[1].

القديس كبريانوس

يقول جوفينال بأن عادة تكحيل العينين كانت متبعة بين الرجال كما النساء في روما[1].

---

[1] *Adam Clarke's Commentary.*

وجاء في ملاحظات بيرنس *Barnes' Notes* أن تكحيل العينين عادة شائعة في الشرق إلى اليوم، فتُظهر العين أكثر اتساعًا، كما يجعلها أكثر إشراقًا.[1]

❖ ظنوا أنها ستبكي على ابنها الميت، الملك يهورام، لكنها في ذات الساعة التي فيها سمعت أن الملك جاء، كحّلتْ عينيها، كسيدة عجوز فاتنة، وزيّنت رأسها بإكليل، وتطلّعت من كوّة لتجذب الأنظار إليها. ظنت أن ياهو ربما ينخدع بمنظرها، ويأخذها بين زوجاته.

ربما سمعت عن قصة أدونيا (١ مل ٢: ١٧) الذي طلب أبيشج الشونمية لتكون له زوجة في أيام سليمان، حتى يستطيع بالملكة أن يحتل عرش المملكة. هكذا ظنت (إيزابل) أن ياهو أيضًا ليثبت موقفه ويهدئ متاعبه، ويقيم مُلك جديد يسلك في ذات طريق أدونيا.

هكذا كانت أفكار إيزابل حتى اللحظات التي كانت قادرة أن تتحكم في نفسها. لكنها إذ رأت ياهو يدخل الباب تذكرت أنه قاتل ابنها المُرعِب، فلم تستطع أن تقف، ولا استطاعت أن تحبس ثورتها، فبغضب سبّته، وأهانته أمام الجمهور بقولها: "أسلام لزمري قاتل سيده؟"

حقًا لم يستطع شيء ما أن يُحطِّم عنف هذه المرأة المتغطرسة، ولا حتى الأمل في الزواج، ولا الخوف من الموت الذي كان وشيك الحدوث، ولا الخوف من مقاومها الذي كان يلوح بسيفه وهو يهددها. هذه التي عذّبتْ آخرين، لم تعد قادرة أن تحمي نفسها، بل أثارت الملك مثل امرأة مجنونة، موجهة إليه كلمات سب، فأشعلت غضبه ضدها بغيظ شديد للغاية[2].

القدّيس مار أفرآم السرياني

تزيين رأسها يشير إلى أنها ارتدت التاج الملوكي، لتموت كملكة ترتدي ما يليق بها. ولم تدرك أنه لا يُنزَع عنها التاج الملكي فحسب، بل تُترَك على الأرض تطأها الخيول، وتنهش الكلاب لحمها بل وعظامها. هكذا كثيرًا ما يخدع الشرير نفسه بالكرامة الزمنية، ولا يدرك أن الخطية تُحدِره حتى التراب.

❖ كل خطية هي نوع من الكذب؛ كل خطية هي مُضِرَّة لمن يرتكبها أكثر ممن يعاني منها.

القديس أغسطينوس

❖ أمور النعمة يصحبها فرح وسلام ومحبة وحق... أما أشكال الخطية، فيصحبها اضطراب وليس محبة ولا فرح نحو الله[3].

القديس مقاريوس الكبير

---

[1] *Adam Clarke's Commentary.*

[2] *On The Second Book of Kings, 9:30.*

[3] عظة ٣:٧.

❖ تضع الخطية علامتها على كل نفس، والكل متشابهون في تكريسها للموت.

القديس ميليتو أسقف ساردس

❖ يا له من جيل جاحد وشرير، يُعد لنفسه الدمار لعناده الرهيب. إن كان الطبيب قد جاء إليك من أراضٍ غريبةٍ وبعيدةٍ، مُقدِّمًا الدواء لكي يحفظك من كل نوع من المرض والداء، فلماذا لا تشتاق إلى الإسراع نحوه؟

أرنوبيوس

وعِنْد دُخُولِ يَاهُو الْبَابِ، قَالَتْ:

أَسَلاَمٌ لِزِمْرِي قَاتِلِ سَيِّدِهِ؟ [٣١]

في سخرية صاحت إيزابل: "**أسلام، يا زمري قاتل سيده؟**" زمري هذا وهو قائد للجيش منذ حوالي أربعين عامًا، تولى مُلك إسرائيل بارتكابه جريمة قتل سيده، ولم يبقَ على العرش سوى سبعة أيام (١ مل ١٦: ٨-١٩).

أرادت ايزابل أن تعطي لياهو درسًا. تود أن تحذره من هذه الخيانة، فإن مصيره سيكون كمصير زمري. وكأنها تقول لياهو إنه سيُقتَل بعد قليل.

العجيب أن كبرياءها لم يُفارقها حتى وهي ترى دمارها من كل جانب، ولحظات انتقالها على الأبواب.

❖ لاحظوا يا إخوتي افتخار الإنسان الخبيث، افتخار الشرير...

يحتاج الإنسان أن يكون قديرًا، لكن في الصلاح لا في الخبث... "من يفتخر، فليفتخر في الرب" (١ كو ١:٣١)؛ من يفتخر فليفتخر في الصلاح.

أنت تفتخر، لأنك قدير في الشر. ماذا ستفعل أيها القدير حتى تفتخر هكذا؟!...

هذا هو ما يفعله مواطنو أورشليم الصالحون، الذين يفتخرون بالصلاح لا بالخبث:

أولاً: يفتخرون بالرب لا بأنفسهم.

ثانيًا: يمارسون الأعمال التي للبنيان في غيرة، يمارسونها كأقوياء ثابتين، أما الأمور التي تبدو أنها للتحطيم، فيمارسونها للتأديب، وليس للضغط على الأبرياء.

القديس أغسطينوس

فَرَفَعَ وَجْهَهُ نَحْوَ الْكُوَّةِ، وَقَالَ:

مَنْ مَعِي؟ مَنْ؟

فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْخِصْيَانِ. [٣٢]

بقوله: "من معي" يدعو الواقفين مع الملكة إلى العصيان، فغالبًا متى قُتل ملك ينضم من معه إلى الملك الجديد، ويسرعون إلى طاعة أوامره، خوفًا من غضبه، وطمعًا في نوال رضاه.

ماتت دون أن يُقام لها جنازة، ولا بكاها أحد، أو حزن عليها، ولا أُقيم لموتها ذكرى!

فَقَالَ: اطْرَحُوهَا. فَطَرَحُوهَا،
فَسَالَ مِنْ دَمِهَا عَلَى الْحَائِطِ،
وَعَلَى الْخَيْلِ فَدَاسَهَا. [٣٣]

موتها كان مشينًا، فالخصيان الذين كانوا في خدمتها طرحوها من الكوة. مُزّقت قبل بلوغها الأرض، وسال دمها على الحائط والخيل، وساق ياهو خيله حتى داست الخيول جثمانها علامة احتقاره لها، وتُركَتْ لكي تأكل الكلاب لحمها.

ظنَّت إيزابل إلى سنوات طويلة أنها إنسانة ناجحة، ذات شخصية قوية، عرفت كيف تُحرك رجلها أخآب الملك وابنيها كعبيدٍ لها، وتُدبِّر كل أمور المملكة لحساب إقامة عبادة البعل، تأمرهم فيطيعون، ويرتعب أمامها كل رجال القصر والقادة في كل المملكة، حسبت أنه لا توجد قوة على وجه الأرض تقف أمامها. لم تكن تدري أن الخطية التي تمارسها تحمل الفساد الخفي والدمار الرهيب في داخلها، ولكن يظهر في حينه. الآن فقدت ابنها الملك في خيانة من رجاله، وفقدت سلطانها، كما فقدت حياتها، بل وتعرَّضتْ إلى موتٍ مشينٍ. هذا كله بسبب الخطية التي سيطرت عليها.

- ❖ ضُرِبَ أخآب في المعركة وسقط، وبعد سقوطه جاء خدامه ليحزنوا ويبكوه، ووضعوه في مقبرة الملوك بكرامة (١ مل ٢٢: ٣٤-٣٧)، لكن لم يحدث نفس الشيء بالنسبة لإيزابل. فبعد أن طرحها الخصيان إلى الأرض، تكسَّرت عظامها بسقوطها، وداست الخيول عليها، ومزّقتها الكلاب.

سبب الفارق، هو أن أخآب وإن كان قد ارتكب جرائم كثيرة، إلا إنه أظهر توبة من وقت لآخر (١ مل ٢١: ٢٧-٢٩). أما إيزابل، فعلى العكس، ليس فقط انتهكت العدالة وسببت غضبًا بسلوكها الدنس، إنما سحبت رجلها ليمارس جريمة وحشيّة وارتكاب مظالم.

أخيرًا لم تندم قط، لا في أوقات النجاح أو الكوارث، ولم تترك طريق ضلالها. حتى في لحظات ارتكاب مظالم... حتى في لحظات إدانتها بالموت كانت في ثورة كامرأة مجنونة. لهذا توجد أسباب كثيرة أن تكون العدالة عنيفة معها على وجه الخصوص.

بالإضافة إلى ذلك، لاحظوا ولتدركوا كيف أن إيزابل، التي أرعبت أنبياء واستعبدت ملوك، ألقاها عبيد في خزي وعارٍ، ومزّقتها أسنان الكلاب. هذا حدث حتى تصمت أفواه

الكذبة، فلا يقولوا: "لماذا تُنجح طريق الأشرار؟ لماذا اطمأن كل الغادرين غدرًا؟" (راجع إر ١٢: ١)[1].

القدّيس مار أفرآم السرياني

❖ عُد إلى قلبك، هناك تجد نفسك وحدك مع الذي يرى الكل.

لتكره الخطيَّة حتى تُسر الله. لا تطلبها، لا تفكِّر فيها (أثناء التوبة) أكثر ممَّا هي عليه، بل بالحري احتقرها وحِدْ عنها.

تقترح التجربة عليك أن الخطيَّة قادرة أن تجعلك سعيدًا. إنها تهدِّد بالحزن لكي تغريك على الشرّ، لكن هذا كلُّه فراغ عابر.

يمكن للاقتراحات الشرِّيرة أن تحلّ بالأفكار أو بالمحادثات الشرِّيرة، وبسهولة تفسد الحياة المستقيمة. من حيث تأتي ألقها خارج قلبك، لا تهتم بها، ولا تبحث عنها... لنتذكَّر ما أمرنا به في إنجيله: "صلُّوا بلا انقطاع"، فإن كنت لا تتوقَّف عن الصلاة، فبالتأكيد لن ينسى مراحمه[2].

القدّيس أغسطينوس

وَدَخَلَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ:
افْتَقِدُوا هَذِهِ الْمَلْعُونَةَ،
وَادْفِنُوهَا لأَنَّهَا بِنْتُ مَلِكٍ. [٣٤]

إن كانت إيزابل، ابنة اثبعل ملك الصيدونيين، قد اغتصبت حقل نابوت اليزرعيلي، وضمته إلى قصرها، فقد استولى ياهو كملكٍ على القصر، فدخله وأكل من الطعام الذي كان مُعدًا ليهورام وأمه ايزابل.

دعاها الملعونة، لأنها ألزمت رجلها على عبادة الأوثان وقتلت الأنبياء وربَّت أولادها تربية فاسدة، وامتدت شرورها إلى أجيال قادمة، وبلغ أثرها الشرير على مملكة يهوذا، فصار اسمها مكروهًا.

ولَمَّا مضَوا ليَدْفِنُوهَا،
لَمْ يجِدُوا منْهَا إِلاَّ الْجُمْجُمَةَ وَالرِّجْلَيْنِ وكَفَّيِ الْيَدَيْنِ. [٣٥]

انتهى كل ما لإيزابل من سلطان وقوة وكرامة وبهرجة ملكية وأسرة ومال، ولم يبقَ منها إلا العظام التي تركتها الكلاب بعد أن نهشت لحمها.

صارت مَثَلاً أمام من يسلك في الشر، إذ يسلب الإنسان كل شيء.

---

[1] *On The Second Book of Kings, 9:32*
[2] *On Ps. 46 passim.*

يقول الربيَّان (الحاخامان) جاركي *Jarchi* وكمشي *Kimchi* إن الكلاب لم تأكل هذه الأجزاء من جسمها، لأنها في احتفالاتها كانت ترقص ككلب على يديها ورجليها، وبخلاعة تُحَرِّك رأسها.

برأسها وضعت خطة لسفك دم نابوت البريء، وبيدها كتبت لتحقيق الخطة، وحركت رجليها كما للتنفيذ، فأبَت الكلاب أن تأكل جمجمة رأسها وعظام يديها ورجليها.

يستخدم الشرير رأسه التي تضم المخ ليمارس الإنسان حياته بتعقُّل كأسمى كائن على الأرض، ويستخدم يديه لممارسة الشر، وقدميه للتحرُّك بحرية في الأعمال الفاسدة، فيفقد قدسية حياته.

أقامت عظام أليشع ميتًا أُلقيَ في القبر (٢ مل ١٣: ٢١)، وصارت عظام الملكة مداسًا للناس والحيوانات، تنهشها الكلاب.

فَرَجَعُوا وَأَخْبَرُوهُ.
فَقَالَ: إِنَّهُ كَلاَمُ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ إِيلِيَّا التِّشْبِيِّ، قَائِلاً:
فِي حَقْلِ يَزْرَعِيلَ تَأْكُلُ الْكِلاَبُ لَحْمَ إِيزَابَلَ. [٣٦]

لحست الكلاب دمها كما تنبأ إيليا النبي (١ مل ٢١: ٣٣).

وَتَكُونُ جُثَّةُ إِيزَابَلَ كَدِمْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ فِي قِسْمِ يَزْرَعِيلَ،
حَتَّى لاَ يَقُولُوا هَذِهِ إِيزَابَلُ. [٣٧]

من يستطيع أن يُصوِّر منظر الذين جمعوا ما تبقى من عظام إيزابل الملكة من الكلاب بعد أن لحست دماءها وأكلت لحمها وبعض عظامها؟! بالخطية لا يحتاج الإنسان إلى دفنه في قبرٍ لستر جسده الميت، فإن نفسه ذاتها مقبرة تضم في داخلها فسادًا. يقول **القدّيس جيروم**: [كما أن القدّيس هو هيكل الله، هكذا الخاطي يُقيم من نفسه قبرًا[1].]

ربما يسأل أحد: لماذا يسمح الله بتأديبات قاسية؟ أما كان يكفي التهديد؟ الله لا يفرح بالتأديب القاسي، وأيضًا المؤمنون لا يشمتون في الأشرار، لكن لأجل الجدية في طلب النعمة الإلهية بكل إخلاص يسمح الله بذلك.

❖ اسمعوا النبي يقول: "يفرح الصديق إذا رأى النقمة" على الأشرار. إنه يغسل يديه بدم الشرير. لا يفرح بالنقمة، حاشا! إنما إذ يخشى أن تحل به نفس الأمور، يجعل حياته أكثر نقاوة. هذه إذن علامة رعاية (الله) العظيمة.

---

[1] *On Ps hom 7.*

نعم، قد تقول: كان يلزم أن يُهَدِّد فقط ولا يعاقب. لكن إن كان وهو يعاقب تقولون إنه مُجَرَّد تهديد، وبهذا تصيرون أكثر كسلاً، فلو أنه بالحقيقة يستخدم التهديد فقط، أما كنتم تزدادون بالأكثر في الكسل؟[1]

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي ٢ مل ٩

هبْ لي أن أهرب إليك لا منك!

❖ ظنَّت إيزابل الشريرة أنها قادرة أن تهرب من الله.
قتلت أنبياءه وهدمت مذابحه،
وظنت أنها سيدة الموقف.

❖ أطال الرب أناته عليها،
واشتهى حتى إيليا الموت بسببها.
لكن فكر الله غير أفكارنا.

❖ أفسدت إيزابل رجلها وكل أسرتها.
أقامت كهنة للبعل، وقتلت رجال الله.
حطَّمت عبادة الله، واحتضنت رجاسات الأوثان.
امتدت يداها للظلم، ووضعت خططًا شيطانية.
قتلت أبرياء، واغتصبت ما ليس لها.

❖ في الوقت المناسب، أقام الرب ملكًا ليحطم كل بيتها.
فقدت أسرتها وكرامتها.
استخفت بها حتى الحيوانات،
داستها الخيول تحت أرجلها،
ونهشت الكلاب لحمها وبعض عظامها.
يا لعار الخطية وفسادها!

❖ هبْ لي أن أهرب إليك، فتهبني برَّك.
أهرب من وحشية الخطية وقسوتها.

---

[1] *Homilies on Philemon, 3.*

أستعذب اللقاء معك.

وتستريح نفسي في أحضانك.

أنت وحدك ملجأ لي!

بك أتحدى الخطية والموت والفساد!

بك يهرب عدو الخير، إبليس،

وتفسد كل خططه ضدي.

بك ترتفع نفسي كما إلى السماء،

فلا أسقط في شباك الشرير!

لك المجد يا أيها المحب، مخلص البشرية!

الأَصْحَاحُ الْعَاشِرُ

ياهو عصا تأديب لبيت أخآب

بلا شك قام ياهو بمجهود ضخم لإبادة كل بيت أخآب أينما وُجدوا، فتحققت نبوة إيليا النبي بأنه لن يبقى أحد من نسل أخآب الذكور (١ مل ٢١: ١٧-٢٤). كما قام بتحطيم عبادة البعل. لكن الخلاص من هذا الشر لم يتبعه عمل إيجابي لبناء عبادة الرب، فإنه لم يسلك في شريعة الرب من كل قلبه، كما لم يحد عن خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يُخطئ. وكأنه جعل إسرائيل بيتًا فارغًا.

ياهو يُمَثِّل الإنسان الغيور على كنيسة الله، لكنه مُستعبَد من خطايا أو شهوات لا يسعى للخلاص منها، أو يشبه الإنسان الجاد في الخلاص من السلبيات دون التحرُّك بالنعمة الإلهية للتمتُّع بالإيجابيات.

لقد كافأه الرب من أجل أعماله، بأن يجلس أبناؤه على كرسي إسرائيل إلى الجيل الرابع فقط.

هنا ينتقل الكاتب من الحديث عن إسرائيل إلى الحديث عن يهوذا. كانت عثليا ابنة أخآب وإيزابل، زوجة يورام ملك يهوذا لمدة ست سنوات (٨٤١-٨٣٥ ق. م؛ ٢ أي ٢٢: ١٠، ٢٣: ٢١)، تحب الشر وتتسم بالعنف، تبطش بالأتقياء.

١. ياهو يبيد أبناء أخآب

وكَانَ لأَخآب سَبْعُونَ ابْنًا فِي السَّامِرَةِ.
فَكَتَبَ يَاهُو رَسَائِلَ،
وَأَرْسَلَهَا إِلَى السَّامِرَةِ إِلَى رُؤَسَاءِ يَزْرَعِيلَ الشُّيُوخِ،
وَإِلَى مُرَبِّي أَخآب قَائِلاً: [١]

كان أبناء أخآب وأحفاده في السامرة يبلغون ٧٠ شخصًا، إذ كان له أكثر من زوجة.

اجتمعوا في العاصمة، بينما رحل الملك إلى راموت جلعاد للشفاء من جراحاته والاستجمام. اجتمعوا في حصن بالمدينة على أثر سماعهم أخبار مؤامرة ياهو ضد الملك واغتصابه العرش.

إلى رؤساء يزرعيل: ربما كان رؤساء يزرعيل قد هربوا من يزرعيل إلى السامرة. جاء في الترجمة اليسوعية "إلى رؤساء إسرائيل". وفي ترجمة أخرى: "أرسلها من يزرعيل إلى رؤساء السامرة والشيوخ".

فَالآنَ عِنْدَ وُصُولِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَيْكُمْ،
إِذْ عِنْدكُمْ بَنُو سَيِّدِكُمْ،
وَعِنْدَكُمْ مَرْكَبَاتٌ وَخَيْلٌ وَمَدِينَةٌ مُحَصَّنَةٌ وَسِلاَحٌ، [٢]

غاية هذه الرسالة استكشاف ما في قلب هؤلاء الرؤساء، هل سيأخذون منه موقف الخضوع له وقبوله ملكًا، أم موقف العداء والدفاع عن بيت أخآب، حتى بعد قتل ابنه يورام ووالدته إيزابل.

بقوله: "**عندكم مركبات**" في تهكُّم يقول لهم ما معناه: "إن كان عندكم أمراء وقادة حرب ومركبات وحصون وأسلحة الخ"، فأقيموا أحد أبناء أو أحفاد أخآب لتقيموه ملكًا فتعالوا نتحارب، وقد عرُف تمامًا أنهم لا يفعلون هذا.

❖ امتطى فرعون خيله، فسقط في نومٍ وهلك. كان للمصريِّين أيضًا خيولهم وهلكوا. لهذا السبب فإن الشريعة قدَّمت دواء ألاَّ يملك عبراني خيلاً. تذكَّر أن سليمان لم يكن له حصان من أورشليم أو من اليهوديَّة، إنَّما اشترى بعض الخيل من مصر. كانت الخيول تُبَاع في مصر. "هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أمَّا نحن فباسم الرب إلهنا نذكر" (مز ١٩: ٨). هؤلاء بالحق الذين يمتطون خيولاً ينامون ويهلكون. ربَّنا له خيول أيضًا، لكن له بجانب ذلك جبال مُشرِقة، أمَّا جبال الشيطان فمملوءة ظلامًا[1].

القدِّيس جيروم

انْظُرُوا الأَفْضَلَ وَالأَصْلَحَ مِنْ بَنِي سَيِّدِكُمْ،
وَاجْعَلُوهُ عَلَى كُرْسِيِّ أَبِيهِ،
وَحَارِبُوا عَنْ بَيْتِ سَيِّدِكُمْ. [٣]

كشفت هذه الرسالة عن شخصية ياهو، فهو رجل عسكري شجاع وجريء، يحقق أهدافه دون أن يفقد فرصة أو يؤجِّل. وضع في قلبه أن يبدأ بالسامرة، لأنه إن حدث تمرُّد عليه ستقتفي بعض مدن إسرائيل بها، فلا يستطيع التحكُّم في الموقف بسهولة.

---

[1] *On Ps. hom. 9.*

كتب للقيادات والنبلاء الذين قاموا بتربية أبناء الملك كما كانت عادة ذلك الزمان، إذ خشي أن يتعاطفوا معهم بسبب تربيتهم لهم.

لم يطلب معهم الدخول في حوارٍ أو جدالٍ، فالأمر لا يحتاج إلى مناقشات؛ إما قبوله ملكًا أو الدخول في معركة حربية. تركهم يأخذون قرارهم فيها بينهم، أما هو فلن يتنازل عن قراره.

فَخَافُوا جِدًّا جِدًّا وَقَالُوا:
هُوَذَا مَلِكَانِ لَمْ يَقِفَا أَمَامَهُ،
فَكَيْفَ نَقِفُ نَحْنُ؟ [٤]

ارتعبت كل القيادات في إسرائيل، وخضعوا لياهو الذي قتل ملكي إسرائيل ويهوذا.

لقد عرفوا أنه بعث إليهم هذه الرسالة يتهكم عليهم ولا يخاف منهم، فهو يعلم أنهم بلا ملكٍ، وأنهم مرتبكون، إذ كانوا سابقًا عبيدًا للملك، اعتادوا الطاعة لأوامره بلا نقاشٍ، ولا دور لهم في التدبير.

فَأَرْسَلَ الَّذِي عَلَى الْبَيْتِ وَالَّذِي عَلَى الْمَدِينَةِ،
وَالشُّيُوخُ وَالْمُرَبُّونَ إِلَى يَاهُو قَائِلِينَ:
عَبِيدُكَ نَحْنُ، وَكُلُّ مَا قُلْتَ لَنَا نَفْعَلُهُ.
لاَ نُمَلِّكُ أَحَدًا.
مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ فَافْعَلْهُ. [٥]

كتب إليه "**الذي على البيت**" أي الياور أو القائم على البلاط الملكي (١ مل ٤: ٦)، وفي نفس الوقت يُعتبَر حاكم المدينة، وكان يُناط إليه بالكتابة للحكام. اشترك في الرسالة القيادات الرئيسية ليعلن الجميع خضوعهم له، دون أية شروط، ودون الدخول في معاركٍ، وبغير سفك أية دماء.

فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رِسَالَةً ثَانِيَةً قَائِلاً:
إِنْ كُنْتُمْ لِي وَسَمِعْتُمْ لِقَوْلِي،
فَخُذُوا رُؤُوسَ الرِّجَالِ بَنِي سَيِّدِكُمْ، وَتَعَالُوا إِلَيَّ،
فِي نَحْوِ هَذَا الْوَقْتِ غَدًا إِلَى يَزْرَعِيلَ.
وَبَنُو الْمَلِكِ سَبْعُونَ رَجُلاً،
كَانُوا مَعَ عُظَمَاءِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ رَبُّوهُمْ. [٦]

لم يعطهم وقتًا للتفكير، إنما طلب أن يأتوا برؤوس الرجال في اليوم التالي لتأكيد أنهم

قتلوهم دون أن يقوموا بتهريب أحد منهم.

لكي يطمأن ياهو من استقرار مملكته، طلب رؤوس المنافسين له، فلا يكون له أعداء، كما لا يعطي فرصة لأحد سواء في الجيش أو خارجه المناداة بأحد أبناء أخآب أو أحفاده ملكًا. في النقوش والتماثيل الأشورية كثيرًا ما نرى جنودًا يبعثون رؤوس أناس من مكان إلى آخر، لا في سلال، بل يمسكون بشعر الرأس[1].

كان من العادات الشرقية التي يمارسها مغتصبو العرش أن يُمارَس عمل بربري خاص بقتل كل من يمكن أن يكون له حق اعتلاء العرش.

إذ طلب منهم الحضور إليه في يزرعيل، واضح أنه بدأ ممارسة عمله كملكٍ في قصر الملك بيزرعيل، وأن رسائله التي كتبها للقيادات في السامرة، كتبها من القصر.

فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّسَالَةُ إِلَيْهِمْ أَخَذُوا بَنِي الْمَلِكِ،
وَقَتَلُوا سَبْعِينَ رَجُلاً،
وَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ فِي سِلاَلٍ،
وَأَرْسَلُوهَا إِلَيْهِ إِلَى يَزْرَعِيلَ. [٧]

لم يذهبوا إليه، لأنهم ربما خافوا أن يقتلهم هم أيضًا؛ إنما أرسلوا إليه رؤوس الرجال، ولعلهم خجلوا من هذا الفعل كيف يقتلون من قاموا بتربيتهم، وقد كانوا عبيدًا للملك يظهرون كأشخاص مخلصين له ولأسرته.

لعب قطع الرأس دورًا كبيرًا في تحطيم الجيوش حتى القوية، فقد ارتبطت الجيوش قديمًا في نصرتها أو هزيمتها بقائد الجيش أو الملك. فلما قطع الصبي داود رأس جليات الجبار انكسر جيش الفلسطينيين في الحال (١ صم ١٧: ٥٤). لذات الهدف علَّق سكان يابيش جلعاد جسد شاول الملك ويديه على السور بالمسامير (١ صم ٣١: ٩-١٢)، وعائلة أخآب (٢ مل ١٠: ٧-٨). كذلك علَّق اليهود رأس نكانور *Nicanor* القائد السلوقي (السوري) وذراعه اليمين على السور قبالة أورشليم (١ مك ٧: ٣٧؛ ٢ مك ١٥: ٣٥)، وطلبت يهوديت تعليق رأس أليفانا رئيس جيش أشور التي قامت بقطعها.

فَجَاءَ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَهُ:
قَدْ أَتُوا بِرُؤُوسِ بَنِي الْمَلِكِ. فَقَالَ:
اجْعَلُوهَا كُومَتَيْنِ فِي مَدْخَلِ الْبَابِ إِلَى الصَّبَاحِ. [٨]

كومتان: وضع الرؤوس في كومتين واحدة عن اليمين، والأخرى عن اليسار في مدخل

---

[1] *Barnes' Notes.*

الباب ليراها جميع الداخلين والخارجين، فيهابون ياهو، ويخضعون لــه، خاصــة الــذين كــانوا يناصرون بيت أخآب.

هذا العرض الذي تم ليلاً بمجرد وصول رؤوس بني الملك بقي حتى الصباح، لكي ينتشر الخبر ليس في يزرعيل وحدها، بل على مستوى البلاد جميعًا، إذ غالبًا ما جاء القادة من كل البلاد يعلنون روح الطاعة والخضوع له.

هذا المنظر يُحَطِّم كل فكرٍ أو محاولةٍ للثورة أو للمقاومة ضد ياهو.

وُجدتْ هذه العادة قديمًا في بلاد كثيرة، مثل تركيا وفارس وبغداد. كان عرض رؤوس الأعداء قديمًا يُعبِّر عن مجد النصرة. كانوا أحيانًا يُشيِّدون كومة من رؤوس الأعداء عند باب القصر الملكي على شكل هرم. وكان المصريون يجمعون الأيادي ليحصوا بها عن القتلى من الأعداء، أما شاول فطلب من داود جمع جزء آخر من أجسام القتلى (١ صم ٨: ٢٥، ٢٧).

لا نعجب من ذلك فإنه حتى بداية القرن العشرين كانت بعض البلاد تقوم باستعراض جثث المجرمين[1].

وَفِي الصَّبَاحِ خَرَجَ وَوَقَفَ، وَقَالَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ:
أَنْتُمْ أَبْرِيَاءُ.
هُوَذَا قَدْ عَصَيْتُ عَلَى سَيِّدِي وَقَتَلْتُهُ،
وَلَكِنْ مَنْ قَتَلَ كُلَّ هَؤُلاَءِ؟ [٩]

في خطاب ياهو للشعب تظاهر أن أبناء وأحفاد الملك قتلهم الشيوخ والقادة بــسبب عــدم فهمهم لرسالته، وأنه على أي الأحوال ما حدث هو حكم إلهي عادل بسبب شر بيت الملك.

ما قاله حق، لأن الأمر صدر من قبل الرب على فم إيليا النبي (١ مل ٢١: ٢١). غير أن قوله أنه لم يقتل بني الملك لم يكن صادقًا تمامًا، لأن القتل تم بُناء على أمرٍ منه.

ربما شعر البعض بالذنب، كيف كانوا مخلصين لبيت أخآب، وفجأة ينضمون إلى قاتله، لذا أراد إراحة ضمائرهم:

١. من جهةٍ لم يرتكب أحد من الشعب أية خيانة أو جريمة ضد بيت أخآب.
٢. جاء قتل أبناء أخآب عن سوء فهم لرسالته.
٣. أن ما حدث إنما حدث بناء على كلام الرب نفسه هذا الذي لن تسقط كلمة من كلماته.

احتشد جمعٌ عظيم، الكل يود أن يسمع ما راء هذه القصة. حتمًا كان البعض يحمل نوعًا من الولاء لأخآب وأهل بيته، والبعض كان في ثورة داخلية ضدهم. وكان لياهو أن يخبرهم ما

---

[1] *Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*

وراء اغتيال الملكين وإيزابل، والمذبحة التي تمت في السامرة. كان الموقف حرجًا! حقًا لدى ياهو إمكانيات عسكرية لن يقف أمامها أحد في المملكة، لكن كان يلزم أن يُقنِع الشعب والقادة بتصرفاته الجريئة السريعة دون التشاور مع أحد.

إنه يواجه أصدقاء موالين لبيت أخآب ولو في الخفاء، ويواجه رجال البلاط الملكي الذين يشعرون بفضل بيت أخآب عليهم.

فَاعْلَمُوا الآنَ أَنَّهُ لاَ يَسْقُطُ مِنْ كَلاَمِ الرَّبِّ إِلَى الأَرْضِ،
الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَى بَيْتِ أَخآب،
وَقَدْ فَعَلَ الرَّبُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ إِيلِيَّا. [١٠]

يصعب تقييم شخصية ياهو، فهو من جانب يحترم كلمة الرب على ألسنة الأنبياء، ويحسب نفسه آلة في يد الله لتحقيق أحكامه. قاوم عبادة البعل وبذل كل الجهد لاقتلاعها. ومن جانب آخر عبد عجول الذهب التي في بيت إيل ودان (٢ مل ١٠: ٢٩). لقد استخدم تحقيقه لأحكام الله لحساب أغراضه الخاصة في نوعٍ من الأنانية.

❖ فوق كل شيء، كلمات الرب كافية لتثبت قلوبنا في الروح القدس، قائدنا، فتبقى ثابتة لا تتزعزع في قبول كل كلمة تصدر من فم الله (تث ٨: ٣)... يقول داود: "كل وصاياه أمينة، ثابتة مدى الدهر والأبد، مصنوعة بالحق والاستقامة" (مز ١١١: ٧-٨)... يقول ياهو في سفر الملوك: "فاعلموا الآن أنه لا يسقط من كلام الرب إلى الأرض الذي تكلم به" (٢ مل ١٠: ١٠)[1].

القديس باسيليوس الكبير

٢. ياهو يقتل بقية بيت أخآب ومعارفه

وَقَتَلَ يَاهُو كُلَّ الَّذِينَ بَقُوا لِبَيْتِ أَخآب فِي يَزْرَعِيلَ،
وَكُلَّ عُظَمَائِهِ وَمَعَارِفِهِ وَكَهَنَتِهِ،
حَتَّى لَمْ يُبْقِ لَهُ شَارِدًا. [١١]

بقتله كل عظمائه ومعارفه وكهنته، غالبًا ما قتل بعضًا ممن قطعوا رؤوس أبناء أو أحفاد أخآب السبعين. لم يقف عند إبادة أخآب وبيته كأمر الرب، وإنما قتل كل أصحاب السلطة الذين يمكن أن يتحالفوا أو يتعاطفوا مع بيت أخآب ضده حتى بعد قتلهم.

لم يقصد هنا جميع كهنة البعل، إذ قام فيما بعد بتدبير مؤامرة لقتلهم جميعًا (٢ مل ١٠: ١٩)، إنما يقصد هنا كهنة البعل المرتبطين بالبلاط الملكي، إذ لهم دور سياسي وسلطان.

---

[1] *Concerning Baptism.*

تجاوز ياهو في غيرته الأمر الإلهي. وقد أعلن هوشع النبي بعد ذلك القصاص على أسرة ياهو من أجل هذا التهور العنيف (هو ١:٤-٥).

٣. ياهو يقتل إخوة أخزيا

ثُمَّ قَامَ وَجَاءَ سَائِرًا إِلَى السَّامِرَةِ.

وَإِذْ كَانَ عِنْدَ بَيْتِ عَقْدِ الرُّعَاةِ فِي الطَّرِيقِ [١٢]

"**بيت عقد الرعاة**" جاءت في الترجمة اليسوعية "بيت مجمع الرعاة"، وفي الترجمة الإنجليزية "بيت الجز للرعاة"، أي المكان الذي كان الرعاة يجزون غنمهم فيه كل عامٍ. ربما كلمة "**عقد**" تشير إلى ربط الغنم عند جزها.

"**بيت عقد**" تعني بيت الرباط المعقود، وهو موضع بجوار جبل جلبوع *Gilboa*.

صَادَفَ يَاهُو إِخْوَةَ أَخَزْيَا مَلِكِ يَهُوذَا.

فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟

فَقَالُوا: نَحْنُ إِخْوَةُ أَخَزْيَا،

وَنَحْنُ نَازِلُونَ لِنُسَلِّمَ عَلَى بَنِي الْمَلِكِ وَبَنِي الْمَلِكَةِ. [١٣]

بقولهم "**إخوته**" هنا يقصدون أقرباءه، خاصة أولاد إخوته، لأن إخوته كانوا قد قتلوا (٢ أي ٢١: ١٧؛ ٢٢: ٨).

تحرك ياهو السريع مع الحزم الشديد، جعل الكل يخشون الحديث في هذه الأحداث الذي أطفى عليها نوعًا من الكتمان إلى حدٍ ما، لأن أقرباء الملكين كما نرى هنا جاءوا للسلام على بني الملك وبني الملكة، ولم يكونوا يدرون بما حدث، فتعرضوا هم أنفسهم للقتل.

هؤلاء التقوا بياهو وهم في طريقهم إلى السامرة حيث يتوقعون اللقاء مع بني الملك وبني الملكة، إذ كان البعض مقيمين في القصر الملكي بيزرعيل، وآخرون في القصر الملكي بالسامرة.

فَقَالَ: أَمْسِكُوهُمْ أَحْيَاءً.

فَأَمْسَكُوهُمْ أَحْيَاءً،

وَقَتَلُوهُمْ عِنْدَ بِئْرِ بَيْتِ عَقْدٍ،

اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ رَجُلاً،

وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا. [١٤]

ربما افتكر أولاً أن يأسرهم، لكنه عاد فاستحسن أن يقتلهم؛ أو أمر أن يمسكوهم حتى لا يهربوا قبل أن يتمكن من قتلهم.

٤. ياهو يلتقي بيهوناداب

ثُمَّ انْطَلَقَ مِنْ هُنَاكَ، فَصَادَفَ يَهُونَادَابَ بْنَ رَكَابٍ يُلاَقِيهِ،
فَبَارَكَهُ وَقَالَ لَهُ:
هَلْ قَلْبُكَ مُسْتَقِيمٌ نَظِيرُ قَلْبِي مَعَ قَلْبِكَ؟
فَقَالَ يَهُونَادَابُ: نَعَمْ.
فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ.
فَأَعْطَاهُ يَدَهُ، فَأَصْعَدَهُ إِلَيْهِ إِلَى الْمَرْكَبَةِ. [١٥]

"يهوناداب" معناها "الرب نبيل أو كريم". كان قريب ياهو، وهو ابن ركاب القيني، ناسك تقي مخلص في علاقته مع الله. أسس جماعة "الركابيين" على اسم أبيه ركاب. أوصاهم أن يهيموا في البرية، لا يبنون بيوتًا، ولا يغرسون زرعًا، بل يسكنون في خيامٍ (إر ٣٥: ١-١٦). أوصى بنيه ألا يشربوا خمرًا هم وبنوهم إلى الأبد.

أظهر غيرته بانفصاله هو وأسرته عن عبادة الأوثان، حاولوا الانفصال في حياتهم عن ضغوط المجتمع ومغرياته، ويرسم لنا إرميا في الأصحاح الخامس والثلاثين صورة رائعة لتكريسهم لله لهذا جاء الوعد الإلهي: "لا ينقرض من ذرية يوناداب بن ركاب رجل يمثل أمامي كل الأيام" (إر ٣٥:١٨-١٩).

أشار إليهم إرميا النبي ومدحهم، كما جاء تاريخهم يبرز تقواهم. هذا يكشف عن وجود أناس أتقياء في إسرائيل (الأسباط العشرة)، وإن كانوا قلة قليلة.

كان يهوناداب رئيس قبيلة القينيين (إر ٣٥: ٦-٩) وهو من مقاومي عبادة البعل. أعطت شجاعة يوناداب بن ركاب الركابيين مكانة ممتازة. كان مثل ياهو رجلاً غيورًا في السير وراء الرب. خرج لملاقاة ياهو بن نمشي بعد مسحه ملكًا على إسرائيل حيث أباد ياهو بيت أخآب الشرير إذ رآه ياهو باركه، أي حيَّاه. كان مستعدًا للاتحاد مع ياهو، هذا وقد رأى ياهو أن بالاتحاد معه يكسب كل القبيلة. رافق حوباب القيني بني إسرائيل في رحلتهم من مصر، وبعد دخولهم كنعان، سكن القينيون في جنوب يهوذا.

قال له ياهو: هل قلبك مستقيم نظير قلبي مع قلبك؟ فقال يهوناداب: نعم، نعم (٢ مل ١٠: ١٥)، فهتف ياهو فجأة: "هات يدك"، فناوله إيَّاها وأصعده إلى المركبة قائلاً: هلمَّ معي وانظر غيرتي للرب. من هنا نستنتج أن ياهو كان يعرف يهوناداب جيدًا باعتباره رجلاً مُكرَّسًا لعبادة الرب، وكارهًا لعبادة الأوثان، لأنه لم يختلط بعبدة البعل في هيكل السامرة قبل قتلهم.

"هات يدك": هذا قول ياهو ليهوناداب. هذا التعبير يحمل من جانب مساعدة ياهو

ليهوناداب ليصعد إليه في المركبة، ومن جانب آخر علامة قيام معاهدة بينهما. وجوده معه في المركبة علامة ظاهرة أمام الشعب أن الاثنين متفقان معًا في الفكر.

أما يهوناداب فلما رأى ياهو يسير في طريق بيت يربعام انسحقت روحه فيه بسبب هذه الإهانات الموجهة إلى الرب، وقاده ذلك إلى أن يلزم نفسه بلون من الحياة يشهد بحكمه الأدبي على الشر وعلى رفضه أن يُمَتِّع نفسه بمباهج الحياة أو حتى أن يكون مواطنًا في تلك الأرض التي جعلت عبادة الرب مستحيلة بدون النعمة الإلهية.

وَقَالَ: هَلُمَّ مَعِي، وَانْظُرْ غَيْرَتِي لِلرَّبِّ.
وَأَرْكَبَهُ مَعَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ. [١٦]

يروى لنا سفر مكابيين الأول أمانة بيت ركاب الذين جاء المكابيون من نسلهم في حفظ ناموس الرب، والتمسُّك بعبادة الله الحي، وغيرتهم على الإيمان في أيام أبيفانوس. وقد جاء عنوان المزمور ٧١ في الترجمة السبعينية: "عن بيت يهوناداب بن ركاب والذين أقتيدوا أولاً إلى السبي". جاء في المزمور: "صرت كآية لكثيرين، وأما أنت فملجأي القوي، يمتلئ فمي من تسبيحك اليوم كله من مجدك" (مز ٧١:٧-٨). "أنت الذي أريتنا ضيقات كثيرة ورديئة تعود فتحيينا، ومن أعماق الأرض تعود فتصعدنا، تزيد عظمتي وترجع فتعزيني" (مز ٧١:٢٠-٢١).

أما أن يفتخر ياهو أمام يهوناداب، قائلاً: **انظر غيرتي للرب**"، فكان في حقيقته مخادعًا، ربما حتى لنفسه!

يا لك من مراءٍ متشامخ وقاتل! هل لك غيرة ليهوه وديانته النقية؟! هوذا عجليْ دان وبيت إيل وسلوكك المتهور، كل هذا يكشف عن أعماقك! إنك تدعو الغير ليشهدوا لغيرتك للرب ولتقواك وأعمال محبتك، وفي الحقيقة في أنانية تحقق مصالحك الخاصة![1]

حقًا لقد أباد بيت أخآب، لكنه استخدم العنف بلا حدود. لم يقف عند بيت أخآب، بل وقتل أصدقاءه والقيادات المشكوك فيها وتجاوز كل حدود.

لقد أباد عبادة البعل، لكنه ترك العجلين في دان وبيت إيل.

تشبَّه بيربعام الذي لم يرفض عبادة الله، ولا حسبه إلهًا كاذبًا، كما لم يرفض شريعة موسى، لكنه مزج عبادة الله بالعبادات الغريبة، وحرم الشعب من دخول هيكل الرب في أورشليم، والاحتفال بالأعياد في أورشليم!

وَجَاءَ إِلَى السَّامِرَةِ،
وَقَتَلَ جَمِيعَ الَّذِينَ بَقُوا لأَخآبَ فِي السَّامِرَةِ حَتَّى أَفْنَاهُ،

[1] *Cf Adam Clarke's Commentary.*

حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ إِيلِيَّا. [١٧]

تمم كلام الرب الذي كلم به إيليا حرفيًا، لكن قلبه كان منحرفًا، غاية تصرفاته كرامته الذاتية، يعمل لحساب مجده الزمني، لا مجد الرب. لذلك شرب من كأس أعماله حتى بالنسبة لدم يزرعيل، إذ قيل: "أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل، وأبيد مملكة بيت إسرائيل. ويكون في ذلك اليوم أكسر قوس إسرائيل في وادي يزرعيل" (هو ١: ٤-٥).

٥. ياهو يغتال عبدة البعل

ثُمَّ جَمَعَ يَاهُو كُلَّ الشَّعْبِ، وَقَالَ لَهُمْ:
إِنَّ أَخْآب قَدْ عَبَدَ الْبَعْلَ قَلِيلاً،
وَأَمَّا يَاهُو فَإِنَّهُ يَعْبُدُهُ كَثِيرًا. [١٨]

صمم ياهو ألا تقوم أية عبادة في إسرائيل إلا للعجلين في دان وبيت لحم، لذا بمكر ادَّعى أنه يُقدِّم ذبيحة للبعل، حتى يجمع كل عبيد البعل في مكانٍ واحدٍ، ويذبحهم جميعًا دفعة واحدة، دون أن يفلت أحد منهم.

وَالآنَ فَادْعُوا إِلَيَّ جَمِيعَ أَنْبِيَاءِ الْبَعْلِ وَكُلَّ عَابِدِيهِ وَكُلَّ كَهَنَتِهِ.
لاَ يُفْقَدْ أَحَدٌ،
لأَنَّ لِي ذَبِيحَةً عَظِيمَةً لِلْبَعْلِ.
كُلُّ مَنْ فُقِدَ لاَ يَعِيشُ.
وَقَدْ فَعَلَ يَاهُو بِمَكْرٍ لِيُفْنِيَ عَبَدَةَ الْبَعْلِ. [١٩]

بروح الخداع أمر أن من لا يُظهِر غيرة في عبادته للبعل يُعَرِّض حياته للخطر.

يُمَيِّز النص بين ثلاث فئات من المرتبطين بعبادة البعل: أنبياء البعل، وكهنة البعل، وعامة الشعب المتعبِّدين للبعل.

كان من السهل أن تجتمع كل الفئات الثلاثة في مبنى واحد، وذلك لأن عددهم كان يتناقص بفضل خدمة إيليا النبي وأليشع النبي، كما أهمل يورام عبادة البعل.

وَقَالَ يَاهُو: قَدِّسُوا اعْتِكَافًا لِلْبَعْلِ.
فَنَادُوا بِهِ. [٢٠]

استخدم ياهو عبارة وردت في الشريعة خاصة بالاحتفال بالأعياد الكبرى ليهوه: "**نادوا باعتكاف**" (راجع لا ٢٣: ٣٦؛ عد ٢٩: ٣٥؛ تث ١٦: ٨).

وَأَرْسَلَ يَاهُو فِي كُلِّ إِسْرَائِيلَ

فَأَتَى جَمِيعُ عَبَدَةِ الْبَعْلِ،
وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلاَّ أَتَى،
وَدَخَلُوا بَيْتَ الْبَعْلِ،
فَامْتَلأَ بَيْتُ الْبَعْلِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ. [٢١]

هيكل البعل أقامه الملك أخآب (١ مل ١٦-٣٢). وقد اتسم المعبد بوجود دارٍ محيطة بالمعبد تتسع لعدة آلاف.

فَقَالَ لِلَّذِي عَلَى الْمَلاَبِسِ:
أَخْرِجْ مَلاَبِسَ لِكُلِّ عَبَدَةِ الْبَعْلِ.
فَأَخْرَجَ لَهُمْ مَلاَبِسَ. [٢٢]

كان لعبدة البعل ملابس خاصة تُوزَّع عليهم يرتدونها حتى يتقدموا للعبادة، مثل كهنة كل الأمم تقريبًا والمتعبدين أيضًا، يحسبونها مقدسة، يستخدمونها أثناء الخدمة فقط. غالبًا ما كانت من أقمشة بيضاء ناعمة، وتحفظ في حجرة مخصصة للملابس في الهيكل تحت رعاية شخص مُعيَّن لهذا العمل[1]. وقد طلب ياهو هذا لا للكهنة فقط، بل ولكل المتعبدين، حتى يتأكد ألا يكون أحد ممن يعبدون الرب بينهم.

وَدَخَلَ يَاهُو وَيَهُونَادَابُ بْنُ رَكَابٍ إِلَى بَيْتِ الْبَعْلِ.
فَقَالَ لِعَبَدَةِ الْبَعْلِ:
فَتِّشُوا وَانْظُرُوا لِئَلاَّ يَكُونَ مَعَكُمْ هَهُنَا أَحَدٌ مِنْ عَبِيدِ الرَّبِّ،
وَلَكِنَّ عَبَدَةَ الْبَعْلِ وَحْدَهُمْ. [٢٣]

يبدو أنه بعد فترة من انتشار عبادة البعل، كان كهنة البعل يجتمعون مع كهنة الرب لكن ليس في وقت تقديم الذبائح، وذلك للتمويه أمام الشعب. لكن ما كان يُميِّزهم هو الملابس التي يرتدونها داخل الهيكل.

لم يكن بالأمر الجديد أو الغريب أن يطلب ياهو من كهنة وأنبياء البعل أن يفتشوا وينظروا إن كان أحد من الغرباء عن هذه العبادة حاضرًا هذا المحفل. فقد كانت كثير من الديانات تعتبر حضور إنسانٍ لا ينتمي للعبادة هو نوع من تدنيس للطقس. في بعض العبادات الإغريقية كانوا يحسبون من يُقحِم نفسه بين المتعبدين يتعرض لعقوبة الموت. لهذا عندما أصدر ياهو هذا الأمر لم يتشكك أحد في نيته[2].

---

[1] *CF. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 344.*
[2] *Barnes' Notes.*

وَدَخَلُوا لِيُقَرِّبُوا ذَبَائِحَ وَمُحْرَقَاتٍ.
وَأَمَّا يَاهُو فَأَقَامَ خَارِجًا ثَمَانِينَ رَجُلاً، وَقَالَ:
الرَّجُلُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ أَتَيْتُ بِهِمْ إِلَى أَيْدِيكُمْ،
تَكُونُ أَنْفُسُكُمْ بَدَلَ نَفْسِهِ. [٢٤]

لم يكن هناك مهادنة مع العبادة الوثنية التي قامت على الارتداد عن الله الحق، مع ممارسة الإباحية الجنسية والطمع الخ. هكذا لا يجوز لنا التسامح مع الخطية التي تدمر الحياة نفسها.

وَلَمَّا انْتَهُوا مِنْ تَقْرِيبِ الْمُحْرَقَةِ،
قَالَ يَاهُو لِلسُّعَاةِ وَالثَّوَالِثِ:
ادْخُلُوا اضْرِبُوهُمْ. لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ.
فَضَرَبُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ،
وَطَرَحَهُمُ السُّعَاةُ وَالثَّوَالِثُ.
وَسَارُوا إِلَى مَدِينَةِ بَيْتِ الْبَعْلِ [٢٥]

لم يوضح النص من الذي قام بتقديم الذبيحة هل ياهو أم رئيس كهنة البعل. غالبًا تبرَّع ياهو بالذبائح، وقام الكهنة بتقديمها[1]. أراد ياهو أن يطمئن كهنة البعل أنه لا يدبر شيئًا ضدهم فيجمعهم ولا يفلت أحد منهم، ويقوم بقلتهم.

جاء في ملوك الأول "ثم أن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب" (١ مل ٨: ٦٢). لا يُفهَم من ذلك أن الملك أو الشعب قاموا بالذبح، هكذا قدَّم ياهو الذبيحة أو الذبائح وقام كهنة البعل بذبحها وتقديمها على مذبح البعل.

السعاة: هم الذين يحيطون، يجرون حوله لحمايته، لئلا يتعرض الملك لأي اغتيال.

الثوالث: هم قادة دفاع، يسمون الثوالث، لأنهم يأتون في الرتبة الثالثة بعد الملك والنبلاء، تُترجَم أحيانًا *Captains*.

وَأَخْرَجُوا تَمَاثِيلَ بَيْتِ الْبَعْلِ وَأَحْرَقُوهَا، [٢٦]

كانت التماثيل أو الصور التي في بيت البعل غالبًا مجرد أعمدة أو مسلات أو سواري خالية من أي شكل، تُمثِّل البشرية. كانت من الخشب (تث ١٦: ٢١)، أما تمثال البعل [٢٧] فكان من الحجارة أو من المعدن.

وَكَسَّرُوا تِمْثَالَ الْبَعْلِ،

---

[1] *Bares' Notes.*

وَهَدَمُوا بَيْتَ الْبَعْلِ،
وَجَعَلُوهُ مَزْبَلَةً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [٢٧]

الصور أو التماثيل في بيت البعل لم تكن صورًا للبعل، إنما تشير إلى آلهة أقل من البعل، أما تمثال البعل الذي كُسر، فكان غالبًا في مدخل الهيكل.

وَاسْتَأْصَلَ يَاهُو الْبَعْلَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. [٢٨]

٦. ياهو لم يحد عن خطايا يربعام

وَلَكِنَّ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ،
لَمْ يَحِدْ يَاهُو عَنْهَا،
أَيْ عُجُولِ الذَّهَبِ الَّتِي فِي بَيْتِ إِيلَ وَالَّتِي فِي دَانَ. [٢٩]

سار جميع ملوك إسرائيل في طريق يربعام (١ مل ١٢: ٢٥-٣٣)، إذ فرض عبادة مُخالِفة لوصايا الرب بشان استخدام التماثيل في العبادة، وبشأن الكهنة والأعياد ومكان العبادة.

كان مشغولاً بإبادة البعل، لكن بلا غيرة على عبادة الله في قداسة ونقاوة! يقول يعقوب الرسول: "لأن من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرمًا في الكل" (يع ٢: ١٠)، خاصة إن كانت هذه الخطية ليست عن ضعفٍ، بل عن عمدٍ لتحقيق مصلحة شخصية. لقد أخطأ ياهو في حق الله والناس، لأنه لم يحد عن عجول الذهب التي في بيت إيل ودان، ولأنه في إبادة بيت أخآب الشرير تحرك بروح العنف نحو كثيرين ليسوا من بيت أخآب، ففقد طبيعة الحب.

❖ من أجل أنك لا ترحم الآخرين فلا يصنع بك رحمة. ولأنك أغلقت باب بيتك إزاء المساكين فلا يفتح لك الله باب ملكوته، وكما أمسكت بالخبز عن البائسين حينما كانوا يطلبونه منك، هكذا يمسك الله عنك الحياة الأبديّة التي تطلبها. إنكم ستحصدون ما زرعتم. فإن كنتم قد زرعتم المرارة فستحصدون المرارة، وإن زرعتم القسوة، فلا تحصدون سوى الأتعاب القاسية والعذابات الهائلة. وإن كنتم قد هربتم من الرحمة، تهرب الرحمة منكم، وإن رذلتم الفقراء يرذلكم ذاك الذي صار فقيرًا حبًا فيكم[١].

القديس باسيليوس الكبير

من لا يرحم لا يستحق مراحم الله، ولا يحصّل على أي نصيب من العطف الإلهي بصلواته![٢]

الشهيد كبريانوس

---

[١] للمؤلف: الحب الأخوي، ص ١٥٣.

[٢] للمؤلف الحب الأخوي، ١٩٦٤ م، ص ١٥٣.

❖ من يرحم إنسانًا يصير باب الرب مفتوحًا لطلباته في كل ساعة[1].

الشيخ الروحاني

وَقَالَ الرَّبُّ لِيَاهُو:
مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ بِعَمَلِ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيَّ،
وَحَسَبَ كُلِّ مَا بِقَلْبِي فَعَلْتَ بِبَيْتِ أَخآب،
فَأَبْنَاؤُكَ إِلَى الْجِيلِ الرَّابِعِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. [٣٠]

مدح الرب ياهو على استئصاله عبادة البعل، وجعله يملك على إسرائيل هو وأبناؤه إلى الجيل الرابع، أي يهوآحاز ويوآش ويربعام وزكريا، لكن جازاه على خطاياه.

وَلَكِنْ يَاهُو لَمْ يَتَحَفَّظْ لِلسُّلُوكِ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ.
لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. [٣١]

أما غاية ياهو فكانت التخلُّص من كل الذين يعترضون مطامعه فقط، فتعامل مع الشر حسبما يناسب مطامع قلبه، لذلك نراه يقضي على بيت أخآب وخطاياه، ولا يتعرض مطلقًا لخطايا بيت يربعام. لقد هدم بيت البعل، لكنه أبقى عجول الذهب. لقد أشهر حربه ضد أعداء الرب مندفعًا بميوله الشخصية، ولم يكن يُبالي بشريعة الرب، لذلك نقرأ: "ولكن ياهو لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب إله إسرائيل **من كل قلبه**، لم يحد عن خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يخطئ" (٢ مل ١٠: ٣١).

خطية ياهو ليس فقط أنه تمم عملاً صالحًا ولم يتمم عملاً آخر، وإنما لم يبالِ بنقاوة قلبه؛ يؤكد الكتاب: "لم يتحفَّظ للسلوك... من كل قلبه". يؤكد الكتاب المقدس الاهتمام بالقلب:

"يا ابني لا تنس شريعتي، بل **ليحفظ قلبك وصاياي**". (أم ٣: ١)

"لا تدع الرحمة والحق يتركانك، تقلدهما على عنقك، **اكتبهما على لوح قلبك**". (أم ٣: ٣)

"توكل **على الرب بكل قلبك**". (أم ٣: ٥)

"لا تبرح عن عينيك، **احفظها في وسط قلبك**". (أم ٤: ٢١)

"فوق كل تحفظ **احفظ قلبك**، لأن منه مخارج الحياة". (أم ٤: ٢٣)

"**اربطها على قلبك دائمًا**، قلد بها عنقك". (أم ٦: ٢١)

"أمل أذنك واسمع كلام الحكماء، **ووجه قلبك إلى معرفتي**" (أم ٢٢: ١٧)

"يا ابني **إن كان قلبك حكيمًا**، يفرح قلبي أنا أيضًا". (أم ٢٣: ١٥)

---

[1] للمؤلف الحب الأخوي، ١٩٦٤ م، ص ١٥٨.

"اسمع أنت يا ابني، وكن حكيما، **وأرشد قلبك في الطريق**". (أم ٢٣: ١٩)

"يا ابني، **أعطني قلبك**، ولتلاحظ عيناك طرقي". (أم ٢٣: ٢٦)

❖ "**احفظ قلبك بكل اجتهاد**" (راجع أم ٤: ٢٣)، حتى لا يدخل شيئًا من الطبيعة الشيطانية إلى عقولنا، أو أي روح من المضادين يحول تصوراتنا كيفما يشاء. إنما نصلي لكي ما يشرق نور معرفة مجد الله في قلوبنا، ويسكن روح الله في تصوراتنا، ويقودها للتأمل في الأمور الإلهية، فإن كثيرين إذ يقودهم روح الله هم أولاد الله[١].

العلامة أوريجينوس

❖ لنحيا هكذا: لنلاحظ باستمرار كما هو مكتوب: احفظ قلبك بكل اجتهادٍ، إذ لنا أعداء مرعبون وماكرون، الشياطين الأشرار، نصارع معهم، كقول الرسول: "فإن مصارعتنا ليست مع لحمٍ ودمٍ، بل ضد الرئاسات والقوات، ضد رؤساء العالم في هذه الظلمة، ضد قوات الشر في العلى" (راجع أف ٦: ١٢)[٢].

القدِّيس أثناسيوس الرسولي

❖ "قلبًا نقيًا اخلقه فيَّ يا الله" (مز ٥١: ١٠). إنه يطلب مثل هذه الخلقة، ليس كمن ليس له قلب، وإنما إذ أفسده يشتهي أن يرجع ويكون نقيًا[٣].

القديس ديديموس الضرير

❖أما عن ياهو هذا، بالكذب غير النقي والذبيحة المُدنَّسة قام بالاستعلام عن أناس غير أتقياء دنسين لكي يقتلهم، لم يُرِدْ الكتاب المقدس أن نتمثل به. لا، فإنه لم يصمت بخصوص شخصيته. إنما كُتب عنه أن قلبه لم يكن مستقيمًا مع الله (٢ مل ١٠: ٣١). ماذا ينفعه إن كان قد مارس نوعًا من الطاعة بخصوص الإبادة التامة لبيت أخآب، إذ أظهر شهوة للسيطرة، فنال شيئًا من الأجرة الزائلة في مملكة مؤقتة؟[٤]

القديس أغسطينوس

❖ إنه ليس دَنس الجسد، بل دَنَس النفس الذي ينفر الله منه... ماذا يقول النبي؟ "**قلبًا نقيًا أخلقه فيَّ يا الله**" (مز ٥١: ١٠). وأيضًا: "اغسلي من الشر قلبكِ" (إر ٤: ١٤)[٥].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *Against Celsus, 4 95*
[2] *Vita Antoii,21*
[3] *Commentary on the Proverbs of Solomon, Fragment 8 22*
[4] *To Consentius, Against Lying, 3*
[5] *Homilies on 2 Timothy, 6*

٧. انهيار ياهو

فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ يَقُصُّ إِسْرَائِيلَ.
فَضَرَبَهُمْ حَزَائِيلُ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ [٣٢]

جعل الله حزائيل آلة كمقصٍ به قصَّ من مملكة إسرائيل كل ما كان شرق الأردن من عروعير التي كانت على تخم موآب في أقصى الجنوب إلى باشان التي كانت على تخم أرام في أقصى الشمال. وكانت تلك المناطق خصبة جدًا.

لكن الرب غضب على حزائيل، لأنه عمل هذا بطمعٍ وقسوةٍ.

مِنَ الأُرْدُنِّ لِجِهَةِ مَشْرِقِ الشَّمْسِ،
جَمِيعَ أَرْضِ جِلْعَادَ الْجَادِيِّينَ وَالرَّأُوبَيْنِيِّينَ وَالْمَنَسِّيِّينَ
مِنْ عَرُوعِيرَ الَّتِي عَلَى وَادِي أَرْنُونَ وَجِلْعَادَ وَبَاشَانَ. [٣٣]

كتأديب إلهي فقدت إسرائيل كل منطقة الضفة الشرقية من الأردن، فحلّ دمار كامل وخراب للمنطقة الخاصة بسبطيّ رأوبين وجاد ونصف سبط منسّى (يش ٢٢: ١-٩)، على يد حزائيل ملك أرام. هذه المنطقة تبلغ إليها جيوش دمشق بسهولة عن الضفة الغربية.

عروعير: اسم موآبي وعبري معناه "عارية أو عري". توجد مناطق كثيرة تحمل ذات الاسم. عروعير المذكورة هنا هي أشهر هذه المناطق. وهي بلدة إلى الشمال من نهر أرنون في موآب، جنوب مملكة سيحون العمورية. استولى عليها حزائيل بعد أن احتلها وحصّنها الجاديون. حاليًا تُدعَى عراعير، على بعد اثني عشر ميلاً شرقي البحر الميت، جنوبي ذيبان بقليل.

جلعاد وباشان: كانت كل هذه المنطقة تُدعَى جلعاد، هنا يميز بين جلعاد في الجنوب، وباشان في الشمال (١ مل ٤: ١٣، ١٩).

وبَقِيَّةُ أُمُورِ يَاهُو وَكُلُّ مَا عَمِلَ وَكُلُّ جَبَرُوتِهِ،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٣٤]

كان ياهو جبار حرب، وإن كان قد انكسر وخسر.

تعبير "**جبروته**" ينطبق على شخصية ياهو العنيفة وشجاعته أكثر من سلطانه، لأنه انهزم أمام حزائيل ملك أرام.

كانت مدة حكمه طويلة، تبلغ ثمانية وعشرين عامًا، لا نعرف عنها سوى فترة بداية حكمه.

ورد ذكر ياهو على عمود أثري قديم يُسمَّى "المسلَّة السوداء"، أقامها الملك شلمنأسر الثالث ملك أشور. يظهر ياهو على هذه المسلَّة راكعًا في مذلة أمام ملك أشور. لقد دفع الجزية

للأراميين في أوائل عهده بالحكم (سنة ٨٤١ ق.م)، ولم يُسَجِّل الكتاب المقدس علاقة ياهو بأشور، الأمة التي كانت على وشك أن تصبح قوة عالمية.

وَاضْطَجَعَ يَاهُو مَعَ آبَائِهِ،
فَدَفَنُوهُ فِي السَّامِرَةِ،
وَمَلَكَ يَهُوآحَازُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٣٥]

بعد موت ياهو مَلَكَ ابنه يهوآحاز (١٣: ١-٩) ثم يوآش والذي يُدعَى أيضًا يهوأش (١٣: ١٠-١٣) ثم يربعام الثاني (١٤: ٢٣-٢٩) ثم فترة صغيرة زكريا (١٥: ٨-١٢). بعد ستة شهور اغتاله شالوم وبهذا انتهى خط ياهو في الجيل الرابع كقول الرب (١٠: ٣٠).

وَكَانَتِ الأَيَّامُ الَّتِي مَلَكَ فِيهَا يَاهُو عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ،
ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. [٣٦]

جعلت أسرة أخآب مِنْ يزرعيل أشبه بعاصمة ثانية لإسرائيل، وكانت على الأقل تُمَثِّل جزئيًا مركزًا للحكم (٢ مل ٩: ١٤-٣٠). أما ياهو وخلفاؤه من نسله، فيبدو أنهم ركَّزوا كل إقامتهم على السامرة كعاصمة للمملكة (٢ مل ١٣: ١٠؛ ١٤: ٢٣؛ ١٥: ٨).

لم يملك أحد من ملوك إسرائيل أكثر منه إلا يربعام الثاني الذي كان من نسله، فقد مَلَكَ أربعين سنة.

كان يمكن للملك ياهو أن يكون موضع سرور الله، فقد بدأ الطريق باستقامة، لكن قلبه لم يكن مستقيمًا تمامًا، ولا معتدلاً.

أزال أسرة أخآب الشرير وقضى عليها.

قضى على عبادة البعل، لكنه تمسَّك بشكلٍ آخر من أشكال الوثنية، إذ استمر في عبادة العجلين اللذين أقامهما يربعام.

مسحه إيليا النبي وثبَّت ذلك تلميذه أليشع النبي.

كان يمكن أن يكون ملكًا مرْضيًا لدى الله، يُتمِّم إرادته الإلهية، لكنه بسبب نظرته المتهورة للحياة كان جسورًا مُعَرَّضًا للخطأ. ظلَّت أسرته على العرش مدة أطول من أي أسرة أخرى.

لم يكن قلبه كاملاً أمام الله، فكان يطيع الله حسبما يخدم أغراضه الشخصية.

لقد قاوم عبادة البعل، ولعل الدافع إلى ذلك كان سياسيًا، فقد ارتبطت هذه العبادة بأسرة أخآب فكان في تحطيمها تثبيت لعرشه. أما بالنسبة للعجلَيْن الذهبيَيْن فتركهما، لأنه في تحطيمهما عودة الشعب إلى الهيكل في أورشليم في المملكة الجنوبية المُعادية له ليعبدوا هناك.

من وحي ٢ مل ١٠

قلبًا نقيًا إخلقه فيَّ يا الله

❖ هبْ لي يا رب أن يعمل روحك القدوس فيَّ.

يقود حياتي كلها: سلوكي وفكري وقلبي وكل مشاعري.

كثيرًا ما أخدع نفسي،

أحسب في نفسي، إني أتمم مشيئتك.

روحك هو القائد لأعماقي،

يشرق فيَّ بنوره، فأدرك حقيقة أعماقي.

يقودني فيك، ويحملني إليك.

❖ هبْ لي أن أكون آلة برٍّ لحساب ملكوتك.

لا أدَّعي إني أدافع عن الحق.

فأُستعبد للنقد والإدانة والغضب.

أُدافع عن الحق، وأفقد الحب،

فليس للحق وجود بدون الحب!

❖ يبدو لي أن السلوك بالتقوى سهل، لكن من يضبط عيني وأفكاري؟

من يُقدِّس أحاسيسي الخفية وعواطفي؟

من يهبني الحق المقدس سواك أيها القدوس.

قلبًا نقيًا اخلقه فيَّ يا الله،

وروحًا مستقيمًا جدده في أحشائي.

اَلأَصْحَاحُ الْحَادِي عَشَرَ

مسح الطفل يوآش ملكًا

في الأصحاح السابق رأينا كيف أقام الله ياهو ليبيد بيت أخآب الذي أفسد هو وزوجته وأسرته وكهنته ومعارفه مملكة إسرائيل، وكاد أن يحولها من شعب الله إلى شعب وثني يعبد البعل، ويقاوم الأنبياء ورجال الله. انتقل هذا الوباء إلى يهوذا، حيث دخلت الأسرتان في علاقة نسب. قام ياهو بقتل ملكي إسرائيل ويهوذا، وبقدر الإمكان كل من ينتمي لبيت أخآب. الآن استلمت عَثْلِيَا ابنة أخآب وإيزابل الحُكْم في يهوذا. وإذ حملت روح أمها الشريرة، وضعت في قلبها أن تبيد كل بيت داود، فلا يستلم أحد منهم الحكم، كما تفرغت لنشر العبادة الوثنية في يهوذا. وهي المرأة الوحيدة التي استلمت الحكم في مملكتي يهوذا وإسرائيل.

اهتم يهوشافاط ملك يهوذا بتقوية مملكة يهوذا؛ لكنه قام بتزويج ابنه يهورام لعثليا ابنة أخآب. هذا الزواج، في رأي الكثيرين، كان جزءًا من خطة شيطانية لإدخال الوثنية في يهوذا[1].

١. **خلاص يوآش من يد عثليا** ١-٣.
٢. **يهوياداع يمسح يوآش ملكًا** ٤-١٢.
٣. **قتل عثليا** ١٣-١٦.
٤. **عودة إلى عبادة الرب** ١٧-٢١.

١. خلاص يوآش من يد عثليا

فَلَمَّا رَأَتْ عَثَلْيَا أُمُّ أَخَزْيَا أَنَّ ابْنَهَا قَدْ مَاتَ،
قَامَتْ فَأَبَادَتْ جَمِيعَ النَّسْلِ الْمَلِكِيِّ. [١]

في الأصحاح السابق رأينا إنسانًا يدفعه الرب إلى عرش **مملكة إسرائيل**، ليبيد كل البيت الذي أفسد القادة والشعب. لكن للأسف وإن كان قد أبادهم لم يعرف كيف يُسلِّم قلبه للرب، حتى يتحقق فيه قول الحكيم: "قلب الملك في يد الرب، كجداول مياه حيثما شاء يميله" (أم ٢١: ١). الآن يُقدِّم لنا صورة أخرى خطيرة لامرأة تستلم الحكم **في يهوذا**، وعوض أن تضع قلبها في يد الرب، وضعت في قلبها أن تقاوم الرب، فقاومت نفسها، وحطَّمت مركزها وحياتها وهي لا تدري. هذان الاثنان: الملك ياهو في إسرائيل والملكة عثليا في يهوذا، مع أنهما نقيضان، الأول يبدو كمن له غيرة على عبادة الله الحيّ، والثانية كانت لها غيرة على نشر عبادة البعل. لكن كليهما إذ لم يضعا

[1] *Dake's Annotated Reference Bible, 1995, p. 402.*

قلبيهما في يد الرب، يقدمان لنا دعوة واحدة من أجل بنيان مملكة الله في داخلنا، وهي أن نضع قلوبنا في يد ملك الملوك، إذ جعلنا "ملوكًا وكهنة" (رؤ ١: ٦).

❖ أودع نفسك في يديّ الرب، ليس فقط عندما ترحل من الجسد، بل حتى وهي بعد في الجسد، فلتكن في يديّ الرب. لأنك لا تراها (لا ترى نفسك)، ولا ترى مصدرها، ولا موضع بلوغها. إنها فيك، وهي أيضًا مع الله. "قلب الملك في يد الرب"، الذي يقودها ويوجهها... إن كان قلب إنسانٍ في يد الرب، كم بالأكثر تكون نفسه؟[1]

القدّيس أمبروسيوس

❖ إن كان قلب الملك في يد الله. فإنه لا يخلص بقوة الذراعين، بل بالقيادة الإلهية. الآن ليس أي إنسانٍ عشوائيًا في يد الله، بل ذاك الذي يتأهل لاسم الملك[2].

القديس باسيليوس الكبير

❖ ملوك الأرض هم الذين يسيطرون على الخطية، لهذا فإن الذين يحكمونها يقدمون تشكرات.

بالتأكيد لا يشير النبي إلى ملوك هذا العالم، إذ كُتب: "قلب الملك في يد الرب".

هل يمكن ولو إلى لحظة تظن أن قلب يوليان الجاحد في يد الله؟ حاشا! أو قلب نيرون أو مكسيميانوس أو داكيوس المُضطهِدين؟ حاشا! لا، فإنه يتحدث عن الذي يسيطرون على الخطية، وذلك لأن قلبهم في يد الله، هؤلاء الذين يغلبون الرذائل وأهواء نفوسهم، وبهذا يسودون على الخطية[3].

❖ هل قلب منسّى في يد الله؟... هل قلوب ملوك يهوذا الأشرار في يد الله؟...

لذلك فإن الملوك هم القديسون، وقلوبهم في يد الرب[4].

القديس جيروم

عثليا أم أخزيا ملك يهوذا، وهو غير أخزيا ملك إسرائيل ابن أخآب وإيزابل.

بعد اغتيال ابنها، وضعت في قلبها إبادة كل النسل الملكي بغدرٍ رهيب. لعلها ظنت أنها تستطيع أن تقاوم الوعد الإلهي الخاص بإقامة الملوك من نسل داود، فكما أُبيد نسل بيت أبيها، أرادت إزالة المُلك من كل بقية نسل داود.

أدخلت **عثليا** ابنة أخآب وإيزابيل وأرملة يهورام ملك يهوذا عبادة البعل إلى يهوذا، وكانت

---

[1] *Death as a Good, 10:44.*
[2] *Homilies on Psalms (Ps. 32), homily 15: 9*
[3] *Homilies on Psalms, homily 49 on Ps.137*
[4] *Homilies on Psalms, homily 9 on Ps 75.*

مثل أمها في شرورها وعنفها. لم تتأخر عن سفك الدم لتحقيق هدفها. تسلطت على رجلها (٨: ١٨، ٢٧؛ ٢ أي ٢١: ٦)، وعلى ابنها (٢ أي ٢٢: ٢-٤).

يرى **القدّيس مار أفرآم السرياني**[1] أن عثليا كانت تحث ابنها أخزيا أن يعمل خلال أبناء الإثم على سحب الكهنة من بيت الرب لعبادة الأوثان، وكان ابنها كأعمى يطيعها دون مناقشة. ولما استلمت الحكم بعد اغتيال ابنها أرادت تحقيق ذلك بنفسها، كي تسحب اليهود من عبادة الرب إلى العبادة القديمة لأهل صيدون.

كان الكبرياء وراء دمار كل من ياهو الذي اختاره الرب لتأديب بيت أخاب، ودمار عثليا. كلاهما استلما العرش، وظنا أنهما بقوتهما وحكمتهما قادران على تحقيق رسالتهما بكل نجاحٍ. فمع ما كان لهما من قدرات وإمكانيات ومواهب، غير أن عدم رجوعهما إلى الله بروح التواضع، يطلبان مشورته وحكمته واستلام عجلة القيادة بنفسه فشلا، بل ودمرًا نفسيهما بالرغم من مظاهر النجاح البرّاقة في بداية استلام كل منهما للعرش.

الكبرياء أو التشامخ هو طريق تدمير الإنسان لنفسه مهما كان مركزه.

❖ لاحظوا هؤلاء الناس المتكبرين المستهترين، لاحظوا الثور وهو يُعَد للذبح، يُترَك ليجول في حرية، يُدمِّر ما يريد، حتى يوم ذبحه... يشير الكتاب المقدس إليه في موضع آخر كذبيحةٍ وإنه يُترَك لحرية شريرة (أم ٧: ٢٢)[2].

❖ كل المتكبرين يحملون رقابًا متشامخة، فلا يمارسون الشرور فحسب، بل ويرفضون أن يحسبوها شرورًا. وعندما يُنتهَرون يُبَرِّرون أنفسهم[3].

❖ يحارب الأشرار الله، فتتحطم الأواني الخزفية وتصير كسرًا، هكذا ينتفخ البشر معتمدين على قوتهم الذاتية. هذا هو الدرع الذي يتحدث عنه أيوب بخصوص الشرير. "يجري ضد الله، على عنقه المتصلب لدرعه. ما هو "**العنق المتصلب لدرعه**" (راجع أي ١٥: ٢٦)؟ ذاك الذي يعتمد بالأكثر جدًا على حمايته الذاتية[4].

القديس أغسطينوس

❖ يفتخر أناس بكونهم أبناء حكام، وبقدرتهم على إنزال بعض الكهنة من درجاتهم الكهنوتية، مثل هؤلاء يتعظمون ويفتخرون من أجل أمور تافهة لا طائل من ورائها، وبالتالي فإنه لا يوجد

---

[1] *On the Second Book of Kings, 12 7*
[2] *On Ps 73 (72)*
[3] *On Ps 129 (128)*
[4] *On Ps. 46 (45)*

أدنى سبب لتعظمهم هذا... ويوجد من يفتخرون بأنهم قد حصلوا على ما يسمونه امتياز *Promotion* يمكنهم من الإطاحة برؤوس الناس: إن **مجد هؤلاء الناس يكون في خزيهم (في ٣: ١٩)**. وآخرون يفتخرون بغناهم، ليس الغنى الحقيقي، بل الغنى الأرضي... **لا تستحق كل هذه الأشياء حتى أن توضع في الاعتبار، ولا يليق بنا أن نفتخر بأي منها.**

الأشياء التي تعطينا الحق في التعظم والافتخار، هي أن نفتخر بأننا حكماء، أو أن نفتخر (بتعقّل) بأننا منذ عشر سنوات مثلاً لم نقترب من الملذات الجسدية والشهوات، أو لم نقترب منها منذ الطفولة؛ أيضًا حينما نفتخر بحمل القيود في أيدينا من أجل السيِّد المسيح، هذه أشياء تدعو للافتخار عن حق، ولكن حتى هذه الأشياء أيضًا، فإذا حكَّمنا عقلنا بالحق، نجد أنه ليس لنا أن نتعظم أو نفتخر بها.

كان لدى بولس الرسول ما يدعوه للتشامخ بسبب **الرؤى والإعلانات والمعجزات والعلامات** وبسبب الآلام التي تحمّلها من أجل السيِّد المسيح، وبسبب الكنائس التي أقامها في أماكن كثيرة من العالم، في كل ذلك كان لديه ما يدعوه للافتخار، وبحسب الأشياء الخارجية الظاهرة التي تدعو للفخر، كان سيبدو افتخار بولس الرسول شيئًا طبيعيًا بالنسبة للناس؛ ومع ذلك، وبما أنه من الخطر عليه أن يفتخر، حتى بالنسبة لتلك الأشياء، فإن الآب في رحمته، كما أعطاه تلك الرؤى، أعطاه أيضًا على سبيل الرأفة به، **ملاك الشيطان ليلطمه لئلاً يرتفع**؛ ومن أجل هذا **تضرع** بولس **إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقه**، فأجابه الله: "**تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكمل**" (٢ كو ١٢: ٧-٩)[1].

العلامة أوريجينوس

❖ ابغض العظمة، لأنها الثمرة المملوءة موتًا.
لأن آدم أكل منها في عدن، وأعطته الموت.
وبها سقط الشيطان من البدء.
بها سقط بيت آدم من الفردوس.
ليس عند الله شيء بخس ومكروه كمثل حُب العظمة، ومن يتشامخ بالكبرياء.

القديس مار يعقوب السروجي

فَأَخَذَتْ يَهُوشَبَعُ بِنْتُ الْمَلِكِ يُورَامَ أُخْتُ أَخَزْيَا يُوآشَ بْنَ أَخَزْيَا،
وَسَرَقَتْهُ مِنْ وَسَطِ بَنِي الْمَلِكِ الَّذِينَ قُتِلُوا هُوَ وَمُرْضِعَتَهُ مِنْ مِخْدَعِ السَّرِيرِ،
وَخَبَّأُوهُ مِنْ وَجْهِ عَثَلْيَا فَلَمْ يُقْتَلْ. [٢]

---

[1] *Homilies on Jeremiah., Homily 12.8*

"**عثليا**" وتعني "الرب يتمجد". لكن للأسف لم تسلك كما يليق باسمها.

وضعت عثليا في قلبها إبادة أحفادها نسل أخزيا وكل النسل الملكي، لكنها فشلت، إذ اختطفت يهوشبع ابن أخيها يوآش بن أخزيا مع مرضعته وخبأته في بيت الرب لمدة ست سنوات، وذلك بعناية الرب، ساعدها في ذلك زوجها يهوياداع رئيس الكهنة التقي. بلا شك بكونها أخت أخزيا، كان لها حرية الدخول والخروج في القصر الملكي. أشفق خدّام البيت على الطفل الصغير، واتفقوا معها على إنقاذه. ذلك لأن الله قد وعد داود أن كرسيه يكون ثابتًا، وأن المسيا يأتي من نسل داود الملكي (٢ صم ٧)، فلم يسمح بالإبادة الكاملة. لقد حفظ الله يوآش من أجل عهده مع داود.

"**يهوشبع**" بنت الملك يهورام وأخت أخزيا من أبيه وليس من أمه كما يقول يوسيفوس[1]. لم تكن ابنة عثليا، لأنها قاومت شرها (٢ مل ١١: ٢؛ ٢ أي ٢٢: ١١)، وخلّصت يوآش وأخفته ست سنين في الهيكل لكي لا تعثر عليه عثليا وتقتله. ربما لم يكن لدى عثليا عِلْم بوجود يوآش، لهذا لم تبحث عنه لتقتله.

أخفت يهوشبع يوآش الصغير في بيت الرب، حتى يمكنه أن يحتل مركزه كقائد للشعب (١١: ١٢). هكذا أخفت مريم أخاها موسى (خر ٢: ٣)، وأخفت راحاب الجاسوسين (يش ٢: ٤) ويوسف ومريم أخفيا الطفل يسوع في مصر (مت ٢: ١٣) حتى يحين الوقت المناسب.

في بيت الله لا نحتمي فقط من الأعداء الأشرار، بل ونناّل كرامة، إذ ترتفع رؤوسنا، ونُقدّم ذبائح التهليل والتسبيح. فيه تتيقن قلوبنا من النصرة الكاملة، لذا نرفع رؤوسنا بفرحٍ واعتزازٍ، مع أننا نرى نفوسنا وقد أحاط بها الأعداء من كل جانب يهددوننا.

كان يُنظَر إلى الهيكل كموضع أمان (٢ مل ١١: ٣؛ نح ٦: ١٠)، سرّ أمانه ليس حصونه وحوائطه، وإنما الله الساكن فيه، والشركة معه التي تُختبَر داخله. بحقٍ يجد المؤمن في بيت الرب أمانه وسلامه الداخلي وراحته وسعادته ونموه الدائم.

"واحدة سألتُ من الرب وإياها التمس، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله". (مز ٢٧: ٤)

"مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون". (مز ٩٢: ١٣)

"مبارك الآتي باسم الرب، باركناكم من بيت الرب". (مز ١١٨: ٢٦)

"فرحتُ بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب". (مز ١٢٢: ١)

"من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيرًا". (مز ١٢٢: ٩)

"هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين في بيت الرب بالليالي". (مز ١٣٤: ١)

---

[1] *Antiquities 9: 7: 1*

"الواقفين في بيت الرب في ديار بيت إلهنا". (مز ١٣٥: ٢)

❖ **"مغروسين في بيت إلهنا في ديار إلهنا يزهرون" (مز ٩٢: ١٣). نُغرَس في موضع، ونزهر في موضع آخر. هنا نُغرَس، وفي ملكوت الله نزهر...**

لقد غُرست في بيت الرب، أي في الكنيسة، ليس بين الأسوار، وإنما في تعاليمها، إذ يقول الرب: "ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧: ٢١). كل من يُغرَس في بيت الرب، وتنمو جذوره هنا، يأتي بالزهور هناك...

نبدو أننا في بيتٍ هنا، لكن بالمقارنة مع الملائكة والقوات الأخرى لا نكون في بيت نهائي، وإنما في دارٍ فقط. نحن الآن في البداية، لا في نهايةِ الكمال. سوف لا نكون ملائكة بل مثل الملائكة. لا تحسب هذا بالأمر الهيِّن بالنسبة لك يا إنسان، إن كنتَ ستصيرُ مثلَ ملاكٍ[1].

القديس جيروم

❖ يدخل الحديقة ليغرس شجر زيتون صغير (شتلات) في بيت الرب (مز ١٢٨: ٣)، ويروي البار المزدهر مثل نخلة (مز ٩٢: ١٣)، والكرمة المُثمِرة بينبوع دمه[2].

القديس أمبروسيوس

تمت السرقة إما من بين جثث القتلى، إذ ظنوا أنه ميت، أو من جناح الحضانة.

"**مخدع السرير**"، الترجمة الحرفية "حجرة المراتب أو الأسرة"، غالبًا ما كانت حجرة لتخزين المراتب، وهو موضع لم يخطر على أحد أن يبحث فيه عن بني الملك.

هنا نقف في دهشةٍ من حكمة العناية الإلهية الخفية. فقد تزوجت ابنة يهورام الملك الشرير كاهنًا غيورًا. فمن جانب الأميرة استطاعت أن تقوم بدور إنقاذ الطفل، ومن جانب آخر استطاع زوجها الكاهن أن يحفظه في مكان آمن لا يخطر على الملكة أن يكون مخبأ لإنقاذ أحد أبناء الملك ومعه مرضعته.

يبدو أن في قيام الملكة عثليا بإبادة جميع النسل الملكي لم تقم بعمل إحصاء لهم وتسجيل أسمائهم والتأكد من قتلهم، إنما ظنت أنها صاحبة سلطان تأمر فتُطاع من كل رجال القصر والقائمين بالإبادة.

وَكَان معها فِي بَيْتِ الرَّبِّ مُخْتَبِئًا سِتَّ سِنِينَ،
وعَثَلْيَا مَالِكَةٌ عَلَى الأَرْضِ. [٣]

لم تدرك عثليا أن الله هو ملك الملوك، وحسبت أنها صاحبة السلطان، تفعل ما تشاء دون

---

[1] *On Psalms, homily 21*
[2] *Of the Holy Spirit, 3 119*

رقيب سماوي، وأنه لا توجد قوة تقف أمامها. لقد سبق فحذر الحكيم من غضب الملك، حاسبًا أنه كأسدٍ يزمجر لا لينتقم، إنما ليترك الشر الذي يفعله الإنسان يحطمه، إذ يقول: "رُعب الملك كزمجرة الأسد، الذي يغيظه يُخطئ إلى نفسه" (أم ٢٠: ٢). من هو هذا الملك إلا الأسد الخارج من سبط يهوذا. يقول **العلامة أوريجينوس**: [الحديث هنا في هذا الموضع مفتوح عن المسيح بكونه الملك، فمن يُغضب المسيح بخطيته، فإن خطاياه ذاتها تقف ضده[1].]

لم يكن للملكة عثليا أن تفكر في الهيكل أو تهتم به، إذ كانت تمارس عبادة الأوثان وتحبها.

"**عثليا مالكة على الأرض**"، أي لمدة ست سنوات كانت عبادة البعل قائمة، وأُهملت عبادة الرب، وبُني معبد للبعل، وتعيَّن له كاهن (١١: ١٨).

بمقارنة ما ورد في ٢ مل ١٢: ٥-١٢ مع ٢ أي ٢٤: ٧، يظهر مدى اهتمام عثليا بنشر عبادة البعل في يهوذا وإبطال العبادة في بيت الرب قدر المستطاع. لقد حسبت بيت الرب أشبه بمخازن تُسحَب منه الأواني لاستخدامها في هيكل البعل، إذ كان قريبًا منه.

لم يخطر على فكر عثليا أن تتقصَّى ما يحدث في بيت الرب، فقد كانت واثقة أنه تدريجيًا سينهار بقوة أمام هيكل البعل.

٢. يهوياداع يمسح يوآش ملكًا

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ أَرْسَلَ يَهُويَادَاعُ،
فَأَخَذَ رُؤَسَاءَ مِئَاتِ الْجَلاَّدِينَ وَالسُّعَاةِ،
وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ،
وَقَطَعَ مَعَهُمْ عَهْدًا،
وَاسْتَحْلَفَهُمْ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
وَأَرَاهُمُ ابْنَ الْمَلِكِ. [٤]

قام رئيس الكهنة بوضع خطة مُحْكَمَة وحكيمة، حتى لا تقوم عثليا بتدبير مضاد. فلم تنجح خطتها، إذ فوجئت بأن المملكة عادت لنسل داود بعد سبع سنوات من حكمها، وذلك بتدبير إلهي على يد يهوياداع.

يهوياداع: اسم عبري معناه "الله يعرف". كان رئيس الكهنة في أيام أخزيا وعثليا ويوآش. وهو زوج يهوشبع أخت الملك أخزيا. وضع في قلبه مع زوجته إنقاذ الطفل يوآش من يد عثليا، إذ كان هو الوحيد من بيت داود، من خلاله لا يزول الحكم من نسل داود. قام بالاهتمام به، ودبَّر

[1] *Exposition on Proverbs, Fragment 20:2.*

الروح القدس بواسطته خطة سياسية لتجليسه ملكًا وهو طفل في السابعة من عمره، وكان يقوم بدور الوصاية.

بسبب أعماله المجيدة في مساندة يوآش وإزالة الأوثان وإصلاح الهيكل، دُفِنَ في مدافن الملوك بأورشليم (٢ أي ٢٤: ١٥ الخ). فقد اهتم بحركة تجديد شاملة:

١. تجليس الملك الجديد على عرشه.
٢. إقامة عهد بين الرب والملك وشعبه أن يصيروا شعب الله [١٧].
٣. إقامة عهد بين الملك والشعب [١٧].
٤. قام الشعب كله بتحطيم بيت البعل [١٨].
٥. قاموا بتحطيم تماثيل البعل [١٨].
٦. قتلوا متَّان كاهن البعل [١٨].
٧. تعيين الكهنة نظارًا على بيت يهوه.
٨. حدوث فرح شامل وسلام في كل المدينة بالتجديدات التي تمت تحت إشراف يهوياداع [٢٠].

ظهور يوآش أصغر ملك في كل تاريخ إسرائيل ويهوذا، يُعتبَر لحظة حاسمة. إذ تم تجليسه وهو في السابعة من عمره، ملك ٤٠ عامًا. وإن كان للأسف انحرف في أيامه الأخيرة، واغتاله خدامه وهو في السابعة والأربعين من عمره.

حرصت الكنيسة منذ العصر الرسولي ألا بُسام القادة الروحيين، خاصة الأساقفة في سنٍ صغيرٍ، مع عدم تجاهل من وُهبوا حكمة وتقوى وتعقُّل من الشباب.

جاء في قوانين الرسل القديسين عن سيامة الأسقف [أما بخصوص الأساقفة نسمع من ربنا أن الراعي الذي يُسام أسقفًا للكنائس في أية إيبارشية يلزم أن يكون بلا لوم ولا عيب، متحررًا من كل أنواع الشر السائد بين عامة الناس، **ولا يكون أقل من الخمسين سنة**. فإن مثل هذا يكون قد عبر فترة الشباب في حياة صالحة... ولكن إن كان في إيبارشية صغيرة لا يوجد شخص متقدم في السن، فليُسم شخص أصغر **على أن تكون له سمعة صالحة لدى جيرانه**، وأن يحسبوه أهلاً لوظيفة أسقف، عبر صباه في وداعة وتعقُّل كما لو كان شخصًا شيخًا، وذلك بعد امتحانه ووجود تقرير عنه، يُسام في سلام... فإن يوشيا في الثامنة من عمره ملَكَ باستقامة (٢ مل ٢٢: ١). **بنفس الكيفية يوآش حكم الشعب في السابعة من عمره** (٢ أي ٢٤: ١؛ ٢ مل ١١: ٣-٤). لهذا، وإن كان الشخص صغيرًا، فليكن وديعًا ولطيفًا وهادئًا. لأن الرب الإله يقول بإشعياء: "وإلى هذا أنظر، المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (إش ٦٦: ٢)[1].]

---

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 2, Sec.1.*

خلال هذه السنوات الست التي أُخفي فيها الطفل يوآش في الهيكل، كان روح الرب يعمل بقوة في حياة يهوياداع، فقد تلمّذ ليس فقط كهنة غيورين على مملكة الله، وإنما كان له دوره الفعَّال حتى في حياة الجلادين والسعاة وغيرهم ليُعد قادة وشعبًا يرفضون عنف عثليا ومقاومتها لعمل الله. وقد حان الوقت لأخذ موقف جريء علني على مستوى القادة والشعب للخلاص من عثليا وجبروتها، وقبول لا الطفل يوآش ملكًا بل بالحري الخضوع لله نفسه والرجوع إليه.

الجلادون: كانوا يجلدون المذنبين، كما يُقصَد بهم حُراس الملك، وكانوا أحيانًا أجنبيين. جعل داود حرَّاسه من الأجانب الذين كان يقدر أن يتكل عليهم أكثر من الإسرائيليين إذا حدثت فتنة أو شغب في الشعب (٢ صم ١٥: ١٨).

السعاة: أي الرسل الذين يُرسلون من مكانٍ إلى آخر يحملون أوامر الملك، أدخلهم يهوياداع (غالبًا كان رئيس الكهنة) إلى بيت الرب، أي إلى الغرفة التي كان فيها يختبئ ابن الملك.

ولاشك أنهم كانوا هم وكثيرون من بني يهوذا مشتاقين إلى الخلاص من اغتصاب عثليا للمُلك، ورجوعه إلى بيت داود.

جاء في ٢ أي ٢٣: ٢ أنهم بعد معاهدتهم السرية جالوا في يهوذا، وجمعوا اللاويين ورؤوس آباء إسرائيل، وأتوا بهم إلى أورشليم، وقطعوا هم أيضًا عهدًا مع الملك في بيت الرب. وسلَّحهم يهوياداع بالحراب والمجان والأتراس التي في بيت الرب.

وَأَمَرَهُمْ: هَذَا مَا تَفْعَلُونَهُ.

الثُّلْثُ مِنْكُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي السَّبْتِ يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ بَيْتِ الْمَلِكِ، [٥]

كان داود النبي قد قسَّم الكهنة واللاويين إلى ٢٤ فرقة لقيام كل فرقة بالخدمة حسب دورها. وقد اختار يهوياداع يوم السبت لإعلان تجليس يوآش ملكًا في الهيكل، لأنه هو يوم احتشاد المؤمنين معًا. وغالبًا ما دعا يهوياداع كل الفرق للحضور دون أن يعلموا ما سيعلنه، إنما كان قد أعدهم لقبول الطفل الذي من نسل داود ملكًا.

لم يكن لديهم أسلحة، وقد اجتمع الشعب للعبادة، وبخطة مُحكَمة تم توزيع الأسلحة التي كان داود الملك قد خزَّنها في الهيكل [١٠]، على المسئولين بإعلان تجليس يوآش ملكًا. كانت فرصة مبهجة لكل الشعب الذي فقدوا الأمل في استلام أحد من بيت داود الكرسي، إذ ظنوا أنه لم يعد بعد أحد منهم على قيد الحياة.

وَالثُّلْثُ عَلَى بَابِ سُورٍ،

وَالثُّلْثُ عَلَى الْبَابِ وَرَاءَ السُّعَاةِ.

فَتَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ الْبَيْتِ لِلصَّدِّ. [٦]

كان الحراس ثلاثة أقسام. أمر يهوياداع أن ثلثهم يحرسون بيت الملك، أي القصر الذي كانت عثليا ساكنة فيه. وثلثان يقومان بحراسة بيت الرب حول الملك يوآش [٧].

الثلث الأول، أي حراس بيت الملك انقسموا إلى ثلاث أقسام:

أ. قسم على باب السور، غالبًا المدعو باب الأساس (٢ أي ٢٣: ٥).

ب. قسم على الباب وراء السعاة.

ج. قسم ربما كان في بيت الحراس تحت الطلب.

خلال هذا التنظيم العادي أراد يهوياداع ألا ترى عثليا الملكة شيئًا يدل على الخيانة.

وَالْفِرْقَتَانِ مِنْكُمْ،
جَمِيعُ الْخَارِجِينَ فِي السَّبْتِ،
يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ بَيْتِ الرَّبِّ حَوْلَ الْمَلِكِ. [٧]

الذين كانوا قد أكملوا مدة خدمتهم، ولكن عليهم أن يحضروا إلى بيت الرب، ليقوموا بحراسته حول الملك، ولا ينصرفوا حسب العادة.

وَتُحِيطُونَ بِالْمَلِكِ حَوَالَيْهِ،
كُلُّ وَاحِدٍ سِلاَحُهُ بِيَدِهِ.
وَمَنْ دَخَلَ الصُّفُوفَ يُقْتَلُ.
وَكُونُوا مَعَ الْمَلِكِ فِي خُرُوجِهِ وَدُخُولِهِ. [٨]

بخطة مُحْكَمة وضعها رئيس الكهنة، لم يدع فرصة لأحدٍ أن يتسلل إلى الطفل الملك ويقتله إرضاءً لعثليا الملكة. كما بكل إحكام لم يدع أن تُوجد فرصة لإحداث أي شغب أو اضطراب يُفسِد الاحتفال بتجليس الملك.

فَفَعَلَ رُؤَسَاءُ الْمِئَاتِ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ يَهُويَادَاعُ الْكَاهِنُ،
وَأَخَذُوا كُلُّ وَاحِدٍ رِجَالَهُ الدَّاخِلِينَ فِي السَّبْتِ مَعَ الْخَارِجِينَ فِي السَّبْتِ،
وَجَاءُوا إِلَى يَهُويَادَاعَ الْكَاهِنِ. [٩]

الداخلون هم الذين صار دورهم للخدمة، والخارجون هم الذين أكملوا مدة خدمتهم، لكنهم لم ينصرفوا.

فَأَعْطَى الْكَاهِنُ لِرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْحِرَابَ وَالأَتْرَاسَ،
الَّتِي لِلْمَلِكِ دَاوُدَ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [١٠]

خصَّص داود الملك هذه الحراب والأتراس للهيكل بعد أن ضرب جيش هدد عزر (٢

صم ٨: ٩-١١). ولما كانت هذه الأسلحة ليست من ذهب أو فضة، لذلك تجاهلها شيشق ملك مصر حين استولى على خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك (١ مل ١٤: ٢٥-٢٦).

وَوَقَفَ السُّعَاةُ كُلٌّ وَاحِدٍ سِلاَحُهُ بِيَدِهِ،
مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ الأَيْمَنِ إِلَى جَانِبِ الْبَيْتِ الأَيْسَرِ،
حَوْلَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ،
حَوْلَ الْمَلِكِ مُسْتَدِيرِينَ. [١١]

كانوا مصطفين في الدار أمام البيت، وامتدت الصفوف من الجانب الواحد إلى الآخر. كان باب الهيكل إلى الشرق، فكان جانب البيت الأيمن إلى الجنوب، والأيسر إلى الشمال.

يقصد بالمذبح هنا مذبح المحرقة الذي كان في الدار أمام البيت.

كانت الحراسة مُشَدَّدة حول الملك من كل جانب، لكن الحراسة الحقيقية أن هذا التخطيط تم أمام بيت الرب المقدس والمُكرس لرب الجنود، فهو الحارس الحقيقي. يرنم المرتل، قائلاً: "إن لم يبنِ الرب البيت، فباطلاً يتعب البناؤون؛ إن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحارس" (مز ١٢٧: ١).

❖ لِمَ تتألم، لأن لا بيت لنا ولا ستر ولا أناس؟ أليس من الأفضل لنا أن نسكن في باني بيتنا وبحراسة حارس بلدتنا؟ فإن لم يكن لداود موضع للراحة حتى وجده (وجد الله راحته)، فكيف نطلب نحن الراحة خارجًا عنه[1].

القديس يوحنا سابا

❖ مهما كنتَ أيها الراعي حذقًا ويقظًا في عملك، فلا يمكنك أن تنسب النجاح إلى خدمتك وإلى قوتك الشخصية واجتهادك في العمل. إذ أن الرب هو الذي يحفظ النفوس وحده، ونعمته تسهر عليها[2].

❖ "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهرَ الحراس" (مز ١٢٧: ١)... إنَّنا نحرسكم في عملنا كوكلاء لله، لكنِّنا نحن أيضًا نود أن يحرسنا معكم.

إننا كما لو كنَّا رعاة بالنسبة لكم، لكنِّنا أيضًا في رعاية الله، إذ نحن خراف زملاء لكم.

إننا معلِّمون بالنسبة لكم، لكنِّنا بالنسبة لله فهو السيِّد الواحد، ونحن زملاء لكم في مدرسته.

إن أردنا أن يحرسنا الله الذي تواضع من أجلنا وتمجَّد لكي يحفظنا. فلنتَّواضع نحن أيضًا.

---

[1] الرسالة السابعة والثلاثون عن الحرمان من التعزية:٣ (ترجمة الأب سليم دكاش اليسوعي).

[2] *On Ps 127 (126)*

فلا يحسب أحد أنه شيء، فإنَّه ليس لأحدٍ شيء صالح، ما لم يكن قد أخذه من الله الذي هو وحده صالح.

❖ هذا هو البيت الذي نبنيه بالحياة الفاضلة الحية، والذي يبنيه الله بمعاونته لنا لكي نحيا في حياة فاضلة، إذ "إن لم يبنِ الرب البيت، فباطلاً يتعب البناؤون" (مز ١٢٧: ١)[1].

القديس أغسطينوس

وَأَخْرَجَ ابْنَ الْمَلِكِ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ التَّاجَ، وَأَعْطَاهُ الشَّهَادَةَ،
فَمَلَّكُوهُ وَمَسَحُوهُ وَصَفَّقُوا،
وَقَالُوا: لِيَحْيَ الْمَلِكُ [١٢]

تمت مراسيم تجليس الملك العبراني (٢ أي ٢٣: ١١) بالأعمال التالية:

ا. إحضار ابن الملك الذي كان مختفيًا في الهيكل من وجه عثليا ست سنوات.

ب. الإعلان عنه أنه الملك الشرعي.

ج. وضع التاج على رأسه. كلمة تاج هنا هي ذاتها المستخدمة بالنسبة لرئيس الكهنة، أي الإكليل الذهبي حول الرأس وبه شريط.

د. مسحه ملكًا. ذكر الكتاب المقدس مسح شاول أول ملك إسرائيل بواسطة صموئيل النبي (١ صمم ١٠: ١)، وأيضًا داود الملك (٢ صم ٢: ٤)، كما مُسح سليمان (١ مل ١: ٣٩)، ويوآش. وكان الملك يُدعى "مسيح الرب" (١ صم ١٢: ٣، ٥؛ ٢ صم ١: ١٤، ١٦؛ مز ٢: ٢؛ حب ٣: ١٣).

هـ. عند مسح الملك يُعطى نسخة من شريعة موسى، حيث يلتزم أن يسلك بها (تث ١٧: ١٨). وضع لنا سفر التثنية واجبات الملك بخصوص حفظ شريعة الله (تث ١٧: ١٨).

يقصد بالشهادة التي تُعطَى للملك قسم من أسفار موسى (تث ١٧: ١٨)، أو ما كان صموئيل قد كتبه (١ صم ١٠: ٢٥)، أو الوصايا العشرة. الشهادة عبارة عن درج به الشريعة الإلهية مع إشارة أنها هي المُرشِد في تدبير أمور الدولة.

كلمة "**أعطاه**" لم ترد في بعض النُسخ، لذلك يفهم البعض أن الكاهن وضع عليه التاج والشهادة، أي جعلها فوق رأسه دليلاً على أن الملك يخضع لشريعة الله.

و. تصفيق الشعب بأياديهم وهتافهم له علامة قبوله بالإجماع والترحيب به. يلفت *Harmer* أنظارنا أن النص العبري هنا كما في المزمور ٤٧: ١؛ إش ٥٥: ٢ جاء "يد" وليس: "أيادٍ"، لأن كل شخص يضرب بلطف بيده على شفتيه كعلامة على الفرح[2].

---

[1] *City of God 17: 12.*
[2] *Cf. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 346.*

ز. الصراخ: "ليحيا الملك"؛ "الله يخلص الملك"!

صوَّر لنا هذا السفر الاحتفال بتتويج الطفل يوآش ملكًا بمراسيم تحمل الكثير من القدسية، قام بها رئيس الكهنة بنفسه، هذا الذي إلى سنوات كان يترقب هذا اليوم المُفرِح، وأعدّ له الكثير. وكلَّفه من الجهد والمال الكثير. إنه صورة لتتويجنا ملوكًا وكهنة لله أبيه (رؤ ١: ٦). يتحقق هذا الاحتفال المزدوج في مياه المعمودية حيث نتمتع بالميلاد الجديد، ونُحسَب أولاد ملك الملوك وننعم بالكهنوت العام، حيث نقدم ذبائح الشكر والتسبيح. هذا التتويج لم يتم بعد ست سنوات، إنما أعد له الله لقرون طويلة، وكلَّفه إرسال الآباء والأنبياء وتسليم الشريعة، بل كلفه بذل ابنه الوحيد لخلاص العالم.

يحدثنا آباء الكنيسة الأولى عن خلقة الإنسان ليكون ملكًا ورئيسًا أو حاكمًا:

❖ لم يدخل الإنسان البشري (آدم) إلى عالم الموجودات بعد (أي حتى اليوم السادس)... فإنه لا يليق بالحاكم أن يظهر قبل ظهور الأمور التي يسيطر عليها.

لكن ما أن صارت سلطنته مستعدة، حيث أعد الخالق كل الأشياء كمسكنٍ ملوكيٍ للملك القادم، حتى أُعلن عن الحاكم!

هذا المسكن الملوكي هو الأرض والجزائر والبحر والسماء التي هي كقوسٍ يحوط فوق الكل أشبه بسقفٍ لها.

في هذا القصر اختزن غنى من كل نوع: كل عالم النباتات والحيوانات، كل ما له جسد ونَفَسْ وحياة. وإن أراد أحد أن يُحصي الأمور المادية كغنى، يجد أيضًا كل ما هو جميل وذوو قيمة في نظر الإنسان، من ذهب وفضة وحجارة كريمة، يتمتع بها.

لقد خبأ الخالق هذه الأشياء بفيض في حضن الأرض، كما لو كانت كنزًا ملوكيًا، حتى متى ظهر الإنسان البشري في العالم، يتأمل بعضها، ويسيطر على البعض الآخر. فإنه إذ يتمتع بهذه الأمور، يشكر واهب الخيرات. وإذ ينظر جمال الأمور التي يراها وضخامتها، ينجذب إلى قوة خالقها العظيمة غير المُدرَكة[1].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ بلياقة يُدعى القديسون ملوكًا في لغة الكتاب المقدس، إذ يرتفعون فوق العواطف الجسدية ويضبطون ملذات الشهوة، ويُلطِّفون من لهيب الطمع، ويَحنون تشامخ الكبرياء، ويسحقون اقتراحات الجسد، ويُطفئون نار الهوى.

إنهم ملوك، لأنهم يتعلمون ألاَّ يستسلموا لانفعالات التجارب بقبولها، ولا بجنون السيادة

[1] *De hom Opif. 2.*

بالسيطرة عليها.

إنهم يُوضعون إلى الأبد على عرش ملكوت المجد الأبدي، ويتقبلون سلطان إدانة الآخرين...

هكذا يقول الرب لكنيسة لاودكية: "من يغلب، فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبتُ أيضًا، وجلستُ مع أبي في عرشه" (رؤ ٣: ٢١)...

إنه ليس بالأمر المتضارب أن يُعلَن في موضع آخر أن تلاميذه سيأتون على اثني عشر عرشًا (مت ١٩: ٢٨)، ويقول هنا إنهم يجلسون على عرشه. بالاثنى عشر عرشًا يوضح الدينونة العامة، وبعرش الابن يُظهر السمو الخاص للسلطان القضائي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

٣. قتل عثليا

وَلَمَّا سَمِعَتْ عَثَلْيَا صَوْتَ السُّعَاةِ وَالشَّعْبِ،
دَخَلَتْ إِلَى الشَّعْبِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ، [١٣]

شعرت عثليا أن الموقف خطير للغاية، ومع هذا لم تُفكِّرْ في الهروب من القصر، إنما ظنت أنها قادرة أن تتصرف، فكبرياؤها جعلها تثق في قدرتها وحكمتها وسلطانها، وألا تنسحب في ضعفٍ وخزي. إنها كمُعلمها إبليس الذي في جرأة وقف يُجرِّب رب المجد يسوع، بل وذهب معه إلى جناح الهيكل، يطلب منه أن يستعرض إمكانياته، ويلقي بنفسه من هناك، فتحمله الملائكة.

وَنَظَرَتْ وَإِذَا الْمَلِكُ وَاقِفٌ عَلَى الْمِنْبَرِ حَسَبَ الْعَادَةِ،
وَالرُّؤَسَاءُ وَنَافِخُو الأَبْوَاقِ بِجَانِبِ الْمَلِكِ،
وَكُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ يَفْرَحُونَ وَيَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ.
فَشَقَّتْ عَثَلْيَا ثِيَابَهَا، وَصَرَخَتْ: خِيَانَةٌ! خِيَانَةٌ! [١٤]

يصعب أن نُعبِّرَ عن مشاعر الملكة بعد أن اطمأنت بقتل كل من يمكن أن يُجلَّس ملكًا، وعاشت ست سنوات في طمأنينة، أن تجد ملكًا طفلاً صغير السن تلتف حوله القيادات الدينية والسياسية، ويهلل له كل الشعب.

صرخت عثليا: خيانة! خيانة! والحق أنها هي التي قامت بالخيانة، حيث قتلت كل بيت داود حتى لا ينافسها أحد في الاستيلاء على العرش.

فَأَمَرَ يَهُويَادَاعُ الْكَاهِنُ رُؤَسَاءَ الْمِئَاتِ قُوَّادَ الْجَيْشِ:
أَخْرِجُوهَا إِلَى خَارِجِ الصُّفُوفِ،

وَالَّذِي يَتْبَعُهَا اقْتُلُوهُ بِالسَّيْفِ.

لأَنَّ الْكَاهِنَ قَالَ: لاَ تُقْتَلُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [١٥]

أمر يهوياداع بالقبض عليها وإخراجها من بيت الرب وقتلها، بسبب اغتيالها لنسل داود حتى تستولي على الحكم ولا ينافسها أحد، ولأنها كانت تدعِّم نشر عبادة الأوثان وقامت ببناء هيكل له، ولأنها سلبت ما استطاعت من أواني بيت الرب لحساب معْبد البعل، ولأنها عدوَّة للشعب تُحطِّم سلامه.

حرص رئيس الكهنة على أمرين:

١. ألا تُقتَل في بيت الرب.

٢. قتل كل من يتبعها للدفاع عنها أو الانتقام ممن يعارضها.

فَأَلْقُوا عَلَيْهَا الأَيَادِيَ،

ومَضتْ فِي طَرِيقِ مَدْخَلِ الْخَيْلِ،

إِلَى بَيْتِ الْمَلِكِ، وَقُتِلَتْ هُنَاكَ. [١٦]

طريق مدخل الخيل غير طريق باب السعاة [١٩]. الذي كان الطريق الاعتيادي من بيت الرب إلى بيت الملك، وربما الطريق الذي مضت فيه عثليا هو طريق مربض الخيل الذي لبيت الملك.

٤. عودة إلى عبادة الرب

وَقَطَعَ يَهُويَادَاعُ عَهْدًا بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَ الْمَلِكِ وَالشَّعْبِ،

لِيَكُونُوا شَعْبًا لِلرَّبِّ،

وَبَيْنَ الْمَلِكِ وَالشَّعْبِ. [١٧]

الآن بعد أن انتهت المُهمة الصعبة الخاصة بالخلاص من عثليا الشريرة، مغتصبة العرش، سافكة الدماء البريئة، حرص رئيس الكهنة أن يبدأ الملك بإقامة عهد بين الرب وبين الملك والشعب. فقد أراد من الملك أن يكون أمينًا في علاقته بالله، وعلاقته بشعب الله.

قام بتجديد العهد على مستوى الشعب كله (خر ١٩: ٢٤؛ ٢٧: ٩). وأما العهد مع الشعب، فيقوم على أن يحكم بما يتناغم ويتفق مع الشريعة الإلهية. كما يلتزم الشعب بالحب والطاعة للملك في الرب.

في بداية ملكه كان يسلك باستقامة بفضل عمَّته يهوشبع، وخاله يهوياداع.

إلى زمن طويل لم يُجدِّدْ الملك والشعب عهدًا مع الرب.

كان يهوياداع كرئيس للكهنة كمن هو وصي على الملك، الذي لم يكن من عائلته من يقوم

بهذه الوصاية، لذلك كان يهوياداع الحاكم الفعلي في ذلك الوقت.

بدأ بثلاثة أعمال، وهي:

١. تجديد العهد بين الله والملك والشعب؛ وأيضًا بين الملك والشعب، هذا العهد كما ورد في (خر ١٩: ٥-٨؛ ٢٤: ٣-٨؛ ٣٤: ١٠-٢٨). فيه يلتزم الملك بالخضوع لشريعة الرب، ويلتزم الشعب بالخضوع للملك.

٢. إبادة عبادة البعل. يبدو أن يهورام أو عثليا كان قد بنى معبدًا للبعل في مدينة أورشليم. وكان متَّان رئيس كهنة البعل.

٣. إدخال الملك يوآش بيت الملك، وتجليسه على كرسي الملك.

وَدَخَلَ جَمِيعُ شَعْبِ الأَرْضِ إِلَى بَيْتِ الْبَعْلِ،
وَهَدَمُوا مَذَابِحَهُ، وَكَسَّرُوا تَمَاثِيلَهُ تَمَامًا،
وَقَتَلُوا مَتَّانَ كَاهِنَ الْبَعْلِ أَمَامَ الْمَذَابِحِ.
وَجَعَلَ الْكَاهِنُ نُظَّارًا عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ. [١٨]

بدأ الشعب بالتنفيذ العملي لتجديد عهدهم مع الله بإبادة العبادة الوثنية التي أدخلتها عثليا، فإنه ليس من شركة بين الله وبليعال، ولا بين النور والظلمة.

وَأَخَذَ رُؤَسَاءَ الْمِئَاتِ وَالْجَلاَّدِينَ وَالسُّعَاةَ وَكُلَّ شَعْبِ الأَرْضِ،
فَأَنْزَلُوا الْمَلِكَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ
وَأَتُوا فِي طَرِيقِ بَابِ السُّعَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَلِكِ،
فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلُوكِ. [١٩]

وَفَرِحَ جَمِيعُ شَعْبِ الأَرْضِ.
وَاسْتَرَاحَتِ الْمَدِينَةُ.
وَقَتَلُوا عَثَلْيَا بِالسَّيْفِ عِنْدَ بَيْتِ الْمَلِكِ. [٢٠]

فرح جميع الشعب، إذ ثمرة للالتصاق بالرب والعودة إليه هو التمتع بالسلام الداخلي والفرح الحقيقي.

كَانَ يَهُوآشُ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ حِينَ مَلَكَ. [٢١]

يهوآش هو نفسه يوآش بالاختصار.

من وحي ٢ مل ١١

لتقم ملكوتك في داخلي أيها القدوس!

❖ هبْ لي أن أترنم مع سليمان الحكيم، قائلاً:
أنت مكوّن الإنسان بحكمتك، لكي يسود الخلائق التي صنعتها.
ويسوس العالم بالقداسة والبرّ، ويجرى الحكم باستقامة النفس (حك ٩: ٢-٣).
تريد أن الجميع يصيرون بالحق ملوكًا وسادة وقادة،
لا ليَستعبدوا إنسانًا، مهمًا كانت ضعف قدراته،
بل يقودوا بروحك القدوس قلوبهم،
ويضبطوا بنعمتك حواسهم وعواطفهم.
وينعموا بمجد حرية أولاد الله!

❖ لم تخلق إنسانًا ليكون عبدًا لأخٍ أو أختٍ له،
بل ليحمل روح السلطة والسلطان.
فيسلك في الطريق الملوكي، ويَعْبُر إليك.
لا يهاب إبليس ولا كل ملائكته الأشرار.
ولا ينحني في مذلة لشهوة شريرة أو لذة باطلة.
ولا يستعبد نفسه لمحبة العالم أو شهوة المجد الباطل.
بل بروح الحب والتواضع، يلتصق كملكٍ مع أبيه ملك الملوك!
هبْ لي أن أكون كطفلٍ صغيرٍ ترعاني بحبك.
تكشف لي عن خطتك من نحوي.
وتهبني أن احتمي ببيتك المقدس، وأنعم بعذوبة حبك.
ليثر عدو الخير بكل قوته، وليظن أنه قادر على إبادة أبنائك،
فأنت ملجأ وحصن لنفسي.
أجد سلامي وفرحي ونجاحي في أحضانك!

❖ من يقيم ملكوتك داخلي سواك؟
من يحرس أعماقي من فخاخ العدو سوى روحك القدوس؟
أنت رب القوات! أنت حصني وخلاصي من الأعداء!
لتُعلن حضورك الإلهي في أعماقي!

بك أعبر رحلة حياتي في أمان!

بروحك القدوس تطير نفسي إلى سماواتك!

❖ اهتم يهوياداع رئيس الكهنة بإعداد الطفل يوآش ملكًا.

أعدَّ له موضعًا آمنًا في بيت الرب، حتى لا تقترب عثليا إليه.

وأقام حراسة مُشدَّدة لحمايته.

ووضع التاج والشهادة على رأسه.

مسحه ملكًا، فتهلل الكهنة وفرح الشعب!

يا له من احتفال مبهج للجميع!

❖ ماذا أقول عن تتويجي ملكًا، وإقامتي كاهنًا لله أبيك.

أعددتَ هذه الخطة الفائقة قبل أن تخلقني.

من أجلي أرسلتَ الآباء والأنبياء، وأعطيتني الناموس عونًا.

من أجلي تجسدت وتأنست، وشاركتني كل شيء ما عدا الخطية.

أُحصيتَ مع الأثمة، لكي أُحصى مع أبناء الله!

حملتَ عاري على الصليب، فأتمتع بشركة أمجادك!

تعد لي موضع راحة،

لا في بيت مصنوع بالأيادي، بل بذراعك الإلهي!

أقمتَ حراسة مشددة، حتى لا يتسلل عدو الخير إليّ.

جعلتني عضوًا في جسدك المقدس، فتشتهي الملائكة أن تحرسني!

لم يعد لإبليس العامل في قلب عثليا أن يقتحم أعماقي.

❖ لتملك يا رب في أعماقي، فتنزع عني روح العبودية،

وتهبني فرح الروح.

الأَصْحَاحُ الثَّانِي عَشَرَ

يهوآش وترميم الهيكل

ملك يهوآش بن أخزيا على يهوذا لمدة أربعين عامًا ٨٣٥-٧٩٦ ق. م (٢ أي ٢٣: ١؛ ٢٤: ٢٧).

يمكن تقسيم هذه الفترة إلى قسمين، قبل موت الكاهن يهوياداع وبعد موته. طوال الفترة الأولى كان يهوآش يعمل تحت إرشاد الكاهن بروح التقوى، وقد أمدَّ الله في حياة يهوياداع، فعاش حتى بلغ ١٣٠ عامًا (٢ أي ٢٤: ١٥). وهو أطول عمر منذ أيام عمرلم والد موسى وهرون الذي عاش ١٣٧ عامًا (خر ٦: ٢٠).

بلا شك كان ليهوياداع دوره الفعَّال في حياة يهوآش كوصي عليه عمليًا، ومُعلِّم له، ومُشير، سواء في مقاومة عبادة البعل أو في الاهتمام بترميم الهيكل وعبادة الله الحي.

حقًا لقد قام سليمان الملك ببناء الهيكل بأفضل المواد جودةً، لكن عامل الزمن وعدم الاعتناء بصيانته والمحافظة عليه، وأيضًا لانصراف الشعب عن عبادة الله، وقيام بني عثليا الخبيثة بهدمه ونقل الكثير من أوانيه ومقدساته إلى البعليم (٢ أي ٢٤: ٧) دمَّر البيت.

يليق بالمؤمن مع اهتمامه ببيت الرب في هذا العالم حيث يجتمع شعب الله معًا ومع ملائكة الله للعبادة الروحية الملتهبة، أن يهتم ببناء بيت الرب الداخلي في قلبه، كما في قلوب إخوته، هذا الذي لا يستطيع الزمن أن يُحَطِّمَه، ولا يحتاج إلى صيانة مادية، ولا يقدر عدو الخير بكل قواته أن يُحَطِّمَه وينقل مقدساته إلى مواضع غير لائقة.

هذا هو البيت الذي من عمل روح الله القدوس، غير المصنوع بالأيدي.

ماذا أدعوه؟ جلجثة ثانية؟ أم مسكن الله مع الناس؟ أم عربون السماء؟ أم فردوس مُثْمِر بالروح؟ أم مستشفي للنفوس، حيث يُمارِسُ الرب فيها عمله بكونه الطبيب السماوي؟ أم ميناء الراحة؟ أم كنزًا سماويًا لا يُسلَب ولا يُنهَب؟ أم سفارة الله؟ أم بيت الحب الإلهي والأخوي؟

❖ ذاك الفردوس الروحي هو الكنيسة، وتلك الشجرة المملوءة حياة هي الهيكل المقدس.

شجرة المعرفة خارج الباب، ومحبو العالم يقطفون منها الثمار كل يوم.

هنا (في الكنيسة) لا تدخل الحية التي أضلت أمنا حواء، لأن مريم واقفة لتسمع الكلمة من جبرائيل.

البتول والمستيقظ (الملاك) ينطقان هنا الحقيقة الجلية، وذاك الذي يتكلم المكر مطرود لئلا يتجاسر بعدُ.

انتهى الزمان الذي فيه تكلمت العجوز (حواء) مع الحية، ودخلت الصبية لتتكلم مع الملاك.

انهزم الكاروب ولا يسمحون له أن يحرس الجنة، والجنة مفتوحة فهلموا أيها الموتى وادخلوا عند القيامة.

لا توجد أبواب ولا حراس لشجرة الحياة، لقد دخل اللص، فمن لا يصير جميلاً (بهيًا) مثل القاتل؟

هلموا أيها الصالحون والطالحون (التائبون) ادخلوا وكلوا من الشجرة التي تنثر ثمارها على البعيدين والقريبين.

قطفت حواء الثمرة التي تقتل، وأعطت آدم، فمات كلاهما بسبب الطعام المملوء موتًا[1].

❖ الكنيسة في العالم هي ميناء عظيم مملوء أمانًا، كل من يتعب ليأتِ ويسترح على مائدتها.

أبوابها مفتوحة، وعينها صالحة، وقلبها واسع، ومائدتها زاخرة، ومزجها حلو لمن يستحقه.

ادخلوا يا محبي العالم من تيه العالم الشرير، واستريحوا في المنزل المملوء حنانًا للداخل إليه.

أيها الفاعل المتعب الذي يريد أن يغتني بالعذابات، لماذا تركض وراء غِنَى لا يدوم؟

أيها الغني الذي ضلَّ بسبب غناه، اقتنِ الله، وأبغض الغِنَى الذي سوف لا يصبح مُلكك بعد قليل...

هلم يا من يهرب وراء العالم الذي عذَّبه كثيرًا، هلم واسترح هنا في مقصورة النور في كل الملذات.

فيها الحياة، وفيها التطويبات وكل الملذات، وفيها يعيش المرء غنيًا بلا همّ[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١. يهوآش تحت إرشاد يهوياداع	١-٣.
٢. الاهتمام بترميم بيت الرب	٤-١٦.
٣. يهوآش يُقَدِّم لحزائيل ذهب بيت الرب وبيت الملك	١٧-١٨.
٤. قتل يهوآش	١٩-٢١.

---

[1] الميمر ٤٧ على ذلك الذي كان ينزل من أورشليم إلى أريحا ووقع عليه اللصوص (لو ١٠: ٢٥-٣٧) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

[2] ميمر ٩٥ على تناول الأسرار المقدسة (راجع الأب بول بيجان - دكتور سوني بنهام). ملاطيوس برنابا، قصيدة لمار يعقوب السروجي الملفان في تناول الأسرار المقدسة، في المجلة البطريركية ٣٤ (١٩٨٥) ١٦٤-١٦٨، ٢١٤-٢١٩

١. يهوآش تحت إرشاد يهوياداع

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِيَاهُو،
مَلَكَ يَهُوآشُ.
مَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ ظَبْيَةُ، مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ. [١]

يُذكَر اسم أم الملك، لأنه كان لأم الملك في كثير من الدول الدور العملي في القصر، وتتسم بنوع من السلطة والاحترام (١ مل ١٥: ١٣).

وَعَمِلَ يَهُوآشُ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
كُلَّ أَيَّامِهِ الَّتِي فِيهَا عَلَّمَهُ يَهُويَادَاعُ الْكَاهِنُ. [٢]

كان لرئيس الكهنة يهوياداع تأثيره على يهوآش الملك، فعمل الملك في أيام رئيس الكهنة ما هو مستقيم في عيني الرب تحت إرشاده، وإن كان لم ينزع المرتفعات. من أهم أعماله اهتمامه بترميم هيكل الرب الذي كان في حالة رديئة، لأن القادة والشعب على كل المستويات انشغلوا بالعبادة الوثنية لمدة طويلة وأهملوا عبادة الرب.

أما بعد موت رئيس الكهنة، فجاءه رؤساء يهوذا وسجدوا له، وصار يسمع لهم، بسبب ضعف شخصيته. تركوا بيت الرب وعبدوا السواري والأصنام، فغضب الرب على يهوذا وأورشليم (٢ أي ٢٤: ١٧-١٩). وعندما حاول زكريا ابن الكاهن يهوياداع أو حفيده أن يرد الشعب إلى عبادة الله، أمر الملك يهوآش برجمه حتى الموت (٢ أي ٢٤: ١٧-١٨)، وقد أشار إلى ذلك السيد المسيح (مت ٢٣: ٣٥؛ لو ١١: ٥١). مع هذا يعتبر يهواش أحد الملوك القلائل الذين أظهروا نوعًا من البرّ.

إِلاَّ أَنَّ الْمُرْتَفَعَاتِ لَمْ تُنْتَزَعْ،
بَلْ كَانَ الشَّعْبُ لاَ يَزَالُونَ يَذْبَحُونَ وَيُوقِدُونَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ. [٣]

كان السجود في المرتفعات مخالفًا لشريعة الرب (تث ١٢: ١-١٤)، لكنه لم يكن في بشاعة السجود للبعل. فقد اعتاد الشعب حتى في زمن الملوك الأتقياء أن يسجدوا للرب فيها (١ مل ١٥: ١٤؛ ٢٢: ٤٣).

واضح هنا أمانة يهوياداع في تعليم الملك يوآش. ويتضح تأثير يهوياداع عليه في أنه بعد أن مات يهوياداع سمع لرؤساء يهوذا وعبدوا السواري والأصنام (٢ أي ٢٤:١٧-١٩)، ولكن الآية في أخبار الأيام لا تشير أنه هو بنفسه الذي عبد الأصنام، بل سمح لرؤساء يهوذا بذلك، ولكنها مسئوليته بكونه الملك.

مع هذا، فإنه بدون التدمير التام لهذه المرتفعات، لم يكن ممكنًا أن يتم إصلاح جذري. للأسف لم يستخدم يهوياداع تأثيره على الملك الطفل وخضوع الكهنة والقيادات له في إزالة هذه المرتفعات، فمع ترميم الهيكل وغيرة الشعب في المساهمة العملية في ذلك، غير أن هذه المرتفعات لم تنزع عبادة الأصنام من قلوب القادة، الذين استغلوا وفاة يهوياداع للعودة إليها.

من الصعب تقييم الموقف، هل استراح قلب الكاهن للخلاص من عثليا الشريرة، وغيرة الشعب على ترميم الهيكل، ولم يرد أن يضغط عليهم أكثر بإزالة المرتفعات؟ هل خشي من ثورتهم أو غضب القادة عليه، باعتبار إزالة المرتفعات نوعًا من المبالغة في نظرهم؟ أو هل توقع الكاهن أن هذه المرتفعات ستزول تدريجيًا بالاهتمام بالعملي الإيجابيِ الخاص بالهيكل والعبادة؟ أسئلة يصعب الإجابة عليها. إنما كان يليق بهذا الكاهن العظيم أن ينصت إلى قول موسى النبي: فتذهب مواشينا أيضًا معنا، "**لا يبقى ظلف**" (خر ١٠: ٢٦). فقد سمح فرعون لشعب إسرائيل أن يخرجوا بنسائهم وأولادهم، قائلاً: "غير أن غنمكم وبقركم تبقى" (خر ١٠: ٢٤). وكانت الإجابة "لا يبقى ظلف". هكذا يليق بنا أن نخرج من سلطان إبليس ومملكته جميعنا بنسائنا وأولادنا ومواشينا، مُقدِّمين كل شيء لحساب ملكوت الله، ولا نترك لإبليس موضعًا في حياتنا. لن نترك له ظلفًا في حياتنا، حتى لا يكون له مجال للعمل الشرير في داخلنا.

كان يليق بيهوياداع أن يقول مع المرتل: "يا بنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيكِ جزاءكِ التي جازيتينا. طوبى لمن يمسك أطفالك، ويضرب بهم الصخرة" (مز ١٣٨: ٨-٩). فقد كانت المرتفعات أشبه بالأطفال الشريرة أو الأفكار الدنسة، إن تُركتْ تشب وتنمو وتفتح أبواب الشر من جديد.

لنقتلع بروح الرب الشر من جذوره ونُسلِّم حياتنا له، ليُشكِّلنا على صورة الله ومثاله.

❖ يقصد بأطفال بابل هنا الأفكار الشريرة... هذه التي إن شعرنا أنها صغيرة في البداية يجب علينا أن نمسكها، ونقطعها، ونضرب بها الصخرة، التي هي المسيح (١ كو ١٠: ٤). يجب أن نقتلها حسب أمر الرب، ولا نترك فيها نسمة تتنفَّسها داخلنا[1].

❖ أناشدكم إذًا، أن تتجددوا (أف ٤: ٢٠-٢٤؛ رو ١٢: ١-٢). فلتتعلموا أنه في الإمكان أن تتجددوا، وتلقوا عنكم هيئة (الخنزير) التي هي صفة النفس غير النقية، وهيئة (الكلب)، التي تصف من ينبح ويعوي، ويتحدث بالبذاءات.

في الإمكان التحوّل، حتى عن هيئة (الأفعى)، حيث يُخاطَب الأشرار بالقول: "أيها الحيات أولاد الأفاعي" (مت ٢٣: ٣٣). فإذا ما اقتنعنا أن في مقدورنا التحوّل عن شبه الأفاعي

---

[1] *In Josh 15:3.*

والخنازير والكلاب، فدعنا نتعلم من الرسول، كيف يتم هذا التحوّل، الذي يعتمد علينا. فهو يُعَبِّر عن ذلك في قوله: "ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح" (٢ كو ٣: ١٧). فإن كنتَ قبلاً نابحًا، ثم شكَّلتك الكلمة وغيَّرَتك، فقد تحوَّلتَ من كلبٍ إلى إنسانٍ. وإن كنتَ قبلاً غير طاهر، ولمستْ الكلمة نفسك، فقدَّمتَ ذاتك لها لتشكلك، فقد تحوَّلتَ من خنزيرٍ إلى إنسانٍ. وإن كنتَ قبلاً وحشًا شرسًا، واستمعت إلى الكلمة التي تستأنس وتروِّض، فحولّتك بمشيئتها إلى إنسانٍ، فلن تُخاطَب فيما بعد: "أيها الحيات أولاد الأفاعي" (مت ٢٣: ٣٣).

العلامة أوريجينوس

٢. الاهتمام بترميم بيت الرب

كانت عثليا وأتباعها قد اعتدوا على الهيكل، وصيَّروا أقداسه للبعل (٢ أي ٢٤:٧)، فأراد يوآش ترميم الهيكل، ووضع تدبيرًا للكهنة بأن يأخذوا كل الفضة التي تدخل للهيكل، ويستعملوها في الترميم، وكانت مصادر الفضة:

١. ثمن التقدمات التي أراد أصحابها فداءها بفضة (لا ٢٧:١١-١٢).

٢. الفضة الرائجة، أي فضة النفوس وهى ١/٢ شاقل لكل نفسٍ، بشاقل القدس، عن كل ذكرٍ من سن ٢٠ فما فوق (خر ٣٠: ١١-١٢).

٣. التبرعات، أي المبلغ الذي يود الإنسان أن يقدمه بمحض اختياره كتقدمةٍ للرب.

لكن هذه الطريقة لم تنجح، لأن الكهنة اهتموا بمصالحهم بالأكثر، ولذلك وبعد مضي زمان طويل، لم يحدث تقدُّم في ترميم الهيكل، فمنع الملك الكهنة من أن يأخذوا الفضة من الشعب.

وَقَالَ يَهُوآشُ لِلْكَهَنَةِ:
جَمِيعُ فِضَّةِ الأَقْدَاسِ الَّتِي أُدْخِلَتْ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ،
الْفِضَّةُ الرَّائِجَةُ،
فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ حَسَبَ النُّفُوسِ الْمُقَوَّمَةِ،
كُلُّ فِضَّةٍ يَخْطُرُ بِبَالِ إِنْسَانٍ أَنْ يُدْخِلَهَا إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ، [٤]

شعر الملك بمسئوليته في ترميم الهيكل. فمن جانبٍ، لأنه كملكٍ يُسأل أمام الله عن هذا العمل الذي لا يستطيع أحد غيره أن يقوم به، ومن جانب آخر يشعر أن الهيكل هو الحصن الذي اختبأ فيه منذ طفولته المبكرة من وجه عثليا الغادرة.

ربما كان ترميم بيت الرب على نفقة الملوك، ولما يهوآش فقصد أن يجعله على نفقة الشعب، تحت تدبير الكهنة [٤-٦]، حتى لا يُحرَم أحد من المساهمة بطريقٍ أو آخر من القيام بدورٍ

فعالٍ في هذا العمل، ونوال بركته.

إذ لم يتم ذلك جعل كل الفضة الداخلة في بيت الرب في صندوق، يُستخدَم جزء منها لترميم بيت الرب بواسطة رئيس الكهنة وكاتب الملك. هذا كان له أثره على دَخْل الكهنة.

الفضة الرائجة، أو فضة النفوس وهي نصف شاقل عن كل نفسٍ (خر ٣٠: ١١-١٦). لم تكن النقود قد صُكت في ذلك الحين، فكانت تُقدَّم سبائك تُعرَف قيمتها بالوزن (١ مل ٢٠: ٣٩).

لِيَأْخُذْهَا الْكَهَنَةُ لأَنْفُسِهِمْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِهِ،
وَهُمْ يُرَمِّمُونَ مَا تَهَدَّمَ مِنَ الْبَيْتِ،
كُلَّ مَا وُجِدَ فِيهِ مُتَهَدِّماً. [٥]

كان الهيكل في حاجة إلى ترميم، لأنه تعرَّض للإهمال والتلف من القادة الأشرار السابقين وبخاصة الملكة عثليا (٢ أي ٢٤:٧، ٨). خصَّص الملك صندوقًا لهذا الغرض، فأعلن ترميم الهيكل وإزالة الرجاسات التي تراكمت بداخله على مدى السنوات، كما أزال الأصنام وكل آثار للعبادة الوثنية.

مع ذلك ومما يؤسف له أن الكهنة لم يكونوا أمناء على الأموال التي تُوهب لغرضٍ غير محدد! ولذلك فإن القانون اليوناني وقتئذ قضى بإمكانية مراجعة حسابات الهيكل بين آن وآخر، بل أن اليهود أنفسهم كثيرًا ما سألوا الكهنة عن حسابات الهيكل (٢ مل ١٢ : ١٥ و٢٢ : ١٧)[١].

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ لِلْمَلِكِ يَهُوآشَ،
لَمْ تَكُنِ الْكَهَنَةُ رَمَّمُوا مَا تَهَدَّمَ مِنَ الْبَيْتِ. [٦]

يبدو أنه مضى زمن طويل لم يتحرَّك فيه الكهنة لترميم بيت الرب، ولعل السبب في ذلك أحد العوامل التالية، أو بعضها:

١. كان دخل بيت الرب قليلاً لا يكفي للنفقات الضرورية.

٢. كان الكهنة يهتمون بدخلهم الخاص أكثر من ترميم بيت الرب.

٣. عدم ثقة الشعب في تدبير الأموال بطريقةٍ لائقة.

٤. دفع الشعب بسخاء للترميم، ولكن الكهنة احتفظوا بمبلغ للترميم، دون أن يتحركوا للعمل، فأُصيب الشعب بشيءٍ من الإحباط، وتوقفوا عن الدفع.

فَدَعَا الْمَلِكُ يَهُوآشُ يَهُويَادَاعَ الْكَاهِنَ وَالْكَهَنَةَ، وَسَأَلَهُمْ:
لِمَاذَا لَمْ تُرَمِّمُوا مَا تَهَدَّمَ مِنَ الْبَيْتِ؟

---

[١] وهو ما يشبه إلى حد كبير: هيئة الأوقاف الآن.

فَالآنَ لاَ تَأْخُذُوا فِضَّةً مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِكُمْ،
بَلِ اجْعَلُوهَا لِمَا تَهَدَّمَ مِنَ الْبَيْتِ. [٧]

لقد انتظر الملك لسنوات طويلة، ولم يتحرك الكهنة للعمل، فطلب من الكهنة أن يتم جمع المال للترميم بطريقة أخرى، ربما لكسب ثقة الشعب في القيام بالترميم في جديةٍ تحت إشراف رئيس الكهنة مباشرة ونائب عن الملك.

العجيب أن الملك الذي له هذه الغيرة وهذا الحماس لترميم بيت الرب، انحرف إلى عبادة الأوثان بعد موت رئيس الكهنة. فهل كان الملك يهتم بالمبنى دون الإصلاح الداخلي في النفس، أم كان صادقًا في رغبته في الإصلاح من جهة المبنى والحياة التقوية، وأن ما حلَّ به بعد ذلك كان انحرافًا بسبب تأثير بعض القادة عليه بعد موت رئيس الكهنة.

تُرَى هل كانت شخصية الملك ضعيفة، لا يحمل في داخله أعماقًا قوية وأساسًا ثابتًا، يتحرك حسبما يمليه الغير عليه. فيسلك تارة بروح التقوى، وأخرى بالشر.

فَوَافَقَ الْكَهَنَةُ عَلَى أَنْ لاَ يَأْخُذُوا فِضَّةً مِنَ الشَّعْبِ،
وَلاَ يُرَمِّمُوا مَا تَهَدَّمَ مِنَ الْبَيْتِ. [٨]

فَأَخَذَ يَهُويَادَاعُ الْكَاهِنُ
صُنْدُوقاً وَثَقَبَ ثَقْباً فِي غِطَائِهِ،
وَجَعَلَهُ بِجَانِبِ الْمَذْبَحِ عَنِ الْيَمِينِ عِنْدَ دُخُولِ الإِنْسَانِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ.
وَالْكَهَنَةُ حَارِسُو الْبَابِ جَعَلُوا فِيهِ كُلَّ الْفِضَّةِ الْمُدْخَلَةِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. [٩]

استخدم الملك نظام الصندوق المثقوب لتجميع الفضة، لترميم بيت الرب، وكان رئيس الكهنة وكاتب الملك لهما سلطان على فتح هذا الصندوق.

كان الصندوق في الدار في المدخل عن يمين المذبح، ليراه كل من يدخل البيت. تجاوب الشعب بسخاء في العطاء (٢ أي ٢٤: ١٠). بدأ العمل وتم في فترة وجيزة.

كان حارسو الباب يراقبون الداخلين، فلا يسمحون بدخول عبادة وثنية أو ما يخالف شريعة الرب.

وَكَانَ لَمَّا رَأَوُا الْفِضَّةَ قَدْ كَثُرَتْ فِي الصُّنْدُوقِ،
أَنَّهُ صَعِدَ كَاتِبُ الْمَلِكِ وَالْكَاهِنُ الْعَظِيمُ،
وَصَرُّوا وَحَسَبُوا الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [١٠]

ما حدث في ذلك الحين ويتكرر كثيرًا عبر الأجيال، يكشف عن دور القائد. فالشعب بوجهٍ

عامٍ متى رأى القائد مملوءًا غيرة، يتفاعل معه ويتجاوب بقوة. فما أظهره يوآش من رغبةٍ جادةٍ للعمل دفع الكثيرين للمساهمة بسخاءٍ عجيبٍ!

هذا ما يجعل القادة في وضعٍ دقيقٍ، لأن تصرفاتهم، متى تمت بروح الغيرةِ المتقدة تلهب قلوب الكثيرين للعمل والبذل بقوة. وإن سلكوا بفتورٍ في شكلياتٍ بلا روح، انعكس هذا على الرعية.

يليق بالقادة لكي يكون لهم دورهم في حياة الشعب أن ينصتوا لقول السيد المسيح: "يا سمعان بن يونا، أتحبني؟... ارع غنمي" (يو ٢١: ١٦). فبالحب تلتهب قلوب الشعب مع قلب القائد للعمل بغيرةٍ مقدسةٍ!

- "يا سمعان بن يونا أتحبُّني؟... ارع غنمي" (يو ٢١).

ليتنا لا نحب ذواتنا، إنَّما **نحبُّه هو**، وبرعايتنا لغنمه نطلب ما له وليس ما لنا، لأنَّه من يقدر أن يحيا بذاته، يموت بالتأكيد إن أحب ذاته. وهو بهذا لا يكون محبًا لنفسه، إذ بحبُّه لنفسه يفقد حياته.

ليت رعاة القطيع **لا يكونون محبِّين لذواتهم**، لئلاَّ يرعوا القطيع كما لو كان ملكًا لهم، وليس قطيع المسيح.

فيطلبون ربحًا ماديًا بكونهم "محبِّين للمال"،

أو يتحكَّمون في الشعب بكونهم "منتفخين"،

أو يطلبون مجدًا من الكرامة المقدَّمة لهم بكونهم "متكبِّرين"،

أو يسقطون في هرطقات "كمجدِّفين"،

ويحتقرون الآباء القدِّيسين "كعصاة على الوالدين"،

ويردُّون الخير بالشر على من يرغبون في إصلاحهم حتى لا يهلكون بكونهم "ناكرين للمعروف"،

ويقتلون أرواحهم وأرواح الغير "كمن هم بلا رحمة"،

ويحاولون تشويه شخصيَّات القدِّيسين "كشهود زور"،

ويطلقون العنان للشهوات الدنيئة "كغير طاهرين"،

ويشتكون دائمًا... "كغير رحماء"،

ولا يعرفون شيئًا عن خدمة الحب "كمن لا عطف فيهم"،

ويقلقلون البشريَّة بمناقشاتهم الغبيَّة "كعنيدين"،

ولا يفهمون ما يقولونه أو ما يصرُّون عليه "كعميان"،

ويفضّلون المباهج الجسديّة عن الفرح الروحي "كمحبّين للذات أكثر من حبّهم لله".

هذه وغيرها من الرذائل المشابهة سواء كانت كلّها في مجموعها في شخصٍ واحد، أو أحدها تسيطر على شخصٍ وغيرها على آخر، فإنّها تظهر بشكلٍ أو آخر من هذا الجذر وهو أن يكونوا "محبّين لأنفسهم".

هذه الرذيلة التي يلزم أن يتحفّظ منها من يرعون قطيع المسيح، لئلاّ يطلبوا ما لذواتهم، وليس ما ليسوع المسيح، ويستخدموا سفك دم المسيح لتحقيق شهواتهم.

هؤلاء الذين يرعون قطيعه، يلزم أن يكون حبّهم عظيمًا، بغيرةٍ روحيّةٍ حتى يتغلّبوا على الخوف من الموت، هذا الذي يجعلنا (الخوف من الموت) لا نرغب في الموت لكي نحيا مع المسيح. فالرسول بولس أيضًا يود أن ينفق ويكون مع المسيح (في ١: ٢٣).

القدّيس أغسطينوس

قدّم رئيس الكهنة وكاتب الملك صورة رائعة ومثلاً حيًّا للعمل المُشترك، حيث لا يتجاهل الكهنة دور العلمانيين (إن صح التعبير)، ولا يعتزل العلماني عن الكهنة. فكل منهما يحتاج إلى الآخر، لأنه حيث يوجد الحب والتعاون يُعلِن الله عن حضوره، ويفيض ببركته على الجميع.

إن كان رئيس الكهنة مع كاتب الملك استطاعا بالحب أن يعملا لحساب ترميم الهيكل، فإنه يليق بالكهنة مع الشعب العمل لحساب وبنيان ملكوت الله في قلب كل إنسانٍ ما أمكن!

ليس للشعب دور في الكنيسة فحسب، وإنما هو الكنيسة بعينها، يعمل عمل الكنيسة الذي هو "الحب"، مُترجمًا حسب مواهب كل عضوٍ فيها وإمكانياته ودوره في الجماعة المقدسة. لأن الحب يلزم التعبير عنه عمليًا.

- لا يمكن للحب أن يكون خاملاً. إن استطعت أرني حبًا عاطلاً لا يفعل شيئًا[1].
- هل نقول لك: "لا تحب شيئًا"؟ حاشا! فإنك إن لم تحب تكون متبلد الحس، ميتًا، مكروهًا، وبائسًا. حبّ؛ لكن اهتم أن تعرف ماذا تحب[2].

القديس أغسطينوس

- من أجل هذا جاءنا (الرب) بتعاليمه السماوية العلوية، لكي ينزع عنا أفكارنا ونتمثّل به بقدر استطاعتنا، ولكن كيف نتمثل بالمسيح؟

عندما نعمل في كل شيءٍ ما هو للصالح العام، ولا نطلب مجرد نفعنا الشخصي. يقول بولس الرسول: "لأن المسيح أيضًا لم يُرضِ نفسه، بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت

---

[1] *On Ps. 31.*
[2] *On Ps. 32.*

عليّ" (رو ١٥: ٣، مز ٦٩: ٦).

إذن لا يطلب كل واحدٍ ما لنفسه (أي لا يكن سلبيًا)، إنما بالحق يطلب ما هو لخير نفسه متى اهتم بما هو لإخوته، فإن ما هو لخيرهم، إنما هو لخيرنا نحن، لأننا جسد واحد وأعضاء بعضنا لبعض...

فإنه وإن لم يكن قريبًا ولا صديقًا، لكنه كإنسانٍ يشاركك نفس طبيعتك، وله نفس الرب، عبد رفيق لك، زميلك في رحلتك، وُلد معك في ذات العالم[1].

❖ لا تلقوا كلّ العبء على مُعلِّميكم، لا تلقوه بأكمله على من يقودكم... إن أردتم تستطيعون أن تُعلِّموا فيما بينكم أكثر منا، فإن لديكم فرصًا أكثر للالتقاء معًا، وتعرفون ظروف بعضكم أكثر منا، ولا تجهلون بعضكم بعضًا، لديكم أيضًا حرية أعظم في الحديث والحب والمودة، هذه الأمور ليست بقليلةٍ في التعليم...

أنتم أقدر منا أن ينتهر الواحد الآخر وينصحه...

أتوسل إليكم ألاَّ تهملوا هذه الموهبة، فإنه لكل واحدٍ منكم زوجته وصديقه وخادمه وقريبه...

إن كان لازمًا أن تذهب إلى جنازةٍ أو وليمةٍ أو تساعد قريبك في أمرٍ ما، فكيف تفعل هذه الأمور بقصد تعليمه الفضيلة؟ أرجوكم ألاَّ يُهمِل أحدكم هذا، فإنه يتقبَّل من الله مكافأة عظيمة...

تقول لي: لستُ بصاحب كلام! لكن لا حاجة إلى الكلام ولا إلى الفصاحة... اسنده لا بكونك إنسانًا تفعل كل شيءٍ كما يليق، أي كمن يسلك بلا خطية، ولا كمُعلِّمٍ له بل كصديقٍ وأخٍ له...

هذه هي الصداقة: "أخ يعين أخًا، يصير مدينة مُحصَّنة" (أم ١٨: ١٩).

ليست الصداقة أكْلاً وشُربًا، فإن مثل هذه توجد حتى بين اللصوص والقتلة. لكننا إن كنا حقيقة أصدقاء فليعتنِ كل واحدٍ بالآخر...

"احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح" (غل ٦: ٢).

❖ كل واحدٍ منكم – إذا أراد – فهو مُعلِّم...

أنا أعرف عائلات كثيرة نالت نفعًا عظيمًا من فضائل خدمهم.

أُوجِّه حديثي للجميع بصفة عامة، كما لكل فردٍ على وجه الخصوص، ليهتم كل واحدٍ بخلاص أقربائه... فإن في هذا العمل نفعًا عظيمًا، ليس فقط يصير العمل خفيفًا على المُعلِّم، بل

---

[1] *In Ioan: hom 15: 3.*

يشترك كل تلميذٍ في الآلام ليصير قادرًا أن يكون مُعلِّمًا...

- ❖ يمكننا أن نعتبر كل مؤمنٍ راعيًا لبيته وأصدقائه وخدمه وزوجته وأولاده.
- ❖ اجعلْ بيتك كنيسة.
- ❖ ليس كل شيءٍ يجعل الإنسان مثل المسيح كاهتمامه بأقربائه.
- ❖ لا أقدر أن أُصدِّق خلاص إنسانٍ لا يعمل من أجل خلاص أخيه.
- ❖ ليس شيء تافهًا مثل مسيحي لا يهتم بخلاص الآخرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم[1]

وَدَفَعُوا الْفِضَّةَ الْمَحْسُوبَةَ إِلَى أَيْدِي عَامِلِي الشُّغْلِ الْمُوَكَّلِينَ عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ،
وَأَنْفَقُوهَا لِلنَّجَّارِينَ وَالْبَنَّائِينَ الْعَامِلِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، [١١]

عاملو الشغل هم النجارون والبنَّاؤون والنَّحاتون والعاملون في الحديد والنحاس (٢ أي ٢٤: ١٢).

كان العاملون كثيرين، ومن أجناسٍ كثيرةٍ، دليلاً على عظمة العمل، لأن البيت كان متروكًا مُهمَلاً بلا إصلاح زمانًا طويلاً.

وَلِبَنَّائِي الْحِيطَانِ وَنَحَّاتِي الْحِجَارَةِ،
وَلِشِرَاءِ الأَخْشَابِ وَالْحِجَارَةِ الْمَنْحُوتَةِ،
لِتَرْمِيمِ مَا تَهَدَّمَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ،
وَلِكُلِّ مَا يُنْفَقُ عَلَى الْبَيْتِ لِتَرْمِيمِهِ. [١٢]

إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يُعْمَلْ لِبَيْتِ الرَّبِّ طُسُوسُ فِضَّةٍ وَلاَ مِقَصَّاتٌ وَلاَ مَنَاضِحُ وَلاَ أَبْوَاقٌ،
كُلُّ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَآنِيَةِ الْفِضَّةِ مِنَ الْفِضَّةِ الدَّاخِلَةِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ، [١٣]

لم تُعمل آنية لبيت الرب حتى أكملوا ترميمه. وكان البيت فارغًا، لأن الملوك كانوا قد أخذوا آنيته، وأعطوها لمحاربيهم (١ مل ١٤: ٢٦؛ ١٥: ١٨).

بَلْ كَانُوا يَدْفَعُونَهَا لِعَامِلِي الشُّغْلِ،
فَكَانُوا يُرَمِّمُونَ بِهَا بَيْتَ الرَّبِّ. [١٤]

وَلَمْ يُحَاسِبُوا الرِّجَالَ الَّذِينَ سَلَّمُوهُمُ الْفِضَّةَ بِأَيْدِيهِمْ،

---

[1] *In Hebr. hom 30· 4, In 2Thes. Hom 5; In Rom P G· 60: 660; In Gen P G. 54. 607, In 1Cor. hom 25· 3; De sacer. 3: 10; In Acts hom 20. 4*

لِيُعْطُوهَا لِعَامِلِي الشُّغْلِ،
لأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِأَمَانَةٍ. [١٥]

كان المشرفون على العمل مملوءين غيرة على بيت الرب، فلم يُطلب منهم حساب عما أنفقوه.

وَأَمَّا فِضَّةُ ذَبِيحَةِ الإِثْمِ وَفِضَّةُ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ،
فَلَمْ تُدْخَلْ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ، بَلْ كَانَتْ لِلْكَهَنَةِ. [١٦]

في طاعةٍ لكلمة الرب (لا ٥: ١٦؛ عد ٥: ٨-٩)، فضة ذبيحة الإثم وفضة ذبيحة الخطية تُعطَى للكهنة ولا تدخل بيت الرب.

٣. يهوآش يُقدِّم لحزائيل ذهب بيت الرب وبيت الملك

إذ بلغ يهوياداع المئة والثلاثين من عمره مات، وسلك الملك يوآش حسب نصيحة الأمراء، فترك عبادة الله الحيّ التي كان أمينًا لها في حياة يهوياداع، وعادت عبادة الأصنام بواسطة نساء صيدون اللواتي كان قد عاقبهن في أيام رئيس الكهنة.

وعندما حاول زكريا بن يهوياداع أن يمنع هذا العمل الشرير بكل قوته بروح ناري، إذ كان واقفًا بين الهيكل والمذبح رُجِم في أرض الهيكل نفسه.

كثيرون اضطربوا لهذا التصرُّف الذي تم بأمر الملك نفسه، متجاهلاً فضل يهوياداع عليه.

صرخ زكريا إلى الله كشاهدٍ لهذا العمل الإجرامي، قائلاً: "الرب ينظر ويطالب" (٢ أي ٢٤: ٢٢).

❖ رأى الرجل القدّيس (زكريا الكاهن) الكوارث التي ستحل سريعًا على الملك ومملكته. بعد عام غزا السريان (الأراميون) يهوذا وسلبوا الأرض واضطر يوآش لكي يُنقِذَ حياته أن يُقدِّم كل خيرات البيت الملكي والهيكل، ومع هذا فقد أُسيئت معاملته من أعدائه، فمرض ولازم الفراش، وسقط فريسة لخطة بعض خدامه وقتلوه (٢ أي ٢٤: ١٧-٢٥)[1].

القدّيس أفرآم السرياني

حِينَئِذٍ صَعِدَ حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرام وَحَارَبَ جَتَّ وَأَخَذَهَا.
ثُمَّ حَوَّلَ حَزَائِيلُ وَجْهَهُ لِيَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. [١٧]

"جت" كلمة عبرية تعني "معصرة"[2]، وهي إحدى مدن فلسطين الخمس العظمى: أشدود،

---

[1] *On the Second Book of Kings, 12:20.*
[2] *Cf. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, , article, 1660.*

جت، عقرون، غزة، أشقلون. يرى أغلب الدارسين أن موقعها الحالي "عراك المنشية" يبعد حوالي ٧ أميال غرب بيت جبرين. كانت إحدى مدن العناقيين (يش ١١: ٢٢)، نشأ فيها العمالقة (٢ صم ٢١: ٢٢، ١ أى ٢٠: ٢١)، أشهرهم جليات الجبار الذي قتله داود النبي (١ صم ١٧). كانت أحد حصون الفلسطينيين، أخذها داود منهم (٢ صم ١٥: ١٨؛ ١ أي ١٨: ١) ثم تناقلت بين أيدي الفلسطينيين (١ مل ٢: ٣٩) ويهوذا (٢ أي ١١: ٨) وأرام (٢ مل ١٢: ١٧) ثم يهوذا (٢ مل ١٣: ٢٥) الخ.

هجوم أرام الوارد هنا حدث مؤخرًا في أيام يوآش. جاء هذا الهجوم كتأديب إلهي لانحراف الملك بعد موت رئيس الكهنة.

كان صعود حزائيل بتدبير الرب، تأديبًا لخطية الملك والرؤساء بتركهم الرب وقتلهم زكريا.

كان حزائيل قد ضرب جميع أرض جلعاد وباشان (١٠: ٣٢)، فبلغ إلى حدود يهوذا. ولم تكن أرض إسرائيل فاصلة بينه وبين يهوذا كما في الأول. فضرب يهوذا أيضًا إتمامًا لنبوة أليشع (٨: ١٢).

حارب حزائيل جت أولاً، وقصد أن يأخذ أورشليم في طريقه، وهو راجع إلى أرام.

فَأَخَذَ يَهُوآشُ مَلِكُ يَهُوذَا جَمِيعَ الأَقْدَاسِ،
الَّتِي قَدَّسَهَا يَهُوشَافَاطُ وَيَهُورَامُ وَأَخَزْيَا آبَاؤُهُ مُلُوكُ يَهُوذَا،
وَأَقْدَاسَهُ وَكُلَّ الذَّهَبِ الْمَوْجُودِ فِي خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِ الْمَلِكِ،
وَأَرْسَلَهَا إِلَى حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرام،
فَصَعِدَ عَنْ أُورُشَلِيمَ. [١٨]

أرسل يهوآش خزائن بيت الرب إلى حزائيل ليصعد عن أورشليم. قدَّس يهورام وأخزيا أقداسًا لبيت الرب، كما عبدا الأصنام. فكانت عبادتهما عبادة مختلطة.

لم يَذْكُرْ سفر أخبار الأيام أن حزائيل كان حاضرًا. ربما الكلام هنا عن قائد جيش الأراميين الذي ناب عن الملك، وكان كل شيء بأمر حزائيل وتدبيره كأنه كان حاضرًا. يرى البعض أنه أولاً أرسل الجيش، ثم ذهب بعد ذلك بنفسه.

لقد تمردت مملكة إسرائيل العاصية على الرب علانية منذ نُصب عجلا يربعام الذهبيين، حتى لا يشتاق الشعب إلى هيكل الرب في أورشليم، كما أقامت كهنة من غير سبط لاوي (١ مل ١٢: ٢٨، ٣١)، وصنعت عيدًا في بيت إيل. لم نجد من ملوكهم من طلب الرب إلا مرة واحدة عندما اشتد الضيق بسبب الغزو الأرامي (٢ مل ١٣: ٤-٥)، وبالفعل خلصهم الرب، "لكنهم لم

يحيدوا عن خطايا بيت يربعام الذي جعل إسرائيل يخطئ، بل ساروا بها ووقفت السارية أيضًا في السامرة"...

أمام هذا العناد العلني والمستمر عبر الأجيال سلّمهم الرب للسبي الأشوري، فتركوا أرضهم، كما تترك المرأة المطلقة بيتها الزوجي.

٤. قتل يهوآش

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يَهُوآشَ وَكُلُّ مَا عَمِلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [١٩]

جاء في ٢ أي ٢٤: ٢٥ أنه عند ذهاب الأراميين تركوه مريضًا بأمراضٍ كثيرة، فلازم الفراش، واغتنم عبداه الفرصة ليقتلاه.

وَقَامَ عَبِيدُهُ وَفَتَنُوا فِتْنَةً،
وَقَتَلُوا يَهُوآشَ فِي بَيْتِ الْقَلْعَةِ حَيْثُ يَنْزِلُ إِلَى سِلَّى. [٢٠]

بيت القلعة: بناها سليمان (١ مل ٩: ١٥، ٢٤)، وكان يوآش قد التجأ إليها وقت الخطر.

جُرِحَ يهوآش جرحًا خطيرًا عندما هاجمه جيش أرام بشرذمة قليلة (٢ أي ٢٤: ٢٤-٢٥). تعرَّض للاغتيال بواسطة اثنين من عبيده زاباد بن شمعة ويهوزاباد بن شمريت.

لم يدفنوه في قبور الملوك وإن كانوا قد دفنوه في مدينة داود، وذلك بسبب ارتداده عن عبادة الله وقتل زكريا بن يهوياداع (٢ أي ٢٤: ١٧-٢٢).

أسباب مؤامرة الضباط على يوآش وردت في ٢ أي ٢٤:١٧-٢٦. لقد بدأ يوآش في عبادة الأوثان، وقتل زكريا النبي، وانهزم أمام الأراميين. هكذا انحلت حياته، وصارت مملكته في خطر بسبب رجوعه عن الله.

قتله الضباط ليس لابتعاده عن الله، وإنما لارتباك شئون المملكة؛ وكأن الله سمح بقتله حين انحرف إلى الشر بإصرار، على أيدي أُناس أشرار.

إذ قتل زكريا بن يهوياداع، سمح الله بقتله بواسطة عبديه.

لأَنَّ يُوزَاكَارَ بْنَ شِمْعَةَ وَيَهُوزَابَادَ بْنَ شُومِيرَ عَبْدَيْهِ ضَرَبَاهُ فَمَاتَ،
فَدَفَنُوهُ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،
وَمَلَكَ أَمَصْيَا ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ. [٢١]

دفنوه في مدينة داود، ولم يدفنوه في قبور الملوك، دليلاً على عدم تمتعه بالإكرام اللائق بالملوك.

من وحي ٢ مل ١٢

من يُقِيم مملكتك فيَّ سواك؟

❖ اهتم يوآش بترميم هيكلك في أورشليم الأرضية.
والتهبتْ القلوب لجمْعِ الفضة، والاشتراك في الترميم.
والآن، هوذا هيكلك في داخلي قد أهملتُه بإرادتي.
لا يحتاج ترميمه إلى ذهب وفضة وحجارة،
بل قدَّمتَ تكلفته على الصليب.
روحك القدوس يُقِيم منه فردوسًا سماويًا.
لا يحتاج إلى حراسة زمنية،
ولا إلى إمكانيات مادية.
تُقِيم منه فردوسًا سماويًا،
حيث تغرس صليبك المحيي فيه.
تغرس فيه شجرة الحياة،
ولا تجد شجرة معرفة الخير والشر مكانًا لها فيه.
لن تستطيع الحية أن تتسلل إليه في حضورك الإلهي.
ولن تميل أذني للاستماع إليها،
مادام صوتك يُبهِجُ أعماقي.

❖ هيكلك في داخلي موضع مسرة أبيك،
ومعمل روحك الناري المحبوب لديه،
أيقونة حية للسماء وعربون للحياة السماوية.

❖ ماذا أدعو هذا الهيكل الذي أعدته يمينك.
هو مسكن لك، وحضور عجيب لجلالك.
هو مستشفى للنفوس،
حيث بجراحاتك تشفي كل أمراضي.
هو ميناء الراحة،
كل من يتعب يستظل فيه تحت جناحيك.
هو كنز، لا تَقْدِر قوات إبليس أن تسلبه!

هو موضع شهادة حية لك،
وسفارة للسماء على الأرض!
هو موضع لقاء السمائيين مع الإنسان الضعيف.
هو بيت الحب الإلهي والأخوي،
تسند رأسك فيه وتستريح!

❖ لتُقِمْ ملكوتك في أعماقي،
وتقتلع كل جذور الخطية مني.
لتستلم كل كياني وقدراتي ومواهبي،
تُقدِّسها لك، فلا يكون لعدو الخير شيء في داخلي.
لأنسحب تمامًا من مملكته،
ولا أترك في أرضه ظلفًا.
بك أسحقُ الشر،
ولا أترك فكرًا شريرًا يختفي في داخلي.
بك يا صخرة الدهور أضرب كل طفلٍ لإبليس قاطن في أعماقي!
قدِّسني إلى التمام،
فأحملَ أيقونتك المُفرِحة!

اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ

عظام أليشع ترد ميتًا إلي الحياة!

هنا ينتقل بنا الكاتب من أخبار ملوك يهوذا إلى أخبار ملوك إسرائيل.

في هذا الأصحاح ندرك قول السيد المسيح: "أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). فإن الله في محبته لا يتوقف عن العمل لحسابنا، لكنه لا يُلزِمنا أن نَقْبَلَ عمله فينا أو لحسابنا. **يد الله عاملة خاصة في وقت الضيق (١-١٣)، عاملة بالقليل كما بالكثير (١٤-٢١)، وعاملة حسب أمانته في عهوده (٢٢-٢٥).**

١. يهوآحاز يستمر في خطايا أسلافه ١-٩.

٢. يوآش يستمر في خطايا أسلافه ١٠-١٣.

٣. مرض أليشع النبي ونياحته ١٤-٢٠.

٤. عظام أليشع ترد ميتًا إلي الحياة ٢١.

٥. تحقيق نبوة أليشع مع يوآش ٢٢-٢٥.

١. يهوآحاز يستمر في خطايا أسلافه

سلك يهوآحاز في الشر، فجلب لإسرائيل العبودية لملوك غرباء [٣]، لكنه في وسط الضيق، إذ تضرع إلى وجه الرب سمع له، وخلَّصهم الرب من يد الأراميين. كما يقول المرتل: "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" (مز ١٠٣: ١٠).

فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ لِيَهُوآشَ بْنِ أَخَزْيَا مَلِكِ يَهُوذَا،

مَلَكَ يهوآحاز بْنُ يَاهُو عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً. [١]

ملك يهوآش ملك يهوذا في السنة السابعة لياهو (١٢: ١)، وملك ياهو ٢٨ سنة، فكان جلوس ابنه يهوآحاز بعد جلوس يوآش ملك يهوذا بمدة ٢١ سنة. وبما أن هذه المدة هي ٢١ سنة مع عدة أشهر، وإذا حسبنا جزءًا من سنة في الأول، وجزءًا من سنة في الأخير تصير ٢٣ سنة.

"**يهوآحاز**" معناها "الرب يمسك". بعد قرنين أُقيم ملك بنفس الاسم على يهوذا بعد موت أبيه الصالح يوشيا (٢ مل ٢٣: ٣١).

اتبع آحاز ملك إسرائيل سياسة أسلافه، من جهة مساندة عبادة العجل. فصار ارتداد إسرائيل عن عبادة الله الحقيقي في تزايد أكثر مما كان عليه الحال في أيام والده ياهو. لذا حلَّ التأديب بالمملكة بأكثر حزمٍ وحدَّةٍ، أما أداة التأديب فكانت حزائيل الأرامي وابنه القائد بنهدد، بينما

كان الجيش الإسرائيلي يضعف من جهة العدد والقوة.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
وَسَارَ وَرَاءَ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ.
لَمْ يَحِدْ عَنْهَا. [٢]

خطايا يربعام هي السجود للعجلين في بيت إيل ودان، وإقامة كهنة من غير نسل هرون، وتغيير أوقات الأعياد (١ مل ١٢: ٢٨-٣٣). لم يُقل إن يهوآحاز ارتكب شيئًا جديدًا من الخطايا، إنما استمر في خطايا أسلافه التي كان يجب تركها.

فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ،
فَدَفَعَهُمْ لِيَدِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أرام،
وَلِيَدِ بَنْهَدَدَ بْنِ حَزَائِيلَ كُلَّ الأَيَّامِ. [٣]

كان بنهدد الثالث بن حزائيل قائد الجيش في أيام والده، صارت له شهرة في الأيام الأخيرة لوالده (٢ مل ١٣: ٢٤).

قوله "كل الأيام"، لا يقصد بها أيام الملكين الأراميين حزائيل وابنه بنهدد، لأن بنهدد فقد المدن التي كسبتها أرام من يهوآحاز (٢ مل ١٣: ٢٥)، إنما يقصد كل أيام يهوآحاز (٢ مل ١٣: ٢٢) أو كل أيام حزائيل.

وَتَضَرَّعَ يهوآحاز إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ،
فَسَمِعَ لَهُ الرَّبُّ، لأَنَّهُ رَأَى ضِيقَ إِسْرَائِيلَ،
لأَنَّ مَلِكَ أرام ضَايَقَهُمْ. [٤]

بالرغم من أن يهوآحاز لم يحد عن خطايا بيت يربعام [٦]، لكنه إذ سقط في ضيقة شديدة، تضرع إلى وجه الرب، سمع له وأرسل لهم خلاصًا، وذلك من أجل طول أناة الله (١ مل ٢١: ٢٥-٢٩؛ ٢ بط ٣: ٩). سمع الرب، لكنه لم يُعطِ إسرائيل مخلصًا في أيامه، بل في أيام ابنه يوآش [٢٥] وحفيده يربعام (١٤: ٢٥-٢٧).

لقد رجع الشعب إلى الله لكن إلى حين، ولم تكن قلوبهم مستقيمة، إذ لم يحيدوا عن خطايا بيت يربعام، ولا أزالوا تمثال عشتاروت من السامرة. نحتاج في التوبة أن تكون صادقة، نَقْبَلُ الله واهب الخير، وننتزع بكل قوةٍ كل أثرٍ للخطية.

وَأَعْطَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا،
فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِ يَدِ الأراميين.

أَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي خِيَامِهِمْ كَأَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ. [٥]

لم يُحَدَّدْ هنا اسم مُخَلِّص إسرائيل، ربما استخدم الملك الأشوري *Adad-Nerari III* لإنقاذهم، وذلك كما جاء في إشعياء عن كورش الملك الفارسي الذي وضع الله في قلبه أن يسمح لليهود بالعودة إلى أورشليم، وقد دعاه مسيحه (إش ٤٥: ١؛ ٤٤: ٢٨).

كانت أرام في حدود شمال إسرائيل في حرب دائمة مع إسرائيل. إذ كانت تشعر بأن إسرائيل تسد عنها الطريق التجاري العابر نحو الجنوب، وتشعر إسرائيل بأن أرام تسد الطريق الشمالي لتجارتها. كل منهما تحارب الأخرى، لكي تفتح أمامها المجال لازدهار اقتصادها. لكن ما حدث أنهما انشغلتا بالحروب المستمرة، فحطمت كل منهما الأخرى، ولم تدرك إحداهما خطورة أشور، التي كانت تتزايد في القوة حتى دهمتهما (١٦:٩؛ ١٧:٦).

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَحِيدُوا عَنْ خَطَايَا بَيْتِ يَرُبْعَامَ،
الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ، بَلْ سَارُوا بِهَا،
وَوَقَفَتِ السَّارِيَةُ أَيْضًا فِي السَّامِرَةِ. [٦]

عمل أخآب سواري في السامرة (١ مل ١٦: ٣٢- ٣٣)، وما يتبعها من رجاسات دنسة. كانت السارية عبارة عن شجرة مقدسة أو عمود من الخشب، وهي علامة مستخدمة في عبادة الإله عشتاروت أو الزهرة. كان لها دور جنسي، تعتبر عبادة خصوبة كنعان. وكان رفع هذه السارية في قاعدة المملكة شهادة دائمة على خيانة إسرائيل.

الله من جانبه يستخدم كل وسيلة، اللطف كما الحزم، لعل المؤمن أو الشعب يرجع إليه، ويتمتع بالشركة معه. لكن الخطورة مع الشعور بالحاجة إلى الرجوع لله، يبقى قلبنا ملتصقًا بخطية أو خطايا معينة، فيعرّج بين طريقين، طريق الحياة المقدسة في الرب، وطريق الارتباط بلذة معينة باطلة.

الله من أجل حبه الشديد لنا وأمانته في مواعيده يسمح بالضيق إلى حين حتى نطلب نعمته، ونرجع بكل القلب إليه.

يُقَدِّم لنا المرتل خبرته: "عند كثرة همومي في داخلي، تعزياتك تلذذ نفسي" (مز ٩٤: ١٩). هذه التعزيات تصدر منه لا لرفع الضيق فحسب، وإنما إلى ما هو أعظم؛ أي تحويل الضيقة إلى مصدر بنيان للنفس وخبرة حياة مع الله.

لأَنَّهُ لَمْ يُبْقِ لِيهوآحاز شَعْبًا،
إِلاَّ خَمْسِينَ فَارِسًا وَعَشَرَ مَرْكَبَاتٍ وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَاجِلٍ،
لأَنَّ مَلِكَ أرام أَفْنَاهُمْ، وَوَضَعَهُمْ كَالتُّرَابِ لِلدَّوْسِ. [٧]

كثيرًا ما يُشبِّه الكتاب المقدس الشعب حين يسقط تحت التأديب، بحزَم أو سنابل القمح حيث تُدرَس بالدوس عليها بواسطة الحيوانات وهي تدور عليها بالمِدْراس، كما بالشخص الذي يقود الحيوانات (إش ٢١: ١٠؛ مي ٤: ١٢؛ إر ٥١: ٣٣).

حقًا تحتوي سنابل القمح على كمية ضخمة من القش وكمية أقل من الحنطة، فإن كنا أثناء التأديب نصير تحت الأقدام تدوسنا الحيوانات والبشر، لكن التأديب يقطع عيدان القش إلى أجزاء صغيرة، كما تتقطع السنابل، فيسهِّل فرز الحنطة من القش. بالتأديب يتحطم الشر فينا، ويعمل روح الله، لكي نحمل ثمر الروح!

هكذا في أيام يهوآحاز سمح الله بتأديبٍ حازمٍ، فصارتِ مملكة كما بغير جيش يحميها، بل وبدت المملكة كأنها قد تدمّرت وصارت في التراب!

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يهوآحاز وَكُلُّ مَا عَمِلَ وَجَبَرُوتُهُ،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٨]

إن كانوا قد سقطوا تحت التأديب بهذه الصورة المؤلمة، فإن علة انهيارهم ليست ضعف الملك وعجزه، وإنما فساده، لذلك يؤكد الكاتب بخصوص يهوآحاز: "**وكل ما عمل وجبروته**". فالملك لا تنقصه الشجاعة، إنما ينقصه برّ الله الذي يسنده.

ثُمَّ اضْطَجَعَ يهوآحاز مَعَ آبَائِهِ،
فَدَفَنُوهُ فِي السَّامِرَةِ،
وَمَلَكَ يُوآشُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٩]

ربما كانت هناك قبور مخصصة لملوك إسرائيل في السامرة، كما لملوك يهوذا في أورشليم (٢ أي ٢٨: ٢٧). وكان دفن الملك في قبور الملوك علامة لها اعتبارها له.

٢. يوآش يستمر في خطايا أسلافه

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِيَهُوآشَ مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ يُوآشُ بْنُ يهوآحاز عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً. [١٠]

كان على كل من المملكتين ملكًا يدعى يوآش (يهوآش). بدأ يوآش ملك يهوذا كملكٍ صالحٍ، أما يوآش ملك إسرائيل فكان شريرًا.

اشترك يوآش بن يهوآحاز في الحكم لمدة سنتين قبل موت أبيه. هنا يتحدث عن اشتراكه في الحكم قبل نياحة أليشع النبي بمدة قليلة. لقد ملك في السامرة ست عشرة سنة، تضم فيها السنتين لحكمه في شركة مع أبيه.

لعل دعوة حفيد ياهو باسم "يوآش" كان نوعًا من تكريم نسل داود، حيث ملك الطفل يوآش على يهوذا. وكان ذلك في وقت حدث فيه نوع من السلام بين المملكتين.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
وَلَمْ يَحِدْ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ،
بَلْ سَارَ بِهَا. [١١]

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يُوآشَ وَكُلُّ مَا عَمِلَ وَجَبَرُوتُهُ،
وَكَيْفَ حَارَبَ أَمَصْيَا مَلِكَ يَهُوذَا،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١٢]

في البداية ذَكَرَ الستة عشر عامًا لحكم يهوآش بن يهوآحاز بن ياهو على إسرائيل، ولم يذكر شيئًا بالتفصيل [١٠-١٣]، غير أنه ذكر ثلاثة أمور تمت في عهده: موت أليشع النبي [١٤-٢٢]، وحملات عسكرية ونصراته على أرام [٢٤-٢٥]، وحربه مع أمصيا ملك يهوذا [١٢؛ ١٤: ٨-١٤].

في حياة ياهو وُجدتْ لحظات صالحة، وتمتّع ملوك إسرائيل بمكافآت من قبل الرب، لكن لم يوجد لا في ياهو ولا في نسله الذين حكموا إسرائيل لأربعة أجيال ملك واحد خدم الرب بكل قلبه، إذ لم يحد أحدهم عن خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يخطئ (١٠: ٣١).

ربما يقصد بجبروت يوآش ملك السامرة نصرته على أمصيا ملك يهوذا (٢ مل ١٤: ١٢-١٥؛ ٣ أي ٢٥: ٢٠-٢٧).

ثُمَّ اضْطَجَعَ يُوآشُ مَعَ آبَائِهِ،
وَجَلَسَ يَرُبْعَامُ عَلَى كُرْسِيِّهِ.
وَدُفِنَ يُوآشُ فِي السَّامِرَةِ مَعَ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١٣]

٣. مرض أليشع النبي ونياحته

وسط هذا الفساد على مستوى الملك ورجاله والقادة والشعب وُجِدَ إنسان تقي، هو أليشع النبي، الذي له أيضًا ضعفاته. ولكن من أجل إخلاصه وإيمانه وسلوكه في الرب، قدَّم قوة الله للملك أفضل من كل الجيش، لهذا إذ مرض، بكاه الملك، قائلا: "يا أبي، يا أبي، يا مركبة إسرائيل وفرسانها" [١٤]. وفي اللحظات الأخيرة قدَّم له فرصة ليقول له: "سهم خلاص للرب، وسهم خلاص من أرام، فإنك تضرب أرام في أفيق إلى الفناء" [١٧].

مات أليشع ودفنوه، لكن إذ لمس ميت عظامه في القبر قام على رجليه! هكذا يعمل الله

بالقلة القليلة المقدسة، ولو كانت شخصًا واحدًا!

وَمَرِضَ أليشع مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ بِهِ،
فَنَزَلَ إِلَيْهِ يُوآشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ
وَبَكَى عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ:
يَا أَبِي، يَا أَبِي، يَا مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا. [١٤]

مرض أليشع في حوالي السنة العاشرة من يوآش، بهذا يكون قد امتدت مدة خدمة أليشع كنبي ٦٥ عامًا. بكى يوآش على أليشع الشيخ، وكرَّر نفس الكلمات التي نطق بها أليشع عند صعود إيليا النبي (٢: ١٢). وكأن أليشع قد التصق بمُعلِّمِه منذ بدء خدمته حتى لحظات موته.

خشي الملك يوآش ملك إسرائيل موت أليشع النبي، وكانت قد مضت ٤٣ سنة على الأقل منذ آخر مرة ذُكِرَ فيها أليشع (٩:١)، لكنه كان يشعر ببركة وجوده وصلواته.

كان عُمْرُ أليشع نحو ثمانين سنة، ونزول الملك إليه دليل على اعتباره له وللرب الذي كان أليشع يخدمه.

"بكى على وجهه"، أي نزلت دموعه على وجه أليشع وهو مضطجع على سريره. عبَّر الملك عن إيمانه بأن أعظم قوة لإسرائيل هي معونة الرب بواسطة أليشع، لذلك دعاه **"يا أبي"**.

مع ما اتسم به يوآش ملك إسرائيل من الشر، غير أنه أظهر جانبًا طيبًا وإيمانًا أن الله يحفظ شعبه ويسمع لكلمات نبيه من أجلهم.

إن كان الكتاب المقدس قد شهد على يوآش أنه "عمل الشر في عينيّ الرب"، غير أنه يذكر الجانب الصالح الذي فيه. الله لا ينسى كأس ماء بارد يُقدَّم باسمه.

فَقَالَ لَهُ أليشع: خُذْ قَوْسًا وَسِهَامًا.
فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ قَوْسًا وَسِهَامًا. [١٥]

نجح يوآش نسبيًا في طاعة أليشع عند موته لكن لم يستمر. لقد وضع أليشع يده على يدي الملك علامة اشتياقه أن يبارك الرب عمله، وبالفعل انتصر على الجيش الأرامي ثلاث مرات، لكنه لم يتمتع بالنصرة النهائية.

❖ دعا النبي: **"مركبة إسرائيل وفرسانها"**، لأن سلام المملكة وانتصارات إسرائيل كانت تتوقف على صلاته وتدبيره.

كافأ النبي الحب الذي لدموعه، وقال له: **"خذ قوسًا وسهامًا"**. ثم وضع أليشع يده على يدي الملك" وأمره أن يفتح الكوّة، ويتجه نحو الشرق ويصوِّب السهام. صوَّب سهمًا، فقال له

أليشع: "سهم الرب للنصرة، سهم نصرة على أرام".

بالحقيقة كانت الكوّة متجهة نحو أرام، **"إنك تضرب أرام في أفيق إلى الفناء"** [١٧].

هذه العبارة تحمل معنيين روحيين:

الأول: أن الله ربط نصرة بني إسرائيل بتلك العلامة التي لم تكن بالأمر الجديد، فقد وُجدت من قرون طويلة... عندما أرسل الله ضربات على مصر وحرَّر الشعب، اعتمد ذلك على عصا موسى (خر ٤: ١٧). وأيضًا اعتمد هلاك عماليق على رفع يديّ موسى أثناء الصلاة (خر ١٧: ٩-١٣)، ودمار مدينة عاي على مد يشوع للمزراق الذي بيده (يش ٨: ١٨-١٩).

كان من المناسب للموقف أن يقوم الأمر هكذا حتى يعرف الشعب بكل تأكيد أن معونة الرب قد وُهبت لهم، في لحظة نوال هذه النعمة، وتبقى ذكرى النعمة متغلغلة في قلوبهم. فإن النبي وحده كان يعرف السرّ، بينما كان مخفيًا عن الملك. وإلا ما كان قد توقف عن ضرب الأرض ثلاث مرات، بل جعلها عشرة. وإذ كان مترددًا وانسحب لامه أليشع، ليس لأنه ارتكب خطأ ما، وإنما لأنه حرَّم أبناء شعبه من النصرة والنفع العظيم بإبادة الأراميين وإزالة مملكتهم، الأمر الذي كان يرغبه أليشع بقوة.

صار حزينًا، لأن أمله خاب بواسطة الملك الذي توقف ولم يضاعف الضربات الموصوفة له. أما المانع الحقيقي لتوقف النعمة، فهو ارتداد الملك والشعب، وإرادتهم المتمردة في عبادة الأوثان. هذا هو السبب الذي عاق عطية النعمة التي عنت بها هذه العلامة[1].

القدِّيس أفرآم السرياني

ثُمَّ قَالَ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ: رَكِّبْ يَدَكَ عَلَى الْقَوْسِ.

فَرَكَّبَ يَدَهُ، ثُمَّ وَضَعَ أليشع يَدَهُ عَلَى يَدَيِ الْمَلِكِ [١٦]

وضع أليشع يده على يدي الملك، لكي يعلم الملك أن ما سيعمله بيده إنما بمساندة يد الرب، وليس بقدرته هو.

ما هي يدّ أليشع التي حملت قوة ليديّ الملك سوى كنيسة المسيح التي تُقدِّم للمؤمن كملكٍ قوة الله للخلاص، فيضرب بالصليب "سهم الرب للخلاص" من عدو الخير، ولا يتوقف عن ضربه حتى تتم النصرة النهائية على مملكة الظلمة.

تلامست يدا الملك مع يد أليشع رمز المسيح، وذلك كما لمست الكنعانية هُدْب ثوب المسيح، أي كنيسته، فخرجت منه قوة، وتمتعت بالشفاء!

---

[1] *On the Second Book of Kings, 13:14-19.*

❖ حقيقة أن أليشع وضع يده على يديّ الملك، تُظهِرُ أن يديّ الملك الضعيفتين تتقويان بالقوة التي في يديّ النبي الذي يقف هنا في موضع سيده. حتى يمكن لتلك اليدين أن تحطما أرام، وأن تفنيه بعد أن حطَّم أرام إسرائيل لإفنائه.

واضح أن بني إسرائيل في أيام يورام ضعفوا جدًا، فلم يكن في المدينة الملوكية سوى خمسة خيول، وفي أيام ابنه لم يكن سوى عشر مركبات في البلاد بأسرها وخمسين فارسًا وعشرة آلاف جنديًا من المشاة، كما يقول الكتاب، لأن ملك أرام أهلكهم وجعلهم كالتراب في درس الغلة (٢ مل ١٣: ٧). بينما كان للعبرانيين في أيام سليمان ٥٢ ألفًا من الخيول في إسطبلات الملك، وأرسل يربعام ٨٠٠ ألفًا من الشجعان للحرب الذين تجمعوا من سبطيّ يهوذا وبنيامين.

المعنى الثاني الروحي هو أن العلامة تنقسم إلى رمزين، كل منهما له معناه الخاص به.

القدِّيس أفرآم السرياني

وَقَالَ: افْتَحِ الْكُوَّةَ لِجِهَةِ الشَّرْقِ، فَفَتَحَهَا.
فَقَالَ أَلِيشَعُ: ارْمِ، فَرَمَى.
فَقَالَ: سَهْمُ خَلاَصٍ لِلرَّبِّ، وَسَهْمُ خَلاَصٍ مِنْ أرام،
فَإِنَّكَ تَضْرِبُ أرام فِي أَفِيقَ إِلَى الْفَنَاءِ. [١٧]

طلب منه أن يفتح الكوة لجهة الشرق، لأن أعداء إسرائيل، أي الأراميون، كانوا في الشرق. كان هذا التصرُّف يُستخدَم كإعلان عن قيام حربٍ. أحيانًا يفعل الشخص هذا الأمر ويكرره دون أن يبدأ بالهجوم حتى يمكن عمل اتفاقيات، فإن لم يحدث استجابة لمدةٍ معينةٍ يبدأ الشخص أو الجيش بالهجوم الفعلي.

❖ "**سهم الرب للخلاص**" يعني بوضوح ربنا ومخلصنا الذي عُلِّق على الخشبة يهب روحه. وبروحه ينزل إلى حصن الهاوية ويخلص الأبرار الذين سُجنوا هناك، وبعد قيامته يُخضِع المسكونة كلها برسله القديسين، ويهب حياة جديدة للذين يؤمنون باسمه.

من الجانب الآخر، إن حقيقة السهم الذي صوِّب من الكُوّة المتجهة نحو الشرق تعني إتمام خلاصنا الذي يتحقق بصعود ربنا، ويصعد إلى ما هو أعلى من السماوات الشرقية (مز ٦٨: ٣٤).

بصعوده يرفع الأبواب الدهرية، ويُصعِدنا كطغمة من النسبيين إلى السماء (أف ٤: ٨).

مرة أخرى فإن السهم الذي صوِّب نحو الأرض وسُحب أو ترك الأرض، يشير إلى دفن ربنا وقيامته بعد أن نزل وأقام في قلب الهاوية، في أرض الأموات.

أيضًا لاحظوا بتمييز أن أرض إسرائيل تُضرَب بثلاثة سهام، وأما مملكة أرام فتنهزم في ثلاث معارك، وذلك على شبه جسد ربنا المُكرَّم الذي اُبتلي بالشوك والمسامير والحربة ولم يفسد. حُطِّم سلطان إبليس الخاص بالموت ثلاث مرات. بالحق سحق الشيطان وأزال الخطية والموت.

مرة أخرى صُوِّب السهم ثلاث مرات واستقر على الأرض، وأعطاهم رجاء القيامة التي للقديسين[1].

القدّيس أفرآم السرياني

ثُمَّ قَالَ: خُذِ السِّهَامَ. فَأَخَذَهَا.
ثُمَّ قَالَ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ: اضْرِبْ عَلَى الأَرْضِ.
فَضَرَبَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَوَقَفَ. [١٨]

أولاد الله لن يتوقفوا أو يتهاونوا في معركتهم مع إبليس، حتى يسحقوا بالمسيح رأس الحيّة، ويعلن رب المجد النصرة في أعماقهم.

فَغَضِبَ عَلَيْهِ رَجُلُ الله، وَقَالَ:
لَوْ ضَرَبْتَ خَمْسَ أَوْ سِتَّ مَرَّاتٍ حِينَئِذٍ ضَرَبْتَ أرام إِلَى الْفَنَاءِ.
وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَضْرِبُ أرام ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. [١٩]

غضب عليه، لأن الملك طلب القليل بينما الرب مستعد أن يعطيه الكثير. لعل تصرُّف الملك دلَّ على ضعف إيمانه.

كان يليق بالملك أن يضرب الأرض بالسهام ولا يتوقف حتى يطلب منه النبي ذلك، محققًا خطة الله العاملة، فينال نصرة على العدو. هكذا يجب ألا نأتمن أفكارنا الجسدية (الأرض)، بل نضرب بسهام الروح القدس المستمرة بلا توقُّف حتى تتقدس أرضنا الداخلية، وتتحوّل إلى سماء. هكذا تتحقق خطة الله فينا، ونُعلِن طاعتنا له، حيث نصير بالحق وكالة السماء وأيقونة المسيح الحيّة.

وَمَاتَ أَلِيشَعُ فَدَفَنُوهُ.
وَكَانَ غُزَاةُ مُوآبَ تَدْخُلُ عَلَى الأَرْضِ عِنْدَ دُخُولِ السَّنَةِ. [٢٠]

مات أليشع ودُفن جثمانه في قبر، ولم يصعد كمُعلِّمه في مركبات نارية إلى السماء. لكن كشف الله عن قداسة هذا الجثمان الذي جاهد مع النفس كل هذه السنوات، لذلك سمح الله بإقامة

[1] *On the Second Book of Kings, 13:14-19*

ميت لمجرد لمسه لعظام أليشع.

ذكر دخول هؤلاء الغزاة كأنه أمر عادي يحدث كل سنة، ووصولهم إلى أواسط البلاد دليل على ضعف إسرائيل.

❖ دفنه تلاميذه بنو الأنبياء. يبدو أن يوآش رافقه حتى القبر، إذ جلس معه وقت مرضه، وأظهر له حبًا عميقًا، وبكى أمامه، ووضع مراثٍ عن موته.

يبدو أن هوشع النبي أخذ مكانه، وقام برئاسة بني الأنبياء، إذ قال هوشع في بدء أقواله إنه تنبأ في أيام يربعام بن يوآش[1].

القدّيس أفرآم السرياني

٤. عظام أليشع ترد ميتًا إلي الحياة

مات أليشع النبي ودُفن في القبر، وتحلل جسمه، ولم يبق سوى مجموعة عظام جافة. لكن هذه العظام تشهد لروح القوة التي عاشها النبي، ولم يستطع الموت أن يُحَطِّمها.

وَفِيمَا كَانُوا يَدْفِنُونَ رَجُلاً، إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوُا الْغُزَاةَ،
فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ.
فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ،
وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ،
عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ. [٢١]

إذ كان بعض الإسرائيليين يدفنون إسرائيليًا ورأوا الغزاة، لم يُكَمِّلوا العمل، بل طرحوا الميت في أقرب قبرٍ لهم، وكان قبر أليشَع. أراد الله إعلان قداسة خدامه والمؤمنين المخلصين، إنه يقدس حتى عظامهم بعد موتهم.

بعد موت أليشع النبي، إذ طرح غزاة موآب رجلاً في قبره، ومس الجثمان عظام أليشع عاش، وقام على رجليه (٢ مل ١٣: ٢١). هكذا حملت ذكراه قوة ظهرت من عظامه! وقال السيد المسيح عن المرأة التي كسرت قارورة طيب، وسكبته على رأسه: "الحق أقول لكم حيثما يُكرَز بهذا الإنجيل في كل العالم يُخبَر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها" (مر ١٤: ٩). وقالت القديسة مريم: "هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" (لو ١: ٤٨).

تبقى ذكرى الأبرار تحمل رائحة المسيح الذكية، وتُقدِّم بركات عبر الأجيال، فلا نعجب إن رأينا **القديس غريغوريوس النزينزي** يرثي أخاه القديس قيصريوس ولا ينكر المشاعر البشرية،

---

[1] *On the Second Book of Kings, 13 20*

لكن يطلب أن تكون باعتدال. يقول: [إنه حتى في دموعي وإعجابي يلزمني أن احترم القانون الذي يُنَظِّم هذه الأمور، فإن هذا ليس غريبًا عن فلسفتنا. يقول: **"ذكر الصدِّيق تصحبه البركات"**. وأيضًا لتنهمر الدموع من عيوننا وتبدأ بالرثاء، كمن أُصبتم بضرر عظيم (بموته)، فتنزع عنا عدم الإحساس والمبالغة.]

❖ **"ذكر الصدِّيق يُمتدَح"**. لم يقل هذا ليعني أن النفوس المنتقلة يعنيها مديحنا. إنما قال هذا، لأن الذين يمدحون الراحلين ينالون النفع الأعظم من ذكراهم، لذلك إذ ننال نفعًا كثيرًا من ذكرهم المقدس، ليتنا لا نزدري بكلمات الإنسان الحكيم، بل بالحري نعطي اهتمامًا بها[1].

❖ ليس فقط الأجساد، وإنما مقابر القديسين نفسها مملوءة نعمة روحية. لأنه إن كان في حالة أليشع حدث أن جثمانًا لمس القبر، فتفجَّرت قيود الموت، وعاد إلى الحياة، بالأكثر الآن إذ صارت النعمة في أكثر فيض، وصارت طاقة الروح أعظم، يمكن بلمس القبر بإيمان ننال قوة عظيمة، لهذا سمح الله لنا الاهتمام برفات القديسين، مشتاقًا أن يقودنا إلى الاقتداء بهم، مُقدِّمًا لنا نوعًا من الملجأ، وتعزية آمنة من الشرور التي تحدق بنا[2].

❖ عندما لم يؤمن أحد، قام رجل ميت. فبالنسبة للذين طرحوه، لم يكن من أجل الإيمان، وإنما عن جبنٍ طرحوه، عن غير قصد ومصادفة، من أجل الخوف من فرقة لصوص. أما الشخص نفسه الذي كان ميتًا وطُرِحَ، فلأن جسم الميت (أليشع) كان مقدسًا قام الميت[3].

❖ في مثال أليشع لمس إنسان الجسد فقام، أما هنا فبالصوت أقامهم (الموتى)، بينما كان جسده (أي جسد المسيح المصلوب) لا يزال هنا على الصليب. أنهم ليسوا فقط قاموا، بل والصخور تشققت، والأرض اهتزت، لكي يتعلموا أنه كان قادرًا أن يضرب (صالبيه) بالعمى ويمزقهم أربا... لكنه لا يريد ذلك، فإنه سكب غضبه على العناصر، أما هم فيريد أن يُخلِّصهم بمراحمه[4].

القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم

❖ ليس أحد من الأنبياء بعد موته أقام إنسانًا. لهذا نرى أن روح إيليا استقر مضاعفًا على أليشع.

في الواقع، السلطان الذي وهبه الرب لعظام أليشع هو رمز القيامة وبذرتها. والكرامة التي أُعطيت لها تُظهر المجد الذي سيكون لأجساد القديسين تلتحف به في يوم قيامة كل

---

[1] *Against the Anomoens, homily 6.3*
[2] *Homilies on S. Ignatius and S Babylas, 5.*
[3] *Homilies on Matt Homily 57:3*
[4] *Homilies on Matt. 88*

الأموات[1].

القدّيس أفرآم السرياني

❖ الذين يعيشون مع الله، حتى رفاتهم ليست بدون كرامة. فإن أليشع النبي بعد رقاده، أقام ميتًا... هذا ما كان يمكن أن يحدث لو لم يكن جسد أليشع مقدسًا[2].

قوانين الرسل القديسين

❖ هل قام إنسان ميت بلمسه عظام أليشع؟ أليس من الأسهل أن يقوم خالق البشرية بقوة الآب؟ حسنًا إنه قام حقًا، وبعد قيامته رآه تلاميذه ثانية... ومع هذا لا تزال توجد شكوك من جهة قيامته؟[3]

القديس كيرلس الكبير

❖ أتكلم عن إيليا وعن ابن الأرملة الذي أقامه، وعن أليشع الذي أقام ميتًا مرتين: مرة في حياته وأخرى بعد موته.

لأنه في حياته أتم القيامة بنفسه *his soul* (٢ مل ٤: ٣٤). لكن لكي تُكرم ليس فقط نفوس الأتقياء، بل ولكي يُصدَّق أنه في أجساد الأتقياء تكمن قوة، فالجثة التي أُلقيت في قبر أليشع عندما لمست جسد النبي قامت (٢ مل ١٣: ٢١). فصنع جسد النبي الميت فعل النفس. الذي مات ودُفن أعاد الحياة للميت، ولو أن الذي أعطى حياة (أليشع) استمر وسط الأموات. لماذا؟ لئلا إن قام مرة أخرى يُعزى العمل لـــ "نفسه" فقط، وإنما **ليظهر أنه حتى في غياب "النفس" تسكن فضيلة في أجساد القديسين بسبب النفس النقية التي سكنت به عدة سنين واستعملتها لخدمتها.**

فلا تدعونا نكذب بجهلٍ، كأن هذه الأشياء لم تحدث. لأنه إن كانت المناديل والعصائب التي من الخارج تلمس أجساد المرضى فيشفون، فما بالك بجسد النبي نفسه يقيم الموتى؟[4]

❖ أقام أليشع ميتًا مرتين، مرة وهو حيّ (٢ مل ٢: ١)، وأخرى وهو ميت (٢ مل ١٣: ٢١). فهل تُصدِّق أن أليشع وهو ميت أقام الميت الذي ألقي عليه ولمسه، ولا تصدق أن المسيح قام؟!

لكن في تلك الحالة حين لمس الميت أليشع قام بينما بقيَ أليشع ميتًا... وأمّا هنا، فقد قام الميت الذي نتحدث عنه، وأقام معه كثيرين من الموتى دون أن يلمسوه. لأنه "قام كثير من أجساد

---

[1] *On the Second Book of Kings, 13 21*
[2] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 6 6. 30*
[3] *Orthodox Study Bible*
[4] *Lecture 18 16*

القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة (واضح أنها ذات المدينة التي نحن فيها الآن) وظهروا لكثيرين" (مت ٢٧: ٥٢، ٥٤).

أقام أليشع ميتًا، لكنه لم يهزم العالم.

أقام إيليا ميتًا، لكن الشياطين لا تخرج باسم إيليا.

إننا لا نقول شرًا في الأنبياء، لكننا نُعظِّم سيدهم بالأكثر جدًا، فإننا لا نكرم عجائبنا بامتهاننا عجائبهم، بل نحن نكسب ثقة أكثر بما حدث معهم[1].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ ماذا إن كان الجثمان خاص بأب بطريرك، أو كان خاصًا بإبراهيم نفسه؟ ماذا إن لمس العظام، هل يُحسب دنسًا؟ ماذا إن لمس عظام أليشع التي أقامت شخصًا ميتًا؟ هل يُحسَب دنسًا من لمس عظام للأنبياء، وبالتالي هل يحسبون من أقامتهم العظام دنسًا؟ انظر كيف أن التفسير اليهودي غير لائق! لننظر أولاً ما الذي نلمسه، أية لمسة تجعل الإنسان دنسًا، وأية لمسة تجعله طاهرًا... يقول الرب في الإنجيل: "إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨). لأن قلبه لمس رذيلة الشهوة، وصارت نفسه دنسة. لذلك فإنه إن كان أحد يلمس شيئًا بطريقة ما، سواء كان خلال اشتهاء امرأة أو اشتهاء مال، أو أي نوع آخر من شهوة الخطية، فإنه يلمس ما هو دنس، فيتنجس[2].

العلامة أوريجينوس

❖ لماذا ندهش أن النفس تُشفَى بكلمة الله، والجسد يرجع إلى العظام، إن كنا نذكر أن الميت قام بلمسه جسم النبي (٢ مل ٤: ٣٤؛ ١٣: ٢١)؟ صلى إيليا، وقام الصبي الميت (١ مل ١٧: ٢٢). وبطرس باسم المسيح أمر طابيثا أن تقوم وتتحرك (أع ٩: ٤٠). والفقراء بفرحٍ آمنوا من أجل خدمتها لهم. لقد اشتروا القيامة لآخر (طابيثا) بدموعهم، فهل لا نؤمن نحن أن نشتري قيامتنا بآلام المسيح؟![3]

القديس أمبروسيوس

❖ إن كان جثمان أليشع أقام ميتًا، كم بالأكثر يفعل الله عندما يحيي أجساد الموتى، ويحضرهم للدينونة؟![4]

القديس ايريناؤس

---

[1] *Lecture 14: 16.*
[2] *Origen: Homilies on Leviticus, 3:3.1,2.*
[3] *On Belief in the Resurrection, Book 2:83*
[4] *Fragments from the Lost Writings of Irenaeus, 35.*

يصور لنا **القديس مار يعقوب السروجي**[1] في ميمره الرائع عن عظام أليشع النبي، إمكانيات النعمة الإلهية التي تهب عظام الأبرار المدفونة في القبور قوة وقدرة وكرامة. ماذا يرى مار يعقوب السروجي إلا ما نختبره نحن بسُكنَى روح الله القدوس فينا:

١. لم تتسلل الشهوات إلى جسد أليشع بعظامه، لهذا صارت عظامه كنزًا مملوء حبًا وحنانًا. هذه هي عطية الروح القدس لنا الذي يقدسنا، فننعم بالحب عوض الشهوات، ونمتلئ حنانًا لمن يقترب إلينا، حتى وإن كان ميتًا بالخطايا!

٢. قبر أليشع تسكنه قوة فائقة. وكما قال السيد المسيح لتلاميذه ألا يبرحوا أورشليم حتى يُلبَسوا قوة من الأعالي (أع ١: ٤-٨).

٣. تفيض أجسادهم كما عظامهم بأشفيةٍ روحيةٍ، هي عطية الصليب (شجرة الحياة).

٤. يُشبِّه مار يعقوب جسد الأبرار بنهرٍ أو ينبوعٍ في جنة عدن، خلاله يحمل المؤمن ثمار الروح المُفرِحة.

٥. يقول أن أليشع مات عن العالم ببهجة وجه، أي وهو متهلل؛ إنها عطية الفرح التي لا تفارقه. جاءت وصية السيد المسيح: "اغسل وجهك، لئلا يظهر للناس صيامك"، أي ليكون لك وجه مبتسم وناضر، لأن الثلاثة فتية كان وجههم أفضل من آكلي الملذات.

٦. عظْام أليشع النبي جعلت الموت أضحوكة، نسخر به!

❖ تراب الأبرار الذي تَبَدَّد في الهاوية على الغبار، هو ذهب مختار، وينبوع مملوء بكل الخيرات.

الجسد الطاهر، الذي لم يتدنس بالشهوات، هو تراب الأبرار، وهو كنز الذخيرة الموجود فيه الحنان لمن يقترب منه.

في رميم عبيد الرب تسكن القوة، ومثل جبابرة يفتقدون الموضع القريب منهم.

تفوح روحيًا كل يومٍ رائحة ذكية من عظامهم، لا يشبهها الدهن الطيب...

يجري من أجسادهم جيحون (تك ٢: ١٣) من أجل كل الأشفية، التي كانت تنمو في جوار شجرة الحياة.

كل موت البشر هو موت، موت الصالحين هو شيء آخر بالنسبة لمن يذوقه.

مات الأثيم واستقبلته الحفرة المملوءة رعبًا، ومات البار فعبر قافزًا فوق فخاخ الشرير.

من الخاطي تفوح رائحة كريهة بموته، أما الصديق فهو مبخرة اللاهوت المختارة.

ما أن يبعده الموت من العالم إلى العالم الكبير، حتى يدخل ويقوم في موضعه، ويشرع

---

[1] الميمر ٣٥ على اليشع لما عاش ميت على عظامه (٢ مل ١٣: ٢١) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني). راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٥٩-١٧٨.

يهتم برفاقه.

جسد الأبرار يحمل كل يومٍ كل معونةٍ لمن يقترب منه، **كينبوع عدن المبارك.**

بالموت يقترب الإنسان الإلهي من الله، ومثل وكيلٍ يُوَزِّع الغِنَى على المحتاجين.

لقد عرق في الجهاد، ونال الإكليل في المعركة، وصعد من محاربة البرّ بالنصرة.

رقد في الله وها هي الحياة مستيقظة فيه كل يومٍ، مات عن العالمِ وصار حيًا لربّه ببهجة الوجه[1].

❖ مات أليشع الذي أحيا ابن المؤمنة (الشونمية)، وبعد موته بعثت رفاته أيضًا الحياة.

لم يكن النبي ميتًا بموته، بل كان حيًا، حتى أعطى الحياة للآخرين.

نفس القوة التي كانت موجودة فيه قبل أن يموت، لبثت فيه حين مات، (وفي موته) كان حيًا، وصنع كل خيرٍ.

وُضعت جثة الرجل الإلهي في القبر، وفيه ظهرت حياة الموتى بعجبٍ عظيمٍ.

كان النبي مصفوفًا بين الموتى بعجبٍ عظيمٍ، وفيه كانت قوته التي سكنت فيه أثناء حياته.

دُفِنَ أليشع، وفيه نُفثت الحياة الجديدة، ليعطيها أيضًا لآخر إن اقترب منه.

الرب هو الحيّ، والقديسون هم أيضًا أحياء معه، وإذ يموتون فيه يُدفَنون وهم أحياء له.

هلموا نتعجب برجلٍ أحيا ميتًا وهو ميتٍ، وإذ كان راقدًا بسط الحياة لذاك الذي دنا منه.

كان جبَّارًا حين كان حيًا، وأيضًا وهو ميت. قوته لم تضعف في العمل حتى أثناء الموت.

حين كان حيًا أحيا ابن المُمجَّدة، وحين كان ميتًا أحيًا آخر، وتضاعف العجب.

قيامة الميت عظيمة جدًا لمن يتأمل فيها، ولكن إن أحيا ميتٌ ميتًا، فكم يعجب المرء؟

يوم كان أليشع حيًا أحيا ميتًا، وحين مات اهتم أيضًا بحياة الموتى.

لم يستطع الموت أن يأخذ منه قوته، فكانت قوته الفاعلة قوية كما لو كان أثناء حياته.

عندما كان حيًا طمر فيه روحًا محييًا، وعندما مات لم ينطفئ من الاضطرام فيه.

عندما كان في العالم استنار بالله كالمصباح، لهذا لم يجعله الموت مُظلِمًا في القبر.

ذاك اللهيب الباعث اضطرم فيه، وبعد موته أظهر قوته المستيقظة فيه.

طمر في جسده البتولية والقداسة، فأنبتت عظامه حياة الموتى إلهيًا.

يا له من قول عجيب: حُبس الميت في القبر وصمت، ونبعت منه قوة تُحيي الميت في

---

[1] الميمر ٣٥ على اليشع لما عاش ميت على عظامه (٢ مل ١٣: ٢١) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني). راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٦٤-١٦٥.

الهاوية[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٥. تحقيق نبوة أليشع مع يوآش

بسبب شرور إسرائيل ضايقهم حزائيل ملك أرام كل أيام يهوآحاز، لكن "حَن الرب عليهم ورحمهم والتفت إليهم، لأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، ولم يشأ أن يستأصلهم، ولم يطرحهم عن وجهه" [٢٣]. يبقى الله أمينًا بالرغم من عدم أمانتنا!

وَأَمَّا حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرام،
فَضَايَقَ إِسْرَائِيلَ كُلَّ أَيَّامِ يهوآحاز، [٢٢]

فَحَنَّ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ،
لأَجْلِ عَهْدِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ،
ولَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ،
ولَمْ يَطْرَحْهُمْ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى الآنَ. [٢٣]

سمح الله لحزائيل ملك أرام أن يضايق إسرائيل لتأديبه، لكن وسط هذا الضيق، "حنّ الرب عليهم ورحمهم والتفت إليهم، لأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، ولم يشأ أن يستأصلهم، ولم يطرحهم عن وجهه حتى الآن" [٢٣].

ثُمَّ مَاتَ حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرام،
وَمَلَكَ بَنْهَدَدُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٤]

إذ مات حزائيل، ملك ابنه بنهدد الثالث (٨٠٢-٧٨٠ ق. م).

المدن التي استرجعها يوآش ليست مذكورة سابقًا، وربما كانت شرقي الأردن. وكان بنهدد قد أخذها من يهوآحاز حينما كان قائدًا عند أبيه حزائيل.

فَعَادَ يُوآشُ بْنُ يهوآحاز،
وَأَخَذَ الْمُدُنَ مِنْ يَدِ بَنْهَدَدَ بْنِ حَزَائِيلَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ يَدِ يهوآحاز أَبِيهِ بِالْحَرْبِ.
ضَرَبَهُ يُوآشُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،
وَاسْتَرَدَّ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ. [٢٥]

كما تنبأ أليشع ضرب يوآش أرام ثلاث مرات، واسترد مدن إسرائيل، أما النصرة الكاملة

---

[1] الميمر ٣٥ على اليشع لما عاش ميت على عظامه (٢ مل ١٣: ٢١) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني). راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٦٦-١٦٨

على أرام، فتحققت في أيام ابنه يربعام الثاني.

من وحي ٢ مل ١٣

قدّسني واسندني بنعمتك!

❖ ها أنا بين يديك أعترف بخطاياي وضعفاتي.
من يقدّسني غيرك، يا أيها القدوس.
ليعمل روحك القدوس فيّ،
وليجعل الخطية مُرَّة في حلقي،
فلا أترك لها موضعًا في داخلي.
لأقتنيك أيها القدوس،
فيهرب الشر من أعماقي.
في لطفك بي كما في تأديباتك، لا تتركني إلى الغاية.
لتكن عيناك عليّ، فتقيمني من التراب.

❖ عدو الخير يترقب أن يطأني بقدميه،
فأصير تحته كالتراب، لكن يعجز عن أن يحطّمني!
تحوِّل ضرباته لي إلى فرصٍ للتوبة الصادقة.
ليُحطِّم العدو القش الذي ملأ أعماقي.
أما الحنطة وثمر الروح فلا يقترب إليهما.

❖ وضع نبيّك أليشع يده على يديّ الملك الماسك القوس.
ألقى الملك بالسهم،
فإذا به سهم خلاص الرب من أرام.
أي قوس أحمله سوى وعودك الإلهية.
لتمتد يدّ الكنيسة، وتضعها على يديّ،
فأتمتع بقوتك الفائقة.
لألمس مع الكنعانية هُدْبَ ثوبك، أي ألتصق بكنيستك المقدسة،
فأنعم بقوتك الشافية واهبة الخلاص.
هبْ لي ألا أتوقف عن الجهاد بنعمتك،

حتى تملك في قلبي وكل كياني.

❖ خاف حاملو النعش من الغزاة،
فألقوا بالميت في قبرٍ بجوارهم.
لمس الميّت عظام أليشع، فقام الميت للحال.
أُعلنتْ قوتك المحيية خلال عظام النبي،
دفعتنا أيها القدوس أن نختبر قوة قيامتك فينا.

❖ لنعش معك، فنحيا بك، ونحمل قوة قداستك.
دعاه ملك إسرائيل أباه الذي يحميه:
"يا أبي، يا أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها!"
وها هي عظامه الجافة في داخل القبر،
تحنو على ميِّت وتُعلِن حبها له،
وتهبه هو وأسرته فرحًا فائقًا!
أبوّته تصدر من نفسه كما من جسده وعظامه!

❖ سمحتَ لأليشع النبي أن يُقيمَ صبيًا في حياته،
ويُقيم رجلاً في موته بلمس عظامه!
لتُعلِنَ أن نفسه مُقدَّسة بك، موضع سرورك،
حتى عظامه بعد مفارقة نفسه لجسده مُقَدَّسة!
أنت تكرِّم نفوس قديسيك، وأيضًا أجسادهم!
تكرِّم عظامهم، والخِرَق التي على أجسادهم!
تكرِّم رفاتهم وظلّهم، كما فعلت مع بطرس رسولك!

❖ لك المجد يا أيها القائم من الأموات،
أقمتَ الموتى من القبور دون أن تلمسهم،
وأخرجتَ الذين في الجحيم، وعَبَرتَ بهم إلى فردوسك.
أقمتَ الموتى، ولم تَبقَ في القبر ميتًا كأليشع.
وستقيم كل الأموات عند مجيئك على السحاب!

اَلأَصْحَاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ

أمصيا ملك يهوذا ويربعام الثاني ملك إسرائيل

ينتقل بنا السفر من الحديث عن يهوآحاز ويوآش ملكيّ إسرائيل إلى الحديث عن أمصيا ملك يهوذا [١-٢٢]، ثم عن يربعام الثاني ملك إسرائيل [٢٣-٢٩].

تكشف قصة أمصيا ملك يهوذا عن ضرورة الاهتمام بالمثابرة حتى النَفَسِ الأخير، فكثيرون بدأوا بالروح، وبسبب تراخيهم وتسيبهم لم يكملوا الطريق في الرب، إنما أكملوا بالجسد (غل ٣: ٣). لهذا قيل: "من يصبر إلى المنتهى يخلص" (مت ١٠: ٢٢؛ ٢٤: ١٣؛ مر ١٣: ١٣).

بدأ أمصيا بداية صالحة، وكان مثلاً عمليًا لتثبيت العدالة في الأرض، والطاعة لوصية الله (تث ٢٤: ١٦)، لكنه لم يصبر إلى المنتهى، فإنه إذ نال نصرة عظيمة على أدوم، أعطى القفا لله لا الوجه، تشامخ وعبد آلهة غريبة، فسقط.

يوصينا الرسول بولس: "فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقل، كما قسَمَ الله لكل واحدٍ مقدارًا من الإيمان" (رو ١٢: ٣). عندما يُثبِّت المؤمن عينيه على الله، تُقدِّم له نصرته تواضعًا أكثر، فيتمجد الله فيه. وعندما يسحب عينيه عن مخلصه، تُقدِّم له نصراته تشامخًا، فتقوده إلى تحطيمه.

❖ يليق بنا أن نصبر مثابرين أيها الإخوة الأحباء، حتى إذ ننعم بالرجاء في الحق والحرّية ننال الحق والحرّية ذاتها[1].

❖ أيًا كان ما قبل النهاية فهي خطوة بها نصعد إلى قمة الخلاص[2].

القدّيس كبريانوس

١. أمصيا يقتل قاتلي أبيه	١-٦.
٢. إخضاع أدوم	٧.
٣. هزيمته أمام يوآش	٨-١٤.
٤. يربعام الثاني يملك على إسرائيل	١٥-١٦.
٥. اغتيال أمصيا	١٧-٢٢.
٦. شر يربعام وعظمته	٢٣-٢٧.
٧. هزيمة سوريا أمامه	٢٨.

---

[1] *Treat. 9:13*
[2] *Unity of Church 21.*

٨. موته ٢٩.

١. أمصيا يقتل قاتلي أبيه

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِيُوآشَ بْنِ يهوآحاز مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
مَلَكَ أَمَصْيَا بْنُ يَهُوآشَ مَلِكِ يَهُوذَا. [١]

"أمصيا" معناها "الرب قدير". وهو أحد ملوك يهوذا الأتقياء القلة القليلة. وكان أفضلهم حزقيا (١٨: ١) ويوشيا (٢٢: ١). جاء عنه في أخبار الأيام الثاني: "وعمل المستقيم في عينيّ الرب، ولكن ليس بقلبٍ كاملٍ" (٢٥: ٢).

كَانَ ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ.
وَمَلَكَ تِسْعاً وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ يَهُوعَدَّانُ مِنْ أُورُشَلِيمَ. [٢]

وَعَمِلَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
وَلَكِنْ لَيْسَ كَدَاوُدَ أَبِيهِ.
عَمِلَ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ يَهُوآشُ أَبُوهُ. [٣]

يهتم الكتاب المقدس أن يذكر إن كان الملك قد عمل ما هو مستقيم في عيني الرب، أم كان شريرًا، فإن هذا الأمر يُعتبَر أهم سمة في حياة الملك، بل وفي حياة كل إنسانٍ.

عمل أمصيا ما هو مستقيم في عينيّ الرب، ولكن ليس كداود أبيه. لم يُذكَر عن أحدٍ من الملوك عمل ما هو مستقيم في عيني الرب كداود سوى آسا (١ مل ١٥: ١١).

من خطايا أمصيا، سجوده لآلهة أدوم بعد أن انتصر عليهم، ورفضه إنذار رجل الله وكبرياؤه (٢ أي ٢٥: ١٤-١٦، ١٩).

إِلاَّ أَنَّ الْمُرْتَفَعَاتِ لَمْ تُنْتَزَعْ،
بَلْ كَانَ الشَّعْبُ لاَ يَزَالُونَ يَذْبَحُونَ وَيُوقِدُونَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ. [٤]

للأسف سمح أمصيا بالعبادة في المرتفعات، هذه التي فتحت الطريق لعبادة الأوثان في حياته كما أثناء الملوك الذين خلفوه (١٦: ٤؛ ٢١: ٣).

وَلَمَّا تَثَبَّتَتِ الْمَمْلَكَةُ بِيَدِهِ قَتَلَ عَبِيدَهُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمَلِكَ أَبَاهُ. [٥]

قتل عبيده الذين اغتالوا والده، لأنهم يُمثِّلون خطرًا على حياته وعلى المملكة أيضًا.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ أَبْنَاءَ الْقَاتِلِينَ حَسَبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى،

حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ:
لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ مِنْ أَجْلِ الْبَنِينَ،
وَالْبَنُونَ لاَ يُقْتَلُونَ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ.
إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ يُقْتَلُ بِخَطِيَّتِهِ. [٦]

لم يمد يده على أبنائهم، أي لم يقتل أبناء القاتلين، بهذا نفذ ما ورد في شريعة موسى (تث ٢٤: ١٦)، وليس حسب العادات القديمة (يش ٧: ٢٤؛ ٢ مل ٩: ٢٦). قال أحد شعراء اليونانيين: من قتل إنسانًا ولم يقتل أولاده فهو غبي؛ إذ كان يجب أن يعرف أن أولاده سينتقمون لأبيهم.

اهتم حزقيال النبي بالحديث عن المسئوليَّة الشخصيَّة في شيءٍ من التفصيل في الأصحاح الثامن عشر. ليس لدى الله محاباة، نفْس الأب كنفْس الابن، أو كما يقول: "ها كل النفوس لي. نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت" (حز ١٨: ٤).

❖ النفس التي لا تسكن في الله هي مصدر شرورها، فتخطئ، والنفس التي تخطئ هي نفسها تموت[١].

القديس أمبروسيوس

٢. إخضاع أدوم

هُوَ قَتَلَ مِنْ أَدُوم فِي وَادِي الْمِلْحِ عَشَرَةَ آلاَفٍ،
وَأَخَذَ سَالِعَ بِالْحَرْبِ،
وَدَعَا اسْمَهَا يَقْتَئِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. [٧]

جاء الحديث عن نصرته على أدوم بأكثر تفصيل في ٢ أي ٢٥: ٥-١٥.

لماذا قال الكتاب المقدس أن أمصيا "عمل ما هو مستقيم في عيني الرب" (٢ مل ١٤: ٣)، بينما "قتل من أدوم في وادي الملح عشرة آلاف" (٢ مل ١٤: ٧)، بالرغم من أن الناموس يدين ذلك: "لا تكره أدوميًا، لأنه أخوك" (تث ٢٣: ٧)؟ لم يشر النص أنه قتل الأدوميين لكرهه إياهم، فربما جاء هذا من باب المعاملة بالمثل. كما أن عقابه لهم كان وفقًا للناموس، فلم يقتل البنين من أجل ذنوب الآباء[٢].

سالع: يدعوها الرومانيون بترا، هي حصن البتراء القديم، وهي مدينة حُفرتْ في شق صخري، في منتصف المسافة بين أريحا وجبل سيناء، وتُدعَى حاليًا وادي موسى. لم تكن حصنًا لأدوم فحسب، بل كانت مركزًا للتجارة مع الهند.

---

[1] *Isaac or the Soul 7:16.*

[2] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill.: Victor Books. Geisler، N. L.، & Howe، T. A. (1992).*

لقد قام بخطة منظمة ودقيقة، فعمل إحصائية عامة للرجال القادرين على الدخول في المعركة، من سن ٢٠ عامًا فأكثر (٢ أي ٢٥: ٥). لكنه أخطأ إذ لم يطلب مشورة الله، وإنما التجأ إلى إسرائيل، واستأجر منه ألف جبّار بأس بمئة وزنة من الفضة. لذلك جاء إليه رجل الله يحذّره بأن الله لن يأتِ معه، لأنه ليس مع إسرائيل (٢ أي ٢٥: ٦-٨).

غير أن نصرة أمصيا على أدوم وسبيه عشرة آلاف منهم لم يكن نجاحًا حقيقيًا. لأنه عند عودته من ضرب الأدوميين أتى بآلهتهم، وأقامهم له آلهة، وسجد أمامهم، وأوقد لهم (٢ أي ٢٥: ١٤).

فمع سماعه لصوت رجل الله، وإطلاقه لرجال البأس الإسرائيليين إلى بلدهم، عندما غلب أدوم، ظن أنه غير محتاج إلى الله، وعبد آلهة أدوم؛ كما سقط في التشامخ، وطلب النزول في معركة مع إسرائيل، انتهت بهزيمة بلده ودماره.

٣. هزيمته أمام يوآش

حِينَئِذٍ أَرْسَلَ أَمَصْيَا رُسُلاً إِلَى يُوآشَ بْنِ يهوآحاز بْنِ يَاهُو مَلِكِ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: هَلُمَّ نَتَرَاءَ مُواجَهَةً. [٨]

- "**هلمَّ نتراء مواجهة**"، تعبير يشير إلى الدعوة للدخول معًا في معركة كما يظهر من [١١-١٢].

يبدو أن هناك أكثر من عامل دفعه أن يطلب الدخول في مواجهة عسكرية مع ملك إسرائيل. العامل الأول أن أمصيا كان قد استأجر بعض جباري البائس من إسرائيل لمساندة جيشه ضد أدوم. وإذ حذّره رجل الله منهم، لأن الله تخلّى عن إسرائيل، ردهم إلى أماكنهم. اغتاظوا للموقف، فقاموا باقتحام بعض مدن يهوذا (١ أي ٢٥: ١٣). أما العامل الثاني فهو أن أمصيا بنصرته على أدوم تشامخ وتكبّر، مع أنه بعد أن انتصر عليهم سجد لآلهتهم وأوقد لهم (٢ أي ٢٥: ٤).

بالرجوع لسفر أخبار الأيام الثاني ١٣:٢٥ نجد أن إسرائيل اقتحمت عدة مدن، ويبدو أن أمصيا أراد استردادها، فرفض ملك إسرائيل. طلب ملك يهوذا أمصيا الحرب وكان كل من ملك يهوذا وملك إسرائيل متشامخين، فهذا قد ضرب أدوم قبلها، وذاك قد ضرب أرام قبل ذلك.

كان يليق بأمصيا أن ينصت إلى قول الحكيم: "قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦: ١٨)، وأيضًا قوله: "كمُمسِكٍ أذنيّ كلب، هكذا من يعبُر ويتعرض لمشاجرة لا تعنيه" (أم ٢٦: ١٧). فقد سقط أمصيا في الكبرياء، كما في إثارة معركة مع أخيه ملك إسرائيل كان في غِنَى عنها.

❖ **سُئل أنبا مقار:** "أيما أعظم الفضائل؟" فأجاب: "إن كانت الكبرياء هي أشرّ الرذائل كلها حتى أنها طرحت طائفةً من الملائكة من علو السماء، فبلا شك يكون التواضع هو أعظم الفضائل كلها لأنه قادر أن يَرفع المتمسِّك به من الأعماق إلى السماء ولو كان خاطئًا. ولذلك أعطى الرب الطوبى للمساكين بالروح."

❖ **قال أنبا إيسيذورس:** "إذا صُمتَ بانتظام فلا تنتفخ بالكبرياء، ولكن إذا ارتفعتَ بفكرك بسبب ذلك، فمن الأفضل لك أن تأكل لحمًا، لأنه خيرٌ للإنسان أن يأكل لحمًا من أن ينتفخ بالكبرياء ويُمجِّد نفسه".

❖ **قال القديس بفنوتيوس:** "عندما يغمر الكبرياء إنسانًا، ويتباهى بجمال أحاديثه، وينسب هذا الجمال أو فيض معرفته ليس لله بل لنسكياته أو معرفته الخاصة به؛ حينئذٍ يُبعِد الله عنه ملاك العناية الإلهية. وعندما يُبعَد هذا الملاك يُبتلَى الإنسان من العدو، ويتباهى بقدرته الطبيعية، ثم يسقط في النجاسة بسبب إعجابه بنفسه المملوءة بالكبرياء. وهكذا تُنزَع منه حكمته، وحينئذٍ فإن كلامه لا يؤهِّله للثقة فيه. ففي الحقيقة إنّ الأتقياء يهربون من التعاليم الخارجة من فم مثل هذا الإنسان وكأنه ينبوع للطفيليات."

❖ **قال الأب إيليا:** "ماذا يمكن أن تفعله الخطية حيث توجد توبة؟ وما هي منفعة المحبة حيث يوجد كبرياء؟!"

❖ **سُئل أنبا لنجينوس:** "ما هي أعظم الفضائل كلها أيها الأب؟" فقال الشيخ: "أعتقد كما أن الكبرياء هي أسوأ الشرور كلها، حتى طرحت البعض من السماء ذاتها؛ هكذا التواضع بالتأكيد أعظم الفضائل، لأنه يستطيع أن يرفع الإنسان من الهاوية ذاتها، رغم أنّ الخاطئ نفسه يكون قد صار مثل الشيطان، وأيضًا طوَّب الرب المساكين بالروح قبل جميع المطوَّبين الآخرين."

❖ **قالت الأم ثيئودورا:** "على المُعلِّم أن يكون غريبًا عن شهوة التسلُّط والمجد الباطل والكبرياء، ولا يجب أن يخدعه أحدٌ بالتملُّق ولا أن يُعميه بالهدايا، ولا أن يتغلَّب عليه بواسطة شهوة البطن، ولا أن يتسلَّط عليه بالغضب. بل عليه أن يكون صبورًا لطيفًا متواضعًا بقدر ما يستطيع، ويجب أن يختبر بدون عصبية أو تحزُّب، وأن يكون مملوءًا بمحبة النفوس والاهتمام بها."

فردوس الآباء

❖ فلنهرب من المجد الباطل والكبرياء، ولنذكر كل حين كرامة ومجد العالم العتيد. وكما أظن، فإن المجد الباطل يتغلَّب على معرفة الله، لأنّ الذي يسقط في هذا الوجع الخبيث يكون غريبًا

عن السلام قاسي القلب، وهو يقاتل القديسين[1].

الأنبا إشعياء

❖ "كيف نهبط إلى التواضع الملائم بالتخلّي عن عجرفة الكبرياء المُهلكة؟ ذلك إذا مارسناه (أو تدرّبنا عليه) بدون توقف، وإذا تحققنا أنّ لا شيء مضرّ لنا جدًا مثل الكبرياء. فالنفس تصير مشابهة لما تنشغل به (أو تكرّس نفسها له)، وهي تلتزم بما تفعله، وتتبنّى المواقف المناسبة.

القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس

❖ الذين يعترفون بخزيهم يدوسون الشيطان تحت أقدامهم. وكما يقول الآباء القديسون: إذا هبط التواضع حتى الجحيم يرتفع إلى السماء، وإذا ارتفعت الكبرياء إلى السماء تهبط إلى الجحيم.

القديس زوسيما

العجيب أن أمصيا تجاهل عمل الله معه بمجرد نواله النصرة، فلم يسقط في الكبرياء فحسب، بل وأعجب بالأصنام التي عجزت عن الدفاع عن عابديها وسجد لها. لقد دفع أمصيا وكل مملكته ثمنًا للعناد والتشامخ وتَرك الله الحيّ، والثقة في عبادة الأوثان أو الآلهة الغريبة (٢ أي ٢٥: ١٤-١٦، ١٩).

يُحذِّر الحكيم من السقوط في عبادة الأصنام وممارسة رجاساتها، إذ يربط عبادة الأوثان بالزنا، قائلاً: "إن فكرة صناعة الأصنام هي أصلُ الزنا، واختراعها فساد للحياة" (حك ١٤: ١٢). أما سرّ ارتباط العبادة الوثنية بالزنا، فهو أن علاقة المؤمنين بالله كعلاقة العروس بعريسها، فإن أعطوا ظهورهم له ليرتبطوا بآلهة وثنية، يكونوا قد سقطوا في خيانة زوجية. لذلك قيل عن إسرائيل الخائنة: "أين كتاب طلاق أمكم؟" (إش ١٥:٢٠)، كما قيل: "احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم، ويذبحون لآلهتهم، فتُدعى وتأكل من ذبيحتهم، وتأخذ من بناتهم لبنيك. فتزني بناتهم وراء آلهتهن، ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن" (خر ٣٤: ١٥-١٦).

أصل الوثنية هو فساد فكر الإنسان والخيانة لله الخالق، والذي يُحسَب زنا للنفس التي تتخلى عن اتحادها بخالقها لترتبط بأوثانٍ ملعونة.

❖ لاكتشفت (عبادة الأصنام) بين البشر لا لسبب سوى وجود الشهوات بين الذين تخيلوها[2].

❖ إذ اختبرت النفس البشرية شتى الملذات، وتناست الإلهيات، وسُرت بالأكثر بملذات الجسد التي وضعتها نصب عينيها، ولم تحفل بشيءٍ سوى بالأشياء الحاضرة والتأمل فيها، لم تعد تفكر أنه

---

[1] من تعاليم الأب إشعياء للمبتدئين.

[2] *Contra Gentes, 9: 4.*

يوجد خير سوى الأشياء الوقتية والجسدية. لذلك فإنها، وقد تحولت وتناست أنها كانت على صورة الله الصالح، لم تعد بالقوة التي بها ترى الله الكلمة الذي خُلقت على مثاله. لكنها إذ ابتعدت عن نفسها، صارت تتوهم وتتخيل ما ليس له وجود[1].

❖ إذ فقد أناس العصر السابق عقولهم، وغرقوا في الشهوات وأوهام الأشياء الجسدية، ونسوا معرفة الله ومجده لبلادة عقولهم، أو بالأحرى لانعدام عقولهم، فإنهم جعلوا لأنفسهم آلهة من الأشياء المنظورة، ممجدين المخلوق دون الخالق الإله، ومؤلهين المصنوعات دون السيد علتها وخالقها[2].

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ من يخدم آلهة باطلة هو دون شك زانٍ من وراء الحق، لأن كل بطلان هو زنا. هكذا يغطس في الزنا[3].

العلامة ترتليان

❖ سعيدة هي راحيل التي اخفت أصنام الأمم الباطلة، وأعلنت أن صورهم مملوءة عدم طهارة. ولا يعتقد أحد أنها قد أساءت إلى تكريم والدها ووقارها له كأب، لأنها جلست بينما كان هو واقفًا (تك ٣١:٣٥). إذ مكتوب: "من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني" (مت ١٠:٣٧)[4].

المرأة التي تزني لا تلتصق برجلها، لا تكون جسدًا واحدًا معه (١ كو٦:١٥-١٦)، بل تعزل نفسها وتفصل نفسها عنه بزناها. هكذا كل نفسٍ لا تلتصق بالله بل تسلك في الزنا بخضوعها لعبادة الأصنام الباطلة تنفصل عن الرب بدنس المقدسات المُفجع، بينما كان يلزم أن تلتصق به. ومن يعتزل الرب يهلك[5].

القديس أمبروسيوس

فَأَرْسَلَ يُوآشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ إِلَى أَمَصْيَا مَلِكِ يَهُوذَا قَائِلاً:
الْعَوْسَجُ الَّذِي فِي لُبْنَانَ أَرْسَلَ إِلَى الأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ، يَقُولُ:
أَعْطِ ابْنَتَكَ لابْنِي امْرَأَةً.
فَعَبَرَ حَيَوَانٌ بَرِّيٌّ كَانَ فِي لُبْنَانَ وَدَاسَ الْعَوْسَجَ. [٩]

جاءت إجابة يوآش على أمصيا في شكل قصة رمزية، مُشبِّهًا أمصيا بالعوسج كما شبَّه

---

[1] *Contra Gentes, 8:1.*
[2] *Contra Gentes, 8:3.*
[3] *On Idoltary,1.*
[4] *Jacob and the Happy Life, 5:25.*
[5] *The Prayer of Job and David, Book 3:11:30.*

نفسه بأرز لبنان. أراد يوآش أن يعيد أمصيا النظر في تصرفاته ليكون واقعيًا. نُصرته على أدوم لم تُغيِّر من واقعه بكونه كالعوسج الذي لا وجه للمقارنة بينه وبين أرز لبنان. وهو يشبه إنسانًا محتقرًا يطلب من أحد الأشراف أن يعطي ابنته زوجة لابنه.

يُشَبِّه يوآش أمصيا بالعوسج، وهو من أدنى الأشجار، التي يطأها أي حيوان برّي فيُحطِّمها. ويُشبِّه نفسه بالأرز في لبنان الذي لا يُقارَن بالعوسج، فالأرز من أعظمها وأشرفها. وكأن يوآش يرى في أمصيا الشخص المُحتقَر، إذ يطلب الدخول في معركة مع يوآش، يظن أنه على قدم المساواة، ويخطئ التقدير لنفسه كما ليوآش.

إِنَّكَ قَدْ ضَرَبْتَ أدوم فَرَفَعَكَ قَلْبُكَ.

تَمَجَّدْ وَأَقِمْ فِي بَيْتِكَ.

وَلِمَاذَا تَهْجِمُ عَلَى الشَّرِّ، فَتَسْقُطَ أَنْتَ وَيَهُوذَا مَعَكَ؟ [١٠]

لقد حذَّره من كبريائه؛ إذ أراد ملك يهوذا الدخول في حرب مع إسرائيل. لقد بالغ أمصيا في تقدير قوته بعد هزيمته للأدوميين، فكان يطمع في الاستيلاء على إسرائيل فانهزم، وانهدم سور مدينة أورشليم على امتداد حوالي مائتي مترٍ، وفقد ذهب الهيكل وفضته.

فَلَمْ يَسْمَعْ أَمَصْيَا.

فَصَعِدَ يُوآشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَتَرَاءَيَا مُوَاجَهَةً،

هُوَ وَأَمَصْيَا مَلِكُ يَهُوذَا فِي بَيْتِ شَمْسَ الَّتِي لِيَهُوذَا. [١١]

بسبب كبرياء أمصيا انطلق يهوآش ليحارب أمصيا في داخل مملكته. اسم المدينة التي ألقى فيها يهوآش القبض على أمصيا "**بيت شمس**". يشير الاسم إلى أنه كان يوجد فيها معبد للإله شمس في أيام الكنعانيين. كانت في وادي *Sorek* على بعد ١٥ ميلاً غرب أورشليم. وهي المدينة التي وُضِعَ فيها تابوت العهد عندما ردَّه الفلسطينيون (١ صم ٦: ١٠-٧: ٢).

بيت شمس هي عين شمس الحالية، التي تبعد عن أورشليم نحو ٢٠ ميلاً إلى جهة الغرب. واضح أن يوآش أخذ طريق السواحل في أرض الفلسطينيين، ثم صعد إلى أورشليم عن طريق بيت شمس.

فَانْهَزَمَ يَهُوذَا أَمَامَ إِسْرَائِيلَ،

وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ. [١٢]

"**هربوا كل واحدٍ إلى خيمته**": عبارة أو اصطلاح يعني الطرد الكامل للمحاربين وتراجعهم عن أرض المعركة.

وَأَمَّا أَمَصْيَا مَلِكُ يَهُوذَا ابْنُ يُوآشَ بْنِ أَخَزْيَا،
فَأَمْسَكَهُ يُوآشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ شَمْسٍ،
وَجَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ،
وَهَدَمَ سُورَ أُورُشَلِيمَ مِنْ بَابِ أَفْرَايِمَ إِلَى بَابِ الزَّاوِيَةِ،
أَرْبَعَ مِئَةِ ذِرَاعٍ. [١٣]

هدم ٤٠٠ ذراعٍ (حوالي ٦٠٠ قدمٍ) من السور يُعتبَر عمل خطير، إذ يُمكن للجيش الذي يهجم على أورشليم الدخول بسهولة.

لم يهدم سور المدينة ليدخلها، إنما لكي ينزع عنها كل وسيلة للحماية.

وَأَخَذَ كُلَّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَمِيعَ الآنِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ،
وَالرُّهَنَاءَ، وَرَجَعَ إِلَى السَّامِرَةِ. [١٤]

لم يكن هدف يهوآش إلى قتل أمصيا والاستيلاء على يهوذا، إنما اكتفى بأخذ رهائن، وسلب كل خزينة الهيكل والقصر الملكي.

لم يكن الذهب كثيرًا، لأن أباه يوآش كان قد أرسل كل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب وبيت الملك إلى حزائيل ملك أرام (١٢: ١٨).

الرهناء: هم أناس من عظماء يهوذا أخذهم يوآش ليكونوا عنده رهينة في السامرة، يُقتَلون إن لم يقم أمصيا بتنفيذ ما تعهَّد به.

رجع بجيشه إلى السامرة، ليستخدمه في محاربة الأراميين.

٤. يربعام الثاني يملك على إسرائيل

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يُوآشَ الَّتِي عَمِلَ وَجَبَرُوتُهُ،
وَكَيْفَ حَارَبَ أَمَصْيَا مَلِكَ يَهُوذَا،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١٥]

ثُمَّ اضْطَجَعَ يُوآشُ مَعَ آبَائِهِ،
وَدُفِنَ فِي السَّامِرَةِ مَعَ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ.
وَمَلَكَ يَرُبْعَامُ ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ. [١٦]

٥. اغتيال أمصيا

وَعَاشَ أَمَصْيَا بْنُ يَهُوآشَ مَلِكُ يَهُوذَا بَعْدَ وَفَاةِ يُوآشَ بْنِ يهوآحاز مَلِكِ إِسْرَائِيلَ خَمْسَ

عَشَرَةَ سَنَةً. [١٧]

فقد أمصيا مركزه كملك يهوذا، هل بسببه إلى السامرة أم تحديد أقامته في موضع ما في أورشليم أو غيرها، هذا ما لم يخبرنا به الكتاب المقدس. إنما بعد وفاة يهوآش عاش ١٥ سنة، بلا كرامة ولا سلطان يُذكَر. يرى البعض أنه رجع إلى عرشه، وبقى ملكًا على يهوذا لمدة خمس عشرة سنة، ولكن في ضعفٍ، كانت هذه السنوات الخمس عشرة مملوءة بالمتاعب والكوارث[1].

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ أَمَصْيَا مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [١٨]

وَفَتَنُوا عَلَيْهِ فِتْنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،

فَهَرَبَ إِلَى لَخِيشَ،

فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ إِلَى لَخِيشَ،

وَقَتَلُوهُ هُنَاكَ. [١٩]

أُغتيل أمصيا كما سبق أن أُغتيل والده (١٢: ٢٠، ٢٢).

لخيش[٢] **(تل الدوير)**: ذات موقع استراتيجي في غاية الأهمية، إذ كانت تُهَيْمن على الطريق القديم من المرتفعات الفلسطينية إلى وادى النيل. كانت آهلة بالسكان قبل أيام إبراهيم. وهي مدينة حصينة في سهل يهوذا (يش ١٥: ٣٣، ٣٩) على بعد ٣٥ ميلاً جنوب غربي أورشليم، يُظَن أنها تل الحصى الحالية. أُشير إليها في رسائل تل العمارنة، تبعد حوالي ٣٠ ميلاً جنوب غربي أورشليم، وخمسة أميال جنوب غربي بيت جبرين، من أكبر مدن يهوذا القديمة.

سقطت في يد يشوع الذي قتل ملكها يافيع (يش ٣: ١٠). حصَّنها الملك رحبعام (٢ أي ١١: ٩)، وبنى حولها سورًا مزدوجًا تسنده أبراج منيعة. وإليها هرب أمصيا ملك يهوذا من وجه الثائرين ضده من أورشليم، وهناك قتله الثائرون (٢ مل ١٤: ١٩؛ ٢ أي ١٥: ٢٧).

حَمَلُوهُ عَلَى الْخَيْلِ،

فَدُفِنَ فِي أُورُشَلِيمَ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ. [٢٠]

أحضر أصدقاؤه جثمانه إلى أورشليم على خيل في هدوءٍ دون الاحتفال بجنازته أو السير في موكبٍ، وقاموا بدفنه مع آبائه. لقد سار في الباطل، ففقد كل شيءٍ، حتى اهتمام الشعب بجنازته ودفنه!

وَأَخَذَ كُلُّ شَعْبِ يَهُوذَا عَزَرْيَا وَهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً،

---

[1] *Adam Clarke's Commentary.*

[2] *New Westminster Dict. of the Bible, 1969, p. 546; Unger's Bible Dict., 1966,p. 639.*

وَمَلَّكُوهُ عِوَضاً عَنْ أَبِيهِ أَمَصْيَا. [٢١]

استلم عزريا أو عزيا المُلك (١٥: ٣٠؛ ٢ أي ٢٦: ١)، فبالرغم من المعارضة الشعبية لأمصيا بكونه هو مصدر النكبات التي حلَّتْ على الشعب، لكن لم تمتد هذه الثورة إلى أسرته أو الوارث للمملكة.

يرى البعض أن عزريا كان طفلاً حينما مات أبوه، وبقيت يهوذا بلا ملك لمدة ١١ سنة. ويُرَجِّح البعض أن عزريا مَلَكَ مع أبيه عندما انهزم يهوذا أمام إسرائيل (١٤: ١٢)، وهو ابن ١٦ سنة.

هُوَ بَنَى أَيْلَةَ، وَاسْتَرَدَّهَا لِيَهُوذَا، بَعْدَ اضْطِجَاعِ الْمَلِكِ مَعَ آبَائِهِ. [٢٢]

أيلة أو أيلات: اسم عبري معناه "أشجار". لا تزال منطقة العقبة غنية بأشجار النخيل. وهي بلدة في الطرف الشمالي من خليج العقبة (الذراع الشرقي من البحر الأحمر)، بالقرب من عصيون جابر. وكانت ميناءً بحريًا هامًا، ومركزًا للقوافل. يُرَجَّح أن داود الملك أخذ هذه البلدة من الأدوميين (٢ صم ٨: ١٤)، واستخدمها سليمان كميناء لأسطوله التجاري. استعادها الأدوميون، ثم عاد فاستولى عليها عزيا ملك يهوذا، وأعاد بناءها وتحصينها (٢ مل ١٤: ٢٢)، ثم أخذها رصين ملك أرام، ورجع إليها الأدوميون (٢ مل ١٦: ٦).

٦. شر يربعام وعظمته

فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ لأَمَصْيَا بْنِ يَهُوآشَ مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ يَرُبْعَامُ بْنُ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. [٢٣]

يربعام: هذا هو الملك الثاني لإسرائيل الذي يحمل نفس الاسم. يربعام الأول هو الذي نادى بإقامة المملكة الشمالية بعد موت سليمان حوالي سنة ٩٣٠ ق. م. (١ مل ١١: ١٢).

حكم إسرائيل لمدة ٤١ عامًا وهي مدة طويلة (٧٩٣-٧٥٢ ق.م)؛ من هذه المدة كان شريكًا مع والده يوآش لمدة عشرة سنوات.

كان يربعام بن يوآش أعظم ملوك إسرائيل، وكان مُلكه أطول من مُلك غيره. ويُعتبَر عصره كما ورد في هوشع ويوئيل وعاموس مزدهرًا اقتصاديًا مع انحطاط أخلاقي وظلم للفقراء وفساد، وعبادة للأصنام، وترك عبادة الرب.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.
لَمْ يَحِدْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. [٢٤]

هُوَ رَدَّ تُخْمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ،

حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ،
الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ النَّبِيِّ الَّذِي مِنْ جَتَّ حَافَرَ. [٢٥]

في هذه الفترة – القرن الثامن ق.م – كان شعب الله المنقسم إلى مملكتين إسرائيل ويهوذا قد انحل روحيًا، وانغمس في الخطايا، فكانت مملكة الشمال تمارس العبادة الوثنية ورجاساتها علانية بلا حياء، ومملكة الجنوب ساقطة في شكليات باطلة. في نفس الوقت بعث الله أنبياء أوحي لهم روحه بالكتابة.

اتّسم يربعام الثاني بقدرته الفائقة في إدارة شئون الدولة وفي الجانب العسكري مع عدم مبالاته بالحياة الروحية (١ أي ٥: ١١-١٧؛ هو ٤: ٦-٥: ٧؛ ٧: ٥).

حقق يربعام مكاسب خارجية وتَمكَّنَ من استرداد حدود إسرائيل بالكامل، فامتدت مملكته من مدخل حماة إلى البحر الميت. تظهر قوته في خضوع حماة ودمشق لسلطانه.

أعلن الله عن أمانته في وعوده لشعبه رغم عدم أمانتهم (هو ٢: ٢-٣: ٥؛ ١١: ١٤:١٠-٦؛ العالم ٣: ١- ١٥)[1].

من مدخل حماة: الأرض حول مدينة حمص، وهي سهل مفتوح إلى الشمال نحو حماة، وإلى الشرق نحو بريّة سوريا، وإلى الجنوب نحو ربلة والبقاع، وإلى الغرب نحو بلاد الحصن والبحر.

بحر العربة وهو بحر لوط.

يونان بن أمتاي: ذكره هنا يوضح أن قصته الواردة في سفر يونان قصة تاريخية حقيقية، وليس كما يظن البعض أنها رمزية.

لم تُسجّل نبوات يونان النبي الخاصة بإسرائيل، إنما ما ورد في سفر يونان كله خاص بنينوى عاصمة أشور.

لأَنَّ الرَّبَّ رَأَى ضِيقَ إِسْرَائِيلَ مُرّاً جِدّاً.
لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَحْجُوزٌ وَلاَ مُطْلَقٌ
وَلَيْسَ مُعِينٌ لإِسْرَائِيلَ. [٢٦]

رأى الله أن إسرائيل بلا مُعين، فتدخّل ليُخلِّص الشعب بيد يربعام، ووهب إسرائيل فترة مجيدة من جهة الانتصارات.

وَلَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّبُّ بِمَحْوِ اسْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ،
فَخَلَّصَهُمْ بِيَدِ يَرُبْعَامَ ابْنِ يُوآشَ. [٢٧]

---

[1] *Cf. NIV Bible Commentary, vol 1, p. 554-555.*

كانت إسرائيل تتمادى في خطاياها، وكان الرب يُحذِّرهم من الدينونة الأكيدة إن لم يرجعوا إليه، لكن الملوك الخمسة الذين جاءوا بعد ذلك لم يتجاوبوا مع دعوة الله، بل كانوا أشرارًا، فسمح الله بالسبي الأشوري لإسرائيل.

بالرغم من أن إسرائيل قد انحرف عن الرب، وصار في مرارة، غير أن الله حفظ وعده أنه لا يمحو اسمهم من تحت السماء. هكذا يعد الرب كنيسته: "أنا معكم كل الأيام" (مت ٢٨: ٢٠).

٧. هزيمة سوريا أمامه

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يَرُبْعَامَ وَكُلُّ مَا عَمِلَ،
وَجَبَرُوتُهُ كَيْفَ حَارَبَ،
وَكَيْفَ اسْتَرْجَعَ إِلَى إِسْرَائِيلَ دِمَشْقَ وَحَمَاةَ الَّتِي لِيَهُوذَا،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٢٨]

جاء في (١ أي ١٨: ٣-١١) أن داود النبي والملك انتصر على سوريا، واحتل مواقع عسكرية بدمشق ومناطق أخرى، جعل سوريا كلها تحت الجزية. لكن تمكنت سوريا من أن تتخلص من هذا النير، بل واستطاعت أن تغتصب مناطق حيوية بإسرائيل ضمتها إلى سوريا. استطاع يربعام أن يسترد هذه المواقع.

حماة التي ليهوذا ربما يشير إلى أن توعي ملك حماة أرسل هدايا إلى داود وسأل عن سلامته وباركه (٢ صم ٨: ٩) فكانت خاضعة إلى حد ما لداود الملك الذي كان من سبط يهوذا.

تمتَّعت مملكة الشمال بالقوة والنجاح المادي في أيام يربعام بسبب سياسته الحربية ومهارته الإدارية. لكن ساد البلاد روح الظلم، فازداد الأغنياء غِنَى، والفقراء فقرًا. وقد حدثنا النبيان عاموس وهوشع (هو ١٣:٤-٨؛ عا ٦:١١-١٣)، كيف اتكَّل الأغنياء على ممتلكاتهم لا على الله.

وجبروته: كشفت الحفريات في السامرة عن عظمة عاصمة يربعام الثاني. فقد قام بتحصين المدينة بسورٍ مزدوج. كما أن القصر الجميل الذي أُكتشف خاص بالملك يربعام الثاني وليس بالملك أخآب. ويكشف ختم "شيما خادم يربعام" الذي من اليشب، والنحت الذي عليه لأسدٍ، عن إبداع الفن في تلك الفترة.

قام كثير من أغنياء تلك الفترة بتقليد قصر أخآب العاجي، كما يظهر من العاج الذي وُجد في مجدو *Megiddo* ومناطق أخرى[1].

---

[1] *Unger's Bible Handbook, Moody Press, Chicago 1967, p. 230-231.*

٨. موته

ثُمَّ اضْطَجَعَ يَرُبْعَامُ مَعَ آبَائِهِ مَعَ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ،
وَمَلَكَ زَكَرِيَّا ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ. [٢٩]

كانت فترة حُكْم زكريا الذي يعتبر الجيل الرابع لياهو قصيرة (١٥: ٨-١٢). وهو آخر ملك من نسل ياهو، به تمّ تحقيق الوعد الإلهي لياهو (١٠: ٣٠).

في أثناء هذه الفترة ظهر كثير من الأنبياء مثل هوشع وعاموس ويونان وميخا وإشعياء، وكأن الله يهيئ أذهان المؤمنين إلى الكرازة في العالم، وكيف يستخدم انحلال إسرائيل لإعداد الطريق لمجيء المسيّا مُخلِّص العالم.

اضطجع: يتساءل البعض: هل الأموات نيام أم واعين؟

يتكلم الكتاب المقدس أحيانًا عن الموت - كما ورد هنا - باعتباره وقت **يضطجع فيه الرجل مع آبائه** (١ مل ٢: ١٠؛ ١١: ٢١، ٤٣؛ ١٤: ٢٠). وقال رب المجد: "لعازر **نام**" (يو ١١: ١١) عندما مات (يو ١١: ١٤). ويتكلم القديس بولس الرسول عن الذين "**رقدوا** في الرب" (١ تس ٤: ١٣؛ ١ كو ١٥: ٥١). وفي مواضع أخرى يتكلم الكتاب المقدس عن أشخاص في وعي وهم في حضرة الله بعد أن ماتوا (انظر ٢ كو ٥: ٨؛ في ١: ٢٣؛ رؤ ٦: ٩).

تشير أول مجموعة من الآيات إلى الجسد، والمجموعة الثانية إلى النفس. "النوم" كلمة مناسبة للتعبير عن موت الجسد، لأن الموت هو وضع مؤقت في انتظار القيامة عندما يقوم الجسد من نومه. بالإضافة إلى ذلك، فإن كلا من النوم والموت يشتركان من جهة وضع الجسد متمددًا.

تعليم الكتاب المقدس واضح من جهة بقاء النفس (الروح) بعد الموت (لو ١٢: ٤٠) وأنها تكون بوعيها في حضرة الله (٢ كو ٥: ٨) في مكان أفضل (في ١: ٢٣)، بينما أنفس أخرى تتكلم (مت ١٧: ٣) وتصلي (رؤ ٦: ٩-١٠). كذلك النفس الغير مؤمنة تكون مُعذَّبة (مت ٢٥: ٤١؛ لو ١٦: ٢٢-٢٦؛ رؤ ١٩: ٢٠-٢٠: ١٥)[1].

[1] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill.: Victor Books Geisler، N. L.، & Howe، T. A. (1992).*

من وحي ٢ مل ١٤

أنت هو الأول والآخر في حياتي

❖ من لي سواك يا أيها المخلص محب البشر؟!
أنت هو بداية الطريق ونهايته، بل والطريق ذاته.
أنت هو السُلم بكليته الذي يحملنا إلى السماء!

❖ ليحملني روحك القدوس ويقودني.
يحملني من أول درجة ليصعد بي حتى النهاية.
لأنسى ما هو وراء، وأمتد إلى قدام،
فلا أنحرف عن الطريق يمينًا أو يسارًا.
لن تسمح لي بصِغَرِ نفْس، مادمتَ حالاً في أعماقي.
لن يحل بي روح الفشل،
مادمتُ في أحضانك!

❖ بنعمتك أصعد، وبنعمتك أثبت فيما نلته،
بل وبها أرتفع إلى درجات أعلى.
كلما رفعتني أحتاج بالأكثر إلى مساندتك،
مع تقديم شكري وحمدي لك.
مع كل صعودٍ بك، اسندني بروح التواضع.
فمن يمسك بك وتمسك أنت به،
لن يتسلل إليه روح المجد الباطل المُدمِّر.

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ عَشَرَ

عزيا ملك يهوذا وابنه يوثام

زكريا ملك إسرائيل حتى فقح

كان عزيا ملك يهوذا (٧٩١-٧٤٠ ق.م) مثل يربعام الثاني ملك إسرائيل، مَلَكَ الاثنان لمدة طويلة، واتسمت حياتهما بالازدهار السياسي والاقتصادي. حاول عزيا ممارسة العمل الكهنوتي مستخدمًا سلطانه الملوكي، فأُصيب بالبرص، واستلم ابنه يوثام العرش. وُجد نقش على حجر الكلس في أورشليم، يرجع إلى القرن الأول الميلادي، جاء فيه: "هنا أُحضرت عظام عزيا، ملك يهوذا، لا يجوز فتحه".

وحكم يوثام من حوالي سنة ٧٥٠ إلى ٧٣٦ ق.م.

جاء في يوميات تغلث فلاسر الثالث إشارة إلى عزيا ملك يهوذا وتحالفه مع ملوك الغرب.

أما زكريا بن يربعام الثاني فملك على إسرائيل لمدة ٦ أشهر (٧٥٣- ٧٥٢ ق.م)، اغتاله شالوم، وبهذا انتهت أسرة ياهو في الحكم.

أُغتيل شالوم مُغتصِب الحُكْم بعد شهرٍ واحدٍ من استلامه العرش، حيث قتله منحيم الذي ملك من سنة ٧٥٢-٧٤٢ ق.م.

هكذا تفاقم شر الملوك بشكلٍ خطيرٍ، خاصة مملكة الشمال، وكان العلاج الوحيد للمملكتين هو سقوطهما في السبي لتأديبهما.

١. عزيا ملك يهوذا ١-٤.
٢. ضرب عزريا بالبرص ٥-٦.
٣. يوثام ملك يهوذا ٧.
٤. زكريا ملك إسرائيل ٨-١٢.
٥. شلوم ملك إسرائيل ١٣.
٦. منحيم ملك إسرائيل ١٤-١٨.
٧. منحيم يرشي ملك أشور ١٩- ٢١.
٨. فقحيا ملك إسرائيل ٢٢-٢٦.
٩. فقح ملك إسرائيل ٢٧-٣١.
١٠. عودة إلى يوثام ملك يهوذا ٣٢-٣٨.

١. عزريا ملك يهوذا

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ لِيَرُبْعَامَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
مَلَكَ عَزَرْيَا بْنُ أَمَصْيَا مَلِكِ يَهُوذَا. [١]

"عزريا" مَلِك يهوذا العاشر (بعد انقسام المملكة)، معنى اسمه "الرب يُعين"، وأما دعوته "عزيا"، فمعناها "الرب قوتي"، لعله دُعي بالاسم الأخير عندما استقل بالحكم.

نجد قصة عزريا أو عزيا ملك يهوذا في ٢ أي٢٦؛ إش ١:١؛ ١:٦. أعاد بناء السور الذي هدمه يهوآش ملك إسرائيل، كما قام بإعادة تحصين المدينة بالأسلحة، واستقل عن إسرائيل. في عهده تمتَّع يهوذا بالسلام والازدهار بصورة لم تختبرها منذ أيام الملك سليمان. في ذلك الوقت انحدرت إسرائيل انحدارًا شديدًا، وأصبح سقوطها وشيكًا.

عزريا أو عزّيا (٢ أي ٢٦: ١؛ إش ١: ١) ملك لمدة ٥٢ عامًا، تحوي عشرة سنوات كان فيها قائما بالحكم عوض والده أمصيا الذي كان مسبيًا (٧٩٢-٧٨٢ ق.م). و١٥ سنة كان فيها شريكًا في الحكم مع أمصيا والده بعد إطلاقه من السبي (٧٨٢-٧٦٧ ق. م)، و٢٥ سنة منفردًا بالحكم (٧٦٧-٧٤٠ ق. م). تلطخت الفترة الأخيرة من حكم عزريا (عزيا)، إذ تشامخ قلبه بجيشه العظيم الذي أعدَّه، فدخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور. فقاومه الكهنة، وإذ غضب عليهم ظهر برص على جبهته، فطُرد من الهيكل. لازمه البرص إلى يوم وفاته، واستلم يوثام إدارة شئون المملكة عوضًا عن أبيه المعزول (٢ أي ٢٦: ١٦-٢١).

يُظَن أن عزريا أو عزيا ملكَ مع أبيه في السنة الرابعة من ملك يربعام (١٤: ٢٣؛ ١٥: ٨)، وهو ابن ١٦ سنة. وكان ذلك بعدما فتح أورشليم يوآش ملك إسرائيل بمدة قليلة. وقُتِل أمصيا في السنة الخامسة عشر من مُلك يربعام. وكانت مملكة يهوذا تحت سلطة مملكة إسرائيل زمانًا، ولكن في السنة السابعة والعشرين من مُلك يربعام تقوَّى عزريا واستقل عن إسرائيل.

كَانَ ابْنَ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،
وَاسْمُ أُمِّهِ يَكُلْيَا مِنْ أُورُشَلِيمَ. [٢]

وَعَمِلَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ أَمَصْيَا أَبُوهُ. [٣]

مع مرور الزمن ازداد ملوك إسرائيل فسادًا وعنفًا، فنلاحظ تكرار عمليات الغدر واغتيال الملوك، أما ملوك يهوذا فمع ظهور بعض الملوك الصالحين مثل أمصيا وابنه عزريا، إلا إنهم كثيرًا ما كانوا لا ينزعون المرتفعات، الأمر الذي دفع الشعب لعبادة الأوثان، ومن جانب آخر كثيرًا

ما بدأوا بالاستقامة وانحرفوا بعد ذلك. وذلك كما رأينا في أمصيا الذي سقط في الكبرياء بسبب نصرته على أدوم، كما جاء بآلهتهم معه وسجد أمامهم وأوقد لهم (٢ أي ٢٥: ١٤). أما ابنه عزريا فعمل ما هو مستقيم في عيني الرب في بداية حكمه، ثم انحرف عندما استخدم سلطانه الملوكي ليقتحم الهيكل ويمارس العمل الكهنوتي بالعنف.

هذا وقد منح الله المملكتين نوعًا من الغِنَى والخيرات، فعوض تقديم ذبائح شكر لله، انحرفوا نحو تجاهل الله وممارسة الشر في عصيان لله.

مع هذا، لم يتجاهل الكتاب المقدس الجانب الطيِّب لعزريا بن أمصيا، فقال: "وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل أمصيا أبوه، ولكن المرتفعات لم تُنزَع الخ" [٣-٤]. لقد عمل ما هو مستقيم في عيني الرب، لكنه في سلبيته ترك المرتفعات والعبادة الوثنية يمارسها الشعب دون أخذ موقف إيجابي لعودة الشعب لله، لذلك جلب غضب الرب عليه.

وَلَكِنِ الْمُرْتَفَعَاتُ لَمْ تُنْتَزَعْ،
بَلْ كَانَ الشَّعْبُ لاَ يَزَالُونَ يَذْبَحُونَ وَيُوقِدُونَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ. [٤]

لقد أنجز عزريا الكثير، لكنه لم يهدم المرتفعات الوثنية في يهوذا، وهو في هذا مثل أبيه أمصيا وجده يوآش.

٢. ضرب عزريا بالبرص

وَضَرَبَ الرَّبُّ الْمَلِكَ،
فَكَانَ أَبْرَصَ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ،
وَأَقَامَ فِي بَيْتِ الْمَرَضِ.
وَكَانَ يُوثَامُ ابْنُ الْمَلِكِ عَلَى الْبَيْتِ يَحْكُمُ عَلَى شَعْبِ الأَرْضِ. [٥]

تشامخ عزريا بنجاحه ونصرته على أدوم، فدخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور، وقاومه الكهنة، وحنق عزريا، فخرج وإذا بالبرص في جبهته.

غالبًا ما أقام في بيت خصوصي لكونه أبرص ولا يقدر أن يخالط الشعب (لا ١٣: ٤٦)، وكان ذلك في السنة السابعة والثلاثين من مُلْكِه، وبقي في بيت المرض ١٥ سنة.

ملك يوثام مع أبيه عزريا لمدة عشر سنوات، ربما لأن الأب كان قد شاخ جدًا وشعر بالحاجة إلى من يساعده، أو لأنه كان مريضًا (مُصابًا بالبرص) أو لتدريب ابنه على العمل الملوكي وقيادة الدولة.

سبق أن رأينا أن هذه العادة كان يمارسها كثير من الملوك. فقد شارك يهوشافاط أباه آسا، ويهورام أباه يهوشافاط، ويوثام أباه عزريا، ويربعام أباه يهوآش، ومنسى أباه حزقيا. وفي دراستنا

لسفر دانيال رأينا أن بيلشاصر شارك أباه نابونيدس في الحكم[1].

بعد ذلك ملك آحاز حفيده الذي كان شريرًا وضعيفًا. أعطى ملك أشور الخزائن التي كان قد جمعها جده، وصار عبدًا لملك أشور، هكذا زال المجد العالي.

يعرف عدو الخير أن ينصب الشباك المهلكة على كل فئة من البشر بما يجتذبهم. فلا يهدأ عن وضع الفخاخ للأطفال الصغار كما للصبيان والشباب والرجال والنساء، وللكهنة والملوك والعظماء. فالعدو له خبرته عبْر هذه الآلاف من السنين لاصطياد كل إنسانٍ ما أمكن. أما الحذر من فخاخه، فيتطلب الاختفاء في مُخلِّص العالم، وتسليم روحه القدوس قيادة كل من النفس والجسد، فالروح القدس هو واهب الحكمة ومعطي القوة والقدرة على تحويل الفخاخ لنصرتنا وتكليلنا.

بالنسبة للقادة بوجه عام، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين أو رجال دين أو أصحاب مراكز قيادة في المجتمع أو الكنيسة، فإن أخطر ضربة تصيبهم هي اعتزاز الإنسان بذاته، وإساءة استغلال عمل الله معه فيتعدّى حدوده.

ضربة عدو الخير للقادة هي السقوط في صغر النفس وما يتبع ذلك من الشعور بالفشل والعجز عن تحقيق رسالته واليأس، مما يجعلهم يحاولون الهروب من العمل. هؤلاء يليق بهم أن يسمعوا الصوت الإلهي: "لا تقل إني ولد" (إر ١: ٧)، فيعملوا كأناس الله، بروح القوة لا الفشل.

وإن فشلت هذه الفخاخ ينصب عدو الخير لهم فخاخًا مضادة، وهي الاعتداد بسلطانه وإمكانياته وخبراته وحكمته البشرية ودراساته في تشامخ وعجرفة، معطيًا لله القفا لا الوجه، عوض أن يُسلِّمَ كل هذه الإمكانيات في يد الله ليُقدِّسها وينميها، فتتحول حياته إلى تسبحة مُفرِحة شاكرة لواهب العطايا. عمل العدو بهذه الفخاخ هو المبالغة، فلا يدرك القائد حدوده، بل يرتئي فوق ما يرتئي كقول الرسول بولس (رو ١٢: ٣). يليق بالقائد أن يدرك أن ما وُهب من سلطان مدني أو عسكري أو ديني، إنما هو عطية من الله، فيمارس سلطانه بروح التواضع مع القوة في الرب.

لقد أدرك داود النبي والملك أن الله يقيم شعبه عجبًا، إذ يُقدِّم لهم إمكانيات على مستوى عجيب وفائق، فيعتز كل مؤمنٍ بما ناله وبناله من يديّ إلهه، لكنه يلتزم بروح التواضع كسيده. لهذا يُرنِّم، قائلاً: "يا رب لم يرتفع قلبي، ولم تستعلِ عيناي، ولم أسلك في العظائم ولا في عجائب فوقي" (مز ٣١: ١).

يُقدِّم لنا الكتاب الكثير من الأمثلة لقادة أساءوا استخدام سلطانهم أو تعدُّوا حدوده. نذكر على سبيل المثال:

١. اغتصاب **قورح وداثان وأبيرام** وجماعتهم العمل الكهنوتي، فانشقت الأرض وابتلعتهم (عد

---

[1] دانيال، ١٩٩٦، ص ١٢٦.

١٦: ٣١-٣٢).

٢. **شاول الملك** الذي لما لم يأتِ صموئيل النبي إلى الجلجال، أصعد المحرقة (١ صم ١٣: ٩). ولعله استغل تأخير صموئيل لكي يغتصب الحقوق الكهنوتية الدينية بجانب سلطانه كملكٍ، ففقد هو وأسرته السلطان الملوكي.

٣. ما فعله هنا عزيا (عزريا)، فأُبتلي بالبرص، وفقد مركزه كملكٍ.

❖ يُعلِّمنا الكتاب المقدس – كما أظن – إنه إذ يرفع الإنسان نفسه بعجرفةٍ ينتهي بسقوطه أسفل الأرض! لهذا فليس بدون سبب تُعرَّف الكبرياء أنها صعود إلى أسفل[1].

❖ إن كان الذين يرفعون أنفسهم فوق الآخرين بطريقة ما ينحطون إلى أسفل، إذ فتحت الأرض هوتها لتبتلعهم، فإنه ليس لأحد أن يناقش تعريف الكبرياء أنه سقوط دنيء[2].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ الآن نسألكم نحن جميعًا أن يلتزم كل أحد برتبته التي عُيِّنَ لها، ولا يتخطى حدوده اللائقة، فإنها (الرتب) ليست لنا بل لله. يقول الرب: "الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يسمع مني، يسمع من الذي أرسلني، والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني" (لو ١٠: ١٦؛ مت ١٠: ٤٠؛ يو ١٣: ٢٠)[3].

قوانين الرسل القديسين

❖ "وأما من افتخر فليفتخر بالرب" (٢ كو ١٠: ١٧؛ راجع إر ٩: ٢٤). من لا يفتخر بالصليب، يكون غبيًا تمامًا ومخالفًا للناموس (المسيحي). من لا يفتخر بالإيمان، يكون أكثر بؤسًا من الجميع. من لا يفتخر ويتكلم علانية عن هذه الأمور، يكون في طريق الدمار. لهذا كان الرسول واثقًا بما فيه الكفاية، ليقول: "وأما من جهتي، فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل ٦: ١٤). وبطريقةٍ مماثلةٍ: "لا يفتخر الغني بثروته، ولا الحكيم بحكمته، وإنما ليفتخر بفهمه ومعرفته للرب" (راجع إر ٩: ٢٣-٢٤).

الآن، رفضه للتشامخ وبغضه للمظاهر الطنانة، وتجنبه لهذا وبغضه لها، إنجاز ليس بقليل. إنه الأمان القوي للغاية للفضيلة، والحماية العظيمة للتواضع[4].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *Life of Moses 2: 280*
[2] *Ibid 2: 281.*
[3] *Const. of the Holy Apostles 2: 8: 5.*
[4] *On Ps. 131.*

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ عَزَرْيَا وَكُلُّ مَا عَمِلَ،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٦]

٣. يوثام ملك يهوذا

ثُمَّ اضْطَجَعَ عَزَرْيَا مَعَ آبَائِهِ،
فَدَفَنُوهُ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،
وَمَلَكَ يُوثَامُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٧]

❖ بعد نواله السلطة في تلك السنة، قام يوثام بتدبير حكومة (يهوذا) لمدة ست عشرة سنة، فتأهل لمدح عظيم. وقد أشار سفر أخبار الأيام الثاني إلى كل الأعمال البطولية التي تممها بنفسه، ولم يوبِّخه الكتاب في تلك العبارة (٢ أي ٢٧: ١-٩) عن أي خطأ، إلا في تركه المرتفعات (١ مل ١٢: ٣١-٣٢؛ ٢ مل ١٢: ٣ الخ) وهو خطأ كان شائعًا غالبًا لدى ملوك يهوذا الصالحين.

أولاً قام بتقوية أورشليم بحصون جديدة وبناء أبراج وقلاع في البراري. غلب العمونيين الحاملين عداوة دائمة ضد اليهود، وفرض عليهم دفع جزية لملوك يهوذا[1].

القدّيس أفرآم السرياني

٤. زكريا ملك إسرائيل

فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِعَزَرْيَا مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ زَكَرِيَّا بْنُ يَرُبْعَامَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. [٨]

ما كُتِبَ عن حُكْمِ زكريا قليل جدًا، فقد اكتفى الكاتب بتسجيل أنه ارتد عن عبادة الله إلى عبادة الوثنية.

ملك زكريا ستة أشهر، لم يشتهر إلا بشروره. ضربه شلوم أمام الشعب، كما ضرب ياهو يورام (٩: ٢٤)، وتم فيه وعد الرب لياهو، أن أبناءه إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسي إسرائيل وهم يهوآحاز ويوآش ويربعام وزكريا (١٠: ٣).

لعل الله سمح بقِصَر مدة حُكْمِ زكريا وأيضًا قاتله شلوم وحدوث حالات الاغتيالات المتكررة لكي تُراجِعَ مملكة إسرائيل حساباتها، وتَرْجع إلى الحق الإلهي.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ كَمَا عَمِلَ آبَاؤُهُ.
لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. [٩]

كانت خطية الملك زكريا مزدوجة، فإنه لم يخطئ فقط، وإنما شجع الإسرائيليين على

[1] *On the Second Book of Kings, 15:32.*

الخطأ.

فَفَتَنَ عَلَيْهِ شَلُّومُ بْنُ يَابِيشَ،
وَضَرَبَهُ أَمَامَ الشَّعْبِ فَقَتَلَهُ،
وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ. [١٠]

حذَّر عاموس النبي الملك زكريا من موته الوشيك، ومن ثمَّ القضاء على أسرة يربعام (عا ٧:٩، ١١).

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ زَكَرِيَّا مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١١]

ذَلِكَ كَلاَمُ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ يَاهُوَ قَائِلاً:
بَنُو الْجِيلِ الرَّابِعِ يَجْلِسُونَ لَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ.
وَهَكَذَا كَانَ. [١٢]

٥. شلوم ملك إسرائيل

شَلُّومُ بْنُ يَابِيشَ مَلَكَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِعُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا،
وَمَلَكَ شَهْرَ أَيَّامٍ فِي السَّامِرَةِ. [١٣]

لم يملك شلُّوم على إسرائيل سوى شهر واحد. واغتاله منحيم. هذا يكشف عن انهيار المملكة واضطراب الشعب.

ملكَ شهر أيام، أي شهرًا كاملاً أو ٣٠ يومًا.

غالبًا ما كان في إسرائيل حزبان، وهما حزب شلوم في السامرة، وحزب منحيم في ترصة. وكانت ترصة قاعدة إسرائيل من أيام يربعام.

إذ رفضتْ إسرائيل بيت داود، وملكَ عليها ملوك من تسع سلالات، وكانت الفتن والحروب الأهلية كثيرة ومُهلكة.

٦. منحيم ملك إسرائيل

وَصَعِدَ مَنَحِيمُ بْنُ جَادِي مِنْ تِرْصَةَ، وَجَاءَ إِلَى السَّامِرَةِ،
وَضَرَبَ شَلُّومَ بْنَ يَابِيشَ فِي السَّامِرَةِ فَقَتَلَهُ،
وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ. [١٤]

تَذْكُر الوثائق القديمة أن منحيم كان القائد العام لجيش يربعام الثاني (١٤:٢٣-٢٩). بعد اغتيال ابن يربعام (١٥:٨-١٠). رأى منحيم، على الأرجح، أنه أولى من شلوم بتولي عرش المملكة، كالخليفة الشرعي لزكريا.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ شَلُّومَ وَفِتْنَتُهُ الَّتِي فَتَنَهَا،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [١٥]

بالرغم من أن مدة حكم شلُّوم لم تزد عن شهر غير أن أخباره لم يتجاهلها الكتاب المقدس.

حِينَئِذٍ ضَرَبَ مَنَحِيمُ تَفْصَحَ وَكُلَّ مَا بِهَا وَتُخُومَهَا مِنْ تِرْصَةَ.
لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْتَحُوا لَهُ.
ضَرَبَهَا وَشَقَّ جَمِيعَ حَوَامِلِهَا. [١٦]

ترصة: مدينة كنعانية قديمة، لها أهميتها، اتسمت بالجمال الفائق، وكانت مكان خلوة ملكي (١ مل ١٤: ١٧) وعاصمة للأمة (١٦: ٨-١٠)، لها أهميتها التجارية بسبب موقعها الاستراتيجي، وقد بقيت مدينة لها أهميتها.

قام منحيم بمعركة غاية في الوحشية، حيث شقَّ بطون جميع الحوامل في ترصة، لأنها لم تفتح له.

كانت ترصة مدينة استجمام للملوك، وذلك لجمالها (نش ٦: ٤)، كما كانت عاصمة إسرائيل خلال الأسرتين الأولى والثانية. من ترصة افتتح منحيم تفصح التي رفضت أن تفتح أبوابها لاستقباله. ضرب تفصح ونكَّل بشعبها حيث فتح بطون الحوامل. مثل هذا العمل البشع كان يُمارَس في الحروب في ذلك الحين (٨: ١٢؛ عا ١: ١٣).

فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِعَزَرْيَا مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ مَنَحِيمُ بْنُ جَادِي عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ عَشَرَ سِنِينَ. [١٧]

الأمر الذي يدعو للتهكم أن اسم "منحيم" يعني "المُعَزِّي"، بينما تصرفاته وحشية. قام باغتيال شلُّوم في السامرة، وأمر بفتح بطون الأمهات الحوامل في تفصح.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.
لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ كُلَّ أَيَّامِهِ. [١٨]

٧. منحيم يرشي ملك أشور

فَجَاءَ فُولُ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى الأَرْضِ،
فَأَعْطَى مَنَحِيمُ لِفُولَ أَلْفَ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ
لِتَكُونَ يَدَاهُ مَعَهُ
لِيُثَبِّتَ الْمَمْلَكَةَ فِي يَدِهِ. [١٩]

فول *Pul* اسم بابلي آخر للملك الأشوري تغلث فلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) (٢٩؛ ١ أي ٥: ٢٦). جاء إلى العرش كمغتصبٍ له، إذ كان قائدًا في الجيش، وأراد أن يبرهن أنه منافس للملك. في عهد تلغث فلاسر وخلفائه صارت أشور هي القوة المُهَيْمِنة على الشرق الأوسط لمدة تقرب من القرن (٧٤٧-٦١٢ ق.م). في هذه الفترة تدخلت أشور في شئون إسرائيل ويهوذا. كمثال في عام ٧٤٣ ق. م بعث تغلث فلاسر الثالث بغزو أدى إلى قبول سوريا وفلسطين الخضوع لأشور بشروط سخية لحساب أشور. ورد في سجلات هذا الملك الأشوري أن منحيم ملك إسرائيل كان يدفع جزية له، وذلك كما جاء هنا [١٩-٢٠].

تؤكد الكتابات الأشورية أن فول هو تغلث فلاسر [٢٩]، أخذ هذا الاسم عندما تبوَّأ المُلك.

واضح أن منحيم وجد مقاومين له في المملكة، فلجأ إلى ملك أشور ليعضده مقابل تأدية جزية له.

ظن منحيم أنه قادر أن يثبت عل كرسيه بتقديم رشوة لأشور، ولم يدرك أن من ظن أنه يحميه قد عاد ليسبي مملكة إسرائيل. وثق في الحماية البشرية عوض الرجوع إلى الله، فحصد ثمار شره المهلك.

❖ يقول التاريخ المُقدَّس أن فول *Pul* في عهد منحيم ملك إسرائيل، هو أول ملك للأشوريين سلب الأسباط العشرة (٢ مل ١٥: ١٧-٢١).

الثاني تغلث فلاسر جاء إلى السامرة في أيام فقح بن رملة (٢ مل ١٥: ٢٩).

بعد ذلك الثالث شلمنأسر الذي استولى على كل السامرة (٢ مل ١٧: ٣-٦).

الرابع سرجون الذي حارب أشدود (إش ٢٠: ١).

الخامس آسرحدون الذي أسر السامريين في أرض اليهودية.

سنحاريب هو السادس الذي حاصر أورشليم في أيام حزقيا ملك إسرائيل بعد أن استولى على لاخيش ومدن أخرى في اليهودية (٢ مل ١٨-١٩).

يظن البعض أن هذه الأسماء كلها خاصة بشخصٍ واحدٍ[1].

القديس جيروم

وَوَضَعَ مَنَحِيمُ الْفِضَّةَ عَلَى إِسْرَائِيلَ عَلَى جَمِيعِ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ،
لِيَدْفَعَ لِمَلِكِ أَشُّورَ خَمْسِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ.
فَرَجَعَ مَلِكُ أَشُّورَ، وَلَمْ يُقِمْ هُنَاكَ فِي الأَرْضِ. [٢٠]

وضع منحيم الفضة على جبابرة البأس، أي على الأغنياء.

---

[1] *Commentary on Isaiah, 11 (36 1-10)*

رجع ملك أشور إلى بلاده، لكنه جاء بعد ذلك وأخذ كثيرًا من الأرض، وسبى أهلها إلى أشور [٢٩].

عندما اعتلى الملك فول (تغلث فلاسر الثالث ع ٢٩) عرش أشور، كانت الإمبراطورية الأشورية توشك أن تصبح قوة عالمية بينما كانت أرام وإسرائيل ويهوذا في انحدار.

هذا هو أول ذِكْر لأشور في سفر ملوك الثاني. وقد حدثت غزوة الملك فول في عام ٧٤٣ ق. م، وجعلت أشور من إسرائيل دولة تابعة لها، واضطر منحيم إلى دفع الجزية لأشور. كانت هذه الغزوة هي الأولى من ثلاث غزوات أشورية، وقد وردت الغزوتان التاليتان في (١٥:٢٩؛ ١٧:٦).

كان منحيم ملكًا شريرًا استخدم المال كوسيلة لمنع العدو من ضربه، لكن كان خراب إسرائيل على وشك الحدوث. أما ربنا يسوع فعلى العكس هو الملك القدوس الذي سلَّم نفسه فدية ليُخلِّص البشرية (مت ٢٠: ٢٨) لذلك سحق رأس عدوه، إبليس[1].

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ مَنَحِيمَ وَكُلُّ مَا عَمِلَ،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٢١]

٨. فقحيا ملك إسرائيل

ثُمَّ اضْطَجَعَ مَنَحِيمُ مَعَ آبَائِهِ،
وَمَلَكَ فَقَحْيَا ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٢]

فِي السَّنَةِ الْخَمْسِينَ لِعَزَرْيَا مَلِكِ يَهُوذَا مَلَكَ فَقَحْيَا بْنُ مَنَحِيمَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ سَنَتَيْنِ. [٢٣]

"**فقحيا**" معناها "الرب يفتح الأعين".

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.
لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. [٢٤]

فَفَتَنَ عَلَيْهِ فَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا ثَالِثُهُ،
وَضَرَبَهُ فِي السَّامِرَةِ فِي قَصْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ أَرْجُوبَ وَمَعَ أَرْيَةَ،
وَمَعَهُ خَمْسُونَ رَجُلاً مِنْ بَنِي الْجِلْعَادِيِّينَ.
قَتَلَهُ وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٥]

[1] *Orthodox Study Bible.*

ثالثة: وهو قائد على قسم من الجيش، وربما معنى الاسم الأصلي هو أحد المحاربين الثلاثة الذين كانوا يركبون معًا في مركبة واحدة.

كان منحيم وابنه فقحيا خاضعيْن لملك أشور، وربما كان فقح من المقاومين لأشور وطالبي الاستقلال. واتحد فقح مع رصين ملك أرام وصعدا إلى أورشليم ليُجبرا آحاز على الاتحاد معهما، وأما آحاز فاستغاث بملك أشور.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ فَقَحْيَا وَكُلُّ مَا عَمِلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٢٦]

٩. فقح ملك إسرائيل

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالْخَمْسِينَ لِعَزَرْيَا مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ فَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ عِشْرِينَ سَنَةً. [٢٧]

جلس فقح على العرش خلال الاغتيال وسفك الدم، كما سبق ففعل شلُّوم ومنحيم.

إذ ملك هوشع بن ايلة في السامرة على إسرائيل تسع سنين بدأت عام ٧٣٢ ق. م، فإن فقح الذي ملك لمدة عشرين عامًا، شملت هذه المدة جزءًا من الأيام غير المستقرة في عصر شلُّوم ومنحيم وفقح (٧٥٢-٧٤٠). قاد فقح قمة المشاعر المقاومة للأشوريين، وهذا أدى إلى سقوطه خلال الحملة الثانية لتغلث فلاسر الثالث (٧٣٤-٧٣٢ ق.م). وقد أشار إشعياء إلى هذه الحملة (إش ٩: ١).

بعد مرور سنة على تولِّي فقح العرش مات عُزيّا ملك يهوذا، ورأى إشعياء النبي في رؤياه تدمير إسرائيل القادم (إش ٦).

بحسب ما ورد هنا، ملك فقح على إسرائيل في السامرة لمدة ٢٠ سنة، ومع ذلك قتل هوشع بن إيلة فقح بعد ٨ سنوات فقط من أخذ فقح للسامرة من منحنيم. كيف حكم السامرة لمدة ٢٠ سنة مع أنه أخذ السامرة ٨ سنين قبل نهاية حكمه؟

الإجابة: مع أن فقح لم يحكم مدينة السامرة، إلا إنه اعتُبِر الملك الشرعي لإسرائيل، لذلك فإن حكمه على إسرائيل وعاصمتها السامرة يُحسب منذ أخذ العرش بعد موت زكريا عام ٧٥٢ ق.م. وبالفعل أخذ فقح مسكنًا في السامرة سنة ٧٤٠ ق.م، تقريبًا بعد سنتين من موت منحنيم. ومع ذلك بعد ٨ سنوات، في ٧٣٩ ق.م دبَّر هوشع مؤامرة ضد فقح وقتله[1].

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.
لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. [٢٨]

---

[1] *When Critics ask A popular handbook on Bible difficulties Wheaton، Ill.. Victor Books. Geisler، N. L ، & Howe، T A (1992)*

فِي أَيَّامِ فَقْحَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
جَاءَ تَغْلَثَ فَلاَسِرُ مَلِكُ أَشُّورَ،
وَأَخَذَ عُيُونَ وَآبَلَ بَيْتِ مَعْكَةَ وَيَانُوحَ وَقَادِشَ وَحَاصُورَ وَجِلْعَادَ وَالْجَلِيلَ وَكُلَّ أَرْضِ نَفْتَالِي،
وَسَبَاهُمْ إِلَى أَشُّورَ. [٢٩]

جاء تغلث فلاسر، لأن فقح لم يخضع له كسلفه منحيم وفقحيا، بل اتحد مع رصين ملك أرام، فحاربا يهوذا ليعزلا آحاز ويُملِّكا ابن طبئيل. فضرب ملك أرام يهوذا وسبى منهم سبيًا عظيمًا، وأتى بهم إلى دمشق. وضربهم فقح أيضًا، وقتل في يهوذا مئة وعشرين ألفًا في يومٍ واحدٍ، وسبى مئتي ألف، ونهب منهم غنيمة وافرة، غير أن رجال إسرائيل ردوا المسبيين اعتبارًا لقول النبي عوبيد (٢ أي ٢٨: ٥-١٥، إش ٧: ١-٩). وجاء ملك أشور حينما استغاث به آحاز وضرب عيون وابل بيت معكة... وسباهم إلى أشور.

وَفَتَنَ هُوشَعُ بْنُ أَيْلَةَ عَلَى فَقْحَ بْنِ رَمَلْيَا وَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ،
وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ فِي السَّنَةِ الْعِشْرِينَ لِيُوثَامَ بْنِ عُزِّيَّا. [٣٠]

بلاشك أن حملة تغلث فلاسر الثالث سببَّت رد فعل، إذ وُجد من يؤيد أشور داخل إسرائيل، هذا الاتجاه أدَّى إلى قتل فقح وصعود هوشع إلى العرش.

سجلت وثائق تغلث فلاسر الثالث الجزية الثقيلة على هوشع ودعوى ملك أشور أنه هو بنفسه الذي دفع الملك الجديد للحكم.

بالتآمر والقتل حقق هوشع رغبته أن يصير ملكًا على إسرائيل (٩: ١٤؛ ١١: ١؛ ١٤؛ ١٢: ٢١؛ ١٤: ١٩؛ ١٥: ١٠، ٢٥)، فصار آخر ملك يحكم في إسرائيل.

حسب الكتابات الأشورية كان هوشع في البداية خاضعًا لملك أشور الذي كان قد ساعده على قتله الملك فقح.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ فَقْحَ وَكُلُّ مَا عَمِلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. [٣١]

ملك يوثام مع أبيه نحو ١٥ سنة، وملك وحده في السنة الثانية لفقح الذي كان قد ملك في السنة الثانية والخمسين لعزريا، أي السنة الأخيرة من حياته، وملك يوثام وحده نحو سنة فقط.

١٠. عودة إلى يوثام ملك يهوذا

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِفَقْحَ بْنِ رَمَلْيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ مَلَكَ يُوثَامُ بْنُ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا. [٣٢]

"يوثام" معناها "الرب كامل". حكم يوثام لمدة ست عشرة سنة (٧٥٢-٧٣٦ ق.م).

❖ نجد بالحقيقة في الأسفار المقدسة بعض الأشخاص لهم اسمان أو حتى ثلاثة أسماء مختلفة. مثل سليمان إذ يُدعى أيضًا يديديا (٢ صم ١٢: ٢٥)، وصدقيا يُدعى متَّينا (٢ مل ٢٤: ١٧)، وعزيا أيضًا يُدعى عزاريا (٢ مل ١٥: ٣٢). وأيضًا كثيرون في أسفار القضاة وصموئيل والملوك لهم أسماء مضاعفة. حتى الأناجيل لم تترك هذه العادة، فمتى كان يُدعَى لاويًا (لو ٥: ٢٧)... وتدّاوس أحيانًا لباوس (مت ١٠: ٣)[1].

العلامة أوريجينوس

كَانَ ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ يَرُوشَا ابْنَةُ صَادُوقَ. [٣٣]

وَعَمِلَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.
عَمِلَ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ عُزِّيَّا أَبُوهُ. [٣٤]

كان حكم يوثام جزئيًا صالحًا. بعد التخلُّص من أخزيا وعثاليا (٩: ٢٧-٢٩؛ ١١: ١٣-١٦) ملوك يهوذا الذين كانوا صالحين نسبيًا هم يوآش أو يهوآش (١٢: ٢-٣)، وأمصيا (١٤: ٣-٤)، وعزيا أو عزاريا (١٥: ٣-٤). أما الذي كان بارًا وله دوره الفعال فهو حزقيا (١٨: ٣-٦)، وأيضًا يوشيا (٢٢: ٢).

إِلاَّ أَنَّ الْمُرْتَفَعَاتِ لَمْ تُنْتَزَعْ،
بَلْ كَانَ الشَّعْبُ لاَ يَزَالُونَ يَذْبَحُونَ وَيُوقِدُونَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ.
هُوَ بَنَى الْبَابَ الأَعْلَى لِبَيْتِ الرَّبِّ. [٣٥]

الباب الأعلى لبيت الرب: في (إر ٢٠: ٢): ذكر باب بنيامين الأعلى الذي عند بيت الرب، وربما هو الباب الذي بناه يوثام إلى جهة الشمال لأجل الدفاع عند هجوم الأشوريين.

وفي ٢ أي ٢٧ ذكر بعض أعمال يوثام بالتفصيل: بنى الكثير على سور الأكمة، وبنى مدنًا في جبل يهوذا، وقلعًا في الغابات وأبراجًا، أي استعد استعدادًا عظيمًا ليدافع عن يهوذا، لأنه في تلك الأيام ابتدأ الرب يرسل على يهوذا رصين ملك أرام وفقح ملك إسرائيل. ولعله أدرك أن مملكة إسرائيل على وشك السقوط، فلا يبقى ما يمنع أشور عن الهجوم على يهوذا.

هذه الاستعدادات الضخمة لم ينتفع بها يهوذا كثيرًا، لأن ابنه آحاز ترك الرب، فسلَّمه الرب إلى رصين وفقح، ولم يخلصوا من الأشوريين إلا بمعجزة حيث استجاب الرب لصلاة

[1] *Commentary on I Corinth.. 4. 74 6-16.*

حزقيا.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يُوثَامَ وَكُلُّ مَا عَمِلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ لأَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٣٦]

يُسجّل لنا سفر أخبار الأيام عن يوثام أنه قام بإنشاء مبانٍ باهظة التكلفة في أورشليم واليهودية (٢ أي ٢٧: ٣) كما انشغل بالحرب ضد العمونيين (٢ أي ٢٧: ٥)، هذا أفقد يهوذا إمكانياتها وقوتها التي تمتعت بها في أيام أبيه عزريا.

فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ يُرْسِلُ عَلَى يَهُوذَا رَصِينَ مَلِكَ أرام وَفَقْحَ بْنَ رَمَلْيَا. [٣٧]

"**رصين وفقح**": كان لهذين الخصمين شهرتهما في أيام آحاز (أصحاح ١٦، وإش ٧).

وَاضْطَجَعَ يُوثَامُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ،
وَمَلَكَ آحَازُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٣٨]

من وحي ٢ مل ١٥

احفظني يا رب من صغر النفس كما من التشامخ!

❖ كم تشتاق يا رب أن تُقِيمَ من البشر جميعًا سفراء لك!
خلقتَ البشرية لكي تشهد لحبك وقدرتك على الأرض.
لم تخلق إنسانًا ما ليعيش في مذلة العبيد.
ولم تقم إنسانًا للعمل بتشامخ إبليس وكبريائه!
بل بالحق يتمثَّل بك، يا أيها العجيب في تواضعه وقدراته!

❖ بتواضعك نزلتَ إلى أرضنا،
وشكَّلتَ من التراب أيقونة لك!
وبقدرتك جدَّدتَ طبيعتنا التي أفسدناها،
وهيَّأتَ لنا الأبدية مسكنًا مجيدًا لنا.

❖ هبْ لي ألا أنحدر إلى صِغَرِ النفس بروح الفشل،
ولا أن أتشامخ، فأرتني فوق ما ينبغي أن أرتئي.
بل بالحق تتحوّل حياتي كلها إلى تسبحة شكر.
أُقدِّم لك مع كل نسمة ذبيحة حمد مقبولة لديك.

❖ احفظني من كل ضربة شمالية أو يمينية،

فلا أنحرف عن الطريق الحق.

أنت هو الطريق والحق، من يسلك فيك يعيش في أمان!

فيك وبك تحملني، فأصعد من مجدٍ إلى مجدٍ!

أعمل بروح القوة لا الفشل.

أعمل معك وبك حتى أستقر في أحضانك.

❖ حضورك الدائم في أعماقي يرفعني كما إلى السماء.

تتحوَّل حياتي إلى عُرسٍ دائمٍ وعيدٍ لا ينقطع!

أختبر عربون السماء، وأترقب اللقاء معك.

نعم لتأتِ أيها الرب يسوع سريعًا،

أو لتسرع وتنطلق بي إليك وجهًا لوجهٍ.

اَلأَصْحَاحُ السَّادِسُ عَشَرَ

آحاز ملك يهوذا الفاشل!

عاش يوثام ملك يهوذا باستقامة أمام الرب (١٥: ٣٤)، غير أنه لم ينزع المرتفعات، وترك الشعب يذبحون ويوقدون على المرتفعات، وإذ استلم ابنه آحاز المُلك صار مثلاً رديئًا وللفشل في كل حياته!

أ. فشله في سلوكه [١-٤]، فقد حمل الشر كسمة رئيسية في ملامح شخصيته.

ب. فشله في السياسة [٥-٩]، كما يظهر من دخوله في حرب مع رصين وفقح، ملكي أرام وإسرائيل.

ت. فشله في عبادته [١٢-١٨]، حيث مارس الارتداد إلى أبعد الحدود.

إن كان النجاح هو عطية إلهية تُقدَّم للمؤمن في كل جوانب حياته، فالفشل هو ثمرة اعتزال الإنسان عن الله مصدر النجاح الحقيقي.

١. آحاز الملك الشرير	١-٢.
٢. آحاز والعبادة الوثنية	٣-٤.
٣. محاربة ملكي أرام وإسرائيل له	٥-٦.
٤. التجاؤه إلى تغلث فلاسر	٧-٩.
٥. آحاز يلتقي بتغلث فلاسر	١٠.
٦. إعجاب آحاز بالمذبح الوثني	١١-١٨.
٧. موت آحاز واستلام حزقيا العرش	١٩-٢٠.

١. آحاز الملك الشرير

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ لِفَقْحَ بْنِ رَمَلْيَا،

مَلَكَ آحَازُ بْنُ يُوثَامَ مَلِكِ يَهُوذَا. [١]

"أحاز" معناها "الله يُمسِك".

إن كان كل من والد أحاز يوثام وجده عزاريا قد سلكا باستقامة في عينيّ الرب، غير أنهما لم يكونا مثل داود أبيهما، فقد انحرفا بعد ذلك وسلكا في الشر. أما آحاز فمع كونه من نسل داود، إلا أنه لم يُطِعْ كلمة الله ولا اتكل عليه، بل سلك طريق ملوك إسرائيل في انحرافهم نحو العبادة الوثنية. عوض أن يقتدي بأبيه داود، فيكون موضع سرور الله، اقتدى بملوك إسرائيل

الأشرار، ففشل مثلهم. إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل أن جده ووالده غرسا فيه بذور الارتداد بعدم إزالة المرتفعات، فأثمرت في شخصية آحاز وسلوكه علانية.

كَانَ آحَازُ ابْنَ عِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَلَمْ يَعْمَلِ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَدَاوُدَ أَبِيهِ. [٢]

قد يعترض البعض بأنه ذُكِرَ هنا أن آحاز كان ابن عشرين سنة حين ملك، وملك ستة عشر سنة في أورشليم. وقد ورد في (٢ مل ١٨: ١-٢) أن حزقيا بن آحاز كان ابن ٢٥ سنة حين ملكَ. وبقليل من المقارنة الحسابية نلاحظ أن آحاز تزوج وهو في العاشرة من عمره، وأنجب حزقيا وهو في الحادي عشر، وهذا لا يتفق مع الناموس الطبيعي، وينافي المنطق السليم.

يُرَد على ذلك[1] أنه بالرجوع إلى تاريخ حياة آحاز، نجده قد أفسد نظم العبادة الهيكلية، وأحل محلها العبادات الوثنية. وملك حزقيا ابنه ليجد نفسه أمام عبء ثقيل من الإصلاحات الدينية، استغرق منه عدة سنين، حتى تمكّن من إعادة تنظيم العبادة الهيكلية من جديد، قبل أن يُمسَح ملكًا بموجب المراسيم والطقوس الموسوية (٢ أي ٢٨-٣١). إذ من المعروف أن مسح الملوك في العهد القديم كان يتطلب وجود العبادة الهيكلية، واستقرار نظمها وطقوسها أولاً. لهذا من المُرجَّح أن حزقيا لم يُمسَحْ ملكًا بيد الكهنة إلا بعد إعادة تنظيم العبادة في الهيكل، التي استغرقت مدة زمنية ليست بقليلة. لهذا المقصود من النص الوارد في (٢ مل ١٨: ٢) في قوله عن حزقيا أنه "كان ابن خمسة وعشرين سنة حين ملك، أي حين مُسح ملكًا بموجب شريعة موسى، بعد تنظيم العبادة الهيكلية من جديد. أي لم يتجاوز العشرين من عمره أثناء وفاة أبيه، وهذا يعني أن أباه أنجبه وهو في السادسة عشر من عمره أو يزيد، تبعًا للمدة غير المعروفة التي تم فيها تنظيم العبادة الهيكلية على يدي حزقيا.

٢. آحاز والعبادة الوثنية

بَلْ سَارَ فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ،
حَتَّى إِنَّهُ عَبَّرَ ابْنَهُ فِي النَّارِ حَسَبَ أَرْجَاسِ الأُمَمِ،
الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٣]

بعد سلسلة من الملوك في يهوذا الذين سلكوا بالبرّ نسبيًا، جاء آحاز يسلك بالشر مثل ملوك إسرائيل. ربما كان لملوك إسرائيل أن يدَّعوا بأن عبادتهم للعجلين في دان وبيت إيل كان

---

[1] د. وهيب جورجي: مقدمات العهد القديم ١٩٨٥، ص ١٨٤.

أمرًا ضروريًا بدافع الحفاظ على مملكة إسرائيل، حتى لا يميل قلب الشعب إلى العودة إلى الهيكل في أورشليم عاصمة مملكة يهوذا، والخضوع لملكها الذي من نسل داود. أما آحاز ملك يهوذا فلم يكن له ما يُبَرِّر به موقفه من الاقتداء بملوك إسرائيل، وعدم مبالاته بعبادة الله الحيّ والالتزام بوصاياه والاهتمام بالهيكل.

كان آحاز مُرتدًا، قاد بنفسه الشعب في تبنِّي العبادات الكنعانية الوثنية (٢ أي ٢٨: ٢-٤).

يُقدِّم لنا سفر أخبار الأيام الثاني تقارير عن إجازة الإنسان ابنه في النار التي ارتبطت بعبادة البعل والتي كانوا يمارسونها في وادي ابن هنوم (٢٣: ١٠؛ ٢ أي ٢٨: ٢-٣).

في أيام يوآش الملك ويهوياداع الكاهن هدم الشعب مذابح البعل وكسروا تماثيله (٢ مل ١١: ١٨). لكن إذ ملك آحاز عاد إلى ما عملته عثليا الشريرة ابنة أخآب وإيزابل. كما قدَّم ابنه مُحرقَة للأوثان، إرضاءً للآلهة بتقديم أفضل ما عنده (مي ٦: ٧)، وهذا ما يُدعى بالإجازة في النار، وهي من أبشع الممارسات الوثنية التي كثيرًا ما حذَّر الله شعبه منها.

كان لمولك صنم من النحاس جالس على عرش، وكانوا يشعلون في التجويف نارًا، ويضعون على ذراعي الصنم أطفالهم ليحترقوا ويموتوا، أو يُسلِّمونهم لكاهن الوثن، فيلقيهم على الذراعين المُحمرتين بالنار وسط ضربات الطبول حتى لا يسمع أحد صرخات الأطفال وهم يحترقون.

وقف إرميا عند باب الفخار حيث تُلقَى القمامة ليوجه الحديث إلى ملوك يهوذا مع سكان أورشليم، لأنه لم يكن ملوك يهوذا يدخلون من هذا الباب. لكن اشتراكهم في سفك دم الأبرياء (٢ مل ٢١: ١٦؛ ٢٤: ٤)، وتقديم أطفالهم ذبائح بشرية للأوثان (٢ مل ١٦: ٣، ٢١: ٦)، جعلهم يُحصون مع الشعب الداخل في باب القاذورات ليسمعوا معهم كلمة توبيخ قاسية، وصدور حُكم إلهي عليهم جميعًا بغير محاباة!

حقًا ما أصعب على نفس ملك يهوذا أن يأتيه الخبر بأن إرميا يوجه إليه رسالة عنيفة عند باب القاذورات وإلقاء القمامة. لكن هكذا نزل الملك بنفسه إلى هذا المستوى باشتراكه في الرجاسات الوثنية وعنفها!

لقد جاءت الوصية الإلهية واضحة: "لا تعمل هكذا للرب إلهك، لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجسٍ لدى الرب مما يكرهه، إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم" (تث ١٢: ٣١).

جاء في (٢ أي ٢٨: ٣) عن آحاز أنه **أوقد في وادي ابن هنّوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم**، كما قام منسّى وهو من أشر ملوك إسرائيل بنفس العمل (٢ أي ٣٣: ٦). هذا كان يتم في **توفة** أو **تفتة** بوادي هنّوم. وهي تقع في وادي الربابة على السفح الشرقي لجبل صهيون

(نح ١١: ٣٠). ربما هذا الاسم مُشتَق من كلمة معناها "تنُور أو فرن"، أو من كلمة أرامية معناها "مكان الحريق". كانت هذه المنطقة في الأصل بستانًا مقدسًا للكنعانيين، ثم صارت مركزًا لعبادة البعل حيث كان اليهود المنحرفون يجيزون بنيهم وبناتهم في النار لمولك (إر ٣٢: ٣٥).

وقام يوشيا الملك الصالح بتنجيس توفة "لكي لا يُعبِّر أحد ابنه أو ابنته في النار لمولك (٢ مل ٢٣: ١٠). وقد صارت توفة رمزًا للخراب والتأديب على هذه الخطايا والرجاسات، إذ يقول النبي: "لذلك ها هي أيام تأتي يقول الرب ولا يُسمَّى بعد توفة ولا وادي ابن هنوم، بل وادي القتل، ويدفنون في توفة حتى لا يكون موضع. وتصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مُزعج" (إر ٧: ٣٢-٣٣). وقد امتلأ الوادي عبر التاريخ بالقمامة التي كانت تُلقَى من فوق أسوار المدينة حتى ضاعت الآن معالمها.

يا للعجب! قدَّم ابنه ذبيحة للأصنام العاجزة عن حمايتها لنفسها، ظانًا أنه بهذا يضمن أمانه ونصرته، ولم يُقدِّم قلبه لله القدير ضابط الكل! يفقد الإنسان في فساده التعقُّل والاتزان وحتى الحكمة البشرية الطبيعية! في عصيانه لله يتعدَّى حدود الممارسة الوثنية في إسرائيل. إذ ينحطّ إلى مستوى شائن بتقديم ابنه مُحرقَة كطقس الإله مولك.

إنه لأمر محزن أن أولاد الله الذين جعلهم الله ملوكًا وكهنة (رؤ ١: ٦)، ليرتفعوا بروح أبيهم إلى حيث هو جالس، أن ينحدروا بأنفسهم ليسقطوا تحت الحُكْمِ مع أولاد إبليس الأشرار باشتراكهم معهم في سلوكهم الشرير، وينحطوا أحيانًا إلى مستوى أدنى من الحيوانات!

❖ أية مأساة هذه؟!... لقد قدَّموا أبناءهم وبناتهم ذبائح للشيطان! رفضوا أن يتعرَّفوا على الطبيعة، لقد نسوا آلام الولادة، ووطأوا بأقدامهم تربية أطفالهم، لقد سقطوا من أساسات شرائع القرابة، وصاروا أكثر وحشية من أي حيوانٍ مفترس[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ خلق الله آدم، لم يزوده بأجنحة جسدية مثل الطيور، لكن قصد في الأصل أن تكون له أجنحة الروح القدس، تلك الأجنحة التي قصد أن يعطيها له في القيامة لترفعه وتختطفه إلى حيث يشاء الروح. هذه الأجنحة التي تنال النفوس المُقدَّسة امتياز الحصول عليها منذ الآن، وتطير في عقولها إلى المجال السماوي. فالمسيحيون لهم عالم مختلف خاص بهم، ومائدة أخرى، وثوب آخر، ونوع آخر من التمتُّع والتنعم، وشركة أخرى، وطريقة أخرى للتفكير والعقل... إن لهم الامتياز أن ينالوا قوة هذه الأمور في داخل نفوسهم منذ الآن بواسطة الروح القدس. لذلك فإن أجسادهم تُحسَب أهلاً في القيامة للاشتراك في خيرات الروح الأبدية هذه، وسوف تختلط بذلك

[1] *Discourses against Judaizing Christias, I 6 7.*

المجد الذي قد عرفته نفوسهم بالاختبار في هذه الحياة[1].

القديس مقاريوس الكبير

وَذَبَحَ وَأَوْقَدَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ،
وَعَلَى التِّلاَلِ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. [٤]

مارس آحاز رجاسات الوثنيين، الأمر الذي شدَّد الرب على الامتناع منه. لقد أهمل والده إزالة هذه المرتفعات، فكانت عثرة خطيرة لابنه الذي ليس فقط تجاهل وجودها، إنما اندفع وانغمس في العبادة الوثنية على هذه المرتفعات.

صار آحاز مثالاً شريرًا لشعبه في الذبح على المرتفعات للآلهة الوثنية. كما كان يُقدِّم ذبائح تحت الأشجار الكبيرة القديمة المنفردة، بزعم أنها مسكن الآلهة، ولا يجسر أحد أن يقطعها أو يحتطب منها.

❖ الذين يثقون في الأصنام أغبياء. الأصنام هي من صُنعهم، أشياء يصنعونها بأياديهم، لكنهم يعودون ويقولون: "هذه الأصنام هي خالقنا". كيف يمكن لهؤلاء الناس أن يقولوا عن أشياء صنعوها أنها خلقتهم؟ بجانب هذا هم يحرسون أصنامهم، حتى لا يسلبها لصوص... يا للغباوة! إن كانت الأصنام تعجز عن أن تحرس نفسها وتحميها، فكيف تحرس آخرين وتخلصهم؟[2]

الأب يوحنا الدمشقي

❖ في الوصية الأولى من الوصايا العشر، كما أن عبادة الرب الإله الواحد قد أُمر بها بكل وضوح، هكذا جاء المنع في غاية الشدة بخصوص العبادة والخدمة التي يُقدِّمها المؤمنون لأي مخلوق، إذ يُقال: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خر ٢٠: ٢)[3].

الأب فولجنتيوس أسقف *Ruspe*

❖ ألا ترون أن هذا (تث ١٣: ٩) لم يُقل بخصوص النادمين، بل عن الذين ليس فقط متمسكين بالشر، وإنما لا يكفون عن وضع عقبات لنا في طريقنا؟ هؤلاء الذين مهما كانوا أعزاء علينا يلزم هجرهم. ومهما يبدو أنهم نافعون لنا يلزم التخلِّي عنهم[4].

بيشان أسقف بارسيلونا

---

[1] راجع عظات القديس أنبا مقار الكبير، ترجمة مؤسسة القديس أنبا أنطونيوس لدراسات الآباء، عظة ٥: ١١.
[2] *Barlaam and Joseph 10.*
[3] *Fulgentius of Ruspe (c. 467-532): Letter 8·4:9.*
[4] *Pacian of Barcelona (c. fourth century): Letter 3.7.*

- ❖ يُطلب من المسيحيين واليهود تجنُّب المعابد (الوثنية) والمذابح والصور (الأصنام) وذلك حسب الوصية: "خف الرب إلهك، وإيّاه وحده تخدم..." ليس فقط يتجنّبونها بل ومستعدون عند الضرورة أن يبلغوا حتى الموت لتجنُّب تدنيس مفهومهم لإله المسكونة بأي تصرف من هذا النوع مخالف لناموسه[1].
- ❖ عندما يحاول أُناس أن يغوونا نحو الارتداد، من المفيد أن نتأمل فيما يرغب الله أن يُعلِّمنا بقوله: "أنا هو الرب إلهك، غيور". في رأيي أن العريس الذي يرغب في عروسه أن تحيا بالطهارة، فتُقدِّم نفسها له بالكامل، وأن تحذر من أية علاقة مع أي إنسانٍ غير زوجها، يبدو أنه بحكمة يكون غيورًا. يستخدم هذا المظهر كنوعٍ من الترياق لعروسه. هكذا مُقدِّم الشريعة، خاصة عندما يُعلن عن نفسه كبكر كل خليقة (كو ١: ١٥)، يقول لعروسه – أي النفس – إنه إله غيور. بهذه الطريقة يحفظ تابعيه من أي زنا مع الشياطين والآلهة الباطلة[2].

العلامة أوريجينوس

٣. محاربة ملكي أرام وإسرائيل له

حِينَئِذٍ صَعِدَ رَصِينُ مَلِكُ أرام وَفَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ،
فَحَاصَرُوا آحَازَ،
وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَغْلِبُوهُ. [٥]

لقد أراد رصين وفقح، ملكا أرام وإسرائيل (١٥: ٣٧). أن يكونا سيدَيْن لأورشليم، ويقيما لها مَلِكًا من عندهما (إش ٧: ٦)، ومع ما بذلاه من مجهودٍ ضخمٍ واستعداداتٍ عسكرية إلا إنهما فشلا في الاستيلاء على أورشليم، وإقامة ملك عوض آحاز. فبالرغم من انحراف آحاز للعبادة الوثنية واقتدائه بملوك إسرائيل، إلاّ أن الله من أجل وعوده الصادقة لبيت داود أرسل إليه إشعياء النبي لكي يُعلن له أنه سيهبه النصرة على رصين وفقح. جاء في إشعياء النبي ٧: ٣ الخ. فقال الرب لإشعياء أخرج لملاقاة آحاز أنت وشآر ياشوب ابنك إلى طرف قناة البركة العليا... وقل له: **احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذنبي هاتين الشعلتين المدخنتين بحمو غضب رصين وأرام...**

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَرْجَعَ رَصِينُ مَلِكُ أرام أَيْلَةَ لِلأراميِّينَ،
وَطَرَدَ الْيَهُودَ مِنْ أَيْلَةَ.
وَجَاءَ الأراميُّونَ إِلَى أَيْلَةَ،

---

[1] *Adv. Celsus 7:64.*
[2] *Exhortation to Martyrdom 9*

وَأَقَامُوا هُنَاكَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. [٦]

حاصر رصين أورشليم وانسحب، وكل ما ناله هو أنه استرد أيلة لأرام. سمح الله لآحاز بالنصرة، لعله يرجع إلى الله، ويلتصق به، تاركًا عبادة الأوثان، وسمح باسترداد الأراميين لأيلة كتأديب لآحاز على تركه عبادة الله الحيّ.

سبق أن استولى عزيا ملك يهوذا، جد آحاز، على أيلة (١٣: ٢٢). وهي الآن ميناء رئيسي (١ مل ٩: ٢٦)، أُخذ من يهوذا، وأقام فيه الأراميون إلى يوم كتابة هذا السفر.

٤. التجاوه إلى تغلث فلاسر

وَأَرْسَلَ آحَازُ رُسُلاً إِلَى تَغْلَثَ فَلاَسِرَ مَلِكِ أَشُّورَ قَائِلاً:

أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُكَ.

اصْعَدْ وخلِّصنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أرام،

ومنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمَيْنِ عَلَيَّ. [٧]

كان يليق بآحاز أن يرجع إلى الله، ويُقدِّم له ذبيحة شكر، لأنه أرسل له إشعياء النبي يطمئنه، ووهبه بالفعل نُصرةَ على ملكيْ أرام وإسرائيل، لكن في جحودٍ وعدم إيمانٍ تمرَّد على الله، والتجأ إلى أشور ليسنده ويحميه. التجأ لا بروح الصداقة والتعاون، إنما بمذلة، قائلاً: "أنا عبدك وابنك. اصعد وخلِّصني".

يا للعجب كثيرًا ما يُفضِّل الإنسان الالتجاء إلى بني البشر بمذلة عوض الالتجاء إلى الله بروح البنوة والعزة! يقبل العبودية للأرضيين عوض الحرية التي يهبها له السماوي.

أخطأ آحاز لأنه جعل اتكاله على تحالفات بشرية، وليس على الرجوع إلى الله. فإنه إن تحالفت مملكة يهوذا مع أرام وإسرائيل تتعرَّض لغضب أشور، وإذا اتحدت مع أشور تبتلعها وتستعبدها، ويكون هذا الاتحاد مثل صداقة الحمل والذئب. لهذا إذ استغاث آحاز بتغلث فلاسر صار له عبدًا، عوض الالتجاء لله السماوي.

❖ قلب المسيحي وعقله وطريقة تفكيره دائمًا في المجال السماوي. فالمسيحيون الحقيقيون ينظرون الخيرات الأبدية كما في مرآة، وذلك بسبب اقتنائهم الروح القدس وشركته، لكونهم مولودين من الله من فوق، ولأنهم نالوا الامتياز أن يصيروا أولاد الله بالحق وبالفعل، إذ **يَصِلُون بعد حروب وأتعاب لفترة طويلة إلى حالة ثابتة مستقرة من الحرية والتحرُّر من الاضطراب**، حالة الراحة، فلا يعودون يُغربلون ويموجون بالأفكار القلقة الباطلة...

العلامة المميزة للمسيحيين ليست هي في الأساليب والأشكال الخارجية، فكثيرون يظنون **أن الذي يُميِّزهم عن العالم هو في الشكل أو الأساليب الظاهرة. ويا للأسف فإنهم في عقولهم**

وتفكيرهم هم مثل العالم، إذ يضطربون بقلق الأفكار غير الثابتة مثل هل العالم، في عدم الإيمان والحيرة والاختلاط والخوف مثل كل الناس الآخرين.

قد يختلفون عن العالم في الشكل الخارجي والمظهر، ويختلفون عنه أيضًا في القليل من الممارسات الدينية، لكنهم في القلب والعقل مقيدون بالرباطات الأرضية، إذ لم يحصلوا أبدًا على الراحة في الله وسلام الروح السماوي في قلبهم، لأنهم لم يطلبوها من الله، ولم يؤمنوا أنه سيمنح لهم هذه الأشياء[1].

القديس مقاريوس الكبير

فَأَخَذَ آحَازُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ،
وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَلِكِ أَشُّورَ هَدِيَّةً. [٨]

قدَّم الله لآحاز تأكيدات لتطمئن نفسه، وفي حبٍ عظيمٍ ورعايةٍ فائقةٍ، قال له: "اطلب لنفسك آية من الرب إلهك. عمِّق طلبك أو رفِّعه إلى فوق، وإذ أجابه: "لا أطلب، ولا أجرِّب الرب" (إش ٧: ١٢)، قدَّم له ولشعبه آية فريدة، ونبوّة فائقة: "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنًا، وتدعو اسمه عمّانوئيل" (إش ٧: ١٤). كما أعطاه آية أخرى كعلامة على رعاية الله له: "لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي، تُحمَل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور" (إش ٨: ٤). لقد أكد له أن الملكين لن ينتصرا عليه، بل بالرب يغلبهما، وينعم بثروتيهما وغنائمهما. مع هذا كله لجأ إلى معونة ملك أشور، ودفع ثمن ذلك فضة وذهب بيت الرب وخزائن بيت الملك، أي ما ورثه عن أجداده.

هنا يظهر فشل آحاز سياسيًا وعسكريًا، ففي عدم إيمانه بالله سلب هيكل الرب ليشتري من أشور حمايته وأمانه، فسلَّم المقدسات والكنوز لأعدائه وهو لا يدري.

يا للعجب! يتوسل الإنسان الشرير إلى أذرع البشرية كي تسنده، بتكلفة هذا قدرها، ويرفض حماية الله المجّانية والتي تفيض معها الخيرات والبركات الزمنية والأبوية!

سرّ فشل آحاز هو عدم إيمانه، إذ قال له إشعياء النبي وهو يُبلِّغه رسالة الله بالنصرة على الملكين: **"إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا"** (إش ٧: ٩). فإن كان آحاز مع بلوغ هذه الرسالة الإلهية إليه بكل وضوح شعر بعدم الأمان، ولجأ إلى ملك أشور، فسِّر ذلك عدم إيمانه.

كان آحاز رمزًا لليهود الذين بسبب جحودهم رفضوا قبول الخلاص الإلهي، رفضوا الآية التي قدَّمها الرب إلههم نفسه، وحسبوا عمانوئيل رئيس الشياطين!

---

[1] راجع عظات القديس أنبا مقار الكبير، ترجمة مؤسسة القديس أنبا أنطونيوس لدراسات الآباء، عظة ٥: ٤.

لقد أصيبوا بالجهل وعدم الفهم بالرغم من ظهور الحق الإلهي بكل قوة. ما قبله المجوس الوثنيون بكرازة كوكبٍ منيرٍ، رفضه أبناء إبراهيم بكرازة الأنبياء عبر الأجيال.

إننا في حاجة إلى الإيمان، فنستنير ونتمتع بالفهم لوعود الله وأعماله وقبول نبوات الأنبياء. الإيمان الحقيقي والفهم الصادق أخوان متلازمان.

❖ إنه لأمر حيوي أن نُدرِكَ بأن العبارة [إن لم تؤمِنوا فلا تأمَنوا] تعني الذين يقرأونها لا يحتاجون فقط إلى الفهم، بل وأيضًا إلى الإيمان، ولا يحتاجون إلى الإيمان فقط، بل وإلى الفهم. هؤلاء الذين في الختان الذين لا يؤمنون بمسيح الله، فإنهم حتى الآن يسمعون هذه الكلمات، ولا يفهمون موضوع هذه النبوة، لأنهم لا يسمعون بالذهن. سرّ عدم فهمهم هو عدم الإيمان، فإن النبوة تعلن بوضوح عنهم ولهم[1].

يوسابيوس أسقف قيصرية

❖ يلزم العقل المسيحي أن ينتعش بالإيمان البسيط، حتى يمكنه أن يفهم الأمور السماوية الأبدية. هذا ما قاله النبي: "إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا" (إش ٧: ٩). الإيمان البسيط هو ذاكَ الذي قبل أن نبلغ إلى أعالي معرفة محبة المسيح، فنمتلئ بكل كمال الله؛ نؤمن أن تدبير تواضع المسيح لم يكن باطلاً، الذي به وُلد وتألم كإنسانٍ. هذا قد سبق فأُخبر به بواسطة الأنبياء خلال الجنس النبوي، الشعب النبوي والمملكة النبوية[2].

❖ إن كنتَ غير قادر على الفهم، آمن أنك تفهم. الإيمان يتقدم، والفهم يأتي وراءه، إذ يقول النبي: "إن لم تؤمِنوا، فلا تأمَنوا" (إش ٧: ٩)[3].

القديس أغسطينوس

فَسَمِعَ لَهُ مَلِكُ أَشُّورَ،
وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ إِلَى دِمَشْقَ،
وَأَخَذَهَا وسَبَاهَا إِلَى قِيرَ،
وَقَتَلَ رَصِينَ. [٩]

تدمير دمشق: سمع ملك أشور ما قد قيل عنه: "جاء عليه تغلث فلاسر ملك أشور، وضايقه ولم يُشدِّده، لأن آحاز أخذ قسمًا من بيت الرب ومن بيت الملك ومن الرؤساء وأعطاه لملك أشور، ولكنه لم يساعده" (٢ أي ٢٨: ٢). لذلك بعث ملك أشور حملة (٧٣٤-٧٣٢ ق. م)، سقطت

---

[1] *Proof of the Gospel 7 1*
[2] *Reply to Faustus the Manichean 12 46*
[3] *Sermon 68 (118). 1*

أمامها دمشق في عام ٧٣٢ ق. م، وقتل ملكها رصين، وأقام هوشع ملكًا عوض فقح على عرش إسرائيل في ذات العام. كما وضع تغلث فلاسر جزية على كلٍ من هوشع وآحاز.

تُعتبَر **دمشق** من أعرق المدن، ورَد ذكرها في أيام إبراهيم (تك ١٤: ١٥)؛ غزاها داود الملك وأقام فيها حامية (٢ صم ٨: ٥-٦؛ ١ أى ١٨: ٥-٦). قام رزون وتمكَّن من تأسيس المملكة السورية ودامت الحرب بينها وبين إسرائيل زمانًا طويلاً، لكنهما تحالفا معًا فيما بعد ضد يهوذا وأشور. وقد تعرضت للهزيمة عدة مرات، ففي سنة ٨٤٣ ق.م. هاجم شلمنأسَّر دمشق وهزم ملكها حزائيل، كما هاجمها تغلث فلاسر سنة ٧٣٢ ق.م.، وقتل ملكها رصين وقاد شعبها إلى السبي (٢ مل ١٦: ٥-٩؛ إش ٧: ١-٨؛ عا ١: ٣-٥). انتقلت بعد ذلك من الأشوريين إلى الكلدانيين، ثم إلى الفرس، فاليونانيين المقدونيين، فالرومان على يدي ميتللوس عام ٦٤ ق.م. لتصير سوريا مقاطعة رومانية عام ٦٣ ق.م.

إن كان ملك أشور قد أخذ موقفًا من دمشق التي تحالفت مع إسرائيل ضد آحاز، لكنه لم يسند آحاز ضد الفلسطينيين، ولا قدَّم له عونًا ضد إسرائيل. هكذا أعانه قليلاً، لكنه سلب الكثير وضغط عليه.

يبدو في هذه الفترة أن فقح ملك إسرائيل دمَّر يهوذا، إذ جاء في (٢ أي ٢٨: ٦، ٨) أنه قتل مئة وعشرين ألفًا من بني البأس في يومٍ واحدٍ، وسبى من إخوتهم مائتيّ ألف من النساء والبنين والبنات، ونهبوا أيضًا منهم غنيمة وافرة إلى السامرة. وعند دخول الجيش ومعه المسبيّون خرج للقائهم نبي للرب اسمه عوديد، وقال لهم: "هوذا من أجل غضب الرب إله آبائكم على يهوذا قد دفعهم ليدكم، وقد قتلتموهم بغضبٍ بلغ السماء. والآن أنتم عازمون على إخضاع بني يهوذا عبيدًا وإماءً لكم. أما عندكم أنتم آثام للرب إلهكم. والآن اسمعوا لي وردُّوا السبي الذي سبيتموه من إخوتكم لأن حمو غضب الرب عليكم" (٢ أي ٢٨: ٩-١١). وقام بعض رؤساء من بني أفرايم ورفضوا الدخول بالمسبيين إلى المدينة، وقدَّموا ملابس للعراة منهم وأحذية وطعامًا وشرابًا ودهنًا وحملوا المعيين على حمير وذهبوا بهم إلى أريحا[1].

هكذا قام الله بتأديب يهوذا بسبب ارتدادهم عن الإيمان وفي نفس الوقت بعث من إسرائيل من يرفضون دخول المسبيين إلى المدينة، وتقديم العون للمسبيين. إنه يؤدب ويترفق!

٥. آحاز يلتقي بتغلث فلاسر

وَسَارَ الْمَلِكُ آحَازُ لِلِقَاءِ تَغْلَثَ فَلاَسِرَ مَلِكِ أَشُّورَ إِلَى دِمَشْقَ،
وَرَأَى الْمَذْبَحَ الَّذِي فِي دِمَشْقَ.

---

[1] *cf. Adam Clarke Commentary.*

وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ آحَازُ إِلَى أُورِيَّا الْكَاهِنِ شِبْهَ الْمَذْبَحِ،
وَشَكْلَهُ حَسَبَ كُلِّ صِنَاعَتِهِ. [١٠]

إذ التجأ آحاز إلى ملك أشور لإنقاذه من أرام وإسرائيل، صار لزامًا عليه أن يخضع له، ويذهب ومعه الملوك الخاضعون لأشور إلى دمشق عاصمة أرام ليهنئ الملك تغلث فلاسر بانتصاره، ولتقديم فروض الولاء لملك أشور، ولدفع الجزية. خشي آحاز أن يزحف ملك أشور إلى الجنوب، فاتَّكل على المال (دفع جزية) لا على الله، بالتوبة والرجوع إليه، وقد سبَّب تغلث فلاسر متاعب كثيرة ليهوذا حتى ندم آحاز على استنجاده به (٢ أي ١٨:٢٠-٢١).

هناك في دمشق أُعجب آحاز بمذبح للوثن، فلم ينتظر أن يعود إلى أورشليم، إنما أرسل رسمًا تخطيطيًا له إلى أوريَّا الكاهن بأورشليم لصنع مذبح مثله، وبهذا انحرف آحاز عن شريعة الرب، بل ودفع أوريا الكاهن الأمين إلى ذلك الخطأ. كما ذبح لآلهة دمشق (٢ أي ٢٨: ٢٣). هذا ثمن طبيعي للاتكال على ذراع البشر، لا على ذراع الله.

لقد كان أوريَّا الكاهن أحد شاهدين أخذهما إشعياء النبي ليتنبأ بأن ثروة دمشق وغنيمة إسرائيل تُحمل قدام ملك أشور (إش ٨: ٢). مع ذلك قام بالتنفيذ ليشبع رغبة الملك الشرير المرتد عن الإيمان. إنها خيانة للرب الحيّ، خاصة وأنه أقامه بجوار المذبح النحاسي، حيث قام الملك عند عودته بتقديم ذبائح عليه لآلهة دمشق، وليس للإله الحيّ.

٦. إعجاب آحاز بالمذبح الوثني

فَبَنَى أُورِيَّا الْكَاهِنُ مَذْبَحًا.
حَسَبَ كُلِّ مَا أَرْسَلَ الْمَلِكُ آحَازُ مِنْ دِمَشْقَ كَذَلِكَ عَمِلَ أُورِيَّا الْكَاهِنُ،
رَيْثَمَا جَاءَ الْمَلِكُ آحَازُ مِنْ دِمَشْقَ. [١١]

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَلِكُ مِنْ دِمَشْقَ رَأَى الْمَلِكُ الْمَذْبَحَ،
فَتَقَدَّمَ الْمَلِكُ إِلَى الْمَذْبَحِ وَأَصْعَدَ عَلَيْهِ، [١٢]

إذ عاد آحاز من دمشق قدَّم على المذبح الوثني مُحرقة وتقدمة وسكب سكيبة ورش دم ذبيحة السلام على المذبح. خلط بين عبادة الله الحي والوثنية. وقام بتصرفات خاطئة ببيت الرب (١٤-١٨؛ ٢ أي ٢٨: ٢-٤؛ ٢٢-٢٥) تحمل ارتدادًا، حتى أغلق باب الهيكل (٢ أي ٢٨: ٢٤).

بأمر إلهي أخذ إشعياء لوحًا كبيرًا كتب عليه بحروف واضحة "مهير شلال حاش بز" وتعني "أسرع إلى السلب، بادر إلى النهب". وضع إشعياء النبي اللوح في مكان ظاهر في الهيكل لكي يقرأه الكل، وقد شهد كاهنان عليه هما: أوريا وزكريا، أوريا كان رئيس كهنة في أيام آحاز ومشيره الروحي والمُشترِك معه في العبادة الوثنية.

عندما أقام موسى النبي خيمة الاجتماع، أقامها على المثال السماوي الذي أظهره له الرب، لكي يعيش الشعب كما في السماء أثناء عبادتهم. أما آحاز، فأُعجب بالمذبح الوثني الجامد، لكي يسكب روح البطلان على المتعبِّدين دون أن يدروا.

انجذب آحاز إلى إقامة مذبح جديد، ولم يدرك أن التجديد الحقيقي هو في القلب حيث يتمتع بخبرة الحياة السماوية المتجددة على الدوام.

إلى يومنا هذا يريد البعض التجديد بقبول كل ما هو جديد دون تمييز ودراسة ورغبة في التمتُّع بالحق الإلهي. كما يخطئ البعض بالتمسُّك بالقديم لمجرد كونه قديمًا دون تجديد الأعماق ونوال خبرات متجددة.

يربط إرميا النبي بين ما هو قديم وجديد، فيقول: "لأن مرَاحمه لا تزول، هي جديدة في كل صباحٍ، كثيرة هي أمانتك" (مرا ٣ ٢٢-٢٣).

يهب الرب كل إنسان سؤل قلبه، فمن يحب العالم يهبه العالم فينهار معه، ومن يحب الحق يلتصق به ويتمجد مع المسيح "الحق". يقول المرتل: "تلذَّذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك" (مز ٣٧: ٤)، "فأعطاهم سؤلهم، وأرسل هزالاً في أنفسهم" (مز ١٠٦: ١٥).

وإذ تحدث الرب عن السبي، قال لإرميا: "ويكون حين تقولون: لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه؟ تقول لهم كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم، هكذا تعبدون الغرباء في أرضٍ ليست لكم" (إر ٥: ١٩).

❖ بالتأكيد امتلك شعب إسرائيل الأرض المقدسة، الهيكل بيت الصلاة. وكان يليق بهم أن يخدموا الله، لكنهم إذ عصوا الوصية الإلهية، عبدوا الأصنام، سواء الأصنام التي نقلوها عن دمشق كما جاء في الملوك أو الأصنام الأخرى التي أحضروها من أممٍ وثنية أخرى إلى الأرض المقدسة.

إذ قبلوا هذه الأصنام الوثنية تأهلوا أن يُطرَدوا إلى بلاد الأصنام ويسكنوا هناك حيث يعبدون الأصنام[1].

العلامة أوريجينوس

وَأَوْقَدَ مُحْرَقَتَهُ وَتَقْدِمَتَهُ وَسَكَبَ سَكِيبَهُ،
وَرَشَّ دَمَ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ الَّتِي لَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. [١٣]

ما قدّمه من عبادة وإن كانت في هيكل الرب، غير أنها لم تُقدَّم لله، بل لآلهة دمشق التي سُر بها.

---

[1] *Homilies on Jeremiah 7:3 1*

وَمَذْبَحُ النُّحَاسِ الَّذِي أَمَامَ الرَّبِّ قَدَّمَهُ مِنْ أَمَامِ الْبَيْتِ مِنْ بَيْنِ الْمَذْبَحِ وَبَيْتِ الرَّبِّ، وَجَعَلَهُ عَلَى جَانِبِ الْمَذْبَحِ الشِّمَالِيِّ. [١٤]

أمر الملك بتحريك مذبح النحاس ليكون في الجانب الشمالي كما في ركن ليس بذي أهمية، أمام المذبح الذي صُنع مشابهًا لمذبح إله دمشق، فوضعه أمام الهيكل مباشرة. قام بتحريك المذبح من مكانه لكي ما يزيله تدريجيًا من الهيكل.

لقد دُعيت الدرجات بعد ذلك "درجات آحاز" (٢ مل ٢٠: ١١)، حيث يوجد مذبح آحاز، لا مذبح الرب.

يبدو أن الملك وقد صار مولعًا بما رآه في دمشق بخصوص المذبح والهيكل الوثني، أراد أن يقوم بهذا التعديل، لكي يصير الهيكل مطابقًا إلى حدٍ ما بما رآه في دمشق. وأن يُشكِّل العبادة الإلهية بما يتفق بالعبادة التي تُقام في دمشق. لقد أراد أن يُكرِّم العبادة الوثنية عِوَض تكريم إله السماء. وكما قيل عنه: "وأسخط الرب إله آبائه" (٢ أي ٢٨: ٢٥)[1].

وَأَمَرَ الْمَلِكُ آحَازُ أُورِيَّا الْكَاهِنَ:
عَلَى الْمَذْبَحِ الْعَظِيمِ أَوْقِدْ مُحْرَقَةَ الصَّبَاحِ وَتَقْدِمَةَ الْمَسَاءِ وَمُحْرَقَةَ الْمَلِكِ وَتَقْدِمَتَهُ،
مَعَ مُحْرَقَةِ كُلِّ شَعْبِ الأَرْضِ وَتَقْدِمَتِهِمْ وَسَكَائِبِهِمْ،
وَرُشَّ عَلَيْهِ كُلَّ دَمِ مُحْرَقَةٍ وَكُلَّ دَمِ ذَبِيحَةٍ.
وَمَذْبَحُ النُّحَاسِ يَكُونُ لِي لِلسُّؤَالِ. [١٥]

أمر آحاز الملك أن يوقد الكاهن على المذبح الأشوري المحرقات مرضاة لملك أشور.

فَعَمِلَ أُورِيَّا الْكَاهِنُ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ آحَازُ. [١٦]

أوريَّا اسم عبري معناه "يهوه نوري". اتسم بالطاعة للملك آحاز في كل ما يأمر به. لكنها طاعة ملومة. لقد أخطأ، لأنه أراد تطوير المذبح بذوقٍ بشريٍ وهوى إنساني، متجاهلاً أن الهيكل وما يحتوي عليه من أساسات تم بدقة بأمر إلهي (خر ٢٥: ٤٠؛ ٢٦: ٣٠؛ ٢٧: ٤؛ ١ أي ٢٨: ١٩)[2].

وَقَطَعَ الْمَلِكُ آحَازُ أَتْرَاسَ الْقَوَاعِدِ وَرَفَعَ عَنْهَا الْمِرْحَضَةَ،
وَأَنْزَلَ الْبَحْرَ عَنْ ثِيرَانِ النُّحَاسِ الَّتِي تَحْتَهُ،
وَجَعَلَهُ عَلَى رَصِيفٍ مِنْ حِجَارَةٍ. [١٧]

---

[1] *Cf. Adam Clarke Commentary.*
[2] *Cf. Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*

يُظَن أن الملك قطع أتراس القواعد ليستخدمها كقواعدٍ لتمثال مُتقَن يُزيِّن به قصره[1].

وَرِوَاقَ السَّبْتِ الَّذِي بَنُوهُ فِي الْبَيْتِ،

وَمَدْخَلَ الْمَلِكِ مِنْ خَارِجٍ غَيَّرَهُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ مَلِكِ أَشُّورَ. [١٨]

رواق السبت: هو رواق عند مدخل المبنى معمَّد، كان الكهنة يدخلون منه إلى الهيكل في يوم السبت[2].

مدخل الملك من خارج: هو مدخل سري خارجي خاص بالملك اليائس للدخول إلى الهيكل في سرية ليستشير النبي المرذول من الملك وشعبه طويلاً.

ما قد فعله آحاز الملك بإزالة هذه الأمور ربما كان يهدف أنه متى حدث حصار أشوري يبقى الهيكل في شيءٍ من الأمان، فلا يدخل الأشوريون من هذه المنافذ[3].

أهان آحاز الرب وبيته وفرائضه وغيرها وأكرم آلهة أشور.

جاء في ٢ أي ٢٨: ٢٤ أن آحاز جمع آنية بيت الله، وقطع آنية بيت الله، وأغلق أبواب بيت الرب، وعمل لنفسه مذابح في كل زاوية. في أورشليم، وفي كل مدينة عمل مرتفعات للإيقاد لآلهة أخرى.

استبدل آحاز المذبح لخدمة الله إلى مذبح وثني إرضاءً لملك أشور، وكأنه يقيم إلهًا له يتكل عليه عِوَض الاتكال على الله.

لا نعجب إن كان الملك الضعيف الذي يُرضِي الناس لا الله له رئيس كهنة على شاكلته، ضعيف وخانع، يهتم أن يُرضِي الملك لا الله.

قام آحاز بتخريب بيت الرب تدريجيًا، فهو لم يأمر بهدم الهيكل، ولا أمر بتحويله إلى هيكل للوثن، لكنه أفسد عمل الهيكل تدريجيًا.

أ. أمر أوريًا بصنع مذبح برسم مذبح دمشق.

ب. قام بتحريك مذبح النحاس جانبًا، ووضع المذبح الجديد في مكان مرموق.

ج. قام بتقديم المُحرقَات والتقدُمات على المذبح الجديد، وترك مذبح النحاس لكي ما يسأل الرب في أمر ما عند الضرورة.

د. قطع أتراس القواعد، ورفع المرحضة...

هـ. أزال رواق الكهنة أو رواق السبت.

و. أزال مدخل الملك إلى الهيكل.

---

[1] *Cf. Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*
[2] *Cf. Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*
[3] *Cf. Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*

جاءت خطة آحاز مطابقة لعمل عدو الخير الذي يتسلل تدريجيًا لينزع من القلب قدسيته تحت أسماء برّاقة مثل التجديد، وعدم الالتزام بطقسٍ مُعيَّنٍ الخ. إنه زحف عدو الخير في حياة المؤمن دون المطالبة بترك الله وعبادته، ليُحقِّقَ في النهاية هدفه.

٧. موت آحاز واستلام حزقيا العرش

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ آحَازَ الَّتِي عَمِلَ
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [١٩]

ثُمَّ اضْطَجَعَ آحَازُ مَعَ آبَائِهِ،
وَدُفِنَ مَعَ آبَائِهِ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ،
وَمَلَكَ حَزَقِيَّا ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٠]

يُقدِّم لنا **القديس أغسطينوس** نصيحة عملية للتعامل مع عابدي الأوثان، قائلاً:

[عندما يكون لديك سلطان شرعي افعل هذا (أي ما ورد في تث ٧: ١-٥)، عندما لا يكون لدينا سلطان لا نفعل هذا؛ إنما متى أُعطي لنا سلطان لا نفشل في فعل هذا. كثير من الوثنيين لديهم هذه الرجاسات في ممتلكاتهم، فهل نذهب إليهم ونُحَطِّمها؟

أول ما ينبغي أن نفعله هو أن نُحَطِّمَ الأصنام التي في قلوبهم. عندئذ يصيرون مسيحيين، عندئذ إما أنهم يدعوننا لنُتمِّم هذا العمل الصالح، أو يفعلون هذا بأنفسهم أمامنا. ما يجب أن نفعله هو أن نُصلِّي لأجلهم، لا أن نغضب عليهم[1].]

من وحي ٢ مل ١٦

قلبًا نقيًا اخلقه فيّ يا الله!

❖ ترك عزاريا وابنه يوثام المرتفعات لعِلَّة أو أخرى.
وجاء من صُلْبِهما آحاز ينغمس بكل قلبه في العبادة الوثنية.
ما أهمله الجد والأب تعثَّر فيه الحفيد والابن.
ليس لهما ما يعتذرا به،
إذ قدَّما للابن السُمّ ولم يدريا!
وليس للابن عُذْرٌ،
فقد ملك الفساد كل كيانه!

---

[1] *St. Augustine. Sermon 62:17.*

❖ قلبًا نقيًّا اخلقه فيّ يا الله،
فأُقَدِّم لك كل حبّي ومشاعري وأحاسيسي.
لا أترك شيئًا لحساب العدو في أعماقي،
حتى لا يجد له فيَّ موضعًا يتسلل إليه،
ولا أكون عثرة لأحدٍ بسبب إهمالي.

❖ هبْ لي يا ابن داود أن اقتدي بداود الملك والنبي.
فمع ضعفاته كان يهرب إليك،
فيك يختفي ويتحصّن سالكًا بروحك القدوس.
لم تستطع كل الظروف المقاومة أن تُفسِدَ شعوره بحضرتك الإلهية.
لم يستطع العرش وكل السلطة أن تسحب قلبه عنك.
سقط في ضعفات، لكن سرعان ما انسحب قلبه إلى سماواتك.

❖ تركك الملك آحاز، وفي ضيقته لم تتركه.
أرسلتَ له نبيّك إشعياء يسنده ويطمئنه،
وعِوَض أن يُقَدِّمَ لك ذبيحة شكر،
التجأ إلى مملكة أشور تحميه وتدافع عنه.
وثَقَ في الملك الوثني، ولم يثق فيك يا أيها القدير.
هب لي أن ألجأ إليك، فأنت حصن حياتي.
أنت رجائي ومصدر فرحي وبهجة قلبي.
حلولك في أعماقي يرفعني كما إلى سماواتك.
لا يقدر عدو أن يلحق بي ويغتصبني.
في حضورك الدائم، لا تقدر خطية أن تتسلل فيَّ.
تجلِّيك يحوِّل أعماقي إلى مقادس طاهرة.

❖ حلولك يقيم من أعماقي سماءً جديدة أسوارها نار إلهية.
حلولك يُشبِع نفسي، فلا تشتهي عونًا بشريًا.
حلولك ينزع عنّي المذلة،
ويدخل بي إلى أمجاد فائقة!

❖ هبْ لي الإيمان بك، فأصير في أمان.

تفتح ذهني، فيستنير بالفهم والمعرفة.
أتمتع بعربون السماء، وأختبر قُدسيتها!
افتحْ قلبي وبصيرتي، فيتعانق الفهم مع الإيمان.
فلا أطلب الفهم دون الإيمان بك، ولا الإيمان بغير الفهم!

❖ هبْ لي يا رب القلب النقي،
فلا يجد مسرَّته إلاَّ في أحضانك الإلهية.
هبْ لي مع النقاوة الحكمة والجديَّة.
فلا يجد عدو الخير ثغرة للتسلل إلى قلبي.
مع النقاوة هبْ لي التجديد المُستمِر الداخلي.
هبْ لي أن أمارس الطقس بفكر سماوي.
فلا أسقط في الحرف القاتل، ولا الاستهتار المُفسِد!
هبْ لي نقاوة سماوية بعمل روحك القدوس الناري.
فأختبر عربون السماء مع كل نسمة من نسمات حياتي.

اَلأَصْحَاحُ السَّابِعُ عَشَرَ

سقوط السامرة

منذ أن حدث الانقسام بعد موت سليمان الحكيم، أطال الله أناته جدًا على المملكتين، خاصة مملكة إسرائيل، إذ لم يوجد ملك واحد صالح طوال هذه الفترة. استخدم كل وسيلة، تارة باللطف وأخرى بالتأديب، ومع هذا صمم إسرائيل على حالة الارتداد والتمرد، وقد حانت الساعة ليستدعي الله أشور لتسبي شعبه إسرائيل. تطرد الكثيرين خارج المملكة، وترسل غرباء من الأمم يتزوجون من البقية التي بقيت في إسرائيل، فيقوم جيلٌ لا ينتمي إلى إسرائيل في أصالة، بل هو خليط من اليهود والأمم، فتنتفي عن السامرة العاصمة ملامحها اليهودية كشعب الله.

في هذا الفصل الأخير من تاريخ إسرائيل الخاص بالسبي النهائي لهم، تكشف كلمة الله عن الأسباب التي أدَّتْ إلى سبيهم كدرس لكل الأجيال، بل ولكل مؤمنٍ، حتى لا يسقط فيما سقطت فيه مملكة إسرائيل، وكدرس لمملكة يهوذا التي للأسف لم تستفد منه.

سرّ هذا التأديب الحازم هو:

أ. نسيان مراحم الله ومعاملاته معهم [٧].

ب. الاقتداء بالأمم الوثنية في عبادتهم للأوثان وممارسة قبائح غير لائقة، هذه الأمم التي طردها الله من أمامهم [٨-١٢]

ت. سد الآذان عن سماع صوت الرب على فم الأنبياء [١٣-١٤].

ث. رفض فرائض الرب وعهده مع آبائهم، والسلوك في الباطل، فصاروا باطلاً [١٥-١٧].

ج. خشية الرب دون التخلّي عن العبادة الوثنية، أي الخلط بين عبادة الله وعبادة الأوثان [٣٢-٣٣].

٩. الخلط بين عبادة الله وعبادة الأوثان ٢٩-٤١.

١. هوشع الملك والسبي النهائي لإسرائيل

كان الملك شلمنأسر على الأرجح هو شلمنأسر الخامس بعد تغلث فلاسر (٧٢٧-٧٢٢ق.م)، قد بالغ في فرض جزية ثقيلة على المملكة الشمالية، حتى قرر الملك هوشع التمرُّد على أشور وتحالف مع سوا ملك مصر (٤:١٧)، لم يكن في هذا حماقة فحسب، وإنما عدم إيمان بالله الذي يحمي أولاده. لكي يقضي شلمنأسر على هذه المؤامرة، هاجم السامرة وحاصرها ثلاث سنوات، لكنه مات قبل سقوط السامرة. استولى خليفته سرجون الثاني على المدينة، وقضى على مملكة إسرائيل، وسبى شعبها.

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشَرَةَ لآحَازَ مَلِكِ يَهُوذَا،
مَلَكَ هُوشَعُ بْنُ أَيْلَةَ فِي السَّامِرَةِ عَلَى إِسْرَائِيلَ تِسْعَ سِنِينَ. [١]

"**هوشع**" معناها "خلاص". اغتال هوشع فقح بن رمليا ملك إسرائيل وملَكَ عوضًا عنه (٢ مل ١٥: ٣٠)، غير أنه لم يتحقق له استلام المُلْكِ إلا بعد سبع أو ثمان سنوات من قتله لفقح.

أُقيم هوشع ملكًا عام ٧٣٢ ق.م، أي أن الاثني عشر عامًا المذكورة هنا تشير إلى مشاركة حكمه مع أبيه آحاز، ربما تم ذلك بضغط من حملة تغلث فلاسر الأولى الغربية (٧٤٤-٧٤٣ ق.م).

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
وَلَكِنْ لَيْسَ كَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ. [٢]

كان هوشع الملك التاسع عشر والأخير لإسرائيل، وكان أفضل من بعض أسلافه، ومع ذلك كان سقوط المملكة في أيامه. لم تسقط بسبب خطايا ملك مُعيَّن، بل بسبب خطايا الملوك جميعهم من يربعام إلى هوشع، وأيضًا خطايا القادة الدينيين والمدنيين والشعب. يرى البعض أنه وإن كان هوشع من أفضل ملوك إسرائيل على الرغم من أن جميعهم كانوا أشرارًا، لم يُكرِّس حياته لعبادة العجليْن اللذيْن في دان وبيت إيل، كما أزال الحظر الذي وضعه الملوك على الشعب بعدم الذهاب إلى أورشليم للعبادة هناك في الهيكل. أعطى الفرصة للقادة وللشعب ألاّ يعبدوا العجليْن، كما سمح لهم بالعبادة في أورشليم لكنهم لم ينتفعوا بهذا، بل ازدادوا شرًا. فحدث السبي بالأكثر من أجل إصرارهم على الشر والتمادي فيه.

وَصَعِدَ عَلَيْهِ شَلْمَنْأَسَرُ مَلِكُ أَشُّورَ،
فَصَارَ لَهُ هُوشَعُ عَبْداً، وَدَفَعَ لَهُ جِزْيَةً. [٣]

شلمنأسر: اسم أشوري معناه "شلمان رئيس". هنا يقصد شلمنأسر الخامس، وهو ابن تغلث فلاسر وخليفته، حكَم من سنة ٧٢٧-٧٢٢ ق.م، وخلفه سرجون. يذكر يوسيفوس أنه حكم فينيقية عام ٧٢٥ ق.م. يدعوه هوشع "شلمان" (هو ١٠: ١٤).

خضع هوشع للملك تغلث فلاسر، لكنه عصى خليفته شلمنأسر، فصعد الأخير عليه، فخضع له هوشع، وكان يدفع له جزية سنوية. انتهز هوشع فرصة انشغال شلمنأسر في محاربة فينيقية ومحاصرة مدينة صور الجديدة وتحالف مع سوا ملك مصر على رجاء أن يخلص من سلطة أشور. نهاه هوشع النبي عن هذا التحالف (هو ٧: ١؛ ١ أي ١٢: ١) لكنه لم يسمع له. صعد شلمنأسر ثانية على السامرة، لكنه مات قبل الاستيلاء عليها، فحاصرها خليفته سرجون لمدة ثلاث سنوات.

بعد أن قيل عن هوشع الملك "عمل الشر في عينيّ الربّ" [٢]، جاء عنه أنه صار لملك أشور عبدًا، ودفع له جزية [٢]. إنها صورة مُرَّة للإنسان الذي خلقه الله ليكون ملكًا صاحب سلطان، يمارس الحياة الملوكية المُطوَّبة، ليصير بالخطية عبدًا لإبليس، ويُسلِّم ما وهبه الله كجزية يغتصبها منه عدو الخير.

❖ **الله كصالحٍ ومحبٍ (جوَّاد)**، وهب الإنسان حرية بخصوص الخير والشر، واهبًا إيَّاه عقلاً به يقدر أن يعاين العالم وكل ما فيه، فيعرف الله الذي خلق لأجله كل شيء.

أما الإنسان الشرير، فقد يرغب في هذا (معرفة الله)، لكنه لا يفهم، بل يهلك بعدم إيمانه وبتفكيره المناقض للحقيقة. هذه هي حرية الإنسان فيما يختص بالخير والشر!

❖ لا نعتبر الأحرار هم أولئك الأحرار بحسب مركزهم، بل الذين هم بحق أحرار في حياتهم وطبعهم... حرية النفس وطوباويتها هما نتيجة النقاء الحقيقي والازدراء بالزمنيات[١].

❖ الإنسان الحر هو ذاك الذي لا تستعبده الملذات، بل يتحكم في الجسد بتمييزٍ صالحٍ وعفةٍ، قانعًا بما يعطيه الله، مهما كان قليلاً، شاكرًا إياه من كل قلبه[٢].

القدِّيس أنطونيوس الكبير

وَوَجَدَ مَلِكُ أَشُّورَ فِي هُوشَعَ خِيَانَةً،
لأَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلاً إِلَى سَوَا مَلِكِ مِصْرَ،
وَلَمْ يُؤَدِّ جِزْيَةً إِلَى مَلِكِ أَشُّورَ حَسَبَ كُلِّ سَنَةٍ،

---

[١] الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ٣٤.

[٢] الفيلوكاليا، ١٩٩٣، ص ٤٣.

فَقَبَضَ عَلَيْهِ مَلِكُ أَشُّورَ وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ. [٤]

يرى بعض المُفَسِّرين أن الحديث هنا موجه إلى آفرايم حيث ورد في (٢ مل ١٧: ٤) عن معاهدة تمت بين هوشع بن إيلة ملك إسرائيل (آفرايم) وسوا ملك مصر مع ثورته ضد أشور ورفضه دفع الجزية له، أكثر منه وجود معاهدة بين يهوذا ومصر... لكن بقية الحديث مُوَجَّه إلى يهوذا وأورشليم إنه حديث إلهي موجه ضد كل إنسان يتجاهل الله مُتَّكلاً على ذراعٍ بشريةٍ.

أرسل سرجون رئيس جيشه إلى أشدود قاصدًا سوا ملك مصر (٢ مل ١٧: ٤)، إذ تعتبر أشدود التي على حدود الفلسطينيين مفتاحًا للدخول إلى مصر.

كشفت الدراسات الحديثة أن سوا *Sua* ليس اسمًا لفرعون، وإنما هو اختصار لاسم قائد كتيبة في الدلتا يُدعَى *Siba*، أو هو اختصار لاسم مدينة في غرب الدلتا تُسمَّى *Sais* استخدمها تافنخت *Tefnakhte* لإقامته. ظهور شخصية في مصر "تافنخت *Tefnekht*" فرعون من الأسرة الرابعة والعشرين، دفع هوشع إلى الشعور بأنه قد حان الوقت للتمرُّد على أشور معتمدًا على تحالفه مع ملك مصر. يبدو أنه قُبِضَ عليه قبل سقوط السامرة.

عندما جاء شلمنأسر ملك أشور لمحاربة هوشع ملك إسرائيل، اكتشف مؤامرة بدأها هوشع: "لأنه أرسل رسلاً إلى سوا ملك مصر" (٢ مل ١٧: ٤). لم يرد بجانب هذه الفقرة أي موضع آخر ذُكِرَ فيه ملك لمصر اسمه "سوا". فهل هذا خطأ؟

الإجابة: الاسم المُترجَم "سوا" يمكن أيضًا أن يُترجَم "سايس *Sais*" وهو اسم مدينة العاصمة التي لتافنخت *Tefnakht* ملك مصر في أيام هوشع ملك إسرائيل. لهذا يمكن قراءة هذه الفقرة هكذا: "أرسل (هوشع) رسلاً إلى "سايس *Sais*" ملك مصر." كلمة سوا *So* في الترجمة NKJV ليست اسم ملك مصر إنما اسم مدينة العاصمة لمملكة مصر. لا يوجد خطأ هنا[1].

نسي هوشع الله كمُخَلِّصٍ له، ووضع أمام عينيه الخيار بين الالتصاق بملك مصر أو بملك أشور، وإذ يخضع لأحدهما يصير له عبدًا، ويفقد الكثير من حريته وكرامته وممتلكاته. لقد نسي دور الله وإمكانياته في حمايته وعطاياه خاصة الحرية!

للأسف كثيرًا ما نتخبط بين الاستعباد لخطية أو أخرى وننسى برّ المسيح مخلصنا ومُحَرِّرنا واهب الأمجاد الأبدية.

❖ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨: ٣٤).

إنه عبد، يا ليته لإنسانٍ بل للخطية! من لا يرتعب أمام مثل هذه الكلمات؟ الرب إلهنا يهبنا –

---

[1] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill.: Victor Books. Geisler، N. L.، & Howe، T. A. (1992).*

أنتم وأنا – أن نتكلم بتعبيرات لائقة عن هذه الحرية باحثين عنها وأن نتجنّب تلك العبودية...

يا لها من عبودية بائسة! عندما يعاني البشر من سادة أشرار، يطلبون بكل الأحوال تغيير السيد. ماذا يفعل عبد الخطية؟ لمن يُقدّم طلبه؟ إلى من يطلب الخلاص؟...

أين يهرب عبد الخطية؟ فإنه يحمل (سيده) أينما هرب. لا يهرب الضمير الشرير منه، ولا يوجد موضع يذهب إليه. نعم، لا يقدر أن ينسحب من نفسه، لأن الخطية التي يرتكبها في داخله. يرتكب الخطية لكي يحصل على شيء من اللذة الجسدية. تَعْبُرُ اللذة وتبقى الخطية. ما يبتهج به يَعْبُرُ، وتبقى الشوكة خلفها. يا لها من عبودية شريرة!...

لنهرب جميعًا إلى المسيح، ونحتج ضد الخطية إلى الله بكونه مُخلِّصنا.

لنطلب أن نُباع لكي ما يُخلِّصنا بدمه. إذ يقول الرب: "مجانًا بُعتم وستخلصون بدون مالٍ" (إش ٥٢: ٣). بدون ثمن من جهتكم، بسببي. هكذا يقول الرب لأنه هو دفع الثمن لا بمالٍ بل بدمه، وإلا بقينا عبيدًا معوزين[1].

❖ كنا عبيدًا للشهوة، ولكن إذ نتحرر **يجعلنا عبيدًا للحب**. هذا أيضًا ما يقوله الرسول: "فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الإخوة غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضًا" (غل ٥: ١٣).

إذن لا يقول المسيحي: أنا حرّ، أنا دُعيت للحرية. كنتُ عبدًا وقد خلصتُ، وبخلاصي هذا صرتُ حُرًا أفعل ما يحلو لي، لا يصد أحد إرادتي مادمت حرًا... لا تفسد حريتك بالخطية، بل استخدمها في عدم ارتكاب الخطية. فإنه متى كانت إرادتك ورعة عندئذ فقط تكون حرة. **تكون حرًا إن كنت لا تزال عبدًا متحررًا من الخطية وخادمًا للبرّ**. وكما يقول الرسول: "لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحرارًا من البرّ... وأما الآن إذ أُعتقتم من الخطية، وصرتم عبيدًا لله، فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية" (رو ٦: ٢٠، ٢٢)[2].

القديس أغسطينوس

وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ،

وَصَعِدَ إِلَى السَّامِرَةِ، وَحَاصَرَهَا ثَلاَثَ سِنِينَ. [٥]

بعد فترة حصار دامت ثلاث سنوات سقطت السامرة في يد الأشوريين سنة ٧٢٢ ق.م. سرجون قائد جيش شلمنأسر الخامس الذي خلفه على العرش قال إنه هو الذي أخذ السامرة. وكانت العادة في ذلك الوقت ترحيل مجموعة ضخمة ممن لهم نفوذ على مواطني البلد المنهزمة، مما يُقلِّل

---

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 3 – 4.*
[2] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 8.*

من إمكانية قيام ثورة في البلد المهزومة (٢٥: ١١-١٢؛ حز ١: ٢-٣).

استمرار الحصار ثلاث سنوات يكشف عن أنها كانت مدينة حصينة، بها إمدادات قوية.

ما فعله ملك أشور هو حصار السامرة لمدة ثلاث سنوات، حتى يسقط القادة والشعب في حالة إحباط؛ يفقدون القدرة على الحركة والتمتُّع بحرية الخروج والدخول، بل يفقدون الطعام الضروري حتى الشرب من الماء!

كثيرًا ما يُلقي الإنسان بتصرفاته في فخ إبليس، ويصير تحت الحصار، ويعجز عن الحركة، ويفقد طعام الروح وشرابه، وتتحوَّل حياته إلى أشبه بسجن قائم مُحَطِّم للنفس.

❖ لا تجزع أبدًا من تصورات الخيال. إن قوة الشيطان ليست بشيء إزاء الحرية. إنه لا يقدر أن يجبر ويضغط عليها قسرًا، لكنه يحارب فقط بالقلق والترغيب. لا يعرف بأي فخٍ يصطاد الإنسان، ولهذا يكثر من فخاخه وينوِّعها. فلو عرف بأي فخٍ يقتنص الإنسان لنصبه له منذ البداية ليتغلَّبَ عليه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِهُوشَعَ أَخَذَ مَلِكُ أَشُّورَ السَّامِرَةَ،
وَسَبَى إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُّورَ،
وَأَسْكَنَهُمْ فِي حَلَحَ وَخَابُورَ نَهْرِ جُوزَانَ وَفِي مُدُنِ مَادِي. [٦]

جاء في الكتابات الأشورية أنه سبى ٢٧٢٩٠ أسيرًا و٥٠ مركبة. هذه هي الغزوة الثالثة والأخيرة من أشور لإسرائيل، وقد سبق الإشارة إلى الغزوتين الأولى والثانية في (٢ مل ١٩:٥؛ ٢٩:١٥).

الغزوة الأولى: كانت تحذيرًا لإسرائيل لتجنُّب هجوم آخر، بدفع الجزية وعدم العصيان. والغزوة الثانية: إذ لم يرجع الشعب إلى الله سمح الله بالغزوة الثانية حيث أُخذ البعض إلى السبي. أما الغزوة الثالثة، فإنه إذ لم يدرك الشعب أنه بسبب الفساد قد حلَّتْ بهم المتاعب تمَّت الغزوة الثالثة حيث تم السبي الكامل وانتهت مملكة الشمال، وجاءت بغرباء أسكنتهم البلاد. لقد سبق أن أنذرهم الله بما سيحل بهم بسبب العصيان وعدم الأمانة في حفظ العهد (تث ٢٨).

جاء عن هذا الغزو: "تُجازي السامرة لأنها قد تمرَّدتْ على إلهها. بالسيف يسقطون، والحوامل تُشَق" (هو ١٣: ١٦). "فأجعل السامرة خربة في البرية، مغارس للكروم، وألقى حجارتها إلى الوادي، وأكشف أسسها، وجميع تماثيلها المنحوتة تُحطَّم وكل أعقارها تُحرَق بالنار، وجميع

[1] راجع للدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ١٣١.

أصنامها أجعلها خرابًا، لأنها من عُقر الزانية جمعتها، وإلي عُقر الزانية تعود" (٢ مل ١: ٦-٧). واضح أن السبي الأشوري لإسرائيل كان في غاية العنف، إذ كانوا يغتصبون النساء، ويضربون الأطفال الصغار على الصخور والحجارة.

بهذا انتهت مملكة الشمال بعد أن استمرت ٢٥٤ عامًا منذ موت سليمان والانقسام الذي تبناه يربعام حتى استيلاء شلمنأسر على السامرة في السنة التاسعة من حكم هوشع.

٢. نسيان معاملات الله في الماضي

وكَانَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمِ،
الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،
مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ،
وَاتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى، [٧]

سبَب سقوط السامرة وإزالة مملكة الشمال هو الفشل الروحي، بترك الله الحي وعبادة آلهة وثنية، رغم التحذيرات المُستمرة للمملكتيْن خلال الأنبياء [١٣، ١٤، ٢٣]. أخطأت إسرائيل بكل أشكال العبادة الوثنية وممارسة قبائح لإغاظة الرب [١١]. من غباوة قلوبهم أنهم اتقوا الآلهة التي لا تقدر أن تُخلِّص المتعبدين لها، وفضّلوا عبادتها القبيحة على عبادة الرب.

٣. اقتداؤهم بالأمم الوثنية

وَسَلَكُوا حَسَبَ فَرَائِضِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ
مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ. [٨]

كان الشعب مسئولين عن خطايا ملوكهم، لأنهم هم الذين أقاموهم، واستحسنوا أعمالهم.

وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِراً ضِدَّ الرَّبِّ إِلَهِهِمْ أُمُوراً لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ،
وَبَنُوا لأَنْفُسِهِمْ مُرْتَفَعَاتٍ فِي جَمِيعِ مُدُنِهِمْ
مِنْ بُرْجِ النَّوَاطِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ. [٩]

عملوا سرًا (إش ٨: ١٩؛ حز ٨: ٧-١٢) من جهة الناس، ولكن الرب يرى كل شيء. أما أن يمارسوها سرًّ، فلأنهم يدركون أنها خطية وغير لائقة.

تعبير **"برج النواطير إلى المدينة المحصنة"**،

بقوله **"من برج النواطير إلى المدينة الحصينة"** يعني أن عبادة الأوثان صارت شائعة في كل مكانٍ، من المدينة الكبيرة إلى القرية الصغيرة، من البرج العام إلى كوخ الراعي.

وَأَقَامُوا لأَنْفُسِهِمْ أَنْصَاباً وَسَوَارِيَ عَلَى كُلِّ تَلٍّ عَالٍ،

وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. [١٠]

وَأَوْقَدُوا هُنَاكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْتَفَعَاتِ،
مِثْلَ الأُمَمِ الَّذِينَ سَاقَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِهِمْ،
وَعَمِلُوا أُمُوراً قَبِيحَةً لإِغَاظَةِ الرَّبِّ. [١١]

وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ الَّتِي قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْهَا:
لاَ تَعْمَلُوا هَذَا الأَمْرَ. [١٢]

٤. رفضهم صوت الرب على فم الأنبياء

وَأَشْهَدَ الرَّبُّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَعَلَى يَهُوذَا،
عَنْ يَدِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَكُلِّ رَاءٍ قَائِلاً:
ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ
وَاحْفَظُوا وَصَايَايَ فَرَائِضِي حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُ بِهَا آبَاءَكُمْ،
وَالَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَيْكُمْ عَنْ يَدِ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ. [١٣]

"**وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا**" كأنه لا يوجد مجال لتبرير أخطاء إسرائيل أو يهوذا، لأن الرب نفسه يشهد على ذلك. وأنه لا مجال للمغفرة ما لم يسمعوا لصوت أنبيائه ويرجعوا إلى الله بقلوبهم وينزعوا عنهم العبادة الوثنية.

لم ينقطع الأنبياء لا في إسرائيل ولا في يهوذا. فكان في يهوذا شمعيا وعِدّو وعزريا وحناني وياهو ويحزئيل واليعزر وزكريا وزكريا آخر ويوئيل وميخا وإشعياء وغيرهم. وكان في إسرائيل أخيا وياهو وإيليا وميخا وأليشع ويونان وهوشع وعاموس وعوديد.

فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ صَلَّبُوا أَقْفِيَتَهُمْ كَأَقْفِيَةِ آبَائِهِمِ،
الَّذِين لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّبِّ إِلَهِهِمْ. [١٤]

تعبير "**صلّبوا أقفيتهم**" مأخوذ من الفَرَس الصلب الجموح الذي لا يستطيع راكبه أن يثنيه باللجام (خر ٣٢: ٩).

يندر استخدام تعبير "**لم يؤمنوا بالرب**" في العهد القديم. عدم الإيمان الحي بالرب هو وراء كل خطية، حيث يسلك الإنسان حسب فكره البشري، متجاهلاً حكمة الله ومواعيد الصادقة، فلا ينظر إلى ما لا يُرى، بل إلى الأمور المنظورة وحدها.

٥. رفضهم فرائض الرب وعهده

وَرَفَضُوا فَرَائِضَهُ وَعَهْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ آبَائِهِمْ،

وَشَهَادَاتِهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا عَلَيْهِمْ،
وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ،
وَصَارُوا بَاطِلاً وَرَاءَ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمُ،
الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّبُّ أَنْ لاَ يَعْمَلُوا مِثْلَهُمْ. [١٥]

وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهِهِمْ
وَعَمِلُوا لأَنْفُسِهِمْ مَسْبُوكَاتٍ عِجْلَيْنِ،
وَعَمِلُوا سَوَارِيَ وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ،
وَعَبَدُوا الْبَعْلَ. [١٦]

هنا أول ذِكْر للعجلين في إسرائيل، أحدهما في بيت إيل، والآخر في دان (عا ٤: ٤؛ ٧: ١٣؛ ٨: ١٤). وأيضًا ذكر السواري التي بواسطتها سجدوا للقمر أو ملكة السماء أو الزُهرة (إر ٧: ١٨؛ ٤٤: ١٧-١٩).

وثالثًا جند السماء، أي الكواكب والنجوم التي تعلَّموا عبادتها من الأشوريين، رابعًا البعل الذي كانت الشمس رمزًا له (حز ٨: ١٦).

❖ "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم" (مز ٢٤: ٩ *LXX*). لنذهب فورًا إلى السماء. مرة أخرى ليصرخ بوق النبي عاليًا: "ارفعوا يا رؤساء الهواء الأبواب التي في أذهان البشر الذين يعبدون "جند السماء" (٢ مل ١٧: ١٦). ولترتفعي أيتها الأبواب الدهرية. لترتفعي يا أبواب البرّ الدهرية، أبواب الحب والطهارة التي من خلالها تحب النفس الله الحقيقي الواحد، ولا تسلك بالبغي مع كثيرين يُدعون آلهة[1].

القديس أغسطينوس

وَعَبَّرُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فِي النَّارِ،
وَعَرَفُوا عِرَافَةً وَتَفَاءَلُوا،
وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ لإِغَاظَتِهِ. [١٧]

العرافة هي التنبؤ بأمورٍ مستقبلية بغير وحي إلهي، وكانت تتم بملاحظة النجوم والغيوم وبالقرعة والقضبان وطيران الطير ومراقبة أحشاء الحيوانات الخ.

التفاؤل: كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بوقع أحداث معينة. فيتشاءمون من سقوط لقمة من الفم، وسقوط العصا من اليد، وصراخ طفل وراء والده ونعيق الغراب فوق الرأس ومرور الغزال

---

[1] On Ps 24 (23).

على عرض الطريق أمام الإنسان الخ.

باعوا أنفسهم لعمل الشر، بمعنى عوض تسليم حياتهم في يد الله، سلَّموا أنفسهم لعدو الخير يُحرّكهم كيفما شاء.

٦. سلوكهم في خطايا يربعام

فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدّاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ،
وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ. [١٨]

كما في وجود الرب تجتمع كل الخيرات، هكذا يهرب الشر من أمامه، ويُحسَب الأشرار كأن لا وجود لهم في حضرته.

يقصد بيهوذا هنا سبط يهوذا ومن انضم إليه أي سبط بنيامين واللاويين وأيضًا الذين تركوا عبادة الأوثان من الأسباط العشرة والتصقوا بيهوذا ليعبدوا الإله الحيّ الحقيقي.

وَيَهُوذَا أَيْضاً لَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهِهِمْ
بَلْ سَلَكُوا فِي فَرَائِضِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي عَمِلُوهَا. [١٩]

فَرَذَلَ الرَّبُّ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ،
وَأَذَلَّهُمْ وَدَفَعَهُمْ لِيَدِ نَاهِبِينَ حَتَّى طَرَحَهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، [٢٠]

لأَنَّهُ شَقَّ إِسْرَائِيلَ عَنْ بَيْتِ دَاوُدَ،
فَمَلَّكُوا يَرُبْعَامَ بْنَ نَبَاطَ،
فَأَبْعَدَ يَرُبْعَامُ إِسْرَائِيلَ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ
وَجَعَلَهُمْ يُخْطِئُونَ خَطِيَّةً عَظِيمَةً. [٢١]

إذ أخطأ لوط البار بتسيُّبه وسُكْرِه، جلب على نفسه ونسله إلى أجيال كثيرة مرارة، إذ أنجب من بنتيه موآب وعمون اللذين أسسا شعبين غايتهما مقاومة الرب وشعبه إلى قرون كثيرة. هكذا ما فعله يربعام بن نباط بأن شق إسرائيل عن بيت داود وأقام عجلين في دان وبيت إيل حتى لا يَحِن الشعب إلى العودة إلى هيكل الرب بأورشليم، بقيت ثمار خطيته عاملة في مملكة الشمال حتى اللحظات الأخيرة لتدميرها بالسبي الأشوري. هذه الثمار امتدت من موت سليمان إلى حملة أشور (٧٢٥-٧٢٢ ق. م) حيث تحرّك شلمنأسر عام ٧٢٥ ق.م وحاصر السامرة ثلاث سنوات وانتهت بسقوط السامرة وانهيار المملكة.

كان انقسام المملكة ثمرة جهل رحبعام وتشامخه (١ مل ١١: ٣١) وخطية يربعام.

❖ يُقال إن الرب كان في غضبٍ شديدٍ، وسلَّمهم للهلاك، لأنهم انشقوا عن الوحدة، وأقاموا لأنفسهم

ملكًا لهم[1].

القديس كبريانوس

وَسَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ خَطَايَا يَرُبْعَامَ الَّتِي عَمِلَ.
لَمْ يَحِيدُوا عَنْهَا [٢٢]

حَتَّى نَحَّى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَمَامِهِ،
كَمَا تَكَلَّمَ عَنْ يَدِ جَمِيعِ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ،
فَسُبِيَ إِسْرَائِيلُ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَشُّورَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [٢٣]

٧. تسكين مدن السامرة بالغرباء

وَأَتَى مَلِكُ أَشُّورَ بِقَوْمٍ مِنْ بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَّا وَحَمَاةَ وَسَفَرْوَايِمَ،
وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ عِوَضاً عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مُدُنِهَا. [٢٤]

يرى بعض الدارسين أن النبي يُشير هنا إلى خراب إسرائيل بواسطة آسرحدون الذي جاء بقوم من بابل وكوث وعدا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضًا عن بني إسرائيل ليقضي على أمة إسرائيل تمامًا (٢ مل ١٧: ٢٤).

ملك أشور هنا غالبًا سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م). غير أن إحلال الغرباء محل بني إسرائيل استمر فيما بعد. تم المزج بين الإسرائيليين الذين تُرِكُوا في السامرة والغرباء الذين امتزجوا بهم، ودُعِي الكل سامريين، عقائدهم وأفكارهم مزيج بين عبادة الله الحي والأصنام.

كان من سياسة ملوك أشور أن ينقلوا سكان الأرض، ويُسكِّنوا غيرهم عوضًا عنهم، حتى تضعف محبتهم للوطن واتحادهم بعضهم مع بعض، ويخضعوا لملك أشور.

وأما في جرزيم حيث كان الهيكل الذي بناه سنبلط مع حميه منسّى على جبل عيبال هناك، فقد دعي هكذا، أولاً لرغبة السامريين في عدم الاشتراك مع اليهود الأورشليميين في عبادة واحدة، ومن جهة أخرى لكون الذين هناك هم في معظمهم غرباء أتى بهم الأشوريون عند سبي السامريين (٢ مل ١٧ : ٢٤-٤١) وكان المعروف آنئذ أن "زيوس المضياف" هو مؤوي الغرباء والأجانب. من جهة أخرى يفيد يوسيفوس بأن السامريين كانوا قد تقدَّموا بالتماس إلى أنطيوخس أبيفانيوس لإعفائهم من الاضطهاد وبطلب تغيير اسم هيكلهم، مُبَرِّرين ذلك بعدم اشتراكهم مع يهود أورشليم

---

[1] Epistle 75 to Magnus. 6.

في عبادة واحدة(١) ولذلك فقد نظر السفر إلى "الذين تركوا العهد المقدس" الوارد ذكـرهم فـي (دا ١١: ٣٢) على إنهم السامريون، ولكن السامريين في اختيارهم لـ "Zeus Xenios" كانوا يرون فيه إحدى صفات إله إسرائيل، وهي الاهتمام بالغرباء (تث ١٠ : ١٨) قارن مع (مـز ١٤٦ : ٩) كما يروى تفسير سامري قديم للتوراة أن إبراهيم أب الآباء قد أُحسنتْ ضيافته في جبل جرزيم[1].

أخطر ما يفعله عدو الخير بنا هو أن يفقدنا هويَّتنا، فلا نذكر أننا أبناء الله، مسكننا السماء، ولغتنا الحب، ومركزنا أبناء الله، وقانوننا ناموس المسيح، وسلاحنا صليب المُخلِّص، وأصدقاؤنا الطغمات السماوية، واستقرارنا الاتكاء على صدر الله، والدخول إلى أحضانه الإلهية.

❖ لا تتعجب يا إنسان أنك تصير ابنًا بالنعمة، أن تولد من الله حسب كلمته. فالكلمة نفسه اختار أولا أن يُولد من إنسانٍ لكي تولد أنت من الله حسب الخلاص، فتقول لنفسك: "ليس بدون سبب أراد الله أن يولد من إنسان، لكن لأنه حسبني ذا أهمية ولكي يجعلني خالدًا، من أجلي وُلِدَ كإنسانٍ قابلٍ للموت[2].

القديس أغسطينوس

كوث: غالبًا ما يقصد بها كوش، إذ يستبدل الكلدانيون والسريان حرف "ش" بحرف "ت" أو "ث".

٨. هجوم السباع على مدن السامرة

وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ سَكَنِهِمْ هُنَاكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا الرَّبَّ،

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَيْهِمِ السِّبَاعَ فَكَانَتْ تَقْتُلُ مِنْهُمْ. [٢٥]

وُجدتْ الأسود في فلسطين حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وقد انقرضت. من أحب الأماكن لسكناها هناك هي الغابات والأحراش القائمة على ضفتيّ الأردن (٤٩: ١٩؛ ٥٠: ٤٤)، كما وُجدت في جبل حرمون (نش ٤: ٨)، وفي السامرة (٢ مل ١٧: ٢٥)، وفي البرية الواقعة جنوب يهوذا (إش ٣٠: ٦).

كان صيد الأسود هو الرياضة المُحَبَّبة لدى ملوك الأشوريين.

اُستخدمتْ أشكال الأسود في هيكل سليمان (١ مل ٧: ٢٩، ٣٦)، وفي عرشه (١ مل ١٠: ١٩-٢٠).

---

(١) تاريخ يوسيفوس عصور اليهود القديمة (ج ١٢ / ٥ – ٥ – ٢٥٧ – ٢٦٤). راجع أيضا: *Jonathan Goldsten, 1Macc., P.223*) وجاءت "الآية ٢" في الترجمة الحرفية للفولجاتا: "لأن أهل الموضع كانوا غرباء".

[1] *Jonathan A. Goldsten, II Macc.*

[2] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 2:15*

يُستخدَم الأسد كرمز لرعاية الله وحراسته لأولاده (رؤ ٥: ٥)، كما يُستخدَم لغضبه (٢٥: ٣٠). أُستخدم أيضًا كرمز لإبليس المفترس (١ بط ٥: ٨)، وللأنبياء الكذبة المهلكين (حز ٢٢: ٥) وللملك الغاضب (أم ٢٥: ٣٠).

فَقَالُوا لِمَلِكِ أَشُّورَ:
إِنَّ الأُمَمَ الَّذِينَ سَبَيْتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ،
لاَ يَعْرِفُونَ قَضَاءَ إِلَهِ الأَرْضِ،
فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمِ السِّبَاعَ فَهِيَ تَقْتُلُهُمْ
لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ قَضَاءَ إِلَهِ الأَرْضِ. [٢٦]

خالق العالم من أرض خالية وخاوية (تك ١ : ٢) قادر أن يُعاقب بإرسال وحوش مفترسة ومُرعبة كما حدث في السامرة (٢ مل ١٧ :٢٦).

كان أمرًا طبيعيًا إذ قلَّ عدد السكان كثُرتْ الأسود، مع ذلك هذا حدث بسماح من الرب (لا ٢٦: ٢١-٢٢).

❖ لقد ظنوا أن الله يُحدّ بمكان مُعيَّن وقابل للقسمة؛ على الأقل كانوا يعبدونه بهذا المفهوم. بهذا الروح أرسلوا إلى الفارسيين وأعلنوا أن إله هذا الموضع لا يُسرّ بهم (٢ مل ١٧: ٢٦).

وبسبب فكرتهم هذه عنه، فإن مفهومهم عن الله لا يختلف عن مفهومهم عن الأصنام. لهذا استمروا يعبدون الروح الشرير والله، رابطين أمورًا لا يمكن التوافق بينها. أما اليهود فأغلبهم كانوا متحررين من هذا الفساد، وعرفوا أنه هو إله المسكونة، حتى وإن لم يكن الكل مؤمنين[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖كيف لم يعرف السامريُون ما يعبدونه؟ لأنهم ظنوا أن الله خاص بالمكان المحلِّي وأجزءٍ مُعيَّن. لهذا فإنهم على الأقل وهم يعبدونه أرسلوا إلى الفارسيين (الأشوريين) يقدمون تقريرًا بأن "إله الأرض غاضب علينا" (راجع ٢ مل ١٧: ٢٦). بهذا يشكِّلون فكرًا أن الله ليس بأسمى من تماثيلهم. لقد استمروا يخدمونه مع الشياطين، فضموا ما يليق بما لا يليق[2].

القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم

فَأَمَرَ مَلِكُ أَشُّورَ:
ابْعَثُوا إِلَى هُنَاكَ وَاحِدًا مِنَ الْكَهَنَةِ الَّذِينَ سَبَيْتُمُوهُمْ مِنْ هُنَاكَ،

---

[1] *Homilies on John, 33:1*
[2] *Homilies on St John Homily 33:1.*

فَيَذْهَبَ وَيَسْكُنَ هُنَاكَ،
وَيُعَلِّمَهُمْ قَضَاءَ إِلَهِ الأَرْضِ. [٢٧]

إذ كثرت الأسود التي تفترس السكان، حسبوا أن هذا بسبب إله هذه المنطقة، لأن الشعب القادم لم يعرف قضاء هذا الأرض. كان كثيرون يحسبون أنه كما لكل منطقة حاكم هكذا لها إله له قضاء خاص، إن لم يطيعوه يغضب عليهم.

فَأَتَى وَاحِدٌ مِنَ الْكَهَنَةِ الَّذِينَ سَبُوهُمْ مِنَ السَّامِرَةِ،
وَسَكَنَ فِي بَيْتِ إِيلَ،
وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَتَّقُونَ الرَّبَّ. [٢٨]

بالرغم من استدعاء أحد الكهنة ليقوم بتعليم الشعب قضاء إله الأرض، لكن النتيجة هي قيام مزيج من عبادات وثنية متنوعة مع ارتداء المملكة عن عبادة الله الحي وإن مارسوا بعض العبادات الخاصة بالله. هذا ما دفع اليهود إلى رفض السامريين تمامًا، مع قيام نوع من العداوة نحوهم (يو ٤: ٩؛ ٨: ٤٨).

ربما كان هذا الكاهن من بيت إيل، رجع إلى بلاده وإلى الخدمة الدينية التي كان يمارسها حتى يطفئ غضب إله هذه الأرض.

هنا أول ذكرٍ لتعبير السامريين، كانت ديانتهم خليطًا بين عبادة الله الحي والعبادة الوثنية. وكانوا لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة. لذلك كان اليهود في أيام السيد المسيح يحتقرونهم ويرفضون التعامل معهم (يو ٤: ٩).

٩. الخلط بين عبادة الله وعبادة الأوثان

فَكَانَتْ كُلُّ أُمَّةٍ تَعْمَلُ آلِهَتَهَا،
وَوَضَعُوهَا فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا السَّامِرِيُّونَ،
كُلُّ أُمَّةٍ فِي مُدُنِهَا الَّتِي سَكَنَتْ فِيهَا. [٢٩]

"فكانت كل أمة تعمل آلهتها"، فعوض الإيمان بالله خالق السماء والأرض، والذي خلق الإنسان على صورته ومثاله، قامت الأمم بتشكيل الآلهة التي تتعبد لها حسب هواها، لتحقيق الآلهة شهوات الإنسان الخاصة.

هؤلاء من منطقة السامرة الذين يُكِنُّون كل عداوة ليهوذا وبنيامين، هم من سلالة الشعوب التي استقرت في مملكة الشمال، بعث بهم ملوك أشور من مناطق مختلفة بعد ترحيل عدد كبير من الإسرائيليين إلى العاصمة سنة ٧٢٢ ق.م واختلطوا باليهود، فمزجوا بين عبادة الله الحي والعبادة الوثنية.

❖ من المناسب أن نخبر من أين جاء أصل السامريين. أقول هذا لأن كل المنطقة تُدعَى السامرة. فما هو مصدر هذا الاسم؟

يُدعَى الجبل "سامر" على اسم مالكه (شامر) (١ مل ١٦: ٢٤)...

لم يكن يُدعَى سكانها سامريين بل إسرائيليين. ولكن مع الزمن إذ عصوا الله في أيام الملك فقح، فصعد تلغث بلاسر واستولى على مدن كثيرة (٢ مل ١٥: ٢٩). بعد مهاجمة إيلة وقتله، سلَّم المُلك لهوشع. مؤخرًا جاء شلمنأسر واستولى على مدنٍ أخرى، وأخضعها ووضع عليها جزية. مع أن هوشع في البداية خضع، غير أنه ثار بعد ذلك على هذا الخضوع، ولجأ إلى المصريين[1] (٢ مل ١٧: ٤). علَمَ الأشوريون بذلك وبعثوا حملة وأخذوا سبايا، ورفضوا ترك الأمة في مكانها بعد، إذ تشكك أشور متوقعًا حدوث تمرُّد آخر.

نُقل السكان إلى بابل ومادي، وجاءوا بأناس من مناطق مختلفة مجاورة، يسكنون في السامرة، بهذا تطمئن أشور أن سلطانها يبقى في المستقبل، وأن السكان يعيشون في ولاء لأشور.

عندما حدثت هذه الأمور، إذ أراد الله أن يُظهِرَ سلطانه أنه هو الذي سلَّم اليهود ليس عن عجز في القوة من جانبه، وإنما بسبب خطايا هؤلاء الذين أخضعهم لأعدائهم، أرسل أسودًا على البرابرة، وافترستهم.

أُرسل للملك تقريرًا بما حدث، فبعث بكاهنٍ معينٍ يعلمهم شرائع الله، مع هذا كله لم يتحرر (الإسرائيليون) من شرهم، وإنما بطريقة جزئية.

مع مرور الزمن تركوا الأصنام وعبدوا الله. إذ بلغ اليهود هذا الأمر حمل اليهود روح نزاع ضدهم وحسبوهم غرباء وأعداء ودعوهم سامريين باسم الجبل الذي بُنيت عليه المدينة[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يدعو اليهود الحارس "سومر *somer*". لذلك جاء في تقليدهم أن السامريين أخذوا هذا الاسم أولاً، لأن ملك الأشوريين أرسلهم حُرَّاسًا على أرض إسرائيل بعد السبي[3].

العلامة أوريجينوس

فَعَمِلَ أَهْلُ بَابِلَ سُكُّوتَ بَنُوثَ،
وَأَهْلُ كُوثَ عَمِلُوا نَرْجَلَ،

[1] جاء في نص القديس يوحنا الذهبي الفم الأثيوبيين.

[2] *Commentary on John, 31:2.*
[3] *Commentary on John, 20:321*

وَأَهْلُ حَمَاةَ عَمِلُوا أَشِيمَا، [٣٠]

سكوث بنوث:

الترجمة الحرفية "سكن البنات" أو "خيام البنات" أو "أكشاك البنات"، ويُفترَض أن يكون اسم أماكن يتسلل إليها النساء لممارسة طقوس دنسة تخص عبادة آلهة بابليين.

غالبًا ما تشير إلى عامة الباغيات لدى هيكل فينوس Venus عند البابليين.

يرى *Sir H.Rawlinson* أن الكلمة تمثل إلهة كلدانية تسمى *Zir-bamit*، يعبدونها في بابل وتُسمَّى ملكة المكان. ويظن *Gesenius* إنه ربما تُقرأ سكوث باموث *Succoth-bamoth* وتعني أكشاك في المرتفعات مُخصصة للأصنام[1].

نرجل *Nergal*: كان إله أشوري معروف. والكلمة معناها "بطل" أو "إنسان عظيم". وهو يُطلَق على نُصب تذكارية بأسماء متنوعة، "الأخ العظيم"، "حاكم العاصفة"، "إله المعارك"، "إله الصيد". الاسم الأخير هو اللقب الرئيسي، ويبدو أنه كان الشفيع الرئيسي للصيد، مما جعل البعض يعتقد أنه يمثل البطل نمرود *Nimrod* المتأله.

كثيرًا ما كان اسم نرجل يظهر على أختام أشورية وأسطوانات، رمزه إنسان على شكل أسد، أو أسد له رأس إنسان وبه جناحا نسر. نرجل يطابق الإله *Mars* حسب الفلك[2].

كان نرجل إله الحرب والوباء عند البابليين، وكان معبده في كوث، وصنمه على هيئة أسد له جناحان، وله وجه إنسانٍ. ودَخَلَ اسمه في بعض الأسماء البابلية كنرجل شرصر (إر ٣٩: ٣).

إشيما *Ashima* هو إله شعب حماث *Hamath*. أغلب الكُتَّاب اليهود يؤكدون أن هذا الإله كان يُعبَد في شكل ماعز بدون صوف، وآخرون تحت شكل حمل. وقد وُجدت المعزاة بين الحيوانات المقدسة في النُصب التذكارية البابلية. هذا يجعل الأشيما تطابق الـ *Mendes*.

المصرية والـ *Pan* اليونانية. يرى بعض الكُتَّاب أن الأشيما هو عينه الإله الفينيقي *Esmun* والـ *Esculapius* الفينيقي الذي يحمل نفس سمات الإله بان *Pan*[3].

وَالْعُوِّيُّونَ عَمِلُوا نِبْحَزَ وَتَرْتَاقَ،

وَالسَّفَرْوَايِمِيُّونَ كَانُوا يُحْرِقُونَ بَنِيهِمْ بِالنَّارِ لأَدْرَمَّلَكَ وَعَنَمَّلَكَ إِلهَيْ سَفَرْوَايِمَ. [٣١]

نبحز ***Nibhaz***: هو إله العويين *Avites*، ولكن لا يُعرَف شيء عن سماته ولا عن شكل صنمه. يقول المفسرون العبرانيون إنه صنم على شكل إنسان له رأس كلب. عبد المصريون

---

[1] *CF James M Freeman. Manners and Customs of the Bible, 1972, , article 351*

[2] *CF. James M Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972,*

[3] *CF James M. Freeman Manners and Customs of the Bible, 1972, .*

الكلب. ويرى بعض الكُتَّاب أن إلههم أنوبيوس *Anubis* على شكل إنسان له رأس كلب، وإن كان *Wilkinson* يقول أن له رأس ابن آوي[1].

ترتاق *Tartak* : وهو أيضًا إله *Avite* يظن بعض الكُتَّاب اليهود أن تمثاله على شكل حمار، لكن البعض يرون أن هذا مُجَرَّد تخمين، وأن الاسم يعني "بطل الظلمة"، وهو يشير إلى كوكب له تأثير مُدَمِّر مثل مارس *Mars* أو *Saturn* أدر مَلك.

فَكَانُوا يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْمَلُونَ لأَنْفُسِهِمْ مِنْ بَيْنِهِمْ كَهَنَةَ مُرْتَفَعَاتٍ،
يُقَرِّبُونَ لأَجْلِهِمْ فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ. [٣٢]

لم يلتزموا بالأمر الإلهي أن يكون الكهنة من نسل هرون، بل اختاروا من أطرافهم كهنة.

كَانُوا يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْبُدُونَ آلِهَتَهُمْ كَعَادَةِ الأُمَمِ الَّذِينَ سَبُوهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ [٣٣]

كانوا يتقون الرب بالعبادة الخارجية دون الروحية القلبية.

إِلَى هَذَا الْيَوْمِ يَعْمَلُونَ كَعَادَاتِهِمِ الأُوَلِ.
لاَ يَتَّقُونَ الرَّبَّ، وَلاَ يَعْمَلُونَ حَسَبَ فَرَائِضِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ،
وَلاَ حَسَبَ الشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ بَنِي يَعْقُوبَ،
(الَّذِي جَعَلَ اسْمَهُ إِسْرَائِيلَ). [٣٤]

لخَّص الكتاب خطأ السامريين في أمرين: أنهم لم يتقوا الرب، ورفضوا الشريعة والوصية الإلهية. بهذا كسروا العهد مع الله.

صار السامريون ثلاثة أنواع:

١. الساجدون للعجلين كما فرض يربعام، وهم قليلون.

٢. الإسرائيليون الذي أضافوا على عبادة العجلين ما اتخذوه من الوثنيين.

٣. الوثنيون الذين أضافوا على عبادتهم للأصنام ما كانوا اتخذوه من الإسرائيليين.

آمن كثير من السامريين بالسيد المسيح (يو ٤: ٣٩-٤٢؛ أع ٨: ٥، ٢٥).

وَقَطَعَ الرَّبُّ مَعَهُمْ عَهْداً وَأَمَرَهُمْ:
لاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى وَلاَ تَسْجُدُوا لَهَا وَلاَ تَعْبُدُوهَا
وَلاَ تَذْبَحُوا لَهَا. [٣٥]

بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ،
وَلَهُ اسْجُدُوا وَلَهُ اذْبَحُوا. [٣٦]

---

[1] *CF. James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, 1972, .*

العلّة الرئيسية لعبادة للرب أنه خلّصهم من الأعداء بقوة عظيمة وذراع ممدودة، ليس من قوةٍ تقف أمامه وتقاومه.

وَاحْفَظُوا الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبَهَا لَكُمْ
لِتَعْمَلُوا بِهَا كُلَّ الأَيَّامِ،
وَلاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى. [٣٧]
وَلاَ تَنْسُوا الْعَهْدَ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَكُمْ وَلاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى. [٣٨]
بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ
وَهُوَ يُنْقِذُكُمْ مِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِكُمْ. [٣٩]
فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ عَمِلُوا حَسَبَ عَادَتِهِمِ الأُولَى. [٤٠]
فَكَانَ هَؤُلاَءِ الأُمَمُ يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْبُدُونَ تَمَاثِيلَهُمْ،
وَأَيْضاً بَنُوهُمْ وَبَنُو بَنِيهِمْ.
فَكَمَا عَمِلَ آبَاؤُهُمْ هَكَذَا هُمْ عَامِلُونَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [٤١]

كيف يمكن للأمم أن يخافوا الإله الحقيقي ويعبدوا آلهة مُزيَّفة؟ يقول بوضوح عن الأمم: "كانوا يتّقون الرب" (٢ مل ١٧: ٣٢)، وقيل أيضًا في نفس السياق: "كانوا يعبدون تماثيلهم" (٢ مل ١٧: ٣٣).

الإجابة: إن هذا مثال لاستخدام كلمة يتقي *fear* بمعاني مختلفة. إنهم يتقون الله بصفة عامة، ولكن ليس في هذه الحالة بالتحديد. إنهم لم يعبدوا الإله الواحد ولكنهم وثنيون. وهذا ما جاء في الآية ٤: "فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم[1]."

- هكذا يقول إن السامرة ستُحاط وتُحاصَر بشعوب معادية. ليس فقط يَضربون خدَّها بروؤسهم، الأمر الذي يمكن احتماله، وإنَّما سيسحقونها بالعصيَ، الأمر الذي يحمل قسوة خاصة. هذا يعني محنة السبي المُهينة البائسة، فإنَّه دون جدالٍ أن ضربْ الخد فيه إهانة خاصة. لاحظوا أنَّهم يضربونها أيضًا بالعصيّ، فيسبِّبون متاعب عنيفة مع إهانة. لقد أُهينت السامرة حيث حكمها سبط أفرام. كانت في عارٍ وتحت الآلام. على أي الأحوال ستتوقَّف الأيدي الضاربة، فلا نذوق بؤسًا إن كنَّا نبذل ما في وسعنا أن ننزع غضب الرب عن الكل بسبب العصيان، وارتكاب

[1] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton, Ill.: Victor Books. Geisler, N. L., & Howe, T. A. (1992)*

الخطايا بتلهُفٍ، الأمر الذي يبغضه الرب. إن كنَّا نكرِّمه بالحياة الفاضلة عوض هذا، فإنَّنا نتمتع بالرخاء ونحيا حياة مفرحة جديرة بالإطراء[1].

القدِّيس كيرلس الكبير

من وحي ٢ مل ١٧

حررني من سبي إبليس!

❖ تئن نفسي من سبي الخطية المُر.
اصطادني عدو الخير في شبكته،
وحصرني في أسره القاسي.
حطَّمني، إذ يُشوِّه كل يوم صورتي،
يُفقدني سمة أولاد الله، لأعيش عبدًا له!

❖ لماذا ألوم إبليس ولا ألوم نفسي؟!
ما كان يمكن أن يتسلل إلى أعماقي،
ما لم أفتح له أبواب قلبي.
وما كان يمكن لشباكه أن تصطادني،
ما لم أسحب يدي من يدك.
لأقل مع نحميا: "أنا وبيت أبي قد أخطأنا،
لقد أفسدنا أمامك،
ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك" (نح ١: ٦-٧).

❖ إلهي، أعترف أنني نسيت محبتك الفائقة ورعايتك لي العجيبة.
أخرجتني لا على يديّ موسى النبي،
بل أنت رب موسى نزلت إليَّ لتُحرِّرَ أعماقي.
عبرت بي لا بحر سوف،
بل فتحت لي طريق السماء بدمك.
وهبتني روحك القدوس،
لكي يُجدِّد على الدوام حياتي.

---

[1] *Commentary on Micah 5 1 PG 71.709-712*

قدَّمتَ لي بالمعمودية فردوسًا أروع من جنة عدن.
قدَّمتَ لي برك لباسًا بهيًّا لنفسي.
وهبتني جسدك ودمك حياة أبدية!
لتنحت في قلبي محبتك ومعاملاتك العجيبة،
فأسلك فيك يا أيها السماوي العجيب.

❖ أعترف لك أنني كثيرًا ما أود الهروب،
كما هرب الابن الضال من بيت أبيه.
ظننتُ في الاقتداء بالسالكين في شهوات العالم سعادة.
بدَّدتُ خيراتك في الفساد.
حولتُ محبتي للسماء إلى حبٍ لشهوات فاسدة.
عوض الصداقة مع السمائيين،
التصقتُ بمُحبّي العالم وشهواته.
عوض التسبيح مع السمائيين،
بحثت عن فرح العالم الزائل.
أقمت في داخلي أصنامًا أتعبد لها.
حررني أيها القدوس بنعمتك!

❖ أعترف لك بأني لم أصغ إلى إنجيلك المُفرِح.
عوض البشارة المُبهِجة طلبتُ المشورة البشرية.
هبْ لي أن أقتنيك يا حكمة الله،
فتشبع نفسي بك وتدوس عسل الحكمة الزائفة.
لتعمل كلمتك فيَّ،
فتُقيم منّي ابنًا مُقدَّسًا لك.
ليكن ناموسك هو لذّتي وقائدي وكنزي ومجدي!

❖ إلهي، ظننت في كل ما هو جديد سعادة لمُجرَّد جدَّتِه.
تركتُ طريق آبائي الآمن بنعمتك،
وسلكتُ في الباطل، فصرتُ باطلاً.
هبْ لي أن أجتمع مع كل الكنيسة منذ آدم إلى آخر الدهور.

فأسلك في بريّة هذا العالم مع آبائي السالكين بالروح.
تكون لي سحابة فتظللني من حرّ الخطية في نور النهار المُشرِق.
وتكون لي عمود نار ليلاً،
بنورك تُبَدِّد ظلمتي،
وبلهيبك الإلهي تنزع عنّي كل رخاوة وإهمال!

❖ إلهي هبْ الآن قوة لآخذ بقيادتك مصيري.
أتعهد بنعمتك أن أرتمي في أحضانك.
وبقوتك لا أُعرِّج بين الفريقيْن.
أجد لذة في العبادة لك،
ولن أترك موضعًا لعبادة وثنية في أعماقي.
أنت لي ومعك لا أطلب حتى في السماء شيئًا!
وأنا لك وبك، لن أقبل الحوار مع الحيّة كما فعلت أمّي حواء!

الباب الرابع

يهوذا حتى السبي البابلي

٢ ملوك ١٨–٢٥

بعد السبي الأشوري وإزالة مملكة إسرائيل وُجِدَ بعض ملوك صالحين في يهوذا مثل حزقيا ويوشيا، لكن الأغلبية العظمى كانوا أشرارًا، بل وتفاقم شرُّهم جدًا حتى زاد عن شر مملكة إسرائيل. هذا ما تحدَّث عنه إرميا النبي موبخًا الشعب.

هذا ومن جانب آخر فإن الإصلاح الذي قام به الملوك مثل يوشيا كان يمس تصليح الهيكل وممارسة الطقوس بطريقة حرفية دون إصلاح للقلب ورغبة جادة في الرجوع إلى الرب.

هذا ما نلاحظه بكل قوةٍ في سفر إرميا، حيث جاء محور أحاديثه "القلب" وختانه.

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ عَشَرَ

حزقيا وإزالة الأصنام

أعطى الكتاب المقدس مجالاً للحديث عن حزقيا ملك يهوذا أكثر من أي ملك آخر منذ موت سليمان، ذلك لأن حياته تُقدِّم لنا شهادة حية عن معاملات الله مع المؤمنين، خاصة الراغبين في الالتصاق به، كما تكشف عن جانب آخر، أنه مهما بلغت قداسة الإنسان واهتمامه بالسلوك بالروح، فإنه يتعرَّض لضعفات قد لا يسقط فيها الشخص الأقل منه في القداسة. وكأن حياة حزقيا الملك تُحسَب إنذارًا لكل مؤمنٍ ألا يظن في نفسه شيئًا، فيعتمد على نفسه متجاهلاً الاتكال على الله، ولو إلى لحظاتٍ قليلةٍ. فإن السقوط في لحظات نتيجة الإهمال أو الاتكال على قدراته أو طهارة حياته قد تُحَطِّم الكثير مما اقتناه، وقد تسبب خسائر لكثيرين.

وردت سيرة حزقيا الملك في (٢ مل ١٨-٢٠؛ ٢ أي ٢٩-٣٢؛ إش٣٦: ٣٩).

عندما استلم حزقيا المُلك عمليًا، كانت يهوذا دولة خاضعة لأشور.

يُعتبَر حزقيا أحد الملوك الذي كان له دور كبير في الإصلاح، قاد حملة ضد كل أشكال العبادة الوثنية.

١. **حزقيا الصالح وإزالة الوثنية**	**١-٦.**
٢. **عصيانه على أشور**	**٧.**
٣. **ضرب الفلسطينيين**	**٨.**
٤. **السبي الأشوري للسامرة**	**٩-١٢.**
٥. **الهجوم الأول لسنحاريب على يهوذا**	**١٣-١٦.**
٦. **الهجوم الثاني لسنحاريب على يهوذا**	**١٧-٣٧.**

١. حزقيا الصالح وإزالة الوثنية

كان حزقيا الملك أول من حفظ وصايا الرب منذ أيام داود الملك [٦]، وأراد أن يُعِيدَ العبادة الحقيقية المستقيمة للرب على مستوى الشعب، وأن يعبدوا الله الحقيقي. لكنه إذ كشف الكنوز لبعثة ملك بابل ربما في كبرياء، صدر الأمر الإلهي بالسبي ليهوذا.

وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِهُوشَعَ بْنِ أَيْلَةَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ مَلَكَ حَزَقِيَّا بْنُ آحَازَ مَلِكِ يَهُوذَا. [١]

السنة الثالثة لهوشع هي ٧٢٩ ق. م. التسع وعشرون سنة لحزقيا تضم فترة حكمه كشريك مع أبيه آحاز قبل أن يحكم لوحده (٧١٦-٦٩٩ ق. م).

"حزقيا" معناها "الرب يقوّي".

كَانَ ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ أَبِي ابْنَةُ زَكَرِيَّا. [٢]

ملَك حزقيا تسعًا وعشرين سنة في أورشليم، كما يُعتقَد أنه شارك أباه آحاز في الحكم من سنة ٧٢٨ ق. م إلى سنة ٧١٦ ق. م، أي حوالي ثلاثة عشر عامًا.

وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ دَاوُدُ أَبُوهُ. [٣]

مع ما اتسم به أبوه من الشر والفساد والفشل، نجد حزقيا الملك سار في مخافة الرب، وللأسف خالف ابنه وصاياه حتى واجه تجربة الأسر. الحياة الروحية والمبادئ الأخلاقية المقدسة أو الفاسدة لا تُورَّث. كل شخص له الحرية الكاملة في تبعية وصايا الله أو عصيانها.

قيل هنا عن حزقيا الملك **"حسب كل ما عمل داود أبوه"** ، كما قيل في الملك آسا (١ مل ١٥: ١١)، والملك يوشيا (٢ ٢: ٢)، ولم يُقل هذا في غير هؤلاء الثلاثة من ملوك يهوذا، وكان كل من الثلاثة أبناء لآباءٍ أشرار.

يبدو أن إشعياء النبي كان مُشيرًا لحزقيا في أيام شبابه قبل أن يتولى العرش، فتأثر به.

هُوَ أَزَالَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَكَسَّرَ التَّمَاثِيلَ. وَقَطَّعَ السَّوَارِيَ،
وَسَحَقَ حَيَّةَ النُّحَاسِ الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى،
لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِلَى تِلْكَ الأَيَّامِ يُوقِدُونَ لَهَا وَدَعُوهَا نَحُشْتَانَ. [٤]

أخطأ الملوك السابقون له إذ تركوا المرتفعات ولم يُحَطِّموا أصنامهم، فكانت مَركزًا لقبائح لا تليق بالمؤمنين. أما حزقيا الملك فلم يسحق الأصنام فقط وإنما إذ أساء المؤمنون تكريم الحية النحاسية التي احتفظوا بها منذ أيام موسى النبي وهو في البرية، قام بسحقها.

مع وجود ملوك ليهوذا صالحين، يعملون المستقيم في عينيّ الرب، لكن غالبًا ما كانوا يتساهلون في ترك المرتفعات. يرى **القديس أغسطينوس** أن حزقيا هو أول ملك يُحَطِّم المرتفعات.

في أعمال **القديس أغسطينوس** لتصحيح أفكار الدوناتست Donatists أوضح أن الملك أو الحاكم يعبد الرب بمخافة (مز ٢: ١-٢، ١٠-١١) بطريقين: أولاً **كإنسان مؤمن** يعبد الرب بمخافة بحياته الإيمانية العملية. ومن جانبٍ آخر **بكونه ملكًا** يعبد الرب بإصداره شرائع تأمر بالسلوك بالبرّ، وتعاقب من يفعل ضد ذلك، هكذا سلك حزقيا كملكٍ تقيٍ، فأزال المرتفعات وأباد الأصنام:

❖ خرَّب الملك حزقيا الخارج من نسل داود تلك المرتفعات، يصحب ذلك شهادة عن مدحه العظيم[1].

❖ يخدم الملك الله بطريقة بكونه إنسانًا، وبطريقة أخرى بكونه ملكًا. يخدمه كإنسانٍ بأن يحيا بالإيمان، ويخدمه كملكٍ إذ يمارس السلطة الضرورية لإصدار قوانين تأمر بالصلاح وتمنع ما يضاد ذلك. هكذا حزقيا خدمه بإبادة أماكن الأصنام وهياكلها والمرتفعات التي أقيمت على خلاف وصايا الله (٢ مل ١٨: ٤). وهكذا خدمه يوشيا بممارسته ذات الأفعال (٢ مل ٢٣: ٤، ٢٠). هكذا خدم ملك نينوى بإلزام كل المدينة أن ترضي الرب[2].

❖ حتى حزقيا خدم الرب بتحطيمه بساتين الأوثان ومعابدها، والمرتفعات التي أُقيمت بانتهاك وصايا الله (٢ مل ١٨: ٤). وأيضًا يوشيا خدمه بقيامه بنفس العمل بدوره (٢ مل ٢٣: ٤-٥). وأيضًا ملك نينوى خدمه بإلزام كل شعب مدينته أن يفعلوا ما يُسر الرب (يون ٣: ٦-٩). وداريوس خدمه بأن سلَّم التمثال لدانيال ليُحَطِّمه (دانيال والتِّنين ٤٢) ونبوخذناصر خدمه... بإصداره تشريع رهيب يمنع أي من الخاضعين له أن يُجَدِّف على الله (دا ٣: ٢٩).

بهذه الوسيلة يمكن للملوك أن يخدموا الرب بكونهم ملوكًا، عندما يمارسون في خدمتهم ما لا يمكنهم القيام به لو كانوا ليسوا ملوكًا[3].

القديس أغسطينوس

أيضًا **سحق حزقيا الملك الحيَّة النحاسية**، فقد أمر الله موسى أن يعمل تمثالاً من النحاس لحيَّة محرقة (نارية) يضعها على عامودٍ في البرية، لتكون مصدر شفاء لكل من ينظر إليها (عد ٢١: ٤-٩). لقد حملت الحية النحاسية رمزًا لعمل السيد المسيح مُخَلِّص العالم المصلوب، كقول الرب نفسه: "وكما رفع موسى النبي الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٤، ١٥). لكن حين أساء الشعب استخدام تمثال الحية النحاسية وعبدوه كصنمٍ، مُقدِّمين له قرابين، فقدت الحية النحاسية مفهومها الروحي والرمزي بسبب فساد فكر الشعب وقلبه، لهذا قام حزقيا الملك بسحقها (٢ مل ١٨: ٤).

عمل حزقيا الملك بضمير حيّ في جدية، في غير مجاملة أو مداهنة أو خوف. لم يكن سهلاً عليه أن يسحق الحية النحاسية التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا في تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان. "نحشتان" معناها الحرفي "شيء برنزي". بلا شك كان لهذا العمل

[1] *Eight Questions on Dulcitius, 5*
[2] *Letter 185 5 19*
[3] *Correction of the Donatists, ch 5.*

شعبيته على مستوى القيادات اليهودية والشعب، لكنه لم يبالِ أن يفقد هذه الشعبية، ويقاوم كل فكرٍ خاطئ.

أثناء تقديس سرّ الإفخارستيا، متى كان الأسقف حاضرًا، يمسك أحد الشمامسة عصا الأسقف يعلوها صليب ذهبي تحوطه به حيّتان ذهبيتان. هذه العصا تغاير عصا الرعاية التي يمسك بها الأسقف دائمًا علامة رعايته الرسولية.

جاء في (٢ أي ٢٩) أنه في السنة الأولى من ملكه (حزقيا) فتح أبواب بيت الرب وطهَّر الكهنة بيت الرب، وأصعدوا ذبائح وأوقف حزقيا اللاويين للتسبيح، وعملوا فصحًا للرب، ودعا إسرائيل ويهوذا وأفرايم ومنسى وزبولون. ولما أكمل هذا (٢ أي ٣١: ١) خرج كل إسرائيل إلى مدن يهوذا، وكسروا الأنصاب، وقطعوا السواري، وهدموا المرتفعات (١ مل ١٤: ٢٣).

❖ حُفظتْ هذه الحيّة سليمة لذكرى المعجزة، لكن بعد ذلك عُبِدَتْ كصنمٍ بواسطة أناس غير مُخلِصين، حتى جاء حزقيا الذي استخدم سلطانه الديني في خدمة الله، حطّمها، وبهذا نال شهرة عظيمة لتقواه[1].

القديس أغسطينوس

عَلَى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ اتَّكَلَ،
وَبَعْدَهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ مُلُوكِ يَهُوذَا،
وَلاَ فِي الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ. [٥]

فاق حزقيا الملك كل ملوك يهوذا السابقين له واللاحقين (عدا داود النبي)، والعجيب أن أباه آحاز كان شريرًا، لكن شر أبيه لم يؤثر عليه، بل صار ذلك لتزكيته، إذ رفض طريق أبيه الشرير من أجل الرب.

إن كانت مملكة الشمال قد انهارت أمام أشور بسبب شرها وكسر الوصية الإلهية وخيانة العهد مع الله، فإن حزقيا استطاع أن يصد أشور في عنفوان قوته بتقواه واتكاله على الله. لقد واجه الحملة الأخيرة التي لسنحاريب عام ٧٠١ ق. م، ونال عونًا إلهيًا.

وَالْتَصَقَ بِالرَّبِّ، وَلَمْ يَحِدْ عَنْهُ،
بَلْ حَفِظَ وَصَايَاهُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ مُوسَى. [٦]

٢. عصيانه على أشور

وَكَانَ الرَّبُّ مَعَهُ،

[1] City of God, 10:8

وَحَيْثُمَا كَانَ يَخْرُجُ كَانَ يَنْجَحُ.
وَعَصَى عَلَى مَلِكِ أَشُّورَ، وَلَمْ يَخْضَعْ لَهُ. [٧]

رفض حزقيا خدمة أشور في مذلة، كما انتصر على الفلسطينيين. هذا ساعد يهوذا كأُمة مستقلة أن تحمل قوة جديدة في المنطقة. ولم تعد يهوذا تعاني أو تخشى أي تهديد من الأمم المجاورة لها.

كانت يهوذا تقع بين القوتين العالميتين العظيمتين في ذلك الحين، وهما أشور ومصر. وكانت يهوذا تضم الطرق الرئيسية في الشرق الأوسط للتجارة العالمية، لهذا كانت كل من أشور ومصر تتنافسان على السيطرة على يهوذا.

هذا ومن جانب أخر، كلما حدثت معارك بين القوتين، تمر إحدى الدولتين بيهوذا لتعبر إلى الأخرى فتُخَرِّبها. كانت يهوذا تُحسَب كموقع يحمي كل دولة من الأخرى، بهذا فإن الدولة التي تُسيطر على يهوذا تكسب ميزات اقتصادية وعسكرية على منافسيها.

عندما صار حزقيا ملكًا كانت يهوذا تحت سيطرة أشور، لكنه بإيمانه وبقوة الله عصى تلك الإمبراطورية القوية، بالرغم من أنه بحسب الفكر البشري يستحيل عصيان أشور.

ربما عصى ملك أشور في بداية ملكه، ولم يحاربه ملك أشور لارتباكه في حروب مع السامرة وصور ومصر، وربما لأن حزقيا ضرب الفلسطينيين وانتصر عليهم.

٣. ضرب الفلسطينيين

هُوَ ضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ إِلَى غَزَّةَ وَتُخُومِهَا،
مِنْ بُرْجِ النَّوَاطِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ. [٨]

كان سنحاريب قد أعطى قسمًا من يهوذا إلى ملك غزة. وربما كانت حرب حزقيا لاسترجاعه. كان بعض الفلسطينيين مع ملك أشور، والبعض ضده، فحارب حزقيا الذين كانوا مع ملك أشور، وساعد الذين كانوا عليه.

٤. السبي الأشوري للسامرة

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْمَلِكِ حَزَقِيَّا،
وَهِيَ السَّنَةُ السَّابِعَةُ لِهُوشَعَ بْنِ أَيْلَةَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
صَعِدَ شَلْمَنْأَسَرُ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى السَّامِرَةِ وَحَاصَرَهَا. [٩]
وَأَخَذُوهَا فِي نِهَايَةِ ثَلاَثِ سِنِينَ.
فَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِحَزَقِيَّا،

وَهِيَ السَّنَةُ التَّاسِعَةُ لِهُوشَعَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ،
أُخِذَتِ السَّامِرَةُ. [١٠]

وَسَبَى مَلِكُ أَشُّور إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُّور،
ووضَعَهُمْ فِي حَلَحَ وَخَابُور نَهْرِ جُوزَانَ وَفِي مُدُن مادي [١١]

لأَنَّهُمْ لَمْ يسْمعُوا لصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِهِمْ،
بَلْ تَجَاوَزُوا عَهْدَهُ وكُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ،
فَلَمْ يَسْمَعُوا ولَمْ يَعْمَلُوا. [١٢]

"**موسى عبد الرب**" كان أتقياء العهد القديم يعتزون بهذا اللقب بكونهم "عبيد يهوه" (مز ٢٧: ٩؛ ٣١: ١٦؛ ٨٩: ٥٠)، والآن إذ صار الكل في المسيح يسوع يتمتعون ببرّه وتقواه، يتأهلون لهذا اللقب "عبيد ليسوع المسيح"، ويفخرون به دون سواه، الأمر الذي يشترك كل الأعضاء فيه. هذا وقد كان هذا اللقب يُنسَب بالأكثر لمن قاموا بدور في تاريخ الخلاص خلال خدمتهم ليهوه، مثل موسى (٢ مل ١٨: ١٢)، ويشوع (قض ٢: ٨)، وإبراهيم (مز ١٠٥: ٤٢). وكان بولس كرسول وهو مُفرَز لإنجيل الله يقوم بدور في تاريخ الخلاص، هو امتداد للدور الذي قام به آباء وأنبياء العهد القديم، لذا كثيرًا ما كان يدعو نفسه "عبد ليسوع المسيح" (رو ١: ١؛ راجع غل ١: ١٠؛ في ١: ١؛ كو ٤: ١٢).

٥. الهجوم الأول لسنحاريب على يهوذا

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ حَزَقِيَّا،
صَعِدَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى جَمِيعِ مُدُنِ يَهُوذَا الْحَصِينَةِ وَأَخَذَهَا. [١٣]

حكم حزقيا مع أبيه آحاز مدة من ثلاث عشرة سنة (٧٢٩-٧١٦ ق.م)، وحكم منفردًا ثماني عشرة سنة (٧١٦-٦٩٦ ق.م)، ومع ابنه منسى إحدى عشر سنة (٦٩٦-٦٨٦ ق.م) فكانت كل مدة حكمه ٤٣ سنة. أما مدة التسع والعشرين سنة المُدوَّنة في (٢ مل ١٨:١-٢) فتشير إلى المدة التي كان لحزقيا فيها السيطرة الكاملة على المملكة. السنة الرابعة عشر لحزقيا الملك وهو منفرد بالحكم كانت تقابل ٧٠١ ق.م.

تفاصيل حالة التمرُّد العامة التي جعلت سنحاريب يهاجم الجزء الغربي من إمبراطوريته سُجِّلتْ في سجلاته، وفيها جاء عن حزقيا الذي انشغل بكل شئونه.

حدث ذلك في عام ٧٠١ ق.م بعد أربع سنوات من جلوس سنحاريب على عرش أشور، وكان سنحاريب ابنًا لسرجون الثاني، الملك الذي أخذ شعب إسرائيل إلى السبي، ولكي يمنع ملك

يهوذا أشور من مهاجمة مملكته كان يدفع له جزية سنوية. وعندما أصبح سنحاريب ملكًا أوقف حزقيا دفع الجزية. وعندما انتقم سنحاريب وجيشه أدرك حزقيا خطأه ودفع الجزية [١٤]، لكن سنحاريب هاجمه [١٩-٢٥]. ومع أن سنحاريب هاجم يهوذا إلا أنه لم يكن مولعًا بالحرب مثل ملوك أشور السابقين، إذ كان يُفضّل أن يصرف معظم وقته في بناء عاصمة نينوى وتجميلها مع القيام بغزوات أقل. هكذا استطاع حزقيا أن يقوم بإصلاحاته الكثيرة وتقوية مملكته.

ما ورد هنا حتى نهاية الأصحاح العشرين يُشبه مضمون ما ورد في إشعياء ٣٦ إلى ٣٩. ذكرها في سفر إشعياء، لعلاقتهما الضرورية بالنبوات السابقة بشأن أشور مع الحوادث التاريخية.

ما ورد في الملوك الثاني ولم يرد في إشعياء: الخبر بتسليم حزقيا وتأديته الجزية لمَلِك أشور (ع ١٤-١٦).

ما ورد في إشعياء دون الملوك: تسبيح حزقيا بعد شفائه (إش ٣٨: ٩-٢٠).

❖ كما سبق أن قيل إن سنحاريب هو رمز للشيطان، وقد أكد هذا الافتراض بالكلمات الواردة في هذه العبارة والتي تكلم بها ربشاقي في تشامخٍ ضد الله، عندما قدَّم وعودًا كاذبة للشعب، محاولاً أن ينزع عن الله مديح قوته السامية، وتقديم تأكيد بأرضٍ خصبة ومحاصيل بوفرة، حتى يحثهم على ترك المنطقة التي وهبهم الله إيّاها، وأن يرحلوا إلى مسكن جديد يعد به الأشوريون.

بحيلة مشابهة يسعى رسل الشيطان وشركاؤه إلى خداع النفس البسيطة. ولهذا السبب فإنه في المركز الأول يحاولون أن يقتلعوا كل الأفكار التي توحي بها العناية[1].

القدّيس أفرآم السرياني

وَأَرْسَلَ حَزَقِيَّا مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى مَلِكِ أَشُّورَ إِلَى لَخِيشَ يَقُولُ:
قَدْ أَخْطَأْتُ. ارْجِعْ عَنِّي،
وَمَهْمَا جَعَلْتَ عَلَيَّ حَمَلْتُهُ.
فَوَضَعَ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا،
ثَلاَثَ مِئَةِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَثَلاَثِينَ وَزْنَةً مِنَ الذَّهَبِ. [١٤]

لخيش: تم العثور بين بقايا قصر نينوى للملك الأشوري سنحاريب على بقايا طولها ٦٢ قدَمًا تُصوِّر سقوط حصن لخيش عام ٧٠١ ق. م على مدى ١٠٠ عام قبل الهجوم على يهوذا وسقوطها.

تشهد حفريات قصر نينوى لهزيمة لخيش في السجل الإنجيلي الخاص بحصار مملكة يهوذا في أيام الملك حزقيا. يقول الكتاب في (٢ مل ١٨:١٣) "وفي السنة الرابعة عشرة للملك

[1] *On the Second Book of Kings, 18:19.*

حزقيا صعد سنحاريب ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها" لكن قبل أن يستطيع الأشوريون الاستيلاء على إسرائيل، دمرهم الرب بـــ "ملاك الرب" وانسحب سنحاريب (٢ مل ٢٠:٣٥؛ ٢ أي ٣٢).

إذ رفض حزقيا الخنوع لأشور، الآن تهدده أشور بجيشها. جاءت سجلات سنحاريب تُصوِّر الهجوم الشامل على يهوذا. وإذ شعر حزقيا بالخطر المُحدِق به، وقد تم حصار لخيش، استسلم ووضعت أشور جزية ثقيلة. هذا الاستسلام جعل سنحاريب يطمع بالأكثر، فحاصر أورشليم (١٨: ١٣-١٩: ٣٠).

عادوا بالكل إلى ذكريات أو إلى حالة عبر عليها قرابة قرن من الزمان. قدَّموا لهم **حالة ميخا المورشتي** (مي ٣: ١٢) مثلاً، الذي نطق بكلمات مشابهة وقد سمع له الملك حزقيا (٧١٦-٦٨٧ ق.م) والشعب، ولم يزدروا بكلماته، بل خافوا الرب وطلبوا وجهه، فتمتعوا بالمراحم الإلهية.

سمح الله بهذا الضيق في أيام حزقيا الذي قام بإصلاحات كثيرة وسط الشعب وإن كان كثيرون - خاصة من القادة الدينيين والمدنيين - اهتموا بالإصلاح الخارجي دون الداخلي، فاهتموا بالشكليات دون الحياة القدسية، وقد أراد الله أن يُزكِّي حزقيا، ويُحوِّل الضيق إلى تمجيده. هذا ومن جانب آخر أراد أن يكشف عن ضعف حزقيا أمام نفسه، فقد خانته شجاعته، ولم يكن اتكاله على الله كاملاً. بالتجربة اعترف بضعفه وزاد إيمانه بالله وثقته فيه.

فَدَفَعَ حَزَقِيَّا جَمِيعَ الْفِضَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ. [١٥]

النير الذي وضعه أشور هو الجزية التي فرضها سنحاريب على حزقيا (٢ مل ١٨: ١٤). نقل كميات ضخمة من الفضة والذهب والأشياء الثمينة من الهيكل إلى أشور، تبعه ما فعله يهوآش ملك إسرائيل باقتحامه أورشليم وهدم جزء كبير من السور وسلب ما في خزائن الهيكل (١٤: ١٤).

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قَشَّرَ حَزَقِيَّا الذَّهَبَ عَنْ أَبْوَابِ هَيْكَلِ الرَّبِّ،
وَالدَّعَائِمِ الَّتِي كَانَ قَدْ غَشَّاهَا حَزَقِيَّا مَلِكُ يَهُوذَا،
وَدَفَعَهُ لِمَلِكِ أَشُّورَ. [١٦]

كانت الأولوية في ذهن حزقيا الملك ليس لذهب الهيكل، بل لحفظ بقية يهوذا (١٩: ٤).

٦. الهجوم الثاني لسنحاريب

وَأَرْسَلَ مَلِكُ أَشُّورَ تَرْتَانَ وَرَبْسَارِيسَ وَرَبْشَاقَى مِنْ لَخِيشَ إِلَى الْمَلِكِ حَزَقِيَّا بِجَيْشٍ عَظِيمٍ

إِلَى أُورُشَلِيمَ،

فَصَعِدُوا وَأَتُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ.

وَلَمَّا صَعِدُوا جَاءُوا وَوَقَفُوا عِنْدَ قَنَاةِ الْبِرْكَةِ الْعُلْيَا الَّتِي فِي طَرِيقِ حَقْلِ الْقَصَّارِ. [١٧]

كان ترتان وربساريس وربشاقي في مراكز كبرى في جيش أشور العظيم. كان تعداد جيش أشور يُعتبَر أضخم جيش وُجِدَ في الشرق الأوسط قديمًا. عَسْكَرَ هذا الجيش في يهوذا.

كان **حقل القصار** في شمال غرب ركن المدينة، فكانت المنطقة قابلة للسقوط عند أي هجوم.

يرى البعض أن ربشاقي ليس اسمًا لشخص، إنما هو لقب يعادل "رئيس سقاة"، يتذوق الخمر قبل أن يشرب منه الملك حتى لا يتعرَّض الملك للتسمم، كما كان يقوم بأدوار أخرى رئيسية في القصر الملكي.

نكث سنحاريب العهد، فقد دفع حزقيا مبلغًا كبيرًا ليترك الأرض ومع ذلك أرسل جيشه لاقتحامها (٢ مل ١٨: ٤، ١٧).

❖ يدَّعي اليهود أن ربشاقي الذي تحدث باللغة العبرية هو ابن النبي إشعياء وهو نفسه كان خائنًا، وأن لإشعياء ابن آخر يُدعى ياشوب (إش ٧: ٣) الذي تحدث أيضًا بلساننا.

يرى آخرون أن (ربشاقي) كان سامريًا، ولهذا كان يعرف اللغة العبرية، وجدَّف على الرب بوقاحةٍ وعقوقٍ هكذا. لهذا يليق بنا أن نتطلع إلى كلمات ربشاقي أنها باطلة[1].

القديس جيروم

وَدَعُوا الْمَلِكَ،

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَلِيَاقِيمُ بْنُ حِلْقِيَّا الَّذِي عَلَى الْبَيْتِ،

وَشِبْنَةُ الْكَاتِبُ وَيُوَاخُ بْنُ آسَافَ الْمُسَجِّلُ. [١٨]

أجرى حزقيا إصلاحات دينية ومدنية، وكانت له علاقة نامية مع الله. نما في حياة الصلاة القوية، وحسبه سفر الأمثال بطلاً (أم ٢٥: ١). أما من نقاط ضعفه فهي عدم الحكمة في التخطيط للمستقبل لحفظ الميراث الروحي للأجيال التالية. كما تهور في استعراض كل ثروته لرسل ملك بابل.

كان **الياقيم** هو مُدبِّر شئون القصر الأول (١٥: ٥).

يقول دميان ماكي إنه على ضوء ما ورد في يهوديت، أن ألياقيم كان كبير موظفي القصر *Major-domo* أو كبير التشريفات في البلاط الملكي، وكان يقوم بإدارة أمور القصر، فإن كلمة

---

[1] *Commentary on Isaiah 11: 36, 1-10*

"بيت" (٢ مل ١٨:١٨) يُعنَى بها "القصر الملكي"، وإن كانت تُستخدَم أيضًا بالنسبة للهيكل كبيت الرب.

يرى دميان ماكي أن ألياقيم (كما جاء في نص *Douay*) قام بإثارة الشعب كملكٍ، وذلك كما فعل الملك حزقيا عندما حاول سنحاريب غزو أورشليم (٢ أي ٣٢: ٢-٨). وأنه هو ألياقيم بن حلقيا الذي على البيت (٢ مل ١٨:١٨؛ إش ٣٦: ٣). وقد ورد اسمه في السجلات الأشورية اليميتي *Akhi* عوض *Elikim*، وأنه كان حاكم أشدود أو لخيش. لذا يرى البعض أنه كان رئيس كهنة سابقٌ وقد عُيِّن رئيسًا على لخيش، لكنه في ذاك الوقت كان في أورشليم التي لم تكن مسكنه الدائم. وكان يتولى الحكم على حصن لخيش الحصين سلسلةٌ من رؤساء الكهنة السابقين كما على غيرها من المواقع كما يظهر من (١ مل ٤: ٢) في أيام الملك سليمان.

يشتاق **القديس كيرلس الكبير** أن يكون كل مؤمنٍ **ألياقيم الجديد**، إذ يرى في كل إنسان يتمتع بالحياة المقامة المجيدة في كنيسة المسيح هو ألياقيم.

❖ عندما يقول: "أني أدعو عبدي ألياقيم" (إش ٢٢: ٢٠)، فإن اسم ألياقيم معناه "قيامة الله"، لهذا فإن كل من هو ممجد في بيت أبيه يثق فيه [ألياقيم]. ومن هم المُمجَّدون هناك؟ أولئك الذين وضعوا ثقتهم في المسيح، والذين ليسوا ممجدين حسب حكم هذا العالم. على العكس قد يكونون أصاغر حسب هذا الحكم. أما الله فعادل غير مجحفٍ. إنه يرد لكل واحدٍ حسب قياس قامته الروحية (نضوجه)، وبهذا فإن البعض هم آباء، بينما الآخرون لا يزالون يَحْبون (في المشي) ورضَّع ومراهقين[1].

القديس كيرلس الكبير

❖ ألياقيم بن حلقيا، الذي كان مديرًا للبيت، خرج إليه، وأيضًا شبنة الكاتب ويواخ بن آساف المُسجِّل. إنه نفس ألياقيم بن حلقيا الذي نقرأ عنه في رؤيا وادي صهيون: "أني أدعو عبدي ألياقيم بن حلقيا، وألبسه ثوبكَ، وأشده بمنطقتك، وأجعل سلطانك في يده، فيكون أبًا لسكان أورشليم ولبيت يهوذا" (إش ٢٢: ٢٠-٢١)[2].

القديس جيروم

شبنة: اختلفت الآراء من جهة مركز شبنة في قصر حزقيا الملك، هنا يبدو أنه المسئول عن خزينة الملك. دُعي بالكاتب، ويرى البعض أنه مشير للملك أو كبير حجاب القصر أو وزير. على أي الأحوال كان ذا سلطان عظيم. ويبدو أنه كان غريب الجنس. أراد أن يُخلِّد ذكراه، فنحت

---

[1] *Commentary on Isaiah 22-10-14*
[2] *Commentary on Isaiah 11: 36 1-10. (ACCS)*

لنفسه قبرًا عظيمًا في ذات الصخرة التي دفن فيها ملوك يهوذا. كان رجلاً شريرًا، فوبَّخه إشعياء ودعاه "خزي بيت الملك"، كما تنبأ عن عزله وإقامة الياقيم عوضًا عنه، وقد تحقق ذلك حوالي سنة ٧٠١ ق.م.

يرى **القديس جيروم** أن شبنة المذكور هنا الكاتب والذي في صحبة ألياقيم بن حلقيا وبراخ بن آساف المُسجِّل، وهو غير شبنة المذكور في (إش ٢٢: ١٥)، الذي وبَّخه إشعياء النبي ودعاه "خزي بيت الملك (سيدك)" (إش ٢٢: ١٨).

فَقَالَ لَهُمْ رَبْشَاقَى:
قُولُوا لِحَزَقِيَّا: هَكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ مَلِكُ أَشُّورَ.
مَا الاِتِّكَالُ الَّذِي اتَّكَلْتَ؟ [١٩]

كان لقب "**الملك العظيم**" يُستخدَم في الشرق الأوسط بأنه صاحب القوة العظمى في المنطقة. ما يقوله ربشاقي هو أن أمام ملك أشور لا يوجد الملك العظيم في الشرق الأوسط، لأنه هو الملك العظيم في كل مكان.

يرى **القديس جيروم**[1] أن ربشاقي إنسان جسور ووقح بقوله هذه العبارة: "**هكذا يقول الملك العظيم ملك أشور**"؛ إذ يحسب نفسه قوة مضادة لله، فكما اعتاد الأنبياء أن يقولوا: "هكذا يقول الرب"، وهم يتكلمون بقوة وسلطان المتكلم الآن يفعل نفس الشيء، وكأن ملك أشور العظيم يبعث برسوله كما يبعث الله أنبياءه. كأن ربشاقي يحسب نفسه على مستوى الأنبياء وملك أشور على مستوى الله نفسه، بل ويحسب نفسه قادرًا على الدخول في تحدٍ لله.

قيل إنه (ناحوم) هرب إلى يهوذا أثناء الغزو الأشوري على إسرائيل؛ ربما أقام في أورشليم حيث شهد بعد ٧ سنوات حصارها بواسطة سنحاريب ملك أشور، وقد هلك الأشوريون، فمات ١٨٥,٠٠٠ نسمة (٢ مل ١٨: ١٩، نا ١: ١١) في ليلة واحدة.

يؤكد الرب لحزقيا الملك ورجاله أن الله يكسر نير سنحاريب وجيشه ويقطع ربطه، حيث كان جيش الأشوريين يقتحم الكثير من مدن يهوذا وقراها، يعبث بها في حرية بعنفٍ، وأورشليم عاجزة عن الدفاع عن هذه المواضع، إذ كانت أشبه بمدينة مربوطة ومُقيَّدة. ستتمتع بالحرية، فلا يقوم جيش أشور بهجوم آخر حيث تخور قوته بقتل ١٨٥ ألفًا بواسطة ملاك الرب، ويصير الجيش كأنه قد انقرض، لا قوة له.

"**ما الاتكال الذي اتكلت عليه؟**" لقد وجَّه قائد أشور هذا السؤال لشعب بني إسرائيل. وثق آحاز في مصر وتحالف معها لتحميه من أشور وكانت النتيجة السقوط في الأسر، ووَضَع حزقيا

[1] *Cf. Commentary on Isaiah 11: 36. 1-5.*

ثقته في الله، فرُفِعَ عنه الحصار.

يليق بالمؤمن أن يسأل نفسه: هل أنا مثل آحاز أم مثل حزقيا؟ اليوم ما الاتكال الذي أتكل عليه؟ المال أم الثقافة أم المركز الاجتماعي أم القوة أم التقدُّم العلمي الخ؟ هذه كلها عطايا إلهية، تتقدَّس إن التصقنا بالله، واتكلنا عليه.

بعد أن استولى سنحاريب ملك أشور فعلاً على مدن كثيرة كان يُجدِّف بوابلٍ من التهديدات ضد إسرائيل خلال ربشاقي، وليس ما حوَّله عن هدفه وأرسله إلى الأثيوبيين سوى الصوم. بعد ذلك ما الذي أهلك مئة ألف وخمسة وثمانين ألفًا من جيشه بيد الملاك، إلا تواضع حزقيا الملك؟[1]

العلامة ترتليان

قُلْتَ إِنَّمَا كَلاَمُ الشَّفَتَيْنِ هُوَ مَشُورَةٌ وبَأْسٌ لِلْحَرْبِ.
وَالآنَ عَلَى مَنِ اتَّكَلْتَ حَتَّى عَصَيْتَ عَلَيَّ؟ [٢٠]

❖ من يتجاسر ويقول بأنه ليس إله، هو عديم الفطنة وجاهل. هذه هي سمة ربساريس وربشاقي، لأنهما قالا هكذا: "هل أنقذ آلهة الأمم بلادهم والمتعبدين لهم، فكيف يحميكم إلهكم ويحمي مدينتكم؟!" أما بقلبيهما وضميرهما، فقالا إنه ليس إله. فالنبي بإلهام الروح القدس سبق وعلم ما في ضميرهما (٢ مل ١٨)

وأيضًا نقول إن الذين ينكرون لاهوت المسيح هم جهال، لأن هدفهم أن ينقضوا عظائمه الظاهرة التي تثبت لاهوته.

وأيضًا الذين يقولون نعم الله موجود، خالق البداية، لكنه لا يهتم بها؛ هؤلاء يتكلون على القدرة البشرية، وهم جهال.

الأب أنسيمُس الأورشليمي

فَالآنَ هُوَذَا قَدِ اتَّكَلْتَ عَلَى عُكَّازِ هذِهِ الْقَصَبَةِ الْمَرْضُوضَةِ،
عَلَى مِصْرَ، الَّتِي إِذَا تَوَكَّأَ أَحَدٌ عَلَيْهَا دَخَلَتْ فِي كَفِّهِ وَثَقَبَتْهَا!
هَكَذَا هُوَ فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ. [٢١]

إذ كانت أشور تتطلع إلى مصر بأنها القوة المنافسة لها، لذا توقع ربشاقي أن حزقيا سيلجأ إلى مصر لحمايته من أشور. وكما يقول **ثيؤدورت أسقف كورش**[٢] أن ربشاقي في هذا المثل يتهم

---

[1] *On Fasting, 17*

[٢] مُعلم نسطور، يُعتبر نسطوري أكثر من نسطور نفسه.

المصريين بالضعف والشر، فهم يشبهون قصبةً، بل وقصبة مرضوضة. هم ضعفاء كالقصبة التي تنبت على شاطئ النهر لا حول لها ولا قوة، عاجزة عن الدفاع عن نفسها، فكيف تحمي غيرها، ومرضوضة، أي شريرة فمن يتكئ عليها تؤذي كفه[1].

كانت مصر ليس فقط على النيل كمصدر خيرات لها، إنما أيضًا كانت أحيانًا تتعبد له كإله. في مناطق كثيرة كان على شاطئ النيل قصب. لهذا حذرت أشور حزقيا من الاتكال على مصر، فإن قصب النيل مرضوض، من يتكئ عليه بيده يسبب جراحات لليد بدلاً من تقديم عونٍ له. لقد استخدم إشعياء النبي ذات التحذير (إش ٣٠: ٣-٥؛ ٣١: ١-٣) بتشبيهات مختلفة.

خلال هذا الضيق ندرك بطلان سعينا وراء الآخرين، إذ نقترب من المحبين فلا ندركهم، ونفتش عليهم ولا نجدهم. من هم هؤلاء المُحبُّون؟ ربما قصد بهم ملك أشور وفرعون مصر ومن هم على أمثالهما، فالتحالف مع واحد منهم خوفًا من الغير هو تحالف باطل، فهؤلاء يعملون لمصلحتهم الخاصة، ويستغلون إسرائيل ويهوذا دون مساعدتهم في وقت الضيق. إنهم مثل "عكاز القصبة المرضوضة" (٢ مل ١٨: ٢١). ولعله قصد بالمُحِبِّين أيضًا البعل والعشتاروت وما رافق العبادة الوثنية من سحر. هذه جميعها التي كرَّس إسرائيل حياته وطاقاته وكل مشاعره لها مع أنها لا تقدر أن تُنقِذَه أو تُخلِّصه.

يرى **القديس جيروم** في تفسيره لسفر إشعياء أن ربشاقي في حديثه هذا المُوجَّه للملك حزقيا خلط الحقائق مع الأباطيل الكاذبة. مع قوله: "هوذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة" [٢١] لا نجد في التاريخ أن حزقيا أرسل إلى مصر ليجعل من فرعون مُعينًا له. ربما ذكر هذا كنوع من الحدس أو التخمين، بأن الملجأ الرئيسي لمن يهاجمه أشور هو الالتجاء إلى القوة المضادة لهم وهي مصر[2].

وَإِذَا قُلْتُمْ لِي: عَلَى الرَّبِّ إِلَهِنَا اتَّكَلْنَا،
أَفَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَزَالَ حَزَقِيَّا مُرْتَفَعَاتِهِ وَمَذَابِحَهُ،
وَقَالَ لِيَهُوذَا وَلأُورُشَلِيمَ:
أَمَامَ هَذَا الْمَذْبَحِ تَسْجُدُونَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ [٢٢]

جاءت كلمات ربشاقي بخصوص اتكال حزقيا على إلهه كرد فعل لشهرة حزقيا كإنسانٍ تقي يعبد الرب ويثق فيه [٥]. هكذا بدأ ربشاقي بحرب نفسية ضد حزقيا، حيث أوضح له أنه لا يوجد على الأرض ولا في السماء من يُخلِّصه من يد أشور.

---

[1] *Johanna Manley: Isaiah through the Ages, Monastery Books, CA 1926, P 531*
[2] *Of Commentary on Isaiah 1: 11: 36· 1-10.*

قال أيضًا ربشاقي الحق: "وإذا قلتم على الرب إلهنا اتكلنا، أفليس هو الذي أزال مرتفعاته ومذابحه، وقال ليهوذا ولأورشليم: أمام هذا المذبح تسجدون في أورشليم" [٢٢]. فإن هذا حدث فعلاً إذ أزال المرتفعات والمذابح حتى التي كانوا يعبدون فيها الرب الإله، لأنها تدنست بالخلط بين عبادة الله والأصنام، فأراد حزقيا أن يُحَطِّم كل ما هو مُعثِّر، وما يفتح الطريق للعبادة الوثنية. لكن ربشاقي صوَّر هذا كأنه ضد عبادة الرب وليس لحساب تنقية العبادة للرب.

يرى **ثيؤدورت أسقف كورش** أن ربشاقي هنا يتهم حزقيا الملك الذي يدَّعي بأنه يتكل على الله، هو نفسه يخطئ في حق الله، فقد أزال أماكن العبادة التي لله على المرتفعات مع أماكن العبادة الوثنية، وأنه حدَّد العبادة أن تتم في الهيكل في أورشليم وكأن ربشاقي يُخطِّئ حزقيا الذي لم يفعل مثل غيره من الملوك السابقين له، الذين عبدوا الرب وتركوا المرتفعات لأن بها أماكن مخصصة للرب[1].

وَالآنَ رَاهِنْ سَيِّدِي مَلِكَ أَشُّورَ
فَأُعْطِيَكَ أَلْفَيْ فَرَسٍ إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْهَا رَاكِبِينَ. [٢٣]

في شيء من الاستخفاف والسخرية بحزقيا، قال ربشاقي إنه مستعد أن يُقدِّم له ألفين من الخيل، إن كان يجد عنده ٢٠٠٠ شخص قادرين على استخدام الخيل في المعارك. في سخرية يعني أن حزقيا ليس له هذا العدد من الرجال، أو أن جيشه غير مُدرَّب على قيادة الخيل في المعارك.

فَكَيْفَ تَرُدُّ وَجْهَ وَالٍ وَاحِدٍ مِنْ عَبِيدِ سَيِّدِي الصِّغَارِ،
وَتَتَّكِلُ عَلَى مِصْرَ لأَجْلِ مَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ؟ [٢٤]

يرى **ثيؤدورت أسقف كورش** عبارة أن الوالي الواحد من عبيد سيده - جاءت في السبعينية لتعني الأراميين، فإذ أرادت دمشق أن تهاجم حزقيا خاف منها ولجأ إلى أشور ودفع لها جزية لتحميه، وهي تُمَثِّل واليًا واحدًا من عبيد ملك أشور، فلماذا يلجأ إلى مصر لتحميه من ملك أشور نفسه؟![2]

- ❖ لكي يوضح ربشاقي عجز (حزقيا) على الدخول في رهينة، وعده بألفي فرسٍ إن وجد حزقيا راكبين لها. لم يقل هذا عن غباوة، إنما لإلتصاقه بالشعب اليهودي الذي ينقصه معرفة ركوب الخيل، وإنما من أجل إدراكه لوصايا الله التي أمر بها بواسطة موسى عن ملك إسرائيل: "لا يكثر له الخيل... ولا يكثر له نساء" (تث ١٧: ١٦-١٧). لكن ربشاقي قال: "إن كنت لا تقدر

[1] *Johanna Manley: Isaiah through the Ages, Monastery Books, CA 1926, P. 532*
[2] *Johanna Manley: Isaiah through the Ages, Monastery Books, CA 1926, P. 533.*

أن تقف أمامي، أنا خادم سنحاريب، بل أنا الأخير في خدامه، فكيف ستقف أمام قوة الملك العظيمة؟ الإجابة المتوقعة من حزقيا هي: "نحن نتكِّل على الرب إلهنا". لذلك بمهارة جاءت إجابة ربشاقي أنه لم يأتِ من نفسه، إنما جاء بناء على طلب الرب. "الرب قال لي: اصعد على هذه الأرض واخربها" (٢ مل ١٨: ٢٥). هذه باختصار حجته: إنني ما كنتُ أستطيع أن آتي لو لم تكن هذه هي إرادة الرب. ولكن إذ جئت واستوليت على مدن كثيرة، فإن كانت أورشليم لم تُمس بعد، فمن الواضح أن هذه إرادته أن أجيء[1].

القديس جيروم

وَالآنَ هَلْ بِدُونِ الرَّبِّ صَعِدْتُ عَلَى هذَا الْمَوْضِعِ لأُخْرِبَهُ؟
الرَّبُّ قَالَ لِي اصْعَدْ عَلَى هذِهِ الأَرْضِ وَاخْرِبْهَا. [٢٥]

يبدو أنه قد بلغ الأشوريين النبوات الخاصة بأحكام الله التأديبية لشعبه (إش ١٠: ٥-١١)، لذلك حسب ربشاقي أن هذه الحملة لمهاجمة يهوذا هي بسماح من الله. بهذا أراد أن يبث الرعب في قلوب سكان أورشليم (٢ أي ٣٢: ١٨)، بأنه حتى الله إلههم يقف ضدهم.

يرى **ثيؤدورت أسقف كورش** أن ربشاقي لم يكن أشوريًا، لأن حديثه هنا يكشف عن شخصه أنه ليس بغريب عن إسرائيل، إذ أدرك أن تسليم الأسباط العشرة للأسر الأشوري هو بأمر إلهي لتأديبهم مقاومتهم لله.

فَقَالَ أَلِيَاقِيمُ بْنُ حِلْقِيَّا وَشِبْنَةُ وَيُوآخُ لِرَبْشَاقَى:
كَلِّمْ عَبِيدَكَ بِالأَرَامِيِّ لأَنَّنَا نَفْهَمُهُ،
وَلاَ تُكَلِّمْنَا بِالْيَهُودِيِّ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ الَّذِينَ عَلَى السُّورِ. [٢٦]

كانت الأرامية في ذلك الوقت تُستخدَم في المعاملات الدولية، وكان مندوبو الملك يتوقعون أن ربشاقي يتكلم بالأرامية لا باليهودية التي يتحدث بها عامة الشعب، لكن ما كان يهم الأشوريون أن يتحدثوا مع الشعب ليُحَطِّموا نفسية الملك ورجاله.

فَقَالَ لَهُمْ رَبْشَاقَى:
هَلْ إِلَى سَيِّدِكَ وَإِلَيْكَ أَرْسَلَنِي سَيِّدِي لأَتَكَلَّمَ بِهذَا الْكَلاَمِ؟
أَلَيْسَ إِلَى الرِّجَالِ الْجَالِسِينَ عَلَى السُّورِ،
لِيَأْكُلُوا عَذِرَتَهُمْ وَيَشْرَبُوا بَوْلَهُمْ مَعَكُمْ؟ [٢٧]

أراد ربشاقي أن يتحدث بلغة الشعب العامية حتى يثور على الملك ورجاله، وفي نفس

[1] *Commentary on Isaiah 11. 36: 1-10 (ACCS).*

الوقت تحدث بعبارات لا تليق بأناسٍ مسئولين، إنما إن صح التعبير تحدث بلغة الشارع: **"ليأكلوا عذرتهم، ويشربوا بولهم معكم"**.

لقد تشامخ ربشاقي وعيَّر الإله الحيّ، لذا يحتاج الأمر إلى تدخُّل هذا الإله لإعلان مجده وقدرته، ولأجل خلاص البقية الأمينة له. يقول المرتل: "حتى متى يا الله يُعيّر المقاوم؟!" (مز ٧٤: ١٠)

جاءت عبارة ربشاقي عما سيحل بالمدينة بسبب حصار الأشوريين غير لائقة، إذ شبه الشعب بأنه من شدة الجوع والعطش يأكلون الروث ويشربون بولهم. وإذ كان **القديس يوحنا الذهبي الفم** يتحدث مع الذين يذهبون إلى المسارح الخليعة يقول لهم: [الذين يجعلونكم تصغون إلى أغاني الباغيات **يضعون روثًا في آذانكم**. إنهم يجعلونكم تعانون ليس فقط من الكلمات بل ومن الأفعال ما يهدد به البرابرة: "تأكلون روثكم"[1].]

❖ الذي يقع في أعمال سمجة يقول في قلبه: **"ليس إله"**، ويخرج من الإيمان الحقيقي، ويسقط في الكفر، لأن بشنائعه يُفسِد ما قد زرعه الله في قلوب البشر من الاعتقاد القويم والرأي السليم. لأن الإيمان لا يكون قائمًا إلاَّ بالأعمال، كما كان كرنيليوس وغيره لطهارة سيرتهم، وحسن أعمالهم، استناروا بنور الإيمان المستقيم، أما من كان مضادًا لذلك فإنه فاسد.

الأب أنسيمُس الأورشليمي

ثُمَّ وَقَفَ رِبْشَاقَى وَنَادَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ بِالْيَهُودِيِّ:
اسْمَعُوا كَلاَمَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ مَلِكِ أَشُّورَ. [٢٨]

هَكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: لاَ يَخْدَعْكُمْ حَزَقِيَّا،
لأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِذَكُمْ مِنْ يَدِهِ. [٢٩]

كان ربشاقي يحث الشعب أن يتخلوا عن اتكالهم على الرب، ويثقوا في سنحاريب عوضًا عنه، وألا يثقوا في الملك. لقد كرَّر عبارة: "لا يخدعكم حزقيا" وما يعادلها [٢٢، ٢٩، ٣٠]. أراد أن يثور الشعب على الملك، ووعدهم بأن ملك أشور أعدّ لهم مكانًا أفضل مما يعيشون فيه.

وَلاَ يَجْعَلْكُمْ حَزَقِيَّا تَتَّكِلُونَ عَلَى الرَّبِّ قَائِلاً:
إِنْقَاذًا يُنْقِذُنَا الرَّبُّ وَلاَ تُدْفَعُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ إِلَى يَدِ مَلِكِ أَشُّورَ. [٣٠]

إذ حاصر الأشوريون أورشليم لم يراعوا الله بل أهانوه، لذلك أرسل ملاكه يُرعبهم (٢ مل ١٨).

---

[1] *Homilies on Matthew* 37: 7.

الذي لا يدعو الله لأجل الله نفسه، وإنما لأجل أمورٍ زمنيةٍ، يفقد فرحه ببهجة الخلاص، وعوض السلام يحل الخوف بلا سبب حقيقي سوى حرمانه من الله مصدر السلام.

❖ اتهام ربشاقي ضد حزقيا واضح أنه مع استيلاء أشور على مدن يهوذا (إش ٣٦: ١) لا يزال يتكل على الرب كما قال للشعب: "لا تخافوا ولا ترتعبوا من ملك الأشوريين وكل الجمهور الذي معه. فإن معه ذراع بشر، أما نحن فمعنا الرب إلهنا عوننا الذي يحارب عنا". وقد تشجع الشعب بكلمات حزقيا ملك يهوذا، ولهذا أراد ربشاقي أن يفسد ما فعله حزقيا، لذلك قال للشعب: "لا يخدعكم حزقيا... ولا يجعلكم حزقيا تتكلمون على الرب" [٢٩-٣٠][1].

القديس جيروم

لاَ تَسْمَعُوا لِحَزَقِيَّا.
لأَنَّهُ هكَذَا يَقُولُ مَلِكُ أَشُّورَ:
اعْقِدُوا مَعِي صُلْحًا وَاخْرُجُوا إِلَيَّ،
وَكُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ جَفْنَتِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تِينَتِهِ،
وَاشْرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ مَاءَ بِئْرِهِ [٣١]

يُقدِّم لنا **القديس جيـــروم** تحليلاً لخطة ربشاقي الحربية، فقد بدأ بتهديد حزقيا الملك وقادته وشعبه، وألحق هذا التهديد بوعود يُقدِّمها للشعب، بهذا يفتح الباب للشعب أن يثور على الملك حزقيا ويَقْبَل الخضوع لملك أشور.

❖ في الحال ألحق هذا التهديد بإغراءات لكي يخدع بالوعود المقابلة والتجاوب أولئك الذين لم يغلبهم بالرعب، قائلاً لهم نيابة عن ملك الأشوريين: اعقدوا صلحًا معي واخرجوا إليّ" (٢ مل ١٨: ٣١؛ إش ٣٦: ١٦) أو "اعقدوا معي ما هو نافع (لكم) وتعالوا إليّ"... يقول: "افعلوا ما هو لفائدتكم، فتزداد بركاتكم". بمعنى آخر: "باركوا ملك أشور واحمدوه، واعترفوا أنه سيدكم، فتنالون مكافأة. وأيضًا لتحيوا في مدنكم وتتمتعون بمحاصيلكم حتى أرجع من مصر، أو حتى استرد "لبنة" المسلوبة. وعندما أجيء سأخذكم إلى أرض تشبه تمامًا أرضكم، بها قمح وخمر وزيت". لم يذكر اسم هذه الأرض، لأنه لا توجد أرض تعادل أرض الموعد[2].

القديس جيروم

الآبار المحفورة: لما كان المطر نادرًا في أغلب أيام السنة، لهذا كان لمعظم البيوت في أورشليم آبار خاصة (٢ مل ١٨: ٣١، أم ٥: ١٥) لتخزين المياه المتجمعة من الأمطار أو من

---

[1] *Commentary on Isaiah 11: 36 11-12*
[2] *Commentary on Isaiah 11: 36: 11-12.*

الينابيع، وكانت في العادة على شكل كمثرى ذات فتحة صغيرة من أعلى حتى يمكن تغطيتها عند الضرورة لمنع الحوادث أو تلوث الماء. قديمًا كان أصحاب البيوت والحقول يعتزون بالبئر التي يشقونها، والجُب الذي يحفرونه، كأشياء خاصة وثمينة للغاية (إر ٣٨:٦).

بحلول عام ١٢٠٠ ق.م كانت الآبار تُقَوَّى بالأسمنت، مثل خزان قمران.

يرى **القديس كيرلس الكبير** أن مخاطبة شعب أورشليم بالإضافة إلى أشياء أخرى تشير إلى إبهاج الحواس والفرح في الكرمة والتينة. ولقد أشار أيضًا أنهم سيشربون الماء كل واحدٍ من بئره (٢ مل ١٨: ٣١، إش ٣٦: ١٦). إن قوة الشيطان تظهر فينا بطريقة مزدوجة، عن طريق الانغماس في الملذات إما في ملذاته خارج عنا أو في ملذات ناتجة عن الأسباب الطبيعية الداخلية. والتينة تمثل إبهاج الحواس (الشهوانية) الناتجة عن الخارج.

حتَّى آتِيَ وَآخُذَكُمْ إِلَى أَرْضٍ كَأَرْضِكُمْ،
أَرْضَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ،
أَرْضَ خُبْزٍ وَكُرُومٍ،
أَرْضَ زَيْتُونٍ وَعَسَلٍ وَاحْيُوا وَلاَ تَمُوتُوا.
وَلاَ تَسْمَعُوا لِحَزَقِيَّا لأَنَّهُ يَغُرُّكُمْ قَائِلاً: الرَّبُّ يُنْقِذُنَا. [٣٢]

يرى **ثيؤدورت أسقف كورش** أن ربشاقي بقوله: "حتى أتي وآخذكم"، بأن لديه خطة واضحة وقائمة بأسماء أمم وشعوبٍ ومدنٍ يثير عليهم حربًا ويخضعهم ثم يعود ويأخذهم بسهولة[١].

هَلْ أَنْقَذَ آلِهَةُ الأُمَمِ كُلُّ وَاحِدٍ أَرْضَهُ مِنْ يَدِ مَلِكِ أَشُّورَ؟ [٣٣]

ركَّز ربشاقي على عجز كل آلهة الأمم التي حاربهم أشور عن أن ينقذوا شعوبهم من يده.

أَيْنَ آلِهَةُ حَمَاةَ وَأَرْفَادَ؟
أَيْنَ آلِهَةُ سَفَرْوَايِمَ وَهَيْنَعَ وَعِوَّا؟
هَلْ أَنْقَذُوا السَّامِرَةَ مِنْ يَدِي؟ [٣٤]

يقول **ثيؤدورت أسقف كورش**: [لقد أشار على وجه الخصوص إلى السامرة ليُظهر علانية أنه ليس أحد أظهر نفسه أقوى منهم (من الأشوريين)، ليس من ملكٍ ولا قائد ولا إله حامٍ لهذه المدن. يقول: لقد هزمنا في نفس الوقت كل البشر وكل الآلهة، فلن يقف إلهكم أمام سيدي[٢].]

مَنْ مِنْ كُلِّ آلِهَةِ الأَرَاضِي أَنْقَذَ أَرْضَهُمْ مِنْ يَدِي،

---

[1] *Johanna Manley: Isaiah through the Ages, Monastery Books, CA 1926, P. 534.*
[2] *Johanna Manley: Isaiah through the Ages, Monastery Books, CA 1926, P 534.*

حتَّى يُنْقِذَ الرَّبُّ أُورُشَلِيمَ مِنْ يَدِي؟ [٣٥]

في قصة يهوديت نرى عجرفة هولوفرنيس (أليفانا) واعتداده بذاته، إذ قال: "**ولا ينجيهم إلههم**". بهذا أرسل سنحاريب إلى حزقيا الملك يقول: "من مِنْ كل آلهة الأراضي أنقذ أرضهم من يدي حتى ينقذ الرب أورشليم من يدي" (٢ مل ١٨: ٣٥). "لا يخدعك إلهك الذي أنت مُتَّكل عليه قائلاً: لا تُدفَع أورشليم إلى يد ملك أشور" (٢ مل ١٩: ١٠).

❖ ابغض العظمة، لأنها الثمرة المملوءة موتًا.

لأن آدم أكل منها في عدن، وأعطته الموت.

وبها سقط الشيطان من البدء.

بها سقط بيت آدم من الفردوس.

ليس عند الله شيء بخس ومكروه كمثل العظمة، ومن يتشامخ بالكبرياء.

القديس مار يعقوب السروجي

فَسَكَتَ الشَّعْبُ وَلَمْ يُجِيبُوهُ بِكَلِمَةٍ،
لأَنَّ أَمْرَ الْمَلِكِ كَانَ: لاَ تُجِيبُوهُ. [٣٦]

بينما رفض ربشاقي أن يصمت، تحدث باليهودية حتى يحث الشعب على التجديف على الله، أما رب المجد يسوع فصمت أمام المحاكمات الباطلة الموجهة ضده حتى يحمل أثقال الشعب ويدخل بهم إلى معرفة الحق الإلهي.

التزم الشعب كأمر الملك حزقيا ألا يجيبوا ربشاقي الذي استخف بالله (٢ مل ١٨: ٣٦). بنفس الروح إذ أراد سنبلط أن يدخل في حوارٍ مع نحميا إذ أراد تحطيم عمل البناء، قال له: "لا يكون مثل هذا الكلام الذي تقوله، بل إنما أنت مختلقه من قلبك" (نح ٦: ٨)، ورفض الدخول معه في حوارٍ كطلب سنبلط القائل: "هلم نتشاور معًا" (نح ٦: ٧).

كان من المتوقع أن يعلنوا عن ثورتهم وعصيانهم على الملك، لكنهم صمتوا علامة الطاعة والثقة منتظرين أمر الملك وتعليماته. أطاعوا الملك الذي سألهم ألا يجيبوه، أي لا يدخلوا معه في حوار لئلا يسقطوا في الضعف كما سقطت حواء بحوارها مع الحية القديمة. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [كان يجب عليها أن تصمت؛ كان يلزمها ألا تُبادلها الحديث، ولكن في غباءٍ كشفت قول الرب، وبذلك قدَّمتْ للشيطان فرصة عظيمة... انظروا أي شر هذا أن نُسلِّم أنفسنا في أيدي أعدائنا والمتآمرين علينا[١].] كما يقول: [إذ لم يكن الشيطان قادرًا على تقديم شيء

[١] للمؤلف: هل للشيطان سلطان عليك؟ للقديس يوحنا الذهبي الفم، مقال ٣.

عمليًا، قدَّم بالأكثر وعودًا في كلماتٍ. هكذا هي شخصية المخادعين[1].] ويقول **القديس أغسطينوس:** [الله هو قائدنا، والشيطان هو مُهلِكنا، القائد يُقدِّم وصيته، وأما المُهلِك فيقترح خدعة، فهل نصغي إلى الوصية أم إلى الخداع؟![2]]

كمثالٍ، حينما يسأل إنسان عن وجود تناقضات في الكتاب المقدس، إن كان الشخص يطلب ذلك للسخرية، فالحوار معه يتحوَّل إلى مناقشات غبية، أما إذا كان جادًا في المعرفة، فالحوار لازم، وكما يقول الرسول بطرس: "قدِّسوا الرب الإله في قلوبكم، مستعدين دائمًا لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعةٍ وخوفٍ" (١ بط ٣: ١٥). نفس الأمر إن كان الحوار مع ملحدٍ ينكر وجود الله، فإن القرار بالحوار أو عدمه يتوقف على إدراكنا لنيَّة السائل. فبرفض الإجابة نحرص ألا ننزلق إلى حماقته، وبردِّنا عليه نود أن نحفظه من الحماقة التي سيطرت عليه.

يقول **ثيؤدورت أسقف كورش:** [إذ سمعوا تجديفه هذا الذي تحدَّى كل حديث، لم يجب ألياقيم ورفاقه هذا الشرير بكلمة، بل مزَّقوا ثيابهم قبل الانطلاق بسرعة إلى الملك التقي وإخباره بالكلام كما بمظهرهم عن مبالغته في التجديف. والملك بدوره تعجب وفعل نفس الأمر، إذ مزَّق ثوبه الملوكي واستبدله بالمسوح، وجرى ليقترب من الله خالق المسكونة الذي هاجموه كما هاجموا معه الملك[3].]

❖ بقي كل الشعب صامتًا، ولم ينطق أحد بشيءٍ له، إذ قبلوا تعليمات الملك ألا يجيبوه. فإذ كان حزقيا بالحق إنسانًا بارًا يعمل بإخلاصٍ تامٍ وبكل حكمةٍ، سألهم ألا يجيبوا هذا الأشوري المُجدِّف، لئلا يُثار إلى ارتكاب تجديف أعظم. لذلك كُتب: "تلهب جمر الخاطي" (سي ٨: ١٠). كما نقرأ في المزامير: "حينما وقف الخاطي قبالتي، حبست لساني، وأذللت نفسي، ولزمت الصمت بخصوص الصلاح" (راجع مز ٣٩: ٢-٣ الترجمة السبعينية). وأيضًا: "ضع يا رب حافظًا لفمي، وبابًا حصينًا لشفتيّ، ولا تُمِل قلبي إلى كلام الشر" (مز ١٤٠: ٣-٤ الترجمة السبعينية)[4].

القديس جيروم

❖ يليق بنا أن نتعلم حسنًا في معرفة إيماننا، حتى متى سألنا أحد عنه نكون قادرين أن نُقَدِّم إجابة لائقة، وأن نفعل ذلك بوداعةٍ وفي مخافة الرب. فإن من يفعل هذا كأن الله نفسه حاضر

---

[1] *In 2 Tim Hom 8*
[2] *On Ps 71*
[3] *Johanna Manley: Isaiah througy the Ages, Monastery Books, CA 1926, P 534*
[4] *Commentary on Isaiah 11: 36: 11-12*

يسمعه[1].

القديس ديديموس الضرير

❖ يخبرنا الرسول أن نكون مستعدين أن نجاوب كل من يسألنا لنشرح له إيماننا، فإن سألني غير مؤمنٍ عن سبب إيماني ورجائي، وأدرك أنه لا يستطيع قبول هذا ما لم يؤمن، أُقدِّم له ذات السبب لكي يرى كيف أنه لأمرٍ سخيفٍ بالنسبة له أن يدركها دون أن يؤمن[2].

القديس أغسطينوس

فَجَاءَ أَلِيَاقِيمُ بْنُ حِلْقِيَّا الَّذِي عَلَى الْبَيْتِ وَشِبْنَةُ الْكَاتِبُ وَيُوآخُ بْنُ آسَافَ الْمُسَجِّلُ
إِلَى حَزَقِيَّا وَثِيَابُهُمْ مُمَزَّقَةٌ،
فَأَخْبَرُوهُ بِكَلاَمِ رَبْشَاقَى. [٣٧]

نعود إلى الملك لنراه عند سماعه كلمات ربشاقي "**مزَّق ثيابه وتغطَّى بمسح ودخل بيت الرب**". كان ذلك علامة حزنه مع تواضعه أمام الله .

أرسل حزقيا الياقيم وشبنة وشيوخ الكهنة متغطين بمسوح إلى إشعياء النبي [٢]. لقد تغيَّر الحال، فبعد أن كانت القيادات المدنية والدينية تسخر بإشعياء حين كان يسير حافيًا وعريانًا، منذرًا إياهم أن فرعون ورجاله لن يستطيعوا إنقاذهم (إش ٢١)، الآن ها هم يأتون إليه لابسين المسوح في مرارةٍ، يعلنون حاجتهم إلى صلواته ومشورته. أدركوا أنه "**يوم شدة وتأديب وإهانة**" **[٣]**، فليكن يوم توبة وصلاة. شعروا "**أن الأجنَّة دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة**" **[٣]**، من يستطيع أن يُعين إلاَّ الله خلال الصلاة؟! لا يقدر فرعون بكل إمكانياته أن يهب المرأة الحامل قدرة على الولادة حتى متى حان وقت الطلق .. الصلاة هي "المولِّدة" للرحمة التي تحقق الولادة.

كانت عادة تمزيق الثوب الخارجي التي تُعبِّر عن الحزن الشديد، مثل موت أحد الأقرباء منتشرة في كثير من الأمم، وإلى وقت قريب كانت منتشرة في بعض قُرَى الصعيد بمصر. أما عند اليهود، فكانت هذه العادة تُمارَس بالأكثر عند سماع تجديف على الله، ليُعلِنَ المُستمِع أنه بريء من هذا التجديف ولا يطيق الاستماع إليه، وذلك كما فعل رئيس الكهنة في محاكمة السيد المسيح، وإعلانه بأنه مُجَدِّف.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [ليس شيء يُعادِل الصلاة! إنها تجعل المستحيل ممكنًا، والصعب سهلاً. لا يمكن للإنسان الذي يُصلِّي أن يسقط في خطية[3]]. ويقول **الأب ثيوفان الناسك**:

---

[1] *Catena.*
[2] *Letter 120.*
[3] *De Anno Sermo 4; PG. 54:666.*

[الصلاة هي كل شيء؛ هي موجز كل شيء: الإيمان، الحياة حسب الإيمان، الخلاص الخ[1].] كما يقول إن الصلاة هي [نسمة الروح[2]]، هي [مقياس الحياة الروحية[3]]، الكنيسة كلها [تتنسم خلال الصلاة[4]].

❖ بالتأكيد لم يفرح البار حزقيا في كارثة السبي التي ستحل على أولاده، لكنه لم يستطع أن يعترض على إرادة الرب، فتقبَّل أمر الرب بصبر، بكونه خادمًا متواضعًا[5].

القديس أمبروسيوس

شخصية حزقيا الملك

[٢ مل ١٨-٢٠]، [٢ أي ٢٩-٣٣، إش ٣٦-٣٩]

من هو حزقيا؟

كلمة "**حزقيا**" معناها "الرب يقوي".

ملك على يهوذا مدة ٢٩ عامًا (٧١٥-٦٨٦ ق.م)، ابن آحاز وأبو منسى الذي تولى الحكم بعده. تُعتبَر أيام حكمه من أفضل الفترات بعد داود الملك.

• يوجد أكثر من شخص يُدعَى حزقيا، مثل ذاك الذي عاد من السبي البابلي مع عزرا (نح ١٧:١، عز ١٦:٢)، وحزقيا من الأسرة المالكة في يهوذا (١ أي ٢٣:٣)، الجد الأكبر لصفنيا (صف ١:١).

إنجازاته

وثق حزقيا (٢ أي ٢٧:٣٢) في عمل الله أكثر من أي ملك آخر في يهوذا (٢ مل ٥:١٨) وقد ترجم إيمانه بعدة أعمال حيَّة. قاد حركة الإصلاح الديني والمدني والسياسي والدفاعي.

١. نادى **بالتوبة** وسط شعبه، ونزع عبادة الأوثان ومراكزها، وهدم طقوسها. أعلن **إيمانه العملي** بالله عن طريق هدم كل مذابح الأوثان التي بناها آحاز (٢ أي ٢٢:٢٨-٢٥)، وجدَّد العهد مع الرب (٢أي ١٠:٢٩). وقد وصلت أمانته إلى حد تحطيم الحية النحاسية التي هي رمز هام

---

[1] *Cf. Tomas' Spidlik. The Spirituality of the Christian East, 1986, P 307. Nacertanye christianskago nravoucenija (Christian Moral Teaching), Moscow 1895, p. 122.*
[2] *Cf. Tomas' Spidlik: The Spirituality of the Christian East, 1986, P.307. Nacertanye christianskago nravoucenija (Christian Moral Teaching), Moscow 1895, p. 406*
[3] *Cf Tomas' Spidlik: The Spirituality of the Christian East, 1986, P.307 Nacertanye christianskago nravoucenija (Christian Moral Teaching), Moscow 1895, Theophane la Recluse, p. 240.*
[4] *Cf. Tomas' Spidlik: The Spirituality of the Christian East, 1986, P.307. Nacertanye christianskago nravoucenija (Christian Moral Teaching), Moscow 1895, p. 241.*
[5] *Jacob and the Happy Life, 1:8·36.*

لشعب إسرائيل من أجل استخدامهم لها في العبادة الوثنية. قام بكل ذلك ليُعلنَ أن الله وحده له الحق في العبادة والسجود.

٢. كان الشعب يسمع له. قيل: "**ليعملوا أمر الملك**" (٢ أي ٣٠:١١-١٢) جاءت كلمة "يعملوا" في أصلها "يسمعوا"، وسماع الكلمة هي طاعة ،الأمر، ليس بالضغط، وإنما بمحض اختيارهم برضا.

٣. خلال فترة حكم حزقيا حدث إصلاح روحي، لأن الرب أعطى الشعب "**قلبًا واحدًا**" ليطيعوا وصاياه من خلال قادتهم الروحيين (٢ أي ٣٠:١٢)، تلك الوحدة في طاعة الله وتجديد العهد نزعت لدى البعض روح التفكك والانقسام الذي حدث أيام رحبعام (٢ أي ١٠:١-٩). لقد دعا حزقيا الملك البقية من مملكة الشمال للانضمام إلى إخوتهم في يهوذا (٣٠:٦-٩)، وقليلون قبلوا الدعوة (٣٠:١٠-١١). سبَب قبولهم الشعب لأتباع طريق الرب بوحدة القلب هو أن حزقيا نفسه كان قدوة صالحة لهم. فالكتاب يشهد عنه أنه في كل عملٍ قام به لخدمة الرب "**إنما عمله بكل قلبه**" (٢ أي ٣١:١). التزم حزقيا الملك بخدمة الله والآخرين بقلب واحد.

٤. جدَّد هيكل الرب وأقام العبادة فيه، وجدَّد قادة اللاويين، فتقدَّسوا للرب (٢ أي ٢٩:١-٣٦).

٥. عمل الفصح للرب، وقاد بنفسه تقدمة الفصح، مُشجِّعًا الشعب لتقديم الذبائح والتقدمات. كما دعا مملكة الشمال المتبقية للمشاركة في الاحتفال به (٢ أي ٢٩؛ ٣٠).

٦. بالرغم من قوة أشور الحربية والتحطيم النفسي المُستمِر ليهوذا (٢ أي ٣٢:٩-١٩)، إلا أن حزقيا **وثق في الله وحده، ولم يلجأ للتحالف مع البلاد المجاورة** (٢ مل ١٩:١٤-١٩) عكس ما فعل آحاز والده. وقد كرَّم الله إيمان حزقيا بمعجزة فائقة حيث طرد من أمامه ملك أشور وجنوده (١٩:٣٥-٣٦). في نفس الوقت قام حزقيا **بخطوات عملية** من خلال إيمانه وثقته في الله، فقوَّى حصون أورشليم الدفاعية، **وحفر عيون ماء** لإمداد المدينة بالمياه اللازمة إن حدث حصار (٢ أي ٣٢:٣٠).

٧. نجا من حصار سنحاريب ملك أشور لأورشليم سنة ٧٠١ ق.م (٢ أي ٣٢:١).

ضعفاته

عرض كل كنوز خزائنه للمندوبين من بابل (٢ مل ٢٠:٢١، ٢ أي ٣٢:٣١). يكشف ذلك عن كبرياء داخلي وحماقة أثَّرتْ على الذين جاءوا بعده في الحكم.

من هو سنحاريب؟

الاسم: إله القمر، معناه الخطية زادت من الإخوة.

المدينة: نينوى في أشور حيث بني له قصرًا. تفاخر به أنه لا يُهدَم، وعمل إصـــلاحات عديدة.

العائلة: ابن سرجون الثاني ووالد آسرحدون الذي ملك بعده بعد أن قتل أخواه أباه (٢ مل ١٩:٣٧).

المهنة: قائد جيوش أشور، ثم صار ملكًا لأشور بعد موت أبيه (٧٠٥-٦٨١ ق.م).

الإنجازات: قاد حملته ضد يهوذا سنة ٧٠١ ق.م. فأخذ لخيش و٤٥ مدينـــة أخـــرى مـــن يهوذا، وأسر حوالي ٢٠٠ ألف من يهوذا قبل حصاره لأورشليم. وكان دائمًا يسخر مـــن ضـــعف حزقيا أمام قواته (٢ مل ١٨:١٧-٣٦؛ ٢أخ٣٢:٩-٢٢؛ إش٣٦:١-٢١).

من وحي ٢ مل ١٩

تعييرات معيريك وقعت عليَّ!

❖ ترك حزقيا أباه الشرير والتصق بك.
لم يكره أباه، ولم ينطق بكلمة جارحة ضده.
لكن أبغض الشر الذي التصق به.
تحدَّى الفساد الذي حلَّ به،
ولم يرث منه روح الفشل!
أزال المرتفعات التي فشل أبوه وجدُّه أن يزيلاها.
لم يترك مجالاً ليرتد إنسان إلى الوثنية.
بل وحطَّم حتى الحية النحاسية التي حوَّلها الشعب إلى صنمٍ يعبدونه!

❖ لم يقف عدو الخير مكتوف الأيدي،
بل بخبرته الطويلة وضع خطة لتحطيمه.
أثار ضده أرام غريبة الجنس لكي تبيده،
وأثار إسرائيل التي من بني جنسه للخلاص منه.
تحالف الغرباء مع الأقرباء تحت قيادة عدو الخير.
في ضعفٍ التجأ إلى أشور لتحميه،
عوَض أن يلجأ إليك،
فالحرب في حقيقتها مع إبليس نفسه!

❖ من يسندني ضد إبليس عدوي الوحيد؟
إن أثار الغرباء والأقرباء عداوة،
فالعدو الحقيقي هو إبليس بحيله الخفية.
لتكن أنت سندي وملجأي.
من يقدر أن يقف أمام إبليس سواك؟

❖ نجح أشور في قتل رصين ملك أرام،
وحاصر السامرة واستولى عليها.
أذلَّ إسرائيل وقاد الشعب أسرى.
استطاع أن يُفقِدَ إسرائيل هويتها كشعب الله.
وجعل منها مثالاً للدمار الكامل.
استولى أشور على أممٍ وشعوبٍ ومدنٍ كثيرة.
بل واستولى على مدن حصينة في يهوذا.

❖ ظن أشور أنه لم تعد أورشليم تُمَثِّل قوة في عينيه.
سبق فأذلها بالجزية،
وجعل من السامرة عِبْرَةً لها.
وانهارت الأمم مع آلهتها قدامَه.
حسب ملك أشور أنه أعظم من إله أورشليم.
من يستطيع أن يحمي حزقيا وقادته وشعبه؟!

❖ أرسل سنحاريب الأشوري ربشاقي ورفاقه.
وظن أنه في لحظات تستسلم يهوذا بملكها وشعبها.
ظن ربشاقي أنه سفير أعظم ملِك في العالم.
فإن كان حزقيا ملك يهوذا ينصت لصوت إلهه خلال الأنبياء.
فالعالم كله ينصت لسنحاريب الأعظم من كل الآلهة خلاله.

❖ كان ربشاقي آلة لا في يدي سنحاريب، بل في يديّ إبليس.
في كبرياء وعجرفة وقف أمام اليهود مستخدمًا تجاديف خطيرة.
إذ لم يستطيع الرعب والتهديدات أن تحكم مندوبي حزقيا،
استخدم أسلوب الخداع والكلمات المعسولة.

وعد شعب يهوذا أن يخلصهم من خداعات حزقيا،
يُقدّم لهم حياة آمنة سعيدة في بلدٍ لم يذكر اسمها.
صوَّر لهم أنه قادم بأمر الله إلههم ليؤدب حزقيا.
صوّر حزقيا كعدو لله أزال المرتفعات حيث كان الشعب يعبد الله فيها.
مزّق مندوبو حزقيا ثيابهم،
وفي مرارة مزّق حزقيا الثوب الملكي.

❖ إلهي، لن يكف عدو الخير عن أن يُعيِّرني.
تعييرات معيريك سقطت عليّ.
من يُخلِّصني من تهديدات إبليس،
ومن يقودني فلا أسقط في شباكه المتنوعة.
إنه يُهَدِّد تارة، ويلاطف تارة لتحطيمي.
يبذل كل جهده ليبث فيَّ روح الخوف والقلق والفشل.
إنها حرب بينك وبينه، بين بِرّك وشره.
ليس من يُخلِّصني من مكائده إلا أنت!
ليحمني روحك القدوس، ويرفعني فوق تجارب العدو.
ليفتح لي أبواب السماء، فتمتلئ نفسي رجاءً مفرحًا!
بك أنتصر ولا تقوي قوات الظلمة عليَّ،
لأنك أنت النور واهب الحياة والنصرة والمجد!

اَلأَصْحَاحُ التَّاسِعُ عَشَرَ

هزيمة سنحاريب

إذ قامت مملكة أشور بسبي إسرائيل، أرادت أن تسبي يهوذا. انقسمت المملكة إلى ثلاث فرق: فريق رأى أن يستسلم حتى لا تُحَطِّمهم أشور، وفريق آخر رأى أن يلجأ إلى مصر يتحالف معها ضد أشور، والأقلية القليلة جدًا أرادت أن تثق في الرب القادر أن يُخَلِّص. كان حزقيا الملك التقي من الفريق الثالث الذي لجأ إلى الصلاة. فأرسل الرب إشعياء النبي يؤكد له أن صلاته قد سُمعت.

١. حزقيا يستنجد برجل الله إشعياء	١-٧.
٢. انسحاب ربشاقي المؤقت	٨-٩.
٣. رسالة ربشاقي لحزقيا	١٠-١٣.
٤. حزقيا ينشر الرسالة أمام الرب	١٤-١٩.
٥. الرب يُرسل إشعياء لحزقيا	٢٠-٣٤.
٦. ملاك الرب يضرب جيش أشور	٣٥.
٧. انسحاب سنحاريب واغتياله	٣٦-٣٧.

١. حزقيا يستنجد برجل الله إشعياء

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ حَزَقِيَّا ذَلِكَ مَزَّقَ ثِيَابَهُ،
وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ، وَدَخَلَ بَيْتَ الرَّبِّ. [١]

إذ سمع حزقيا الملك عن سخرية ربشاقي المُرَّة بالله الحي كما بالملك والقادة، قام بتمزيق ثيابه علامة عن شدة الحزن (٦: ٣٠)، كما عن الندامة والتوبة (يوئيل ٢: ١٢-١٣). يُحسَب إهانة مُرَّة أن يُمزَّق الثوب الملوكي أو أن يلتحف الجسم الملوكي بمسوحٍ، لكن إذ أُهين الله بكلمات التجديف التي نطق بها ربشاقي، لم يحتمل الملك أن يستوعب الموقف، فعبَّر عن مرارة نفسه بتمزيق ثيابه الملوكية والتحافه بالمسوح.

يرى حزقيا الملك أن الله هو إله المستحيلات، متخصص في المواقف المستحيلة. كشف عن ثقته في الرب، فقدَّم توبة، ودخل بيت الرب، يطلب مشورته وعونه. حقًا إن المشاكل هي فُرَص ذهبية لتدخُّل الله في حياتنا.

اتسم الملك حزقيا بالتواضع، فكان يلجأ إلى الرب، ويطلب مشورته خلال أنبيائه، لذلك

وقف الرب ضد تهديدات العدو [٧].

لم يدخل الملك إلى بيت الرب ليسأله بماذا يجيب هذا المُجنِّف، إنما لكي يتسلَّم الرب الأمر كله.

❖ الإيمان الذي بلا حماية (زمنية) يُسلِّحه الله.

أكَّد حزقيا خلال قوة الإيمان أنه بقوته الضعيفة أقوى من سنحاريب ملك أشور ونينوى الغنية بالآلاف التي لها.

جنَّد سنحاريب قوى أشور ومملكة مادي.

حطَّم الممالك المجاورة بفِرَقه الضخمة، واتجه نحو المدينة المقدسةِ للرب. وقد ركَّز كل إمكانيات حربه المُكثَّفة ضدها وحدها.

وإذ فعل استعدادات كهذه، عاقه الله، فإن حربه أخَّرتْ خططه غير المقدسة. أرسلت إلى أورشليم رسالة فظة تحوي تهديدات بعجرفة.

تسلَّمها حزقيا بحزنٍ، وحملها إلى الرب قدام الهيكل. انبطح للصلاة ومعه شعبه في حزنٍ، وقرأ تلك الكلمات القاسية، وبلَّل الرسالة بدموعه الغزيرة، بهذا اتكل على الله.

بالصلاة وحدها، بالرغم من غيابه عن المشهد، نال نصرة مُحَطِّمة للأشوريين، الذين عانوا من موتٍ خطيرٍ عندما حاربهم الله.

كان لهذا العطف الذي ربحه اعتباره العظيم حتى أنه لم يتطلع بعينيه على العدو الذي هزمه.

ما أن عَبَرَتْ دموع شكواه فوق مجموعات الكواكب، ما أن ارتفعتْ مرثاته الخارجة من قلبٍ متواضعٍ وعبرت النجوم، واندفعت كلماته التقوية إلى آذان الأب العلي، حتى اهتزت الأبواب العلوية وانفتحت، وانحدر ملاك بجناحيه، يتنسم رائحة الهواء بنزوله اللطيف. وإذ تسلَّح بسيف الكلمة، ضرب الجيش الشرير، وتمجَّد في نبح العدو النائم الصامت. وأحدث موتًا لـ ١٨٥٠٠٠ في وقتٍ واحدٍ...

في ذلك الوقت كان إشعياء وسيطًا لحزقيا[1].

القدِّيس بولينوس أسقف نولا

وَأَرْسَلَ أَلِيَاقِيمَ الَّذِي عَلَى الْبَيْتِ وَشَبْنَةَ الْكَاتِبَ وَشُيُوخَ الْكَهَنَةِ، مُتَغَطِّينَ بِمِسْحٍ، إِلَى إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ ابْنِ آمُوصَ. [٢]

بدأت خدمة إشعياء النبوية في السنة التي مات فيها عزيا أو عزاريا (إش ٦: ١)، قبل

---

[1] *Paulinus of Nola: Poems 26:166-95.*

حوالي ٤٠ عامًا (٧٤٠ ق. م). تنبأ إشعياء في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا. وقد تجاهل آحاز إشعياء، أما حزقيا فأصغى لمشورته.

مع أن أشور كانت أعظم قوة عالمية في ذلك الحين، لكنها كانت عاجزة على أن تنتصر على يهوذا طالما كان إشعياء مشيرًا للملوك.

لقد سمع الياقيم وشبنة كلمات ربشاقي منه مباشرة، فكانا خير رسولين يبعثهما الملك إلى إشعياء النبي، يُعَبِّران بملامحهما ومشاعرهما عما قاله ربشاقي. لقد ارتديا المسوح، لأنهما كانا يُمثِّلان الملك المرتدي المسوح.

فَقَالُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ حَزَقِيَّا:
هذَا الْيَوْمُ يَوْمُ شِدَّةٍ وَتَأْدِيبٍ وَإِهَانَةٍ،
لأَنَّ الأَجِنَّةَ قَدْ دَنَتْ إِلَى الْمَوْلِدِ، وَلاَ قُوَّةَ لِلْوِلاَدَةِ! [٣]

اعترف حزقيا بأن مملكة يهوذا بلا قوة في وقتٍ تحتاج أن تكون قوية للغاية لتواجه القوة العظمى في العالم، أي أشور.

ما كان يشغل قلب حزقيا ليس فقط جسارة ربشاقي ليُعَيِّر الله الحي، وإنما أيضًا أنه قد حلَّ يوم شدة وتأديب وإهانة على يهوذا وأورشليم. لقد شبَّه هذا اليوم بيوم ولادة عسيرة مع عدم وجود قوة للولادة. لقد طالت مدة الطَلْق، فخارت قوى يهوذا، وصارت عاجزة عن الولادة، ويحتاج الأمر إلى تدخُل الله نفسه صانع العجائب. فالأمر خطير للغاية، ويحتاج إلى عونٍ إلهي.

حسب حزقيا الملك ورجاله أن ما حلَّ بهم وبالشعب، إنما هو تأديب يستحقونه على خطاياهم. فقبل أن يشتكوا ربشاقي وملك أشور كمُجدِّفين، **اشتكوا أنفسهم كخطاةٍ يستحقون التأديب.**

هذا ولم يقترح الملك ورجاله حلاً للمشكلة، أو نقمة من أشور، إنما طلبوا من رجل الله أن يعرض القضية بأكملها على الله، ويترك الأمر بين يديه ليفعل كيفما يشاء.

لَعَلَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَسْمَعُ جَمِيعَ كَلاَمِ رَبْشَاقَى الَّذِي أَرْسَلَهُ مَلِكُ أَشُّورَ سَيِّدُهُ،
لِيُعَيِّرَ الإِلهَ الْحَيَّ،
فَيُوَبِّخَ عَلَى الْكَلاَمِ الَّذِي سَمِعَهُ الرَّبُّ إِلهُكَ.
فَارْفَعْ صَلاَةً مِنْ أَجْلِ الْبَقِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ. [٤]

يطلب الملك من إشعياء أن يصلي إلى الله، لعله يسمع تعبيرات ربشاقي الذي أرسله ملك أشور.

ماذا يعني **بالبقية الموجودة؟** لقد سبق فقاد أشور إسرائيل (العشرة أسباط) إلى السبي، وقد

بقيت مملكة يهوذا (سبطا يهوذا وبنيامين) كبقية قليلة. هذا وقد استولى أشور على مدن كثيرة من يهوذا وبقيت أورشليم كبقية قليلة جدًا تحتاج إلى عونٍ إلهيٍ وإلى تدَّخلٍ سماويٍ لإنقاذها.

طلب الملك من إشعياء الصلاة عنه وعن المملكة، لكنه لم يتواكل، بل ذهب هو بنفسه إلى بيت الرب، ونشر الرسائل أمام الهيكل. يليق بنا إذ نطلب من أحبائنا سواء الراقدين أو المجاهدين الصلاة عنا، نشترك معهم في الصلاة والطلبة بروح التوبة والتواضع.

يدعو حزقيا الإله الذي يُعيِّره ربشاقي وملكه سنحاريب **"لِيُعيِّر الإله الحيّ"**، هذا الإله الذي لا يقدر أشور على الوقوف أمامه!

فَجَاءَ عَبِيدُ الْمَلِكِ حَزَقِيَّا إِلَى إِشَعْيَاءَ، [٥]

فَقَالَ لَهُمْ إِشَعْيَاءَ: هَكَذَا تَقُولُونَ لِسَيِّدِكُمْ:
هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ تَخَفْ بِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي سَمِعْتَهُ،
الَّذِي جَدَّفَ عَلَيَّ بِهِ غِلْمَانُ مَلِكِ أَشُورَ. [٦]

يطمئن الرب الملك حزقيا بأن ما قاله غلمان أشور مجرد كلام [٦]، وإن بدا ناريًا ورنانًا، لكنه لا يحمل قوة، لا يقدر أشور أن يقف أمام الريح الذي يهب عليه [٧].

هَئَنَذَا أَجْعَلُ فِيهِ رُوحًا، فَيَسْمَعُ خَبَرًا، وَيَرْجِعُ إِلَى أَرْضِهِ،
وَأُسْقِطُهُ بِالسَّيْفِ فِي أَرْضِهِ. [٧]

إن كان حزقيا قد ارتعب أمام تهديدات أشور، فإذ لجأ إلى الله، أعلن له رجل الله بأن الله يجعل فيه روح الرعب، ويُسْمِعه خبرًا يجعله يُسرِع بالعودة إلى بلده، حيث يُغتال هناك بواسطة ابنيه. الخبر الذي أعلنه إشعياء النبي ليس فقط أن سنحاريب يفشل في دخوله أورشليم، وإنما سيواجه موتًا مرعبًا عند رجوعه إلى أرضه.

حل هذه المشكلة لا يحتاج إلا إلى روح أو ريح أو نفخة تهب على الملك، فيتبدد ويهلك.

يُقدِّم إشعياء في هذه النبوة أربعة تحذيرات لملك أشور:

أولاً: يجعل فيه نفخة أو ريح، أو إشاعة تزعجه ربما بخصوص "ترهاقة".

ثانيًا: يسمع خبرًا خاصًا بقتل المئة والخمسين وثمانين ألفًا من جيشه في ليلة واحدة دون أن يفقد يهوذا جنديًا واحدًا، أو يستخدم سلاحًا ضدهم.

ثالثًا: يرجع إلى أرضه في حالة هزيمةٍ مُنْكَرةٍ لم تحل به من قبل، أي في خزيٍ وعارٍ.

رابعًا: يسقط بالسيف لا في معركة كبطلٍ، وإنما في أرضه حيث يغتاله ابناه في هيكل إلهه الوثن.

٢. انسحاب ربشاقي المؤقت

فَرَجَعَ رَبْشَاقَى وَوَجَدَ مَلِكَ أَشُّورَ يُحَارِبُ لِبْنَةَ،
لأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّهُ ارْتَحَلَ عَنْ لَخِيشَ. [٨]

بذل ربشاقي كل جهده لدخول أورشليم بمحاصرتها دون الدخول معها في معركة. لكن إذ رجع بعد حديثه مع مندوبي حزقيا الملك، وجد ملك أشور قد دخل في حربٍ أخرى مع لِبنة، وكان قد سحب معه الجيش من لخيش. هذا وكلا الموقعين لبنة ولخيش ليسا بعيديْن عن بعضها البعض، فهُمَا على جبال يهوذا جنوب أورشليم.

وَسَمِعَ عَنْ تِرْهَاقَةَ مَلِكِ كُوشٍ قَوْلاً:
قَدْ خَرَجَ لِيُحَارِبَكَ. فَعَادَ وَأَرْسَلَ رُسُلاً إِلَى حَزَقِيَّا قَائِلاً: [٩]

كانت تحركات جيش أشور سريعة وغير متوقعة. ذهب ربشاقي إلى لخيش حيث كان سنحاريب يحارب، فوجده قد تركها، لأن ملك كوش خرج يحاربه. فلئلا يستغل حزقيا الموقف، أرسل ربشاقي رسالة إليه يستخف به ويُهَدِّده طالبًا الاستسلام، وأنه سيحاصره سريعًا.

معروف أن ترهاقة لم يصر ملكًا قبل سنة ٦٩٠ ق.م، لذلك غالبًا ما ذكر الكتاب اسم ترهاقة على ملك كوش أو على صعيد مصر في الجنوب، بكونه لقبًا له شهرته بالنسبة لبعض ملوك كوش في ذلك الحين.

كان ترهاقه ملك مصر العليا، بينما سو *So (Sabaco)* ملك مصر السفلى. كان ترهاقة ملكًا قويًا، وقد ترك آثارًا كثيرة، تكشف عن أنه كان عظيمًا. جاء اسمه في هيكل مدينة هابو *Medinet Abou* أنه كان لديه أسرى حرب كثيرون.

غالبًا كان تحرُّك ترهاقة بجيشٍ عظيمٍ لمحاربة أشور هو الخبر أو الإشاعة التي تنبأ عنها إشعياء النبي [٧]. هذا الخبر لم يكن غريبًا بالنسبة لسنحاريب وربشاقي، إنما كانا يتوقعان تحالف يهوذا مع مصر ضد أشور، وقد سبق فحذَّر ربشاقي يهوذا من هذا التحالف، مُشَبِّهًا مصر بالقصبة المَرضوضة، من يتكئ عليها تثقب كفه (٢ مل ١٨: ٢١).

تحرَّك ربشاقي لمواجهة معركة مع مصر، وفي نفس الوقت أرسل يُهَدِّد حزقيا كي يُربكه ويقلقه بتوقُّع نصرة أكيدة وسريعة لأشور على مصر، وعودة لأشور لحصار أورشليم. وكأن ربشاقي أراد أن يُحَطِّم نفسية حزقيا، فلا يقوم بأدنى مقاومة حتى أثناء غيابه أو انشغاله بمعركة أخرى.

جاءت الرسالة تهاجم إله حزقيا الملك، وكأن المعركة في حقيقتها بين إبليس والله.

٣. رسالة ربشاقي لحزقيا

هَكَذَا تُكَلِّمُونَ حَزَقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا قَائِلِينَ:
لاَ يَخْدَعْكَ إِلهُكَ الَّذِي أَنْتَ مُتَّكِلٌ عَلَيْهِ قَائِلاً:
لاَ تُدْفَعُ أُورُشَلِيمُ إِلَى يَدِ مَلِكِ أَشُّورَ. [١٠]

لم يستسلم ربشاقي ظانًا أنه يعود إلى أورشليم يحاصرها ويفتحها. وقد جاءت هذه الرسالة تطابق نفس الحديث الذي وجَّهه ربشاقي قبلاً (٢ مل ١٨: ٢٩).

إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مَا فَعَلَ مُلُوكُ أَشُّورَ بِجَمِيعِ الأَرَاضِي لإِهْلاَكِهَا،
وَهَلْ تَنْجُو أَنْتَ؟ [١١]

هَلْ أَنْقَذَتْ آلِهَةُ الأُمَمِ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمْ آبَائِي،
جُوزَانَ وَحَارَانَ وَرَصَفَ وَبَنِي عَدْنَ الَّذِينَ فِي تَلاَسَّارَ؟ [١٢]

عدن هنا لا تعني منطقة جنة عدن التي وردت في سفر التكوين، وإنما تُعرَف اليوم باسم بيت عديني *Bit-Adini* جنوب حاران (حز ٢٧-٢٣، عا ١: ٥).

أَيْنَ مَلِكُ حَمَاةَ وَمَلِكُ أَرْفَادَ وَمَلِكُ مَدِينَةِ سَفَرْوَايِمَ وَهَيْنَعَ وَعِوَّا؟ [١٣]

٤. حزقيا ينشر الرسالة أمام الرب

فَأَخَذَ حَزَقِيَّا الرَّسَائِلَ مِنْ أَيْدِي الرُّسُلِ وَقَرَأَهَا،
ثُمَّ صَعِدَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ،
وَنَشَرَهَا أَمَامَ الرَّبِّ. [١٤]

كان حزقيا يؤمن بأن الله حاضر في كل مكان، ويسمع صوت مؤمنيه أينما وُجدوا، ويرى كل شيء، وليس شيء مخفيًا عن عينيه، لكن الهيكل يُحسَب مسكنه الخاص، وله اعتباره عند الرب. لقد ذهب كطفلٍ بسيطٍ يثق في محبة أبيه وحكمته وقدرته، أسرع إليه في بيته كما في حضنه الإلهي، ليكون تحت حمايته الإلهية ومراحمه.

عرض الملك حزقيا الصالح الرسائل التي كانت في أيدي الرسل أمام الرب نفسه في الهيكل المقدس. كان حزقيا واثقًا أن الله يعلم بكل ما فيها، لكن نشره لها في بيت الرب فيه إعلان عن ثقته الكاملة في الرب، وأنه يُقدِّم المشكلة الخطيرة بكل تفاصيلها للمُعين الإلهي، طالبًا الخلاص. هكذا يمكن للمؤمن، إذ يعرض مشاكله بصراحة وإيمان أمام الرب في هيكله المقدس، يجيبه ويُقدِّم له الحلول.

وَصَلَّى حَزَقِيَّا أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ:

أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ،
الْجَالِسُ فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ،
أَنْتَ هُوَ الإِلَهُ وَحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ.
أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. [١٥]

لجأ حزقيا إلى الملك الأعظم من ملك أشور (١٨-١٩). صلَّي بإيمان، فاستجاب له ملك الملوك. تُعتبَر صلاة حزقيا مثالاً حيًا للصلاة الحقيقية، فمع دالته لدى الله يتحدث بلغة الوقار.

أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ وَاسْمَعْ.
افْتَحْ يَا رَبُّ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ،
وَاسْمَعْ كَلاَمَ سَنْحَارِيبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِيُعَيِّرَ اللَّهَ الْحَيَّ. [١٦]

كثيرًا ما تكرَّرتْ الطلبة "أمل يا رب أذنك"، ففي مرارة صرخ حزقيا الملك إلى الرب الجالس فوق الكاروبيم: "أمل يا رب أذنك، واسمع. افتح يا رب عينيك، وانظر". وكثيرًا ما كرَّر المُرتِّل هذه العبارة (مز ١٧: ٦؛ ٣١: ٢؛ ٤٥: ١٠) وهو تعبير يصدر من شخصٍ يشعر أنه أشبه بطفلٍ على صدر أبيه، يود أن يهمس في أذنيه. إنها تصدر عن شخصٍ وديعٍ متواضعٍ، يُسَر به الرب، القائل: "تعلموا مني، فإني وديع ومتواضع القلب".

بقوله: "أمل يا رب أذنك"، يود المؤمن أن يقول له، إني عاجز عن أن أُعبِّر عما في داخلي بفمي ولساني، وليس من أحدٍ يقدر أن يسمع تنهدات قلبي، ويُدرِك ما في أعماقي، ويشاركني مشاعري سواك.

لعل المؤمن يشعر بأنه قد يُحرَم في كثير من الأوقات من الشركة الجماعية في العبادة بسبب الضيق، لكن الله وحده يُقدِّر ما في أعماقه!

❖ إنه يميل بأذنه إن كنت لا ترفع رقبتك، فإنه قريب من المتواضعين، وبعيد عن المرتفعين...

إنه في الأعالي، ونحن أسفل، لكننا لسنا متروكين. "نحن خطاة، مات المسيح لأجلنا، فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بارٍ. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضًا أن يموت" (رو ٥: ٧، ٨). لكن ربنا مات لأجل الأشرار. إذ لم يتقدمنا أي استحقاق لنا من أجله مات ابن الله، بل بالحري، إذ لا توجد استحقاقات، ظهرت رحمته عظيمة... "لأني مسكين وبائس أنا" (مز ٨٦: ١). لا يميل أذنه للغني، بل للمسكين والبائس، أي للمتواضع الذي يعترف إليه أنه محتاج إلى رحمته، وليس إلى المكتفي الذي يرفع نفسه ويفتخر، كمن لا يحتاج إلى شيءٍ. هذا الذي يقول: "أشكرك أني لستُ مثل هذا العشار". فقد افتخر الفريسي باستحقاقاته، واعترف العشار بخطاياه (لو ١٨: ١١-١٣)...

لا يأخذ أحد يا إخوتي ما قلته كما لو كان الله لا يسمع للذين لديهم ذهب وفضة وأسرة وحقول. فإبراهيم في غناه كان مسكينًا ومتواضعًا، يحترم كل الوصايا ويطيعها. بالحق كان يحسب كل غناه كلا شيء، وبحسب وصية الله كان مستعدًا أن يُقدِّم ابنه نبيحة (تك ٢٢: ١٠)، الذي لأجله كان يحفظ كل ثرواته. لتتعلموا أن تكونوا مساكين ومحتاجين، سواء كان لديكم شيء في هذا العالم أو لم يكن لديكم[1].

القديس أغسطينوس

حَقًّا يَا رَبُّ إِنَّ مُلُوكَ أَشُّورَ قَدْ خَرَّبُوا الأُمَمَ وَأَرَاضِيَهُمْ [١٧]

وَدَفَعُوا آلِهَتَهُمْ إِلَى النَّارِ. لأَنَّهُمْ لَيْسُوا آلِهَةً،
بَلْ صَنْعَةُ أَيْدِي النَّاسِ: خَشَبٌ وَحَجَرٌ، فَأَبَادُوهُمْ. [١٨]

وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا خَلِّصْنَا مِنْ يَدِهِ،
فَتَعْلَمَ مَمَالِكُ الأَرْضِ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإِلَهُ وَحْدَكَ. [١٩]
فَأَرْسَلَ إِشَعْيَاءُ بْنُ آمُوصَ إِلَى حَزَقِيَّا قَائِلاً:

٥. الرب يرسل إشعياء لحزقيا

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي صَلَّيْتَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ سَنْحَارِيبَ مَلِكِ أَشُّورَ:
قَدْ سَمِعْتُ. [٢٠]

قدَّم الله الإجابة للملك الصالح من خلال رجل الله إشعياء النبي.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الذي يدعو الله لا يسقط في الرعب، حيث لا يوجد ما يُسبِّب رعبًا حقيقيًا، إذ يقول: [هل يوجد خوف إن فقد إنسان الغِنَى؟ لا يوجد خوف، ومع ذلك يخاف البشر في هذه الحالة. ولكن إن فقد إنسان الحكمة، فبالأولى يوجد خوف، ومع هذا فهم لا يخافون... إنك تخاف لئلا ترد المال (الذي وهبك الله إياه)، وتريد أن تفقد الخلاص.]

❖ عندما كان حزقيا في ضيق انظرْ ماذا فعل لكي يخلص، إذ لبس المسوح وما إلى ذلك. لكنه إذ كان في فرجٍ سقط خلال ارتفاع قلبه (٢ مل ١٩: ٢٠).

عندما كان الإسرائيليون في ضيقٍ نموا جدًا في العدد، وعندما تركهم لأنفسهم انحدروا إلى دمارهم[2].

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *On Ps. 86 (85)*
[2] *In Acts, hom. 16.*

هَذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَيْهِ:
احْتَقَرَتْكَ وَاسْتَهْزَأَتْ بِكَ الْعَذْرَاءُ ابْنَةُ صِهْيَوْنَ.
وَنَحْوَكَ أَنْغَضَتِ ابْنَةُ أُورُشَلِيمَ رَأْسَهَا. [٢١]

عندما يتحدث الله مع شعبه يكشف لهم خطاياهم لكي يرجعوا إليه بالتوبة، فيتمتعون بنعمه. أما حينما يتكلم عن شعبه مع مضايقيهم، فيتحدث عنهم بأسلوب مُفرِح. الآن إذ يوجّه الحديث لسنحاريب يقول له: "احتقرتْكَ واستهزأتْ بك العذراء ابنة صهيون الخ". يدعو شعبه ابنة صهيون (ابنة أورشليم)، أي ابنة الله الساكنة في مدينته، وتتمتع بهيكله المقدس. يحرسها الله ويحفظها بكونها ابنته المحبوبة لديه، وبكونه أباها المُحِب! إنها تسخر وتستخف بملك أشور الذي يظن في نفسه أعظم من الله وأقوى منه.

مَنْ عَيَّرْتَ وَجَدَّفْتَ،
وَعَلَى مَنْ عَلَّيْتَ صَوْتًا،
وَقَدْ رَفَعْتَ إِلَى الْعَلاَءِ عَيْنَيْكَ عَلَى قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ؟ [٢٢]

ظن سنحاريب ورجاله أن يهوذا أشبه بعذراء جميلة وطاهرة يُمكِنُ اغتصابها بسهولةٍ، لا حول لها ولا قوة، إن قورنت بالممالك التي اهتزت وارتعبت بل واستسلمت لأشور قبل أن يحاربها ويُبَدِّد هياكلها ويُحَطِّم حصونها. وقد جاءت إجابة الرب لإشعياء أن يهوذا ابنة صهيون الطاهرة والجميلة هي في حضن أبيها السماوي، يهبها قوة وفرحًا ونصرة على كل من يحاول أن يمد يده عليها، أو يُهدِّدها.

إنها تتطلع إلى من يسخر بها وتضحك عليه، لأنها في ظل القدير تجلس مطمئنة.

يدعو إشعياء الله "قدوس إسرائيل"، وقد استخدم إشعياء كلمة "قدوس" ٢٦ مرة (راجع إش ٦: ٣). إذ عيَّر ملك أشور ورجاله الله، فإنما يعير القدوس الذي بلا عيب.

عَلَى يَدِ رُسُلِكَ عَيَّرْتَ السَّيِّدَ،
وَقُلْتَ: بِكَثْرَةِ مَرْكَبَاتِي قَدْ صَعِدْتُ إِلَى عُلُوِّ الْجِبَالِ،
إِلَى عِقَابِ لُبْنَانَ،
وَأَقْطَعُ أَرْزَهُ الطَّوِيلَ وَأَفْضَلَ سَرْوِهِ،
وَأَدْخُلُ أَقْصَى عُلُوِّهِ وَعْرَ كَرْمَلِهِ. [٢٣]

كان أشور وقادته يفتخرون بأنهم دخلوا لبنان، وحطَّموا أرزه وسروه. لم يقل إنه هزم جيشها، لأنها استسلمت ولم تدخل معه في معركة. أنها ككثيرٍ من الممالك أرسلت ترحب بقدومه وقبولهم العبودية له دون الدخول في أية معركة، ومع هذا إذ كانوا يستقبلونه بالتهليل خشية غضبه

وانتقامه كان يُحَطِّم حتى أشجارها!

يُصَوِّر الكاتب سنحاريب بقدرته العظيمة وهو يقتحم بمركباته الكثيرة أية دولة، ويصعد بالمركبات على قمم الجبال، فلا تستطيع العوائق الطبيعية أن تقف أمامه!

يرى **القديس أغسطينوس** أن الذين لا يعترفون بخطاياهم، وفي تشامخ يدخلون كما في معركة ضد الله، تتكسر كل أسلحتهم التي يعتمدون عليها.

أَنَا قَدْ حَفَرْتُ وَشَرِبْتُ مِيَاهًا غَرِيبَةً،
وَأُنَشِّفُ بِأَسْفَلِ قَدَمَيَّ جَمِيعَ خُلْجَانِ مِصْرَ. [٢٤]

إن كانت مصر تعتز بنهرها العظيم، فيفتخر أشور أنه لا يترك لها نقطة ماء، يسلب كل ممتلكاتها حتى مياه خلجانها. وكأنه أينما دخل لا يترك لأهل المملكة شيئًا حتى الماء للشرب!

ولعله يقصد أن المشاة من جيشه، إذ يدخلون أية دولة حتى مصر، فمن كثرة عددهم يحفرون آبارًا للشُرب، فتجف الآبار، ولا يجد الجند نقطة ماء تحت أقدامهم.

أَلَمْ تَسْمَعْ؟ مُنْذُ الْبَعِيدِ صَنَعْتُهُ،
مُنْذُ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ صَوَّرْتُهُ.
الآنَ أَتَيْتُ بِهِ. فَتَكُونُ لِتَخْرِيبِ مُدُنٍ مُحَصَّنَةٍ،
حَتَّى تَصِيرَ رَوَابِيَ خَرِبَةً. [٢٥]

بقوله: "**ألم تسمع؟!**" [٢٥]، يليق بأشور أن يرجع إلى التاريخ ليدرك هذا الإله الحي وذراعه الرفيعة؛ كيف يُغَيِّر القدير الذي صنع مع شعبه عجائب؟!

فَسُكَّانُهَا قِصَارُ الأَيْدِي قَدِ ارْتَاعُوا وَخَجِلُوا.
صَارُوا كَعُشْبِ الْحَقْلِ وَكَالنَّبَاتِ الأَخْضَرِ،
كَحَشِيشِ السُّطُوحِ، وَكَمَلْفُوحٍ قَبْلَ نُمُوِّهِ. [٢٦]

وَلَكِنِّي عَالِمٌ بِجُلُوسِكَ وَخُرُوجِكَ وَدُخُولِكَ وَهَيَجَانِكَ عَلَيَّ. [٢٧]

يليق بأشور أن يُدرك بأنه لا يعرف حقيقة الإله الحي القدوس، وأن هذا الإله يعرف جلوسه وخروجه ودخوله ومشاعره الخفية. إنه أتفه من أن يقف أمام الله في معركة، إمكانياته تُحسب كلا شيء، فأشور أشبه بعشب الحقل أو نبات أخضر ضعيف أو حشائش موضوعة على السطح أو غرس لبذرة حنطة لم تتمْ بعد لتحمل سنبلة، فكيف يدخل في معركة مع رب الجنود؟ إن كان أشور يعتمد على خططه الحربية الخفية، فالله عالمٌ بجلوسه وخروجه ودخوله وهيجانه عليه.

لأَنَّ هَيَجَانَكَ عَلَيَّ وَعَجْرَفَتَكَ قَدْ صَعِدَا إِلَى أُذُنَيَّ،

أَضَعُ خِزَامَتِي فِي أَنْفِكَ، وَلِجَامِي فِي شَفَتَيْكَ،
وَأَرُدُّكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ. [٢٨]

لماذا يضع الله خزامته في أنف ملك أشور، ولجامًا في شفتيه، أي كما لو كان حيوانًا؟ اعتاد أشور أن يذل المسبيين، خاصة الملوك والنبلاء وأصحاب المراكز، ويتعامل معهم بوحشية كأنهم حيوانات. ما يفعله بهم يرتد عليه، بالكيل الذي يكيل به للمسبيين يُكال له ويزداد.

في كبرياء ظن سنحاريب أن ما بلغه من إنجازات بفضل قدرته وجهوده، ولم يدرك أن ذلك كان بسماح من الله. كان الأشوريون يعاملون الأسرى بعنفٍ، فكانوا يجدون لذاتهم وتسليتهم في تعذيبهم؛ يقلعون عيونهم، ويمزقون جلودهم، ويسلخونها بعنفٍ جزءًا فجزءًا حتى يموتوا. وإذ كانوا يتطلعون إلى الأسير كعبدٍ، يضعون خزامة في أنفه.

إن كان أشور قد أذل الأمم والملوك، فيليق به أن يدرك ضعفه أمام الله الحي الذي في جسارة مُرَّة يسخر به ويُجدِّف عليه. إنه يضع خزامته في أنفه، ولجامه في فمه، فيصير كحيوانٍ ذليلٍ يُسحَب من الخزامة وباللجام، ولا يدري إلى أين هو ذاهب.

❖ أما بالنسبة لي فقد أحضرني نبوخذنصر في سلاسل إلى بابل، أي إلى بلبلة الذهن. هناك وضع عليّ نير العبودية. هناك وضع خزامة في أنفي. أمرني أن أُسبِّحَ بإحدى تسابيح صهيون. فقلتُ له: "الرب يعتق المسبيين، الرب يفتح أعين العميان" (مز ١٤٠-١٥)[1].

القديس جيروم

وَهَذِهِ لَكَ عَلاَمَةٌ: تَأْكُلُونَ هَذِهِ السَّنَةَ زِرِّيعًا،
وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ خِلْفَةً.
وَأَمَّا السَّنَةُ الثَّالِثَةُ فَفِيهَا تَزْرَعُونَ وَتَحْصِدُونَ،
وَتَغْرِسُونَ كُرُومًا وَتَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا. [٢٩]

أعطى الرب حزقيا علامة أنه مهتم بشعبه، بالرغم من حملات الأشوريين ضدهم، التي كان لها أثرها على محصول تلك السنة، وأيضًا السنة التالية، لكن في السنة الثالثة يتمتعون بمحاصيل أرضهم حيث يكونون في سلام من تهديدات العدو (يوئيل ٢: ١٢-١٤؛ مي ٢: ١٢-١٣؛ صف ٣: ٨-٢٠).

وَيَعُودُ النَّاجُونَ مِنْ بَيْتِ يَهُوذَا، الْبَاقُونَ،
يَتَأَصَّلُونَ إِلَى أَسْفَلٍ، وَيَصْنَعُونَ ثَمَرًا إِلَى مَا فَوْقُ. [٣٠]

---

[1] *St. Jerome: Letters, 7:3.*

الوعد الأعظم هو الثمر المتكاثر في مجيء المسيا، إذ توجد بقية مُقدَّسة تؤمن به وتشهد لأجل خلاص البشرية. هذا وعد إلهي، لأن غيرة رب الجنود على الخلاص تفعل هذا.

لأَنَّهُ مِنْ أُورُشَلِيمَ تَخْرُجُ الْبَقِيَّةُ وَالنَّاجُونَ مِنْ جَبَلِ صِهْيَوْنَ.
غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا. [٣١]

في كل جيل يهتم الله بالبقية الأمينة الباقية لحساب ملكوته. يستخدمهم كشرارة نار حب، ينفخها لتُلهبَ الكثيرين بالحب الإلهي، وتنزع عنهم برودة الجمود وعدم الإيمان.

الله لا يتجاهل البصيص الذي في شعبٍ ما أو في قلبٍ ما، فإنه يعمل بالقليل كما بالكثير، ليُخَلِّص على كل حال قومًا.

تحققت نبوة إشعياء بخصوص "**البقية**" بتجسد كلمة الله وحلول الروح القدس في يوم البنطقستي (أع ٢).

لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَنْ مَلِكِ أَشُّورَ:
لاَ يَدْخُلُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ، وَلاَ يَرْمِي هُنَاكَ سَهْمًا،
وَلاَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا بِتُرْسٍ، وَلاَ يُقِيمُ عَلَيْهَا مِتْرَسَةً. [٣٢]

يُقدِّم الرب وعدًا أن سنحاريب لن يدخل مدينة أورشليم، ولا يستخدم أسلحة ضدها.

بالرغم من أن سنحاريب افتخر بأنه استولى على ٤٦ مدينة من مملكة يهوذا، وأن حزقيا كان سجينًا في أورشليم لم يخرج منها كطائرٍ في قفصٍ، لكن الله برعايته لم يسمح له بالاستيلاء على مدينة أورشليم ولا يهاجمها بأسلحة، وذلك لأمانة الله وعهده مع داود، بالرغم من عدم أمانة الشعب وتجديفهم [٢٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨؛ ١٨: ٣٤-٣٥). يُقدِّم الله تأكيدات أن ملك أشور ليس فقط يفشل في اقتحام المدينة، وإنما لن يدخلها، ولا يقف على مسافة منها تسمح له أو لجيشه أن يرمي سهمًا عليها، ولن يجسر أن يتقدَّم نحوها بترسٍ أو يقيم عليها مترسة.

❖ إذن أين مسكن الله؟ في أورشليم وفي صهيون. في أورشليم حيث يقوم السلام، وفي صهيون حيث برج المراقبة. ليت النفس البشرية التي بها سلام الله والتأمل، وثانيًا تكون في الكنيسة وبالتأكيد مرتبطة بالأسفار المقدسة.

بالتأكيد فيها يكون السلام ومسكن الله وعاصمته، هناك **يُحَطِّم سهام القسيّ البارقة، السهام التي يصوِّبها الشيطان**. يُحَطِّم الرب دومًا الدرع والسيف وأسلحة الحرب[1].

القديس چيروم

---

[1] *On Psalms, homily 9.*

فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ يَرْجِعُ،

وَإِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ لاَ يَدْخُلُ، يَقُولُ الرَّبُّ. [٣٣]

إن كان ربشاقي قد هدَّد حزقيا بأنه سيعود ليحاصر أورشليم، فإنه لن يعود إلى أورشليم، بل يرجع جيشه إلى أشور في خزيٍ وعارٍ.

وَأُحَامِي عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، لأُخَلِّصَهَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِي،

وَمِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي. [٣٤]

"**من أجل نفسي**". هذا الوعد بعدم تسليم أورشليم لسنحاريب، ليس عن فضل أو استحقاق شعبها، وإنما من أجل أمانة الله وعهده مع داود عبده. إن سلام أورشليم يخص الله نفسه، لا يأتمن كائنًا ما على حمايتها من سنحاريب.

صلوات القديسين تسند النفس المجاهدة الراغبة في التوبة، أما إذا أصرَّتْ على عنادها فلا نفع لها، إذ يقول الرب لإرميا النبي: "وأنت فلا تُصلِ لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، ولا تلح عليَّ لأني لا أسمعك" (إر ٧: ١٦؛ ١١: ١٤). الله الذي قال: "أُحامي عن هذه المدينة لأُخَلِّصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" (٢ مل ١٩: ٣٤) في أيام حزقيا الملك البار، لم ينطق بهذا في أيام الشر المتكاثر حين سلَّم المدينة لنبوخذناصر. تظهر شكلية العبادة في الاعتماد على صلوات القديسين المنتقلين والمجاهدين دون أية رغبة في التوبة والندامة.

لقد استفاد يعقوب المجاهد من صلوات أبيه، إذ يقول للابان: "لولا أن إله أبي كان معي لكنت الآن قد صرتُ فارغًا" (تك ٣١: ٤٢). كما يقول الله عن نفسه: "أحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" (٢ مل ١٩: ٣٤). قال هذا حين كان حزقيا البار ملكًا، لكنه لم يقلها في أيام الشر حين سلَّم المدينة لنبوخذناصر.

لا يمنع الله إرميا من تقديم الصلوات عن الشعب، فإنه يُسَرّ أن يجد قلوبًا مفتوحة بالحب، تُصلِّي للغير في غير أنانية، لكنه يؤكد له أن هذه الصلوات ليست بذات قيمة بالنسبة للشعب ما لم يُقدِّم الشعب نفسه توبة.

لقد كانت الشفاعة عن الشعب جزءًا حيًا من عمل الأنبياء والكهنة، فصموئيل النبي يقول: "وأما أنا حاشا لي أن أُخطِئ إلى الرب، فأكف عن الصلاة من أجلكم" (١ صم ١٢: ٢٣). وفي المصفاة إذ هاج الفلسطينيون عليهم، قالوا لصموئيل: "لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب إلهنا، فيُخلِّصنا من يد الفلسطينيين" (١ صم ٧: ٨). وأيضًا موسى كان يشفع في شعبه، حتى قال الرب له: "اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم، فأُصيِّرك شعبًا عظيمًا" (خر ٣٢: ١٠).

والقديس يوحنا الذهبي الفم كرجل كنسي إنجيلي واعٍ، خشي أن يفهم عامة الشعب

صلوات القديسين تواكلاً وتراخيًا في الجهاد الروحي، لهذا نجده يؤكد:

❖ ما أعظم بركات صلوات القديسين إن كنا نحن أيضًا نعمل[1].

❖ حقًا إن صلوات القديسين لها قوتها العظيمة بشرط توبتنا وإصلاح حياتنا.

❖ إن كنا مُهمِلين لا نستطيع أن ننال خلاصًا حتى ولا بمساعدة الآخرين. وعلى العكس فإننا إن كنا ساهرين متيقظين نقدر أن نفعل ذلك بأنفسنا... لستُ أقول هذا لأنفي طلبات القديسين، وإنما لكي أوقف إهمالكم واكتفاءكم بالثقة في الآخرين وأنتم مطروحون على ظهوركم نائمين[2].

❖ حسنًا، إننا ننتفع بصلوات القديسين، إن كنا نحن أنفسنا متيقظين.

قد تقول: وما حاجتي إلى صلوات القديسين مادمتُ أنا نفسي متيقظًا؟

إن كنا نفكر تفكيرًا صادقًا ندرك أننا في حاجة إليها على الدوام، فبولس لم يقل: ما حاجتي إلى صلوات (الآخرين) مع أن الذين كانوا يصلون عنه كانوا غير مستحقين للصلاة عنه، ولا هم على قدم المساواة معه، وأنت تقول: ما حاجتي إلى الصلاة؟...

إنك محتاج بالأكثر إلى الصلوات بسبب شعورك بعدم احتياجك إليها. نعم فإنك وإن صرت كبولس، فأنت محتاج إليها. لا تستكبر لئلا تسقط.

أتريد أن تعرف فائدة الصلوات؟...

اسمع يعقوب وهو يقول للابان: "لولا أن إله أبي كان معي، لكنتَ الآن صرتُ فارغًا" (تك ٣١: ٤٢).

اسمع أيضًا ما يقوله الله: "أُحامي عن هذه المدينة لأخلصها، من أجل داود عبدي" (٢ مل ١٩: ٣٤). متى قال هذا؟ في أيام حزقيا الذي كان بارًا. فلو أن الصلوات تفيد الأشرار المتمسكين بشرهم فلماذا لم يقل هذا في أيام نبوخذناصر بل أسلم المدينة؟ لأن الشر قد غلب بالأكثر. أيضًا صموئيل نفسه صلَّى عن الإسرائيليين وانتصر. ولكن، متى؟ عندما سرّوا هم أيضًا الله، عندئذ حاربوا الأعداء. تقولون: وما هي الحاجة إلى صلاة الغير إن كنتُ أنا نفسي أُسرّ الله؟ لا تقل هذا يا إنسان. نعم توجد حاجة وحاجة إلى صلاة أكثر. اسمعوا الله يقول عن أصدقاء أيوب: "**عبدي أيوب يصلي من أجلكم، فتُغفَر خطاياكم**" (راجع أي ٤٢: ٨). حقًا لقد أخطأوا، لكن ليست خطية عظيمة. لكن هذا البار الذي أنقذ أصدقاءه بالصلاة، في الوقت الذي فيه لم يكن اليهود قادرين على إنقاذ الهالكين. لقد تعلّموا هذا؛ اسمعوا الله يقول بالنبي: "إن وقف

---

[1] *In 2 Thes., hom 5*

[2] *In Mat., hom 1: 7, 8.*

نوح ودانيال وأيوب، إنهم لا يخلصون بنيهم وبناتهم" (راجع حز ١٤:١٤، ١٦). فقد انتصر الشر. مرة أخرى: "وإن وقف موسى وصموئيل..." (إر ١٥:١). انظروا قيل هذا عن النبيين، لأن كليهما صليا عنهم، ولم ينتصرا... يليق بنا أن نطلب منهم الصلاة، رافعين أياديهم من أجلنا، وفي نفس الوقت نلتصق نحن بالفضيلة[1].

❖ ها أنتم ترون أنه بينما يُعرف لنا فإنه من الجانب الآخر يُعرف لأعدائنا، مظهرًا لهم قدرته. أيام حزقيا تذكروا الوحوش الذين هاجموه بأعدادٍ غفيرةٍ، وبعد أن حاصروا كل شيءٍ كما في شبكة رحلوا تاركين خلفهم أغلبهم جثثًا ميتة[2].

❖ صلاح الله هائل، وغالبًا ما يجد طريقه ليهب خلاص الأغلبية من أجل قلة من الأبرار. ولماذا أقول من أجل قلة من الأبرار؟ غالبًا إن لم يُوجد بار في الحياة الحاضرة يتحنَّن على الأحياء من أجل فضائل الراحلين، ويصرخ عاليًا: "وأُحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي، ومن أجل داود عبدي" (٢ مل ٩: ٣٤). حتى إن كانوا ليسوا أهلاً للخلاص فهو يخلصهم[3].

❖ليتنا نهتم بجنازات الراقدين، فإنها نافعة لنا ولهم لمجد الله. لنُقدِّم صدقات كثيرة لأجلهم، نرسل معهم أفضل معونة للطريق. فإن كان مجرد ذكرى الناس الفاضلين، مع أنهم موتى تسند الأحياء (إذ يُقال: "أحامي عن هذه المدينة لأخلصها، لأجل نفسي، ومن أجل داود عبدي" ٢ مل ١٩: ٣٤)، بالأكثر كل الصدقات لها فاعليتها هكذا. فإنها أقامت حتى الميت، عندما وقفت الأرامل حولها يُظهرن ما فعلته طابيثا *Dorcas* عندما كانت معهن (أع ٩: ٣٩). لذلك عندما يكون شخص على باب الموت، فليعد له صديق الميت الجنازة، ويحثُّوا الراحل أن يترك شيئًا للمحتاجين. هذه الثياب معه فليرسلها معه إلى القبر، جاعلاً المسيح وارثًا له... عندما يجعل المسيح وارثًا له مع أطفاله، فلنتأملوا العمل الصالح الذي يسحبه إليه، وإلي بنيه، هذه هي أفضل أنواع الجنازات. هذه تفيد الأحياء والراحلين. إن كنا هكذا نُدفن فسنصير ممجدين في القيامة[4].

القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم

❖من أجل داود غُفرتْ خطايا ذريته، ومن أجل يسوع غُفرتْ خطايا الأمم[5].

القدِّيس أفراهاط

---

[1] *In 1 Thes , hom 1.*
[2] *On Ps 48.*
[3] *Homilies on Genesis, 42 23-24.*
[4] *Homilies on St. John Homily 85 6*
[5] *Demonstration 21:13.*

٦. ملاك الرب يضرب جيش أشور

وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ،
وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا.
وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا،
إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيِّتَةٌ. [٣٥]

في نفس اليوم الذي بلغت فيه رسالة ربشاقي إلى حزقيا بالليل، تم قتل هذا العدد الكبير من الجيش بواسطة ملاك واحدٍ.

كان الأشوريون مطمئنين وفي أمان، وإذا بالرعب يحلّ عليهم، ويَهلك منهم مئة وخمس وثمانون ألف جنديًا (٢ مل ١٩: ٣٥).

تَصوَّر **القديس مار يعقوب السروجي** أن القديسة مريم التي سبق فالتقت برئيس الملائكة جبرائيل يوم أرسله الآب ليبشرها بتجسد الكلمة الإلهي في أحشائها (لو ١: ٢٦-٣٩)، عرفت أنه سبق فبشّر دانيال النبي ببعض الأحداث التي تتحقق على يدي ابنها الحبيب. لم يكن ممكنًا لفرحته وبهجته وملامحه أن تزول من أمام عينيها. لقد سمعت أيضًا عن خدمات رئيس الملائكة ميخائيل رئيس جند الرب، الذي أنقذ الشعب بقتل ١٨٥ ألفًا في ليلةٍ واحدةٍ (٢ مل ١٩ : ٣٥). لكن ما أدهشها أن جميع الطغمات السماوية وقفت في دهشة في لحظات المحاكمة والصلب، دون أن يتحرّك أحد منهم للشهادة له والدفاع عنه!

يرى البعض ما يقصده بملاك الرب كلمة الله قبل التجسد، وقد تحقق ذلك في ذات الليلة التي تلت حديث النبي إشعياء مع حزقيا (٢ مل ١٩: ٣٥).

لقد هُزِمَ سنحاريب في هذه المرة مع أنه سبق أن حاصر حزقيا وأذله، فقد جاء في إحدى الحفريات التي وجدت في خرائب نينوى[1] كلمات على لسان سنحاريب أنه هاجم حزقيا وأخذ ٤٦ حصنًا ومدنًا صغيرة كما سبى ١٥٠ ,٢٠٠ شخصًا من الكبار والصغار، من الذكور والإناث، وعدد كبير من الحيوانات؛ كما أغلق على حزقيا في أورشليم كعصفورٍ في قفص، ووضع سدودًا أمام مدينته وفرض عليه جزية مضاعفة الخ.

يُعلِّق البعض على أنه في الغروب كان جيش أشور محاصرًا أورشليم وأثناء الليل ضرب ملاك الرب الجند، وفي الصباح اكتشفوا الجثث الميتة، قائلين إنها نبوة عن عمل ربنا الخلاصي حين صُلب، إذ مات في الغروب، وقام في فجر الأحد. في الغروب حلَّ البكاء حيث أعلن الرب بصليبه مرارة الخطية التي حملها عنا، وفي الصباح قام من الأموات ليهبنا برّه المُفرِح وحياته

---

[1] *Bultema, p 344/5.*

المقامة.

في الغروب هدَّد ربشاقي حزقيا أنه سيُدمِّر أورشليم. "وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفًا؛ ولما بكَّروا صباحًا إذ هم جميعًا جثث ميتة" (٢ مل ١٩: ٣٥). في المساء كان الشعب يبكي، وفي الصباح فرحوا بخلاص الله.

يقول **أنثيموس أسقف أورشليم**: [إن ربنا يسوع المسيح هو ابن البرّ الذي رفضه اليهود، فصاروا كمن هم في المساء محرومون من النور الإلهي والفرح، أما المسيحيون فيؤمنون بالمسيح، صاروا كمن في الصباح مملوئين بالفرح.]

❖ "بالعشاء ينصب البكاء خيمته" حلَّ هذا المساء *evening* عندما انطفأ نور الحكمة في الإنسان الخاطي، وسقط تحت حكم الموت؛ منذ ذلك المساء المحتوم، التزَم شعب الله بسكب الدموع وسط التعب والتجارب، مترقبًا حلول نهار الرب. يليق بالإنسان أن ينتظر حتى الصباح ليشهد لفرح قيامته التي انبعث نورها في باكورتها الأولى عندما قام ربنا عند شق الفجر.

القديس أغسطينوس

❖ بالنسبة لربنا كان العشاء هو وقت دفنه، وشاهد صباح اليوم الثالث قيامته. أنتم أيضًا قد دُفنتم في العشاء في الفردوس، وفي اليوم الثالث أيضًا قُمتم. كيف تم ذلك في اليوم الثالث؟ نلخص الزمان كله هكذا:

كان هناك يوم واحد قبل الناموس؛

ثم جاء يوم ثانٍ تحت الناموس،

فيوم ثالث تحت النعمة. ذاك اليوم الذي عينه أظهره رأسنا نفسه خلال الثلاثة أيام، يجب إعادة تطبيقه أيضًا بالنسبة لكم...

الصباح هو زمن الرجاء والفرح؛ أما الوقت الحاضر فهو زمن الاحتمال والمحن.

القديس أغسطينوس

❖ بالبكاء همست مريم بأصوات الألم، وهي تتحدث مع الجموع السماوية.

هلم يا جبرائيل وشاهد ربك يُسخَر منه، ويدق الأثمة المسامير في يديه.

وأنت يا ميخائيل يا رجل النار، لماذا تسكت؟ أين سيفك الذي دمَّر آلاف الأشوريين؟ (٢ مل ١٩: ٣٥)... لماذا بَرَدَ رمح نارك من الصالبين؟

إن كان التلاميذ هربوا من المُعلِّم، وظل وحده، لماذا تركتموه أيها القوات النارية؟

إن كان الترابيون قد خافوا من الموت وهربوا منه، لماذا أيها اللامائتان ساكتان؟

اثنان منكم أهينا في أرض سدوم، فأضرمتما فيها بحر النار من أجنحتكما (تك ١٩).
إهانتكما لم تتأخر وثأرتما لهما، ألا تنتقما من الجسورين بسبب إهانة ربكما؟...
الملك مُهان وتقف الأجواق ساكتة، رب النار مُعلَّق على الخشبة، والنار هادئة.
هوذا الترابيون يقبضون على الابن، والمراتب صامتة والملائكة ساكتون، ولسان الغبـــار منطلق.
المراتب مغطاة وهم يبصقون في وجهه، والطغمات مرتجفة، وربهم الخفي مُحصَى بـــين الأثمة[1].

القديس مار يعقوب السروجي

ربما يشير الصباح إلى تدخُّل ملاك الله ضد سنحاريب (٢ مل ١٩: ٣٥)، وربما إلى القيامة، عندما يتحدث المرتل عن الاستيقاظ في حضرة الرب (مز ٣: ٥؛ ١٧: ١٥).

التبكير في الصلاة هو السعي الدؤوب الجاد لطلب الله، قبل أن نسأل الآخرين المساعدة؛ الإنسان الذي يُقدِّم باكورة أفكار اليقظة لله لا يُحجم عن أن يكرِّس له بقية ساعات النهار الأخرى.

❖ تُتلَى الصلوات باكرًا في الصباح لكي تُكرَّس للرب كل الحركات الأولى التي للنفس والعقل، فلا يكون لنا أدنى اهتمام آخر خلاف تهليلنا وفرحنا وشبع قلوبنا بالتفكير في الله، كما هو مكتوب: "تذكرتُ الرب فابتهجتُ" (مز ٧٧: ٤ الترجمة السبعينية)، ولكي لا يتثقل الجسد بأي عمل آخر قبل إتمام الكلمات: **"لأني إليك أصلي يا رب، بالغداة (في الصباح) استمع صوتي، بالغداة أقف أمامك وتراني"**[2].

القديس باسيليوس الكبير

نُصرتنا أكيدة مادمنا في شركة مع رب القوات، الذي يحل فينا بروحه القدوس. يأمر الكواكب، فتحارب في المعركة؛ ويُرسل فرقًا من الملائكة أينما أراد، بينما أهلك ملاك واحد في ليلة واحدة ١٨٥,٠٠٠ جنديًا (٢ مل ١٩: ٣٥). إنه رب القوات الذي تخضع له كل الطبيعة، يأمرها فتطيعه.

❖ هجوم الأشوريين قد خاب، وقدرة سنحاريب تحطَّمتْ تمامًا، بدموع حزقيا ومسوحه، وبتواضعه مع صومه[3].

القديس جيروم

---

[1] راجع الميمر ١٧٧ على الكاروب واللص (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

[2] *The Long Rules, Q. 37*

[3] *Against Jovinianus Book 2·15*

❖ الصلاة أحيانا تحيى الأموات، وفي أحيانٍ أخرى تؤدى إلى موت الأحياء، مثلما حدث مع القديس بطرس الذي أعاد طابيثا إلى الحياة بالصلاة (أع ٩: ٤٠). ولكن سببت صلاته موت حنانيا وسفيره (أع ٥: ٣-١٠). أليشع الرجل الروحاني أعاد أبن المرأة الشونمية إلى الحياة (٢ مل ٤: ٣٢-٣٦) ولكن بلعنته خرجت دبتان وافترست الأطفال الذين سخروا منه (٢ مل ٢: ٢٣-٢٤)، وقصة حزقيا كانت أيضا مثيرة للدهشة وبصلاته أضاف الرب إلى أيامه كملكٍ (إش ٣٨: ١-٥)، ولكنه أهلك جيش الأشوريين بقوة الروح (٢ مل ١٩: ٣٥)[1].

مارتيريوس أو Sahdona

يذكر القديس لوقا إبراء أُذن ذلك العبد التي قطعها بطرس: "وضرب واحدٌ منهم عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه اليمنى. فقال يسوع: "دعوا إليّ هذا!" ولمس أذنه وأبرأها" (لو٢٢: ٥٠-٥١). ويضيف القديس متى: "فقال له يسوع: "رد سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون! أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي، فيُقدّم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟" (مت ٢٦: ٥٢-٥٣)

وهنا لنا تعليقان: الأول هو أنّه لو أراد الله إنقاذ المسيح من الموت، سواء عن طريق الصليب أو عن طريق أية وسيلة إعدام أخرى، كما يقول هو له المجد، لكان الله قد قدَّم له "أكثر من اثنيْ عشر جيْشاً من الْملائكة"! وإذا كانت الكتيبة الرومانية في ذلك الوقت تتكون من ٦٠٠٠ جندي وضابط، فكم وكم يكون عدد الجيش الكامل؟! وإذا كان ملاك واحدٌ قد أهلك من جيش الأشوريين مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا في ليلة واحدة (٢ مل ١٩: ٣٥)، فماذا يفعل "أكْثر من اثْنيْ عشر جيْشاً من الْملائكة" (مت٢٦: ٥٢-٥٣) مع الذين جاءوا للقبض عليه لو أراد الله إنقاذه من أيديهم؟!

يتساءل **القديس يوحنا الذهبي الفم** بأنه إن كان ملاك واحد قتل ١٨٥ ألفا في ليلة واحدة، فلماذا قال لتلاميذه إنه إن أراد يطلب من الآب، فيرسل اثني عشر جيشاً من الملائكة. قال هذا بسبب ما بلغه تلاميذه من رعب، فقد ماتوا من الخوف[2].

❖لم يكن ملاك الرب الحقيقي المُرسل إلى الأشوريين في حاجة إلى هياج ولا إلى ألاعيب خارجية ولا إلى إزعاج ولا إلى مظاهر رائعة، وإنما في هدوءٍ استخدم سلطانه، فأهلك مئة ألف وخمسة وثمانين ألفًا. أما الشياطين، فكمن ليس لهم سلطان، يحاولون أن يرعبوا على الأقل بألاعيبهم[3].

القدّيس أنبا أنطونيوس الكبير

---

[1] *Book of Perfection, 14.*
[2] *St. John Chrysostom: Hom. On Matthew, hom.84:1.*
[3] *Vita Antonii 28.*

٧. انسحاب سنحاريب واغتياله

فَانْصَرَفَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُّورَ،
وَذَهَبَ رَاجِعًا، وَأَقَامَ فِي نِينَوَى. [٣٦]

حاصر الأشوريون أورشليم، ولكنهم التزموا برفع الحصار بطريقة معجزية من قبل الله، إذ قيل: "وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفًا، ولما بكّروا صباحًا إذ هم جميعًا جثث ميتة، فانصرف سنحاريب ملك أشور، وذهب راجعًا، وأقام في نينوى" (٢ مل ١٩: ٣٥-٣٦). ما حدث هنا يحدث بصورةٍ أو أخرى، علانية أو خفية، في حياة الكنيسة في كل جيلٍ، كما في حياة أولاد الله كأعضاء في كنيسته. انصرف سنحاريب دون قتال مع يهوذا، إنما أُرسل ملاك واحد من عند الرب، فضرب في ليلةٍ واحدةٍ مئة ألفٍ وخمسة وثمانين ألفًا من جيش أشور.

وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخَ إِلَهِهِ،
ضَرَبَهُ أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ،
وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ.
مَلَكَ أَسَرْحَدُّونُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٣٧]

نسروخ هو الإله التقليدي لمنطقة مسبوتاميا (المصيصة أو مابين النهرين)، وُجد في آثار أشورية، له رأس نسر، وجسم إنسان كما له جناحان.

ما حدث هنا تم بعد عشرين عامًا من خلاص أورشليم، عندما أُغتيل والده، وجلس على العرش آسرحدون بن سنحاريب ملك ٦٨١-٦٦٨ ق. م.

يرى البعض أن سفر يهوديت يروي الأحداث التي دارت بعد هزيمة سنحاريب ملك أشور في أيام حزقيا ملك يهوذا (٢ مل ١٩: ٣٥-٣٧؛ ٢ أي ٣٢) حيث عاد منهزمًا إلى نينوى، فقتله ابناه، وخلفه في الحكم ابنه آسرحدون الذي أغار على بلادٍ كثيرةٍ منها بلاد مادي انتقامًا من أرفكشاد ملكهم الذي كان اليهود يحبونه.

من وحي ٢ مل ١٩

إلى متى يسخر بك العدو ويذلني؟!

❖ عيَّرك سنحاريب وقائده ربشاقي!
ظنا أنك مثل سائر آلهة الأمم، عاجز عن أن تُخلِّص!
أقمتَ أشور للتأديب، فظن أنه أعظم منك!

أرسلت ملاكك، فأهلك في ليلةٍ مئة وخمس وثمانين ألف جندي!

❖ أنت أقوى من كل قوة.

أنت حصني وخلاصي، فممن أخاف؟!

اليوم يوم بشارة بالنصرة الأبدية!

❖ إلى متى يحاصرني العدو،

ويُفقدني حرية مجد أولاد الله؟!

إلى متى يظنك كأحد آلهة الأمم الباطلة؟!

إلى متى يسخر بك ويذلني؟!

إلى متى أموت جوعًا في الحصار؟!

لأقترب إليك، فتقترب إليّ.

أنت شبعي، أنت كنزي، أنت نُصرتي!

لأفرح وأتهلل بخلاصي بك!

لأركض وأكرز بك، فينعم الكل معي.

أصرخ: اليوم يوم بشارة!

كيف أتراخى، وقد اهتز كل كياني.

كيف أصمت، وقد تحوّلت حياتي إلى عيدٍ لا ينقطع!

لتملأ فمي بمواعيدك الإلهية، فأُبشِّر بها.

اَلأَصْحَاحُ الْعِشْرُونَ

شفاء حزقيا وسقوطه في الكبرياء

في الأصحاح السابق رأينا حزقيا الملك بإيمانه الحي وتواضعه مع وضع حياته في يدي الله استطاع أن يغلب سنحاريب ملك أشور، لا بقوة عسكرية ولا بتحالف مع مصر ضد أشور، وإنما بعمل الله الفائق. نال وعدًا ونبوة عن عدم دخول سنحاريب أورشليم وعجزه عن إطلاق سهمٍ يدخل المدينة، وعدم تقدمه بترس أو إقامة مترسة عليها، إنما يرجع في الطريق الذي جاء منها، ويُغتال في معبد الوثن بمدينته بواسطة أيدي ابنيه. الآن يتحدى حزقيا الموت كآخر عدو يواجه الإنسان (١ كو ١٥: ٢٨)، وينال وعدًا إلهيًا بإضافة خمسة عشر عامًا على عمره. كما طلب علامة من النبي أن الرب يشفيه، ونالها. هذا العظيم في إيمانه هرَب من الأسد الذي يجول يزأر، ويفترس من يجده (١ بط ٥: ٨)، وسقط في خداع الحية، ألا وهو في الكبرياء الباطل، فكشف للعدو أسراره معتزًا ببيته وخزائنه وأسلحته. سقوطه هذا حطَّم بنيه ومملكته حتى بعد موته!

١. مرض حزقيا وشفاؤه ١-٦.

٢. إشعياء يصف له الدواء ٧.

٣. علامة من الرب على شفائه ٨-١١.

٤. تكريم بردوخ بلادان البابلي له ١٢.

٥. سقوط حزقيا في الكبرياء الباطل ١٣.

٦. تأديب الرب له على كبريائه ١٤-١٨.

٧. تأجيل تحقيق التأديب ١٩.

٨. موت حزقيا واستلام منسي المملكة ٢٠-٢١.

١. مرض حزقيا وشفاؤه

فِي تِلْكَ الأَيَّامِ مَرِضَ حَزَقِيَّا لِلْمَوْتِ.
فَجَاءَ إِلَيْهِ إِشَعْيَاءُ بْنُ آمُوصَ النَّبِيُّ، وَقَالَ لَهُ:
هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَوْصِ بَيْتَكَ،
لأَنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تَعِيشُ. [١]

واضح من الآية ٦ أن مرض حزقيا كان في فترة غزو سنحاريب الأشوري على المدينة المذكورة في الأصحاح ١٨.

ربما يتساءل البعض: هل يُغيِّر الله قراره الخاص بتحديد حياة حزقيا الملك وإعلانه له على لسان إشعياء النبي؟ ما أعلنه الله لإشعياء على لسان النبي لم يكن قرارًا إلهيًا، إنما هو إعلان عما كان يلزم أن يتم حسب قوانين الطبيعة التي وضعها الله والتي من حق الله أن يُغيِّرها إن أراد. أما أن يمتد عمر حزقيا الملك فقد كان معروفًا لدى الله، ولم يعلنه إلا كثمرة لتواضع الملك وصراخه لله. فالله لم يُغيِّر إرادته، إنما قدَّم للملك ما هو فائق للقوانين الطبيعية، فبحسب المرض المُصاب به كان سيموت، لكن الله الذي سمح له بالمرض وهبه الشفاء.

❖ أتريد أن تعرف ما هي قوة التوبة؟

أتريد أن تعلم سلاح الخلاص القوي، وتدرك قوة الاعتراف؟

بالاعتراف ضرب حزقيا خمسة وثمانين ألفًا ومائة من أعدائه (٢ مل ١٩: ٢٥). يا له من أمرٍ عظيمٍ، لكنه يُحسَب قليلاً بالنسبة لما أذكره لك. إذ بالتوبة استطاع الملك أن يحصل على تغيير في القول الإلهي الذي نطق به فعلاً. إذ لما مرض قال له إشعياء: "أوصِ بيتك، لأنك تموت ولا تعيش" (٢ مل ٢٠: ١). هل يمكن أن يقوم استثناء بعد، أو يوجد رجاء شفاء بعدما قال له النبي: "لأنك تموت"؟!

لكن حزقيا لم يكف عن التوبة. وبتذكره ما هو مكتوب: "متى رجعت وبكيت تخلص" (راجع إش ٣٠: ١٥)، اتجه بوجهه إلى الحائط وهو على سريره، رافعًا ذهنه إلى السماء (حيث لا تعوق الحائط بلوغ الصلوات بورعٍ إلى السماء) وقال: "اذكرني يا رب. يكفي أن تذكرني فأُشفى!" (راجع إشعياء ٣٨) إنك لا تخضع للزمان، بل أنت خالق القانون. أنت واهب قانون الحياة وتدبيرها حسب إرادتك، إذ لا تعتمد حياتنا على يوم ميلادنا، ولا على اقتران النجوم معًا في برجٍ واحد كما يظن البعض في غباوة[1].

القديس كيرلس الأورشليمي

يرى الآباء أن الله يُحدِّد عُمْرَ الإنسان بحكمته الإلهية التي تفوق الفكر البشري، كما وضع قوانين طبيعية تؤثر على عمره، وإن كان الله وهو واضع القوانين يمكن أن يتخطاها من أجل محبته للإنسان. توجد أيضًا عوامل كثيرة من بينها حياة الإنسان الروحية، فيسمح للبار كما للشرير بأن يعيش لمدة طويلة أو قصيرة لإعطاء كل فرصة لتوبة الإنسان وخلاص نفسه وتمتعه بالمجد هو أو الجماعة المنتمي إليها، أو التي حوله.

❖ **"الذين يؤخذون قبل الوقت، حيث يفيض الغمر على أساسهم"** (راجع أي ٢٢: ١٦)... كل إنسان يؤخذ من هذه الحياة في وقت سبق معرفته قبل الزمن بسلطان إلهي. لكن يلزم معرفة أن

[1] *Lecture 2. 15*

الله القدير، في خلقته لنا وتدبير أمورنا، يُعَيّن حدود (حياتنا) حسب استحقاق كل أحدٍ. فقد يلزم الشرير أن يعيش وقتًا قصيرًا، لئلا يسيء إلى كثيرين يسلكون باستقامة، وقد يلزم أن يبقى الإنسان الصالح مدة أطول في الحياة، حتى يكون معينًا في أعمال صالحة لكثيرين.

مرة أخرى فإن الشرير يلزم أن يبقى مدة أطول في الحياة حتى يضيف أعمالاً شريرة إلى أعماله. وهكذا البار قد يمارس حياة صادقة تتطهر بامتحانه، أو يلزم سحب الإنسان الصالح بأكثر سرعة، لئلا إن عاش أكثر، قد تفسد براءته.

لكنْ ليوضع في الاعتبار إن رأفات الله هي التي تهب الخطاة فرصة للتوبة. على أي الأحوال قد تُوهَب لهم أزمنة ولا يرجعون، ليحملوا ثمار الندامة، بل يخدمون الشر، وبرحمة الله ينالون الأزمنة لعلهم يتخلون عن تصرفاتهم.

بالرغم من أن الله القدير يعرف مسبقًا وقت موت كل أحدٍ متى تنتهي حياته، لا يقدر أحد أن يموت قبل أوانه، بل في الوقت المُعيَّن لموته، فإنه إن كان قد أُضيف إلى حياة حزقيا خمسة عشر عامًا (٢ مل ٢٠؛ إش ٣٨)، فإن زمن حياته بالحقيقة زاد عن النهاية التي كان يستحقها، وقد سبق فعرف الله وقته في هذه اللحظة والتي فيما بعد يسحبه من الحياة الحاضرة.

هذا الأمر هكذا: ماذا يعني **"يُقطَع الأشرار قبل أوانهم"** سوى أن كل أولئك الذين يحبون الحياة الحاضرة يعدون أنفسهم لفترات أطول من تلك الحياة؟ وعندما يسحبهم الموت من الحياة الحاضرة، فإن الفترات الطويلة لحياتهم التي اعتادوا أن يتخيلوها تكون قد سُحبت منهم، إنها تُقطع إربًا. بحق قيل عن هؤلاء: **"أساسهم قد أفاض بطوفان"**...

وُصف قايين إنه أول من أسس مدينة على الأرض (تك ٤: ١٧)، وهو بهذا أكد بوضوح أنه غريب، حيث كان غريبًا عن الثبات في العالم الأبدي، فأنشأ أساسًا على الأرض. بكونه غريبًا عن الأمور العلوية وضع استقراره في أساسٍ لأمورٍ سفلية، ووضع استقرار قلبه في اللذة الأرضية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ طول أناة الخالق ستدين مرقيون، أقصد صبره في انتظار توبة الخاطي لا موته، إذ يريد رحمة لا ذبيحة (هو ٦:٦)، محولاً نظره عن أهل نينوى، نازعًا الدمار الذي نطق به بالفعل ضدهم (يونان ٣: ١٠)، واهبًا لدموع حزقيا امتدادًا لحياته (٢ مل ٢٠: ١)[1].

العلامة ترتليان

فَوَجَّهَ وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ،

---

[1] *Tertullian against Marcion, Book 2, ch. 17.*

وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ: [٢]

على نقيض أخزيا عندما مرض، لجأ حزقيا إلى رجل الله إشعياء، وليس بعل زبوب إله عقرون (١: ١-٢). فقد اتسم حزقيا بأنه رجل صلاة (١٩: ١، ١٤، ١٥).

آمن حزقيا الملك أنه ليس من وجه للمقارنة بين أسلحته وأسلحة أشور، ولا بين إمكانياته العسكرية وإمكانيات أشور، لكن لا تتوقف المعركة على كمية الأسلحة أو قدرتها والخطط العسكرية، وإنما على وجه الله الذي يديره نحو شعبه، فيتمتعون بالنصرة، أو يديره عنهم، فتفقد الأسلحة التي بين أيديهم قدرتها ورسالتها، وتتحول من الحماية ضد العدو إلى الاتجاه المضاد. كما أن كل الأمور تعمل للخير للذين يحبون الله (رو ٨: ٢٨)، هكذا كل الأمور تتحول للهلاك للذين يجحدون الله، وللنصرة للذين يتقونه!

آهِ يَا رَبُّ، اذْكُرْ كَيْفَ سِرْتُ أَمَامَكَ بِالأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ،
وَفَعَلْتُ الْحَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ.
وَبَكَى حَزَقِيَّا بُكَاءً عَظِيمًا. [٣]

لعل السبب الرئيسي أنه لم يكن بعد قد وُلد منسى (٢ مل ٢١: ١)، فلم يوجد من يخلفه على العرش، الأمر الذي أربَكَه، إذ كيف يتحقق الوعد لبيت داود أنه يبقى إلى الأبد. في هذا يضعف حزقيا جدًا على خلاف إبراهيم الذي قدَّم ابنه ذبيحة دون خوف، واثقًا أن وعد الله يتحقق حتمًا، مؤمنًا بالله القادر أن يُقيمه من الأموات. لقد أنجب حزقيا بعد ذلك "منسي" محب عبادة الأوثان الذي أثار غضب الله على يهوذا (٢ مل ٢٣: ٢٦).

على أي الأحوال كان حزقيا رجل صلاة، لم يفقِد الخبر رجاءه في الرب، بل عرف كيف يُصلي ويُصارع. لقد وجَّه وجهه إلى الحائط، ربما متجهًا نحو الهيكل كعادة اليهود، ليُصلي إلى الرب قائلاً: "آه يا رب اذكر كيف سرتُ أمامك بالأمانة وبقلبٍ سليمٍ (كاملٍ) وفعلتُ الحسن في عينيك". تطلع حزقيا إلى حياته بكونها رحلة خلالها سار مع الله (تك ٥: ٢٤؛ ١ مل ٩: ٤) بإخلاص لا في كمال مطلق، وإنما هادفًا نحو الكمال (مت ٥: ٤٥)، بفكرٍ واحدٍ غير مترددٍ ولا منحرفٍ. لقد بكى حزقيا بكاءً عظيمًا.

فريكنديوس *Verecundus* وهو كاتب أفريقي، مات سنة ٥٢٢م اهتم بمناقشة الفصول الثلاثة التي تحمل فكرًا نسطوريًا، يقول إن الله في رحمته تطلع إلى حزقيا ليس فقط لينزع عنه هلاك الموت الذي أوشك أن يحل به، بل أضاف إلى حياته خمس عشرة سنة، فسبَّح بالتسبحة الواردة في إشعياء ٣٨: ١٠-٢٠[1].

---

[1] *Commentary on the Canticle of Hezekiah, 5: 1-2.*

ختم حزقيا تسبحته بوعدٍ قدّمه نبيحة شكر لله شافيه، قائلاً: "الرب لخلاصي. فنعزف بأوتارنا كل أيام حياتنا في بيت الرب" (إش ٣٨: ٢٠).

حزقيا الملك كرجل صلاة سلك في الرب، إذ يقول: "آه يا رب، اذكر **كيف سرتُ أمامك**". بكل أمانة سلك حزقيا كمن هو في حضرة الرب يخدمه (تث ٥: ٣٠-٣٣؛ ٣٠: ١٥، ١٦). ما كان يشغله في شدة مرضه، لا سلطانه ولا غناه وثروته ولا مباهجه، إنما التصاقه بالله بأمانة.

❖ إذ سمع أنه يموت، لم يصلِّ حزقيا لكي يمنحه سنين أكثر، بل أن يسمح له أنْ يقف أمام حكم الله كما يشتاق، فقد عرف أن سليمان أرضى الله بعدم سؤاله أن يهبه حياة أطول. إذ كان يُعد للرحلة إلى الرب استعرض أعماله، كيف سار أمام الرب في الحق وكمال القلب.

سعيد هو الضمير الذي يتذكر الأعمال الصالحة في وقت الضيق. "طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت ٥: ٨)، أو كما هو مكتوب في موضع آخر: "من يتمجد في نقاوة قلبه؟" (راجع أم ٢٠: ٩).

هذا هو التفسير: يُنسَب إليه كمال القلب، لأنه حطَّم الأصنام، وأزال أواني البعل من الهيكل (٢ مل ٢٣: ٤)، وسحق الحية النحاسية (٢ مل ١٨: ٤)، وصنع أمورًا أخرى يذكرها الكتاب[1].

القديس جيروم

❖ ليس شيء أكثر مسرة من الضمير القويم والرجاء الصالح.

إن كنتَ تريدُ أن تتعلم هذا، لتسأل ذاك الذي في لحظات رحيله وقد شاخ؛ فإننا إن ذكرناه بالولائم الفخمة التي تمتع بها، والمجد والكرامة والأعمال الصالحة التي مارسها يومًا ما وصنعها، إن سألناه: ماذا يبهجك بالأكثر، فإننا نراه يخجل من الأمور الأخرى ويغطي وجهه، أما في هذه فيطير ويثب متهللاً. هكذا حزقيا أيضًا عندما كان مريضًا لم يتذكر الولائم الفخمة والمجد أو الحياة الملوكية بل البرّ، إذ يقول: "اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة" (٢ مل ٢٠: ٣)[2].

القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

وَلَمْ يَخْرُجْ إِشَعْيَاءُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْوُسْطَى
حَتَّى كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ: [٤]

مع تقوى حزقيا الملك وصلواته الحارة، تحدث الله معه خلال نبيه إشعياء، كما تحدث مع يربعام الثاني خلال يونان النبي (١٤: ٢٥). فالعلاقة الشخصية مع الله والحب الناري في قلبه

---

[1] *Commentary on Isaiah 11 (38 1-3)*
[2] *Commentary on Matthew 53.6-7*

المؤمن لا يعني عزله عن التدبير الكنسي.

ارْجِعْ وَقُلْ لِحَزَقِيَّا رَئِيسِ شَعْبِي:
هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ دَاوُدَ أَبِيكَ:
قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ.
قَدْ رَأَيْتُ دُمُوعَكَ.
هَئَنذَا أَشْفِيكَ.
فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ تَصْعَدُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. [٥]

صدر الأمر الإلهي إلى إشعياء أن يذهب إلى الملك ليخبره: "**هكذا قال الرب إله داود أبيك، قد سَمِعتُ صلاتك، قد رأيت دموعك. هأنذا أُضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة**". جاءت الإجابة سريعة جدًا؛ ربما تحدث الله مع إشعياء فمًا لفم قبل خروجه من القصر الملكي بينما كان يُعطي نصائح روحية لرجال القصر لتهيئة الجو بعد موت الملك.

على مدى مائة عام من تاريخ يهوذا (٧٣٢-٦٤٠ ق.م) كان حزقيا الملك الوحيد الأمين في علاقته بالله. وبسبب إيمانه وصلاته ودموعه شفاه وأنقذ بلده من الأشوريين وأطال عمره.

❖ إنه (الآب) أيضًا "أب المراحم" (٢ كو ١: ٣). وُصف في الأنبياء "مملوء حنوًا ولطفًا وسخيًا في الرحمة" (مز ٨٦: ١٥؛ ١١٢: ٤؛ ١٤٥: ٨؛ يون ٤: ٢).

في يونان تجدون عمل الرحمة الرائع الذي أظهره لأهل نينوى المصلّين (يون ٣: ٨). وكيف كان تصرفه (الثابت) أمام دموع حزقيا (٢ مل ٢٠: ٣-٤). كيف كان مستعدًا أن يغفر لأخآب زوج إيزابل دم نابوت، عندما هدأ من غضب (الله)، (١ مل ٢١: ٢٧، ٢٩). كيف غفر فورًا لداود عند اعترافه بخطاياه (٢ صم ١٢: ١٣)، مفضلاً طبعًا بالحقيقة توبة الخاطي عن موته، وذلك من أجل رحمته المملوءة حنوًا (حز ٣٣: ١١)[1].

❖ لنستعر كلمات الرسول هذه التي كانت أمثلة لنا (١ كو ١٠: ٦)؛ وقد كُتبت لكي نؤمن أن الرب أكثر قوة عن كل النواميس الطبيعية الخاصة بالجسد كما يظهر (الرب) نفسه حافظًا الجسد[2].

العلامة ترتليان

❖ البكاء وحده يقود للضحك المطوّب![3]

العلامة أوريجينوس

---

[1] *Tertullian against Marcion, Book 4, ch 11*
[2] *On the Resurrection, 58.*
[3] *In Jeremiah, homily 3:49.*

❖ توجد معمودية (خامسة) وهى عاملة بالأكثر، معمودية الدموع حيث كان داود يُعوِّم كل ليلة سريره، ويغسل فراشه بدموعه[1].

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ من يقتني فرحًا عظيمًا إلا ذاك الذي يبكى كثيرًا، وكأنه ينال نعمة المجد العتيد بثمن دموعه؟![2]

القديس أمبروسيوس

❖ كثرة حزن الدموع هي موهبة من الله، تُعطِى باجتهاد طلبات السائل[3].

القديس يوحنا التبايسي

وَأَزِيدُ عَلَى أَيَّامِكَ خَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً،
وَأُنْقِذُكَ مِنْ يَدِ مَلِكِ أَشُّورَ مَعَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ،
وَأُحَامِي عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ نَفْسِي، وَمِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي. [٦]

غيَّر الرب كلماته - إن صح التعبير - التي قالها لحزقيا بواسطة إشعياء من أجل صلواته ودموعه الصادرة من أعماق قلبه.

أي شيء أوضح من هذا البرهان أنه خلال رحمة الرب وصلاحه يبدو كمن يكسر كلمته، وعوض ما سبق أن أعده بتحديد موعد الموت حسب قوانين الطبيعة التي وضعها، أضاف ١٥ عامًا لحياته، عوض الإصرار على قرار لا رجعة فيه؟[4]

يرى **القديس أغسطينوس**[5] أن حزقيا كان يجب أن يموت خلال المسببات الطبيعية مثل المرض، لكنه أضاف ١٥ عامًا إلى حياته، هذه الإضافة يَعرِفها الله قبل تأسيس العالم، محتفظًا بها في إرادته. ما فعله من إضافة حقَّق ما في خطة الله إذ يعلم ما كان سيفعله حزقيا وما كان يهبه الله إياه.

ما يشغل ذهننا ليس البحث في هل الله كان قد سبق فحدَّد عمر حزقيا ثم تراجع عنه بإضافة ١٥عامًا إليه، وإنما إدراك قوة الصلاة بروح التوبة في حياتنا، فقد وهبته حياة بعدما كان يجب أن يموت حسب قوانين الطبيعة. الصلاة بكونها التصاق بالله واهب الحياة قادرة على كل شيء، وغالبة للموت، موت الخطية.

❖ أي شيء أكثر وضوحًا من هذا البرهان، أنه من أجل الرحمة والصلاح يُغيِّر الرب كلمته،

---

[1] *Oration, 39.*
[2] *Concerning Widows, 6.*
[3] الآباء الحاذقون في العبادة ج ٢، ص ١٨٦.
[4] *Orthodox Study Bible.*
[5] *The Literal meaning of Genesis 6:17.*

وبدلاً من الترتيب المسبق الخاص بالموت يمد حياة ذاك الذي صلَّى خمسة عشر عامًا، مفضّلاً ذلك عن أن يوجد جامدًا بعدم تغيير قراره؟

بنفس الطريقة أيضًا جاءت العبارة الإلهية لأهل نينوى: "بعد ثلاثة أيام تهلك نينوى، (يون ٣: ٤ *LXX*). لطَّف من هذه العبارة القاسية المفاجئة بتوبتهم وصومهم، وتحوّلت الرحمة مع الصلاح لمعالجة الأمر بسهولة[1].

الأب يوسف

❖إذ ضُرب حزقيا بالخوف الشديد المفاجئ عند اقتراب الموت جلبت له دموعه وصلواته تأجيلاً مؤقتًا لموته لمدة خمسة عشر عامًا (٢ مل ٢٠، إش ٣٨)[2].

القديس جيروم

٢. إشعياء يصف له الدواء

فَقَالَ إِشَعْيَاءُ: خُذُوا قُرْصَ تِينٍ.

فَأَخَذُوهَا وَوَضَعُوهَا عَلَى الدَّبْلِ فَبَرِئَ. [٧]

ورد استخدام التين في حالة القروح في سجلات الشرق الأوسط قديمًا. ذكرت في لوحات ترجع إلى القرن العشرين ق. م في أيام رأس شمرا. وفي حديث القديس باسيليوس الكبير عن عدم رذل فن الطب بسبب إساءة البعض استخدامه، أشار إلى طلب إشعياء النبي استخدام التين في شفاء حزقيا الملك.

❖ ليس بسبب عدم استفادة بعض الخطاة من فن الطب ننكر كل المزايا الصادرة عنه. لأنه يليق بنا ألا نرذل كل الفنون مجتمعة لمجرد إساءة استخدامها بواسطة طالبي اللذة بلا ضابط لصناعة الطهي أو الخبز أو النسيج، إذ يمارسونها من أجل لذَّاتهم الخاصة متعدين حدود الحاجة الضرورية. على العكس فإننا نظهر إساءتهم لاستخدامها في الحدود النافعة، وذلك باستخدامنا لها بقدرٍ سليمٍ. هكذا باستخدامنا صناعة الطب ينبغي علينا ألا نُسيء إلى من قدَّم الموهبة الإلهية بسوء استخدامنا لها، **فلا نضع رجاءنا في الشفاء في يد الطبيب**...

هذا ما نلاحظه لدى بعض الأشقياء الذين لا يترددون في دعوة أطبائهم "مُخلِّصين" *saviors* لهم. على الجانب الآخر، **فإن جحد المنافع الصادرة عن هذا الفن تمامًا هو علامة على شر طبيعتنا.**

لم يظن حزقيا في قرص التين (٢ مل ٢٠:٧) أنه وحده علة شفائه، ولا حسب هذه الثمرة

[1] *Cassian: Conference 17:25.*
[2] *St. Jerome: Letters, 38:1.*

هي مصدر شفاء جسده، بل مجد الله، شاكرًا إياه لخلقه التين[1].

القديس باسيليوس الكبير

❖ تشير الكرمة في مواضع ليست بقليلة إلى الرب نفسه، وتشير شجرة التين إلى الروح القدس، إذ يجعل الرب قلوب البشر مبتهجة (مز ١٠٤: ٥)، والروح يشفيها. لقد أُمر حزقيال أن يصنع لزقة بكتلة من التين، الذي هو ثمرة الروح، فيُشفَى. بحسب الرسول هذا الشفاء يبدأ بالحب. إذ يقول: "ثمر الروح محبة فرح سلام طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف (غل ٥: ٢٢-٢٣). بسبب المسرة العظيمة التي لهذه الثمار يدعوها النبي تينًا روحيًا. لهذا يقول أيضًا ميخا: "يجلسون كل واحدٍ تحت كرمته وتحت تينته، ولا يكون من يرعب" (مي ٤: ٤). الآن، من المؤكد أن الذين يلجأون إلى الروح ويستريحون تحته، وتحت ظل الكلمة، لن يرتعبوا ولا يخشون من يقلق قلوب البشر[2].

الأب ميثوديوس

٣. علامة من الرب على شفائه

وَقَالَ حَزَقِيَّا لإِشَعْيَاءَ:
مَا الْعَلاَمَةُ أَنَّ الرَّبَّ يَشْفِينِي فَأَصْعَدَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ؟ [٨]

فَقَالَ إِشَعْيَاءُ: هَذِهِ لَكَ عَلاَمَةٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ يَفْعَلُ الأَمْرَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ:
هَلْ يَسِيرُ الظِّلُّ عَشَرَ دَرَجَاتٍ أَوْ يَرْجِعُ عَشَرَ دَرَجَاتٍ؟ [٩]

يظهر شوق حزقيا الملك للشفاء وإطالة عمره من طلبه علامة من الرب أنه يحقق له ما وعده به عن طريق رجل الله إشعياء النبي. يرى البعض أن هذه العطية وُهبت له، لأنه لم يكن لدى حزقيا ابن يستلم العرش، إذا استلم ابنه العرش وهو في اثنتي عشرة سنة من عمره (٢ مل ٢١: ١)، أي وُلد خلال هذه الخمسة عشر عامًا. وإن كان للأسف قد أفسد منسى الأعمال الصالحة في الرب التي حققها أبوه حزقيا. فإصرار حزقيا على هذا الطلب لم يكن للبنيان. هذا، ومن جانب آخر إذ شُفي الملك وجاء مندوبو ملك بابل يقدمون له هدايا ويكرمونه سقط في كبرياءٍ باطل كما نرى في هذا الأصحاح. وكأنه يليق بنا أن تكون طلباتنا حسب مشيئة الله، نُسلِّمه أمورنا، لأننا لا نعرف ما هو لبنياننا وبنيان الآخرين.

طلب حزقيا الملك علامة أخرى من الرب على أنه يفعل ما تكلم بخصوص شفائه.

---

[1] *The Long Rules, Q. 55.*
[2] *Banquet of the Ten Virgins, 10: 5.*

فَقَالَ حَزَقِيَّا: إِنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى الظِّلِّ أَنْ يَمْتَدَّ عَشَرَ دَرَجَاتٍ.
لاَ! بَلْ يَرْجِعُ الظِّلُّ إِلَى الْوَرَاءِ عَشَرَ دَرَجَاتٍ! [١٠]

تُسمى مزولة آحاز "بدرجات آحاز" أو "سلم آحاز"، فقد كانت مزولة المصريين في ذلك العصر عبارة عن سلالم صغيرة يصعد عليها الظل وينزل.

يمكننا أن نستنتج مما ورد في (٢ أي ٣٢: ٣١) أن هذا الحدث فائق للطبيعة. لذلك بلغ خبره إلى البابليين الذين انشغلوا بالفلك، وكانوا يعبدون الكواكب، ويهتمون بتحركاتها. فقد أدركوا أن أمرًا غريبًا غير طبيعي قد حدث في تحركات الكواكب، وإذ بحثوا الأمر سمعوا عما حدث مع حزقيا الملك، وأبلغوا ملكهم بذلك[1].

فَدَعَا إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ الرَّبَّ،
فَأَرْجَعَ الظِّلَّ بِالدَّرَجَاتِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا بِدَرَجَاتِ آحَازَ
عَشَرَ دَرَجَاتٍ إِلَى الْوَرَاءِ. [١١]

سمع الله لصلاة حزقيا، وتطلع إلى دموعه، وتذكر وعده مع داود أبيه، إذ يذكر الله عهده مع الأب لدى أبنائه (خر ٢٠: ٥، مز ٨٩: ٢٨-٢٩). أعطاه سؤل قلبه، ما نطق به بلسانه وما تحدث به بقلبه: وهبه طول العمر، وخلاصًا من ملك أشور، وحماية عن مدينته أو عاصمة مُلْكِهِ أورشليم.

أعطاه الرب علامة كطلبه، فقد اختلف حزقيا عن أبيه الشرير الذي رفض أن يطلب علامة من الله (إش ٧: ١٠).

الله أب كل الأنوار يُحرك الشمس ويوجهها لأجل بنياننا. جاءت العلامة الإلهية لتأكيد تحقيق الوعد الإلهي هكذا: رجوع الشمس عشر درجات [٨]. يرى البعض أنها مجرد تراجع للظل على الدرجات التي تقود إلى "بلكونة" في القصر أو تقود إلى العلية. ويرى البعض أنها كسوف للشمس حدث في ١١ يناير ٦٨٩ ق.م.[2] الشمس هي المقياس الصادق للزمن، وهي في يد الله محرك التاريخ والأحداث والزمن نفسه، استخدمها علامة في أيام يشوع (يش ١٠: ١٢)، وأيضًا في أيام حزقيا، وعند صلب رب المجد، وقبل مجيئه الأخير حيث تظلم الشمس.

كاستجابة لصلاة إشعياء النبي من أجل حزقيال أوقف الرب قوانين الطبيعة، وعاد بالزمن إلى الوراء، هذا الذي كان يُقاس برجوع درجات الشمس.

قيل: "الآمر الشمس فلا تشرق، ويختم على النجوم" (أي ٩: ٧). لا يتوقع أحد ما ألا

---

[1] *William Madonald Believer's Bible Commentary, 1995, p. 415.*
[2] *R.E. Clements, p. 291.*

تشرق الشمس في موعدها، إذ وضع لها الرب قوانين ثابتة. لكنه إن شاء فلا تشرق. مرة أمر أن تقف لخدمة شعبه فوقفت (يش ١٠: ١٢). ما حدث في أيام يشوع بن نون يعلن عمل الله العجيب خلال خدامه، وكما يقول **القديس أثناسيوس الرسولي**: [إن كانت الشمس قد توقفت في جبعون، والقمر في وادي إيلون إلاَّ أن هذا العمل ليس عمل ابن نون، بل عمل الرب الذي سمع الصلاة، هذا الذي انتهر البحر، وعلى الصليب جعل الشمس تظلم (مت ٢٧: ٤٥)[1].] هكذا أيضًا بالنسبة للنجوم، فهو وحده يقدر أن يختمها أو يخفيها عن أعيننا. الله بإرادته يحفظ نظام سير الطبيعة كامتداد لعملية الخلق، وكعمل من أعمال العناية الإلهية.

يُعلِّق **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن العلامات العجيبة التي صنعها الرب، سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد، كيف يُغيِّر طبيعة الأشياء. فقد غيَّر طبيعة البحر (يو ١٤: ١٢)، وغيَّر أشعة الشمس هنا، وأوقف الشمس والقمر (يش ١٠:١٣)، وطبيعة أتون النار (دا ٣)، وطبيعة الأسود الجائعة (دا٦: ٢٢). لكن ما هو أعظم من الكل ما يفعله في طبيعة الإنسان، إذ يقول لموسى النبي: "أنا جعلتك إلهاً لفرعون" (خر ٧: ١) [إنه يوجهنا لنبني أنفسنا هيكلاً له. وإن كنت لم تخلق السماء لكنك تُوجد هيكل الله (١ كو ٦: ١٩)، فإن السماء معروفة أنها مسكنه حيث يسكن الله فيها. نحن أيضاً سماء بالمسيح، يقول الكتاب: "أقامنا وأجلسنا معه على يمينه" (راجع أف ٢: ٦) ووهبنا أن نعمل أعمالاً أعظم مما عمله[2].]

كيف يمكن للظل أن يتراجع؟

من الواضح أن هذا كان معجزة. فلو كانت العلامة يسهل تحقيقها، فلن تكون علامة على تأكيد كلام الله. (٢ مل ٢٠: ١٠)، وأية محاولة لتفسير ما حدث تكون مجرد استنتاج. الله يمكنه تسخير الطبيعة لتحقيق مشيئته ويمكن تخقيق إرادته بطريقة تتحدى التفسيرات الطبيعية. الله يصنع المعجزات وهذه إحدى معجزاته[3].

قيل بخصوص مزامير المصاعد الخمسة عشر (مز ١٢٠-١٣٤)، إن حزقيا الملك الذي شُفي، في بهجته بعمل الله العجيب معه نظَّم عشرة مزامير ليقارنها بعشرة درجات دوران الشمس، العلامة التي قدَّمها إشعياء النبي إليه بأن الرب يشفيه (٢ مل ٢٠: ٨-١٠؛ إش ٣٨). أضيف إليها أربعة مزامير كتبها داود النبي ومزمور كتبه سليمان الحكيم، ليصير المجموع خمسة عشر مزمورًا

---

[1] *Paschal Ep. 29*
[2] *On Ps. 12.*
[3] *When Critics ask A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill : Victor Books. Geisler، N. L.، & Howe، T. A. (1992).*

تقابل الخمس عشرة سنة التي أضافها الرب لحياة حزقيا[1]. ويقال إن مزامير المصاعد هي تذكار للسنوات الخمس عشرة التي ذهبت لحزقيا بعد مرضه (٢ مل ٨: ٢٠ -١١).

كانت هذه المزامير تُنشَد بواسطة الكهنة عند صعودهم درجات الهيكل الخمس عشرة كل عام أثناء عيد المظال. (سبع درجات تؤدي إلى الدار الخارجية، وثماني درجات إلى الدار الداخلية). كما قيل إن فرق التسبيح المكونة من اللاويين كانت تقف على كل درجة لتُرنِّم أحد هذه المزامير كجزءٍ من الخدمة الدينية. ويتطلع كثير من الآباء إلى هذه المزامير أو التسابيح بكونها السلم الروحي، الذي تصعد خلاله النفس **في الإلهيات**، من مرحلة إلى أخرى. تنطلق نحو حضن الآب وتستقر فيه، ترتفع من مجدٍ إلى مجدٍ." إنها تصعد من أرض الغربة، وتتجه نحو أورشليم العليا.

٤. تكريم برودخ بلادان البابلي له

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ بَرُودَخُ بَلاَدَانُ بْنُ بَلاَدَانَ مَلِكُ بَابِلَ رَسَائِلَ،
وَهَدِيَّةً إِلَى حَزَقِيَّا،
لأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ حَزَقِيَّا قَدْ مَرِضَ [١٢]

رأينا أن بعض الدارسين يعتقدون بأن خبر شفاء حزقيا الملك انتشر في بابل بسبب تتبع حكماء لحركات الكواكب، وإدراكهم أن أمرًا غريبًا قد حدث، وإذ تساءلوا سمعوا عن العلامة التي أُعطيت لحزقيا الملك لتأكيد شفائه بقوة إلهية.

ربما كان بعض اليهود يعملون كخصيان أي كبار الموظفين في القصر الملكي البابلي قبل أن تصير بابل إمبراطورية عظيمة تستولي على أشور، وقبل حدوث السبي البابلي ليهوذا[2].

برودخ بلادان غالبًا هو نفسه مردوخ للادان الملك الكلداني الذي حكم مرتين (٧٢١-٧١٠؛ ٧٠٣ ق. م)، وكان يحمل عداوة مستمرة لأشور، انهزم أمام أشور مرتين، وطُرِدَ من بابل. بعث هذه الإرسالية لحزقيا غالبًا لكي ما يقيم تحالفًا مع يهوذا ضد أشور، خاصة وأنه سمع عن خلاص حزقيا العجيب من جيش أشور (٢ أي ٣٢: ٣١).

وفقًا لتسلسل الأحداث الذي ذُكر في (٢ مل ٢٠: ١٢-١٥)، أتى الوفد الذي أرسله بردوخ بلادان (انظر إش ٣٩: ١) لزيارة حزقيا بعد غزو سنحاريب عام ٧٠١ ق.م. ومع ذلك وبحسب الأدلة التاريخية، هرب بردوخ بلادان إلى عيلان *Elan* بعد أن طُرِدَ من بابل سنة ٧٠٢ ق. م بواسطة سنحاريب. كيف يتفق التسلل الزمني بين هذه الآيات؟

---

[1] *J R Church: Hidden Prophecies in the Psalms, p 337 (W W. Wiersbe· Chapter-by-Chapter Bible Commentary, Thomas Nelson Publishers, Nashville 1994, p 394)*

[2] *William Madonald Believer's Bible Commentary, 1995, p 415.*

الإجابة: إن حقيقة وصف غزو سنحاريب الذي ذُكر في كل من سـفر الملـوك الثـاني وإشعياء، جاء قبل وصف الزيارة التي قام بها بردوخ بلادان. وهذا لا يعني أن هذا هو الترتيـب الزمني للأحداث. في سفر الملوك الثاني الأصحاح الثاني يبدأ بعبارة "في تلك الأيام". ولكن هذا لا يشير بالضرورة إلى أن الأحداث التالية حدثت في نفس التوقيت الزمني. هذه الجملة تستخدم كثيرًا لإدخال مقطع جديد وهي مشابهة لعبارة "وفي تلك الأيام *and it come to pass*". نجد هذا النوع من الاستخدام في (قض ١٧: ٦؛ ١٨: ١؛ ١٩: ١؛ إس ١: ٢). كما يمكن الإشارة إلى أن الكلمـة العبرية "*hem*" يمكن ترجمتها هنا "تلك *those*" كما يمكن أيضًا أن تعطي معنـى "هـذه *these*". ويحدد السياق أي منهما يستخدم. فيمكن ترجمة هذه العبارات إلى "في هذه الأيام *In these days*".

الزيارة التي وردت في (٢ مل ٢٠: ١٢-١٥) حدثت بالفعل قبل غزو سـنحاريب الـذي ورد في (٢ مل ١٨-١٩)، وهذا يؤكد صحة حقيقة أن الملك حزقيا مات فيمـا بـين ٦٩٨ و٦٩٦ ق.م. وبما أن الله قد أمد عمره ١٥ سنة، فهذا يعني أن وقت مرض حزقيا كان حوالي عـام ٧١٣ ق. م. وهذا التاريخ الزمني يتفق مع زيارة الوفد الذي أرسله بردوخ بلادان الذي طرده سنحاريب عام ٧٠٢ ق.م[1].

٥. سقوط حزقيا في الكبرياء الباطل

فَسَمِعَ لَهُمْ حَزَقِيَّا، وَأَرَاهُمْ كُلَّ بَيْتِ ذَخَائِرِهِ،
وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ وَالأَطْيَابَ وَالزَّيْتَ الطَّيِّبَ،
وَكُلَّ بَيْتِ أَسْلِحَتِهِ وَكُلَّ مَا وُجِدَ فِي خَزَائِنِهِ.
لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لَمْ يُرِهِمْ إِيَّاهُ حَزَقِيَّا فِي بَيْتِهِ وَفِي كُلِّ سَلْطَنَتِهِ. [١٣]

أحد سمات الكتاب المقدس أنه يستعرض أحيانًا أخطاء أبطال الإيمان مثل إبراهيم وداود وحزقيا. بحكمة روحية وتواضع واتكال على الله خلص حزقيا من جيش أشور، وبجهالة صار أسيرًا لحب الظهور، فعرض كل ما في خزائنه وكل بيت ذخائره وكل بيت أسلحته للغرباء.

❖ عندما كان حزقيا في ضيقٍ، انظروا ماذا فعل لأجل خلاصه؛ لقد لبس المسوح وما إلى ذلك، وعندما كان في وسعٍ سقط في كبرياء قلبه (٢ مل ١٩: ٢٠). لهذا يقول الكتاب المقدس: "إذا أكلت وشبعت، فاحترز" (تث ٦: ١١-١٢)[2].

القدِّيس يوحنا الذهبيّ الفم

---

[1] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton, Ill : Victor Books. Geisler, N L., & Howe, T. A (1992)*
[2] *Homilies on Acts of Apostles, 16*

٦. تأديب الرب له على كبريائه

فَجَاءَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ إِلَى الْمَلِكِ حَزَقِيَّا وَقَالَ لَهُ:
مَاذَا قَالَ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ، وَمِنْ أَيْنَ جَاءُوا إِلَيْكَ؟
فَقَالَ حَزَقِيَّا: جَاءُوا مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ، مِنْ بَابِلَ، [١٤]

فَقَالَ: مَاذَا رَأَوْا فِي بَيْتِكَ؟
فَقَالَ حَزَقِيَّا: رَأَوْا كُلَّ مَا فِي بَيْتِي.
لَيْسَ فِي خَزَائِنِي شَيْءٌ لَمْ أُرِهِمْ إِيَّاهُ. [١٥]

فَقَالَ إِشَعْيَاءُ لِحَزَقِيَّا: اسْمَعْ قَوْلَ الرَّبِّ: [١٦]

هُوَذَا تَأْتِي أَيَّامٌ يُحْمَلُ فِيهَا كُلُّ مَا فِي بَيْتِكَ وَمَا ذَخَرَهُ آبَاؤُكَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ إِلَى بَابِلَ.
لاَ يُتْرَكُ شَيْءٌ، يَقُولُ الرَّبُّ. [١٧]

كما سبق فقدَّم إشعياء النبي للملك حزقيا رسالة إلهية مملوءة حنانًا وترفقًا (١٩؛ ٢٠: ١-١١) أيضًا قدَّم له رسالة تأديبية من قبل الرب.

كانت بابل في ذلك الوقت دولة صغيرة، ولم يكن يتخيل أحد قط أنها تغلب أشور، وتصير إمبراطورية ضخمة، تقتحم أورشليم وتسلب كل خزائنها وتسبي نبلاءها سنة ٥٨٦ ق. م. هذا وحُمل منسى بن حزقيا إلى بابل بواسطة ملك أشوري (٢ أي ٣٣: ١١).

❖ نقرأ عن حزقيا ملك يهوذا أنه كان رجلاً بارًا كاملاً في كل شيء، ومشهودًا له من الأسفار المقدسة، سقط بسهمٍ واحدٍ من المجد الباطل، بعد أن تعددت فضائله. وهكذا قهر التفاخر والغرور ذاك الذي استطاع بصلاة واحدة أن يقضي على مائة وخمسة وثمانين ألف جندي من جيش الأشوريين، بواسطة الملاك في ليلة واحدة.

سأغفل عن ذكر قائمة فضائل هذا الملك الطويلة، مكتفيًا بواحدة منها فقط. فبعد أن حدَّد الرب ختام حياته ويوم وفاته، نجح أن يمدها خمسة عشر عامًا بصلاة واحدة. ورجعت الشمس إلى الوراء عشرة درجات، كانت قد تقدمتها صوب الغروب، وبعودتها بددت خطوط الظل التي تبعت مسارها. وبهذه المعجزة الخارقة لنواميس الطبيعة امتد النهار الواحد نهارين للعالم كله. ومن ثمَّ اطمأن حزقيا الملك إلى أن الرب سيهبه الشفاء وطول العمر.

لكن بعد علامات عظيمة بهذا القدر لا يكاد يصدقها العقل، وبعد مثل هذه الأدلة على طيبته، اسمع ماذا يقول الكتاب المقدس عن ضروب هذا النجاح بالذات الذي قضى عليه: "في تلك الأيام مرض حزقيا إلى حد الموت، وصلى إلى الرب، فكلمه وأعطاه علامة"... تلك التي

قرأنا عنها في السفر الرابع من الملوك، التي ذكرها إشعياء النبي بصدد رجوع الشمس إلى الوراء... لكن يقول الكتاب المقدس "لم يُردَّ حزقيا حسبما أُنعم عليه، لأن قلبه ارتفع، فكان غضب عليه وعلى يهوذا وأورشليم، ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان أورشليم، فلم يأتِ عليهم غضب الرب في أيام حزقيا" (٢ أي ٣٢: ٢٤، ٢٦)[1].

القديس يوحنا كاسيان

وَيُؤْخَذُ مِنْ بَنِيكَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْكَ الَّذِينَ تَلِدُهُمْ،
فَيَكُونُونَ خِصْيَاناً فِي قَصْرِ مَلِكِ بَابِلَ. [١٨]

حدث ذلك غالباً قبل تمرد بابل على الإمبراطورية الأشورية، وقام سنحاريب بتدميرها عام ٦٨٩ ق.م، أعاد ابنه آسرحدون بناء مدينة بابل، ولم يدرك أنها ستغتنم الفرصة حين يضعف ملوك أشور لتصبح أمة صغيرة وبعد سنوات تتمرد ثانية على أشور وتصير القوة العظمى في العالم بعد أن تقضي على أشور عام ٦١٢ ق.م.

❖ اهدأ يا من تفتخر بنفسك، لا تتبجح! فإن كانت ثروتك ترفع قلبك، فهي ليست بأكثر من ثروة حزقيا، الذي تمادى وتشامخ بها أمام البابليين، فحُملت كلها إلى بابل.

إنْ كنت تفتخر بأبنائك، فسيُقادون من عندك إلى الوحش كأبناء حزقيا الملك الذين اقتيدوا بعيدًا، وصاروا خصيان في قصر ملك بابل (٢ مل ٢٠: ١٨؛ إش ٣٩: ٧).

وإن كنت تفتخر بحكمتك، فإنك في هذا لا تفوق رئيس صور، إذ قيل له: "ها أنت أحكم من دانيال، سرٍّ ما لا يُخفي عليك" (حز ٢٨: ٣).

وإن ارتفع عقلك متكلاً على عمرك أنك كثير السنوات، فعددها ليس بأكثر من سني رئيس صور الذي حكم المملكة خلال أيام (الكثير من ملوك) من بيت يهوذا... وإذ كانت سنوات ملك صور كثيرة لذلك قال في قلبه طوال هذا الوقت: "أنا إله، وفي كرسي الله أجلس في قلب البحار" (حز ٢٨: ٢). لكن حزقيال قال له: "أنت إنسان لا إله" (حز ٢٨: ٢). فبينما كان رئيس صور بين حجارة النار يتمشى (حز ٢٨: ١٤) كانت الرحمة تحل عليه. ولكنه عندما تشامخ قلبه صار "الكروب المظلل (وقد) حطَّمه"[2].

القديس أفراهاط

❖ في مَثَلِ الغني، كان يفتخر بزيادة حقوله، لكن الله قال له: "يا غبي، هذه الليلة تُطلب نفسك منك،

---

[1] المؤسسات لنظام الشركة ١١: ١٠.

[2] *Demonstrations, 5:7 (Of Wars).*

فهذه التي أعددتها لمن تكون؟" (لو ١٢: ٢٠) بنفس الطريقة عندما سمع حزقيا الملك من إشعياء المصير المؤلم لمملكته بعد أن مجَّد نفسه أمام مبعوثي بابل بعرض كنوزه وودائعه الثمينة[1].

العلامة ترتليان

فَقَالَ حَزَقِيَّا لإِشَعْيَاءَ:
جَيِّدٌ هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمْتَ بِهِ.

❖ بالتأكيد لم يُسر حزقيا البار أن كارثة السبي ستحلّ على بنيه، لكنه لم يستطع أن يعارض إرادة الله، ولهذا استقبل أوامر الله بصبرٍ كخادمٍ متواضعٍ. هكذا يمكن للشخص أن يقبل هذا الاستحقاق ويشهد بفضيلته حتى وهو في السبي. فإرميا لم تقل سعادته في السبي (إر ٣٧-٣٨)، ولا دانيال (دا ١: ٦)، ولا عزرا (عز ٧: ٦)، ولا حنانيا وعزاريا وميصائيل لم تكن سعادتهم أقل مما لو لم يسقطوا في السبي (دا ٣: ١٩-٩٦ س).

لقد دخلوا السبي بطريقة حتى يجلبوا للشعب تعزيات في السبي مع الرجاء في الخروج منه[2].

القدّيس أمبروسيوس

٧. تأجيل تحقيق التأديب

ثُمَّ قَالَ: فَكَيْفَ لاَ، إِنْ يَكُنْ سَلاَمٌ وَأَمَانٌ فِي أَيَّامِي؟ [١٩]

ماذا يعني حزقيا الملك بقوله عن تأديب الرب له وللشعب: "**جيد هو قول الرب الذي تكلمت به**"؟ سوى أن حزقيا أدرك خطأه في تصرفه مع إرسالية بابل، وفي تواضعٍ انحنى لتأديب الرب.

مع قبول حزقيا تأديب الرب للأمة كلها بسبب خطاياه، لكن يبدو أنه لم يبالِ بذلك مادام التأديب يحل بعد موته. نظرة مؤلمة قصيرة المدى، فالقائد الناجح هو الذي يتطلع إلى الأجيال القادمة، ويهتم بها.

❖ عندما يبتعد القلب عن فحص ذاته، لا يدرك الخسائر التي يعاني منها، أو يتعرف على خطورتها. فإن حزقيا لم يدرك إنه أخطأ عندما استعرض كنوزه للغرباء. عندما نخطئ في القلب، يصير ما نفعله داخل أنفسنا مخفيًا عن البشر، لكننا نخطئ في عيني الله[3].

البابا غريغوريوس (الكبير)

---

[1] *Against Marcion, 4: 28.*
[2] *Jacob ad the Happy Life, 8:36.*
[3] *Orthodox Study Bible.*

٨. موت حزقيا واستلام منسي المملكة

وبَقِيَّةُ أُمُورِ حزَقِيَّا وكُلُّ جَبَرُوتِهِ،
وكَيْفَ عَمِلَ الْبِرْكَةَ وَالْقَنَاةَ،
وَأَدْخَلَ الْمَاءَ إِلى الْمَدِينَةِ،
مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٢٠]

حفر حزقيا قناة بين نبع جيحون وبركة سلوام، لكي يحصل على ماء في الجانب الشرقي من سور أورشليم، هذا الإمداد له أهميته، خاصة إذا ما سقطت أورشليم في حصار.

ثُمَّ اضْطَجَعَ حزَقِيَّا مَعَ آبَائِهِ،
وَمَلَكَ مَنَسَّى ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ. [٢١]

كان حزقيا رمزًا للسيد المسيح، يُقدِّم لنا **القدِّيس أفراهاط** صورة مبسطة لهذا الرمز مع مقارنة بينهما.

❖حزقيا اُضطهد، كما أن يسوع اُضطهد.

حزقيا اُضطهد، وأهانه سنحاريب عدوه. يسوع أيضًا أهانه الشعب الغبي.

حزقيا صلى وغلب خصمه، وبصليب يسوع انهزم خصمنا.

كان حزقيا ملك إسرائيل، ويسوع هو ملك كل الأمم.

إذ كان حزقيا مريضًا، رجعت الشمس (درجات)، ولأن يسوع تألم أظلمت الشمس من نورها.

صار أعداء حزقيا جثثًا ميتة، وسيُطرح أعداء يسوع تحت قدميه.

كان حزقيا من عائلة بيت داود، ويسوع هو ابن داود حسب الجسد.

قال حزقيا: "سلام وأمان في أيامي" (٢ مل ٢٠: ١٩)، وقال يسوع لتلاميذه: "سلامي أتركه لكم" (يو ١٤: ٢٧).

صلى حزقيا فشُفي من مرضه، وصلى يسوع وقام من مسكن الأموات.

حزقيا بعد قيامه من مرضه أضاف إلى سنواته، ويسوع بعد قيامته نال مجدًا عظيمًا.

حزقيا بعد إطالة عمره ملك الموت عليه، أما يسوع فبعد قيامته لا يُعطي للموت سلطان إلى الأبد[1].

القدِّيس أفراهاط

---

[1] *Demonstration 21:16.*

من وحي ٢ مل ٢٠

بك أتحدَّى الأسد، وبدونك تخدعني الحية!

❖ إذ كشف العدو عن أنيابه كأسد مفترس،
مزَّق حزقيا الملك ثيابه، وانسحق أمام الله.
لجأ إلى رجل الله ليسنده بصلواته!
الأسد الذي حطَّم ممالك كثيرة،
وحسب نفسه قادرًا أن يتحدَّى الله الحي،
انهار تمامًا، ولم يستطع أن يدخل مدينة الله.
فقد قوة جيشه بدون الدخول في معركة.
عاد الأسد، سنحاريب، بعد أن صار أضحوكة أمام الأمم.
تحوَّل ابناه اللذان من دمه إلى العداوة.
اغتالا أبيهما وهو ساجد أمام إلهه الوثن!

❖ هبْ لي يا رب روح القوة فلا أرتعب من زئير الأسد.
ليتجول إبليس في كل مكان، فإنه ليس له موضع في قلبي.
حيث تسكن فيّ، لا تقدر مملكة الظلمة أن تتسلل داخلي!
بك أتحدى إبليس الذي سحقته بصليبك!

❖ هوذا المرض ينهش بأنيابه جسمي الضعيف.
بحكم الطبيعة لا أستطيع مقاومة مرض خطير!
لكن أنت الطبيب السماوي،
سلطانك أعظم من كل النواميس الطبيعية.
تسمح بالمرض، وتشفي بقوتك.
ترد الحياة، وتبارك كل ثانية من ثواني عمري.
تضيف إلى حياتي لا خمسة عشر عامًا كهبة إلهية،
بل تهبني حياتك، فأختبر عربون الأبدية.
أتغنى مع الرسول بروح النصرة والتهليل:
أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا هاوية؟!

❖ لستُ أطلب شفاءً جسديًا،

ولا طول عمرٍ على هذه الأرض.

إنما هبْ لي ملكوتك المقدس في أعماقي.

قُدْ حياتي في القداسة التي لك.

هبْ لي أن أتمتع بك يا أيها الطريق والحق والحياة.

❖ لتكن حياة شعبك كله في يديك.

أنت تقود الكنيسة بروحك، وتهبها قوة وحبًا وتواضعًا!

للأسف اهتم حزقيا أن تكون حياته مملوءة سلامًا،

ولم يبالِ بما سيحل في الأجيال القادمة بعده.

هبْ لكنيستك حبًا فتحتضن الأجيال كلها.

هبْ لكنيستك سلامًا وعونًا حتى تأتي إلينا سريعًا على السحاب!

إننا في انتظار ظهورك على السحاب.

متى تأتي وتقيمنا وتحملنا إلى حضن أبيك؟!

اَلأَصْحَاحُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

منسى بن حزقيا الملك الشرير

كان حزقيا رجلاً صالحًا، طهَّر الهيكل من الرجاسات الوثنية، لكن تبوأ ابنه منسى عرش يهوذا سنة ٦٩٧ ق.م وهو ابن اثنتي عشرة سنة. كان أشر ملوكهم، اشتهر ملكه بنشر العبادة الوثنية والرجاسات مع العنف وسفك الدماء، فصار الشعب أشر من الأمم (٢ مل ٢١: ٢-٩).

هنا تظهر خطورة القائد، متى تنجس قلبه أفسد المجتمع، فتصير الصلوات بغير التوبة الصادقة مرفوضة، حتى إن قدَّمها موسى أو صموئيل أو إرميا. لقد حلَّ غضب الله على الجماعة التي أفسدتها القيادة الشريرة.

يتحدث إشعياء النبي عن عصر منسى الملك الذي سفك دماءً بريئة كثيرة (٢ مل ٢١؛ ٢ أي ٣٣) حتى اشتهى الأبرار الموت، وحسبوه راحة مما رأوه بأعينهم. يقول: "باد الصدِّيق وليس أحد يضع ذلك في قلبه، ورجال الإحسان يُضمُّون، وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يُضم الصدِّيق. يدخل السلام، يستريحون في مضاجعهم، السالك باستقامة" (إش ٥٧: ١-٢). وينطبق ذلك بأكثر وضوحٍ في أيام ضد المسيح حيث يملك إنسان الخطية في هيكل الرب ويضطهد الكنيسة (٢ تس ٢: ٤ الخ)، حتى يُقال: "من هو مثل الوحش؟! من يستطيع أن يحاربه؟!" (رؤ ١٣: ٤)، "وأُعطي أن يصنع حربًا مع القديسين ويغلبهم، وأُعطي سلطانًا على كل قبيلة ولسان وأمة... هنا صبر القديسين وإيمانهم" (رؤ ١٣: ٧، ١٠). أمام هذا المُرّ يُقال: "من وجه الشر يُضم الصدّيق". إذ يُباد الصدّيقون أو يُضطهَدون ويُقتَلون.

تكشف لنا حياة منسى عن المسئولية الشخصية لكل إنسانٍ في علاقته بالله، فالملك منسى كان شريرًا، بذل كل جهده في إفساد كل إصلاح قام به والده حزقيا الملك الصالح. هذا وقد كان جده لأبيه آحاز ملكًا شريرًا. والعجيب أن ابن منسى يوشيا الملك الصالح. وكأن يوشيا الصالح ابن منسى الشرير، والأخير بن حزقيا الصالح، والأخير ابن آحاز الشرير.

والعجيب أن الله سمح أن يحكم منسى ٥٥ سنة أكثر من أي ملك من ملوك المملكتين، ربما لأجل تأديب الشعب الذي لم يبالِ بإصلاحات الملك الصالح حزقيا، بل حاولوا إرضاء الملك شكليًا، حتى إذ مات الملك سرعان ما كشفوا عن فسادهم الداخلي ومقاومتهم لعبادة الله.

هنا قد يتساءل المؤمن: ما هو دوري وأنا إنسان لا سلطان لي في المجتمع؟ يليق بكل مؤمنٍ أن يُصلِّي من أجل الملوك والرؤساء وأصحاب السلطان (١ تي ٢: ١-٨)، لا في مداهنة، وإنما من أجل الرب.

١. منسى عمل ما هو أقبح من الأمم

كَانَ مَنَسَّى ابْنَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ حَفْصِيبَةُ. [١]

منسى بن حزقيا: ملك لمدة ٥٥ عامًا (٦٩٧-٦٤٢ ق. م)، وهي أطول مدة حَكَمَ فيها ملك في المملكة المنقسمة. في أيام حُكْمِهِ بلغت المملكة الذروة. وكان يسودها سلام بين أشور ويهوذا، وذلك في أيام آسرحدون (٦٨١-٦٦٨ ق.م) وآشور بانبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م).

لم يكن منسى بالملك الصالح، لكن اللهِ أراد الكشف عن أمانته هو (الله) بالنسبة لشعبه بالرغم من عدم أمانة الملك والقادة والشعب.

كان حزقيا قصير النظر في اهتمامه بالدولة ككلٍ، وأيضًا في اهتمامه بأسرته، فنشأ ابنه لا على منوال أبيه الصالح، بل مقتديًا بجدِّه الشرير، فتبنَّى ممارسات البابليين والكنعانيين الشريرة، الذين طردهم الرب أمامهم، وسلمهم أرض الموعد.

لم يُصغِ منسى لأقوال الأنبياء، بل قاد شعبه إلى الخطية (٢ أي ٣٣).

دعا يوسف اسم بكره منسَّى، قائلاً لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي (تك ٤١: ٥١). ولعل حزقيا جعل لابنه هذا الاسم، لأن الله أقامه من مرضه، وأعطاه نسلاً بعد خوفه من أنه يموت بلا نسل، فأنساه كل تعبه. عند ولادته كان عمر أبيه حوالي ٤٢ سنة، ثلاث سنوات بعد شفائه من مرضه.

حفصيبة، معناها "مسرتي بها" (إش ٦٢: ٤).

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
حسَبَ رِجَاسَاتِ الأُمَمِ الَّذِين طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٢]

كان منسي متشامخًا بمركزه وهو صغير السن، حاسبًا نفسه أحكم من أبيه. إذ تسيَّب منسى، ليعيش حسب أهوائه، صار مستعبدًا لها، لكن عندما سمح الله له بالسبي، تاب ورجع إلى مملكته (٢ أي ٣٣: ١٣).

كان الإصلاح في أيام حزقيا مُفرحًا للشعب (٢ أي ٢٩: ٣٦). ولكن إلى حين، وليس من

القلب. لهذا إذ ملك منسى وهو ابن ١٢ سنة أماله الرؤساء إلى الرجوع إلى عبادة الأصنام، وربما كان إشعياء النبي قد مات، هذا الذي كان مشيرًا لأبيه وجده.

هذه هي المرة الوحيدة التي سمح الله لملكٍ شريرٍ أن تمتد مملكته كل هذا الزمان، ربما لأن كثير من القادة والشعب تظاهر بالتديُن في أيام أبيه الصالح حزقيا، لكن كانت تنقصهم مخافة الرب في قلوبهم. فأراد الله من جانب أن يفضح هؤلاء الأشرار أمام أنفسهم، لعلهم يندمون ويرجعون إليه. ومن جانب آخر سمح بذلك حتى إذ يُسبَى الملك الشرير في بابل، يندم ويتوب فيغفر له الرب ويرده إلى كرسيه. بهذا يكشف الله عن طول أناته مع الأشرار، منتظرًا توبتهم.

❖ كان منسى شريرًا إلى أبعد حد (٢ مل ٢١: ٢-٧). لقد نشر إشعياء ومزّقه، وتدنس بكل العبادات الوثنية، ولطّخ أورشليم بدم الأبرياء، لكنه عندما أُسر استخدم خبرته في محنته مستعينًا بالتوبة كعلاج، إذ يقول الكتاب عنه أنه تواضع جدًا أمام الرب، وصلَّى إليه، فاستجاب له، ورده إلي مملكته (٢ أي ٣٣: ١٢). فإن كانت التوبة قد أنقذت من نشر النبي ومزقه، أفما تخلصك أنت يا من لم ترتكب مثل هذا الشر العظيم؟![1]

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ أنا لم أطلب منه، وهو حملني على كتفيه، أحضرني إلى حظيرته.

بإرادتي انهزمتُ، لأن خطاياي أضلتني، والآن ندمتُ وأتيتُ، ألا يفتح لي الباب لئلا تأكلني الذئاب خارج حظيرته؟

يداه سُمرتا بالمسامير، ولم يتركني، لأنني كنت حبيبه، وجعلتني خطاياي غريبًا عنه.

والآن تذللتُ وعُدتُ، هل سيلقيني كالغصن المرذول؟

لا، يا دياني، شري لا يغلب حنانك.

لا يا رب، لست أقول إن ذنبي أكبر من أن يُغفَر.

التوبة تطلب منك، هذه التي اعتادت أيها الحنان أن تعكس كلامك، وتحل أحكامك. بعد أن أردتَ أن تقلب نينوى لأنها أخطأت، لم تسمح لك أن تقبلها بعد أن تابت... لم ترجع أبدًا التوبة بخجلٍ من باب الحاكم. لم يُوجد وقت لم يُستجَب فيه للتوبة؛ لم تطلب قط إلا ونالت...

قال واضع الناموس: "ليس جيدًا أن يؤخذ خبز البنين، ويُلقي للكلاب" (مت ١٥: ٢٦). تقول التوبة: "نعم، يحسن أن تأكل الكلاب من فُتات أصحابها"...

أسرعي أيتها النفس التائبة خطاكِ نحو التوبة وعيشي. ها أنتِ تسمعين ربك يحلف: "لا أريد موت الخاطي" (حز ٣٣: ١١).

---

[1] *Lecture 2: 14.*

لا تطلبي أن تمكثي في خطاياكِ لئلا تموتي. عودي إليه مثلما عادت سارة إلى إبراهيم (تك ١٢: ١٠- ٢٠).

لا يطيب لكِ عيش العالم، كما لا تطيب لسارة مائدة الملك مثل عِشرة إبراهيم.

لم تُعيَّر لأنها عادت، وأنتِ أيضًا لا تلامين إذا ذهبت (لله). إنك تُلامين لو لم تجيئي.

إن أتيتِ يبسط ذراعيه، ويستقبلكِ، ويحملكِ، ويقدمكِ لأبيه، ويفرح بكِ، ويحبكِ، ويقول لكِ هكذا:

"ها صورتنا المفقودة قد وُجدتْ،

ها ابنتنا المسلوبة قد رجعت،

ها مقتنانا الذي نهبه الغرباء قد عاد إلينا".

إذًا يصير في السماء فرح لجميع الملائكة. الذين يبتهجون بوجودكِ، ويُسرون بتوبتكِ، ويسبحون بعودتكِ. الآب الذي قبلكِ، والابن الذي آتى بكِ، والروح القدس الذي أعادكِ. له المجد والشكر والعظمة في كل الدهور إلى أبد الأبد، آمين[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ بالحقيقة يتحرك الإنسان الحكيم نحو التوبة عن أخطائه، أما الغبي فيجد مسرة فيها. "البار يتهم نفسه" (أم ١٨: ١٧)، أما الشرير فهو مدافع عن نفسه. البار يود أن يسبق متهمه في ذكر خطاياه، أما الشرير فيود أن يخفيها. واحد يندفع في بدء حديثه ليكشف عن خطيته، والآخر يحاول أن يستبعد الاتهام عنه بثرثرة حديثه كمن لا يكشف عن خطيته[2].

القدّيس أمبروسيوس

وَعَادَ فَبَنَى الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي أَبَادَهَا حَزَقِيَّا أَبُوهُ،

وَأَقَامَ مَذَابِحَ لِلْبَعْلِ، وَعَمِلَ سَارِيَةً،

كَمَا عَمِلَ أَخْآبُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ،

وَسَجَدَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. [٣]

كل ما أزاله حزقيا من شرور الكنعانيين في عبادتهم ورجاساتهم أعاده ابنه منسى.

"البعل": الإله الفينيقي الحارس. وقد سقط إسرائيل في هذه العبادة الوثنية منذ عصر القضاة (قض ٢: ١٣). وأقام الملك منسى تمثالاً للبعل في الهيكل نفسه (٢ مل ٢١: ٣، ٥، ٧).

عبادة كل جند السماء: ربما ترجع إلى زمان آحاز (٣٣: ١٢)، وأصلها من الأشوريين

---

[1] الرسالة الثانية والعشرون.

[2] *The Prayer of Job and David, Book 1, 6:20.*

والكلدانيين الذي كان منجموهم يدّعون أنهم يَصِلُون إلى معرفة المستقبل بمراقبة حركات الأجرام السماوية، التي كان بعض الوثنيين يتعبَّدون لها، وأن هذه الحركات لها أثرها على أمور العالم. وتُدعَى النجوم جند السماء بسبب كثرتها ونظامها. يرى البعض أنها لا تعني هنا الملائكة والطغمات السمائية، بل جند السماء الذين سقطوا.

كانت عبادة جند السماء ممنوعة تمامًا حسب شريعة الله (تث ٤: ١٩؛ ١٧ ٢-٧). هاجمها الأنبياء (إش ٤٧: ١٣؛ عا ٥: ٢٦). لم يصغِ منسى لا للشريعة ولا للأنبياء [٧، ٨؛ ٢ أي ٣٣: ٢-١٠].

وَبَنَى مَذَابِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ:
فِي أُورُشَلِيمَ أَضَعُ اسْمِي. [٤]

انحطَّ الشعب في ذلك الوقت، فأقاموا الأوثان في بيت الرب كما فعل منسى الذي "بنى مذابح في بيت الرب... ووضع تمثال السارية التي عمل في البيت" (٢ مل ٢١: ٣، ٧)، وارتكبوا الفحشاء هناك تحت اسم التكريس للرب.

كان لبيت الرب دار داخلية (١ مل ٦: ٣٦) أو دار للكهنة (٢ أي ٤: ٩)، ودار أخرى (١ مل ٧: ٨) التي كان فيها بيت الملك، وكانت دارًا كبيرة (١ مل ٧: ٩؛ ٢ أي ٤: ٩)، تحتوي على جميع الأبنية كالهيكل وقصر الملك وغيرهما. ولم يكتفِ منسَّى بإقامة ذبائح وثنية في أماكن خارجية كما فعل سليمان (١ مل ١١: ٧)، بل أقامها في نفس المكان الذي كان الرب قد وضع اسمه فيه.

وَبَنَى مَذَابِحَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ فِي دَارَيْ بَيْتِ الرَّبِّ. [٥]

وَعَبَّرَ ابْنَهُ فِي النَّارِ،
وَعَافَ وَتَفَاءَلَ وَاسْتَخْدَمَ جَانًّا وَتَوَابِعَ،
وَأَكْثَرَ عَمَلَ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ لإِغَاظَتِهِ. [٦]

عبد الإسرائيليون مولك بعد دخولهم أرض الموعد؛ فبنى سليمان هيكلاً له على جبل الزيتون (١ مل ١١: ٧)؛ وأجاز منسى ابنه في النار، تكريمًا لهذا التمثال. وكان تمثال هذا الإله مصنوعًا من النحاس، ويداه ممتدتين كما لو كانتا تطلبان أن تحتضنا الطفل المُقدَّم ذبيحة. كانوا يوقدون نارًا في التمثال النحاسي حتى يحمر تمامًا، ويضعون الطفل على الذراعين المحميتين بين دقات الطبول والرقص، فيحترق الطفل تمامًا. يظن البعض أن هذا كان يتم تكريمًا لكوكب زحل ساتورن وهو إله الزراعة عند الرومان، والبعض يحسبونه تكريمًا للشمس، والبعض كوكب عطارد

(رسول الآلهة، وإله التجارة والفصاحة والمكر واللصوصية عند الرومان).والبعض كوكب الزهرة، فينوس، إلهة الحب والجمال عند الرومان الخ.

وَوَضَعَ تِمْثَالَ السَّارِيَةِ الَّتِي عَمِلَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ابْنِهِ: فِي هَذَا الْبَيْتِ وَفِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ أَضَعُ اسْمِي إِلَى الأَبَدِ. [٧]

تمثال السارية: ربما كان حسب رسم أخذه من بلاد أشور. وكان التمثال عمودًا مزينًا بقرون تيوس، وعلى رأس العمود صورة نخلة، وحوله شبكة من معدنٍ فيها صور نخل وبراعم ورمان وكروز صنوبر وإشارات إلى كثرة التوالد وأعضاء التناسل مما يهيج الشهوات.

وَلاَ أَعُودُ أُزَحْزِحُ رِجْلَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُ لآبَائِهِمْ،
وَذَلِكَ إِذَا حَفِظُوا وَعَمِلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ،
وَكُلَّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِهَا عَبْدِي مُوسَى. [٨]

يؤكد الرب لشعبه أنه لن يسمح لهم بالسبي إن حفظوا الوصية وسلكوا فيها.

فَلَمْ يَسْمَعُوا، بَلْ أَضَلَّهُمْ مَنَسَّى،
لِيَعْمَلُوا مَا هُوَ أَقْبَحُ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [٩]

بعد عرض قائمة بتعديات منسى المتعمدة، من ممارسات قبيحة ورجاسات الأمم، وتدنيس هيكل الرب بوسيلة أو أخرى، دفع الشعب للشر حتى قيل: "أضلهم منسى، ليعملوا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل".

صاروا أشر من الأمم، لأنهم عرفوا الإله الحقيقي، ومعهم الشريعة، ولديهم الأنبياء، ومع ذلك سجدوا لآلهة كثيرة مختلفة، أما الأمم فسجدوا كل أمة لإلهها.

وكما يقول السيد المسيح: "وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد، ولا يفعل بحسب إرادته، فيُضرَب كثيرًا، ولكن الذي لا يَعلَم ويفعل ما يستحق ضربات يُضرَب قليلاً. فكل من أُعطي له كثيرًا يُطلَب منه كثير، ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر" (لو ١٢: ٤٧-٤٨).

❖ أضلهم منسّى ليفعلوا الشر أكثر مما فعله الأمم الذين أهلكهم أمام شعب إسرائيل[1].

قوانين الرسل القديسين

❖ لا يُناقش في جريمة من يعرف إرادة سيِّده ويهملها ولا يعمل ما هو لائق بها كواجب ملتزم به، إذ يُحسَب في عارٍ واضحٍ ويستحق ضربات كثيرة. لكن لماذا يتحمَّل ضربات ولو قليلة من لا

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, 2:22.*

يعلم إرادة سيِّده ولا يفعلها؟ لأنه لم يرد أن يعرفها مع أن في قدرته أن يعرفها...

إنها لدينونة عنيفة يسقط تحتها من يعلمون. هذا ما يظهره تلميذ المسيح القائل: "لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" (يع ٣: ١). فإن عطيَّة المواهب الروحيَّة وفيرة للذين هم رؤساء الشعب، إذ يكتب الحكيم بولس إلي الطوباوي تيموثاوس: **"فليعطك الرب فهمًا في كل شيء"** (٢ تى ٢: ٧)، **"لا تهمل أيضًا موهبة الله التي فيك بوضع يدي"** (راجع ٢ تى ١: ٦).

من هذا يظهر أن مُخلِّص الكل إذ يعطيهم أكثر يطالبهم أكثر.

ما هي الفضائل التي يطالبهم بها؟ الثبات في الإيمان، والتعليم الصحيح، والتأسيس حسنًا في الرجاء، والصبر بلا زعزعة، والقوَّة الروحيَّة التي لا تُغلَب، والفرح والشجاعة في كل تقدَّم حسن، بهذا نصير قدوة للآخرين في الحياة الإنجيلية. فإن عشنا هكذا يمنحنا المسيح الإكليل، الذي به ومعه السبح والسلطان للآب والروح القدس إلي أبد الأبد آمين[1].

القدِّيس كيرلس الكبير

❖ انظر كيف يكشف بوضوح لنه لأمر خطير أن يخطئ إنسان بمعرفةٍ عن أن يخطئ بجهلٍ ومع هذا فليس لنا أن نحتمي تحت ظلال الجهل، لأنه يوجد فارق بين أن تكون جاهلاً، وأن تكون غير راغبٍ في المعرفة. فالإنسان الذي قيل عنه إنه "كف عن التعقل عن عمل الخير (مز ٣٦: ٣) إرادته مخطئة وليس له حق الاعتذار بالجهل. ومع هذا فالجهل لا يبرر أحدًا أو يعفيه عن عقاب النار الأبديَّة... وإنما ربَّما يخفف عن العقوبة، إذ لم يقل عبثًا... "معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله" (٢ تس ١: ٨)[2].

القدِّيس أغسطينوس

❖ أي عذر لنا نحن الذين دخلنا القصر، وحُسبنا أهلاً أن ندخل الهيكل، وصرنا شركاء في التمتُّع بالأسرار غافرة الخطايا، ومع هذا نسلك أشر من اليونانيين (الأمم) الذين لم يشتركوا في شيءٍ من هذا القبيل؟[3]

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

٢. الله يهدد بالتأديب

وَقَالَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ، قَائِلاً: [١٠]

---

[1] *In Luc Ser 93.*
[2] *On Grace & Freewill 5.*
[3] *In Ioan hom 34: 1.*

مِنْ أَجْلِ أَنَّ مَنَسَّى مَلِكَ يَهُوذَا قَدْ عَمِلَ هذِهِ الأَرْجَاسَ،
وَأَسَاءَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِي عَمِلَهُ الأَمُورِيُّونَ الَّذِينَ قَبْلَهُ،
وَجَعَلَ أَيْضًا يَهُوذَا يُخْطِئُ بِأَصْنَامِهِ [١١]

أرسل الله لهم عبيده الأنبياء وهم هوشع ويوئيل وناحوم وحبقوق وإشعياء يُقدّمون لهم كلمات الرب من نصائح وإرشادات، وإن لم يسمعوا يُقدّموا لهم تحذيرات نبوية.

جاء حديث الرب خلال أنبيائه هنا أشبه بصحيفة اتهام ضد الملك وكل مملكته، على أساسها يصدر الحكم ضدهم، ما لم يرجعوا إلى الرب بالتوبة.

يقصد بالأموريين هنا جميع الكنعانيين (١ مل ٢١: ٢٦؛ عا ٢: ٩: ١٠).

عندما يخطئ الملك ينظر إليه الشعب كقدوة، فيتمثلون به، لذلك إذ أخطأ منسى الملك وعبد الأصنام، جعل مملكة يهوذا تخطئ، وإن كانت توجد قلة أمينة للرب لم تقتدِ بالملك.

لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ:
هَئَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا،
حَتَّى أَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ تَطِنُّ أُذْنَاهُ. [١٢]

يُعلن الله عن خطورة التأديب بقوله: **"كل من يسمع به تطن أذناه"**، وهو تعبير جاء في (١ صم ٣: ١١) عندما أخبر الله صموئيل النبي الصغير عما سيحل ببيت عالي الكاهن، حيث يُقضَى على بيته إلى الأبد، ولا يُكفر عن شره بذبيحة أو تقدمة. وأيضًا في (٢ مل ٢١: ١٢) عندما تحدث عن الشر الذي يحل على أورشليم ويهوذا بسبب رجاسات الملك منسى الذي سفك دمًا بريئًا كثيرًا جدًا حتى ملأ أورشليم. واستخدمه إرميا أيضًا ضد الكهنة والملوك مع كل الشعب السالك وراءهم.

يشير هذا التعبير إلى ارتكاب شرٍ عظيمٍ يقشعر كل من يسمع خبره. ويكشف عما وراء التهديدات من مرارة قاسية.

جاء في إرميا: "هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: هأنذا جالب على هذا الموضع شرًا كل من سمع به تطن أذناه" (إر ١٩: ٣). إذ يتحدث عن التأديب الذي يحل بهم، فيبدو كضعيفٍ غير قادرٍ على الدفاع عن شعبه كإله إسرائيل مع أنه رب الجنود السماوية، إذ يُسلِّم شعبه كما في ضعفٍ لأجل خلاصهم الأبدي.

لو أن الله ينتقم من الشرير مهما بلغ شره، لما كان يهدد، إنما يسمح بالتأديبات دون إنذار. الآن إذ ينذر إنما لكي يدفع منسى ومن معه إلى التوبة، فيرفع الله عنهم هذه التأديبات. هذا ما أكده

القديس يوحنا الذهبي الفم في مناسبات كثيرة[1].

وَأَمُدُّ عَلَى أُورُشَلِيمَ خَيْطَ السَّامِرَةِ، وَمِطْمَارَ بَيْتِ أَخْآبَ،
وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ كَمَا يَمْسَحُ وَاحِدٌ الصَّحْنَ.
يَمْسَحُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى وَجْهِهِ. [١٣]

المثل الذي يُقدِّمه الله للإنذار قوي، فإن كان شعب يهوذا ارتعب لما حدث مع إسرائيل من مرارة، فما حلَّ بمملكة إسرائيل يحل أيضًا بمملكة يهوذا، لأن الله ليس لديه محاباة. خراب السامرة كان شديدًا، ففقدت كل شيءٍ، كما يمسح الإنسان صحنًا ويقلبه، إذ لا يترك فيه أية آثار.

يُستخدَم الخيط والمطمار للبنيان، كما يُستخدمان أيضًا للهدم والدمار.

"**كما يمسح واحد الصحن**"، أي لا يبقى في أورشليم شيءٌ ما من مجدها وغناها. هذا التعبير يحمل احتقارًا، حيث تشبه أورشليم بصحنٍ، وأهلها بأقذارٍ يلزم إزالتها منه ليكون الصحن نظيفًا.

يقول الرب بإشعياء: "وأجعل الحق خيطًا، والعدل مطمارًا" (إش ٢٨: ١٧)، وقاس داود النبي الموآبيِّين بالحبل للقتل وبحبلٍ للاستحياء (١ صم ٨: ٢).

وَأَرْفُضُ بَقِيَّةَ مِيرَاثِي،
وَأَدْفَعُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ،
فَيَكُونُونَ غَنِيمَةً وَنَهْبًا لِجَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ، [١٤]

بقوله: "**أرفض بقية ميراثي**" لا يعني إزالة العهد الذي أُقيم مع داود (مز ٨٩: ٣٠-٣٧)، إنما يعني أن يهوذا التي كانت تُحسَب البقية لميراث ملكوت الله، لا تُعفى من التأديب على خطاياها.

ميراث الرب شعبه الذي يعتز به، وحين انشقت مملكة إسرائيل ورفضت الكهنوت اللاوي الذين من نسل هرون، كما رفضت بيت داود، رفض الرب هذا القسم من ميراثه، وصارت مملكة يهوذا بقية ميراثه، بقيت حوالي ١٤٠ سنة حتى سقطت هي أيضًا في السبي.

لأَنَّهُمْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ،
وَصَارُوا يُغِيظُونَنِي مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ آبَاؤُهُمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. [١٥]

الكتاب المقدس (العهد القديم) ليس تسجيلاً لغضب الله على شعبه، إنما هو تسجيل لطول أناة الله عبر التاريخ منذ أن أخرج شعبه من مصر على يدي موسى، وهو ينتظر أن يحمل ثمرًا، لكن الشعب يحمل تمردًا وعنادًا ومقاومة للحق الإلهي.

[1] *Cf. Concerning the Statues, homily 5:5-6; On Lazarus and the Rich Man, homily 6; On Repentance and Almsgiving 5:4*

عملوا الشر في عينيّ الرب، فمن خطاياهم أنهم سجدوا على سطوح البيوت لكل جند السماء، وسكبوا سكائب لآلهة أخرى (إر ١٩: ١٣)، وصنعوا كعكًا لملكة السماء في شوارع أورشليم (إر ٧: ١٨)، وبنوا مرتفعات توفة في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار (إر ٧: ٣١)، وكان عند بيت الرب بيوت المأبونين، وكانت النساء ينسجن بيوتًا للسارية (٢٣: ٧)، وكان الرؤساء أسودًا زائرة، والقضاة ذئابًا مفترسة، والأنبياء متكبرين غدّارين، والكهنة منجسي القدس مخالفي الشريعة (صف ٣: ٣-٤). وكان في المدينة إثم وجور واغتصاب وظلم وخصام (حب ١: ٣-٤).

وَسَفَكَ أَيْضًا مَنَسَّى دَمًا بَرِيئًا كَثِيرًا جِدًّا،
حَتَّى مَلأَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الْجَانِبِ إِلَى الْجَانِبِ،
فَضْلاً عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي بِهَا جَعَلَ يَهُوذَا يُخْطِئُ بِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. [١٦]

تعرَّض المؤمنون المخلصون لله لا إلى مضايقات فحسب، بل وإلى سفك دمائهم (يوئيل ٣: ١٩). ولعل سفك الدم هنا يشير إلى الأبرياء الذين يُقدِّمون ذبائح بشرية للأوثان بغير إرادتهم، مثل الأبناء الأبرياء الذين يُقدّمهم آباؤهم.

جاء في التقليد أنه في أثناء المذابح الجماعية التي قام بها منسى نُشر إشعياء نصفيْن عندما حاول أن يختبئ في كتله مجوفة من الخشب (عب ١١:٣٧-٣٨)، وربما قُتل أنبياء آخرون في ذلك الوقت أيضًا.

واضح أن الذين تمسكوا بعبادة الرب، ورفضوا العبادة الوثنية، كانوا كثيرين، مات كثيرون كشهداء، إذ ملأ دمهم شوارع أورشليم.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ مَنَسَّى وَكُلُّ مَا عَمِلَ،
وَخَطِيَّتُهُ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [١٧]

إذ لم يبالِ منسى بما حذره به رجال الله الأنبياء، صار سجينًا اقتاده ملك أشور. وإذ سقط في السبي رجع إلى الله ، إذ قيل عنه: "ولمّا تضايق طلب وجه الرب إلهه، وتواضع جدًّا أمام إله آبائه. وصلّى إليه، فاستجاب له وسمع تضرعه، وردّهُ إلى أورشليم إلى مملكته. فعلم منسّى أن الرب هو الله." (٢ أي ٣٣: ١٢-١٣).

❖ لقد سمعتم، أبناءنا المحبوبين، كيف أن الرب الإله عاقبه إلى حين ذاك الذي كان يُدمن عبادة الأوثان، وقتل أبرياءً كثيرين، ومع هذا عندما تاب قبله وغفر له معاصيه وردّ له مملكته، فإنه

ليس فقط يغفر للتائبين، بل ويرد لهم كرامتهم السابقة (٢ أي ٣٣: ١٢-١٣)[1].

قوانين الرسل القديسين

❖ هكذا ارتكب (منسى) مفاسد لا تُعَد، ومدَّ يديه على القديسين، وجلب رجاسات في الهيكل، وملأ المدينة بالقتل، وصنع أمورًا كثيرة فوق كل اعتبارٍ، ومع هذا بعد ممارسة شرٍ عظيمٍ لمدة طويلة، غسل نفسه من هذا كله بالتوبة وفحص نفسه. فإنه لا توجد خطية لا تخضع لقوة التوبة وتفسح الطريق لها، بل بالحري بنعمة المسيح إن أردنا أن نتغير، فهو يُعيننا. وإن أردتم أن تكونوا صالحين، ليس من يعوقكم عن ذلك، بل بالحري يوجد واحد يعوقنا، الشيطان، الذي ليس له سلطان، مادمتم تختارون ما هو أفضل، وتجتنبون الله لمعونتكم[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن إذ يتأمل (منسى) في شروره ييأس في الإصلاح والتوبة، ويفقد كل ما ناله فيما بعد. لكنه إذ تأمل في حنو الله الذي بلا حدود عوض شناعة معاصيه يُحطِّم قيود الشيطان، وقام وصارع معه وتمم الجانب الصالح[3].

ديونسيوس

ثُمَّ اضْطَجَعَ مَنَسَّى مَعَ آبَائِهِ،
وَدُفِنَ فِي بُسْتَانِ بَيْتِهِ فِي بُسْتَانِ عُزَّا،
وَمَلَكَ آمُونُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [١٨]

"**بستان عُزَّا**": واضح أنه لم يُدفَن مع ملوك يهوذا. يرى البعض أن بستان عُزَّا كان مزارًا مقدسًا لإله وهمي.

دُعي الملك عزيا أو عزريا عُزَّا.

دُفن خمسة عشر ملكًا من ملوك يهوذا في مدينة داود، ودُفِنَ منسى وابنه آمون في بستان عُزَّا، ودُفِنَ الأربعة الآخرون، واحد في مصر، واثنان في بابل، وواحد وهو يهوياقيم لم يُدفَنْ.

٣. آمون سلك في طريق أبيه

كَانَ آمُونُ ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ سَنَتَيْنِ فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ مَشُلَّمَةُ بِنْتُ حَارُوصَ مِنْ يَطْبَةَ. [١٩]

---

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, 2:22.*
[2] *Homilies on Matt., homily 22:6*
[3] *Orthodox Study Bible.*

تبع هذا الملك الشرير والده في شره، كما تبع أخزيا أباه آخاب الشرير (١ مل ٢٢: ٥١-٥٣).

يبدو أن بعض الشعب لم يستحسنوا العبادة الوثنية، فقتلوا آمون ليُملِّكوا ابنه يوشيا وهو ابن ثماني سنين فقط، لكي يرجعوا إلى عبادة الرب، وأحاطوه من صغره بوسائلٍ تساعده على الارتباط بالإيمان بالله.

يطبة: ربما هي يطبات المذكورة في (عد ٣٣: ٣٣).

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، كَمَا عَمِلَ مَنَسَّى أَبُوهُ. [٢٠]

وَسَلَكَ فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَ فِيهِ أَبُوهُ،

وَعَبَدَ الأَصْنَامَ الَّتِي عَبَدَهَا أَبُوهُ، وَسَجَدَ لَهَا. [٢١]

❖ لا توجد خطية أخطر من عبادة الأوثان، فإنها عقوق ضد الله، ومع هذا حتى هذه الخطية تُغفَر بالتوبة الصادقة. أما إن أخطأ أحد متخذًا موقفًا مضادًا، وعن عمدٍ يحاول حتى إن كان الله يعاقب الشرير أو لا يعاقبه، مثل هذا ليس له مغفرة، حتى إن قال لنفسه: "يكون لي سلام، أسلك حسب عادات قلبي الشرير" (راجع تث ٢٩: ١٩). مثل هذا يكون كآمون بن منسّى... إذ برَّر آمونُ عصيانه قائلاً: أبي منذ طفولته كان عاصيًا جدًا، وتاب في شيخوخته؛ الآن أنا أسلك حسبما تشتهي نفسي، وبعد ذلك أرجع للرب". وصنع شرًا في عينيّ الرب أكثر من كل الذين سبقوه. فأهلكه الله تمامًا، وحرمه من أرضه الصالحة. وغدر به عبيده، وقتلوه في بيته، ولم يملك سوى سنتين[1].

قوانين الرسل القديسين

وَتَرَكَ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِ وَلَمْ يَسْلُكْ فِي طَرِيقِ الرَّبِّ. [٢٢]

٤. اغتيال آمون وإقامة ابنه يوشيا ملكًا

وَفَتَنَ عَبِيدُ آمُونَ عَلَيْهِ،

فَقَتَلُوا الْمَلِكَ فِي بَيْتِهِ. [٢٣]

لم يُشِرْ الكتاب إلى سبب اغتياله، هل بسبب شره أم لأسباب سياسية بسبب علاقته مع أشور.

فَضَرَبَ كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ جَمِيعَ الْفَاتِنِينَ عَلَى الْمَلِكِ آمُونَ،

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, 2:23.*

وَمَلَّكَ شَعْبُ الأَرْضِ يُوشِيَّا ابْنَهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٤]

قام الشعب بقتل الذين اغتالوه.

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ آمُونَ الَّتِي عَمِلَ،

مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٢٥]

وَدُفِنَ فِي قَبْرِهِ فِي بُسْتَانِ عُزَّا،

وَمَلَكَ يُوشِيَّا ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ. [٢٦]

من وحي ٢ مل ٢١

لتُشرِقْ كلمتك بالنور على قلبي،

وليعمل روحك القدوس في حياتي!

❖ أي عذر يمكن أن يُقدِّمه منسى الملك عن فساده.

نشأ في بيت والده التقي،

وأرسلتَ له أنبياء أتقياء ينطقون بكلمتك!

وبطول أناتك احتملته.

❖ إلهي لم تُرسلْ لي ملاكًا ولا رئيس ملائكة ولا نبيًا لخلاصي.

بل نزلتَ إليَّ، وحملتَ عاري على الصليب،

وفتحتَ لي باب الفردوس،

ولم تدعني معوزًا شيئًا من فيض حبك ونعمتك.

❖ لتُشرِقْ بنور كلمتك في أعماقي،

فلا تتسلل الظلمة في داخلي.

وليعمل روحك القدوس في حياتي.

كلمتك تنير لي الطريق،

وروحك يحملني، فأطير إلى السماء.

❖ لتُمرِّر الخطية في فمي، فلا أشتهيها.

ولتكشف لي أسرار حبك،

فأرتمي في أحضانك، راجعًا إليك.

أنت كلي الحب والرحمة!

حزقيا الملك الصالح ومنسى ابنه الشرير

حزقيا الملك الصالح	منسى ابنه الشرير
١. اتكل على الرب، ولم يكن مثله من الملوك (٢ مل ١٨:٥).	١. عمل الشر في عيني الرب (٣٣:١).
٢. اهتم ببيت الرب والعبادة (٢ أي ٢٩).	٢. أعاد بناء المرتفعات التي هدمها والده (٣٣:١).
٣. أحيا الاحتفال بالفصح ودعا الشعب من المملكتين ودخلت صلواتهم إلى السماء (٣٠).	٣. أضل يهوذا وسكان أورشليم للاقتداء بالأمم (٣٣:٩).
٤. دعا الشعب للطاعة للرب (٣٠:٨).	٤. لم يصغِ هو وشعبه إلى كلمة الرب (٣٣:١٠).
٥. أنقذه ملاك الرب هو وشعبه من أشور (٣٢:٢٤).	٥. اقتيد إلى بابل مُقَيَّدًا بسلاسل نحاس (٣٣:١١).
٦. كان لحزقيا غِنَى وكرامة كثيرة جدًا (٣٢:٢٩)، "وأفلح حزقيا في كل عمله" (٣٢:٣).	

اَلأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

الملك الصالح يوشيا

اعتلاء يوشيا الملك الصالح العرش كان آخر محاولة قُدِّمتْ من قِبَل الله ليهوذا الذي كان قد فسد تمامًا، خاصة في السبعة والخمسين عامًا الأخيرة، في عصر منسى وابنه آمون الشريرين.

حقًا كان قد سبقهما الملك حزقيا، لكن كما سبق فرأينا أنه بالرغم من المجهودات الضخمة التي بذلها حزقيا للإصلاح، كان كثير من القادة والشعب ليس فيهم مخافة الرب، وغير مُخلِصين في تجاوبهم لإصلاحات حزقيا، لذا إذ مات الملك استطاعت بعض القيادات الشريرة أن تتبنَّى حركة الفساد خلال تأثيرها على الملك الصغير السن.

يظهر مدى ما بلغته مملكة يهوذا من شر أن الهيكل كان قد هُجر تمامًا، ولم يعرف أحد مكان سفر الشريعة. وكان العثور عليه يُمَثِّل مفاجأة حتى بالنسبة لحلقيا الكاهن العظيم كما للملك وكاتبه. ومع استقامة قلب يوشيا الملك لم يكن يعرف حتى الخطوط العريضة لسفرِ الشريعة، وحين سمع ما ورد في السفر مزَّق ثيابه، وطلب من بعض القادة مثل حلقيا الكاهن أن يسألوا خلدة النبية أن تسأل الرب عما يفعلوه.

وإذ يعلم الرب عدم إخلاص الشعب وكثير من القادة، أعلن عن سبي يهوذا، مع ضم المَلِك إلى آبائه، حتى لا ترى عيناه ما سيحل بالمملكة من شرٍ!

١. الطفل يوشيا ملك على يهوذا ١-٢.
٢. ترميم بيت الرب ٣-٧.
٣. اكتشاف سفر الشريعة في بيت الرب ٨-٩.
٤. قراءه السفر وتفاعل الملك معه ١٠-١١.
٥. الملك يبعث مندوبين للنبية خلدة ١٢-١٤.
٦. إعلان غضب الرب على المملكة ١٥-١٧.
٧. إعلان ضم المَلِك إلى آبائه ١٨-٢٠.

١. الطفل يوشيا ملك على يهوذا

كَانَ يُوشِيَّا ابْنَ ثَمَانِ سِنِينٍ حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ إِحْدَى وَثَلاَثِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ يَدِيدَةُ بِنْتُ عَدَايَةَ مِنْ بُصْقَةَ. [١]

كلمة "يوشيا" بالعبرية معناها "يهوه يشفي" أو "الرب يعين"، وذلك مثل كلمة "كورش" (إش ٤٤: ٢٨؛ ٤٥: ١).

إذ استلم الحُكمَ وهو طفل، لم يتأثر بوالده آمون ولا بجدّه منسى، إنما انفتحت عيناه على أخطائهما، وأعطاه الله نعمة كي يتعلَّم من أخطائهما. انطبق عليه قول الرب لحزقيال النبي: "وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب. أما الابن فقد فعل حقًا وعدلاً حفظ جميع فرائضي وعمل بها، فحياة يحيا" (حز ١٨: ١٩).

يمكن القول إن هذا الملك العجيب صار مثلاً رائعًا إذ لم يتشامخ بالرغم من استلامه السلطة وهو طفل صغير، ولعل سرّ ذلك أنه كان خاضعًا لمشورة القلة القليلة المقدَّسة للرب، يسمع لهم في الرب، ويتجاوب معهم. كان في أيدي مشيرين صالحين، ربما كان من بينهم صفنيا النبي.

إنه أحد الملوك الصالحين إن لم يكن أفضل ملك في إسرائيل ويهوذا منذ تنيح داود الملك. لقد بدأ بداية حسنة، واستمر فيها، وانتهت حياته وهو مُقَدَّس للرب[1].

إذ تحدث **القديس أغناطيوس الأنطاكي** عن ضرورة تكريم الأسقف الشاب، قدَّم أمثلة كثيرة لشخصيات صغيرة السن تستحق كل وقارٍ وتكريمٍ، فكتب:

["ليس الكثيرو الأيام حكماء، ولا الشيوخ يفهمون الحق، ولكن في الناس روحًا" (أي ٣٢: ٨-٩). فإن دانيال الحكيم وهو في الثانية عشرة من عمره ملكه الروح الإلهي، وأفحم الشيوخ، الذين باطلاً كان شعرهم فيه شيب، فكانوا شهود زور وشهوانيين يشتهون جمال امرأة الغير (تتمة دانيال ١٢).

وصموئيل وهو طفل صغير وبَّخ عالي الذي بلغ التسعين من عمره، لأنه كرم بنيه أكثر من الله (١ صم ٣: ١).

بنفس الطريقة تسلم إرميا رسالته من الله: "لا تقل إني ولد" (إر ١: ٧).

سليمان أيضًا ويوشيا هما مثالان لنفس الأمر. الأول صار ملكًا في الثانية عشرة من عمره، قدَّم حكمًا رهيبًا في أمر المرأتين بخصوص طفليهما (١مل٣: ١٦)، والأخير إذ تولى العرش عندما بلغ الثامنة (٢ مل ٢٢، ٢٣) هدم مذابح (الأوثان) وهياكلها...

لذلك صغر السن لا يُحتقَر، إذ كُرِّس لله. إنما من كان ذهنه شريرًا، فهو مُحتقَر حتى إن كان شيخًا ومملوء أيامًا.

كان تيموثاوس حامل المسيح شابًا، لكن اسمع ما كتبه عنه معلمه: "لا يستهن أحد بحداثتك، بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام، في التصرف" (١ تي ٤: ١٢).[2]]

[1] *Cf Adam Clarke.*

[2] *Epistle of Ignatius to the Magnesians, 3 (longer version).*

جاء في الدسقولية عن إمكانية سيامة الأسقف الشاب متى كان حسن السيرة وله شهادة من جيرانه.

❖ صار سليمان ملكًا على إسرائيل وهو في الثانية عشرة من عمره (١ مل ١٢ LXX)، ويوشيا في الثامنة من عمره مَلَكَ ببرٍ، وبنفس الطريقة يوآش مَلَكَ على الشعب في السابعة من عمره (٢ أي ٢٤: ١؛ ٢ مل ١١: ٣، ٤). لذلك وإن كان الشخص شابًا، فليكن وديعًا لطيفًا وهادئًا. إذ يقول الرب الإله بواسطة إشعياء: "إلى من أنظر إلاَّ إلى المتواضع والهادئ والمرتعد من كلامي؟!" (إش ٦٦: ٢). وبنفس الطريقة جاء أيضًا في الإنجيل: "طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض" (مت ٥: ٥)[1].

الدسقولية

ذكر اسم أمه "**يدِيْدة**" غالبًا ما يشير ما لها من دورٍ حيويٍ في حياة ابنها في طفولته وشبابه، وهو المؤنث للاسم الثاني لسليمان الحكيم "يديديا" (٢ صم ١٢: ٢٥)، أعطاه له الرب خلال ناثان النبي، ومعناه "محبوب يهوه".

إذ قامت "المحبوبة من الرب"، والتي تحمل روح كنيسة المسيح عروسه المحبوبة، أرضعت ابنها من لبن الإيمان العديم الغش، وكان ثمره هذا الآتي:

أ. مع فساد الكثير من القادة والشعب لم ينسحب معهم للشر، بل بقي أمينًا في محبته للرب، فصار مثل كوكبٍ منيرٍ في وسط جيلٍ مظلمٍ وملتوٍ. كان مجده في الداخل يتحدى الشر، ولا يهادنه.

ب. انشغل بترميم بيت الرب، مهما كلفه ذلك.

ج. إذ وُجد سفر الشريعة قام بتكريمه، بتهيئة مكانٍ في قلبه كخزانة ثمينة أمام الرب. لم يقم بتمزيقه لإراحة ضميره كغيره من الملوك، بل قام بتمزيق ثيابه الملوكية ليتسلم ثوب البرّ بعمل نعمة الله، الذي لا تقدر الخطية أن تُفسِدَه!

د. إذ عاش بقلبه مع آبائه المقدسين في الرب مثل داود الملك، تأهل حتى في زمن الضيق الشديد أن يضمه الرب إلى آبائه، حتى لا ترى عيناه ما سيحل بالمملكة من شرٍ عظيمٍ. هكذا انضم الابن المحبوب من الله إلى القديسين المحبوبين في الرب!

وَعَمِلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ،
وَسَارَ فِي جَمِيعِ طَرِيقِ دَاوُدَ أَبِيهِ.
وَلَمْ يَحِدْ يَمِينًا وَلاَ شِمَالاً. [٢]

---

[1] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 2. 1: 1.*

بدأ يوشيا الحكم وهو ابن ثماني سنوات فقط، ومع هذا قلما نجد ملكًا مثله أطاع الله تمامًا.

غالبًا ما يتهم الناس في كل الأجيال الجيل الجديد بأنه غير ملتزم وغير ناضج. هذه النظرة قديمة قدم الإنسان منذ سقوطه، لكن يوشيا بن منسى وأمثاله يؤكدون أن كثيرًا من أبناء الجيل الجديد أحكم وأنقى وأقدس من بعض أبناء الجيل الحالي، فيوشيا الطفل لا يقارَن بأبيه الشرير آمون وجده منسى.

لقد بدأ إصلاحاته وهو في السادسة والعشرين، لكن حياته المقدسة في صبوته وشبابه كانت رصيدًا له، تسنده في كل أعماله العظيمة.

سار يوشيا في طريق الرب المستقيم، أي بقي مشتاقًا أن يتمم مشيئة الله المقدسة، لا ينحرف خارج محبة الله ونعمته، بهذا لم يحد يمينًا ولا يسارًا.

٢. ترميم بيت الرب

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشَرَةَ لِلْمَلِكِ يُوشِيَّا،

أَرْسَلَ الْمَلِكُ شَافَانَ بْنَ أَصَلْيَا بْنِ مَشُلاَّمَ الْكَاتِبَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ قَائِلاً: [٣]

في السنة الثامنة عشرة من حكمه (٦٢٢ ق. م) بدأ يوشيا حملة إصلاح للهيكل (٤-٧؛ ٢ أي ٣٤: ٨-٣٣).

جاء في (٢ أي ٣٤: ٣-٧) أنه في الثامنة من ملكه ابتدأ يطلب إله داود أبيه، وفي الثامنة عشر ابتدأ يُطَهِّر يهوذا وأورشليم من المرتفعات والسواري والتماثيل، كما هدم المذابح والسواري وقطع التماثيل في منسى وأفرايم وشمعون حتى نفتالي. وفي ذلك الوقت ابتدأ إرميا يتنبأ (إر ١: ٢)، وكان يسند الملك في هذا العمل.

شافان: الكاتب الرسمي للدولة تحت حكم يوشيا، ساعد يوشيا الملك في إصلاحاته. جاء ذكره في سفر إرميا، وكان ابنه أخيقام واقفًا إلى جانب إرميا ليخلصه من الذين طلبوا قتله (إر ٢٦: ٢٤؛ ٣٩: ١٤). إذا كان "شافان" هذا هو نفسه الرجل المذكور في إرميا (٢٥: ٢٤) يكون "جمريا" أخو "أخيقام". ولقد كان اسم "جمريا" شائعًا إلى حد ما في القرن السابع ق.م. وتذكر إحدى رسائل "لخيش" (اللوح الأول) "جمريا بن هيسيل ياهو" في عام ٥٨٩ ق.م.

للأسف أنجب شافان يازنيا الرجل الفاسد الذي تزعم عبادة الأوثان في عصر حزقيال.

❖ أزال العبادات الغريبة التي أدخلها منسّى، وحطَّم الهياكل والمذابح (الوثنية). في ذات السنة الثامنة عشرة أمر بالتكفير عن الهيكل، كما طلب من الكهنة أن يقوموا بإصلاحات، وجاء بعاملين يجمعون الحجارة ومواد للبناء وأمورًا أخرى نافعة للبناء، كما دبَّر المال اللازم للتكاليف المتوقعة. صار يحاكي جده لأبيه يوآش دينيًا (٢ مل ١٢: ٤-١٦) في غيرته التقوية.

إعادة تجديد الهيكل في ذلك الوقت لم يكن بالأمر الهيّن بالنسبة لما حدث قبل ذلك، فإنه في أثناء حكم منسّى لمدة خمسة وخمسين عامًا (٢ مل ٢١: ١-١٨) أهمِلَ الهيكل أو انتهكتْ مُقدَّساته[1].

القدّيس مار أفرآم السرياني

فَيَحْسِبَ الْفِضَّةَ الْمُدْخَلَةَ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا حَارِسُو الْبَابِ مِنَ الشَّعْبِ، [٤]

قام حلقيا الكاهن بدور رئيسي في الإصلاح الديني، الأمر الذي أكمله الملك الشاب، وكان إصلاح الهيكل تحت إشرافه.

لقد أُهمل بيت الرب لسنين طويلة خاصة في أيام جده التي امتدت مدة حكمه ٥٥ عامًا وفي أيام أبيه. لم يكن يوجد من ينشغل بعبادة الله الحي ولا بيته، ولعله قد تجمع الكثير من المال المُقدَّم للبيت دون الاهتمام بالعناية بالمبنى عبر الزمن.

أرسل الملك إلى الكاهن العظيم لجمع المبلغ المودع لحساب بيت الرب كي يُستخدَم في ترميم البيت.

في الفترة منذ توليه الحكم وهو في الثامنة من عمره حتى بلغ السادسة والعشرين، قام الملك مع أوصيائه بإصلاحات تخص بلدهم من جوانب كثيرة، منها إزالة العبادة الوثنية وبصماتها. يمكننا القول بأنها كانت فترة إعداد للبدء في ترميم الهيكل والاهتمام بعبادة الله الحي.

فَيَدْفَعُوهَا لِيَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ الْمُوَكَّلِينَ بِبَيْتِ الرَّبِّ،
وَيَدْفَعُوهَا إِلَى عَامِلِي الشُّغْلِ الَّذِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ لِتَرْمِيمِ ثُلَمِ الْبَيْتِ: [٥]

مع كل عمل صالح جاد حتمًا يبعث عدو الخير مقاومين، لكن من جانبٍ آخر فإن الله يعطي كل إنسانٍ من هم يسلكون حسب قلبه أيضًا. فإذ كان قلب يوشيا نقيًا، وقام بتطهير بلده من كل أثر للعبادة الوثنية لم نسمع عن مقاومة تُذكَر، لأن الله أعطاه هو والقائمين معه على العمل نعمة، فحُسبتْ المقاومة كلا شيء ولم يُشر إليها الكتاب. وأعطاه الله عاملين للشغل في إصلاح وترميم بيت الرب يعملون بغيرة مقدسة وأمانة [٧].

كثيرًا ما نُخَطِّط ونضع حسابات تبدو صعبة وأحيانًا مستحيلة حين نسعى للإصلاح، لكن يوجد عنصر هام يقود كل الأمور، ألا وهو تقديسنا الحقيقي والخفي لحساب ملكوت الله. بهذا يقود القدوس نفسه حركة الإصلاح، ويُرسِل أناسًا مخلصين وأمناء يعملون بقوةٍ وغيرةٍ مقدسة.

لِلنَّجَّارِينَ وَالْبَنَّائِينَ وَالنَّحَّاتِينَ،
وَلِشِرَاءِ أَخْشَابٍ وَحِجَارَةٍ مَنْحُوتَةٍ لأَجْلِ تَرْمِيمِ الْبَيْتِ. [٦]

[1] *On the Second Book of Kings, 22:1.*

إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُحَاسَبُوا بِالْفِضَّةِ الْمَدْفُوعَةِ لأَيْدِيهِمْ،
لأَنَّهُمْ إِنَّمَا عَمِلُوا بِأَمَانَةٍ. [٧]

٣. اكتشاف سفر الشريعة في بيت الرب

فَقَالَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ:
قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ.
وَسَلَّمَ حِلْقِيَّا السِّفْرَ لِشَافَانَ، فَقَرَأَهُ. [٨]

يُقصَد بسفر الشريعة غالبًا أسفار موسى الخمسة أو سفر التثنية أو أجزاء منها (تث ٢٨-تث ٣١) كما يظن البعض. وهو يحتوي على تجديد العهد مع الله في سهول موآب. والذي يُحذِّر بقوة الذين يفسدون كلمة الله وعبادته[1]. هذا السفر وُضِعَ بجانب تابوت العهد (تث ٣١: ٢٦)، فُقد أو أُخفي أو غُيِّر مكانه أثناء الحكم الشرير لمنسى وابنه آمون.

بسبب السلسلة الطويلة من الملوك الأشرار ضاع سفر شريعة الله. وكانت تُنسَخ الشريعة بكمية قليلة جدًا، وفي زمن الملوك الأشرار لم يسأل أحد عنها، وكان الكهنة واللاويون يمارسون خدمتهم الدينية بدون كتاب، غالبًا ما كان قد أُخذ من مكانه حتى لا يراه الشعب ويبكي على خطاياه الكثيرة.

بعناية الله وُجِدَ هذا السفر في أيام يوشيا المملوء غيرة نحو عبادة الله والهيكل والشريعة. لو أنه وُجِدَ في وقت ملك آخر ربما كان قد مزّقه الملك وحرقه، كما فعل صدقيا بخصوص نبوات إرميا (إر ٣٦: ٢٣).

سمح الله باكتشافه في ذلك الوقت، لأن السبي كان على الأبواب، وقد تأجّل بسبب فضيلة يوشيا [١٩-٢٠].

كان سماع الشعب كله للشريعة ضروريًا في ذلك الوقت، لكي يدرك الكل أن طريق العودة من السبي هو التوبة والرجوع إلى الله، وليس التخطيطات البشرية والقوة العسكرية، فالسبي يتم لا بسبب نقص أو ضعف في الإمكانيات العسكرية، إنما بسبب الشر والإصرار عليه سواء من جهة القادة أو الشعب.

حسب الشريعة كان يلزم حفظ نسخة من الشريعة بجوار تابوت العهد في قدس الأقداس (تث ٣١: ٢٥-٢٦)، وقد اختفت أثناء حكم الملوك الأشرار، خاصة منسى وابنه آمون. اختفت هذه النسخة لأحد الأسباب التالية:

أ. إذ أُهمِلَ الهيكل والعبادة فيه لم ينشغل أحد بهذه النسخة، فأُلقيتْ في الهيكل في زاوية

---

[1] *Cf. Adam Clarke's Commentary & Jamieson Fausset and Brawn Commentary.*

منه خلال الإهمال لعدم معرفتهم بقيمتها، وذلك كما يحاول بعض الأشخاص غير المهتمين بخلاصهم التخلُّص من الكتب المقدسة التي لديهم. ومع الزمن الطويل ينسى الشخص أين تخلَّص من الكتب، وبالتالي لا يفكر أبناؤه وأحفاده فيها.

ب. ربما أراد أحد الملوك الأشرار الخلاص من هذه لا بتمزيقها أو إحراقها، إنما بإخفائها حتى لا يُفَكِّر أحد في القراءة فيها، ومع الزمن لا تعود ترى النور.

ج. ربما إذ انتشرت العبادة الوثنية أراد أحد الأحباء للكتاب المقدس إخفاء النسخة، حتى لا تسقط في يد الملك، فيقوم بحرقها أو تمزيقها.

د. في كل الحالات بسماح من الله ورعايته الفائقة سمح بإخفائها لسبب أو آخر لكي تظهر في عصر يوشيا الملك الصالح، وتُقرأ قبل أن تسقط المملكة في السبي.

وَجَاءَ شَافَانُ الْكَاتِبُ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ:
قَدْ أَفْرَغَ عَبِيدُكَ الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْبَيْتِ،
وَدَفَعُوهَا إِلَى يَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ وُكَلاَءِ بَيْتِ الرَّبِّ. [٩]

٤. قراءه السفر وتفاعل الملك معه

وَأَخْبَرَ شَافَانُ الْكَاتِبُ الْمَلِكَ:
قَدْ أَعْطَانِي حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ سِفْرًا.
وَقَرَأَهُ شَافَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ. [١٠]

سمع الملك الشاب كلمة الله لأول مرة في حياته، فمزَّق ثيابه في توبةٍ صادقةٍ. لم يكن يود أن يسلك في الطريق بحسب فكره البشري، إنما حسب كلمة الله.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلاَمَ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ، مَزَّقَ ثِيَابَهُ. [١١]

لكلمة الله فاعليتها في حياة المؤمن. لقد أدرك الملك قوة الكلمة الإلهية، فإنه إذ سمع الملك كلمة الله، مزَّق ثيابه، وقام بالإصلاح فورًا، وغيَّر مسار الشعب. يُقَدِّم لنا الآباء خبرتهم مع كلمة الله.

لم يفرح الملك بالنسخة، فأراد الاحتفاظ بها في قصره كنوعٍ من البركة، ولا طلب حفظها كنسخة أصلية أثرية لها قيمتها وتقديرها، إنما طلب من كاتبه شافان أن يقرأها أمامه، وإذ سمع ما ورد فيها مزَّق ثيابه، وأودع النسخة في قلبه وفكره، لكي يتمتع بالتوبة وتجديد العهد مع الله.

❖ معرفة الكتب المقدسة تُقَوِّي الروح، وتُنَقِّي الضمير، وتنزع الشهوات الطاغية، وتُعَمِّق الفضيلة، وتسامى بالعقل، وتعطي قدرة لمواجهة المفاجآت غير المنتظرة، وتحمي من ضربات الشيطان،

وتنقلنا إلى السماء عينها، تُحَرِّر الإنسان من الجسد، وتهبه أجنحة للطيران[1].

❖ عظيم هو نفع الكتب الإلهية!

عونها يحمل إلينا كل كفاية! هذا ما أعلنه بولس قائلاً: "لأن كل ما سبق فكُتب لأجل تعليمنا، نحن الذين انتهيت إلينا أواخر الدهور" (رو ١٥: ٤، ١ كو ١٠: ١١)...

الأقوال الإلهية هي كنز، هي مصدر غني بالأدوية، بها يستطيع الإنسان - إن أراد - أن يطفئ الكبرياء، وينعم بالهدوء في نومه، ويطأ محبة المال تحت قدميه، ويستهين بالألم، وينعم بالثقة، ويقتني الصبر[2].

❖ لا يمكن لمن أُنعِمَ عليه بفاعلية كلام الله أن يبقى هكذا في هذا الانحطاط الحاضر، بل بالأحرى يطلب له جناحين ينطلق بهما حالاً إلى الأرض العلوية، مكتشفاً نور الصالحات غير المحدودة[3].

❖ إن كان الشيطان يعجز عن الاقتراب من بيتنا مادام قد وُضِعَ فيه الكتاب المقدس، فكم بالأولى لا يقدر روح شرير أو قوة خاطئة على الدخول في نفس تحمل مشاعر إنجيلية، أو حتى الاقتراب منها!

إذن فلتقدس نفسك وجسدك،

ليكن لك هذا في قلبك وعلى لسانك[4].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تعليمك ممتلئ عيون نور من كل جانب، وهو يُنقِّي طريق العالم من العثرات[5].

القديس مار يعقوب السروجي

بتواضعه تمتع الملك بفاعلية كلمة الله في حياته.

❖ لا نقرأ في الكتب المملوءة تواضعًا عندما يوجد فينا الكبرياء.

إن لم تغطس النفس تحت التراب بالتواضع، لا يظهر لها جمال الكتاب، لأن جماله موجود حيث يشاهد تواضعه.

كُتُبُ الابن تُعلِّمك أن تتواضع. أطلبُ منك ألا تقرأ فيها وأنت منتفخ بالكبرياء.

ابن العلي الذي نزل من السماء، وهو فوق الكل سُمِّي متواضعًا وأحقر الناس، لأنه كان

---

1 *De Stud. Paes. PG 63: 485.*
2 *In Joan., hom 37: 1.*
3 *Ibid hom 1: 6.*
4 *Ibid., hom 32: 3.*

٥ القس أغسطينوس البرلموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

متواضعًا بالحقيقة، وهو يقول لك: تعلَّم مني، لأنني وديع ومتواضع في قلبي[1].

❖ أنا لكلمتك كمثل تلميذ، وبتعليمك أصِلُ إلى الحقيقة[2].

القديس مار يعقوب السروجي

٥. الملك يبعث مندوبين للنبية خلدة

وَأَمَرَ الْمَلِكُ حِلْقِيَّا الْكَاهِنَ وَأَخِيقَامَ بْنَ شَافَانَ وَعَكْبُورَ بْنَ مِيخَا وَشَافَانَ الْكَاتِبَ وَعَسَايَا عَبْدَ الْمَلِكِ: [١٢]

اذْهَبُوا، اسْأَلُوا الرَّبَّ لأَجْلِي وَلأَجْلِ الشَّعْبِ وَلأَجْلِ كُلِّ يَهُوذَا،
مِنْ جِهَةِ كَلاَمِ هذَا السِّفْرِ الَّذِي وُجِدَ.
لأَنَّهُ عَظِيمٌ هُوَ غَضَبُ الرَّبِّ الَّذِي اشْتَعَلَ عَلَيْنَا.
مِنْ أَجْلِ أَنَّ آبَاءَنَا لَمْ يَسْمَعُوا لِكَلاَمِ هذَا السِّفْرِ،
لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا. [١٣]

واضح هنا أن سفر الشريعة كان موجودًا في زمان آبائهم، وفُقِدَ في زمان حديث. إذ سمع يوشيا كلمات الناموس أدرك في الحال أن مملكته قد انحرفت عن الله، وأخذ خطوات عملية للإصلاح. وكما يقول الرسول بولس إن بالناموس معرفة الخطية (رو ٣: ٢٠)، أما العلاج العملي فهو الالتقاء بالمُخلِّص غافر الخطايا، إذ يقول: "كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرَّر بالإيمان" (غل ٣: ٢٤).

فَذَهَبَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ وَأَخِيقَامُ وَعَكْبُورُ وَشَافَانُ وَعَسَايَا إِلَى خَلْدَةَ النَّبِيَّةِ،
امْرَأَةِ شَلُّومَ بْنِ تِقْوَةَ بْنِ حَرْحَسَ حَارِسِ الثِّيَابِ.
وَهِيَ سَاكِنَةٌ فِي أُورُشَلِيمَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَكَلَّمُوهَا. [١٤]

خلدة النبية: ذَكَرَ الكتاب المقدس نبيات أعطيت لهن مواهب مقدسة، مثل مريم النبية أخت هرون التي خرجت تضرب بالدف وسط النساء تُرنِّم تسبحة النصرة بعد عبور البحر الأحمر (خر ١٥: ٢٠)، ودبورة القاضية (قض ٤: ٣-٤)، وزوجة إشعياء (إش ٨: ٣)، وخلدة النبية (٢ مل ٢٢: ١٤) وحنة بنت فنوئيل (لو ٢: ٣٦) وأربع بنات فيلبس المُبَشِّر (أع ٢١: ٩). كما يتحدث حزقيال النبي عن النبيات الكاذبات اللواتي حوَّلن كلمة الرب إلى تجارةٍ ومكسبٍ مادي: "أفتصطدن نفوس شعبي، وتستحيين أنفسكن، وتتجسنني عند شعبي لأجل حفنة شعير ولأجل فتات من الخبز

[1] ٢١٧ ترجام على أحد الشعانين (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).
[2] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

لإماتة نفوس لا ينبغي أن تموت، واستحياء نفوس لا ينبغي أن تحيا بكذبكن على شعبي السامعين للكذب" (حز ١٣: ١٨-١٩). إنها تجارة رديئة، تُباع النفوس بثمنٍ بخسٍ، من أجل حفنة شعير أو فتات من الخبز، يُسلِّمن النفوس البريئة للموت، ويبرئن النفوس الشريرة المستحقة للموت.

لم يُشِر الكتاب المقدس إلى خلدة النبية إلا هنا وفي (٢ أي ٣٤: ٢٢-٢٨)، لكن واضح مدى اعتزاز القادة الروحيين بآرائها وأفكارها في الرب. لقد كانت ملتهبة بالغيرة المقدسة، تتحدث مع الله، وهو يكشف لها عن أسرار خطته نحو المملكة. قامت بعمل النبوة في أيام إرميا النبي وصفنيا. يُقال إن شلُّوم زوجها قريب إرميا النبي (إر ٣٢: ٧-١٢).

يتساءل **العلامة أوريجينوس** إن كان الرسول بولس يوصي النساء بالصمت في الكنيسة، فكيف وُجِدتْ نساء نبيات في العهدين القديم والجديد.

❖ إن كان الأمر هكذا، ماذا نقول عن فيلبس الذي كان له أربع بنات يتنبأن؟ إن كن قادرات على فعل ذلك، لماذا لا يُسمَح للنبيات عندنا أن يتنبأن؟

نجيب على هذا السؤال هكذا.

أولا: إن كانت النبيات لدينا يتكلمن، فلتَظهرن علامات النبوة فيهن.

ثانيًا: حتى إن كانت بنات فيلبس يتنبأن لم يفعلن ذلك داخل الكنيسة. هكذا في العهد القديم بالرغم من أن دبورة قيل إنها كانت نبية (قض ٤:٤) لم توجد أية إشارة أنها وجَّهت حديثًا للشعب مثل إشعياء أو إرميا، نفس الأمر بالنسبة لخلدة (٢ مل ٢٢: ١٤)[1].

العلامة أوريجينوس

❖ [الصلاة التي تُتلَى في إقامة الشمامسة]

أيها الإله السرمدي، أب ربنا يسوع المسيح، خالق الرجل والمرأة، يا من زوَّد بالروح مريم ودبُّورة وحنَّة وخُلدة (خر ١٥: ٢٠؛ قض ٤:٤؛ لو ٢: ٣٦؛ ٢ مل ٢٢: ١٤)، يا من لم يستنكف ولادة ابنه الوحيد من امرأة[2]...

دساتير الرسل القديسين

❖ تنبأ نساء أيضًا. في القديم مريم أخت موسى وهرون (خر ١٥: ٢٠)، وبعدها دبورة (قض ٤: ٤)، بعدهما خلدة (ع ١٤) ويهوديت (يهوديت ٨)، الأولى في عهد يوشيا والثانية في أيام داريوس. كذلك والدة الإله تنبأت ونسيبتها اليصابات وحنة (لو ١، ٢). وفي أيامنا بنات فيلبس (أع ٢١: ٩). ومع هذا هؤلاء لم يَسْخَرن برجالهن، بل حفظن قدرهن. لذلك إن كان بينكم من

---

[1] *Comm. On 1 Cor. 4:74 6-16.*
[2] *Constitutions of the Holy Apostles, Book 8, Sec 3:20.*

نال موهبة – رجلاً كان أم امرأة – فليكن متواضعًا لكي يسر الله به[1].

الدسقولية

❖ لسنا في حاجة أن ندهش أن خلدة النبية، زوجة شالوم، استشارها يوشيا ملك يهوذا، عندما اقترب السبي، وكان غضب الله يحلّ على أورشليم، فإن هذا هو تدبير الكتاب المقدس عندما يفشل الرجال القديسون يُمتدَح النساء لتوبيخ الرجال[2].

القديس جيروم

يرى البعض أن طلب الملك من رئيس الكهنة وكاتب الملك وغيرهما من القادة أن يذهبوا للنبية خلدة يسألونها باسم الملك عن الطريق الذي يتخلص فيه من اللعنات الواردة في سفر الشريعة يُعتبَر أمرًا فريدًا. فقد كان إرميا قد بدأ عمله النبوي، لكن في ذلك الحين كان في قرية عناثوث، يصعب الوصول إليه، خاصة وأن أهله كانوا ضده، وسبق أن اتهموه بالخيانة الوطنية. أما صفنيا الذي بدأ عمله النبوي في أيام يوشيا الملك، فلم يكن بعد قد بدأ العمل. وكان رئيس الكهنة وكاتب الملك الماما بالأمور المقدسة، لكن ربما خشي الملك أنه بسبب مركزهما لا يجسران على النطق بصراحة بخصوص حلول اللعنات والمتاعب على المملكة، لذا فضّل الملك الالتجاء إلى نبية، قد عُرِفَ الأنبياء بالصراحة وعدم إخفاء ما سيحل بالمملكة بسبب غضب الله!

٦. إعلان غضب الرب على المملكة

فَقَالَتْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ.
قُولُوا لِلرَّجُلِ الَّذِي أَرْسَلَكُمْ إِلَيَّ: [١٥]

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَئَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سُكَّانِهِ،
كُلَّ كَلاَمِ السِّفْرِ الَّذِي قَرَأَهُ مَلِكُ يَهُوذَا، [١٦]

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَأَوْقَدُوا لآلِهَةٍ أُخْرَى لِيُغِيظُونِي بِكُلِّ عَمَلِ أَيْدِيهِمْ،
فَيَشْتَعِلُ غَضَبِي عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَلاَ يَنْطَفِئُ. [١٧]

٧. إعلان ضم الملك إلى آبائه

وَأَمَّا مَلِكُ يَهُوذَا الَّذِي أَرْسَلَكُمْ لِتَسْأَلُوا الرَّبَّ، فَهَكَذَا تَقُولُونَ لَهُ:
هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ مِنْ جِهَةِ الْكَلاَمِ الَّذِي سَمِعْتَ: [١٨]

---

[1] *Constitutions of the Apostles, Book 8. 2.*
[2] *Against Jovinianus Book 1·25.*

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ رَقَّ قَلْبُكَ وَتَوَاضَعْتَ أَمَامَ الرَّبِّ،
حِينَ سَمِعْتَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سُكَّانِهِ،
أَنَّهُمْ يَصِيرُونَ دَهَشًا وَلَعْنَةً،
وَمَزَّقْتَ ثِيَابَكَ وَبَكَيْتَ أَمَامِي.
قَدْ سَمِعْتُ أَنَا أَيْضًا يَقُولُ الرَّبُّ. [١٩]

لِذَلِكَ هَنَنَذَا أَضُمُّكَ إِلَى آبَائِكَ،
فَتُضَمُّ إِلَى قَبْرِكَ بِسَلاَمٍ،
وَلاَ تَرَى عَيْنَاكَ كُلَّ الشَّرِّ الَّذِي أَنَا جَالِبُهُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ.
فَرَدُّوا عَلَى الْمَلِكِ جَوَابًا. [٢٠]

مات يوشيا في معركة (٢٣: ٢٩-٣٠)، ومع هذا كان وعد الله له على لسان خلدة "**فتُضم إلى قبرك بسلام**". وكان موته في المعركة يُعتبَر في عيني الله موت بسلام. هذه الميتة أفضل بكثير من بقائه حيًا يرى الكوارث التي تحل بشعبه، فتتمرر نفسه جدًا. لذلك قيل: "وجه الصديق يُضم من الشر".

مات يوشيا بعدما مَلَكِ ٣١ سنة، ودُفن في قبور آبائه، وناح عليه كل يهوذا وأورشليم، ورثاه إرميا، فترك ذكرًا طيبًا، وانضم إلى قبره بسلام، وإن كان قد قُتل في الحرب.

من وحي ٢ مل ٢٢

ضُمني إلى آبائي فيك يا رب!

❖ أشكرك يا رب، لأنك وهبتني يديدة المحبوبة لك أمًا لي.
حسبتني ابنًا لكنيستك أتمتع بلبنها المقدس.
أشرب من لبن التعليم السليم طعامًا مقدسًا للروح.
أختبر أحضانك المفتوحة لي وتترقب اتكائي فيها.
تستقر أعماقي فيك، فأصير محبوبًا منك.
ولا تستريح نفسي حتى أحب كل البشر!
متى يجتمع كل البشر فيك،
لتحمل روحك يا محب البشر؟!

❖ لأهرب إليك وأختبئ فيك يا حصن حياتي.

فلا تستطيع كل قوى إبليس أن تغويني.
ولا تتسلل الحية القديمة إلى عدن التي في داخلي.

❖ اهتم يوشيا بترميم بيتك الذي ثار ضده ملوك سابقين.
بروحك الناري تُقيم هيكلك المقدس في أعماقي.
تصير نفسي أورشليم الجديدة، أيقونة السماء!
سفر شريعتك منحوت بروحك القدوس في قلبي.
لأحفظ إنجيلك فيلتهب قلبي بتهليل سماوي لا ينقطع.

❖ كلمتك قوية وجبارة،
تحملني من مجدٍ إلى مجدٍ،
وتضمني إلى صفوف السمائيين،
وتهبني عربون السماء!

❖ أنضم إلى خورس السمائيين، كما إلى خورس المؤمنين.
تُرَى هل هما خورسان أم خورس واحد للسمائيين والبشر؟!
لأنضم إلى آبائي، ولا ترى عيناي الشر الذي يحل بالأشرار.

❖ ضُمَّني إليك فأثبت فيك،
وتُسَر نفسي بثبوت الملايين بل والبلايين فيك!

❖ هب لي ألا استصغر نفسي،
لأني فيك وبك أستطيع كل شيء.
هبْ لي مع الطفل الملك يوشيا،
أن أبدأ حسناً، وأسير حسناً، وأنطلق من العالم حسناً!
لتكن أنت هو البداية، تسير معي كل طريق حياتي.

❖ إلهي، كم تشتهي نفسي تقديس العالم كله.
من يقدر أن يتقدس، وقد بدا كأن عدو الخير وضع العالم في الظلمة؟
هبْ لي يا أيها القدوس أن أتقدَّس،
فتقود بروحك القدوس كل حركة إصلاح.
تُرسِل أناسًا مُقدَّسين غيورين على ملكوتك!

اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

إصلاحات يوشيا وموته

إن كان يوشيا هو آخِر ملك صالح في يهوذا، فلماذا أورد الكاتب إصلاحاته قبل موته؟ مع تأكيد أن "الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم، لأن غضبه حمي على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التي أغاظه إياها منسي" [٢٦]؟

لقد بدأ إرميا خدمته في السنة الثالثة عشرة لملك يوشيا (٦٢٦ ق.م)، أي قبل حوالي خمس سنوات من حركة الإصلاح الدينية العظيمة الواردة في (٢ مل ٢٣)[1]، واستمر في عمله النبوي حتى حوالي سنة ٥٨٦ ق.م، أي لمدة حوالي ٤٠ عامًا. بالرغم من مقاومة يوشيا الملك للوثنية بكل طاقاته، لكن تيار الفساد كان متغلغلاً في النفوس. لم يهتم الرؤساء المدنيون والدينيون والشعب أيضًا بإصلاح قلوبهم، مكتفين بترميم الهيكل وممارسة العبادة في شكليات بلا روح، ممتزجة بالرجاسات الوثنية، لذلك كانت دعوة إرميا النبي تتركز في **الإصلاح القلبي**.

لقد سمح الله بقيام المُصلِح العظيم يوشيا الملك بعد منسى وآمون الملكين الشريرين، لكي لا يجد القادة والشعب عذرًا لأنفسهم. فإن كانوا قد تجاوبوا مع منسى الشرير وأيضًا ابنه آمون، فقد أرسل المُصلِح المستقيم في عمله، ومع هذا بقوا في قلوبهم أشرارًا. تجاوبوا في المظهر الخارجي، أما قلوبهم فبقيت في شرها. وكأن قيام يوشيا يُعتبر آخِر فرصة للقادة والشعب أن يرجعوا بقلوبهم للرب، فلم يرجعوا.

١. اجتماع شعبي حول كلمة الله	١-٣.
٢. تطهير الهيكل من العبادة الوثنية	٤-٦.
٣. هدم بيوت المأبونين	٧.
٤. تطهير مدن يهوذا والمرتفعات	٨-٩.
٥. تنجيس توفة	١٠.
٦. إزالة مركبات الشمس	١١.
٧. إزالة مذابح الملوك الأشرار	١٢-٢٠.
٨. الاحتفال بعيد الفصح	٢١-٢٥.
٩. غضب الرب على يهوذا	٢٦-٢٧.
١٠. مقتل يوشيا في مجدو	٢٨-٣٠.

---

[1] *Unger's Survey of the Bible, 1981, p. 191.*

١١. يهوآحاز وأسره ٣١-٣٣.

١٢. إقامة يهوياقيم ملكًا ٣٤-٣٧.

١. اجتماع شعبي حول كلمة الله

وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ،
فَجَمَعُوا إِلَيْهِ كُلَّ شُيُوخِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ. [١]

وَصَعِدَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ،
وَجَمِيعُ رِجَالِ يَهُوذَا وَكُلُّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ،
وَالْكَهَنَةُ وَالأَنْبِيَاءُ وَكُلُّ الشَّعْبِ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ،
وَقَرَأَ فِي آذَانِهِمْ كُلَّ كَلاَمِ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ الَّذِي وُجِدَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [٢]

عندما أُبلغ رئيس الكهنة الملك بوجود سفر الشريعة في بيت الرب، وقدَّمه لشافان كاتب الملك، قام الكاتب بقراءته أمام الملك (٢ مل ٢٢: ١٠). الآن يقوم الملك بنفسه بقراءة السفر، وهذا أمر غريب، إذ كان غالبًا ما تُترك القراءة لرئيس الكهنة أو أحد الأنبياء مثل إرميا وصفنيا وغيرهما متى كانوا حاضرين، لكن بسبب غيرة الملك واشتياقه أن يدخل الكل في تجديد العهد مع الله قام الملك نفسه بقراءته.

رأينا في الأصحاح السابق كيف أهمل الكل كلمة الله حتى لم يكن أحد يعرف أين توجد نسخة سفر الشريعة الخاصة بالهيكل. لاحظنا أن الملك وهو يسمع ما ورد في النسخة كان كمن يسمعها لأول مرة. الآن اشتاق الملك أن تكون الشريعة المقدسة هي الأساس الذي تُبنى عليه كل المملكة، من الملك ورجال قصره إلى رئيس الكهنة والقادة الدينيين والمدنيين.

القول: **"جميع رجال يهوذا وكل سكان أورشليم"** لا يستلزم حضور كل شخصٍ، بل نواب الشعب على اختلاف رتبهم. ويُقصَد بالأنبياء جميع الذين يتكلمون عن الرب، مثل المُعلِّمين والمُصلِحين لحياة الشعب الروحية.

"قرأ كلام سفر الشريعة" مثل موسى (خر ٢٤: ٣-٨) ويشوع (٨: ٣٤- ٣٥). سار يوشيا على منهج القادة الأتقياء القدامى (تث ١٧: ١٨-٢٠؛ ٣١: ٩-١٣)، واجتمع بالشعب لتجديد العهد مع الله (يش ٢٤). بقوله: **"قرأ كل كلام سفر الشريعة"** لا يعني أنه قرأ أسفار موسى الخمسة كلها، إنما قرأ الوصايا وكل ما يختص بواجبات الشعب نحو الرب.

يبدأ الإصلاح الحقيقي بالالتقاء معًا حول كلمة الله، فمع التزامنا بالعلاقة الشخصية مع الله خلال كلمته، يليق أن نجتمع معًا بروح الحب والوحدة. فكلمة الله هي أساس كل إصلاح على مستوى شخصي كما على مستوى كنسي أو جماعي.

هذا ومن جانب آخر، فإن اجتماع الكل معًا إنما يحمل دعوة للحب الأخوي في الرب، بدونه لا ننعم ببركات الكلمة الإلهية. وكما يقول **القديس مار يعقوب السروجي** بأنه يليق بالمتكلم والسامع كلاهما أن يتسما بالحب.

❖ اسمعوني أنتم إذًا بالمحبة، كما أتكلم (بالمحبة)، فبدون المحبة لا تُسمَع الكلمة العجيبة.

من يحب يجد الكثير من التعليم، لأن المحبة تفتح الباب لقبول الكلمة[1].

❖ ليجلبك الحب، كما أن الحب يحركني أنا أيضًا لأتكلم، لأن الفائـدة لا تُجمَـع إلا بالمحبة[2].

❖ يلزم أن تقوم المحبة مثل الوسيط، لأنه من يسمع بلا محبة لا يفهم[3].

القديس مار يعقوب السروجي

وَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَى الْمِنْبَرِ،
وَقَطَعَ عَهْدًا أَمَامَ الرَّبِّ لِلذَّهَابِ وَرَاءَ الرَّبِّ،
وَلِحِفْظِ وَصَايَاهُ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ بِكُلِّ الْقَلْبِ وَكُلِّ النَّفْسِ،
لإِقَامَةِ كَلاَمِ هَذَا الْعَهْدِ الْمَكْتُوبِ فِي هَذَا السِّفْرِ.
وَوَقَفَ جَمِيعُ الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَهْدِ. [٣]

وقف الملك على المنبر أو المنصة النحاسية التي صنعها سليمان، وقد اعتاد الملوك أن يقفوا عليها عندما كانوا يوجهون حديثًا للشعب (٢ أي ٦: ١٣).

غاية الله دخولنا في عهد مع الله. قيل: "الكلام الذي صار إلى إرميا من قِبَل الرب قائلاً: اسمعوا كلام هذا العهد، وكلموا رجال يهوذا وسكان أورشليم" (إر ١١: ١-٢). يرى البعض أن النبي يشير هنا إلى الملك يوشيا والشيوخ الذين أكدوا ولاءهم للعهد المُقام بين الله وشعبه على جبل حوريب بسيناء، العهد الذي سُجِّل في درج (كتاب)، وُوجِدَ في الهيكل أثناء الإصلاح، وقد ارتبطوا به وتعهدوا أن يتمموا كلماته المكتوبة (٢ مل ٢٣: ٣). فالحديث هنا موجه إلى مندوبين من قِبَل الملك.

يرى **العلامة أوريجينوس أن الكلام الذي صار إلى إرميا من قبل الرب هو الكلمة الإلهي، إذ يقول:**

---

[1] الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[2] الميمر ١٩ على سؤال ربنا وعلى التجلي الذي قبله سمعان من الآب (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[3] الميمر ٧٩ على البرقع الذي على وجه موسى (خر ٣٤: ٣٣-٣٥) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[إذا تأملنا في قصة مجيء ربنا يسوع المسيح كما وصفتها الكتب التاريخية، كان مجيئه في الجسد مرة واحدة فقط خلالها أنار العالم كله: "والكلمة صار جسدًا، وحل بيننا". كان بالفعل "النور الحقيقي الذي ينير لكل إنسانٍ آتيًا إلى العالم، كان في العالم، وكوِّن العالم به، ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء، وخاصته لم تَقْبله".

مع ذلك يجب أن نعرف أنه **جاء أيضًا قبل ذلك**، وإن لم يكن بالجسد. **جاء في كل واحدٍ من القديسين!** كما أنه بعد مجيئه المنظور بالجسد يأتي إلينا أيضًا الآن.

إن كنتَ تريدُ دليلاً على هذا، أنصت إلى هذه الكلمات: "**الكلام (الكلمة) الذي صار إلى إرميا من قِبل الرب قائلاً: اسمعوا**".

ما هي إذًا تلك **الكلمة** التي صارت إلى إرميا أو إلى إشعياء أو حزقيال أو إلى غيرهم من الأنبياء، من قِبَل الرب، إلا **الكلمة الذي كان عند الله منذ البدء**؟ بالنسبة لي، لا أعرف **كلمة** أخرى للرب إلا التي قال عنها يوحنا الإنجيلي: "**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله**".]

يلزمنا أن نعرف هذا: كان مجيء **الكلمة** أيضًا على مستوى شخصي. لأنه ماذا يفيدني إن كان الكلمة قد جاء إلى العالم، بينما أنا لا أحمله؟ لكن على العكس، حتى لو لم يكن قد جاء بعد إلى العالم كله، وكنت أنا مثل الأنبياء، يجيء إليَّ الكلمة. أقول مؤكِدًا أن السيد المسيح جاء إلى موسى وإلى إرميا وإلى إشعياء وإلى كل واحدٍ من الأبرار، وأن الكلمة التي قالها لتلاميذه: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"، تحققت بالفعل قبل مجيئه. كيف كان لهؤلاء الأنبياء أن ينطقوا بكلام الله إن لم يكن كلمة الله قد جاء إليهم؟... ماذا نسمع نحن أيضًا من هذا (الكلمة) الكلام؟

رجال يهوذا هم نحن، لأننا مسيحيون، وجاء المسيح من سبط يهوذا. إذا كنت قد أوضحت من خلال الكتاب المقدس أن كلمة "يهوذا" يُقصَد بها السيد المسيح، فإن رجال يهوذا في هذه الحالة لن يكونوا اليهود الذين لا يؤمنون بالسيد المسيح، وإنما نحن كلنا الذين نؤمن به.

يتعلَّق الأمر هنا بالكنيسة، لأن الكنيسة هي مدينة الله، ومدينة السلام، وفيها يتراءى ويعظم سلام الله المُعطي لنا، إذا كنا نحن أيضًا أبناء سلام.

يقول **العلامة أوريجينوس**: [مَن الذي يسمع أفضل لكلام العهد الذي أمر الله به الآباء؟ هل الذين يؤمنون به، أم الذين – بحسب الأدلة الموجودة عندنا – لا يؤمنون حتى بموسى حيث أنهم لم يؤمنوا بالرب؟ يقول لهم المخلص: "لو كنتم آمنتم بموسى لآمنتم بي أنا أيضًا، لأنه تكلم عني في كتبه، ولكن إن كنتم لا تؤمنون بكتاباته، فكيف تؤمنون بكلامي؟" إذًا لم يؤمن هؤلاء الناس بموسى، أما نحن، فبإيماننا بالسيد المسيح، نؤمن أيضًا بالعهد الذي أُقيم بواسطة موسى، أي "**العهد**

الذي أمرت به آباءكم".[1]]

لم يظهر هنا أن الرب تكلم أو وعد شعبه بشيءٍ جديدٍ، بل كان الحديث كله من جانب الشعب وكان عهدهم أن يرجعوا إلى الله، ويحفظوا الشريعة التي أهملوها، فلم يكن العهد مع الرب، بل أمام الرب [٣].

كيف نجلب شعب الله للتجديد؟ بالاستماع إلى كلمة الله، وتعلمها. لقد جمع يوشيا الشيوخ والشعب لسماع كلمة الله، فالكل قادة وشعبًا في حاجة أن يعيشوا خلال إعلان الله.

❖ يبدو أن العهود واستلام الناموس هما ذات الشيء، لكنني أظن أنه يوجد فارق بينهما. فالناموس أُعطي مرة واحدة بواسطة موسى، وأن العهد أُعطي مرارًا (مثل تك ٩: ٨-١٧؛ ١٥: ١٨؛ ٢ صم ٢٣: ٥). ففي كل مرة يخطئ الشعب يُطرَح، ويفقدون الميراث. وفي كل مرة يستعطفون الله يدعوهم مرة أخرى لميراث ممتلكاتهم. إنه يُجَدِّد العهود، ويُعلِن أنهم ورثة مرة أخرى[2].

العلامة أوريجينوس

وقوف الشعب علامة تقديرهم وتوقيرهم لكلمة الله، وقبولهم كل ما قرأه الملك في آذانهم.

٢. تطهير الهيكل من العبادة الوثنية

وَأَمَرَ الْمَلِكُ حِلْقِيَّا الْكَاهِنَ الْعَظِيمَ وَكَهَنَةَ الْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ وَحُرَّاسَ الْبَابِ،
أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ هَيْكَلِ الرَّبِّ جَمِيعَ الآنِيَةِ
الْمَصْنُوعَةِ لِلْبَعْلِ وَلِلسَّارِيَةِ وَلِكُلِّ أَجْنَادِ السَّمَاءِ،
وَأَحْرَقَهَا خَارِجَ أُورُشَلِيمَ فِي حُقُولِ قَدْرُونَ،
وَحَمَلَ رَمَادَهَا إِلَى بَيْتِ إِيلَ. [٤]

إذ كانت كلمة الله مفقودة، ولا موضع لها في قلوب الجميع، فلا ندهش إن كانت العبادة الوثنية ورجاساتها تسللت إلى بيت الرب وإلى كل أرض الموعد في يهوذا كما في إسرائيل، وعلى كل المرتفعات والبقاع. لذلك كان أول عمل للجميع بعد الاستماع لكلمة الله، هو الخلاص من هذا الوباء الخطير.

يرى البعض أن **كهنة الفرقة الثانية** تعني نواب رئيس الكهنة وليس نائبًا واحدًا. ويرى آخرون أن رئيس الكهنة يُعتبَر الفرقة الأولى، وجميع الكهنة دونه يُحسَبون الفرقة الثانية.

كان يوشيا على علاقة وثيقة مع الله، وكان مُصلحًا مثل جده حزقيا، طهَّر الهيكل وأحيا

---

[1] *In Jer. hom 9 1, 2*
[2] *Commentary on Rom 9: 4.*

الطاعة للشريعة الإلهية، فقد أكد يوشيا إيمانه بأعماله (يع٢: ٢٠؛ إر٢٢: ١٥-١٦).

يُقصَد **بالآنية** هنا جميع ما يختص بعبادة الأصنام كالمذابح وحلل الكهنة والتماثيل والأوعية والأدوات.

حُملتْ الآنية التي كانت تستخدم في العبادة الوثنية إلى حقول قدرون في إصلاحات آسا (١ مل ١٥: ١٣)، وإصلاحات حزقيا (٢ أي ٢٩: ١٦؛ ٣٠: ١٤)، وإلى بيت إيل وحُمِل رماد الآنية الدينية كإدانة علنية وجريئة ضد الطقوس الوثنية وإدانة للموضع الذي ارتبط بها (١ مل ١٢: ٢٨-٣٠؛ عا ٤: ٤-٥). تأثرت المملكة الشمالية أيضًا بإصلاحات يوشيا.

حرقها خارج أورشليم، حتى لا تتدنس المدينة برمادها.

يرى[1] *R.E. Clements* أن إقامة السواري مرتبط بطقوس خاصة بالخصوبة، إذ كانوا يتطلعون إلى الخصوبة والممارسات الجسدية كأمرين يمسان قوة الحياة السرية، لهما آثارهما حتى على محاصيل النباتات وإخصاب الحيوانات. هذه القوة تصدر عن ممارسات بين الآلهة والإلهات، وإن ممارسة الرجال والنساء ومشاركتهم في هذه الطقوس تعطيهم قوة الحياة.

لعله لهذا السبب كانت الرجاسات تُمارس بجوار مذابح مُقامة تحت كل شجرة خضراء على أكمة مرتفعة، لكي تقدم الآلهة الخصوبة للنباتات والحيوانات كما للإنسان.

لا يقف الأمر عند خصوبة النباتات والحيوانات، وإنما هذه الممارسات - في ذهنهم - تهبهم قوة للصراع ضد قوى الموت السرية غير المنظورة. وكأن الخصوبة والجنس يمثلان حياةً أو موتًا، بقاءً أو دمارًا! لهذا لا نعجب إن ارتبطت المذابح والسواري بالممارسات الدنسة والرجاسات كطقس ديني.

حقول قدرون: هي وادي قدرون إلى جهة الشرق من أورشليم، تفصل بين المدينة وجبل الزيتون. كان في هذا المكان مقبرة لعامة الشعب، وكان في هذه الناحية وادي ابن هنوم.

وَلاَشَى كَهَنَةَ الأَصْنَامِ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ مُلُوكُ يَهُوذَا لِيُوقِدُوا عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ،
فِي مُدُنِ يَهُوذَا وَمَا يُحِيطُ بِأُورُشَلِيمَ،
وَالَّذِينَ يُوقِدُونَ لِلْبَعْلِ:
لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْمَنَازِلِ،
وَلِكُلِّ أَجْنَادِ السَّمَاءِ. [٥]

ما ورد هنا بخصوص كهنة الأوثان ذكره أيضًا صفينا (١: ٤). هؤلاء الكهنة سبق فعيَّنهم بعض ملوك يهوذا السابقين. تحدث أيضًا هوشع عن إدانة الكهنة الوثنيين الذين كانوا يقودون عبادة

[1] *R E Clements: Interpretation, Jeremiah, Atlanta 1988, p 104*

العجل في بيت إيل (هو ١٠: ٥).

لا يقصد بقوله "لاشى" أنه قتلهم، بل طردهم من خدمتهم الوثنية. الخطوة التالية للتجديد هي نزع كل ما هو غريب عن هيكل الرب. فمن يريد أن يتبع الرب يليق به أن ينصت إلى كلمته ويطيعها، ويرفض بكل قلبه الظلمة وأعمالها.

وَأَخْرَجَ السَّارِيَةَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ خَارِجَ أُورُشَلِيمَ إِلَى وَادِي قَدْرُونَ،
وَأَحْرَقَهَا فِي وَادِي قَدْرُونَ،
وَدَقَّهَا إِلَى أَنْ صَارَتْ غُبَارًا،
وَذَرَّى الْغُبَارَ عَلَى قُبُورِ عَامَّةِ الشَّعْبِ. [٦]

السارية: هي تمثال عشتروث (جمعها عشتاروت).

بالنسبة للسواري الخشبية المرتبطة بعبادة *Asherah* سبق أن حطَّمها الملك حزقيا (١٨: ٤)، لكن عاد منسى فأدخلها (٢١: ٧) وأيضًا آمون (٢١: ٢١؛ ١٣: ٦).

٣. هدم بيوت المأبونين

وَهَدَمَ بُيُوتَ الْمَأْبُونِينَ الَّتِي عِنْدَ بَيْتِ الرَّبِّ،
حَيْثُ كَانَتِ النِّسَاءُ يَنْسِجْنَ بُيُوتًا لِلسَّارِيَةِ. [٧]

بلغ الفساد أنه وجدت ممارسات قبيحة كجزءٍ من عبادة الكنعانيين (١ مل ١٤: ٢٤؛ ١٥: ١٢؛ ٢٢: ٤٦). ما هو أخطر أن هؤلاء الأشخاص المنحرفين ليس فقط يتاجرون بالقبائح في أورشليم، وإنما أدخلوها إلى هيكل الرب.

كانت الأعمال القبيحة التي يمارسها المأبونون تُحسَب خدمة للآلهة، فكانت بيوتهم بجوار بيت الآلهة.

٤. تطهير مدن يهوذا والمرتفعات

وَجَاءَ بِجَمِيعِ الْكَهَنَةِ مِنْ مُدُنِ يَهُوذَا،
وَنَجَّسَ الْمُرْتَفَعَاتِ، حَيْثُ كَانَ الْكَهَنَةُ يُوقِدُونَ مِنْ جَبْعَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ،
وَهَدَمَ مُرْتَفَعَاتِ الأَبْوَابِ الَّتِي عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ يَشُوعَ رَئِيسِ الْمَدِينَةِ الَّتِي عَنِ الْيَسَارِ فِي بَابِ الْمَدِينَةِ. [٨]

من جبع إلى بئر سبع، تعني من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

مرتفعات الأبواب: كانوا يوقدون على سطوح البيوت (إر ١٩: ١٣). وكان عند أبواب المدينة أبراج، ربما كانت سطوحها هي المرتفعات المشار إليها كالمكان الذي أصعد فيه ميشع ابنه

مُحرقة (٣: ٢٧).

يرى البعض أن هذه المرتفعات هي معابد وثنية، كانوا قد بنوها عند أبواب المدينة لكونها أماكن اجتماعات.

❖ كيف يخدم الملوك الرب بخوفٍ إلا بمنع كل الأعمال المرتكبة ضد وصايا الرب في صرامة ورفضها؟

يخدم الملك الله، بطريق بكونه إنسانًا، وبطريق آخر بكونه ملكًا. يخدم كإنسانٍ، بأن يسلك حسب الإيمان، ويخدمه كملكٍ بأن يبذل كل الجهد بقوةٍ ضرورية أن يصدر قوانين تأمر بالصلاح وتمنع ما يضاد ذلك.

هكذا خدمه حزقيا بتحطيم البساتين وهياكل الأوثان والمرتفعات التي أُقيمتْ ضد وصايا الله (٢ مل ١٨: ٤). **وهكذا خدمه يوشيا إذ فعل نفس التصرُّفات...**

هكذا يخدم الملوك الرب كملوكٍ عندما يُتمِّمون أعمالاً في خدمته لا يستطيع أحد أن يُتَمِّمها غير الملوك[1].

القديس أغسطينوس

باب يشوع رئيس المدينة: على شمال باب المدينة؛ الموضع الذي كان فيه رئيس المدينة يتحدث مع الشعب ويأخذ قرارات. بجوار هذا الموضع كانت توجد مذابح عامة، حيث كان يُقدَّم عليها تقدِّمات لله وأحيانًا للآلهة الباطلة.

إِلاَّ أَنَّ كَهَنَةَ الْمُرْتَفَعَاتِ لَمْ يَصْعَدُوا إِلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ،
بَلْ أَكَلُوا فَطِيرًا بَيْنَ إِخْوَتِهِمْ. [٩]

دُعوا **كهنة** مع أنهم لم يمارسوا خدمة الكهنوت في الهيكل، لأنهم كانوا سابقًا كهنة المرتفعات، ولكنهم أكلوا من التقدمات لكونهم من بني هرون، فكانوا كالكهنة الذين فيهم عيوب (لا ٢١: ٢١-٢٣)، وكان خبز التقدمات فطيرًا (لا ٦: ١٦-١٨).

كانوا ككهنة قد قدَّموا ذبائح في المرتفعات، ومع أنها قُدِّمتْ باسم الله الحي، غير أنه إذ قدَّموها في المرتفعات لا في بيت الرب صاروا غير أهلٍ للخدمة في الهيكل. ولكنهم إذ ينتمون إلى الكهنوت كان يُقدَّم لهم بعض الأنصبة من العشور والتقدمات والفطير وخبز التقدمة[2].

٥. تنجيس توفة

وَنَجَّسَ تُوفَةَ الَّتِي فِي وَادِي بَنِي هِنُّومَ،

---

[1] *Letter 185:19.*
[2] *Cf. Adam Clarke Commentary.*

لِكَيْ لاَ يُعَبِّرَ أَحَدٌ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ لِمُولَكَ. [١٠]

يقول **القديس جيروم** أن توفة كانت موضعًا مبهجًا، به مياه عذبة للسقي مع ينابيع، وكانت مُزَيَّنة بالحدائق.

يرى بعض الدارسين أن مولك مرتبط بالآلهة الوثنية مثل إله العمونيين الذي يُسمَّى "مولوك" أو "ملكوم" (١ مل ١١: ٥) أو الإله الكنعاني (لا ٢٠: ١-٥)، وقد نُقِلَتْ هذه العبادات إلى أورشليم. يرى دارسون آخرون أن ملكوم هو اسم نوع من تقديم ذبيحة بشرية لطفلٍ مرتبطة بالبعل (إر ٧: ٣١، ٣٢؛ ١٩: ٥-٦؛ ٣٢: ٣٥). توجد شهادة لذبيحة الطفل وجدت في حفريات مدينة فينيقية لقرطاجة.

كلمة **"جهنّم"** تتركّب من كلمتين عبريّتين: "جه، هنوم" أي "داخل هنوم". **هنوم** هو وادي فيه كانت تُلقَى مخلّفات الذبائح بميازيب خاصة، فكانت دائمًا مملوءة دودًا من مخلّفات الذبائح الحيوانية التي كانت تُقدَّم في الهيكل. ويُقَال إن هذا المكان استُخدِمَ بعد ذلك لإلقاء القانورات، وكانت النار مشتعلة فيها بلا انقطاع، لحرق النفايات ولمنع انتشار الأمراض.

ومن هنا نفهم التعبير الذي استخدمه المسيح ثلاث مرات في بشارة القديس مرقس البشير عنْ عذاب الأشرار في جهنم: **"حيث دودهم لا يموت والنار لا تُطفأ" (مر ٩: ٤٤، ٤٦، ٤٨)**. هكذا يتَّضح كيف صار هذا الوادي، بما فيه من قذارة ونفايات ودود ونار بشكلٍ دائمٍ، صالحًا ليكون تشبيهًا تصويريًّا للمكان الأخير لاستقرار الأشرار بعد دينونتهم، حتى أن اسم هذا الوادي أُطلِقَ على هذا المكان. في هذا الوادي أجاز أحاز ومنسي أولادهما بالنار (٢ مل ١٦: ٣؛ ٢ أي ٢٨: ٣؛ ٣٣: ٦). وعندما جاء يوشيا أحد ملوك يهوذا الصالحين أبطل هذه العبادات، ونجَّس ذلك الوادي ليصير مزبلة لأورشليم (٢ مل ٢٣: ١٠).

تُوفة: معناها موقدة أو مكان الإحراق، لأن فيها كانوا يحرقون الذبائح، ويجيزون أولادهم في النار، وهي الجزء الجنوبي الشرقي من وادي هنوم. وهو جنوب أورشليم وغربها، وينحدر من باب الخليل إلى بئر أيوب، ويُسمَّى أيضًا وادي ابن هنوم أو بني هنوم، وهم قبيلة من الكنعانيين (إش ٣٠: ٣٣). وكان لمولك إله بنيْ عمون تمثال مجوَّف من نحاسٍ، كانوا يوقدون في جوفه نارًا حامية، ثم يضعون أولادهم بين يديه.

٦. إزالة مركبات الشمس

وَأَبَادَ الْخَيْلَ الَّتِي أَعْطَاهَا مُلُوكُ يَهُوذَا لِلشَّمْسِ،
عِنْدَ مَدْخَلِ بَيْتِ الرَّبِّ عِنْدَ مِخْدَعِ نَثْنَمَلَكَ الْخَصِيِّ الَّذِي فِي الأَرْوِقَةِ،
وَمَرْكَبَاتِ الشَّمْسِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ. [١١]

كانت الخيول في الشرق مُكرَّسة لعبادة الشمس، وذلك بسبب سرعتها ومنافعها الكثيرة.

وُجدتْ حفريات في أورشليم تكشف عن مقدس خاص بعبادة الشمس، يرجع إلى عهد يهوشافاط. وُجدت خيول صغيرة عليها أقراص الشمس على جباهها في أورشليم وفي هازور *Hazor*.

شبَّه اليونانيون والرومانيون وغيرهم الشمس براكبٍ في مركبة يسير من المشرق إلى المغرب، وكانوا يستخدمون في احتفالاتهم الدينية مركبات الشمس. فأحرق يوشيا هذه المركبات، وأباد الخيل، أي امتنع من إعطائها لمركبات الشمس كأسلافه من ملوك يهوذا.

الخيول التي أبادها يوشيا الملك، يُقصَد بها إما خيول حية كانت تقود المركبات الخاصة بعبادة الشمس أو تماثيل للخيول المنحوتة؛ غالبًا ما يُقصد بها المنحوتات[1]. كان هناك اعتقاد بأن الخيول كانت تسحب الشمس نفسها. أحيانًا كانت هذه الخيول تُقدَّم كذبائح للشمس، والبعض كان يستخدمها في المواكب الخاصة بتكريم الشمس. وكان عابدو الشمس أحيانًا يركبون الخيول في كل صباح لاستقبال شروق الشمس. يبدو أن الملوك الذين عبدوا الشمس مثل آحاز ومنسى أو قادتهم العظماء يركبون الخيول باكرًا كل صباح من الباب الشرقي للهيكل، ويُحَيُّون الشمس ويعبدونها عند ظهورها في الأفق[2].

٧. إزالة مذابح الملوك الأشرار

وَالْمَذَابِحُ الَّتِي عَلَى سَطْحِ عُلِّيَّةِ آحَازَ الَّتِي عَمِلَهَا مُلُوكُ يَهُوذَا،
وَالْمَذَابِحُ الَّتِي عَمِلَهَا مَنَسَّى فِي دَارَيْ بَيْتِ الرَّبِّ،
هَدَمَهَا الْمَلِكُ.
وَرَكَضَ مِنْ هُنَاكَ وَذَرَّى، غُبَارَهَا فِي وَادِي قَدْرُونَ. [١٢]

كان الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب يقيمون المذابح على الأسطح.

واضح أن آحاز كان قد بنى عليَّة على أحد أبنية الهيكل، ومن سطوحها كانوا يرصدون الأجرام السماوية ويعبدونها (إر ١٩: ١٣)، وقد أقام ملوك يهوذا مذابح على هذا السطح.

وَالْمُرْتَفَعَاتُ الَّتِي قُبَالَةَ أُورُشَلِيمَ، الَّتِي عَنْ يَمِينِ جَبَلِ الْهَلاَكِ،
الَّتِي بَنَاهَا سُلَيْمَانُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِعَشْتُورَثَ رَجَاسَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ،
وَلِكَمُوشَ رَجَاسَةِ الْمُوآبِيِّينَ،
وَلِمَلْكُومَ كَرَاهَةِ بَنِي عَمُّونَ،

---

[1] *Cf Adam Clarke Commentary*
[2] *Cf Jamieson, Fausset and Brown Commentary.*

نَجَّسَهَا الْمَلِكُ. [١٣]

جبل الهلاك: قبالة أورشليم أي إلى جهة الشرق، وعن اليمين أي إلى جهة الجنوب، فهو القسم الجنوبي من جبل الزيتون. دُعي جبل الهلاك، لكونه مكان معابد الأصنام التي بناها سليمان لأجل نسائه الغريبات (١ مل ١١).

كان تمثال عشتاروت الفاضح قد أقامه الملك الشرير منسى في هيكل الله (٢١:٧)، وكثيرًا ما توصف عشتاروت بأنها إلهة من إلاهات البحر، وأم للعديد من الآلهة بما في ذلك البعل.

يُسمَّى جبل الهلاك، لأنه أصبح بقعة مثيرة لبناء المعابد الوثنية التي قضى الله بتدميرها. هدم الملوك الأتقياء هذه المراكز، وفي العهد الجديد كثيرًا ما جلس ربنا يسوع على جبل الزيتون وعلَّم تلاميذه عن العبادة الحقيقية (مت ٢٤:٣).

كموش: دُعي الموآبيون أمة كموش (عد ٢١: ٢٩) وشعب كموش (إر ٤٨: ٤٦)، كما دُعي كموش "رجس الموآبيين". أدخل سليمان الملك عبادته إلى أورشليم (١ مل ١١: ٧)، وأبطلها يوشيا الملك حاسبًا إياها رجاسة. وكان الملوك الموآبيون ينسبون نصراتهم إلى كموش، كما يظهر في الحجر الموآبي أن الملك ميشع فعل ذلك (٢ مل ٣: ٤).

ملكوم: كانت هناك صلة وثيقة بين كموش إله الموآبيين وملكوم إله العمونيين، وفي كلا العبادتين كان الأطفال يُقدَّمون ذبائح بإجازتهم في النار (٢ مل ٣: ٢٧).

وَكَسَّرَ التَّمَاثِيلَ،
وَقَطَّعَ السَّوَارِيَ،
وَمَلأَ مَكَانَهَا مِنْ عِظَامِ النَّاسِ. [١٤]

ينظر إلى ملء مكانها من عظام الناس أنها نجاسة بذاتها عند اليهود كما عند الوثنيين، لأنها علامة الموت والفساد، بينما زعم الوثنيون أن الآلهة التي يعبدونها هي مصدر الحياة والخصوبة وكثرة التوليد (٢١: ٧).

وَكَذَلِكَ الْمَذْبَحُ الَّذِي فِي بَيْتِ إِيلَ فِي الْمُرْتَفَعَةِ الَّتِي عَمِلَهَا يَرُبْعَامُ بْنُ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ،
فَذَانِكَ الْمَذْبَحُ وَالْمُرْتَفَعَةُ هَدَمَهُمَا،
وَأَحْرَقَ الْمُرْتَفَعَةَ وَسَحَقَهَا حَتَّى صَارَتْ غُبَارًا،
وَأَحْرَقَ السَّارِيَةَ. [١٥]

تنبأ نبي منذ زمن بعيد عن تصرفات يوشيا التي تشجب مذبح يربعام الأول في بيت إيل (١ مل ١٣: ٢٦-٣٢) تحقيق هذه النبوة حرفيًا يؤكد أن إنسان الله القديم هذا هو نبي حقيقي (تث

١٨: ٢٢).

كانت بيت إيل موضع عبادة العجلين (١ مل ١٢: ٣٢). واضح أن سلطان أشور على أرض إسرائيل في ذلك الحين (١٧: ٢٤) كان ضعيفًا، لأن ملك يهوذا جاء وهدم وذبح أناسًا وأصلح دون عائق من المسئولين. هذا يطابق ما ورد في تواريخ الممالك في زمانه، لأن مملكة أشور كانت قد أوشكت أن تسقط.

وَالْتَفَتَ يُوشِيَّا، فَرَأَى الْقُبُورَ الَّتِي هُنَاكَ فِي الْجَبَلِ،
فَأَرْسَلَ وَأَخَذَ الْعِظَامَ مِنَ الْقُبُورِ،
وَأَحْرَقَهَا عَلَى الْمَذْبَحِ وَنَجَّسَهُ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ.
الَّذِي نَادَى بِهِ رَجُلُ اللَّهِ الَّذِي نَادَى بِهَذَا الْكَلاَمِ. [١٦]

كان قد أتى من الشمال جماعة من السكيثيين، ودخلوا آسيا الصغرى، وقام البابليون والماديون على أشور، فانشغل الملك بهذه الحروب، وغضَّ النظر عما فعله يوشيا. وربما تسلَّط يوشيا وقتيًا على أرض إسرائيل.

انحرف الشعب إلى العبادة الوثنية، لذا هددهم الرب على لسان النبي بحلول الشر في كل موضع اُستخدم للشر، سواء كان جبلاً أو تلاً، واديًا أو نهرًا. يمتد السيف إلى صانعي الشر، فيُقتَلون وتُمحَى أعمالهم، وتصير مدنهم خرابًا وقفرًا، وتُباد مرتفعاتهم، وتُخرب مذابحهم، وتتكسر شمساتهم، وتذرى عظامهم حول مذابحهم علامة تدنيسها (٢ مل ٢٣: ١٦). هكذا يتحطم العابدون وموضوع عبادتهم ومكان العبادة نفسه.

ربما أحرق العظام على المذبح قبل هدمه، أو أحرقها في موضع المذبح ونجَّس حتى الموضع.

نادى رجل الله بهذا (١ مل ١٣: ٢)، الذي تنبأ عن هذه الحادثة قبل حدوثها بثلاثمائة سنة، وسمَّى يوشيا باسمه، ولم يعرف يوشيا ذلك إلا بعد أن تمت النبوة.

وَقَالَ: مَا هَذِهِ الصُّوَّةُ الَّتِي أَرَى؟
فَقَالَ لَهُ رِجَالُ الْمَدِينَةِ:
هِيَ قَبْرُ رَجُلِ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مِنْ يَهُوذَا
وَنَادَى بِهَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي عَمِلْتَ عَلَى مَذْبَحِ بَيْتِ إِيلَ. [١٧]

يقول القديس أغسطينوس أن ما حدث هنا هو تحقيق النبوة الواردة (١ مل ١٣: ٢، ٣٢)

التي ذكرت اسم الملك وعمله معه قبل النبوة بأكثر من ٣٠٠ عام من النبوة[1].

فَقَالَ: دَعُوهُ. لاَ يُحَرِّكَنَّ أَحَدٌ عِظَامَهُ.
فَتَرَكُوا عِظَامَهُ وَعِظَامَ النَّبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنَ السَّامِرَةِ. [١٨]

النبي الذي جاء من السامرة كان نبي قديم لبيت إيل (١ مل ١٣: ١١) اسم السامرة هنا يُقصَد بها كل المنطقة، وليس مجرد المدينة التي صارت فيما بعد عاصمة مملكة الشمال (١ مل ١٣: ٣٢؛ ١٦: ٢٣-٢٤).

بعد موت رجل الله الذي شجب مذبح يربعام الأول في بيت إيل طلب أن يُدفَن في بيت إيل بجانب نبي يهوذا هذا (١ مل ١٣: ٢، ٣٢).

وَكَذَا جَمِيعُ بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ،
الَّتِي عَمِلَهَا مُلُوكُ إِسْرَائِيلَ لِلإِغَاظَةِ أَزَالَهَا يُوشِيَّا،
وَعَمِلَ بِهَا حَسَبَ جَمِيعِ الأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي بَيْتِ إِيلَ. [١٩]

وَذَبَحَ جَمِيعَ كَهَنَةِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هُنَاكَ عَلَى الْمَذَابِحِ،
وَأَحْرَقَ عِظَامَ النَّاسِ عَلَيْهَا،
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. [٢٠]

إذ لم يكن كهنة المرتفعات من اللاويين أُستبعدوا حسب شريعة الله (تث ١٧: ٢-٧). أما الكهنة الحقيقيون للرب الذين كانوا يقدسون في المرتفعات بقوا. وإذ أزيلت المقدسات [٨-٩]. أخيرًا لم يستطيع هؤلاء الكهنة أن يخدموا في الهيكل بأورشليم، فصاروا ككهنة بهم عيوب جسدية (لا ٢١: ١٧-٢٣).

لقد أطال الله أناته عليهم لمدة ٣٠٠ عامًا، وبسبب الكهنة هلك الكثيرون، لذلك وإن بدا هذا العمل فيه قسوة، فإن النبي لم يفعل عن نقمة شخصية، وإنما بسماح من الله لإنقاذ النفوس. هذا ما فعله إيليا في ذبح كهنة البعل (١ مل ١٨: ٤٠). أما الآن في عهد النعمة، فلم يعد يجوز هذا الفعل.

٨. الاحتفال بعيد الفصح

وَأَمَرَ الْمَلِكُ جَمِيعَ الشَّعْبِ:
اعْمَلُوا فِصْحًا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْعَهْدِ هَذَا. [٢١]

إذ أزالوا كل أثر للعبادة الوثنية ورجاساتها، أي أزالوا عن المملكة الخميرة القديمة، تأهلوا للاحتفال بعيد الفصح أي عيد العبور.

---

[1] *City of God, Book 17:14*

يليق بالمؤمن ليس فقط أن يطلب من الله أن يُطَهِّرَه من الفساد، وإنما أن يعبر به من عبودية إبليس إلى مجد حرية أولاد الله. يحمل عيد الفصح اليهودي رمزًا للعبور، لا إلى أرض الموعد، بل إلى كنعان السماوية.

قام حزقيا بالاحتفال بالفصح (٢ أي ٣٠) لكن مع بعض تعديلات (٢ أي ٣٠: ١٣-٢٠). أما يوشيا فالتزم بالشريعة في الاحتفال بكل دقةٍ (٢ أي ٣٥: ١-١٩)، الأمر الذي لم يحدث منذ عصر القضاة. هذا وقد التزم الشعب من يهوذا وإسرائيل بحفظ الشريعة (٢ أي ٣٥: ١٨).

يدعونا **القدّيس أمبروسيوس** أن نقتدي بالملك يوشيا من حيث غيرته المتّقدة التي اشتعلت في قلبه.

❖ أحبُّوا الإيمان، فإن يوشيا بتقواه وإيمانه كسب لنفسه حبًا عظيمًا من أعدائه، إذ احتفل بفصح الرب حين كان في الثامنة عشرة من عمره (حكمه)، الأمر الذي لم يفعله أحد من قبله. بغيرة فاق فيها الذين جاءوا قبله. هكذا يا أبنائي لتُظهروا غيرة على الله تلتهمكم، فيقول كل واحدٍ منكم: "غيرة بيتك أكلتني" (مز ٦٩: ٩). دُعي تلميذ المسيح "الغيور" (لو ٦: ١٥). ولماذا أتكلم عن رسولٍ؟ فإن الرب نفسه قال: "غيرة بيتك أكلتني" (يو ٢: ١٧). لتكن لكم إذن غيرة حقيقية على الله، لا أقصد غيرة أرضية، فإن هذه تُولِّد حسدًا[1].

القدّيس أمبروسيوس

إِنَّهُ لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُ هَذَا الْفِصْحِ مُنْذُ أَيَّامِ الْقُضَاةِ الَّذِينَ حَكَمُوا عَلَى إِسْرَائِيلَ،
وَلاَ فِي كُلِّ أَيَّامِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ يَهُوذَا. [٢٢]
وَلَكِنْ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشَرَةَ لِلْمَلِكِ يُوشِيَّا،
عُمِلَ هَذَا الْفِصْحُ لِلرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ. [٢٣]

من المفاهيم الخاطئة أن الله يريد أن ينزع عن الحياة الاحتفالات وروح البهجة، لكن الواقع أن الله يريدنا أن نمارس الحياة الفضلى في ملئها (يو ١٠: ١٠)، والذين يحبونه تتحول حياتهم إلى عيدٍ دائمٍ واحتفالٍ لا ينقطع.

في هذه السنة كان ترميم بيت الرب، والاجتماع العظيم في أورشليم، لأجل قراءة سفر الشريعة وتجديد العهد، وهدم المذابح الوثنية في أورشليم ويهوذا ومدن السامرة، وكان هذا كله يُعد لممارسة الاحتفال الفصح.

وَكَذَلِكَ السَّحَرَةُ وَالْعَرَّافُونَ وَالتَّرَافِيمُ وَالأَصْنَامُ،

---

[1] *Duties of the Clergy, 2:30:154.*

وَجَمِيعُ الرِّجَاسَاتِ الَّتِي رُئِيَتْ فِي أَرْضِ يَهُوذَا وَفِي أُورُشَلِيمَ،
أَبَادَهَا يُوشِيَّا لِيُقِيمَ كَلاَمَ الشَّرِيعَةِ الْمَكْتُوبَ فِي السِّفْرِ،
الَّذِي وَجَدَهُ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. [٢٤]

"ترافيم" كلمة عبرية تعني "مسعدات"، وهي أصنام أو آلهة رب البيت، صغيرة الحجم جدًا لسهولة حملها في الهروب بسرعة، يَعتقد الناس أنها مجلبة للفأل الحسن، وكانت تستشار في كل المقترحات (زك ١٠: ٢). بحسب القانون البابلي كان لمن عنده الترافيم الحق في أن يرث لصيب البكر. وقد أباد يوشيا الترافيم مع غيرها من الأصنام.

وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مَلِكٌ مِثْلُهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَكُلِّ نَفْسِهِ وَكُلِّ قُوَّتِهِ حَسَبَ كُلِّ شَرِيعَةِ مُوسَى،
وَبَعْدَهُ لَمْ يَقُمْ مِثْلُهُ. [٢٥]

يُمتدَح كل من يوشيا وحزقيا على تقواهما؛ يوشيا بكونه أعظم من تمسك بالشريعة الإلهية في طاعة لله، فاق كل ملوك يهوذا وإسرائيل. وحزقيا بكونه أعظم من اتكل على الله في الإيمان (١٨: ٥).

٩. غضب الرب على يهوذا

وَلَكِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ الْعَظِيمِ،
لأَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ عَلَى يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ جَمِيعِ الإِغَاظَاتِ الَّتِي أَغَاظَهُ إِيَّاهَا مَنَسَّى. [٢٦]

بالرغم من الجهود المبذولة، فإن خطية يهوذا قد أحدقت بهم، وصار الحُكم الإلهي بالتأديب لا مفر منه (١٧: ١٨-١٩؛ ٢٣: ٢٦-٢٧؛ مرا ١: ٥). إن كان منسى قد تاب، لكنه بقي يجني ثمرة خطاياه، لأن توبته كانت مؤقتة.

تلخصت مشكلة مملكة يهوذا ككلٍ في السنوات الأخيرة قبل السبي البابلي في أمرين:

أولاً: لم يهتم الرؤساء المدنيون والدينيون والشعب بإصلاح قلوبهم، مكتفين بترميم الهيكل، وممارسة العبادة في شكليات بلا روح.

ثانيًا: كان الحُكّام والشعب في صراع بين التحالف مع فرعون مصر أم مع أشور وفيما بعد مع بابل. فالغالبية لا تطيق بابل وتتوقع هجومها بين الحين والآخر، مما دفعهم للارتماء في أحضان فرعون مصر، وإن كانت خبرتهم مع الفراعنة كما مع بابل ليست بطيبة. ويمكننا إدراك ذلك الصراع مما حدث مع الملوك الخمسة الذين عاصرهم إرميا أثناء نبوته:

- **يوشيا الملك** (٦٢٦-٦٠٩ ق.م): قتله المصريون في معركة مجدو.
- **يهوآحاز:** خلعه فرعون بعد ٣ شهور (٢ أي ٣٦:٢).

- **يهوياقيم:** أقامه فرعون عوض أخيه، وبقى مواليًا له لمدة ٤ سنوات، وإذ غلب نبوخذناصَّر فرعون خضع لبابل، وكان موته غامضًا.
- **يهوياكين:** بعد إقامته ملكًا عوض والده ب٣ شهور أسره نبوخذناصَّر.
- **صدقيا:** أقامه نبوخذناصَّر عوض ابن أخيه. وكان في صراع بين ولائه لسيده في بابل وبين محاولته إرضاء الشعب الذي مال إلى فرعون مصر لحمايته من بابل، متطلعين إلى يهوياكين الأسير في بابل كملكٍ شرعي. تحالف صدقيا قلبيًا مع فرعون، فسباه ملك بابل بعد أن فقأ عينيه وسبى أورشليم ويهوذا (٣٩:١-٧).

هكذا كان يهوذا بين حجري رحى، وعوضًا عن الالتجاء إلى الله بالتوبة للتمتع بالخلاص، اتكأ على هذا أو ذاك.

فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي أَنْزِعُ يَهُوذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِي كَمَا نَزَعْتُ إِسْرَائِيلَ،
وَأَرْفُضُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا أُورُشَلِيمَ،
وَالْبَيْتَ الَّذِي قُلْتُ يَكُونُ اسْمِي فِيهِ. [٢٧]

قد يتساءل البعض: كيف يرفض الله المدينة التي اختارها الله لنفسه، وأقام بيته فيها؟ ألم يقم يوشيا بكل هذه الإصلاحات الجبارة، مع إطاعة القادة والشعب في كل ما أمر به؟

لقد مزق يوشيا ثيابه عند سماعه كلام سفر الشريعة (٢ مل ٢٢: ١١)، وأقام هذا الاجتماع الشعبي العظيم، واحتفل بعيد الفصح الذي كاد الشعب أن ينساه، وأزال العبادة الوثنية ورجاساتها لا في بيت الرب وحده، بل وفي كل المدينة وفي أرجاء المملكة كلها، بل وبلغ أثره حتى على مملكة إسرائيل التي انهارت بسببها بواسطة أشور، لكن هذا كله تم في طاعة للملك الصالح وليس في توبة ورجوع إلى الله. غالبًا ما أُعجب الكثيرون إن لم يكن الكل بالملك، لكن لا يُطلَب مجرد الإعجاب بالملك التقي، ولا الطاعة لأوامره الصادقة، إنما يُطلَب صدق نقاوة قلب الشعب والتصاقه بالرب. لهذا لم يرجع الله عن حمو غضبه.

١٠. مقتل يوشيا في مجدو

وَبَقِيَّةُ أُمُورِ يُوشِيَّا وَكُلُّ مَا عَمِلَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٢٨]

لم يذكر الكتاب شيئًا عن الأحداث من السنة الثامنة عشرة ليوشيا إلى آخر حياته، أي مدة ١٣ سنة، ويبدو أنه حكم بحكمةٍ وفي سلام.

يذكر التاريخ أن السيكثيين هجموا على آسيا الصغرى، وانتصر ملك مصر على فينيقية، وسقطت نينوى ومملكة أشور، وقامت مملكة بابل.

فِي أَيَّامِهِ صَعِدَ فِرْعَوْنُ نَخُو مَلِكُ مِصْرَ عَلَى مَلِكِ أَشُّورَ إِلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ.
فَصَعِدَ الْمَلِكُ يُوشِيَّا لِلِقَائِهِ،
فَقَتَلَهُ فِي مَجِدُّو حِينَ رَآهُ. [٢٩]

يتساءل البعض: إن كان فرعون نخو ملك مصر قد صعد ضد أشور، فلماذا صعد الملك يوشيا لمقاتلة نخو، وبهذا دخل في معركة انتهت بقتل الملك الصالح يوشيا؟

توجد آراء كثيرة بخصوص هذا الموقف:

أ. في خلال السنوات الطويلة ليوشيا (٦٤٠-٦٠٩ ق. م) بدأت قوة أشور تتدهور حتى سقطت نينوى عام ٦١٢ ق. م، وذلك كما تنبأ ناحوم. وإذ كانت مصر في تحالف مع أشور، انطلق نخو شمالاً لمساعدة الأشوريين المُحاصرين. إذ تقدَّمتْ قوة يوشيا إلى وادي مجدو لمحاولة منع المصريين من مساندة الأشوريين في حاران؛ تأخر نخو بما فيهْ الكفاية حتى سقطت حاران من أيدي الأشوريين. غير أن تصرُّف يوشيا كلَّفه حياته ذاتها (٢ أي ٣٥: ٢٠-٢٥).

كان نخو فرعون مصر يزحف عبر مملكة إسرائيل إلى أشور متحالفًا مع أشور لمحاربة بابل التي صارت تهددها، إذ أوشكت أن تصير القوة العظمى المتسلطة في العالم. **وقد خشي يوشيا أن تنقلب الدولتان ضده بعد أن يعترض جيش مصر مع بابل، لذلك حاول أن يعترض جيش مصر ويمنعه من المرور في أرضه،** لكن يوشيا قُتِلَ وهُزم جيشه، وخضعت يهوذا لمصر سنة ٦٠٩ ق.م (٢ أي ٣٥: ٢٠-٢٥).

❖ نحن نعلم أن القديسين يُصابون بأمراض ومآسٍ وعوزٍ، وربما يُجرَّبون حتى يقولوا: "**حقًا**، قد زكيت قلبي باطلاً، وغسلت بالنقاوة يديَّ" (مز ٧٣: ١٣)...

إن ظننتَ أن عماك سببه الخطية، وأن المرض الذي غالبًا ما يستطيع الأطباء إبراءه هو شهادة على غضب الله، فإنك **تحسب اسحق خاطئًا**، لأنه صار غير مُبصِرٍ تمامًا، حتى خُدِعَ عندما بارك إنسانًا لم تكن في نيته أن يباركه (تك ٢٧).

وستتهم يعقوب بالخطية، إذ صار بصره عاجزًا، حتى لم يستطع أن يرى أفرايم ومنسي (تك ٤٨: ١٠)، مع أنه ببصيرته الداخلية وروح النبوة استطاع أن يرى مقدمًا الأحداث المقبلة، وإن المسيح يأتي من النسل الملوكي (تك ٤٩: ١٠).

هل من ملك أكثر قداسة من **يوشيا**؟ لقد ذُبح بسيف المصريين (٢ مل ٢٣: ٢٩).

هل يوجد قديسون أسمى من بطرس وبولس؟ مع هذا سُفِكَ دمهما بسيف نيرون.

لا نتكلم بعد عن بشرٍ، ألم يحتمل ابن الله عار الصليب؟[1]

---

[1] *Letter 68, to Castrutius 1.*

القديس جيروم

❖يوشيا أيضًا اُضطهد كما أن يسوع اُضطهد. يوشيا اُضطهد وفرعون الكسيح[1] قتله (٢ مل ٢٣: ٢٩)، والشعب الذي صار كسيحًا قتلوا (يسوع) بخطاياهم.

طهَّر يوشيا أرض إسرائيل من الدنس، ويسوع طهَّر ونزع الدنس من كل الأرض.

بجَّل يوشيا اسم إلهه ومجَّده، ويسوع قال: "مجَّدت وسأُمجد (اسمك)" (يو ١٢: ٢٨).

مزَّق يوشيا ثيابه بسبب آثام إسرائيل (٢ مل ٢٢: ١١، ١٣)، ويسوع بسبب آثام الشعب شقَّ حجاب الهيكل المقدس (مت ٢٧: ٥١).

يوشيا قال: "عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل على هذا الشعب، (٢ مل ٢٢: ١٣). ويسوع قال إنه يكون سخط على هذا الشعب ويقعون بفم السيف.

نزع يوشيا الدنس من الهيكل المقدس، ويسوع طرد التجَّار الدنسين من بيت أبيه.

حزنت بنات إسرائيل وولولنَّ على يوشيا، وذلك كقول إرميا: "يا بنات إسرائيل أبكين على يوشيا" (٢ أي ٣٥: ٢٥؛ مرا ٤: ٢٠). وبكين بنات إسرائيل وحزن على يسوع، كقول زكريا: "تنوح الأرض عشائر على حدَتها" (زك ١٢:١٢؛ لو ٢٣: ٢٧-٢٨)[2].

القدِّيس أفراهاط

ب. ارتكب يوشيا الملك هذا الخطأ، مع أنه عمل المستقيم في عيني الرب (٢ مل ٢٢: ٢)، **إلا أنه إذ صعد فرعون نخو ملك مصر لمحاربة أشور، صعد يوشيا الملك لمحاربته، مع أنه لم يصعد فرعون لمحاربة يوشيا**. دخل في معركة في مجدو انتهت بقتله (٢ مل ٢٣: ٢٩-٣٠).

يليق بالمؤمن ألا يلقي نفسه بنفسه في معارك كان يمكنه أن يتجنبها. لهذا طلب ربنا منا أنه متى حلَّ اضطهاد في مدينة، نهرب إلى أخرى، ليس خوفًا من الموت، ولا في جبنٍ وخنوعٍ، ولكن لكي لا ندفع أنفسنا بأنفسنا في تجربةٍ.

❖ إنه يترك لنا سلامًا وهو راحل، وسيُقدِّم لنا سلامه عندما يأتي في النهاية. سلامًا يتركه لنا في هذا العالم، وسلامه سيهبنا في العالم الآتي. يترك لنا سلامه، وإذ نسكن فيه نهزم العدو.

سيهبنا سلامه عندما لا يوجد بعد أعداء نحاربهم، فنملك كملوك.

سلامًا يترك لنا حتى نحب أيضًا بعضنا البعض هنا، وسيعطينا سلامه حين نكون فوق إمكانية حدوث نزاع.

سلامًا يتركه لنا حتى لا يدين الواحد الآخر فيما هو سرّ لكل منهما ونحن على الأرض؛

---

[1] فرعون نخو. يفسر الربيين اسمه العائلي بالكسيح.

[2] *Demonstration 21:17.*

سيهبنا سلامه عندما "يُظهر آراء القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحدٍ من الله" (١ كو ٤: ٥). ومع هذا ففيه ومنه ننال السلام سواء الذي يتركه لنا وهو ذاهب عند الآب أو ما سيمنحنا إياه عندما يُحضرنا إلى الآب.

وماذا يترك لنا عندما يصعد من عندنا سوى حضوره الذي لن يسحبه منا؟ فإنه هو سلامنا الذي يجعل كلاهما واحدًا (أف ٢: ١٤). لذلك يصير هو سلامنا، سواء عندما نؤمن بأنه هو، أو عندما نراه كما هو (١ يو ٣: ٢).

لأنه إن كان ونحن بعد في هذا الجسد الفاسد الذي يُثقِّل على النفس ونسير بالإيمان لا بالعيان لا يترك الذين يرحلون وهم بعيدون عنه (٢ كو ٥: ٦-٧)، كم بالأكثر عندما نبلغ تلك الرؤية، سيملأنا بنفسه[1].

❖ السلام الذي يتركه لنا في هذا العالم يمكن بالأكثر لياقة أن يُدعَى سلامنا لا سلامه. إذ إنه بلا خطية تمامًا، ليس فيه أي عنصر من الخلاف في نفسه. أما السلام الذي لنا هو الذي في وسطه لا نزال نقول: "اغفرْ لنا ما علينا" (مت ٦: ١٢)... إنه ليس بالسلام الكامل، إذ نرى ناموسًا آخر في أعضائنا ضد ناموس ذهننا (رو ٧:٢٢-٢٣)[2].

القديس أغسطينوس

ج. أخطأ يوشيا، إذ انطلق لمحاربة نخو دون طلب مشورة الله. فإن كان نخو في صعوده كان منطلقًا لمساندة أشور في تحالف معها أو ضد أشور، فالخطأ ليس في اتجاه يوشيا السياسي، إنما بالأكثر في عدم اتكاله على الله وطلب مشورته.

جاء في سلسلة "تفسير الكتاب القدس"[3]:

[عندما اتجه نخو للشمال "على ملك أشور" في عام ٦٠٩ ق. م، لم يكن هذا سوى حجة ليستولي على ما يريد. ورغم أنه تظاهر بأنه ذاهب لمعونة ملك أشور، إلا أن الكتاب المقدس يوضح بواطن الأمور، لا مجرد الادعاءات الظاهرية. أما الإشارة إلى كركميش في (٢ أي ٣٥: ٢٠) لا تتحدث عن هزيمة نخو الأخيرة في عام ٦٠٥ ق. م (قارن إر ٤٦: ٢)، بل تشير بالحري إلى الهدف الذي كان يرمي إليه نخو في الغزو الاستعماري.. وهو أن يصل إلى كركميش.

وهنا رأى يوشيا أن استقلاله الذي حصل عليه حديثًا يزمع أن يأفل. ولهذا عزم بغباوة أن يعترض سير نخو، رغم أن الأخير كان عنده ما هو أهم من تلال اليهودية ليستولي عليها (٢ أي ٣٥: ٢١). أما الإشارة إلى ولاء يوشيا لتحالفه مع أشور أو بابل فلا أساس لها...

---

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 77: 3.*

[2] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 77· 4.*

[3] مركز المطبوعات المسيحية، الجزء الثاني، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٥٠-٢٥١.

والأمر العجيب الغامض الذي أعطاه الله لنخو يوحي لنا بأن هذه الحرب لم يوافق عليها بعض الأنبياء كإرميا. ولكن يوشيا - كما فعل أخآب - استمع لأنبياء البلاط بدلاً من الأنبياء الآخرين.

أما اختصار كاتب سفر الملوك عن يوشيا يرينا أنه لم يكن من السهل عليه أن يُسَجِّل موت ملكٍ صالحٍ كيوشيا، سمح لنفسه أن يضل بسبب ثقته في نفسه. أما كون المعركة تمت في "مجدو" فدليل على أن نخو لم يكن يقصد غزو يهوذا، وأنه كان يسير في الطريق العادي تجاه الشمال.]

وَأَرْكَبَهُ عَبِيدُهُ مَيْتًا مِنْ مَجِدُّو،
وَجَاءُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَدَفَنُوهُ فِي قَبْرِهِ.
فَأَخَذَ شَعْبُ الأَرْضِ يَهُوآحَازَ بْنَ يُوشِيَّا،
وَمَسَحُوهُ وَمَلَّكُوهُ عِوَضًا عَنْ أَبِيهِ. [٣٠]

تذكر هذه الآية أن يوشيا مات في مدينة مجدو، لكن ذُكر في موضع آخر، إنه مات في أورشليم (٢ أي ٣٥: ٢٤)، كيف؟

الإجابة: ذكر سفر أخبار الأيام موته فقط، أما سفر الملوك الثاني فيذكر بالتفصيل أين مات. وذكر بوضوح: "في أيامه صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات، فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله في مجدو حين رآه. وأركبه عبيده ميتاً من مجدو، وجاءوا به إلى أورشليم، ودفنوه في قبره" (٢ مل ٢٣: ٢٩-٣٠)[1].

لا نعجب إن كان الله قد سمح لجده منسى الشرير أن يملك لمدة ٥٥ سنة، بينما سمح بقتل يوشيا الصالح وهو صغير السن نسبيًا كما بموتٍ سريعٍ.

❖ لا يليق بأحدٍ أن يظن أن الموت السريع يُقلِّل من شأن الإنسان، وذلك بسبب استحقاقه. أخنوخ اُختطف (تك ٥: ٢٤) حتى لا يُفسِد المكر قلبه. يوشيا الذي احتفل بفصح الرب في السنة الثامنة عشر من حكمه بطريقة فاقت في التقوى كل الملوك السابقين، لم يعش كثيرًا باستحقاق إيمانه. إنما بالحري، إذ حلَّ تهديد بدمارٍ خطير للشعب اليهودي أُخِذ الملك البار مُقدَّمًا[2].

القدِّيس أمبروسيوس

يقول إرميا النبي عن موت يوشيا الملك: "لا تبكوا ميتًا، ولا تندبوه. ابكوا، ابكوا من

---

[1] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton, Ill: Victor Books. Geisler, N L., & Howe, T. A (1992).*

[2] *Consolation o the Death of Emperor Valentinian, 57.*

يمضي، لأنه لا يرجع بعد فيرى أرض ميلاده. لأنه هكذا قال الرب عن شلوم (يهوآحاز) بن يوشيا ملك يهوذا المالك عوضًا عن يوشيا أبيه الذي خرج من هذا الموضع لا يرجع إليه بعد؛ بل في الموضع الذي سبوه إليه يموت، وهذه الأرض لا يراها بعد" (إر ٢٢: ١٠-١٢).

الميت المذكور هنا هو يوشيا الذي قُتِلَ في معركة مجدو عام ٦٠٩ ق.م بعد حياةٍ صالحةٍ، مما يستوجب اشتداد الحزن والحداد. ولكن إرميا يقول هنا إنه يجب ألا يشتد البكاء على يوشيا، بل يلزم البكاء على الملك الجديد الشاب يهوآحاز بن يوشيا، الذي سُبِي بعد ثلاثة شهور وعشرة أيام بواسطة فرعون مصر نخو ولم يرجع منها فيما بعد.

يدعوه إرميا النبي باسمه قبل توليه الحكم "شلوم"، وليس بالاسم الملكي "يهوآحاز"، ربما لأنه يُحسب كمغتصبٍ للحكم أو كمن لا يستحق الملوكية بسبب شره وفساد حياته.

تولّى يهوآحاز الحكم مع أنه لم يكن الابن البكر (٢ مل٢٣: ٣٤). بل **الابن الثالث** ليوشيا (٢٤: ١٨؛ ١ أي ٣: ١٥). كان الابن الأكبر ليوشيا قد مات، والثاني ألياقيم أو يهوياقيم لم يكن له ثقل، والرابع متنيا (صدقيا) جلس على العرش كآخر ملك على يهوذا. لعلّه اُختير، لأن الشعب ظنوا أنه أقوى من أخيه البكر. لقد تولّى الحُكْم ظلمًا، لذا لم يبقَ فيه، بل سُبي إلى مصر كما جاء في سفر التثنية: "ويردك الرب إلى مصر في سُفن في الطريق التي قُلت لك لا تعد تراها، فتُباعون هناك لأعدائك عبيدًا وإماءً وليس من يشتري" (تث ٢٨: ٦٨). يبدو أنه لم يُسبَى معه أحد (٢ أي ٢٦: ٤).

يطلب الله من الشعب أن يبكوا يهوآحاز أكثر مما بكوا والده.

ذهب يوشيا إلى القبر في سلامٍ وبكرامةٍ، لا يحتاج إلى من يبكيه، أما ابنه الشقي فتُحسَب حياته كموته بلا كرامة، يعيش في السبي في مهانة.

حقًا لقد جُرِحَ يوشيا جرحًا مميتًا في موقعة مجدو، لكن مركبته حملته إلى بلده ليُسلِّم أنفاسه في مدينته المحبوبة لديه والمُحِبة جدًا له، يلتف حوله الشعب الذي خدمه لمدة ثلاثين سنة من حياته التي بلغت الثمانية والثلاثين.

ليتنا نحن أيضًا نُسلِّم أنفاسنا الأخيرة في مدينتنا المحبوبة لدينا، أي ونحن قاطنون في ملكوت السماوات، نُسلِّم نفوسنا في يد إلهنا الذي نُكرِّس كل طاقتنا وحياتنا لحساب ملكوته. فنقول مع الرسول بولس: "إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت، إن عشنا وإن متنا فللرب نحن" (رو ١٤: ٨).

يلزمنا أن نكرم موت الصديقين ونشتهيه، بينما نشعر ببؤس حياة الأشرار. استطاع القديس بولس أن يقول عن موته: "أخيرًا، قد وُضع لي إكليل البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب

الديان العادل، وليس لي فقط، بل ولجميع الذين يحبون ظهوره أيضًا" (٢ تي ٤: ٨). لم يكن موته مثيرًا للحزن بل للبهجة والفرح، لأنه يترقب المكافأة التي أُعدَّتْ له عن جهاده الحسن.

١١. يهو آحاز وأسْرُه

كَانَ يَهُوآحَازُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ،
وَاسْمُ أُمِّهِ حَمُوطَلُ بِنْتُ إِرْمِيَا مِنْ لِبْنَةَ. [٣١]

ملك يهوآحاز لمدة ثلاثة أشهر، انتهت برجوع نخو من حاران.

يُقدِّم لنا التاريخ البابلي قصة سبي يهوآحاز، ففي عام ٦٠٩ ق.م سقط آخر ملوك أشور *Ashur-uballit* تحت ضيقٍ شديدٍ في حاران بواسطة الجيوش الكلدانية[1]، فأسرعت مصر لمساندته خشية الخطر الكلداني الذي بدأ يظهر على مسرح التاريخ. جاء فرعون نخو إلى إسرائيل وصارت منطقة إسرائيل وسوريا في قبضته، وأقام قائده في ربلة على بعد ٤٧ ميلاً جنوب حامة. استدعى يهوآحاز لمقابلته في ربلة كمركز قيادي لنخو في سوريا، حينئذ قيَّده وأُقتيد إلى مصر وأرسله إلى مصر[2]، ولم يرجع إلى بلده كما كان هو وشعبه يتوقعون (إر ٢٢: ١٠-١٢).

فَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَهُ آبَاؤُهُ. [٣٢]

يبدأ هذا الأصحاح بإصلاحات يوشيا بقوة، ومع ذلك نجد أن أولاده وشعبه قد رجعوا إلى الشرور حتى في نهاية حياته كما يظهر في سفر إرميا. ويُعلِّل البعض ذلك بأن يوشيا استخدم العنف في الإصلاح والقوة القهرية، فكان أولاده وشعبه في حالة كبتٍ، ما أن وُجدتْ فرصة للخلاص منه، حتى ارتدوا إلى ممارسة الشر الذي كان له مكان خاص في قلوبهم. ويرى آخرون ما أن مات يوشيا الملك حتى ظهر شر الشعب، مما يدل على أن إصلاحات يوشيا كانت صادرة منه، لكن كان عموم الشعب في أعماقهم لا يقبلونها .

وَأَسَرَهُ فِرْعَوْنُ نَخُو فِي رِبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ لِئَلاَّ يَمْلِكَ فِي أُورُشَلِيمَ،
وَغَرَّمَ الأَرْضَ بِمِئَةِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَوَزْنَةٍ مِنَ الذَّهَبِ. [٣٣]

يقول عنه إرميا النبي إنه لا يعود الملك من السبي (إر ٢٢: ١١-١٢). وقد أكَّد لهم الله أنه لن يعود ولن يرى أرضه بعد، لأنه لم يتمثّل بأبيه الصالح كما اعتدى على حق أخيه الأكبر.

١٢. إقامة يهوياقيم ملكًا

---

[1] *D.J Wiseman: Chronicle of Chaldaean Kings, p 63*
[2] *See J Bright: A History of Israel, p. 303, Thompson, p 476.*

وَمَلَّكَ فِرْعَوْنُ نَخُو أَلِيَاقِيمَ بْنَ يُوشِيَّا عِوَضًا عَنْ يُوشِيَّا أَبِيهِ،
وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى يَهُويَاقِيمَ،
وَأَخَذَ يَهُوآحَازَ، وَجَاءَ إِلَى مِصْرَ فَمَاتَ هُنَاكَ. [٣٤]

أقام فرعون مصر الابن الآخر يهوياقيم الذي صار ألعوبة في يده، وفي عام ٦٠٥ ق.م انهزمت مصر أمام بابل، وأصبحت يهوذا خاضعة لبابل (٢٤:١).

وَدَفَعَ يَهُويَاقِيمُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ لِفِرْعَوْنَ،
إِلاَّ أَنَّهُ قَوَّمَ الأَرْضَ لِدَفْعِ الْفِضَّةِ بِأَمْرِ فِرْعَوْنَ.
كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ تَقْوِيمِهِ.
فَطَالَبَ شَعْبَ الأَرْضِ بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ لِيَدْفَعَ لِفِرْعَوْنَ نَخُو. [٣٥]

أرهق يهوياقيم الشعب بالضرائب ليدفع الجزية لسيده المصري، وكان يدفعها لمدة أربع سنوات (٢ مل ٢٣: ٣١-٣٥)، وقد عبد الأوثان وصنع الشر.

في السنة الرابعة من حكمه سجَّل إرميا النبوات التي نطق بها خلال السنوات السابقة، وقام باروخ بنسخها في درج، وإذ مُنِعَ إرميا من الدخول إلى بيت الله زمانًا طويلاً أمر باروخ أن يأخذ الدرج إلى الهيكل، ويقرأه أمام الشعب الحاضر بمناسبة الصوم. وصل الدرج إلى يد الملك، فاستمع إلى بعض فقراته، وعندئذ مزّقه وأحرقه بالنار. قام إرميا بكتابة درجين كالدرج الأول مع إضافات (إر ٣٦: ٢٧-٣٢) بتوجيه إلهي، ولكن الكاهن فشحور الناظر الأول للهيكل وأحد أعداء النبي وضعه في مقطرة ثم أطلقه في اليوم التالي (إر ٢٠: ١-٣).

في ٦٠٥ ق.م تغلَّب نبوخذناصَّر على نخو فرعون مصر في معركة كركميش *Carchemish* (إر ٤٦: ١-٢)، فاضطر يهوياقيم أن يحوِّل ولاءه وخضوعه لمصر إلى بابل، لكن ظل قسم ليس بقليل من الشعب يُفَضِّل الخضوع لمصر للجهاد معها ضد بابل، ويبدو أن يهوياقيم نفسه كان يميل إلى هذا، لكن إرميا حذَّر من ذلك.

كَانَ يَهُويَاقِيمُ ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ.
وَمَلَكَ إِحْدَى عَشَرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ زَبِيدَةُ بِنْتُ فِدَايَةَ مِنْ رُومَةَ. [٣٦]

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ آبَاؤُهُ. [٣٧]

ملك يهوياقيم لفترة قصيرة (٦٠٨-٥٩٨ ق. م)، اتَّسمتْ بالشر المتزايد (٢ أي ٣٦: ٥، ٨)، ملأ الأرض بكل نوع من الشرور والعنف (إر ١٨: ١٨-٢٠).

لا نسمع عن علاقة إرميا النبي بيوشيا الملك وابنه يهوآحاز، لكننا نسمع كثيرًا عن علاقته بالملك يهوياقيم. قال عنه: "ويل لمن يبني بيته بغير عدلٍ... يستخدم صاحبه مجانًا... عينيك وقلبك ليست إلا على خطفك وعلى سفك الدم الذكي... تُدفَن دفن حمارٍ مسحوبًا ومطروحًا بعيدًا عن أبواب أورشليم" (إر ٢٢: ١٣-١٩)، بل ويُقتَل وتُطرَح جثته على الأرض.

فمن شروره الآتي:

أ. كان عدوًا لإرميا النبي: عنَّفه إرميا النبي على كبريائه وظلمِه خلافًا لأبيه يوشيا الرجل الصالح، ورفضِه للعدل والبرّ (٢ مل ٢٣: ٣٦-٣٧). كما واجه إيليا النبي أخآب الملك، هكذا واجه إرميا النبي يهوياقيم. وقف إرميا في دار بيت الرب يُعلِنُ محاكمة الله لشعبه مُقدِّمًا لهم الرجاء الحيّ في العفو إن أعلنوا توبتهم وذلك عوض النظرة التفاؤلية التي قدَّمها الأنبياء الكذبة في رجاءٍ باطلٍ وخداعٍ. في ابتداء مُلْكِ يهوياقيم بن يوشيا مَلِك يهوذا صار الكلام من قبل الرب قائلاً:

"هكذا قال الرب: قف في دار بيت الرب وتكلم على كل مدن يهوذا القادمة للسجود في بيت الرب بكل الكلام الذي أوصيتك أن تتكلم به إليهم. لا تنقص كلمة.

لعلهم يسمعون ويرجعون كل واحدٍ عن طريقه الشرير، فأندم عن الشر الذي قصدتُ أن أصنعه بهم من أجل شر أعمالهم.

وتقول لهم هكذا قال الرب: إن لم تسمعوا لي لتسلكوا في شريعتي التي جعلتها أمامكم، لتسمعوا لكلام عبيدي الأنبياء الذين أرسلتهم أنا إليكم مبكرًا ومرسلاً إياهم فلم تسمعوا، أجعل هذا البيت كشيلوه، وهذه المدينة أجعلها لعنة لكل شعوب الأرض.

وسمع الكهنة والأنبياء وكل الشعب إرميا يتكلم بهذا الكلام في بيت الرب" (إر ٢٦: ١-٧).

كما وصفه يوسيفوس أنه لم يكن يخاف الله، ولا يهاب إنسانًا، وكان لزوجته نحوشتا أثرها عليه، هذه التي اشترك أبوها الناثان في جريمة قتل أوريّا.

ب. مزق درج الكتاب المقدس وأحرقه (إر ٣٦: ٢٧-٣٢).

ج. قتل النبي أوريا بن شمعيا رجل الله، الذي نطق بكلمات قاسية ضد أورشليم وسكانها كتلك التي نطق بها إرميا، فغضب الملك حتى اضطر أوريا إلى الهروب إلى مصر، لكن الملك جاء به وضربه بحد السيف، وطرح جثته في قبور عامة الشعب انتقامًا منه لجرأته. وقد حاول الملك أن يفعل ذلك بإرميا لولا تدخل أخيقام بن شافان وغيره لإنقاذه (٢٦: ٢٠-٢٤).

د. كان يهوياقيم الملك المستبد الدكتاتور، رافضًا لإصلاحك أبيه الملك يوشيا، وكان منحازًا لفرعون مصر ومتكلاً عليه (٢ مل ٢٣: ٣٤).

ه. كان خائنًا طماعًا وظالمًا لشعبه (إر٢٢:١٣-١٩)، عندما أُقيم ملِكًا في ظروف قاسية، إذ كان الملك ملتزمًا بدفع جزية باهظة لفرعون مصر (٢ مل ٢٣: ٣٣-٣٥)، عوض الاهتمام باحتياجات الشعب، ألزم الشعب ببناء قصره بطريقة مُبالَغ فيها.

هذا الشعب الذي كان يجب أن يُدعَى **صاحبه** تحوَّل إلى عبيد للملك، يعملون لحسابه بلا أجر، الأمر الذي حذَّرتْ منه الشريعة (لا ١٩: ١٣، تث ٢٤: ١٤-١٥). كان يليق بالملك أن يحفظ هذه الشريعة، ويحميها وسط شعبه، فلا يكون بينهم مستغلاً، فإذا به هو أول كاسرٍ لها. بهذا صار مثلاً سيئًا لشعبه وقدوة فاسدة.

و. بنى مرتفعات توفة في وادي هنوم (جهنم) جنوب أورشليم. وكانت النيران فيها لا تنقطع، حيث يلقي الناس البقايا والعوادم.

في هذه المرتفعات كانت تُقدَّم ذبائح بشرية (٢ مل ٢٣: ١٠). يُقدِّم الناس أبناءهم وبناتهم ويحرقونهم بالنار تقدمة للإله مولوك. لذا يهدد الرب أورشليم انه يجعل منها **"توفة"** التي تعني بالعبرية أي "موضع نار" تُحرق فيها أجساد الكثيرين (١٩: ١٣، ٣٠: ٣٣).

ز. تمرَّد على بابل بتحالفه مع مصر، فأخذه نبوخذناصر أسيرًا إلى بابل (٢ أي ٣٦:٦)، لكنهُ عاد فسمح له بالعودة إلى أورشليم حيث مات.

من وحي ٢ مل ٢٣

لتنزع عني كل فسادٍ،

ولتملأ قلبي بفرحك السماوي!

❖ يا له من منظر بديع أن يجتمع الكل معًا في حضورك.
يجتمع في داخلي الملك مع كل شيوخ يهوذا وسكان أورشليم والكهنة والأنبياء،
بحضورك أتمتع بسلطانِ روحي، فأصير كملكٍ أتحدى إبليس وكل قواته.
تهبني الحكمة السماوية، فأصير كأحد الشيوخ المقدسين.
أسكن كما في السماء، فأصير من سكان أورشليم العليا أمنا.
تقبل صلواتي وكل عبادتي، ذبيحة تسبيح أقدمها ككاهنٍ.
تنير أعماقي وأتعرف على أسرار حبك، كنبيٍ روحيٍ.

❖ يجتمع كل كياني حول شريعتك المقدسة.
لكي يُجَدِّد الجميع العهد معك!
لتجتمع كل طاقاتي معًا في حضورك الإلهي.

يجتمع العقل مع القلب وكل الحواس والعواطف.
تتقدس كل أعضاء جسمي مع نفسي بك، يا أيها القدوس!
لتعمل كلمتك فيّ، فأصير بالحق هيكلك المقدس.
لتتجلى في داخلي، وتسكب بهاءك في أعماقي.

❖ من ينزع عني كل بصمات الفساد إلا نعمتك؟!
من يطرد كل لذة شريرة إلا حلولك في داخلي؟
من يُكَرِّس كل طاقاتي لحساب مملكتك،
إلا روحك القدوس الساكن فيّ!

❖ لتعلن يا رب سكناك فيَّ!
ولتُقم ملكوتك الإلهي في داخلي!
ليملأ سلامك وفرحك وبهاؤك أعماقي!
لتصير نفسي وكالة السماء!

❖ أدخل معك في عهدٍ جديدٍ،
فاحتفل بفصحٍ روحيٍ يَعْبُرُ بي إلى أحضانك.
ويصير ناموسك دستور حياتي!
لتصرخ أعماقي: أنت لي، وأنا لك يا حبيب نفسي!

❖ قد أُعجَب بقادة روحيين وأقتدى بهم.
قد أُمارِس أعمالاً مقدسة،
لكن من يمس قلبي ويلهبه بالحب سواك؟!
من يهبني نقاوته وإخلاصه واتساعه للحق غيرك؟
توبني فأتوب، اشفني فأُشفَى!
رُدَّني إليك، فالتصق بك!

اَلأَصْحَاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

الأيام الأخيرة لأورشليم

انحدار سريع

سمح الله بقيام ملك صالح "يوشيا" بعد منسى وآمون، ليُعلن أنه مع قيام آخر ملك صالح، بقي القادة والشعب يقومون بتنفيذ أوامره، لكن قلوبهم كانت مُنْحَلَّة وغير نقية. إذ مات منسى سرعان ما توالى سلسلة من الملوك الضعفاء الأشرار يسلكون بروح منسى، وصار علاج الموقف مع طول أناة الله كل هذه الأزمنة أن تلحق مملكة يهوذا بأختها إسرائيل فتسقط في السبي البابلي.

لقد بدأ الانحدار السريع:

أ. **يهوياقيم**: كان في طبيعته من أسوأ ملوك يهوذا، صعد نبوخذناصر ملك بابل واستعبده لمدة ثلاث سنوات. تمرَّد على ملك بابل، ربما بتشجيع نخو فرعون مصر. فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين والأراميين والموآبيين وبني عمون، وغالبًا ما جُرِحَ، وإذ اقتيد إلى بابل (٢ أي ٣٦: ٦). مات في الطريق بسبب الجروح وطُرِحَتْ جثته، ومات كحمارٍ بدون دفنٍ (إر ٢٢: ١٩).

ب. **يهوياكين**: اسمه الحقيقي يكنيا (٢ أي ٣: ١٦) أو كُنيا (إر ٢٢: ٢٤)، استلم العرش عوض والده يهوياقيم. عزله نبوخذناصر، وإن كان الشعب حسبه الملك الرسمي رغم إقامة صدقيا عوضًا عنه، معتبرين الأخير عميلاً لبابل.

ج. **صدقيا**: أقيم ملكًا أو نائبًا لملك بابل في يهوذا لمدة ١١ سنة واستمر في شره، وإذ تمرَّد على بابل بتحريض من ملك مصر، حوصرت أورشليم وحاول صدقيا الهروب، فقبض عليه جيش بابل، وقدَّمه لملك بابل الذي قتلَ ابنيه أمام عينيه، ثم فقأ عينيه، واقتاده وهو أعمى إلى بابل في مذلةٍ في السجن حتى مات.

١. **يهوياقيم وتمرده** ١-٥.

٢. **يهوياكين وسبي أورشليم** ٦-١٦.

٣. **صدقيا (متنيا) وتمرده** ١٧-٢٠.

١. يهوياقيم وتمرده

فِي أَيَّامِهِ صَعِدَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ،
فَكَانَ لَهُ يَهُويَاقِيمُ عَبْداً ثَلاَثَ سِنِينَ.
ثُمَّ عَادَ فَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ. [١]

أصبحت بابل القوة العالمية الجديدة بعد القضاء على أشور في عام ٦١٢ ق.م.

يقول إرميا النبي إن السنة الرابعة ليهوياقيم هي السنة الأولى لنبوخذناصَّر وسنة معركة كركميش عام ٦٠٥ ق. م التي فيها انتصر على ملك مصر، وأخذ ما كان له من الفرات إلى مصر، أي وادي العريش الفاصل بين إسرائيل ومصر (إر ٢٥: ١؛ ٤٦: ٢). نتيجة هذه المعركة تم طرْد المصريين، واستولت بابل على يهوذا لتصبح جزءًا من إمبراطوريتها (٢ مل ٢٤: ١). وكان هذا هو الغزو البابلي الأول ليهوذا من بين ثلاث غزوات في مدى عشرين عامًا. وكان دانيال أحد الأسرى في هذا الغزو. أما الغزوان الأخيران فكانا في عام ٥٩٧ ق.م و٥٨٧ ق.م.

كان نبوخذناصَّر قائدًا للجيش ونائبًا عن أبيه الملك، وقد سُمِّي ملكًا. خلفت مملكة بابل مملكة أشور من جهة أرضها ومن جهة سياستها أيضًا.

صار يهوياقيم عبدًا له لمدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك تمرَّد عليه، ربما بتشجيع من فرعون نخو الذي نجح في ردّ البابليين عن الحدود المصرية عام ٦٠١ ق. م.، وكان هذا التمرُّد ضد مشورات إرميا.

فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَيْهِ غُزَاةَ الْكَلْدَانِيِّينَ وَغُزَاةَ الأَرَامِيِّينَ وَغُزَاةَ الْمُوآبِيِّينَ وَغُزَاةَ بَنِي عَمُّونَ، وَأَرْسَلَهُمْ عَلَى يَهُوذَا لِيُبِيدَهَا حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ. [٢]

عصى نبوبولاسر والي بابل سيده ملك أشور، وأسَّس مملكة بابل في أيام يوشيا، واتحد مع سياكسرس ملك مادي، وحاربا نينوى وأخذها.

أرسل نبوبولاسر ابنه نبوخذناصَّر لمقاومة فرعون نخو الذي كان قد زحف إلى كركميش، فضربه وأخذ كل ما كان في سوريا. ونزع يهوآحاز ملك يهوذا، وملَّك يهوياقيم، ثم مات نبوبولاسر وتبوَّأ ابنه نبوخذناصر العرش.

خضع يهوياقيم لملك بابل نبوبولاسر لمدة ثلاث سنين ثم تمرَّد عليه، أي على ابنه في السنة الرابعة ليهوياقيم، وهي السنة الأولى لنبوخذناصَّر. وكان الأخير منهمكًا في أمور في حروبه بعيداً، أرسل على يهوياقيم جيشًا من الأراميين والموآبيين والعمونيين، فهو يعرف عداوتهم ليهوذا وكانوا بقيادة غزاة الكلدانيين الذين من جنوب ما بين النهرين. وفي هذه المعركة أخذوا سبايا ٣٠٢٣ أسيرًا إلى بابل (إر ٥٢:٢٨). ولقد حفظ الله شعبه من هؤلاء الغزاة بل ونصرهم عليهم مراراً.

بعد ذلك صعد نبوخذناصَّر نفسه عليه، وأخذه وقيَّده بسلاسل من نحاس ليذهب به إلى بابل، ولكنه عدل عن قصده هذا. ومات يهوياقيم أو قُتل في وسط الطريق وطُرِحَتْ جثته على الأرض كجثة حمار (إر ٢٢: ١٩).

الكلدانيون: يُطلَق تعبير "الكلدانيين" على البابليين (٢ مل ٢٤-٢٥). هم شعب قطن جنوب بابل، في جنوب المصيصة أو ما بين النهرين، بين مدينة بابل والخليج الفارسي. كانت هذه القبائل هي مركز القوي المضادة للأشوريين. لقد ضمَّ الجيش البابلي جنسيات كثيرة بجوار الكلدانيين (٣٤: ١)، لكن حينما يُشار إلى الكلدانيين يُعنَى القوة البابلية التي حطَّمت الأشوريين.

في فترة بابل الجديدة صار اسم الكلدانيين يُعرَف بالبابليين، ودُعيت بابل كلديا *Chaldea*. بعد سقوط الإمبراطورية الكلدانية أو البابلية الجديدة صار اسم "الكلدانيون يُستخدم للعرَّافة" (دا ٢: ٢).

الموآبيون: يرى **القديس جيروم** أن كلمة "موآب"[1] التي تعني "من الأب" تشير إلى الشيطان والخارجين عن الله أبيهم، والذين لا يفكرون فيه[1]. ويشير موآب إلى "روح عدم التمييز"، فقد ظنوا أنه لا فرق بين الله الحيّ والآلهة الوثنية، وحسبوا بهلاك يهوذا وتدمير أورشليم أن لا خلاص للشعب مرة أخرى. "يقولون هوذا بيت يهوذا مثل كل الأمم" (حز ٢٥: ٨). يقول **القديس مار افرام السرياني:** [إنه بغير طين لا يبُنَى البرج **وبغير معرفة لا تقوم فضيلة**[2].]

بعد موت سليمان صارت **موآب** جزءًا من المملكة الشمالية، وفي أيام يهوشافاط هجموا على اليهودية لكنهم انهزموا أمامهم (٢ مل ٣)، بعد ذلك صارت موآب تارة خاضعة وأخرى مستقلة. في أواخر القرن الثامن ق.م. هزمهم الأشوريون، وإذ تدهور حال الإمبراطورية الأشورية استعاد موآب استقلاله. وفي أيام الملك يهوياقيم تحالف موآب مع الكلدانيين ضد يهوذا (٢ مل ٢٤: ٢). وبعد سنة ٥٨٢ ق.م. انهار موآب أمام نبوخذناصَّر؛ بعد ذلك خضع موآب لفارس والعرب.

إِنَّ ذَلِكَ كَانَ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ عَلَى يَهُوذَا لِيَنْزِعَهُمْ مِنْ أَمَامِهِ،
لأَجْلِ خَطَايَا مَنَسَّى حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ. [٣]

"لأجل خطايا منسى"، أي من أجل الخطايا التي علَّمهم إياها منسى. لكنهم لو تابوا عنها لقبلهم الله بالتأكيد. فالله طويل الأناة، لكنه لا يَقبَلُ الخطية، ويؤدب مادام الإنسان متمسكًا بها.

يروي لنا هذا السفر قصة العبودية في كثير من التفاصيل للأسباب التالية:

أولاً: لأنها تُمَثِّل قصة عبوديتنا للخطية، التي من أجلها جاء السيِّد المسيح لتحريرنا.

ثانيًا: لأن هذه التفاصيل تُمَثِّل جوانب حيَّة تمس حياتنا وعلاقتنا مع الله.

ثالثًا: لأننا كثيرًا ما ننسى أو نتناسى هذه العبودية، فعندما أعلن السيِّد المسيح رسالته، قائلاً: "تعرفون الحق، والحق يحرركم" (يو ٨: ٣٢)، أجابه اليهود: "إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبَد

---

[1] *On Ps. hom 34*

[2] بستان الرهبان، ص ٤٤١.

لأحد قط. كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحرارًا؟!" والعجيب أنهم ينطقون بهذا في الوقت الذي فيه كانوا مُستعبَدين للحكم الروماني، فإن هذه هي طبيعة الإنسان، يستسلم للعبودية، ويخضع خانعًا لها، ويظن أنه في حرية. لذا سُجِّلَتْ عبودية هذا الشعب وتحريرهم، حتى نذكر دومًا حاجتنا إلى السيِّد المسيح كمُحَرِّر لنفوسنا من أسْرِ الخطية.يُعلِّق **القدِّيس أغسطينوس** على هذه الإجابة قائلاً:

❖ حتى إن نظرنا إلى الحرية التي في العالم، فأين الحق في قولهم إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبَد لأحد قط (يو ٨: ٣١-٣٦)؟ ألم يُبَع يوسف (تك ٣٧: ٢٨)؟ ألم يؤخذ الأنبياء القدِّيسون إلى السبي (٢ مل ٢٤، حزقيال ١: ١)؟ وأيضًا أليسوا هم تلك الأمة التي كانت تخضع لحكام قساة فيصنعون اللِّبْن في مصر، يخدمون ليس فقط في الذهب والفضة، وإنما في الطين (خر ١: ١٤)؟ حتى في أيام السيِّد المسيح كانوا خاضعين للجزية للدولة الرومانية (مت ٢٢: ١٥-٢١). لو أنكم لم تُستعبَدوا لأحدٍ قط، فلماذا يُذكِّركم الله على الدوام أنه هو الذي خلَّصكم من بيت العبودية؟! ما أراده السيِّد المسيح هو أن يُحَرِّرهم من عبودية الأنا، الكبرياء الفارغ، لكنهم فهموا الحرية بمفهوم جسداني[1].

القدِّيس أغسطينوس

وكَذَلِكَ لأَجْلِ الدَّمِ الْبَرِيءِ الَّذِي سفَكَهُ،
لأَنَّهُ مَلأَ أُورُشَلِيمَ دَماً بَرِيئاً،
ولَمْ يَشَأ الرَّبُّ أَنْ يَغْفِرَ. [٤]

وبَقِيَّةُ أُمُورِ يَهُويَاقِيمَ وكُلُّ مَا عَمِلَ مكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. [٥]

٢. يهوياكين وسبي أورشليم

ثُمَّ اضْطَجَعَ يَهُويَاقِيمُ مَعَ آبَائِهِ،
ومَلَكَ يَهُويَاكِينُ ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ. [٦]

ما ورد هنا يشير أن يهوياقيم رقد بسلام في مسكنه. وقد جاء في (٢ أي ٣٦: ٦) وصف لأسْرِه وترحيله إلى بابل بواسطة نبوخذناصَّر، مما يشير أن يهوياقيم مات ميتة بشعة في أرض غريبة. في الحقيقة لم تحدد الفقرتان أين مات يهوياقيم. الترحيل الوارد في (٢ مل ٢٤: ١٠-١٦) ليس هو ما جاء في (٢ أي ٣٦: ٥-٨). يوجد اختلاف فيما عمله نبوخذناصَّر. حيث أن (٢ أي ٣٦: ٧) تشير أنه أخذ فقط يهوياقيم وبعض آنية بيت الرب، أما في (٢ مل ٢٤: ١٣) فيشير أن نبوخذناصَّر أخذ جميع خزائن بيت الرب، وسبى كل أورشليم. وهذا يوضح أن الحدثين مختلفان،

[1] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, trac. 41:2.*

لذلك من المُحتمَل أنه بعد السبي الأول عندما أُخذ يهوياقيم إلى بابل بحسب ما ورد في (٢ أي ٣٦)، سُمِحَ ليهوياقيم أن يعود إلى أورشليم في وقتٍ لاحق ومات هناك. ومن المُحتمَل أيضًا أن يكون يهوياقيم قد مات في السبي. واضح أن الأسفار صمتت عن هذه النقطة[1].

جاء في سفر إرميا: "**قال الرب عن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا: لا يندبونه قائلين: آه يا أخي، أو آه يا أخت. لا يندبونه قائلين: آه يا سيد، أو آه يا جلاله. يُدفن دفن حمار، مسحوبًا ومطروحًا بعيدًا عن أبواب أورشليم**" (إر ٢٢: ١٨-١٩). سبق فقال عنه "**ويل لهذا الرجل**" راجع [١٣]... وعلامة الويل الخارجية أنه بنى قصرًا فخمًا بمال الظلم، ولم يجد جثمانه قبرًا يُدفَن فيه، ولا من يبكيه. فكما لم يسمع لدموع المظلومين والمحتاجين، لا يجد من يسكب دمعة واحدة عليه.

ليس من يندب قائلاً: "**آه يا أخي، أو آه يا أخت؛ آه يا سيد أو آه يا جلالهُ.**" ماذا يعني بهذه الأسماء الأربعة (الأخ، الأخت، السيد، الجلالة)؟

أولاً: يرى البعض أن العبارة الأولى تصدر عن الحاضرين في الجنازة، ليس منهم من يقول للذين حوله: آه يا أخي، أو آه يا أختي، لأنه لا يشعر الرجال ولا النساء بالحزن على موت الملك. أما العبارة الثانية فيوجهها المشتركون في الجنازة نحو الميت، ليس منهم من يندب الملك كسيدٍ أو صاحب جلاله.

ثانيًا: يرى البعض[2] أن العبارة الثانية تعني بالسيد الأب، وبالجلالة الأم أو السيدة. وقد وُجدتْ في بعض النقوش الفينيقية عن الملك *Azitawadda* العبارة: [جعلني البعل أبًا وأمًا]. وكأن الملك في اللغة التقليدية يُتَمِّم كل دور الأسرة كأبٍ وأمٍ وأخٍ وأختٍ. هنا لا يندب الحاضرون الملك لأنه لم يحقق شيئًا في حياته. لم يقم بدور الأخ أو الأخت أو الأب أو الأم.

يُدفن دفن حمار، أي لا توجد له مقبرة لدفنه، بل يُسحَب جثمانه إلى موضع القمامة خارج أبواب المدينة. يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس بأن نبوخذناصَّر قتله في أورشليم وترك جثمانه بلا دفن بعيدًا خارج أبواب المدينة.

كيف يمكن التوافق بين ما ورد هنا عن موت يهوياقيم وعدم دفنه، وبين ما ورد في (٢ مل ٢٤: ٦)، أنه رقد مع آبائه، مما يُشتَم منه أنه قد دفن في مقبرة آبائه. يرى البعض أن ما ورد في (٢ مل ٢٤: ٦) لا يعني بها دفنه، إنما هي عبارة مستخدمة للتعبير عن الموت أيًا كانت ظروفه. ويرى آخرون أن عبارة إرميا "**يُدفَن دفن حمار، مسحوبًا ومطروحًا بعيدًا عن أبواب أورشليم**" (إر ٢٢: ١٨-١٩) تعبير مجازي عن حال الملك، فإنه وإن كان قد دُفِنَ رسميًا، لكنه

---

[1] *When Critics ask A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton، Ill. Victor Books. Geisler، N L ، & Howe، T A (1992)*

[2] *Ibid, 597.*

كان في عيني شعبه كحمارٍ ميتٍ لا يستحق إلا إلقائه خارج أسوار المدينة. هذه هي مشاعر شعبه!

وَلَمْ يَعُدْ أَيْضاً مَلِكُ مِصْرَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِهِ،
لأَنَّ مَلِكَ بَابِلَ أَخَذَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ،
كُلَّ مَا كَانَ لِمَلِكِ مِصْرَ. [٧]

إذ تتحني أنفسنا فلا نتطلع إلى الساكن في السماء، بل نطلب عونًا من الأرض نفشل. فقد تظاهر المصريون أنهم حلفاء لهم، لكنهم كانوا عاجزين عن مساندتهم، وغير راغبين في ذلك. قيل: "ولم يعد أيضًا ملك مصر يخرج من أرضه، لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر" (٢ مل ٢٤: ٧). "فإن مصر تعين باطلاً وعبثًا، لذلك دعوتُها رهب الجلوس" (إش ٣٠: ٧).

كان قادة يهوذا يتطلّعون إلى مصر والتحالف معها كمصدر رجاء للخلاص من الكلدانيين (إر ٣٧: ٣-١٠). وكان ذلك موضوع خلاف بين إرميا والملك، بل ومع مشيري الملك ورجال الدولة ورجال الدين والشعب. الكل حسبوا التحالف مع مصر ضد الكلدانيين، وليس التوبة، هو الرجاء في الخلاص من هجوم الكلدانيين. وعندما حذّر إرميا النبي صدقيا من ذلك، أودعه في دار السجن (إر ٣٧: ٥-٢١).

كَانَ يَهُويَاكِينُ ابْنَ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ،
وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ.
وَاسْمُ أُمِّهِ نَحُوشْتَا بِنْتُ أَلْنَاثَانَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. [٨]

"يهوياكين" معناها "الرب يعيّن". يصف الكتاب المقدس يهوياكين كشابٍ ناضجٍ (إر ٢٢: ٢٤-٣٠؛ حز ١٩: ٦).

"ابن ثماني عشرة سنة" وجاء في ٢ أي ٣٦: ٩ "كان ابن ثماني سنين". وهناك حلان لهذه المشكلة: الأول أنه جلس مع أبيه على العرش وملك معهُ وكان عمره ثماني سنين كما هي عادة ملوك هذا الزمان. والثاني مدة الثماني سنين محسوبة من مدة السبي الأول أو من جلوس نبوخذنصّر على العرش.

الأرجح أن عُمر يهوياكين كان ١٨ سنة حين ملك وليس ثماني سنين، لأنه كان لهُ نساء [١٥]. كذلك وُصِف بأنه "عمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمله أبوه" (٢ مل ٢٤: ٩)، وهذا وصف لشاب كبير أكثر منه وصف لفتى. بالإضافة إلى ذلك، يشير حُكم الكلدانيين عليه

بالسجن عام ٥٩٧ ق.م إنهم عاملوه كرجلٍ كبيرٍ مسئول[1].

تنبأ إرميا في أيام يهوياكين الذي لم يدم ملكه سوى ثلاثة شهور، وجاء نبوخذناصر إلى أورشليم وأخذه هو وعائلته ورؤساء الشعب مع خزائن بيت الرب إلى بابل (٢ مل ٢٤:٨-١٦)، وعاش أسيرًا في السبي.

مما يجدر ملاحظته أن السلطات اليهودية تطلعت إلى نبوات إرميا وكلماته أثناء حصار أورشليم بمنظار سياسي حربي لا ديني، فرأت فيها تحطيمًا لمعنويات الجيش ونفسية الشعب، فحسبته خائنًا وطنيًا.

في هذه المرة عالج نبوخذناصَّر الموقف بطريقة لطيفة غير متوقعة، إذ لم يقم بتدمير المدينة ولا الهيكل ولا المنشآت العامة ولا حتى أسوارها الحربية، إنما اكتفي بأخذ الملك الشرير يهوياكين الذي لم يدم ملكه سوى ثلاثة شهور، كما أخذ عائلته ورؤساء الشعب وخزائن بيت الرب إلى بابل (٢ مل ٢٤: ٨-١٦).

لقد انكسر قلب حزقيال الذي رأى الهيكل المحبوب لديه وقد نُهِبَتْ أدواته التي يرجع عمرها إلى حوالي ٣٠٠ عامٍ منذ أيام سليمان وصُهرت، ووُضعت في زكائب البابليين، وقد قام الملك الجديد صدقيا ابن أخ يهوياكين (٢ مل ٢٤: ١٧) بتدنيس الهيكل، وصار الوثنيون الغرل يُنجّسون المواضع المقدسة. هذا وقد نصب نبوخذناصَّر شباكه في بلاد يهوذا ليصطاد كل شابٍ له قدرة أو موهبة أو مركز وحملهم إلى بابل، وكان من بينهم حزقيال نفسه، لكي يضمن عدم حدوث أية ثورات ضده في يهوذا، تاركًا الفلاحين والمُعدَمين جدًا غير القادرين على الثورة (٢ مل ٢٥: ١٢).

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ أَبُوهُ. [٩]

كان يهوياكين مثل أبيه يهوياقيم شريرًا (٢ مل ٢٤: ٨-١٧)، خلفه في المُلْك وكان في بلده أورشليم. كان يمكن بالبرّ أن يعيش آمنًا كخاتمٍ ثمينٍ في يد الله، لا يقرب إليه أحد، لكنه بسبب شره لنتزعه الله بعد ثلاثة شهور من مُلْكِه، وهو بعد في الثامنة عشر من عمره مع أهل بيته، وسُبي عام ٥٩٧ ق.م إلى بابل، ليعيش غريبًا مسبيًا في حالة رعبٍ!

حُرِمَ الملك من وطنه ومن شعبه، فصار في مذلةٍ داخليةٍ مهما قُدِّم له من كرامة أو إمكانيات.

جاء في سفر الملوك (٢ مل ٢٤، ٢٥) عن يهوياكين أنه قد رُفع شأنه في بابل في أواخر

---

[1] *When Critics ask: A popular handbook on Bible difficulties. Wheaton, Ill.: Victor Books. Geisler, N. L., & Howe, T. A (1992).*

حياته، لكنه بقى مسبيًا ولم يرجع إلى وطنه.

ومع أنه كان له عدة أبناء (١ أي ٣: ١٧)، فإن أحدًا منهم لم يجلس على عرش إسرائيل، لذلك حُسب عقيمًا.

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ صَعِدَ عَبِيدُ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ،
فَدَخَلَتِ الْمَدِينَةُ تَحْتَ الْحِصَارِ. [١٠]

خلف يهوياكين أباه يهوياقيم ليواجه أقوى جيش على وجه الأرض في ذلك الحين. بعد اعتلائه العرش بأسابيع قليلة تم الغزو الثاني حيث نهب البابليون الهيكل وأسروا غالبية القادة بما فيهم الملك. واضح هنا أن حصار أورشليم قد تمَّ. فسُجن الملك وعائلته ورجال القصر [١٢]. وسُلب الهيكل وقصر الملك [١٣]، وسُبي الجيش [١٤].

أقام نبوخذناصَّر صدقيا، أحد أبناء يوشيا، ملكًا على يهوذا، لكن اليهود لم يقبلوه حاسبين ملكهم هو يهوياكين.

وَجَاءَ نبوخذناصَّر مَلِكُ بَابِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ،
وَكَانَ عَبِيدُهُ يُحَاصِرُونَهَا. [١١]

صعد عبيد نبوخذناصَّر أولاً ليحاصروا المدينة، ثم جاء نبوخذناصَّر بنفسه. غالباً كان آتيًا من صور التي كان يحاصرها في نفس الوقت.

جاء صدقيا خلفًا للملك يكنيا أو كنياهو (٢ مل ٢٤)، وقد رأى في سلفه ثمار رفض الكلمة الإلهية، لكنه لم يتَّعظ هو ورجاله وشعبه. أُستخدم اسم كنياهو اختصارًا لكلمة "يكنيا"، وفيه نوع من التوبيخ.

رفض الملك وعبيده وشعبه أن يسمعوا لكلام الله على لسان إرميا، ففقدوا سلامهم الداخلي. ظنوا أن في حبس إرميا إراحة لضمائرهم، ونُصرةَ لأفكارهم، لكن بقي النبي المُفتَرَى عليه يحمل قوة وحرية داخلية داخل السجن، لأنه ملتصق بالكلمة الإلهية، بينما شعر الملك بالضعف، يطلب كلمة من شفتي إرميا لعله يستريح.

لعل إرميا النبي كان في أعماقه يُرَدِّد كلمات داود الملك: "تكلمتُ بشهاداتك قدام الملوك ولم أخزَ" (مز ١١٩: ٤٦)، ويُعلِّق **الأب أنثيموس أسقف أورشليم** على هذه العبارة، قائلاً: [علامة محبة الله... هي أن تتكلم بشهاداته قدام الملوك جهرًا وبشجاعة، كما تَكلَّم الرسل والشهداء... لا نخزى إن كانت أعمالنا وأقوالنا لائقة بملك الملوك المُتكلِّم فينا، وأن نهذ بوصاياه بالمحبة والثقة، لا

بضجر أو تهاون[1].]

❖ يُعطَى للشر سلطان ضدنا حسب خطايانا كما هو مكتوب:" من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين؟! أليس الرب الذي أخطأنا إليه، ولم يشاءوا أن يسلكوا في طرقه، ولم يسمعوا لشريعته، فسكب عليه حمو غضبه" (أش ٤٢: ٢٤-٢٥). مرة أخرى عندما أخطأ سليمان، وترك وصايا الرب وطرقه، كُتِبَ: "وأثار الرب الشيطان ضد سليمان نفسه" (١ مل ١١: ١٤)...

يحثنا الرب أن نقول في الصلاة: "ولا تدخلنا في تجربة"، إذ بهذه الكلمات يظهر أن العدو لا يقدر أن يفعل شيئًا ضدنا ما لم يسمح له الله بذلك مقدمًا، حتى تتحول مخافتنا وتقوانا وطاعتنا نحو الله. إذ في تجاربنا لا يُسمَح بالشر ما لم يُعطَ سلطان من الله. هذا يتحقق من قول الكتاب المقدس: "وجاء نبوخذناصر ملك بابل على المدينة وكان عبيده يحاصرونها، وسلَّمها الرب ليده" (راجع ٢ مل ٢٤: ١١ *LXX*)[2].

القديس كبريانوس

فَخَرَجَ يَهُويَاكِينُ مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ،
هُوَ وَأُمُّهُ وَعَبِيدُهُ وَرُؤَسَاؤُهُ وَخِصْيَانُهُ،
وَأَخَذَهُ مَلِكُ بَابِلَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مُلْكِهِ. [١٢]

مات يهوياقيم قبل وصول نبوخذناصَّر إلى أورشليم، لذلك سُبي يهوياكين مع بقية قادة يهوذا مثل حزقيال (حز ١: ١). ملك لمدة ثلاثة أشهر فقط [٨] في عام ٥٩٨ ق. م. سلَّم يهوياكين نفسه وكل أهل بيته حتى يحفظ المدينة من الهدم.

جاء في إرميا: "كل رعاتك ترعاهم الريح، ومُحبُّوكِ يذهبون إلى السبي، فحينئذٍ تخزين وتخجلين لأجل كل شرك" (إر ٢٢: ٢٢). ربما قصد بـ "رعاتك" ملوك يهوذا ورجالهم الذين كان يجب أن يرعوا الشعب، فصاروا في حاجة إلى رعاية من الخارج. لقد سقطوا تحت السبي عام ٥٩٧ ق.م، فصارت أورشليم في خزي وعارٍ بلا رعاية، يرعاها الريح الباطل.

لعله أيضًا يقصد بالرعاة هنا أولئك الذين كانت تظنهم رعاة لها، سواء ملوك الأمم المتحالفة معهم أو آلهتهم، فإنهم هم أنفسهم يحتاجون إلى رعاة، وقد صارت الريح هي راعية لهم، لا تُقدِّم لهم إلا رياحًا مُهلِكة! إنها رياح شرقية تبدد الشعب (إر ١٨: ١٧). باتكالها على ملوك الأمم وآلهتهم قبلت الرياح المُحطِّمة عوض روح الله القدوس الواهب الحياة والنصرة والنجاح، يهب على النفس، فيحولها إلى مقدسٍ سماوي لا تستطيع كل قوات الظلمة أن تفسده.

---

[1] للمؤلف: مز ١١٩ [غنى كلمة الله ولذتها].

[2] *Treatise 4 on the Lord's Prayer, 25.*

هكذا دفعها شرها إلى الاتكال على الذراع البشري والآلهة الكاذبة فتحطّمتْ معهم!

وَأَخْرَجَ مِنْ هُنَاكَ جَمِيعَ خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ،
وَكَسَّرَ كُلَّ آنِيَةِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ،
كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. [١٣]

غالباً في هجومه الأول [١٢] أخذ الآنية الخفيفة، وفي هذا الهجوم [١٣] كسر الأواني الكبيرة والمذابح (مذبح البخور والموائد) ليأخذ الذهب الذي فيها، لأن بيلشاصر شرب في آنية الهيكل.

"كما تكلم الرب" أي كما ذكر إشعياء لحزقيا الملك.

هاجم نبوخذناصَّر الهيكل ٣ مرات:

أ. أخذ الآنية ووضعها في هيكل إلهه، وهذه أعادها كورش مع عزرا عند الرجوع من السبي.

ب. حين كسر الأواني الكبيرة وحملها معه.

ج. حين هدم الهيكل وأخذ كل النحاس.

❖ يلزمنا أن نعترف ونكرر مرارًا أنه من الأفضل بكثير أن نحفظ النفوس عن حفظ الذهب للرب. لأن ذاك الذي أرسل الرسل بدون ذهب (مت ١٠: ٩) يطلب أن يُحضر الكنائس بدون ذهب فلا لتقوم بتخزينه، وإنما تنفقه وتستخدمه دائمًا للمحتاجين. ما هي الضرورة أن نحتفظ بما هو ليس صالحًا (في ذاته)؟

ألسنا نعرف كيف أخذ الأشوريون الكثير من الذهب والفضة من هيكل الرب؟

أليس من الأفضل للكهنة أن يستخدموه في مساندة الفقراء، عوض أن يسلبه الأعداء الدنسين ويدنّسوه؟[1]

القديس أمبروسيوس

وَسَبَى كُلَّ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ الرُّؤَسَاءِ وَجَمِيعَ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ.
عَشَرَةَ آلاَفِ مَسْبِيٍّ،
وَجَمِيعَ الصُّنَّاعِ وَالأَقْيَانِ.
لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلاَّ مَسَاكِينُ شَعْبِ الأَرْضِ. [١٤]

تضم المملكة الجنوبية (يهوذا) سبطي يهوذا وبنيامين، سباهم البابليون عام ٥٨٦ ق.م. قيل

[1] *Duties of the Clergy, Book 2, ch 28:136*

عن نبوخذناصَّر: "وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البـأس عـشرة آلاف مـسبي وجميع الصناع والأقيان. لم يبقَ أحد إلا مساكين شعب الأرض... سباهم ملك بابل إلى بابـل" (٢ مل ٢٤: ١٤-١٥).

رقم عشرة آلاف غالبًا هو رقم تقريبي عن المرَّحلين من كل صنف من يهوذا وأورشليم، من فئات كثيرة مثل أولئك الذين أشير إليهم في عدد ١٦.

اختلفت سياسة البابليين عن الأشوريين في التعامل مع المسبيين، فالأشوريون يجلون غالبية السكان، ويعمرون البلاد بجنسيات أخرى تختلط بالقلة القليلة من أهل البلد، أما البابليون فكانوا يأخذون العظماء والقادة والصناع الماهرين ويتركون المساكين والضعفاء لحُكْم البلاد. يقيمون منهم حكامًا يخضعون لهم. أما الأسرى إلى بابل، فيُسمَح لهم أن يعيشوا معًا، ليصبحوا جزءًا هامًا من المجتمع في بابل. هذا ما ساعد اليهود أن يلتحموا معًا في السبي إلى حين عودتهم في أيام عزرا وزرُبابل الخ.

لكي يذل أورشليم ترك المساكين فقط، وأخذ الرؤساء وأصحاب البأس والصنَّاع المهرة مثل **الأقيان** أي الحدادين والمهرة.

يتطلع المرتل إلى ما حلَّ بمدينة الله، ويصرخ قائلاً:

"اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك، نجَّسوا هيكل قدسك،

جعلوا أورشليم أكوامًا.

دفعوا جثث عبيدك طعامًا لطيور السماء. لحم أتقيائك لوحوش الأرض.

سفكوا دمهم كالماء حول أورشليم، وليس من يرفق.

صرنا عارًا عند جيراننا، هزءًا وسخرة للذين حولنا.

إلى متى يا رب تغضب كل الغضب، وتتقد كالنار غيرتك؟" (مز ٧٩: ١-٥).

لعل البابليين أدركوا أن هؤلاء الفقراء لم يكن لهم دور في القرار الخاص بعدم الاستسلام أثناء الحصار، لذا تركوهم في أرضهم. ومن جانب آخر، فإنه من الحكمة أن يرضوا الفقراء حتى متى عاد الكلدانيون إلى بابل ورحلت الجيوش عن أورشليم لا تحدث ثورة ضد بابل. ليس فقط تُرَد ممتلكات هؤلاء الفقراء الذين نهبهم أغنياء بني جنسهم واستغلوهم، وإنما ينالون ما كان للأغنياء.

❖ يقودني نبوخذناصَّر الحقيقي مربوطًا بالسلاسل إلى بابل، أي إلى بابل الفكر المرتبك.

هناك يضع عليَّ نير العبودية،

هناك يضع خزامة من حديد في أنفي،

ويأمرني أن أرنّمَ بتسبحة من تسابيح صهيون (٢ مل ١٩: ٢٨، مز ١٣٦: ٣)[1].

القديس جيروم

❖ إنها خطايانا التي تجعل البرابرة أقوياء، إنها رذائلنا التي تقهر جنود روما...

يا لبؤس الإسرائيليين الذين عندما قورنوا بنبوخذناصر دُعي هو عبد الله (إر ٢٧: ٦).

يا لبؤسنا نحن أيضًا الذين إذ نُغضِب الله، يستخدم غضب البرابرة ليصب غضبه علينا.

ومع هذا عندما تاب حزقيا هلك ١٨٥٠٠٠ جندي أشوري بواسطة ملاكٍ واحدٍ (٢ مل ١٩: ٣٥).

وعندما رنَّم يهوشافاط للرب تسابيح وهب الله ذاك الذي تعبَّد له النصرة (٢ أي ٢٠: ٥-٢٥).

أيضًا عندما حارب موسى ضد عماليق، غلب لا بالسيف، بل بالصلاة. لهذا إن أردنا أن نرتفع يلزمنا أولاً أن ننبطح![2]

القديس جيروم

❖ تنبأ النبي القديس إرميا أنه بعد سبعين عامًا سيعود الشعب من السبي، ويبنون مدينة أورشليم نفسها، التي بكوا عليها، التي دمَّرها الأعداء. لكن في ذلك الوقت وُجد أنبياء في السبي بين الشعب الساكن في بابل، من بينهم حزقيال النبي. هؤلاء كانوا ينتظرون تحقيق الوعد الخاص بالسبعين عامًا حسب نبوة إرميا (إر ٢٥: ١١؛ ٢٩: ١١). حدث هذا عندما تمت السبعين سنة، فأُصلح الهيكل الذي دُمِّر، وعاد من السبي عددٌ كبيرٌ من الشعب[3].

القديس أغسطينوس

وَسَبَى يَهُويَاكِينَ إِلَى بَابِلَ.

وَأُمَّ الْمَلِكِ وَنِسَاءَ الْمَلِكِ وَخِصْيَانَهُ وَأَقْوِيَاءَ الأَرْضِ سَبَاهُمْ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَابِلَ. [١٥]

مرَّتْ بيهوذا فترة هدوء نسبي، شجعت يهوذا على الثورة ضد بابل، لكن الأخيرة أرسلت فرقًا من الجيش إلى فلسطين. وفي عام ٥٩٨ ق.م وصل جيشها إلى يهوذا، وفي هذا الوقت مات يهوياقيم بطريقة غامضة، وتوِّج ابنه يهوياكين (يكينا) الذي كان في الثامنة عشرة من عمره وكان مملوءًا شرًا. لم يدم ملكه سوى ثلاثة شهور، وجاء نبوخذناصَّر إلى أورشليم وأخذه هو وعائلته ورؤساء الشعب مع خزائن بيت الرب إلى بابل (٢ مل ٢٤: ٨-١٦)، وعاش أسيرًا في السبي.

---

[1] *Letter 7.*
[2] *Ep 60: 17*
[3] *On Ps.65 (64).*

بعد سنوات (سنة ٥٦٢ ق.م) حُرِّر لكن لم يُسمَح له بالعودة إلى بلاده (إر ٥٢: ٣١-٣٤؛ ٢ مل ٢٥: ٢٧-٣٠). سقط التاج عن رأسه وعن رأس أمه، وضاع من بين أيديهما المُلك. واضح هنا أنه كان للملكة الأم دور رئيسي في إدارة المملكة في يهوذا، وكان لها سلطانها في أيام الملك آسا حتى تخلَّص منها (١ مل ١٥: ١٣).

حين حلَّت الكارثة لم يجد الملك وأيضًا الملكة لهما ملجأ في منطقة الجنوب أو مدن نجب (القسم الجنوبي من يهوذا) *Negeb* المعروفة بخصوبتها ومدنها الكثيرة، لأن جيوش الغازين عزلت أورشليم عن مدن الجنوب حتى لا يجد سكان أورشليم مجالاً للهروب؛ أو لأن هذه المدن إذ أدركت الخطر الذي حلَّ بأورشليم أغلقت أبوابها وخشت أن تفتحها حتى لقيادات يهوذا عند هروبهم.

من الجانب التاريخي هدَّدتْ أدوم مدن نجب ألا تقبل اللاجئين من أورشليم حتى يملك الغازون تمامًا. فعلت هذا إما لمصلحتها الشخصية حيث أرادت خراب يهوذا، أو لحساب البابليين، وقد وُجِدَتْ نقوش تؤكد ذلك[1]. يرى البعض أن هذه المدن كانت مخازن للملك، لذلك حاصرها الأعداء لمنع وصول مؤونة إلى أورشليم أثناء حصارها.

سبي يهوياكين ورد في (٢ أي ٣٦: ٩-١٠)، تنبأ عنه إرميا النبي (إر ٢٢: ٢٤-٢٧). على خلاف يهوآحاز الذي حُمِلَ إلى مصر ثم اختفى، إذ لا يذكر التاريخ المقدس عنه شيئًا. أما يهوياكين فقد سجَّل موضوع تحرره مرتين (٢٥: ٢٧-٣٠؛ إر ٥٢: ٣١-٣٤).

"وأسلمك إلى يد طالبي نفسك، وليد الذين تخاف منهم وليد نبوخذراصر ملك بابل وليد الكلدانيين. وأطرحك وأمك التي ولدتك إلى أرض أخرى لم تُولدا فيها، وهناك تموتان. أما الأرض التي يشتاقان إلى الرجوع إليها، فلا يرجعان إليها" (إر ٢٢: ٢٥-٢٧).

عوض أن يكون مكانه في يد الله حيث الحرية والمجد، يصير موضعه هو وأمه في السبي حيث العبودية والذُل. لقد سُبيت نحوشتا بنت ألناثان (٢ مل ٢٤: ٨، ١٥) مع ابنها الملك يهوياكين إلى بابل. فقد الملك عرشه، وأُلقي في أرض السبي كما في موضع القمامة خارج أبواب أورشليم، وصار كبواقي إناء خزفي مكسور لا قيمة له.

لقد نادى الأنبياء الكذبة[2] بأنه سيرجع من السبي، وذلك لكي يعطوا رجاءً لرجال الدولة والشعب ويسرونهم، فكان كثيرون يعتبرونه الملك الرسمي بالرغم من سبيه، لكن إرميا النبي في جرأة نطق بما تكلم به الرب.

بقي يهوياكين في بابل إلى أيام مردوخ بن نبوخذناصَّر، أي أكثر من ٣٧ سنة.

---

[1] *Holladay, p. 409.*
[2] *John guest, p 167*

وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْبَأْسِ، سَبْعَةُ آلاَفٍ،
وَالصُّنَّاعُ وَالأَقْيَانُ أَلْفٌ،
وَجَمِيعُ الأَبْطَالِ أَهْلِ الْحَرْبِ،
سَبَاهُمْ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَابِلَ. [١٦]

نجد في آية ١٤ أنه سبى ١٠,٠٠٠ وفي آية ١٦ نجده سبى ٧,٠٠٠.

فجميع أصحاب البأس سبعة ألاف وكل الرؤساء ألفان والصناع والأقيان ألف. لقد سبى ملك بابل جميع الأبطال أهل الحرب إلى بابل.

إذ اقترب موعد سفر **القديس غريغوريوس العجائبي** من قيصرية فلسطين بعد أن قضى عدة سنوات، تتلمذ على يدي **العلامة أوريجينوس** حوالي عام ٢٣٨م، ألقى خطابا وجهه إلى مُعلِّمه شبَّه نفسه فيه بآدم وهو يرحل من الفردوس، والابن الضال الذي يهجر بيت أبيه، **وترحيل اليهود إلى بابل**. جاء في هذا الخطاب الآتي:

❖ إنني كأحد هؤلاء (المُرَحَّلين إلى بابل) بالحق تبدو لي نفسي، كمن يُطرَد من مدينته، ومن أرض أبيه المقدسة التي عليها تُعلق الشرائع المقدسة نهارًا وليلاً، وتُسمَع فيها التسبيح والأغاني والكلمات الروحية. فيها أيضا نور الشمس الدائم وفي النهار نتمتع برؤية ونحن في يقظة نقترب من أسرار الله. وفي الليل في الأحلام لا نزال ننشغل بما رأته النفس ولمسته في النهار. ويسيطر إعلان الإلهيات على الكل باستمرار .

أقول من هذه المدينة أنا مطرود، وأُحمَل أسيرا إلى بلدٍ غريبٍ، حيث لا قدرة لي على التزمير، وذلك مثل الرجال القدامى، أُعلِّق قيثاراتي على الصفصاف، وتكون الأنهار هي مكان غربتي. أعمل في الوحل، وليس لي قلب ينشد التسابيح حتى إن تذكرتها . نعم فإنني إذ أنشغل على الدوام بأمور أخرى أنساها كمن فسدت ذاكرته...

إنني إذ التزم أن أرحل، إنما بغير إرادتي كأسير أفعل هذا، لكنني أرحل أيضًا بإرادتي، وليس تحت ضغط من آخرين. وبتصرفي أترك هذه المدينة حين تُعطَى لي فرصة اختيار البقاء فيها . ربما أيضا بتركي هذا الموضع أبلغ رحلة بلا أمان كما يحدث أن نسير في صحبة شخص يترك السلام ومدينة آمنة. وهذه حقيقة، لكنها تشبه من في رحلته أُسقط في أيدي لصوص وأُخذ سجينًا، وأجلد وأجرح بضرباتٍ كثيرة وطُرِحَ بين حي وميت[1].

القديس غريغوريوس العجائبي

❖ يلتسون هم الإسرائيليون متى قورنوا بنبوخذنناصَّر الذي دعي خادم الله (إر ٢٧:٦). نحن أيضا

[1] *St. Gregory Thaumaturgus: The Oration and Panegyric addressed to Origen, 16.*

نصير تعساء إذ لم نسر الله، فيستخدم عنف البرابرة ليحل بغضبه علينا[1].

القديس جيروم

٣. صدقيا (متنيا) وتمرده

وَمَلَّكَ مَلِكُ بَابِلَ مَتَّنِيَّا عَمَّهُ عِوَضاً عَنْهُ،
وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى صِدْقِيَّا. [١٧]

في اليوم العاشر من الشهر العاشر في السنة التاسعة لملكه، عسكر ملك بابل أمام أورشليم، وأخذ يبني حصونًا حولها، لكن قوّتها حالت دون اقتحامها، فحاصرها البابليون، إلا أن تقدُّم المصريين أرغمهم على الانسحاب إلى حين (إر ٣٧: ٥)، لكنهم ما لبثوا أن عادوا.

وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع في السنة الحادية عشرة لملكه نفذ القوت من العاصمة المحاصرة. في تلك الليلة غادر صدقيا الموقع مع كل رجاله، وتسلل بين القلاع البابلية، وهرب شرقًا نحو الأردن. لكن الجيش البابلي طارده وأدركه في سهل أريحا، فأُلقي القبض عليه، وجاءوا به أسيرًا إلى نبوخذناصَّر إلى ربلة في شمال فلسطين. هناك حُوكم، فقُتل أولاده أمامه، واُقتلعت عيناه، ورُبط بسلاسل من نحاس، وسيق إلى بابل (٢ مل ٢٤: ١٧-٢٠، ٢٥: ١-٧؛ ٢ أي ٣٦: ١١-٢١؛ إر ٣٩: ١-١٤)، وحُبس حتى موته (٥٢: ١١).

فيما يلي نص طلب صدقيا الملك من إرميا لسؤال الرب، وإجابة إرميا النبي عليه، وكان ذلك في عام ٥٨٨ أو بداية ٥٨٧ ق.م.

جاء في إرميا: "قل للملك وللملكة: اتضعا واجلسا، لأنه قد هبط على رأسيكما تاج مجدكما، أُغلقت مدن الجنوب، وليس من يفتح. سُبيت يهوذا كلها، سُبيت بالتمام" (إر ١٣: ١٨-١٩).

ملَّك نبوخذناصر الملك صدقيا عوضًا عن أخيه يهوياكين (٢ مل ٢٤: ١٧)، وكان شريرًا، لم يبالِ بكلمات إرميا بل ونجَّس الهيكل. في بداية حكمه كان بعض رجال يهوذا يتطلعون إلى يهوياكين المسبي كملكٍ شرعيٍ، يأملون في رجوعه واستعادته العرش (إر ١٧-٢٩)؛ لذا كان صدقيًا في صراع بين رغبته في الظهور بالخضوع لسيده البابلي وبين إظهار روح الوطنية أمام الشعب ومضاداته لبابل المستعمر.

بين إرميا ٥٢ و٢ ملوك ٢٤

"فتبعت جيوش الكلدانيين الملك، فأدركوا صدقيا في برية أريحا، وتفرَّق كل جيشه عنه.

---

[1] *St. Jerome: Letter 60:17.*

فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة في أرض حماة، فكلمه بالقضاء عليه. فقتل ملك بابل بني صدقيا أمام عينيه، وقتل أيضًا كل رؤساء يهوذا في ربلة. وأعمى عيني صدقيا، وقيَّده بسلسلتين من نحاس، وجاء به ملك بابل إلى بابل وجعله في السجن إلى يوم وفاته" (إر ٥٢: ٨-١١).

جاء ما ورد هنا مطابقًا كلمة بكلمة مع (٢ مل ٢٤: ١٨-٢٠)، ويطابق ما جاء في إرميا (٣٩: ١-٧).

لم يشر النص هنا إلى هروب الملك، وإن كان بقية الأصحاح يُلَمِّح إلى هروبه. ربما كان هروبه من بابٍ كان يُعرَف باسم "بين الحائطين"، وكان يظن أنه قادر أن يخترق الحصار الكلداني حول المنطقة، لكن استطاع الجيش الكلداني أن يدركه في برية أريحا (راجع إر ٣٩: ٥-٧؛ ٢ مل ٢٥: ٥-٧).

قُدِّم صدقيا الملك للمحاكمة أمام نبوخذناصَّر الذي كان ينتظر في ربلة بأرض حماة، وهي مدينة سريانية جنوب قادش على نهر العاصي *Orontes*. وكان لموقعها أهمية إستراتيجية، إذ تقع في ملتقى الطرق بين مصر وما بين النهرين. كان المصريون مرابطين فيها عندما أُتي بيهوذا أسيرًا. اختار نبوخذناصَّر هذا الموقع ليمنع أية معونة أجنبية تتقدم لمساندة يهوذا أثناء اقتحام جيشه أورشليم.

قُتل أبناء الملك وكل رؤساء يهوذا المقبوض عليهم، أما الذين هربوا، فرجعوا فيما بعد والتفوا حول جدليا الوالي.

أُلقي صدقيا في "السجن"، وكما يرى *Hitzig* أن النص العبري يعني "بيت العقوبة" أو "بيت الإصلاح"، حيث أُلزم صدقيا أن يدور بالطاحونة كبقية المجرمين، وكما أُلزم شمشون بذلك (قض ١٦: ٢١)[1]. يرى *Ewald* ذلك متطلعًا إلى ما جاء في المراثي: "أخذوا الشبان للطحن" (مرا ٥: ١٣) إشارة إلى الملك المسجون ومن معه[2].

بسبب التشابه بين ما ورد في إرميا ٥٢ وما جاء في ٢ مل ٢٤ ظن البعض أن إرميا ٥٢ مقتبس من ملوك الثاني، لكن توجد دلائل لها وزنها تناقض هذا[3]:

أ. ورد اسم ملك بابل هنا "نبوخذراصر"، الاسم الذي كثيرًا ما استخدمه إرميا النبي، بينما استخدم سفر الملوك اسم "نبوخذناصَّر".

ب. جاء في إرميا ٥٢ ملاحظات لم ترد في ٢ مل ٢٤، ٢٥، وهي:

---

[1] *Keil, p. 324.*
[2] *History of the People of Israel III, p. 748, (edition2)*
[3] *Keil: Jeremiah, p.322.*

- جاء في إر ٥٢: ١٠ أن نبوخذراصر أمر بقتل كل رؤساء يهوذا في ربلة بينما حُمِلَ صدقيا إلى بابل وسُجِنَ إلى يوم وفاته.
- جاء في إر ٥٢: ١٩-٢٣ تفاصيل عن أدوات الهيكل المسلوبة لم ترد في ملوك الثاني ولا في وصف مبنى الهيكل في ١ ملوك ٧.
- ذُكِرَت في إر ٥٢: ٢٨-٣٠ الترحيلات الثلاث إلى السبي واعدادها بدقة، الأمر الذي لم يرد هكذا في كل الأسفار التاريخية في العهد القديم.

جاء الأصحاح ٥٢ من سفر إرميا كملحق للسفر لتأكيد أن ما تنبأ عنه إرميا قد تحقق فعلاً. كثيرًا ما تحدث إرميا عن خراب أورشليم والهيكل وسبي يهوذا، الأمور التي قاومها بشدة الأنبياء الكذبة، وسخر منها الكل فيما عدا قلة قليلة جدًا، وحسبها الكثيرون أحاديث بشرية تُحَطِّم نفسية الشعب والجيش، الآن يعلن الكاتب أن ما كانوا يظنونه خيالاً صار واقعًا. لقد تحققت، وبدأ السبي القاسي، لكن مع نسمات الرجاء الحيّ في عمل الله وسط شعبه بأن يردهم إلى بلادهم بعد تأديبهم. أما بالنسبة لأحاديثه عن العودة من السبي، فقد قدّم سفر إرميا ما تم مع الملك يهوياكين (إر ٥٢: ٣١-٣٤) كأول علامة رجاء من أجل المستقبل[1].

الملك صدقيا[2]

جاء في ٢ أي ٣٦:١٠ أن ملك بابل خلع يهوياكين وملَّك صدقيا أخاه. صدقيا هو نفسه متنيا، وهو عم يهوياكين فعلاً وعند العبرانيين يسمون الأقرباء إخوة، إبراهيم دُعي أخاً للوط وهو عمه، ويهوياقيم له ابن اسمه صدقيا وليس هو الملك صدقيا. غيَّر ملك بابل اسمه إلى صدقيا عند تجليسه (٢ مل ٢٤: ١٧)، وهو اسم عبري معناه "يهوه برّ" أو "برّ يهوه".

هو آخر ملوك يهوذا، اسم والدته حميطل بنت إرميا من لبنة (٢ مل ٢٤: ١٨). أقامه نبوخذناصَّر بعد السبي الأول حاكمًا على يهوذا. وكان عمره إحدى وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم (٥٩٧-٥٨٧ ق.م).

صنع صدقيا الشر في عينيْ الرب، وإن كان ليس هو أشر ملوك يهوذا. أما أسباب دفعه بشعبه إلى الهلاك فهي:

أ. أفقدته خطاياه العون الإلهي. كان يسأل إرميا لكي يستشير الرب، لكنه لم يصغ إليه، لأنه كان ينتظر إجابة حسب هواه (٢ أي ٣٦: ١٢؛ إر ٣٧: ٢) ولأنه كان بالأكثر معتمدًا على وعود فرعون مصر القوية؛ كأن سؤاله الرب كان أمرًا ثانويًا أو شكليًا. من جهة علاقته بالله،

---

[1] *Thompson: Jeremiah, p. 774.*

[2] راجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٤٠-٥٤١.

نجَّس الهيكل بالوثنية (٢ أي ٣٦: ١٤)، ولم يقضِ بالعدل.

ليس فقط من الجانب الروحي أو الإيماني قد أخطأ صدقيا في اتكاله على ذراعٍ بشري، أي على فرعون مصر، وإنما كانت نظرته خاطئة حتى من الجانب السياسي. فإنه قبل ذلك بحوالي قرن ونصف في أيام إشعياء النبي تقبلت يهوذا ينبوعًا لا ينقطع من الوعود المصرية عن المساندات العسكرية لتقف أمام الأشوريين (وبعد ذلك البابليين). إذ خشي المصريون على أنفسهم من خطر تدخُّل منطقة ما بين النهرين، وكانوا يودون استخدام يهوذا وإسرائيل كخط دفاعٍ لهم من الجانب الشمالي لمصر. كل هذه الوعود لم تُجدِ شيئًا ولا قدَّمت حصانة ليهوذا أو إسرائيل، وكان يليق بالملك أن يضع ذلك في اعتباره.

ب. في البدايةِ بعث صدقيا سفارة إلى نبوخذناصَّر غالبًا ليؤكد له ولاءه (٢٩: ٣)، وفي السنة الرابعة لملكه ذهب هو إلى بابل (٥١: ٥٩)، وأخيرًا جسر على التمرُّد. وقد شجَّع عظماء يهوذا الملك على الثورة ضد بابل.

جاء إليه رسل من أدوم وموآب وعمون وصور وصيدا ليرسموا خطة موحدة للثورة على ملك بابل، لكنهم كانوا حلفاء غير أمناء. خطَّط مع رجاله كيف يتخلص من دفع الجزية لبابل[1]. تمرُّده على ملك بابل، حانثًا بقسمٍ أن يبقى مواليًا له (٢ أي ٣٦: ١٣؛ حز ١٧: ١٥، ١٦، ١٨) أفقدت الملك ثقته في القيادات اليهودية، إن لم يكن كلها فعلى الأقل أغلبها، خاصة الأسرة الملكية. كان الباعث على هذه الثورة هو جلوس ملكٍ جديدٍ على عرش مصر أراد أن يناهض بابل، فيسترد لنفسه بعض الأراضي التي كانت قبلاً خاضعة لمصر واغتصبتها بابل منها.

ج. غباؤه وعدم حكمته في التصرُّف.

د. ضعف شخصيته: سبق أن التقينا مع صدقيا الملك في الأصحاحات ٣٤، ٣٧، ٣٨ كشخصية غير مستقرة، لا يصلح كقائدٍ وطني، ولا كوكيلٍ لنبوخذناصَّر، وضع نفسه في المطرقة بين نبوخذناصَّر وشعبه، ولم يكسب أحدًا منهم. يذهب إلى بابل ليُجَدِّد ولاءه للملك ثم يعود ليتمرَّد عليه حانثًا بوعده (٢ مل ٢٤: ٩). تارة يطالب بتحرير العبيد العبرانيين لكي يرفع الله غضبه عنه، وإذ يُرفَع الحصار عن أورشليم يستعبدهم من جديد (٣٤: ١٨، ١٦، ٢١). يحكم على إرميا بالسجن منقادًا لرجال قصره، ثم يذهب إليه ليطلب مشورته أكثر من مرة، مُقدِّمًا له كل وقار!

كَانَ صِدْقِيَّا ابْنَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ.
وَمَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ،
وَاسْمُ أُمِّهِ حَمِيطَلُ بِنْتُ إِرْمِيَا مِنْ لِبْنَةَ. [١٨]

---

[1] *R.C. Clements. Jeremiah, Atlanta Georgia, 1988, p. 125-6.*

ملَّك نبوخذناصر الملك صدقيا عوضًا عن أخيه يهوياكين (٢ مل ١٧:٢٤)، وكان شريرًا، لم يبالِ بكلمات إرميا بل ونجَّس الهيكل. في بداية حكمه كان بعض رجال يهوذا يتطلعون إلى يهوياكين المسبي كملك شرعي، يأملون في رجوعه واستعادته العرش (إر ١٧-٢٩)؛ لذا كان صدقيًا في صراع بين رغبته في الظهور بالخضوع لسيده البابلي وبين إظهار روح الوطنية أمام الشعب ومضاداته لبابل المستعمر.

متنيا الذي حكم باسم صدقيا جلس على العرش عام ٥٩٨ ق. م، وكان ذلك في سنة وفاة يواقيم وأسر يهوياكين. صدقيا حكم حتى سقوط أورشليم سنة ٥٨٦ ق. م.

وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَ يَهُويَاقِيمُ. [١٩]

لأَنَّهُ لأَجْلِ غَضَبِ الرَّبِّ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَعَلَى يَهُوذَا،

حَتَّى طَرَحَهُمْ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ كَانَ أَنَّ صِدْقِيَّا تَمَرَّدَ عَلَى مَلِكِ بَابِلَ. [٢٠]

تمرُّد صدقيا: في غباوة اعتمد ملك يهوذا على المصريين في عهد فرعون *Apries* أو *Hophra* (إر ٤٤: ٣٠). طلب العون (حز ١٧: ١٥-١٨) وكان *Apries* قد خلف حديثًا *Psacmtik* الثاني (٥٩٤-٥٨٨ ق. م) على العرش. كانت لديه خطة كبرى لتجديد مجد مصر. لكن للأسف لم تتحقق خطته. بالرغم من أن *Apries* تحدى نبوخذناصر بهجومه على فينيقية ومجيئه لمساعدة صدقيا (إر ٣٧: ٥) لكنه لم يستطع أن ينقذ يهوذا (إر ٣٧: ٧-٨). انتهى حكمه وكانت التكلفة هي حياته نفسها.

من وحي ٢ مل ٢٤

احفظني فيك، فلا يسبيني العدو!

❖ في مرارة أتأمل طول أناتك إلى أجيال طويلة.
الشعب الذي اخترته لك، التصق بالآلهة الغريبة.
البيت الذي قدَّسته لك، تسلَّلت إليه الأصنام.
الملوك الذين أقمتهم لكي يقودوا شعبك إلى السماء،
صاروا عثرة يدفعون الشعب إلى جهنم!

❖ حاصر العدو مدينتك التي تعتز بها.
سمحت لهم أن يقتحموها ويدنسوا الهيكل.
سمحت لهم أن يسلبوا الأواني المقدسة،

ويحملوا كنوز الهيكل من ذهبٍ وفضةٍ!
رأى الملك صدقيا ابنيه يُقتلان.
فقأ العدو عينيه، وقاده بسلاسل من نحاسٍ.
سخر العدو به، فصار أضحوكة أمام الوثنيين!

❖ أصرخ إليك حتى لا يحاصرني العدو ويسبيني.
توّبني فأتوب، وأرجع إليك، وأرتمي في أحضانك.
روحك الناري يحرق كل فسادٍ في قلبي.
يهبني البصيرة الداخلية، فأرى أمجادك الفائقة.
تُقدّس كل كياني، وتُجَمّلني ببهائك.
من يقدر أن يسلبك يا رب القوات السماوية؟!

❖ اقتحمت بابل أورشليم المدينة المقدسة.
لكن هل يقدر العدو أن يتسلل إلى أورشليم الداخلية؟!
هب لي كمال الحرية، فلا تستعيدني الخطية!
أشرق بنورك في أعماقي؟
فلا تحتمل قوات الظلمة أن تلتصق بي!
حضورك الإلهي هو نصرتي ومجدي وفرحي الأبدي!

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

غزاة الهيكل

يُقدّم لنا هذا الأصحاح المرحلة الأخيرة من السبي الكامل ليهوذا بواسطة بابل.

إذ حنث صدقيا الملك بقسمه ولم يفِ بتعهده أمام ملك بابل، حاصر الأخير أورشليم لمدة سنة وخمسة أشهر و٢٩ يومًا (إر ٣٧: ٥، ١١). انهارت المدينة بسبب المجاعة التيَ حلَّتْ بها، وهرب صدقيا مع رجال الحرب ليلاً، لكنهم تخلُّوا عن الملك وتفرّقوا عنه، واستطاع جيش بابل اقتفاء أثره، ووضع أياديهم عليهم، وتسليمه لنبوخذناصر في رَبْلَة ليُحاكَم كمتمرِّدٍ.

أُلقي القبض أيضًا على كبار رجال القصر الملكي والقادة الذين حُسِبوا قادة التمرُّد، وقُتلوا في رَبْلَة.

نُهِبَ الهيكل وخُرِّب، وعُيِّن جدليا صديق إرميا النبي حاكمًا ليهوذا. اُغتيل جدليا واضطر الشعب أن ينزل إلى مصر.

وفي السنة السابعة والثلاثين من سبي يهوياكين رفعه أويل مردوخ ملك بابل عندما صار ملكًا وأكرم معاملته.

١. محاصرة أورشليم	١-٢.
٢. هروب الملك صدقيا	٣-٥.
٣. محاكمة صدقيا	٦-٧.
٤. إحراق الهيكل وبيوت العظماء	٨-٩.
٥. السبي النهائي وسلب الهيكل	١٠-١٧.
٦. محاكمة قادة حركة التمرُّد	١٨-٢١.
٧. إقامة جدليا حاكمًا	٢٢-٢٤.
٨. اغتيال جدليا والنزول إلى مصر	٢٥-٢٦.
٩. أويل مردوخ يكرِّم يهوياكين	٢٧-٣٠.

١. محاصرة أورشليم

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِمُلْكِهِ فِي الشَّهْرِ الْعَاشِرِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ،
جَاءَ نبوخذناصَّر مَلِكُ بَابِلَ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا،
وَبَنُوا عَلَيْهَا أَبْرَاجًا حَوْلَهَا. [١]

في السنة التاسعة لصدقيا ملك يهوذا تمرَّد على بابل، غالبًا ما حاول عقد تحالف مع مصر وصور وصيدا وموآب ضد بابل.

حدَّد الرب لحزقيال النبي السنة التاسعة من حُكْمِ صدقيا في الشهر العاشر في اليوم العاشر كيوم اقتراب نبوخذناصَّر من أورشليم. لقد طلب الرب منه أن يُدوِّن هذا التاريخ في مذكراته، وقد جاء مطابقًا لتاريخ حصار أورشليم النهائي (٢ مل ٢٥: ١)، وكأن الرب أراد إعلان أن ما يحدث ليس وليد المصادفة، ولا هو خطة بشرية، لكنها أحداث تتم بسماح إلهي بخطة مرتبة في توقيتٍ دقيقٍ.

كما سبق أن غزا الأشوريون إسرائيل على ثلاث دفعات هكذا سمح الله ليهوذا أن يُسبوا على ثلاث دفعات (٢٤:١؛ ٢٥:١،١٠) معطيًا للقيادات والشعب الفرص المتكررة للتوبة.

نستنتج مما ورد في إر ٢٨: ١-١١ أن اليهود في أورشليم توقعوا رجوع الملك يهوياكين وآنية بيت الرب من بابل عن قريب؛ ومن إر ٢٩: ٢٥-٢٨ أنه كان للمسبيين في بابل نفس الرجاء، وأرسل الملك صدقيا رسالة إلى ملك بابل (إر ٢٩: ٣)، وذهب هو أيضًا إلى بابل (إر ٥١: ٥٩)، لكن نبوخذناصَّر لم يسمع لهم، ورجع صدقيا خائبًا، وكلم ملوك صور وصيدا وموآب وبني عمون وأدوم ليتحدوا معًا على ملك بابل (إر ٢٧: ٣)، وأرسل رسلاً إلى مصر أيضًا ليعطوه خيلاً وشعبًا كثيرين (حز ١٧: ١٥). وعصت مدينة صور على ملك بابل، إذ كان منهمكًا في أمورٍ في الشرق، فتشدَّد صدقيا وتمرَّد على بابل علانية.

كل جيشه: (إر ٣٤:١) يوضح أن كل ممالك الأرض التي خضعت لسلطان نبوخذناصَّر وشعوبها كانوا يحاربون أورشليم بكونهم جيشًا لبابل.

على أورشليم: كانت الحرب في البداية على مدن يهوذا، فسقطت جميعها ماعدا لخيش وعزيقة، وهما مدينتان حصينتان على طريق مصر (إر ٣٤: ٧). اغتنم المصريون الفرصة عندما رأوا جيش بابل منقسمًا، فخرج جيش فرعون من مصر. وإذ سمع الكلدانيون المحاصرون لأورشليم ذلك صعدوا عن أورشليم (إر ٣٧: ٧) واتحدوا مع جيوشهم المحاصرة لخيش وعزيقة، فخاف المصريون ورجعوا إلى بلادهم (حز ١٧: ١٧)، وعاد نبوخذناصَّر إلى محاربة أورشليم.

أبراجًا: أقاموا متاريس، أي أكوام تراب قبالة السور (٢ صم ٢٠: ١٥) ثم بنوا أبراجًا على هذه المتاريس، ورموا من الأبراج والمتاريس بالسهام والرماح على المُحاصَرين، وبحجارة المنجنيق على الأسوار. كان كل شعب أورشليم وجيشها مُحاصَرين في الداخل.

وَدَخَلَتِ الْمَدِينَةُ تَحْتَ الْحِصَارِ،
إِلَى السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ صِدْقِيَّا. [٢]

٢. هروب الملك صدقيا

فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ اشْتَدَّ الْجُوعُ فِي الْمَدِينَةِ،
وَلَمْ يَكُنْ خُبْزٌ لِشَعْبِ الأَرْضِ. [٣]

في الشهر الرابع (إر ٥٢: ٦) اشتد الجوع، وكان شرفاؤهم يفتشون المزابل، لعلهم يجدون شيئًا من الطعام فيها، وأكلت النساء أطفالهن، ومات ثلثهم بالوباء والجوع وسقط الثلث بالسيف، واقتيد الثلث للسبي (حز ٥: ١٢).

فَثُغِرَتِ الْمَدِينَةُ،
وَهَرَبَ جَمِيعُ رِجَالِ الْقِتَالِ لَيْلاً،
مِنْ طَرِيقِ الْبَابِ بَيْنَ السُّورَيْنِ اللَّذَيْنِ نَحْوَ جَنَّةِ الْمَلِكِ.
وَكَانَ الْكِلْدَانِيُّونَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مُسْتَدِيرِينَ.
فَذَهَبُوا فِي طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ. [٤]

يعتقد البعض أنه حديقة سليمان في إيثام على بعد حوالي ٦ أميال جنوب أورشليم، تُعرَف بحدائقها الجميلة (٢ مل ٢٥ :٤؛ جا ٢ :٥-٩؛ إر ٣٩:٤؛ ٥٢:٧).

انشغل الملك والنبلاء والقادة الدينيون بالغِنَى والسلطة، وظنوا أنهم في أمان داخل أسوار أورشليم الحصينة، ولم يدركوا أنها ستُحاصَر وتُدمَّر، ويعجز قاضيها أو ملكها (صدقيا) عن حمايتها. كان صدقيا - آخر ملك من نسل داود - يجلس على كرسي أورشليم حين استولى نبوخذناصَّر عليها (٢ مل ٢٥: ١).

فَتَبِعَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الْمَلِكَ،
فَأَدْرَكُوهُ فِي بَرِّيَّةِ أَرِيحَا،
وَتَفَرَّقَتْ جَمِيعُ جُيُوشِهِ عَنْهُ. [٥]

واضح أن الملك صدقيا هرب من الجانب الجنوب الشرقي للمدينة، متَّجهًا نحو أريحا خلال البرية. ربما كان قصد صدقيا أن يعبر الأردن ويلتجئ إلى موآب. هرب ليلاً دون أن يراه الكلدانيون، ولما عرفوا تبعوه، ونفَّذوا فيه ما ورد في نبوتين: الأولى في إر ٣٢: ٤-٥، أنه يُسلَّم ليد ملك بابل. والثانية في حز ١٢: ١٣، أنه يؤتى به إلى بابل أرض الكلدانيين، ولكنه لا يراها وهناك يموت.

٣. محاكمة صدقيا

فَأَخَذُوا الْمَلِكَ، وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ إِلَى رَبْلَةَ،

وَكَلَّمُوهُ بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ. [٦]

بعد القبض عليه أُرسل صدقيا إلى رَبْلَة على نهر الــ *Orontes* في سوريا، التي كانت المقر الرسمي لحملة نبوخذناصَّر للغرب. كانت رَبْلَة مركزًا حربيًا لملك بابل، لأنه كان في نفس الوقت يحاصر أورشليم ومدينة صور، فكان تارة يذهب إلى صور، وأخرى إلى أورشليم، ويتردد إلى رَبْلَة التي تتوسط الاثنين، فاتخذها مركزًا له.

وَقَتَلُوا بَنِي صِدْقِيَّا أَمَامَ عَيْنَيْهِ،
وَقَلَعُوا عَيْنَيْ صِدْقِيَّا،
وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ،
وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بَابِلَ. [٧]

سُجِّلت لنا عقوبته هنا، أما موته فسُجِّل في حز ١٢: ١٢ الخ.

سجَّلتْ الوثائق القديمة للشرق الأوسط آخر ما رآه صدقيا وهو جزاء غباوته الشريرة: قُتِلَ ابناه المحبوبان لديه بطريقة مرعبة، بقيت هذه الصورة تلازمه حتى موته وهو سجين في بابل (إر ٥٢: ١١).

قيَّدوه بسلسلتين، واحدة في يديه، والأخرى في رجليه. والعجيب أن أحدًا من الملوك الأربعة لم يتعظ مما حدث مع سلفه، واستمروا في شرورهم، بل أكمل صدقيا مكيال الإثم حين نقض القَسم الذي حلفه لنبوخذناصَّر. ونلاحظ أن الخطية تفسد حكمة الأشرار، فقرار تمرُّد صدقيا على ملك بابل بعدما حدث ليهوياقيم هو قرار لا يوصف سوى بالغباء. أظهر له ملك بابل بعض الرحمة إذ لم يقتله، بل جعله في السجن إلى يوم موته (إر ٣٤: ٥).

لقد سبق أن قدَّم له إرميا النصيحة التالية:

"وكلمت صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام قائلاً: ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه واحيوا.

لماذا تموتون: أنت وشعبك بالسيف بالجوع والوبأ، كما تكلم الرب عن الأمة التي لا تخدم ملك بابل؟!

فلا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يكلمونكم، قائلين: لا تخدموا ملك بابل، لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب.

لأني لم أرسلهم يقول الرب، بل هم يتنبأون باسمي بالكذب، لكي أطردكم، فتهلكوا أنتم والأنبياء الذي يتنبأون لكم" (إر ٢٧: ١٢-١٥).

كرَّر إرميا النبي ما قاله لرسل الملوك لصدقيا الملك، حتى بدا كمن هو عميل لبابل وخائن

لبلده.

كان من الصعب على أي يهودي خاصة الملك أن يسمع تلك الكلمات: "**ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل**"، **فقد عرفوا أن الله إلههم هو المُحَرِّر** من نير العبودية، إذ سبق فوعد: "أن الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيدًا، وقطع قيود نيركم وسيركم قيامًا" (لا ٢٦: ١٣)، فكيف يطلب منهم أن ينحنوا ليُدخلوا أعناقهم تحت نير ملك وثني؟! إنها علامة غضب الله! كانت إحدى اللعنات التي يسقط تحتها الشعب في عصيانه للوصية هي: "تُستعبَد لأعدائك الذين يُرسلهم الرب عليك... فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك، يجلب الرب عليك أُمَّة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر، أُمَّة لا تفهم لسانها..." (تث ٢٨: ٤٨ الخ).

لم يسمع صدقيا له، بل سجنه، لا نعرف المدة التي قضاها إرميا في السجن. وكان مصير الملك السبي (٥٨٧ ق.م) بعد أن قُتل ابناه أمام عينيه، وفُقِأت عيناه (٢ مل ٢٥: ١-٧).

يُقَدِّم لنا إرميا النبي **سبع نبوات** نطق بها في أورشليم، أعلنها في مواضع كثيرة (إر ٢١: ٣-٧؛ ٢٤: ٨-١٠؛ ٢٥: ٨-٢٩)، وقد تحققت حرفيًا كما جاء في ٢ مل ٢٥؛ ٢ أي ٣٦:

أ. يدفع الله مدينة أورشليم ليد ملك بابل، فيأخذها (إر ٣٢: ٤).

ب. لا يفلت صدقيا ملك يهوذا من يد الكلدانيين (إر ٣٢: ٤).

ج. بالتأكيد يُدفَع صدقيا ملك يهوذا ليد ملك بابل (إر ٣٢: ٤).

د. سيتكلم صدقيا ملك يهوذا مع ملك بابل فمًا لفمٍ، وعيناه تريان عينيه (إر ٣٢: ٤).

هـ. يسير بصدقيا إلى بابل (إر ٣٢: ٥).

تنبأ حزقيال النبي عن صدقيا أنه لا يرى بابل (حز ١٢: ١٣). بالفعل حُمِلَ الملك إلى بابل، لكن إذ فقأوا عينيه في رَبْلَة (٢ مل ٢٥: ٤-٧، إر ٥٢: ٨، ١١) لم يرها.

وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:**

[يُعلِنُ أحد الأنبياء: "لا يرى بابل" (حز ١٢: ١٣) وآخر يقول: "يسير به إلى بابل" [٥] وتبدو النبوة كأنها متناقضة. ولكن الأمر غير ذلك، إذ كلاهما حق، فإنه لا يرى بابل وإن كان يُحمَل إليها... لأنه في اليهودية تُفقأ عيناه، لأنه حيث حنث بالقسم هناك يثبت ذلك عليه وينال العقوبة.

كيف يُحمَل إلى بابل؟ مسبيًا!

فإن العقوبة مضاعفة: حرمان من البصر والسبي[1].]

[لقد خان العهد وحنث بالقسم ولو مع رجلٍ وثنيٍ، لهذا نال عقوبة مضاعفة: السبي مع

[1] *St. Chrysostom: Concerning Statues, 19: 11.*

العمى.

هذا هو ثمر خيانة العهد مع الناس، فكم بالأحرى مع الله؛ إنها تُفقد النفس حريتها والبصيرة الداخلية نورها، فيخضع الإنسان لعبودية داخلية وعمى داخلي.]

❖ **ماذا تظن في نبوخذناصَّر؟** ألم تسمع عنه في الكتاب المقدس كيف كان متعطشًا لسفك الدماء، وحشًا كالأسد[1]؟!

ألم تسمع عنه أنه أخرج إلى النور عظام الملوك من قبورهم (إر ٨: ١، با ٢: ٢٥)؟ ألم تسمع أنه حمل الشعب إلى السبي؟

ألم تسمع أنه فقأ عيني الملك بعدما أراه ابنيه يذبحان؟! (٢ مل ٢٥: ٧)

ألم تسمع أنه كسر الشاروبيم إلى أجزاء؟! لست أقصد الشاروبيم غير المنظورين – هذا ما لا يخطر على الفكر قط يا إنسان – بل الصورتين المنحوتتين على غطاء التابوت الذي في وسطه يتكلم الله بصوته، كما داس تحت قدميه حجاب القدس، وأخذ مذبح البخور، وحمله إلى مذبح الأوثان؟! (٢ أي ٢٦: ٧) أخذ كل التقدمات، وحرق الهيكل من أساساته!

أية عقوبة شديدة يستحقها هذا من أجل ذبحه الملوك، وحرقه القدس، وسبيه الناس، حمله الأواني المقدسة إلى بيت الأوثان؟! أما يستحق الموت عشرات الألوف؟!

لقد رأيتَ تفاقم شروره! تعال لترى محبة الله الحانية! لقد تحوَّل إلى وحشٍ بريٍ، رتأدب بالسكنى في البرية لكي يخلص. لقد صارت له مخالب كالأسد، إذ كان زائرًا علي القدس. أكل العشب كالثور، إذ كان بهيمي لا يعرف من الذي أعطاه المملكة. تبلل جسمه بالندى، لأنه رأى النار تنطفئ بالندى ولم يؤمن.

وماذا حدث؟ يقول: "بعد هذا أنا نبوخذناصَّر رفعت عيني إلى السماء... وباركت العلي، وسبحت وحمدت الحي إلى الأبد" (دا ٤: ٣٤).

إذ عرف العلي نطق بالحمد لله، وتاب عن فعله. لقد عرف ضعفه، فأعاده الله إلى كرامة ملكه.

ماذا إذن؟ هل عندما اعترف نبوخذناصَّر الذي فعل كل هذه الأعمال ردَّه إلى الملك وغفر له، وأنت عندما تتوب ألا يهبك مغفرة الخطايا وملكوت السماوات، متى عشت في حياة بلا لوم؟!

الرب محب للبشر، مُسرِع إلى المغفرة، لكنه يظهر العقوبة (التأديب)! إذن ليته لا ييأس

[1] جاء في الطبعة المذكورة (قاسيًا متوحشًا في طبعه).

أحد من خلاصه![1]

القديس كيرلس الأورشليمي

٤. إحراق الهيكل وبيوت العظماء

وَفِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ فِي سَابِعِ الشَّهْرِ،
وَهِيَ السَّنَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ نبوخذناصَّر مَلِكِ بَابِلَ،
جَاءَ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ عَبْدُ مَلِكِ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، [٨]

قال أنبا بيمين: "لو لم يأتِ نبوزرادان قائد حُرَّاس ملك بابل، لما كان قد حُرِقَ هيكل الرب (٢ مل ٢٥: ٨-٩)، وهذا معناه أنه لو لم تدخل إلى النفس مسرَّات شهوة البطن والتواني والجشع لما هُزِمَتْ الروح في حربها مع العدو".

وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ.
وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ. [٩]

وَجَمِيعُ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ مُسْتَدِيرًا هَدَمَهَا، كُلُّ جُيُوشِ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَ رَئِيسِ الشُّرَطِ. [١٠]

إذ سقطت أورشليم في السبي، سُلِبَ هيكل الرب تمامًا، وجُرِّد من كل ما فيه. البيوت أُحرِقَتْ، وهُدِمَتْ أعمدة الهيكل.

أُحرِقَ بيت الرب بعد بنائه بحوالي ٣٨٠ سنة، وتحققت النبوات: (إر ٢١: ١٠؛ ٣٤: ٢؛ ٣٨: ١٨، ٢٣؛ ومز ٧٩).

❖كان هذا العمل إعلانًا عن حرق البابليين للمدينة (٢ مل ٢٥: ٩) على يد نبوزردان رئيس الشرطة وعبد نبوخذناصَّر ملك بابل. فإذ تركت المدينة المقدسة قداسة الحياة، استحقت الإبادة بأيدي الأعداء الأمميين.

تأتي النجاسة بعد إدمان الشراهة، في هذا يشهد النبي، رافضًا أن يخفي أمورًا ما عندما يتكلم عن حقائق ظاهرة قائلاً: "**وجميع أسوار أورشليم مستديرًا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط**" (٢ مل ٢٥: ١٠).

رئيس الشرط هو البطن التي نُجِّلها ونعطيها العناية الفائقة حتى تمتلئ بفرح بأطايب الطعام.

أما أسوار أورشليم، فهي فضائل النفس التي ترتفع إلى فوق، مشتهية السلام الروحاني

[1] *Lecture 2: 17-19.*

السماوي. هكذا يهدم رئيس الشرط أسوار أورشليم، لأنه عندما تنتفخ البطن، وتستبد بها الشراهة، تتحطم كل فضائل النفس بالنجاسة[1].

الأب غريغوريوس (الكبير)

٥. السبي النهائي وسلب الهيكل

دُمِّر سور أورشليم وبقي هكذا لقرنٍ ونصف (نح ٢: ١١-٦: ١٦).

وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ الَّذِينَ بَقُوا فِي الْمَدِينَةِ
وَالْهَارِبُونَ الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ،
وَبَقِيَّةُ الْجُمْهُورِ سَبَاهُمْ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ. [١١]

الهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل، كانوا قد هربوا أثناء الحصار، ولجأوا إلى البابليين.

وَلَكِنَّ رَئِيسَ الشُّرَطِ أَبْقَى مِنْ مَسَاكِينِ الأَرْضِ كَرَّامِينَ وَفَلاَّحِينَ. [١٢]

كعادة البابليين، إذ كانوا يسبون شعبًا ما يتركون الفقراء والمساكين في الأرض ويحملون إلى بابل ذوي المواهب والقدرات للانتفاع بهم. في دراستنا لسفر دانيال[2] لاحظنا أن ملك بابل أقام معهدًا في قصره تحت إشراف أشفنز (دا ١: ٣).

ربما كان هذا المعهد يضم أقسامًا كثيرة، من بينها قسم خاص بأبناء أشراف اليهود لتُقدَّم لهم دراسة تناسب ثقافتهم ولغتهم.

أما إقامة هذا المعهد لتخريج رجالٍ حكماء يعاونون الملك، فيكشف عن حكمة الملك واتساع أُفقه وجديته. أما عن اختياره بعض الفتيان من نسل ملوك اليهود وأشرافهم فكان ذلك لعدة أسباب منها: شعوره الدائم بالرجل الغالب الذي يحمل فتيان الملوك والإشراف لا ليذلهم ويعذبهم، بل لخدمة قصره وتدبير شئون الدولة. ومن جانب آخر، فإنه بهذا يدفع هؤلاء الفتيان بما لهم من مواهب على الخضوع له وعدم التفكير في الثورة ضده لحساب بلدهم. كما يُعطي هذا شيئًا من الراحة النفسية لعامة اليهود أنه يوجد في القصر من يُمثلهم.

اتسم هؤلاء الفتيان بالآتي:

* شرف النسب.
* جمال الجسد وقوته.
* حذاقة في الحكمة.

---

[1] الرعاية: الجزء الثالث، الفصل التاسع عشر، كيف نعظ الشرهين في الطعام، والمتعففين عنه؟، العظة ٢٠.

[2] للمؤلف: من تفسير وتأملات الآباء الأولين: دانيال، الأصحاح الأول.

* أصحاب معرفة.
* القدرة على تقديم العلم للغير.
* القدرة على الوقوف في القصر، أي على تحويل الحكمة والمعرفة والفهم إلى عملٍ يمارسونه خلال حياتهم اليومية.

مع ما لديهم من شرف وصحة جسدية وحكمة ومعرفة وخبرة، أراد الملك أن يتمتعوا بالثقافة البابلية ولغتها لينتزعهم من انتمائهم لبني جنسهم ويربطهم ببلده.

في حكمة لم يُحَطِّم ما قد وُهبوا به ولا حقَّر من شأنهم، بل أراد تحويل طاقاتهم لحساب قصره الملوكي.

هؤلاء كان من بينهم من كانوا يقودون التسبيح في أورشليم. وقد طُلِبَ منهم أن يُرَنِّموا بإحدى تسابيحهم التي كانوا يُسَبِّحون بها في الهيكل بأورشليم. لم يكن ممكنًا لهم وهم محرومون من التمتُّع بالهيكل أن يُسَبِّحوا بفرحٍ وتهليلٍ في أرض السبي. يُسَجِّل لنا المُرَتِّل مشاعر الذين كانوا في السبي، قائلاً: "لأنَّه هناك سألنا الَّذين سبونا كلام ترنيمةٍ، ومعذِّبونا سألونا فرحًا: رنِّموا لنا مِن ترنيماتِ صِهيون" (مز ١٣٧: ٣).

❖ نقرأ أن الأعداء ما أن هاجموا المدينة العظيمة المقدسة، حيث كانت تمارس عبادة الله فيها، حتى جرُّوا سكانها والمغنيين والأنبياء (مثل حزقيال ودانيال) إلى بلدهم التي هي بابل.

يُروى عن هؤلاء الأسرى أنهم عندما اُحتجزوا في الأرض، رفضوا أن يرنموا بالتسبحة الإلهية عندما أمرهم المنتصرون عليهم، وأن يعزفوا في مدينة دنسة، وعلَّقوا قيثاراتهم على الصفصاف، وكانوا يبكون عند أنهار بابل.

إنهم مثل أشخاص يبدو لي إني أحدهم، إذ طُردتُ من مدينتي، ومن وطني المقدس، حيث فيها تعلَن النواميس المقدسة نهارًا وليلاً، ويُسمَع فيها التسابيح والأغاني والكلمات الروحية.

وفيها أيضًا يوجد نور الشمس على الدوام.

وفيها نصير في اتصال بأسرار الله برؤيا متيقظة في النهار؛ وفي الليل في الأحلام ننشغل بما تراه النفس، وما تتداوله في النهار. في اختصار، الإيحاء بالأمور الإلهية التي تسود على الدوام.

أقول إنني أُطرَد من هذه المدينة، وأصير مسبيًا في أرضٍ غريبةٍ، حيث لا تكون فيَّ قوة للتزمير، وذلك مثل هؤلاء القدامى، وأُعلِّق آلة الموسيقى التي لي على الصفصاف، وتصير الأنهار في موضع رحلتي، فأعمل في الوحل، ولا يكون لي قلب لأغني بالتسابيح، حتى أتذكرها.

نعم، خلال انشغالي المستمر بأمورٍ أخرى أنساها، وأصير كمن فَسَدَتْ ذاكرته نفسها[1].

القديس غريغوريوس صانع العجائب

وَأَعْمِدَةَ النُّحَاسِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
وَالْقَوَاعِدَ وَبَحْرَ النُّحَاسِ الَّذِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ،
كَسَّرَهَا الْكِلْدَانِيُّونَ،
وَحَمَلُوا نُحَاسَهَا إِلَى بَابِلَ. [١٣]

سبق أن سلب الكلدانيون أورشليم مرتين قبل هذه المرة المذكورة هنا (دا ١: ٢؛ ٢ مل ٢٤: ١٣)، وكان أكثر الآنية الباقية من النحاس. مع ضخامة أعمدة النحاس كسروها، فزال جمالها، لذلك يُسَجِّل الكاتب بحسرة مواصفات الأعمدة.

وَالْقُدُورَ وَالرُّفُوشَ وَالْمَقَاصَّ وَالصُّحُونَ وَجَمِيعَ آنِيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهَا أَخَذُوهَا [١٤]

وَالْمَجَامِرَ وَالْمَنَاضِحَ.
مَا كَانَ مِنْ ذَهَبٍ فَالذَّهَبُ، وَمَا كَانَ مِنْ فِضَّةٍ فَالْفِضَّةُ،
أَخَذَهَا رَئِيسُ الشُّرَطِ. [١٥]

وَالْعَمُودَانِ وَالْبَحْرُ الْوَاحِدُ وَالْقَوَاعِدُ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ لِبَيْتِ الرَّبِّ،
لَمْ يَكُنْ وَزْنٌ لِنُحَاسِ كُلِّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ. [١٦]

أطال الكاتب الحديث عن هذه الأواني، وذلك لمحبته العظيمة لبيت الرب، وحزنه على خرابه، كما نحب ذكر فضائل أحبائنا الذين فقدناهم.

❖ بابل تعني "ارتباكًا"، والكأس الذهبي حقًا هو تعاليم الفلاسفة وبلاغة الخطباء.

من بالحق لم ينحرف بواسطة الفلاسفة؟

من لم ينخدع بواسطة خطباء هذا العالم؟

كأسهم ذهبية، وسمو بلاغتهم من الخارج، أما الداخل فمملوء سمًا، الذي لا يقدرون أن يخفوه إلا خلال بريق الذهب.

تذوقون عذوبة بلاغتهم لكي تتأكدوا ولا تشكوا أنه سمّ قاتل[2].

القديس جيروم

---

[1] *St. Gregory Thaumaturgus: Oration & Panegyric addressed to Origen, 16.*
[2] *Hom.62 on Ps. 82 (82).*

ثَمَانِي عَشَرَةَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُ الْعَمُودِ الْوَاحِدِ،
وَعَلَيْهِ تَاجٌ مِنْ نُحَاسٍ،
وَارْتِفَاعُ التَّاجِ ثَلاَثُ أَذْرُعٍ،
وَالشَّبَكَةُ وَالرُّمَّانَاتُ الَّتِي عَلَى التَّاجِ مُسْتَدِيرَةً جَمِيعُهَا مِنْ نُحَاسٍ.
وَكَانَ لِلْعَمُودِ الثَّانِي مِثْلُ هَذِهِ عَلَى الشَّبَكَةِ. [١٧]

الثلاثة أذرع ربما هي ارتفاع العمود بخلاف تاج العمود العلوي، لهذا جاء ارتفاع العمود في ١ مل ٧: ١٦، إر ٥٢: ٢٢ خمس أذرع.

لعل المرتل كان يصف ما حلّ بالهيكل وهو يقول: "يبان كأنّه رافع فؤوس، على الأشجار المشتبكة. والآن منقوشاته معًا، بالفؤوس والمعاول يكسرون (مز ٧٤: ٥-٦).

إذ هجم الغزاة على الهيكل المقدس، برز واحد منهم كبطلٍ يحمل فأسًا ليقود الباقين لتحطيم النقوش الخشبية (١ مل ٦: ١٨)، كمن يضرب أشجارًا كثيفة متشابكة.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الغزاة إذ قاموا بتخريب الهيكل، أمسكوا بالفؤوس ليحطموا الأبواب والأثاثات الخشبية الجميلة بوحشية وغباوة كمن يضرب أشجار غابة متشابكة.

،جاء وصف تدمير الهيكل في ٢ مل ٢٥: ٨-١٧؛ إر ٥٢" ١٢-٢٣.

"جاء نبوزردان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار... وأعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب كسَّرها الكلدانيون وحملوا نحاسها إلى بابل..." (٢ مل ٢٥: ٨ الخ).

❖ بهذه الطريقة، إذ لا يجد الشيطان الحق في جانبه يهاجم، ويقوم بتكسير أبواب الذين يسمحون له بالدخول، وذلك بالفؤوس والمعاول.

أما مخلصنا فلطيف، يُعلِّمنا هكذا: إن أراد أحد أن يتبعه ويكون له تلميذًا، يأتي إليه ولا يُلزمه، بل يسأله: "أختي وعروسي".

فإن فتح له يدخل، وإن تأخر ولم يرد أن يفتح يفارقه[1].

البابا أثناسيوس الرسولي

٦. محاكمة قادة حركة التمرُّد

وَأَخَذَ رَئِيسُ الشُّرَطِ سَرَايَا الْكَاهِنَ الرَّئِيسَ،

---

[1] *History of the Arians, 33.*

وَصَفَنْيَا الْكَاهِنَ الثَّانِيَ،

وَحَارِسِي الْبَابِ الثَّلاَثَةَ. [١٨]

بالرغم من أن سرايا قد قُتل في ربْلَة [٢١] فإن ابنه يهوصاداق رُحِّل (١ أي ٦: ١٥). خلال نسل يهوصاداق جاء عزرا، الكاتب والمُصلِح العظيم، الذي عاد يومًا ما إلى أورشليم واستلم عمل جدّه سرايا (عز ٧: ١).

صفنيا الكاهن الثاني، أي نائب رئيس الكهنة، وكان يقوم بواجب رئيس الكهنة حين كـان رئيس الكهنة تعوقه أية موانع طقسية، ربما هو الكاهن الذي أشار إليه إرميـا النبـي (إر ٢١: ١؛ ٢٩: ٥).

وَمِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذَ خَصِيًّا وَاحِدًا كَانَ وَكِيلاً عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ،

وَخَمْسَةَ رِجَالٍ مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ وَجْهَ الْمَلِكِ،

الَّذِينَ وُجِدُوا فِي الْمَدِينَةِ،

وَكَاتِبَ رَئِيسِ الْجُنْدِ الَّذِي كَانَ يَجْمَعُ شَعْبَ الأَرْضِ،

وَسِتِّينَ رَجُلاً مِنْ شَعْبِ الأَرْضِ الْمَوْجُودِينَ فِي الْمَدِينَةِ [١٩]

"**الذين ينظرون وجه الملك**": يقصد هنا وزراءه والقريبين منه ومشيريه الذين أشاروا عليه بالتمرُّد، لأن عامة الشعب لا يرون وجه الملك.

"**كاتب رئيس الجند**": كان دوره أن يَعد الجيش ويبلغهم أوامر القائد.

"**وستين رجلاً من شعب الأرض**"، أي كانوا من الرؤساء.

وَأَخَذَهُمْ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ،

وَسَارَ بِهِمْ إِلَى مَلِكِ بَابِلَ إِلَى رِبْلَةَ. [٢٠]

فَضَرَبَهُمْ مَلِكُ بَابِلَ وَقَتَلَهُمْ فِي رِبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ.

فَسُبِيَ يَهُوذَا مِنْ أَرْضِهِ. [٢١]

مثل إسرائيل حُمِلَتْ يهوذا إلى الأسر بسبب خطاياها وارتدادها.

سبق أن أنذر الله شعبه، وأخيرًا سمح بتدمير يهوذا وأخذهم أسرى (تث ٢٨). ويُسَجِّل لنا إرميا النبي في مراثيه مدى حزنه لمشاهدته ما حلَّ بأورشليم.

توجد مراحل أخرى للسبي غير الثلاث أو الأربع مراحل الكبار. ونرى أن الله وجد أن أحسن علاج لخطايا يهوذا هو السبي. كان السبي الأول في السنة السابعة لنبوخذناصَّر (إر ٥٢: ٢٨) أو الثامنة (٢ مل ٢٤: ١٢) لما سُبي يهوياكين. والسبي الثاني في السنة الثامنة عشرة

لنبوخذناصَّر (إر ٥٢: ٢٩) أو السنة التاسعة عشرة (٢ مل ٢٥: ٨) حينما سُبي صدقيا. والسبي الثالث في السنة الثالثة والعشرين لنبوخذناصَّر حينما سبى نبوزراداان ٧٤٥ نفسًا (إر ٥٢: ٣٠).

يرى كثير من الدارسين أن سبى يهوذا كان على ثلاث مراحل، ولكن يبدو أنه كان أكثر من ذلك، فنجد أن عدد المسبيين يختلف ما بين ٢ مل ٢٤، إر ٥٢ ولكن نجد أن التواريخ المصاحبة تختلف أيضًا، فيبدو أنه كان بين السبي والسبي يصعد جيش بابل ليأخذ بعض المسبيين إلى بابل لاستخدامهم هناك.

قد يرجع السبب في الاختلافات في أعداد (المسبيين) وتواريخ السبي إلى الآتي:

١. كل كاتب ينسب التواريخ لشيءٍ مختلف عن الآخر.

٢. الأعداد التي يكتبها واحد قد تشمل عدد من وصل لبابل فعلاً، والآخر يكتب الذين أُخذوا من أورشليم والبعض فُقد ومات في الطريق.

٧. إقامة جدليا حاكمًا

وَأَمَّا الشَّعْبُ الَّذِي بَقِيَ فِي أَرْضِ يَهُوذَا الَّذِينَ أَبْقَاهُمْ نبوخذناصَّر مَلِكُ بَابِلَ،
فَوَكَّلَ عَلَيْهِمْ جَدَلْيَا بْنَ أَخِيقَامَ بْنِ شَافَانَ. [٢٢]

أقام نبوخذناصر جدليا بن أخيقام بن شافان حاكمًا على مدن يهوذا ووكيلاً عن ملك بابل، وكما نعلم أن أخيقام كان أحد الخمسة الذين أرسلهم الملك يوشيا إلى خلدة النبية ليسأل عن سفر الشريعة (٢ مل ٢٢: ١٢، ١٤)، وقد استخدم نفوذه لحماية إرميا (٢٦: ٢٤)؛ أقام في المصفاة.

جدليا: اسم عبري معناه "يهوه عظيم". والد جدليا هو أخيقام، كان يسند إرميا في موقفه الخاص بعدم الاتكال على مصر في مقاومة بابل (إر ٢٦: ٢٤).

ربما كان تعيينه وكيلاً على الأرض استجابة لطلب إرميا الذي كان مقبولاً ومُعتبرًا عند نبوزرادان وملك بابل (إر ٤٠: ١-٦)، هذا وتدريب جدليا ونبوغه ونسبه لأسرة لها شهرتها جعلته بلا شك مقبولاً لدى البابليين.

كان يشير على اليهود أن يخضعوا لملك بابل (إر ٣٨: ١٧-١٨). لم يكن جدليًا من النسل الملكي، وكان عادلاً ومستقيمًا، وغيورًا على الوطن.

ترك البابليون إرميا حيًّا (إر ٣٩: ١١-١٤؛ ٤٠: ١-٥)، فكان معينًا لجدليا في إعادة تنظيم يهوذا (إر ٤٠: ٦).

وُجِدَ خاتم من الطين (الخزف) يرجع إلى هذه الفترة، منقوش عليه "خاص بجدليا الذي على البيت[1]".

---

[1] *The New Bible Commentary, 3rd edition, Eerdmans Publishing Co., p 368.*

وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْجُيُوشِ هُمْ وَرِجَالُهُمْ أَنَّ مَلِكَ بَابِلَ قَدْ وَكَّلَ جَدَلْيَا،
أَتُوا إِلَى جَدَلْيَا إِلَى الْمِصْفَاةِ،
وَهُمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَثَنْيَا،
وَيُوحَنَانُ بْنُ قَارِيحَ،
وَسَرَايَا بْنُ تَنْحُومَثَ النَّطُوفَاتِيُّ،
وَيَازَنْيَا ابْنُ الْمَعْكِيِّ هُمْ وَرِجَالُهُمْ. [٢٣]

كان **رؤساء الجيوش** قد هربوا مع صدقيا، ثم تفرّقوا عنه بعد القبض عليه، والآن جاءوا إلى جدليا كنوعٍ من الخضوع لبابل.

المصفاة: إلى زمنٍ طويل كانت مركزًا له شهرته الروحية والسياسية (١ صم ١٠: ١٧؛ ١ مل ١٥: ٢٢). كانت موقعًا مثاليًا للحكومة الخاصة بالمنطقة، خاصة وأن أورشليم كانت قد انهارت. تُدعَى حاليًا تل النصبة *Tell en-Nasbeh*، تبعد حوالي ٩ أميال شمال أورشليم، وهي من البلاد التي كانت في ذلك الحين من المناطق الهادئة.

يتساءل البعض عن المصفاة هنا، هل يُقصَد بها تلك التي في جلعاد (قض ١١: ٢١)، يقال إنها موضع الرجمة التي أقامها يعقوب وقوم لابان شهادة على العهد الذي أُقيم بينهم (تك ٣١: ٤٩)، وهناك اجتمع بنو إسرائيل لمحارب العمونيين (قض ١٠: ١٧)، والتقى يفتاح بابنته (قض ١١: ٣٤)، وربما كان موضعها تل رميت، أو أنها مصفاة التي في بنيامين حيث تم فيها انتخاب شاول ملكًا (اصم ١٠: ١٧، ٢١)، وحصَّنها آسا (١ مل ١٥: ٢٢) وهناك قُتِلَ جدليا (٢ مل ٢٥: ٢٣، ٢٥) ويقال أنها قرية صموئيل النبي.

على أيّ الأحوال كانت المصفاة وجبل تابور في ذلك الحين مركزيْن هاميْن للعبادة الوثنية، فصارا رمزين للخراب الذي حلّ بسبب العبادة الوثنية.

إسماعيل: لا يُعرَف حتى الآن عنه شيء، سوى أنه من النسل الملكي يقاوم البابليين، وربما كان له أمل أن يعود إلى السلطة.

يازنيا: حفيد حلقيا الكاهن (١ أي ٥: ٣٩). وُجِدَ هذا الاسم على ختم في المصفاة.

وَحَلَفَ جَدَلْيَا لَهُمْ وَلِرِجَالِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ:
لاَ تَخَافُوا مِنْ عَبِيدِ الْكِلْدَانِيِّينَ.
اسْكُنُوا الأَرْضَ وَتَعَبَّدُوا لِمَلِكِ بَابِلَ،
فَيَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ. [٢٤]

خافت جيوش يهوذا أولاً من معاملة بابل لهم، ولكنهم تأكدوا فيما بعد، إذ حلف لهم جدليا

قائلاً: "لا تخافوا" أنهم سينالون العفو إذا خضعوا واستسلموا وعادوا يستغلون الأرض، ويخضعون لجدليا وحكومته في المصفاة. ورجع أيضًا اليهود الذين غادروا البلاد قبل هجوم بابل، وكانوا قد التجأوا إلى شرق الأردن.

٨. اغتيال جدليا والنزول إلى مصر

وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ جَاءَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَثَنْيَا بْنِ أَلِيشَمَعَ مِنَ النَّسْلِ الْمَلِكِيِّ،
وَعَشَرَةُ رِجَالٍ مَعَهُ،
وَضَرَبُوا جَدَلْيَا فَمَاتَ،
وَأَيْضًا الْيَهُودُ وَالْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْمِصْفَاةِ. [٢٥]

إذ بدأ السلام يدب في يهوذا، وتجمَّعتْ طاقات ممتازة حول جدليا، وبدأت الحقول تأتي بثمار، بعث بعليس ملك بني عمون في شرق الأردن إسماعيل بن نثنيا ليقتل جدليا ومن معه من الذين كانوا يُمَثِّلون السلطة البابلية، سواء كانوا يهودًا أو كلدانيين.

كان بعليس ينتظر اغتنام فرصة رجوع جيوش بابل إلى وطنهم ليملك على ما بقي من البلاد في غرب الأردن، وقد حذر رؤساء الجيوش جدليا منه، مؤكدين له وجود مؤامرة مُدَبَّرة لقتله لتحطيم بقية يهوذا، أما هو فلم يُصدِّق.

جاء في يوسيفوس[1] أن جدليا كان إنسانًا لطيفًا وكريمًا، لكنه وثق في أناسٍ ليسوا أهلاً لذلك، فدبَّروا موضوع اغتياله.

لقد أخطأ جدليا إذ لم يسمع لهم، وكان يليق به أن يرفع قلبه بالصلاة يطلب مشورة الله، وأن يلجأ إلى إرميا النبي الذي كان ملاصقًا له. هنا تظهر خطورة اتكال الإنسان على أفكاره وحده.

أعمال إسماعيل الخاصة بقتل جدليا والدور الذي قام به يوحنان، وأحداثهما وردت في إرميا ٤٠: ٧-٤٣: ٧.

فَقَامَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ وَرُؤَسَاءُ الْجُيُوشِ،
وَجَاءُوا إِلَى مِصْرَ،
لأَنَّهُمْ خَافُوا مِنَ الْكِلْدَانِيِّينَ. [٢٦]

"وجاءوا إلى مصر"، لقد ظنوا أن ملك بابل لابد سينتقم لقتل جدليا والبابليين الذين كانوا معه. ولن يُمَيِّز في انتقامه بين إسماعيل وأتباعه وبين الباقين. وكان إرميا قد أخبر يوحانان والذين

---

[1] *Antiq. 10:9:1f.*

معه بقرار الرب ألا يذهبوا إلى مصر، فلم يسمعوا لكلام الرب، بل ذهبوا وأخذوا إرميا معهم وتحققت نبوة موسى (تث ٢٨:٢٦).

عادوا بإرادتهم إلى أرض العبودية. وما فعلوه هنا يشبه ما يفعله كثيرون حين يسمح الله لهم ببعض التجارب، فيتركون الكنيسة ويرجعون إلى أرض العبودية، أي خطاياهم القديمة، ويدّعون أنها تُعزّيهم، وفيها ينسون آلامهم، ويجدون فيها الحماية من أحزانهم.

٩. أويل مردوخ يكرِّم يهوياكين

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِسَبْيِ يَهُويَاكِينَ مَلِكِ يَهُوذَا،
فِي الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ،
رَفَعَ أَوِيلُ مَرُودَخُ مَلِكُ بَابِلَ فِي سَنَةِ تَمَلُّكِهِ رَأْسَ يَهُويَاكِينَ مَلِكِ يَهُوذَا مِنَ السِّجْنِ [٢٧]

أويل مردوخ (إنسان مردوخ) خلف نبوخذناصر إلى فترة قصيرة (٥٦١-٥٦٠ ق. م).

وُجدت ألواح من عصر نبونيدس (٥٥٥-٥٣٩ ق. م) تُسَجِّل الأعمال اليومية ليهوياكين الذي كان يُدعَى يواكين ملك أرض اليهود.

وُجِدَتْ ألواح ترجع إلى ٥٩٤-٥٦٩ ق.م بكتابة مسمارية *Cuneiform* جاء فيها أن مؤونة قُدِّمتْ ليهوياكين مع أبنائه الخمسة، واضح أنها ترجع إلى أيام نبوخذناصر قبل اعتلاء أويل مردوخ كرسي الحُكْم (٥٦٢-٥٦٠ ق.م)، مما يدل على نبوخذناصر كان يعامله بشيءٍ من التقدير كملكٍ، وأن ما فعله أويل مردوخ هو امتداد لنظرة نبوخذناصر له[1].

حتى بعد قتل جدليا [٢٥] انتهى السفر ببارقة رجاء، فقد أُطلق يهوياكين من السجن، وأُعطي شيء من الحرية، إذ كان شعب الله في السبي.

أصبح أويل مردوخ بن نبوخذناصر ملكًا على بابل في عام ٥٨٣ ق.م، أي بعد بداية السبي بأربع وعشرين سنة. وقد عامل يهوياكين بلطفٍ وسمح له أن يأكل معه على مائدته [٢٩]. بعد ذلك قُتل أويل مردوخ في مؤامرةٍ دبَّرها صهره نرجل شراصر الذي خلفه على العرش.

❖ حكم أويل مردوخ بن نبوخذناصر المملكة بطريقة رديئة، كما سبَّب اضطرابات مع صراع عنيف، لذلك عندما عاد والده (من حملة عسكرية)، سجنه والده خشية أن يتمرَّد عليه، وذلك في نفس الموضع الذي كان فيه يهوياكين. صارت بينهما صحبة لمدة طويلة، صارا صديقين.

لهذا بعد موت نبوخذناصر وتعيين أويل مردوخ ملكًا جديدًا، أعطى ليهوياكين امتيازات وهبات.

[1] *The New Bible Commentary, 3rd edition, Eerdmans Publishing Co., p 368.*

هذه كانت مكافأة ليهوياكين، لأنه أطاع النبوة وخضع، فلم يحرمه الله من المكافأة التي يستحقها[1].

أشوداد[2] أسقف Merv

وَكَلَّمَهُ بِخَيْرٍ،
وَجَعَلَ كُرْسِيَّهُ فَوْقَ كَرَاسِيِّ الْمُلُوكِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي بَابِلَ. [٢٨]

وَغَيَّرَ ثِيَابَ سِجْنِهِ.
وَكَانَ يَأْكُلُ دَائِمًا الْخُبْزَ أَمَامَهُ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ. [٢٩]

تعامل أويل مردوخ بلطفٍ شديدٍ مع يهوياكين، فجعله فوق كل الملوك المسبيين في بابل، ونزع عنه ثياب السجن، وجعله يأكل معه كل أيام حياته.

وَوَظِيفَتُهُ وَظِيفَةٌ دَائِمَةٌ تُعْطَى لَهُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ،
أَمْرُ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ. [٣٠]

يُفتتح سفر ملوك الثاني بإصعاد إيليا النبي إلى السماء. هذه هي شهوة قلب كل مؤمنٍ حقيقي يسلك في الرب، ويُختَم بأسر بشعب يهوذا في بلدٍ أجنبي، وذلك تأديبًا لتجاهلهم السلوك في الرب. هذه هي ثمرة من لا يُعطي لله الأولوية في حياته.

نجد لمحة رجاء في آخر السفر برفع وجه يهوياكين. هي رحمة من الله، وليست من ملك بابل، ليعرف الشعب أن الله لم يتركهم تمامًا، فيكون لهم رجاء في الخلاص والعودة. غالبًا فعل ملك بابل هذا بتأثير من دانيال والفتية الثلاثة.

بينما كان البابليون يدقون أبواب أورشليم لنهبها بعد عدة شهور، اشترى إرميا قطعة أرض، وهو يعلم أنه لن يستطيع أن يستقر فيها. لكنه أراد تأكيد أنه في المستقبل ستعود الحياة الطبيعية في يهوذا.

❖ عندما تبتدئون أن تغرقوا في ملذات الترف، اذكروا كيف أن اللذة قصيرة، تطلعوا إلى الخسارة. بالحقيقة إنها خسارة حيث يدفع الشخص مالاً كثيرًا لما فيه ضرره، يسبب له أمراضًا وضعفات. احتقروا الترف.

كم عدد الذين أصابتهم الشرور بسبب الترف؟

نوح سَكِرَ، وصار في فضيحة متعريًا؛ انظروا كم من شرور نبعتْ عن هذا (تك ٩:

---

[1] *Books of Sessions 2 Kings, 25:27.*

[2] نسطوري.

٢٠).

عيسو فقد حقوق بكوريته بسبب نهمه، وفكَّر أن يكون قاتلاً لأخيه.

شعب إسرائيل جلس ليأكل ويشرب وقام يلعب (خر ٣٢: ٦).

لهذا يقول الكتاب المقدس: متى "أكلتَ وشبعتَ، تذكر الرب إلهك" (راجع تث ٦: ١١-١٢). إذ كانوا على حافة السقوط في الترف.

قيل: أما (الأرملة) المتنعمة فقد ماتت وهي حيَّة" (١ تي ٥: ٦)[1].

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

من وحي ٢ مل ٢٥

في وسط الظلمة تُشرِق علينا بنور الرجاء!

❖ كاد جميع شعب إسرائيل ويهوذا يفقدون الرجاء.

بدا كأن لا عودة إلى مدينة الله،

وليس من يأمل في الرجوع إلى الهيكل.

فقد صدقيا ابنيه وعينيه وكرامته.

وسُحِبَ كحيوانٍ بلا كرامة إلى السجن في بابل.

اُقتيد أبناء النبلاء إلى بابل،

يتعلمون الكلدانية،

ويفقدون حتى أسماءهم العبرية،

يهوياكين الملك المحبوب من شعبه في السجن في بابل.

مَلَكَ في أورشليم ثلاثة أشهر وعشرة أيام،

وها هو يقضي ٣٧ عامًا في السبي مسجونًا.

❖ في وسط هذا الضيق الشديد يدك تُحرِّك الكل.

تسمح لابن ملك بابل أن يُسجَن مع يهوياكين.

ارتبط الاثنان بالحب معًا.

إذ صار السجين ملكًا على بابل.

كرَّم صديقه، فغيَّر ثياب سجنه،

---

[1] *In Acts. hom. 27.*

وجعله رفيقًا معه على مائدته.
وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك.
أتيت بتواضعك إلى أرضنا،
وسلكت هنا كواحدٍ منا.
حتى نطمئن أنك تقبلنا أحباء لك في ملكوتك السماوي.

❖ لم تنسَ حتى الذي عمل الشر وأُلقي في السجن،
فهل تنسى شعبك الذي تعده عروسًا سماويًا؟
بدا كأن لا عودة لملكٍ من أبناء داود.
وكأن خيمة داود قد سقطت تمامًا!
نزلتَ من سماواتك وتجسَّدتَ.
ملكتَ على قلوب الكثيرين من كل الشعوب.
عوض ملوك من أبناء داود،
أتيتَ يا ملك الملوك لكي تُقيم منّا ملوكًا.
وهبتنا لا التحرُّر من السبي البابلي،
بل حرية مجد أولاد الله السماوي!

❖ في وسط ضيقنا لا نلتقي بأويل مردوخ ابن الملك،
بل نلتقي بك يا ابن الله الوحيد.
تحسبنا أحباء، ترافقنا في آلامك.
تخلع عنا ثياب السجن، وتهبنا برّك ثوب مجدٍ!
تَقبَلنا لا لنأكل معك على مائدتك،
بل تقدم لنا جسدك ودمك حياة أبدية.

❖ متى تأتي على السحاب، فتحررنا من رباطات العالم؟!
تحملنا إلى العرش الإلهي، فننعم بكمال الحرية!
لك المجد يا محرر البشرية من عبودية الخطية!

مراحل نهب الهيكل

ناهب الهيكل	الشاهد	موقفه
١. شيشق	١ مل ١٤:٢٥	نهب الهيكل وأخذ بعض الكنوز.
٢. آسا	١ مل ١٥:١٨	قدَّم ما تبقَّى لملك أرام.
٣. عثليا	٢ أي ٢٤: ٧	نهب أبناؤها الهيكل.
٤. يوآش	٢ مل ١٢:١٨	أرسل الذهب إلى ملك أرام.
٥. يهوآش (إسرائيل)	٢ مل ١٤:١٤	اغتصب كنوزه بعد هزيمة أمصيا.
٦. آحاز	٢ مل ١٦:٨	قدَّمها جزية لإرضاء أشور.
٧. حزقيا	٢ مل ١٨:١٣	جعل سنحاريب الأشوري ينسحب.
٨. منسي	٢ مل ٢١	بنى مذابح الأوثان في الهيكل.
٩. نبوخذناصَّر	٢ مل ٢٤-٢٥	دمر الهيكل في الغزوة الثالثة ونهبه تمامًا.

المحتويات

الباب الثالث

المملكتان حتى السبي الأشوري

٢ ملوك ٩-١٧

الباب الرابع

يهوذا حتى السبي البابلي

٢ ملوك ١٨–٢٥

صدر عن هذه السلسلة

العهد القديم

1. التكوين
2. الخروج
3. اللاويين
4. العدد
5. التثنية
6. يشوع
7. القضاة
8. راعوث
9. صموئيل الأول
10. صموئيل الثاني
11. ملوك أول
12. ملوك الثاني
13. عزرا
14. نحميا
15. يهوديت
16. أستير
17. أيوب (٤ أجزاء)
18. المزامير
19. الأمثال "٣ أجزاء"
20. الجامعة
21. نشيد الأناشيد
22. حكمة سليمان
23. أشعياء
24. إرميا (جزءان)
25. مراثي إرميا
26. حزقيال
27. دانيال
28. هوشع
29. يوئيل
30. عاموس
31. عوبديا
32. يونان
33. ميخا
34. ناحوم
35. حبقوق
36. صفنيا
37. حجي
38. زكريا
39. ملاخي

العهد الجديد

1. أنجيل متّى
2. " مرقس
3. " لوقا
4. " يوحنا (جزءان)
5. أعمال الرسل (جزءان)
6. رسالة رومية
7. كورنثوس الأولى
8. " الثانية
9. غلاطية
10. أفسس
11. رسالة بولس إلى أهل فيلبي
12. " " إلى كولوسي
13. تسالونيكي الأولى
14. " الثانية
15. تيموثاوس الأولى
16. " الثانية
17. الرسالة إلى تيطس
18. " فليمون
19. " العبرانيين
20. رسالة يعقوب
21. رسالة بطرس الأولى
22. " الثانية
23. رسائل يوحنا الثلاث
24. رسالة يهوذا
25. رؤيا يوحنا اللاهوتي
26.

يُطلب من

❖ مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة - ت: ٨٨٢٤٥٤
❖ كنيسة مارجرجس سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٥٩١٩٨٨٨/

الثمن ١١ جنيه